

لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة
<https://palstinebooks.blogspot.com>

تفسير الجلالين

للعلامة جلال الدين المحلي
للعلامة جلال الدين السيوطي



مكتبة الإيمان
بالنصورة



تفسير الجلالين



للعلامة جلال الدين المحلى
والعلامة جلال الدين السيوطى

راجعه وأعدّه للنشر

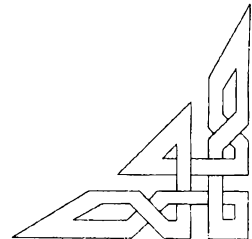
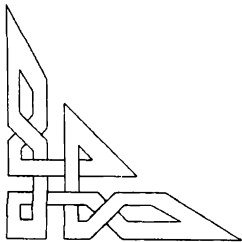
د / محمد محمد تامر

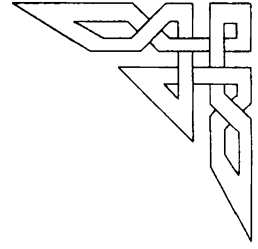
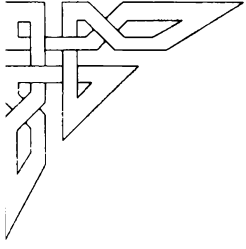
كلية دار العلوم - قسم الشريعة

الناشر

مكتبة الإمام - المنصورة

خ / ٢٢٥٧٨٨٢



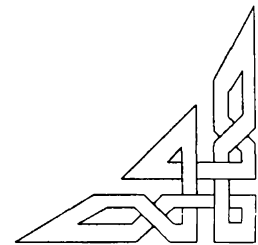
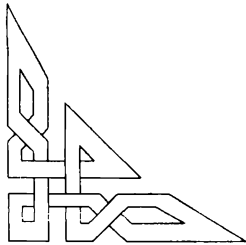


حقوق الطبع محفوظة

مكتبة الإيمان - المنصورة

أمام جامعة الأزهر

٢٢٥٧٨٨٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بسم الله والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداة ، وبعد :

يعتبر تفسير الجلالين : جلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي - رحمهما الله - من أشهر كتب التفسير بالرأي ، وقد كان عملهما فيه على النحو التالي ، حيث :
فسر الإمام جلال الدين المحلي النصف الثاني منه ، ومعه سورة الفاتحة . وفسر الإمام جلال الدين السيوطي النصف الأول منه عدا سورة الفاتحة .

ويظهر ذلك مني قول السيوطي - رحمه الله - في آخر تفسير سورة الإسراء :
« هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلي الشافعي - رضي الله عنه » . أه .

وقد سار السيوطي رحمه الله وفق منهج المحلي في تفسيره ، من حيث : الاختصار ، والدقة ، وعدم الاستطراد في تفسير الآيات ، مما يُشعر وكأن الكتاب كله لمؤلف واحد ..

تنبيه :

١ - قد وقع في هذا التفسير بعض المخالفات الخاصة بآيات الأسماء والصفات ، حيث نجد فيها بعض الموافقة لأقوال الأشاعرة ، أو الجهمية ، أو المعتزلة ، أو غيرهم .
والحق في ذلك - وما عليه أهل السنة والجماعة - : إثبات ما أثبتته الله لنفسه ، وما أثبتته له رسول الله ﷺ ، بما يليق به سبحانه وتعالى ، من غير تشبيه ، ولا تأويل ، ولا تعطيل ، مع اعتقاد عدم مشابهة المخلوق ، قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

ترجمة الإمام جلال الدين المحلي

هو : محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي -الملقب بجلال الدين- الأصولي المتكلم الفقيه المفسر ..

ولد بمصر سنة ٧٩١هـ

وكان بارعاً في العديد من الفنون والعلوم ، وكان آية في الذكاء والفهم ومن السائرين على سنة السلف في الصلاح والورع والتقوى ، يقول الحق ، ولا يخشى في الله تعالى لومة لائم .. وعرض عليه القضاء فامتنع ..

وقد تولى التدريس في المدرسة المؤيدية والبرقوية ...

وله العديد من المصنفات العلمية في الفقه والأصول وغيرهما من العلوم ، ومنها :

- شرح الورقات في الأصول .

- شرح المنهاج في الفقه .

- شرح جمع الجامع في الأصول .

- كتاب في الجهاد .

وغيرها من المصنفات القيمة .

وتوفي سنة ٨٦٤هـ . رحمه الله رحمة واسعة ، ونفعنا والمسلمين بعلمه ، وألحقنا به

على خير حال إنه هو السميع المجيب .

ترجمة الإمام جلال الدين السيوطي

هو : عبد الرحمن جلال الدين بن كمال الدين الخضيرى السيوطي - العالم المحدث المتبحر في شتى فنون العلم ، صاحب التصانيف المشهورة . ولد سنة ٨٤٩ هـ بمصر .

وقد كان ذا عقلية موسوعية حافظًا لكثير من المتون في مختلف العلوم وكان رحالة في طلب العلم ، حيث رحل إلى : الشام ، والحجاز ، واليمن ، والهند ، والمغرب ، وغيرها من البلدان ، طلبًا للعلم .

وقد كان أشهر أهل زمانه ، وأغزرهم علمًا ، وقد تولى التدريس والإفتاء في عصره ، وطبقت شهرته الآفاق ..

وقد نشأ رحمه الله يتيمًا ، وعاش في حياته متخلقًا بأخلاق العلماء والأفاضل ، غني النفس ، عفيفًا كريمًا ، متباعدًا عن ذوي الجاه والسلطان .

وكان طلبه العلم على أيدي كثير من المشايخ ، يقول : أخذت العلم عن ستمائة نفس ، وقد نظمتهم في أرجوزة اه .

أما عن تصانيفه ومؤلفاته ، فحدّث ولا حرج ، فما أكثرها وأجودها !!
ذكر تلميذه الداودي المالكي أنها : أنافت على خمسمائة مصنف .

وقال ابن إياس (في تاريخه) : إنها بلغت ستمائة مصنف .

وتناولت هذه المصنفات شتى علوم الدين واللغة من : فقه وحديث وتفسير ونحو وبلاغة وأدب وتاريخ وكان صاحب موهبة شعرية وله في ذلك دواوين ..

ومن مصنفاته :

١ - في علوم القرآن والتفسير :

- الاتقان في علوم القرآن .

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور .

- لباب النقول في أسباب النزول ... وغيرها .

٢- وفي الحديث الشريف وعلومه :

- تنوير الحوالك في شرح موطأ مالك.
- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير .
- الدياجع على صحيح مسلم بن الحجاج .
- زهر الربى على المجتبى ، وهو شرح لسنن النسائي ...
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ... وغيرها .

٣- في الفقه :

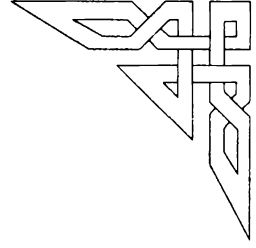
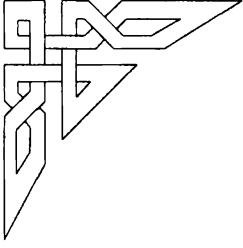
- الأشباه والنظائر في فقه الإمام الشافعي .
- الحاوي للفتاوي .
- آداب الفتيا .
- الجامع في الفرائض .
- الأزهار الغضة في فقه الروضة .. وغيرها .

٤- في اللغة وعلومها :

- الأشباه والنظائر النحوية .
- تعريف الأعجم بحروف المعجم .
- الفريدة في النحو والتصريف والخط .
- الموشح في علم النحو .
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع ... وغيرها .

٥- في التراجم والطبقات :

- طبقات الحفاظ .
- طبقات الأصوليين .
- بغية الوعاة في طبقات النحاة .
- طبقات المحدثين .. وغيرها .
- وقد توفي الإمام السيوطي رحمه الله سنة ٩١١ هـ - .



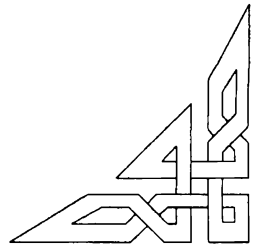
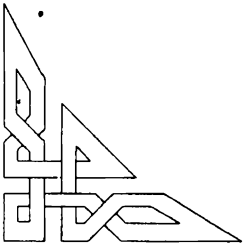
تفسير الجلالين

للعلامة جلال الدين المعاي
والعلامة جلال الدين السيوطي

مراجعة وأعدّه للنشر

د / محمد محمد تامر

كلية دار العلوم - قسم الشريعة



﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ٣]

٣ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ أي ذي الرحمة وهي إرادة الخير لأهله

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]

٤ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي الجزاء وهو يوم القيامة ، وخصَّ بالذكر لأنه لا ملك ظاهراً فيه لأحد إلا لله تعالى بدليل ﴿لِمَن المُلْكُ اليَوْمِ لِلَّهِ﴾ ومن قرأ «مَلِكِ» فمعناه مالك الأمر كله في يوم القيامة أو هو موصوف بذلك دائماً كـ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ فصح وقوعه صفة لمعرفة .

وقال ابن تيمية : «معرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية . فإن العلم بالسبب يُورث العلم بالسبب ، وقد أشكل على جماعة من السلف معاني آيات حتى وقفوا على أسباب نزولها فزال عنهم الإشكال» .

وقد بسطت أمثلة ذلك في النوع التاسع من كتاب «الإتقان في علوم القرآن» ، وذكرت له فوائد أخرى من مباحث وتحقيقات لا يحتملها هذا الكتاب .

قال الواحدي : ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع من شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها .

وقد قال محمد بن سيرين : سألت عبيدة عن آية من القرآن، فقال : اتى الله وقل سداً ؛ ذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن.

وقال غيره : معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تحفُّ بالقضايا وربما لم يجزم بعضهم فقال : أحسب هذه الآية نزلت في كذا ، كما قال الزبير في قوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...﴾ الآية .

وقال الحاكم في «علوم الحديث» : إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فإنه حديث مُشند . ومشى على هذا ابنُ الصلاح وغيره ومثله بما أخرجه مسلم عن جابر قال : كانت اليهود تقول : من أتى امرأته من دبرها في قُبُلها جاء الولد أحول . فأنزل الله ﴿يَسْأَلُكُمْ خِزْيٌ لَكُمْ فَأَتُوا خِزْيَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ الآية [البقرة : ٢٢٣] .

وقال ابن تيمية : «قولهم : نزلت الآية في كذا يُراد به تارة أنها سببُ النزول ، ويُراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب كما نقول : عُيِّي بهذه الآية كذا . وقد تنازع العلماء في قول الصحابي : نزلت هذه الآية في كذا ، هل يجري مجرى المسند كما لو ذُكر السبب الذي أنزلت لأجله أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند ؟ فالبخاري يُدخله في المسند وغيره لا يدخله فيه . وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره بخلاف ما إذا ذُكر سبباً

تفسير الجلالين

للإمام جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي

الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الإمام جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى :

اسورة الفاتحة

[مكية ، سبع آيات بالبسملة إن كانت منها ، والسابعة ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وإن لم تكن منها، فالسابعة : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ويقدر في أولها «قولوا» ليكون ما قبل ﴿إياك نعبد﴾ مناسباً له بكونها من مقول العباد

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]

٢ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها على أنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق أو مستحق لأن يحمده ، والله علم على المعبود بحق ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي مالك جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم وكل منها يطلق عليه عالم ، يقال عالم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك ، وغلب في جمعه بالياء والنون أولو العلم على غيرهم وهو من العلامة لأنه علامة على موجه .

* مقدمة كتاب لباب النقول للإمام السيوطي . قال رحمه الله تعالى :

لمعرفة أسباب النزول فوائد ، وأخطأ من قال : لا فائدة له ؛ لجرياته مجزى التاريخ . ومن فوائده : الوقوف على المعنى أو إزالة الإشكال .

قال الواحدي : «لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها» .

وقال ابن دقيق العيد : «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن» .

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]

٧ ويدل منه : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالهداية ويبدل من الذين بصلته ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود ﴿وَلَا﴾ غير ﴿الضَّالِّينَ﴾ وهم النصارى ، ونكتة البديل إفادة أن المهتدين ليسوا يهوداً ولا نصارى والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ومما يُعتمد في الترجيح النظر إلى الإسناد وكون راوي أحد السبيين حاضر القصة أو من علماء التفسير كابن عباس وابن مسعود ، وربما كان في إحدى القصتين «فتلاً» فوهم الراوي فقال «نزلت» كما سيأتي في سورة الزمر .
الثالث : أشهر كتاب في هذا الفن الآن كتاب الواحدي . وكتابي هذا يتميز عليه بأمر :

أحدها : الاختصار .

ثانيها : الجمع الكثير ، فقد حوى زيادات كثيرة على ما ذكر الواحدي .

ثالثها : عزوه كل حديث إلى من خرجه من أصحاب الكتب المعتمدة كالكتب الستة والمستدرک وصحيح ابن حبان وسنن البيهقي والدارقطني ومسانيد أحمد والبخاري ويعلي ومعجم الطبراني وتفسير ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي الشيخ وابن حبان والغريابي وعبد الرزاق وابن المنذر وغيرهم .

وأما الواحدي فتارة يُورد الحديث بإسناده وفيه - مع التطويل - عدم العلم بمخرج الحديث فلا شك أن عزوه إلى أحد الكتب المذكورة أولى من عزوه إلى تخريج الواحدي لشهرتها واعتمادها وركون الأئمة إليها . وتارة يُورده مقطوعاً فلا يُدزى هل له إسناد أو لا .

رابعها : تمييز الصحيح من غيره ، والمقبول من المردود .
خامسها : الجمع بين الروايات المتعددة .
سادسها : تنحية ما ليس من أسباب النزول . وهذا آخر المقدمة ، ومن هنا نشرع في المقصود بعون الملك المعبود .

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]

٥ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي نخصك بالعبادة من توحيد وغيره ونطلب المعونة على العبادة وغيرها

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]

٦ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي أرشدنا إليه ويبدل منه

نزلت عقوبته فإنهم كلهم يُدخلون مثل هذا في المسند . انتهى . وقال الزركشي في «البرهان» : قد عُرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال : نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم ، لا أن هذا كان السبب في نزولها فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع .

قلت : والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة ؛ فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك ، وكذلك ذكره في قوله : ﴿وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ سبب اتخاذه خليلاً ، فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى .

تنبيهات :

الأول : ما جعلناه من قبيل المسند من الصحابي إذا وقع من تابعي فهو مرفوع أيضاً لكنه مرسل ، فقد يُقبل إذا صح السند إليه وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ، أو اعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك .

الثاني : كثيراً ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسباباً متعددة وطريق الاعتماد في ذلك أن تنظر إلى العبارة الواقعة فإن عبر أحدهم بقوله : نزلت في كذا . والآخر : نزلت في كذا وذكر أمراً آخر فقد تقدم أن هذا يُراد به التفسير لا ذكر سبب النزول فلا منافاة بين قولهما إذا كان اللفظ يتناولهما كما بينته في كتاب «الإيقان» وحينئذ ، فحقق مثل هذا أن لا يُورد في تصنيف أسباب النزول وإنما يُذكر في تصنيف أحكام القرآن . وإن عُرِّبَ واحدٌ بقوله : نزلت في كذا ، وصرَّح الآخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمد كما قال ابن عمر في قوله : ﴿نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ : إنها نزلت رخصة في وطء النساء في أديارهن ، وصرح جابر بذكر سبب خلافه فأعتمد حديث جابر .

وإن ذُكِرَ واحدٌ سبباً وآخر سبباً غيره فقد تكون نزلت عقيب تلك الأسباب كما سيأتي في آية اللعان ، وقد تكون نزلت مرتين كما سيأتي في آية الروح ، وفي خواتيم النحل ، وفي قوله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية [التوبة: ١١٣] .

سورة البقرة ٢

المجانية ٢٨٦ أو ٢٨٧ آية

قال الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ:

الحمد لله حمداً موافياً لنعمه ، مكافئاً لمزيدة ،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه
وجنوده وبعد فهذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين
في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام
العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد
المحلي الشافعي رحمه الله وتتميم ما فاته ، وهو
من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء بتتمة
على نمطه من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى
والاعتماد على أرجح الأقوال وإعراب ما يحتاج إليه
وتبنيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه
لطيف وتعبير وجيز وترك التطويل بذكر أقوال غير
مرضية ، وأعاريب محلها كتب العربية . والله
نسأل النفع به في الدنيا وأحسن الجزاء عليه في
العقبى بيمينه وكرمه .

﴿المر﴾ [البقرة: ١]

١ ﴿الم﴾ الله أعلم بمراده بذلك .

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾
[البقرة: ٢]

٢ ﴿ذَلِكَ﴾ أي هذا ﴿الْكِتَابُ﴾ الذي يقرؤه
محمد ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ أنه من عند
الله، وجملة النفي خبر مبتدؤه ذلك والإشارة به
للتعظيم ﴿هُدًى﴾ خبر ثان أي هاد ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾
الصائرين إلى التقوى بامتثال الأوامر واجتناب
النواهي لاتقائهم بذلك النار .

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]

٣ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بما
غاب عنهم من البعث والجنة والنار ﴿وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ﴾ أي يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾
أعطيناهم ﴿يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله .

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ

وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]

٤ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن
﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي التوراة والإنجيل
وغيرهما ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون .
﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]

٥ ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿عَلَى هُدًى
مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالجنة
الناجون من النار .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ
تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]

٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأبي جهل وأبي لهب
ونحوهما ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بتحقيق
الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف
بين المُسَهَّلَةِ والأخرى وتركه ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لعلم الله منهم ذلك فلا تطمع في
إيمانهم، والإنذار إعلام مع تخويف^(١) .

﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ
غِشَاةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]

٧ ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ طبع عليها واستوثق
فلا يدخلها خير ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ أي مواضعه فلا
ينتفعون بما يسمعون من الحق ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ
غِشَاوَةٌ﴾ غطاء فلا يبصرون الحق ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ﴾ قوي دائم .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا
هُمْ بِيُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]

٨ ونزل في المنافقين : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ

(١) [أسباب نزول الآية ٦ ، ٧] أخرج القرطبي وابن جرير
عن مجاهد قال : أربع آيات من أول البقرة نزلت في المؤمنين،
وآيتان في الكافرين ، وثلاث عشرة آية في المنافقين . وأخرج
ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن
عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله : ﴿إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآيتين أنهما نزلتا في يهود المدينة .

وأخرج عن الربيع بن أنس قال : آيتان نزلتا في قتال
الأحزاب : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ - إلى قوله :
﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾

١٤ ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أصله لقيوا حذف الضمة للاستئقال ثم الياء للاتقانها ساكنة مع الواو ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا﴾ منهم ورجعوا ﴿إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ رؤسائهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بهم يظهرون الإيمان (١).

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

١٥ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يجازيهم باستهزائهم ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ ويمدهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ بتجاوزهم الحد في الكفر ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون تحيرا حال

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَت بِتَحْرِئِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]

١٦ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ﴾ أي استبدلوا بها ﴿فَمَا رَبَحَت بِتَحَارُثِهِمْ﴾ أي ما ربحوا فيها بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ فيما فعلوا .

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَكَرَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]

١٧ ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿كَمَثَلِ

ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي يوم القيامة لأنه آخر الأيام ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ روعي فيه معنى من ، وفي ضمير يقول لفظها .

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]

٩ ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ لأن وبال خداعهم راجع إليهم فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعلمون أن خداعهم لأنفسهم والمخادعة هنا من واحد كعاقبت اللص وذكر الله فيها تحسین، وفي قراءة ﴿وما يخدعون﴾ .

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]

١٠ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ونفاق فهو يمرض قلوبهم أي يضعفها ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ بالتشديد أي نبي الله ، وبالتخفيف أي قولهم أمتنا .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]

١١ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي لهؤلاء ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ وليس ما نحن فيه بفساد .

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾

١٢ قال الله تعالى رداً عليهم : ﴿أَلَا لِلنَّبِيِّهِمْ﴾ ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾

١٣ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﷺ ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ الجهال ؟ أي لا نفع كفعالهم . قال تعالى رداً عليهم : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك .

(١) [أسباب نزول الآية ١٤]: أخرج الواحدي والثعلبي من طريق محمد بن مروان والشدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن أبي: انظروا كيف أردتكم هؤلاء السفهاء، فذهب فأخذ بيد أبي بكر، فقال: مرحباً بالصديق سيد بني تميم، وشيخ الإسلام، وثاني رسول الله في الغار، الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيد بني عدي بن كعب، الفاروق القوي في دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد علي فقال: مرحباً بابن عم رسول الله وختنه، سيد بني هاشم ما خلا رسول الله. ثم افترقوا.

فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت. فأتوا عليه خيراً. فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ وأخبروه بذلك فنزلت هذه الآية. هذا الإسناد واه جداً، فإن الشدي الصغير كذاب، وكذا الكلبي، وأبو صالح ضعيف.

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا فِيهِ
وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ
وَأَبْصَارَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

٢٠ ﴿يَكَادُ﴾ يقرب ﴿الْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَارَهُمْ﴾ يأخذها بسرعة ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا
فِيهِ﴾ أي في ضوءه ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ وقفوا
، تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبهم
وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون ووقفهم عما
يكرهون ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بمعنى
أسماعهم ﴿وَأَبْصَارِهِمْ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ومثله
إذهاب ما ذكر

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ انْبِعَادُ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]

٢١ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿اغْبُدُوا﴾
وحدوا ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أنشأكم ولم تكونوا
شيئا ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾
بعبادته عقابه ، ولعل في الأصل للترجي ، وفي
كلامه تعالى للتحقيق

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا
تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]

٢٢ ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ خلق ﴿لَكُمْ الْأَرْضَ
فِرَاشًا﴾ حال بساطا يفترش لا غاية في الصلابة أو
الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾
سقفا ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ

وحسن إسلامهما فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين
مثلا للمنافقين الذين بالمدينة. وكان المنافقون إذا حضروا
مجلس النبي ﷺ جعلوا أصابعهم في آذانهم فرقا من كلام
النبي ﷺ أن ينزل فيهم شيء، أو يذكروا بشيء فيقتلوا كما
كان ذلك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما و
﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا فِيهِ﴾، فإذا كثرت أموالهم وولدهم
وأصابوا غنيمة أو فتحا مشوا فيه، وقالوا: إن دين محمد ﷺ
حينئذ صدق واستقاموا عليه، كما كان ذلك المنافقان يمشيان
إذا أضاء لهما البرق ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ فكانوا إذا هلك
أموالهم وولدهم وأصابعهم البلاء قالوا: هذا من أجل دين
محمد فارتدوا كفارا، كما قال ذلك المنافقان حين أظلم البرق
عليهما.

الَّذِي اسْتَوْقَدَ ﴿أَوْقَدَ﴾ ناراً ﴿فِي ظِلْمَةٍ﴾ فُلْمًا
أَضَاءَتْ ﴿أَنَارَتْ﴾ ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ فأبصر واستدفا وأمن
ممن يخافه ﴿وَذَهَبَ اللَّهُ بِبُورِهِمْ﴾ أطفأه ، وجمع
الضمير مراعاة لمعنى الذي ﴿وَوَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ
لَا يُبْصِرُونَ﴾ ما حولهم متحيرين عن الطريق
خائفين فكذاك هؤلاء آمنوا بإظهار كلمة الإيمان
فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب .

﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمٌّ فَهُمْ لَا يَرِجُونَ﴾ [البقرة: ١٨]

١٨ هم ﴿صُمٌّ﴾ عن الحق فلا يسمعون سماع
قبول ﴿بَكْمٌ﴾ خرس عن الخير فلا يقولونه
﴿عُمٌّ﴾ عن طريق الهدى فلا يرونه ﴿فَهُمْ لَا
يَرِجُونَ﴾ عن الضلالة

﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ
يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حُدْرَ الْمَوْتِ
وَاللَّهُ يُحِيطُ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]

١٩ ﴿أَوْ﴾ مثلهم ﴿كَصَيْبٍ﴾ أي كأصحاب
مطر، وأصله صيوب من صاب يصوب أي ينزل
﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ السحاب ﴿فِيهِ﴾ أي السحاب
﴿ظُلُمَاتٌ﴾ متكافئة ﴿وَرَعْدٌ﴾ هو الملك الموكل
به وقيل صوته ﴿وَبَرْقٌ﴾ لمعان صوته الذي يزجره
به ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أي أصحاب الصيب ﴿أَصْبَاعَهُمْ﴾
أي أناملها ﴿فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ﴾
شدة صوت الرعد لئلا يسمعوها ﴿حُدْرٌ﴾ خوف
﴿الْمَوْتِ﴾ من سماعها كذلك هؤلاء إذا نزل
القرآن وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات والوعيد
عليه المشبه بالرعد والحجج والبينة المشبهة بالبرق،
يسدون آذانهم لئلا يسمعوها فيميلوا إلى الإيمان
وترك دينهم وهو عندهم موت ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ
بِالْكَافِرِينَ﴾ علما وقدرة فلا يفوتونه (١).

(١) أسباب نزول الآية ١٩ : أخرج ابن جرير من طريق
الشدي الكبير عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس، وعن
ثروة عن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا: كانا رجلين من
المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله إلى المشركين،
فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله: فيه رعد شديد وصواعق
وبرق، فجعلنا كلما أصابهما الصواعق جعلنا أصابعهما في
آذانهما من الفرق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلها
وإذا لمع البرق مشيا إلى ضوءه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، فأتينا
مكانهما يمشيان، فجعلنا بقولان: ليتنا قد أصبحنا فأتينا محمداً
ففضع أيدينا في يده، فأتياه فأسلما ووضعنا أيديهما في يده

﴿مِنْهَا﴾ أطمعوا من تلك الجنات ﴿مِنْ نَمْرَةٍ رُزْقًا﴾ قالوا هَذَا الَّذِي ﴿أَي مِثْل مَا﴾ ﴿رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أَي قبله في الجنة لتشابه ثمارها بقرينه ﴿وَأَتُوا بِهِ﴾ أَي جثوا بالرزق ﴿مُتَشَابِهًا﴾ يشبه بعضه بعضا لونا ويختلف طعما ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ﴾ من الحور وغيرها ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وكل قدر ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ما كئون أبدا لا يفنون ولا يخرجون. ونزل ردًّا لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب في قوله: ﴿وَأَنْ يَسْتَلْبِثُ مِنَ الذَّبَابِ شَيْئًا﴾ والعنكبوت في قوله: ﴿كَمَثَلِ الْعُنْكَبُوتِ﴾ ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة ؟ فأنزل الله :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا قَوْحَهَا فَمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ﴾ يجعل ﴿مَثَلًا﴾ مفعول أول ﴿مَا﴾ نكرة موصوفة بما بعدها مفعول ثان أي مثل كان أو زائدة لتأكيد الخسة فما بعدها المفعول الثاني ﴿بَعُوضَةٌ﴾ مفرد البعوض وهو صغار البق ﴿فَمَا قَوْحَهَا﴾ أي أكبر منها أي لا يترك بيانه لما فيه من الحكم ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي المثل ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت الواقع موقعه ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ تمييز أي بهذا المثل ، وما استفهام إنكار مبتدأ ، وذا بمعنى الذي بصلته خبره أي: أي فائدة فيه قال تعالى في جوابهم ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أي بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ عن الحق لكفرهم به ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين لتصديقهم به ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته (١) .

(١) أسباب نزول الآية ٢٦: أخرج ابن جرير عن الشدي بأسانيده: لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين، يعني قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، وقوله: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾، قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾، إلى قوله: ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. وأخرج الواحدي من طريق عبد الغني ابن سعيد الثقفي عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: إن الله ذكر آلهة المشركين، =

﴿الشُّمَرَاتِ رُزْقًا لَكُمْ﴾ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴿شُرَكَاءَ فِي الْعِبَادَةِ﴾ وَوَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿أَنَّهُ الْخَالِقُ وَلَا يَخْلُقُونَ، وَلَا يَكُونُ إِلَهًا إِلَّا مِنْ يَخْلُقُ﴾
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]

٢٣ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَيَّ عَبْدِنَا﴾ محمد من القرآن أنه من عند الله ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ أي المنزل (ومن) للبيان أي هي مثله في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب . والسورة قطعة لها أول وآخر أقلها ثلاث آيات ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ آلهتكم التي تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره لتعينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن محمدا قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك فإنكم عريون فصحاء مثله .

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَوُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]

٢٤ ولما عجزوا عن ذلك قال تعالى ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما ذكر لعجزكم ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ ذلك أبدا لظهور إعجازه اعتراض ﴿فَأْتُوا﴾ بالإيمان بالله وأنه ليس من كلام البشر ﴿النَّارَ الَّتِي وَوُودَهَا النَّاسُ﴾ الكفار ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها ، يعني مفرطة الحرارة تنقد بما ذكر ، لا كمنار الدنيا تنقد بالحطب ونحوه ﴿أُعِدَّتْ﴾ هُيئت ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ يعذبون بها، جملة مستأنفة أو حال لازمة

﴿وَيَبِّرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَمْ يُجَنَّبْ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كَلَّمًا رُزْقًا مِنْ تَحْتِهَا مِنْ نَمْرَةٍ رُزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]

٢٥ ﴿وَيَبِّشِرُ﴾ أخبر ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صدقوا بالله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ﴾ حدائق ذات شجر ومسكن ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي تحت أشجارها وقصورها ﴿الْأَنْهَارُ﴾ أي المياه فيها ، والنهر هو الموضع الذي يجري فيه الماء لأن الماء ينهره أي يحفره وإسناد الجري إليه مجاز ﴿كَلَّمًا رُزْقًا﴾

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]

٢٩ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي الأرض وما فيها ﴿جَمِيعًا﴾ لتنتفعوا به وتعتبروا ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ بعد خلق الأرض أي قصد ﴿إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجملة الآية إليه : أي صيرها كما في آية أخرى ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ مجملًا ومفصلًا ، أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء وهو أعظم منكم قادرٌ على إعادتكم

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]

٣٠ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يريقها بالقتل كما فعل بنو الجان وكانوا فيها فلما أفسدوا أرسل الله عليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجمال ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي نقول سبحان الله وبحمده ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ننزهك عما لا يليق بك فاللام زائدة والجملة حال أي فنحن أحق بالاستحلاف ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المصلحة في استخلاف آدم وأن ذريته فيهم المطيع والمعاصي فيظهر العدل بينهم ، فقالوا لن يخلق ربنا خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم لسبقنا له ورؤيتنا ما لم يره فخلق الله تعالى آدم من أديم الأرض أي وجهها بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها وعجنتم بالمياه المختلفة وسواه ونفخ فيه الروح فصار حيواناً حساساً بعد أن كان جماداً

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]

٢٧ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ ما عهده إليهم في الكتب من الإيمان بمحمد ﷺ ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ توحيده عليهم ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الإيمان بالنبي والرحم وغير ذلك وأن بدل من ضمير به ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]

٢٨ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ يا أهل مكة ﴿بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ نطفًا في الأضلاب ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم ، والاستفهام للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان أو للتوبيخ ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم . وقال دليلاً على البعث لما أنكروه:

فقال: **وَمَا أَهْبَأَ النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاشْتَبَهُوا لَهُ** إِنَّ الَّذِينَ تَذَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلُكُمْ فِي الذُّبَابِ شَيْئًا، وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت، فقالوا: رأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد، أي شيء كان يصنع بهذا؟ فأنزل الله هذه الآية.

عبد الغني وإه جدًا. وقال عبد الرزاق في تفسيره: أخبرنا معمر عن قتادة: لما ذكر الله العنكبوت والذباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يُذكران؟ فأنزل الله هذه الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: لما نزلت **وَمَا أَهْبَأَ النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ** قال المشركون: ما هذا من الأمثال فيضرب، أو ما يشبه هذا الأمثال، فأنزل الله **وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا** الآية.

قلت: قول الأول أصح إسناداً وأنسب بما تقدم أول السورة، وذكر المشركين لا يلائم كون الآية مدنية. وما أوردها عن قتادة والحسن حكاه عنهما الواحدي بلا إسناد بلفظ: **وقالت اليهود** وهو أنسب.

المستتر ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء بالمد وكان خلقها من ضلعه الأيسر ﴿الْجَنَّةَ وَكُلًّا مِنْهَا﴾ أكلاً ﴿رَعْدًا﴾ واسماً لا حجر فيه ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ ولا تقرَّباً هذه الشجرة ﴿بِالْأَكْلِ مِنْهَا﴾ وهي الحنطة أو الكرم أو غيرهما ﴿فَتَكُونَا﴾ فتصيرا ﴿مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ العاصين .

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]

٣٦ ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليس أذهبهما ، وفي قراءة ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ نجاهما ﴿عَنْهَا﴾ أي الجنة بأن قال لهما : هل أدلكما على شجرة الخلد وقاسمهما بالله أنه لهما لمن الناصحين فأكلا منها ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم ﴿وقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ إلى الأرض أي أنتما بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضكم بعضاً ﴿ولَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَاعٌ﴾ مما تتمتعون به من نباتها ﴿إِلَى حِينٍ﴾ وقت انقضاء آجالكم

﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]

٣٧ ﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ إلهامه إياها، وفي قراءة بنصب آدم ورفع كلمات ، أي جاءه وهي ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ الآية فدعا بها ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قبل توبته ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ على عباده ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]

٣٨ ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ كرهه ليعطف عليه ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ كتاب ورسول ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ فأمّن بي وعمل بطاعتي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة أن يدخلوا الجنة

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]

٣١ ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ أي أسماء المسميات ﴿كُلَّهَا﴾ حتى القصعة والقصيمة والفسوة والفسية والمعرفة بأن ألقى في قلبه علمها ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي المسميات وفيه تغليب العقلاء ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ﴾ لهم تبيكنا ﴿أَنْبِئُونِي﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ﴾ المسميات ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أي لا أخلق أعلم منكم أو أنكم أحق بالخلافة، وجواب الشرط دل عليه ما قبله ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]

٣٢ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إياه ﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾ تأكيد للكاف ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته

﴿قَالَ يَادُمْ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]

٣٣ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَادُمْ أَنْبِئُهُمْ﴾ أي الملائكة ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ المسميات فسمي كل شيء باسمه وذكر حكمته التي خلق لها ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ قال ﴿تعالى لهم موبخاً﴾ ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما غاب فيهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ ما تظهرون من قولكم أنجعل فيها الخ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تسيرون من قولكم لن يخلق أكرم عليه منا ولا أعلم

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]

٣٤ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوا﴾ إلا إبليس ﴿هو أبو الجن كان بين الملائكة﴾ ﴿أَبَى﴾ امتنع عن السجود ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ تكبر عنه وقال : أنا خير منه ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ في علم الله ﴿وَقُلْنَا يَادُمْ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[البقرة: ٣٥]

٣٥ ﴿وَقُلْنَا يَادُمْ اسْكُنْ أَنْتَ﴾ تأكيد للضمير

المسلمين اثبتوا على دين محمد فإنه حق

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ
الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]

٤٤ ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ بالإيمان بمحمد
﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ تتركونها فلا تأمرونها به
﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة وفيها الوعيد على
مخالفة القول العمل ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سوء فعليكم
فترجعون ، فجملة النسيان محل الاستفهام
الإنكاري (١)

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّخِرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى
الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]

٤٥ ﴿وَأَسْتَعِينُوا﴾ اطلبوا المعونة على أموركم
﴿بِالصَّخِرِ﴾ الحبس للنفس على ما تكره
﴿وَالصَّلَاةِ﴾ أفردها بالذكر تعظيما لشأنها وفي
الحديث كان ﷺ إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة
وقيل الخطاب لليهود لما عاقبهم عن الإيمان الشره
وحب الرياسة فأمروا بالصبر وهو الصوم لأنه يكسر
الشهوة ، والصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفي
الكبر ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي الصلاة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ ثقيلة ﴿إِلَّا
عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ الساكنين إلى الطاعة
﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾
[البقرة: ٤٦]

٤٦ ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مُلَاقُوا
رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ في الآخرة
فيجازيهم

﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلِي
فَصَلُّوا عَلَيَّ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]

٤٧ ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ
عَلَيْكُمْ﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿وَأَلِي فَصَلُّوا عَلَيَّ﴾
أي آباءكم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم .

(١) أسباب نزول الآية ٤٤ : أخرج الواحدي والتعلي من
طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزلت هذه
الآية في يهود أهل المدينة، كان الرجل منهم يقول لصهره
ولذوي قرابته ولن بينه وبينهم رضاع من المسلمين: اثبت على
الدين الذي أنت عليه، وما يأمرك به هذا الرجل فإن أمره حق،
وكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه .

٣٩ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كتبنا
﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ماكنون
أبدا لا يفنون ولا يخرجون

﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا
بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَازَهُونَ﴾ [البقرة: ٤٠]

٤٠ ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أولاد يعقوب ﴿أَذْكُرُوا
نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي على آباءكم من
الإنجاء من فرعون و فلق البحر و تظليل الغمام
وغير ذلك بأن تشكروها بطاعتي ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾
الذي عهدته إليكم من الإيمان بمحمد ﴿أَوْفٍ
بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي عهدت إليكم من الثواب عليه
بدخول الجنة ﴿وَإِنِّي فَازَهُونَ﴾ خافون في ترك
الوفاء به دون غيري

﴿وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا
أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ أَكْفَرُ بِهِ وَلَا تُشْرِكُوا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾
[البقرة: ٤١]

٤١ ﴿وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا
لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة بموافقتها له في التوحيد
والنبوة ﴿وَلَا تَكُونُوا أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ أَكْفَرُ بِهِ﴾ من أهل الكتاب
لأن خلفكم تبع لكم فإثمهم عليكم ﴿وَلَا تُشْرِكُوا﴾
تستبدلوا ﴿بِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ التي في كتابكم من نعت
محمد ﷺ ﴿تَمَنَّا قَلِيلًا﴾ عرضا يسيرا من الدنيا
أي لا تكتموها خوف فوات ما تأخذونه من
سفلتكم ﴿وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾ خافون في ذلك دون
غيري

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]

٤٢ ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ تخلطوا ﴿الْحَقَّ﴾ الذي
أنزلت عليكم ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الذي تفترونه ولا
﴿تَكْفُرُوا بِالْحَقِّ﴾ نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ﴾ أنه الحق

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾
[البقرة: ٤٣]

٤٣ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ
الرَّاكِعِينَ﴾ صلوا مع المصلين محمد وأصحابه ،
ونزل في علمائهم وكانوا يقولون لأقربائهم

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
[البقرة: ٥٢]

٥٢ ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ محونا ذنوبكم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا عليكم
﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾
[البقرة: ٥٣]

٥٣ ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ عطف تفسير أي الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ به من الضلال

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤]

٥٤ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ الذين عبدوا العجل ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ﴾ إليها ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾ خالفكم من عبادته ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي ليقتل البريء منكم المجرم ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ فوقفكم لفعل ذلك وأرسل عليكم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضكم بعضا فبرحمه حتى قتل منكم نحو سبعين ألفا ﴿ثَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل توبتكم ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَى إِنَّ نُؤْمِينَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]

٥٥ ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ وقد خرجتم مع موسى لتعتدروا إلى الله من عبادة العجل وسمعتهم كلامه ﴿يَا مُوسَى إِنَّ نُؤْمِينَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ عيانا ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الصيحة فمُتُّم ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظَرُونَ﴾ ما حل بكم

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
[البقرة: ٥٦]

٥٦ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ﴾ أحييناكم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا بذلك

﴿وَأَنْتُمْ يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

٤٨ ﴿وَأَنْتُمْ يَوْمًا﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْرِي﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ وهو يوم القيامة ﴿وَلَا يُقْبَلُ﴾ بالتاء والياء ﴿مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ أي ليس لها شفاعاة فتقبل ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون من عذاب الله

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَعْبِدُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ لِمَنْ رَزَقْنَاهُ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]

٤٩ ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ أي آباءكم ، والخطاب به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا بما أنعم الله على آبائهم تذكيراً لهم بنعمة الله تعالى ليؤمنوا ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشده والجملة حال من ضمير نجيناكم ﴿يُدَبِّحُونَ﴾ بيان لما قبله ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَعْبِدُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة له إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبباً لذهاب ملكك ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ العذاب أو الإنجاء ﴿بَلَاءٌ﴾ ابتلاء أو إنعام ﴿مِنْ رَزَقْنَاهُ عَظِيمٌ﴾

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْخَافِجِينَ لَكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظَرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠]

٥٠ ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ فلقنا ﴿بِكُمْ﴾ بسببكم ﴿الْبَحْرَ﴾ حتى دخلتموه هاربين من عدوكم ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾ من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظَرُونَ﴾ إلى انطباق البحر عليهم

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١]

٥١ ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا﴾ بألف ودونها ﴿مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها ﴿ثُمَّ أَخَذْنَا الْعِجْلَ﴾ الذي صاغه لكم السامريُّ إليها ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذها لوضعكم العبادة في غير محلها

طلب السقيا ﴿لِقَوْمِهِ﴾ وقد عطشوا في التيه ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ وهو الذي فر بشوبه ، خفيف مربع كراس الرجل رخام أو كذان فضربه ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ انشقت وسالت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ سِطْرَ مُنْهَمٍ﴾ موضع شربهم فلا يشركهم فيه غيرهم . وقلنا لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها من عشي بكسر المثناة أفسد

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا﴾ قَالَ اسْتَبَدَّلَ الَّذِي هُوَ أَذَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالسَّكْنَةُ وَبَاءُوا بِعَصَابِ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ بَيَّاتَ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

٦١ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ أَيْ نَوْعٍ مِنْهُ﴾ ﴿وَاحِدٍ﴾ وهو المن والسلوى ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ شيئا ﴿مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ﴾ للبيان ﴿بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾ حنطتها ﴿وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا﴾ قَالَ لهم موسى ﴿اسْتَبَدَّلُونَ الَّذِي هُوَ أَذَىٰ﴾ أنحس ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أشرف أتأخذونه بدله ، والهمزة للإنكار فأبوا أن يرجعوا فدعا الله تعالى فقال تعالى : ﴿أَهْبَطُوا﴾ انزلوا ﴿مِصْرًا﴾ من الأمصار ﴿فَإِنَّ لَكُمْ﴾ فيه ﴿مِمَّا سَأَلْتُمْ﴾ من النبات ﴿وَضُرِبَتْ﴾ جعلت ﴿عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ﴾ الذل والهوان ﴿وَالسَّكْنَةُ﴾ أي أثر الفقر من السكون والخزي فهي لازمة لهم ، وإن كانوا أغنياء لزوم الدرهم المضروب لسكته ﴿وَبَاءُوا﴾ رجعوا ﴿بِعَصَابِ رَبِّهِمْ﴾ أي الضرب والغضب ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ كزكريا ويحيى ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي ظلما ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون الحد في المعاصي وكرره للتأكيد

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغِينَ مِنَ ءَمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

﴿وَقُلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]

٥٧ ﴿وَقُلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ سترناكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس في التيه ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ فيه ﴿الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ﴾ هما الترنجيبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر وقلنا : ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تدخروا فكفروا النعمة وادخروا فقطع عنهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأن وباله عليهم ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنُرِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨]

٥٨ ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لهم بعد خروجهم من التيه ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس أو أريحا ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعاً لا حجر فيه ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ أي بابها ﴿سُجَّدًا﴾ منحنين ﴿وَقُولُوا﴾ مسألتنا ﴿حِطَّةً﴾ أي أن تحط عنا خطايانا ﴿نَغْفِرْ﴾ وفي قراءة بالياء والتاء مبينا للمفعول فيهما ﴿لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنُرِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابا

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]

٥٩ ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ منهم ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا : حبة في شعرة ودخلوا يرحفون على أستاذهم ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمرة مبالغة في تقييد شأنهم ﴿بِرِجْزٍ﴾ عذابا طاعونا ﴿مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم أي خروجهم عن الطاعة فهلك منهم في ساعة سبعون ألفا أو أقل

﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَاَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مِشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]

٦٠ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ أي

﴿الَّذِينَ اعْتَدُوا﴾ تجاوزوا الحد ﴿مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ بصيد السمك وقد نهيناهم عنه وهم أهل إيلة ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ مبعدين فكانوا وهلكوا بعد ثلاثة أيام

﴿جَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦]

٦٦ ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي تلك العقوبة ﴿نَكَالًا﴾ عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي الأمم التي في زمانها أو بعدها ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الله وخصوصا بالذكر لأنهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَلْبِذُونَ هَذُورًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]

٦٧ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ وقد قتل لهم قتيلا لا يدرى قاتله وسأله أن يدعو الله أن يبينه لهم فدعاه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَلْبِذُونَ هَذُورًا﴾ مهزوعاً بنا حيث تجيبنا بمثل ذلك ﴿قَالَ أَعُوذُ﴾ امتنع ﴿بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ المستهزئين

﴿قَالُوا آذِعْ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصَ وَلَا يَكْرَ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [البقرة: ٦٨]

٦٨ فلما علموا أنه عزم ﴿قَالُوا آذِعْ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ أي ما سئها؟ ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّهُ﴾ أي الله ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصَ﴾ مسنة ﴿وَلَا يَكْرَ﴾ صغيرة ﴿عَوَانٌ﴾ نصف ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المذكور من السنين ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ به من ذبحها

﴿قَالُوا آذِعْ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ الشَّاطِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩]

٦٩ ﴿قَالُوا آذِعْ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ شديد الصفرة ﴿تَسُرُّ الشَّاطِرِينَ﴾ إليها بحسنها أي تعجبهم

﴿قَالُوا آذِعْ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ

يَحْزُونُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]

٦٢ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالأنبياء من قبل ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ طائفة من اليهود أو النصارى ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ في زمن نبينا ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ بشريعته ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي ثواب أعمالهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ روعي في ضمير آمن وعمل لفظ من وفيما بعده معناها (١).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

٦٣ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدهم بالعمل بما في التوراة ﴿وَإِذْ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الجبل اقتلعناه من أصله عليكم لما أبيتتم قبولها وقلنا ﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النار أو المعاصي

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٤]

٦٤ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الميثاق عن الطاعة ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لكم بالتوبة أو تأخير العذاب ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الهالكين

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ ءَاعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]

٦٥ ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلِمْتُمْ﴾ عرفتم

(١) أسباب نزول الآية ٦٢: أخرج ابن أبي حاتم، والعدني في مسنده من طريق ابن أبي مجبح عن مجاهد قال: قال سلمان: سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم فذكرت من صلاتهم وعبادتهم، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية. وأخرج الواحدي من طريق عبد الله بن كثير عن مجاهد قال: لما قصر سلمان على رسول الله ﷺ قصة أصحابه قال: ﴿هم في النار﴾. قال سلمان: فأظلمت علي الأرض، فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَحْزَنُونَ﴾ قال: فكانما كُثِفَ عني جبل. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الشدي قال: نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبَكُمْ مِنْ بَدْدِ ذَلِكَ فِيهِنَّ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[البقرة: ٧٤]

٧٤ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبَكُمْ﴾ أيها اليهود صلبت عن قبول الحق ﴿مِنْ بَدْدِ ذَلِكَ﴾ المذكور من إحياء القتيل وما قبله من الآيات ﴿فِيهِنَّ﴾ كالحجارة ﴿فِي الْقَسْوَةِ﴾ أو أشد قسوة ﴿مِنْهَا﴾ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الشَّيْنِ ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ ينزل من علو إلى أسفل ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تخشع ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخركم لوقتكم وفي قراءة بالتحانية وفيه التفات عن الخطاب

﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَدْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]

٧٥ ﴿أَفَنظَمُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ أي اليهود ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾ طائفة ﴿مِنْهُمْ﴾ أخبارهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ في التوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ يغيرونه ﴿مِنْ بَدْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مفترون والهمزة للإنكار أي لا تطعموا فلهم سابقة بالكفر

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

٧٦ ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أي منافقو اليهود ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ بأن محمداً ﷺ نبي وهو المبشر به في كتابنا ﴿وَإِذَا خَلَا﴾ رجع ﴿بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ أي رؤسائهم الذين لم ينافقوا لمن نافق ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾ أي المؤمنين ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي عرفكم في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ﴾ ليخاصموكم واللام للصبورية ﴿بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ في الآخرة ويقموا عليكم الحجة في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

عَيْنًا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٠]

٧٠ ﴿قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ أسائمة أم عاملة ﴿إِنَّ الْبَقْرَةَ﴾ أي جنسه المنعوت بما ذكر ﴿تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ لكسوته فلم نهتد إلى المقصودة ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها ، وفي الحديث لو لم يستنوا لما بُيِّتَ لهم آخر الأبد

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا سِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ فَذَبُّوْهَا وَمَا كَادُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١]

٧١ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾ غير مذلة بالعمل ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ تقلبها للزراعة ، والجملة صفة ذلول داخله في النفي ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ الأرض المهيأة للزراعة ﴿مُسَلِّمَةٌ﴾ من العيوب وآثار العمل ﴿لَا سِيَةَ﴾ لون ﴿فِيهَا﴾ غير لونها ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ﴾ نطقت بالبيان التام فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأمه فاشتروها بملء مسكها ذهباً ﴿فَذَبُّوْهَا وَمَا كَادُوا يَعْمَلُونَ﴾ لغلاء ثمنها وفي الحديث : «لو ذبحوا أي بقرة كانت لأجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم».

﴿وَإِذْ قَاتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢]

٧٢ ﴿وَإِذْ قَاتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهِ إِدْغَامُ الدَّالِ فِي النَّاءِ أَي تَخَاصُمْتُمْ وَتَدَافَعْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمرها ، وهذا اعتراض وهو أول القصة

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُزَيِّقُكُمْ بِآيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]

٧٣ ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ أي القتل ﴿بِبَعْضِهَا﴾ فضرب بلسانها أو عجب ذنبها فحيي وقال : قتلني فلان وفلان لابني عمه ومات فخراً الميراث وقتلاً ، قال تعالى : ﴿كَذَلِكَ﴾ الإحياء ﴿يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُزَيِّقُكُمْ بِآيَاتِهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تدبرون فتعلموا أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء نفوس كثيرة فتؤمنون.

﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من الرُّشَا جمع رشوة^(١).

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]

٨٠ ﴿وَقَالُوا﴾ لما وعدهم النبي النار ﴿لَنْ تَمَسَّنَا﴾ تصيبنا ﴿النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً﴾ قليلة أربعين يوماً مدة عبادة آبائهم العجل [وقيل أربعة أيام] ثم نزول ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ حذف من هزمة الوصل استغناء بهزمة الاستفهام ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ ميثاقاً منه بذلك ﴿قُلْ﴾ يخلف الله عهدهٗ به، لا ﴿أَمْ﴾ بل ﴿تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢)

﴿بَلْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

٨١ ﴿بَلَى﴾ تمسكهم وتخلدون فيها ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ شركاً ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ بالإنفراد وبالجمع أي استولت عليه وأحذقت به من كل جانب بأن مات مشركاً ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ روعي فيه معنى من .

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]

(١) أسباب نزول الآية ٧٩: أخرج الثَّسَّانِي عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت في أحبار اليهود، وجدوا صفة النبي ﷺ مكتوبة في التوراة: أكحل، أغين، زئغة، جعد الشعر، حسن الوجه، فمحوه حسداً وبغياً، وقالوا: نجده طويلاً، أزرق، سبط الشعر. (٢) أسباب نزول الآية ٨٠: أخرج الطبراني في الكبير وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ويهود تقول إننا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الناس بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة، فإنما هي سبعة أيام، ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله في ذلك ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ إلى قوله: ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾. وأخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس أنَّ اليهود قالوا: لن ندخل النار إلا تحلة القسم، الأيام التي عبدنا فيها العجل أربعين ليلة، فإذا انقضت انقطع عنا العذاب. فنزلت الآية.

أنهم يحاجونكم إذا حدثتموهم ففتنوها^(١).

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧]

٧٧ قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ الاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره فبرعوا عن ذلك

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَاثًا وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]

٧٨ ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي اليهود ﴿أُمِّيُونَ﴾ عوام ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَمَاثِي﴾ أكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدها ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ﴾ في جحد نبوة النبي وغيره مما يختلقونه ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ظنا ولا علم لهم

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]

٧٩ ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة عذاب ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي مختلقاً من عندهم ﴿ثُمَّ﴾ يقولون هذا من عند الله ليشترؤا به ثمناً قليلاً من الدنيا وهم اليهود غيروا صفة النبي في التوراة وآية الرجم وغيرهما وكتبوها على خلاف ما أنزل ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المختلق

(١) أسباب نزول الآية ٧٦: أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: قام النبي ﷺ يوم قريظة تحت حصونهم، فقال: «يا إخوان القردة، ويا إخوان الخنازير، ويا عبدة الطاغوت». فقالوا: من أخبر بهذا محمداً؟ ما خرج هذا إلا منكم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم حجة عليكم؟ فنزلت الآية.

وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمناً أن صاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة وإذا خلا بعضهم إلى بعض، قالوا: أليحدث العرب بهذا؟ فإنكم كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ الآية. وأخرج عن الشدي قال: نزلت في ناس من اليهود آمنوا، ثم نافقوا، وكانوا يأتون المؤمنين من العرب بما تحدثوا به، فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليقولوا: نحن أحبُّ إلى الله منكم وأكرم على الله منكم؟

بقتل بعضكم بعضاً ﴿وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَطَاهَرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الظاء وفي قراءة التخفيف على حذفها تتعاونون ﴿عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ﴾ بالمعصية ﴿وَالْعُدْوَانَ﴾ الظلم . ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْرَى﴾ وفي قراءة «أسرى» ﴿تَفَادُوهُمْ﴾ وفي قراءة: ﴿تفادوهم﴾ تنقدونهم من الأسر بالمال أو غيره وهو مما عهد إليهم ﴿وَهُوَ﴾ أي الشأن ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ متصل بقوله ﴿وتخرجون﴾ والجملة بينهما اعتراض : أي كما حرم ترك الفداء، وكانت قريظة حالفوا الأوس ، والنضير الخزرج ، فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويخرب ديارهم ويخرجهم فإذا أسروا فدوهم ، وكانوا إذا سئلوا لم تقاتلونهم وتقدونهم ؟ قالوا أمرنا بالفداء فيقال فلم تقاتلونهم ؟ فيقولون حياءً أن تستدل حلفاؤنا . قال تعالى : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ﴾ وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ هوان وذل ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وقد خزوا بقتل قريظة ونفي النضير إلى الشام وضرب الجزية ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا لِلَّهِ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾
فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿البقرة: ٨٦﴾

٨٦ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ بأن آروها عليها ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون منه

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾

٨٧ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أي أتبعناهم رسولا في إثر رسول ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات كحياض الموتى وإبراء الأكهم والأبرص ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة أي الروح المقدسة جبريل لطهارته يسير معه حيث سار فلم تستقيموا ﴿أَفَكُلَّمَا

٨٢ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣]

٨٣ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في التوراة وقلنا ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بالثناء والياء ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ خير بمعنى النهي ، وقرئ: ﴿لَا تَعْبُدُوا﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ برا ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة عطف على الوالدين ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾ قولا ﴿حُسْنًا﴾ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في شأن محمد والرفق بهم ، وفي قراءة بضم الحاء وسكون السين مصدر وصف فيه مبالغة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فقبلتم ذلك ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الوفاء به ، فيه التفات عن الغيبة والمراد أبائهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عنه كأبائكم

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ﴾ [البقرة: ٨٤]

٨٤ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ وقلنا ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ تريقونها بقتل بعضكم بعضا ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ لا يخرج بعضكم بعضاً من داره ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قبلتم ذلك الميثاق ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أنفسكم

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَطَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْرَىٰ أُسْرَىٰ تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا لِلَّهِ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]

٨٥ ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ يا ﴿هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾

﴿يَسْمَا اشْتَرَوْا بِوَيْهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠]

٩٠ ﴿يَسْمَا اشْتَرَوْا﴾ باعوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي
حظها من الثواب ، وما : نكرة بمعنى شيئاً تمييز
لفاعل بئس والمخصوص بالدم ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ أي
كفرهم ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن ﴿بَعِيًّا﴾ مفعول
له ليكفروا : أي حسداً على ﴿أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ﴾
بالتخفيف والتشديد ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الوحي ﴿عَلَى
مَنْ يَشَاءُ﴾ للرسالة ﴿مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا﴾ رجعوا
﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل والتنكير
للتعظيم ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ استحقوه من قبل بتصنيع
التوراة والكفر بعيسى ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾
ذو إهانة

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَزْمِنُ بِمَا
أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]

٩١ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن
وغيره ﴿قَالُوا تَزْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ أي التوراة قال
تعالى : ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ الواو للحال ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾
سواه أو بعده من القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ حال
﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ثانية مؤكدة ﴿لِمَا مَعَهُمْ قُلْ﴾ لهم
﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ أي قتلتم ﴿أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتلهم ،
والخطاب للموجودين من زمن نبينا بما فعل أبائهم
لرضاهم به

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ
الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٩٢]

٩٢ ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾
بالمعجزات كالعصا واليد وقلق البحر ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ
الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد ذهابه إلى

شرك، وتخبرونا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته . فقال سلام بن
مشكم أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي
كنا نذكر لكم، فأنزل الله ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾
الآية.

جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ﴾ تحب ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾
من الحق ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن اتباعه جواب
كلما وهو محل الاستفهام ، والمراد به التوبيخ
﴿فَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ كعيسى ﴿وَفَرِيقًا
تَقْتُلُونَ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية: أي
قتلتم كزكريا ويحيى

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا
يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]

٨٨ ﴿وَقَالُوا﴾ للنبي استهزاء ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾
جمع أغلف أي مغشاة بأغطية فلا تعي ما تقول قال
تعالى: ﴿بَلْ﴾ للإضراب ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم من
رحمته وخذلهم عن القبول ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ وليس عدم
قبولهم لخلل في قلوبهم ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ما
زائدة لتأكيد القلة أي: إيمانهم قليل جدا

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ
وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا
جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]

٨٩ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
لِمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة هو القرآن ﴿وَكَانُوا مِنْ
قَبْلِ﴾ قبل مجيئه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى
الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبي
المبعوث آخر الزمان ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا﴾ من
الحق وهو بعثة النبي ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ حسداً وخوفاً
على الرياسة وجواب لما الأولى دل عليه جواب لما
الثانية ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١)

(١) أسباب نزول الآية ٨٩ : أخرج الحاكم في المستدرک،
والبيهقي في الدلائل بسند ضعيف، عن ابن عباس قال: كانت
يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما اتقوا هُزمت يهود. فعازت
يهود بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي
الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان ألا نصرتنا عليهم.
فكانوا إذا اتقوا دعوا بهذا فيهمزون غطفان، فلَمَّا بُعِثَ النبي
عليه الصلاة والسلام كفروا به، فأنزل الله ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ
يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق
سعيد أو عكرمة عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على
الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مجيئه، فلما بعثه الله من
العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ
ابن جبل، وبشر بن البراء، وداد بن سلمة: يا معشر يهود اتقوا
الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل

الميعات ، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذها

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمِعُوا مَا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣]

٩٣ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ على العمل بما في التوراة ﴿وَقَدْ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الجبل حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم وقلنا ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أي خالط حبه قلوبهم كما يخالط الشراب ﴿يَكْفُرُهُمْ قُلْ﴾ لهم ﴿بِئْسَمَا﴾ شيئا ﴿يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ بالتوراة عبادة العجل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بها كما زعمتم.

المعنى لستم بمؤمنين لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل ، والمراد أبائهم: أي فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمداً ، والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤]

٩٤ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ خاصة ﴿مِن دُونِ النَّاسِ﴾ كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ تعلق بـ ﴿يَتَمَنَوْا﴾ الشرطان على أن الأول قيد في الثاني أي إن صدقتم في زعمكم أنها لكم ومن كانت له يوترها والموصل إليها الموت فتمنوه (١).

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]

٩٥ ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ﴾ من

كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الكافرين فيجازيهم

﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ أَجْرًا النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْزَقٍ مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ إِنْ يُعَمَّرْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦]

٩٦ ﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ﴾ لام قسم ﴿أَجْرًا النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾ أحرص ﴿مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ المنكرين للبعث عليها لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لإنكارهم له ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ لو مصدرية بمعنى أن وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول يود ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي أحدهم ﴿بِمُرْزَقٍ مِنْهُ﴾ مبعده ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ النار ﴿إِنْ يُعَمَّرْ﴾ فاعل مرزقحه أي تعميره ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء فيجازيهم . وسأل ابن صوريا النبي أو عمر عمن يأتي بالوحي من الملائكة فقال جبريل فقال هو عدونا يأتي بالعذاب ولو كان ميكائيل لآمنا لأنه يأتي بالخصب والسلم فنزل :

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧]

٩٧ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ فليمت غيظا ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ أي القرآن ﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)

(١) أسباب نزول الآية ٩٧ : روى البخاري عن أنس قال: «سمع عبد الله بن سلام بقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض بخرخرف، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام أهل الجنة، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: وأخبرني بهن جبريل أنفأ، قال: جبريل؟ قال: «نعم». قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾.

قال شيخ الإسلام ابن حجر في فتح الباري: «ظاهر الشياق أن النبي ﷺ قرأ الآية رداً لقول اليهود، ولا يستلزم ذلك نزولها حينئذ». قال: «وهذا هو المعتمد». فقد صحح في سبب نزول الآية قصة غير قصة عبد الله بن سلام. فأخرج أحمد،

(١) أسباب نزول الآية ٩٤ : أخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: قالت يهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا... فقال الله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ الآية.

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ بكسر الجيم وفتحها بلا همز وبه يباء ودونها ﴿وميكال﴾ عطف على الملائكة من عطف الخاص على العام وفي قراءة ميكائيل بهمزة وياء وفي أخرى بلا ياء ﴿فإن الله عدو للكافرين﴾ أوقعه موقع لهم بيانا لحالهم

٩٨ ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ بكسر الجيم وفتحها بلا همز وبه يباء ودونها ﴿وميكال﴾ عطف على الملائكة من عطف الخاص على العام وفي قراءة ميكائيل بهمزة وياء وفي أخرى بلا ياء ﴿فإن الله عدو للكافرين﴾ أوقعه موقع لهم بيانا لحالهم

٩٩ ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي واضحات حال ، رد لقول ابن صوريا للنبي ما جئتنا بشيء ﴿ومَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذُوا فَرِيقًا مِّنْهُمْ بَلْ أَكْذَرُهمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠]

٩٩ ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي واضحات حال ، رد لقول ابن صوريا للنبي ما جئتنا بشيء ﴿ومَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذُوا فَرِيقًا مِّنْهُمْ بَلْ أَكْذَرُهمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠]

١٠٠ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبِّدُ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ فِيهِمْ وَرَأَىٰ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

١٠٠ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبِّدُ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ فِيهِمْ وَرَأَىٰ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

١٠١ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبِّدُ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ فِيهِمْ وَرَأَىٰ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما فيها من أنه نبي حق أو أنها كتاب الله

١٠١ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبِّدُ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ فِيهِمْ وَرَأَىٰ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما فيها من أنه نبي حق أو أنها كتاب الله

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُكٍ سَلِطَنٍ وَمَا كَفَرُوا سَلِطَنٍ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَرُونَ وَمُوسَىٰ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقَّ يَقُولًا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرَةِ وَرَجْوَةٍ وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُكٍ سَلِطَنٍ وَمَا كَفَرُوا سَلِطَنٍ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَرُونَ وَمُوسَىٰ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقَّ يَقُولًا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرَةِ وَرَجْوَةٍ وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا

(١) أسباب نزول الآيتين ٩٩ ، ١٠٠ : قوله تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليك... الآيتين. أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «قال ابن صوريا للنبي ﷺ: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بيّنة فأنزل الله في ذلك ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ الآية. وقال مالك بن الصّيف حين بُعث رسول الله وذكر ما أخذ عليهم من الميثاق، وما عهد إليهم في محمّد: والله ما عهد إلينا في محمّد، ولا أخذ علينا ميثاقا، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا﴾ الآية.

﴿ولقد أنزلنا إليك... الآيتين. أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «قال ابن صوريا للنبي ﷺ: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بيّنة فأنزل الله في ذلك ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ الآية. وقال مالك بن الصّيف حين بُعث رسول الله وذكر ما أخذ عليهم من الميثاق، وما عهد إليهم في محمّد: والله ما عهد إلينا في محمّد، ولا أخذ علينا ميثاقا، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا﴾ الآية.

العذاب ما تعلموه (١).

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لِمَثُوبَةٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ حَزْبًا لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣]

١٠٣ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي اليهود ﴿ءَامَنُوا﴾ بالنبي والقرآن ﴿وَأَتَقُوا﴾ عقاب الله بترك معاصيه كالسحر، وجواب لو محذوف: أي لأثيبوا دل عليه ﴿لِمَثُوبَةٍ﴾ ثواب، وهو مبتدأ واللام فيه للقسم ﴿مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ خيره مما شروا به أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لما آثروه عليه.

﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِكَثِيرٍ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

١٠٤ ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا﴾ للنبي ﴿رَاعِنَا﴾ أمر من المراعاة وكانوا يقولون له ذلك وهي بلغة اليهود سب من الرعونة فسروا بذلك وخاطبوا بها النبي فنهى المؤمنون عنها ﴿وَقُولُوا﴾ بدلها ﴿انظُرْنَا﴾ أي انظر إلينا ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم هو النار (٢).

(١) أسباب نزول الآية ١٠٢: أخرج ابن جرير عن شهر بن حوشب قال: قالت اليهود: انظروا إلي محمد يخلط الحق بالباطل يذكر سليمان مع الأنبياء، وإنما كان ساحراً يركب الريح، فأنزل الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية أن اليهود سألت النبي ﷺ: زماناً عن أمور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سأله عن فيخصهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل إلينا منا، وإنهم سأله عن السحر وخاصموه، فأنزل الله: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ١٠٤: أخرج ابن المنذر، عن الشدي قال: وكان رجلان من اليهود: مالك بن الصيف، ورافعة بن زيد إذا لقيا النبي ﷺ قالا وهما يكلمانه: راعنا سمعك واشمع غير مسمع، فظن المسلمون أن هذا شيء كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم، فقالوا للنبي ﷺ ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا واسمعوا﴾ الآية.

وأخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق الشدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: راعنا بلسان اليهود السب القبيح، فلما سمعوا أصحابه يقولون أعلنوا بها له فكانوا يقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم، فنزلت فسمعها منهم سعد بن معاذ، فقال لليهود: يا أعداء الله لئن سمعتها من رجل منكم بعد هذا المجلس لأضربن عنقه.

وأخرج ابن جرير عن الضحك قال: «كان الرجل يقول:

يَا ذِينَ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَئِنَّ
مَا سَكَّرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]

١٠٢ ﴿وَاتَّبِعُوا﴾ عطف على نبد ﴿مَا تَتْلُوا﴾ أي تلت ﴿الشَّيَاطِينُ عَلَيَّ﴾ عهد ﴿مُلْكٍ سُلَيْمَانَ﴾ من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه أو كانت تسترق السمع وتضم إليه أكاذيب وتلقيه إلى الكهنة فيدُونونه وفشا ذلك وشاع أن الجن تعلم الغيب فجمع سليمان الكتب ودفنها فلما مات دلت الشياطين عليها الناس فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فقالوا إنما ملككم بهذا فتعلموه فرفضوا كتب أنبيائهم. قال تعالى تبرئة لسليمان ورداً على اليهود في قولهم انظروا إلي محمد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلا ساحراً: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ أي لم يعمل السحر لأنه كفر ﴿وَلَكِنَّ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّخِرَ﴾ الجملة حال من ضمير كفروا ﴿وَمَا يَعْلَمُونَهُمْ﴾ ما أنزل على الملكتين أي الهماه من السحر وقرى بكسر اللام الكائنين ﴿بِبَابِلَ﴾ بلد في سواد العراق ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ بدل أو عطف بيان للملكين، قال ابن عباس: هما ساحران كانا يعلمان السحر وقيل ملكان أنزلا لتعليمه ابتلاء من الله للناس ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ ذُرِّيَةِ﴾ زائدة ﴿أَخِي حَتَّى يَقُولَا﴾ له نصحاً ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ بلية من الله إلى الناس ليمتحنهم بتعليمه فمن تعلمه كفر ومن تركه فهو مؤمن ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعلمه فإن أبى إلا التعلم علماه ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ بأن يبغض كلا إلى الآخر ﴿وَمَا هُمْ﴾ أي السحرة ﴿بِضَّارٍ بِه﴾ بالسحر ﴿مِنْ ذُرِّيَةِ﴾ زائدة ﴿أَخِي إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ بإرادته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وهو السحر ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلِمُوا﴾ أي اليهود ﴿لَمَنِ﴾ لام ابتداء معلقة لما قبلها ومن موصولة ﴿اشْتَرَاهُ﴾ اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ نصيب في الجنة ﴿وَلَبِئْسَ مَا﴾ شيئاً ﴿شَرُّوا﴾ باعوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي الشارين: أي حظها من الآخرة إن تعلموه حيث أوجب لهم النار ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من

١٠٧ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يفعل فيهما ما يشاء ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أى غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿وَلِي﴾ يحفظكم ﴿وَلَا نَصِير﴾ يمنع عذابه إن أتاكم ، ونزل لما سأله أهل مكة أن يوسعها ويجعل الصفا ذهاباً

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]

١٠٨ ﴿أَمْ﴾ بل أتريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى أي سأله قومه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قولهم : أرنا الله جهرة وغير ذلك ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أى يأخذه بدله بترك النظر في الآيات البينات واقتراح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ الطريق الحق والسواء في الأصل الوسط^(١)

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَكًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ فَاعْتَرُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ

(١) أسباب نزول الآية ١٠٨ : أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: قال رافع بن حرملة ووهب بن زيد لرسول الله: يا محمد اتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، أو فجز لنا أنهاراً تشبعك ونصدقك، فأنزل الله في ذلك: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ إلى قوله: «سواء السبيل».

وكان حُجَيْبُ بْنُ أَحْطَبٍ وَأَبُو يَاسِرِ بْنِ أَحْطَبٍ مِنَ أَهْلِ الْيَهُودِ حَسَدًا لِلْعَرَبِ إِذْ خَصِمَهُمُ اللَّهُ بِرَسُولِهِ، وَكَانَا جَاهِدَيْنِ فِي رَدِّ النَّاسِ عَنِ الْإِسْلَامِ مَا اسْتَطَاعَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمَا: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: سألت قريشاً محمدًا ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهاباً، قال: نعم وهو لكم كماندة بني إسرائيل إن كفرتم، فأبوا ورجعوا، فأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ الآية.

وأخرج عن الشدي قال: «سألت العرب محمدًا ﷺ أن يأتيهم بالله فيروه جهرة، فنزلت». وأخرج عن أبي العالية قال: «قال رجل: يا رسول الله لو كانت كفاراتنا ككفارات بني إسرائيل! فقال النبي ﷺ: ما أعطاكم الله خير. كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها، فإن كفرها كانت له جزية في الدنيا، وإن لم يكفرها كانت له جزية في الآخرة، وقد أعطاكم الله خيراً من ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ الآية. والصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما يتهنن، فأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ الآية».

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]

١٠٥ ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ من العرب عطف على أهل الكتاب ، ومن للبيان ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿خَيْرٍ﴾ وحي ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حسدا لكم ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ نبوته ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

﴿مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

١٠٦ ولما طمع الكفار في النسخ وقالوا إن محمدا يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غدا نزل: ﴿مَا﴾ شرطية ﴿تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ﴾ نزل حكمها: إما مع لفظها أو لا. وفي قراءة بضم النون من أنسخ: أي نأمرك أو جبريل بنسخها ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ تؤخرها فلا تنزل حكمها وترفع تلاوتها أو تؤخرها في اللوح المحفوظ وفي قراءة بلا همز في النسيان أي ننسخها ، أي نمحها من قلبك وجواب الشرط ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا﴾ أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾ في التكليف والثواب ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النسخ والتبديل، والاستفهام للتقرير^(١)

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

أرعتني سمعتك فنزلت الآية. وأخرج عن عطية قال: «كان أناس من اليهود يقولون أرعنا سمعتك حتى قالها أناس من المسلمين، ففكره الله لهم ذلك». فنزلت الآية.

وأخرج عن قتادة قال: «كانوا يقولون راعنا سمعتك، فكان اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك فنزلت».

وأخرج عن عطاء قال: «كانت لغة الأنصار في الجاهلية فنزلت». وأخرج عن أبي العالية قال: «إن العرب كانوا إذا حدث بعضهم يقول أحدهم لصاحبه: أرعتني سمعتك. فنهوا عن ذلك».

(١) أسباب نزول الآية ١٠٦ : أخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: «كان ربما ينزل على النبي ﷺ الوحي بالليل ونسيه بالنهار، فأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿مَا تَنْسَخُ﴾ الآية».

اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾
[البقرة: ١٠٩]

١٠٩ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ﴾ مصدرية
﴿يُرَدُّوْنَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَمَا فَارَّوْا حَسَدًا﴾ مفعول
له كانوا ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي حملتهم عليه
أنفسهم الخبيثة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ في التوراة
﴿الْحَقُّ﴾ في شأن النبي ﴿فَاعْغَوْا﴾ عنهم أي
اتركوهم ﴿وَرِاضِفُحُوا﴾ أعرضوا فلا تجازوهم
﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ فيهم من القتال ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾
على كل شيء قدير ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾
مِنْ خَيْرٍ يَّجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿[البقرة: ١١٠]

١١٠ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا﴾
لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ طاعة كصلة وصدقة
﴿تَجِدُوهُ﴾ أي ثوابه ﴿عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾
بَصِيرٌ فيجازيكم به
﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ﴾
نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿[البقرة: ١١١]

١١١ ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ﴾
هُودًا جمع هائد ﴿أَوْ نَصْرِيًّا﴾ قال ذلك يهود
المدينة ونصاري نجران لما تناظروا بين يدي النبي
ﷺ أي قال اليهود لن يدخلها إلا اليهود وقال
النصاري لن يدخلها إلا النصاري ﴿تِلْكَ﴾ القولة
﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ شهواتهم الباطلة ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هَاتُوا﴾
بُرْهَانَكُمْ حجتكم على ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
فيه .

﴿بَلْ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ﴾
عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿

١١٢ ﴿بَلَىٰ﴾ يدخل الجنة غيرهم ﴿مَن أَسْلَمَ﴾
وَجْهَهُ لِلَّهِ أي انقاد لأمره وخص الوجه لأنه
أشرف الأعضاء فغيره أولى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد
﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي ثواب عمله الجنة ﴿وَلَا﴾
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ في الآخرة
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرِيَّةُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ﴾

النَّصْرِيَّةُ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾
كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ﴾
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿[البقرة: ١١٣]

١١٣ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرِيَّةُ عَلَىٰ﴾
شَيْءٍ مُّغْتَدٍ بِهِ وكفرت بعيسى ﴿وَقَالَتِ النَّصْرِيَّةُ﴾
لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ مُّغْتَدٍ بِهِ وكفرت بموسى
﴿وَهُمْ﴾ أي الفريقان ﴿يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ المنزل
عليهم، وفي كتاب اليهود تصديق عيسى ، وفي
كتاب النصاري تصديق موسى والحجيلة حال
﴿كَذَلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا﴾
يَعْلَمُونَ أي المشركون من العرب وغيرهم ﴿مِثْلَ﴾
قَوْلِهِمْ بيان لمعنى ذلك: أي قالوا لكل ذي دين
ليسوا على شيء ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ من أمر الدين فيدخل
المحق الجنة والمبطل النار
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾
وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا
خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿[البقرة: ١١٤]

١١٤ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي لا أحد أظلم ﴿مِمَّن﴾
مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ بالصلاة
والتسبيح ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ بالهدم أو التعطيل ،
نزلت إخبارا عن الروم الذين خربوا بيت المقدس أو
في المشركين لما صدوا النبي ﷺ عام الحديبية
عن البيت ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا﴾
خَائِفِينَ خبر بمعنى الأمر أي أخيفوهم بالجهد
فلا يدخلها أحد آمنا . ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾
هوان بالقتل والسبي والجزية ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾
عَذَابٌ عَظِيمٌ هو النار .

(١) أسباب نزول الآية ١١٣ : أخرج ابن أبي حاتم من طريق
سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: لما قدم أهل نجران من
النصاري على رسول الله ﷺ أتتهم أخبار يهود فتنازعوا، فقال
رافع بن خزيمة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى والإنجيل،
فقال رجل من أهل نجران لليهود: ما أنتم على شيء، ويحدد
نبوة موسى وكفر بالتوراة. فأنزل الله في ذلك: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾
لَيْسَتِ النَّصْرِيَّةُ عَلَىٰ شَيْءٍ الآية.
(٢) أسباب نزول الآية ١١٤ : أخرج ابن أبي حاتم من

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ لَمْ يَمَأ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَمْ قَانِثُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]

١١٦ ﴿وَقَالُوا﴾ بواو وبدونها اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تعالى ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيها له عنه ﴿بَلْ لَمْ يَمَأ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً والملكية تنافي الولادة وعبر بـ «ما» تليها لما لا يعقل ﴿كُلٌّ لَمْ قَانِثُونَ﴾ مطيعون كل بما يراد منه وفيه تغليب العاقل

﴿بِإِذْنِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]

١١٧ ﴿بِإِذْنِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ موجودهم لا على مثال سبق ﴿وَإِذَا قَضَىٰ﴾ أراد ﴿أَمْرًا﴾ أي إيجاده ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي فهو يكون، وفي قراءة بالنصب جواباً للأمر

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨]

١١٨ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي كفار مكة للنبي ﷺ ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ أنك رسول

بعضنا: القبلة هي هاهنا قبل الجنوب، فصلوا وخطوا خطوطاً، فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة، فلما قلنا من سفرنا سألنا النبي ﷺ فسكت وأنزل الله ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية.

وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وأن رسول الله ﷺ بعث سرية فأخذتهم ضيابة فلم يهتدوا إلى القبلة، فصلوا ثم استبان لهم بعد ما طلعت الشمس أنهم صلوا لغير القبلة، فلما جاءوا إلى رسول الله ﷺ حدثوه، فأنزل الله هذه الآية ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير عن قتادة وأن النبي ﷺ قال: إن أخوا لكم قد مات - يعني النجاشي - فصلوا عليه، قالوا: نصلي على رجل ليس بمسلم؟ قال فنزلت: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْآيَةَ﴾ فقالوا: إنه كان لا يصلي إلى القبلة فأنزل الله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية.

غريب جداً وهو مرسل أو معضل. وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: لما نزلت ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. قالوا: إلى أين؟ فنزلت ﴿فَأَيُّهَا تُولُوا قَدَمَ وَجْهِ اللَّهِ﴾.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَوَجَّهْ لَّهِ وَجْهَكَ وَوَجَّهْ لَّهِ وَجْهَكَ﴾ [البقرة: ١١٥]

١١٥ ونزل لما طعن اليهود في نسخ القبلة أو في صلاة النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجهت ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي الأرض كلها لأنهما ناحيتاها ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا﴾ وجوهكم في الصلاة بأمره ﴿فَوَجَّهْ﴾ هناك ﴿وَجَّهْ لَّهِ﴾ قبلته التي رضىها ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ يسع فضله كل شيء ﴿عَلَيْمٌ﴾ بتدبير خلقه (١).

الطريق المذكور أن قريشاً منعوا النبي ﷺ الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام، فأنزل الله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: «نزلت في المشركين حين صدوا رسول الله عن مكة يوم الحديبية»..

(١) أسباب نزول الآية ١١٥: أخرج مسلم والترمذي والنسائي عن ابن عمر قال: «كان النبي ﷺ يصلي على راحلته تطوعاً أينما توجهت به، وهو آت من مكة إلى المدينة، ثم قرأ ابن عمر ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾، وقال في هذا نزلت هذه الآية».

وأخرج الحاكم عنه قال: «أنزلت ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا قَدَمَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في التطوع». وقال: «صحيح على شرط مسلم».

وهذا أصبح ما ورد في الآية إسناداً، وقد اعتمده جماعة، لكنه ليس فيه تصريح بذكر السبب، بل قال: أنزلت في كذا، وقد تقدم ما فيه وقد ورد التصريح بسبب نزولها.

فأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود، فاستقبلها بضعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم عليه السلام، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله ﴿فُولُوا وَجْهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: «مَا وَلَاهُمْ عَزَّ قِبَلَتُهُمُ النَّبِيُّ كَانُوا عَلَيَّهَا»، فأنزل الله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾. وقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا قَدَمَ وَجْهِ اللَّهِ﴾.

إسناده قوي. والمعنى أيضاً يساعده فليعتمد. وفي الآية روايات أخرى ضعيفة: فأخرج الترمذي، وابن ماجه، والدارقطني، من طريق أشعث الشمان، عن عاصم بن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه قال: «كنا مع النبي ﷺ في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة، فصلى كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا قَدَمَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ الآية».

قال الترمذي: «غريب، وأشعثٌ بضعف في الحديث». وأخرج الدارقطني وابن مردويه من طريق العزمي عن عطاء عن جابر قال: «بعث رسول الله ﷺ سرية كنت فيها فأصابنا ظلمة فلم نعرف القبلة، فقالت طائفة منا: قد عرفنا القبلة، هي هاهنا قبل الشمال فصلوا وخطوا خطوطاً، وقال

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾
 ١٢١ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ مبتدأ ﴿يَتْلُونَهُ﴾
 حَقَّ تِلَاوَتِهِ أَي يَقْرَؤُونَهُ كَمَا أَنْزَلَ ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ
 وَحَقٌّ نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ وَالْخَيْرِ ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ
 بِهِ﴾ نَزَلَتْ فِي جَمَاعَةٍ قَدِمُوا مِنَ الْحَبْشَةِ وَأَسْلَمُوا
 ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ﴾ أَي بِالْكِتَابِ الْمَوْثُوتِ بِأَن يَحْرِفَهُ
 ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لِمَصِيرِهِمْ إِلَى النَّارِ
 الْمَوْبُودَةِ عَلَيْهِمْ

﴿يَنبِيئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنَّى
 فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٢]
 ١٢٢ ﴿يَنبِيئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي
 أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنَّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ تَقْدِمُ
 مِثْلَهُ

﴿وَأَنْعَمُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا
 عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾
 ١٢٣ ﴿وَأَنْعَمُوا﴾ خَافُوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْرَى﴾ تَغْنِي
 ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾ فِيهِ ﴿شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا
 عَدْلٌ﴾ فِدَاءٌ ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾
 يَمْنَعُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ

﴿وَإِذْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُؤْيَاهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ
 لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي
 الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]

١٢٤ ﴿وَ﴾ اذْكَرُ ﴿إِذْ آتَيْنَا﴾ اِخْتَبِرَ
 ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ «إِبْرَاهِيمَ» ﴿رُؤْيَاهُ بِكَلِمَاتٍ﴾
 بِأَوَامِرٍ وَنَوَاهٍ كَلَّفَهُ بِهَا ، قِيلَ هِيَ مَنَاسِكُ الْحَجِّ ،
 وَقِيلَ الْمَضْمُضَةُ وَالِاسْتِنْشَاقُ وَالسُّوَاكُ وَقَصُّ
 الشَّارِبِ وَفِرْقُ الشَّعْرِ وَقَلَمُ الْأَطْفَارِ وَتِنْفُ الْإِطِّ
 وَحَلْقُ الْعَانَةِ وَالخِتَانُ وَالِاسْتِنْجَاءُ ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أَذَاهُنَ
 تَامَاتِ ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى لَهُ ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ
 إِمَامًا﴾ قَدْرَةٌ فِي الدِّينِ ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أَوْلَادِي
 أَجْعَلُ أُمَّةً ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي﴾ بِالْإِمَامَةِ
 ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الْكَافِرِينَ مِنْهُمْ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَنَالُ غَيْرَ
 الظَّالِمِ

ذلك عليهم وأسوأ أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله «ولن
 ترضى عنك اليهود ولا النصارى» الآية.

﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةً﴾ مِمَّا اقْتَرَحْنَاهُ عَلَى صَدَقِكَ
 ﴿كَذَلِكَ﴾ كَمَا قَالَ هُوَلَاءُ ﴿قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾
 مِنْ كُفَّارِ الْأُمَّةِ الْمَاضِيَةِ لِأَنْبِيَائِهِمْ ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾
 مِنَ التَّنَعْتِ وَطَلَبِ الْآيَاتِ ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فِي
 الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ ، فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ
 لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا آيَاتٌ فَيُؤْمِنُونَ فَاقْتَرَحَ
 آيَةً مَعَهَا تَعْنَتْ (١) .

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُشْغَلُ عَنْ
 الْحَجِّ الْجَبْرِ﴾ [البقرة: ١١٩]
 ١١٩ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿بِالْحَقِّ﴾
 بِالْهُدَى ﴿بَشِيرًا﴾ مِنْ أَجَابِ إِلَيْهِ بِالْجَنَّةِ ﴿وَنَذِيرًا﴾
 مِنْ لَمْ يَجِبْ إِلَيْهِ بِالنَّارِ ﴿وَلَا تُشْغَلُ عَنْ أَصْحَابِ
 الْحَجِّ﴾ النَّارِ ، أَي الْكُفَّارِ مَا لَهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا إِنَّمَا
 عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ، وَفِي قِرَاءَةِ بِجَزْمِ تَسْأَلِ نَهْيًا (٢) .

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ
 إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ
 الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْوَعْدِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾
 ١٢٠ ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ
 حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ دِينَهُمْ ﴿قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ أَي
 الْإِسْلَامَ ﴿هُوَ الْهُدَىٰ﴾ وَمَا عَدَاهُ ضَلَالٌ ﴿وَلَئِنِ
 لَّمْ قَسِمَ﴾ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ ﴿الَّتِي يَدْعُونَكَ إِلَيْهَا
 فِرْصًا﴾ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴿الْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ
 مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ﴾ يَحْفَظُكَ ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾
 يَمْنَعُكَ مِنْهُ (٣) .

(١) أسباب نزول الآية ١١٨ : أخرج ابن جرير وابن أبي
 حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس
 قال: «قال رافع بن حريملة لرسول الله ﷺ: إن كنت
 رسولاً من الله كما تقول فقل لله فليكلنا حتى نسمع كلامه،
 فأنزل الله في ذلك «وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» الآية» .
 (٢) أسباب نزول الآية ١١٩ : قال عبد الرزاق: «أبناؤنا الثوري
 عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال: قال
 رسول الله ﷺ: «ليت شعري ما فعل أبواي؟ فنزلت «إِنَّا
 أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُشْغَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْحَجِّ»
 فما ذكرهما حتى توفاه الله» . مرسل .

وأخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال: أخبرني داود
 ابن أبي عاصم «أن النبي ﷺ قال ذات يوم: أين أبواي؟»
 فنزلت، مرسل أيضاً .

(٣) أسباب نزول الآية ١٢٠ : أخرج الثعلبي عن ابن عباس
 قال: «إن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي
 النبي ﷺ إلى قبلتهم، فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آيَاتِنَا مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخَذُوا مِن مَّقَامِ
إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا
بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَيِّمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

١٢٥ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ الكعبة ﴿مَثَابَةً
لِّلنَّاسِ﴾ مرجعا يشيرون إليه من كل جانب ﴿وَأَمَّا﴾
مأمتنا لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره ،
كان الرجل يلقي قاتل أبيه فيه فلا يهيجه
﴿وَاتَّخَذُوا﴾ أيها الناس ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو
الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿مُصَلًّى﴾
مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف ،
وفي قراءة ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ بفتح الخاء خبر ﴿وَعَهِدْنَا
إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أمرناهما ﴿أَنْ﴾ أي بأن
﴿طَهِّرَا بَيْتِي﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَيِّمِينَ﴾
المقيمين فيه ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ جمع راع
وساجد المصلين ^(١).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ
مِنَ الشَّجَرِ مِن مَّأَمِنٍ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ
كَفَرَ فَأُمِئْتُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُش
الْمُصِيبُ﴾ [البقرة: ١٢٦]

١٢٦ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾
المكان ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ ذا أمن ، وقد أجاب الله
دعاه فجعله حرما لا يسفك فيه دم إنسان ولا
يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه

(١) أسباب نزول الآية ١٢٥: روى البخاري وغيره عن
عمر قال: وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو
اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت ﴿وَاتَّخَذُوا مِن مَّقَامِ
إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وقلت: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن
البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجن فنزلت آية الحجاب،
واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة، فقلت لهن:
«عسى ربهم إن طلقكن أن يبدلهن أزواجاً خيرا منكهن» فنزلت
كذلك. له طرق كثيرة منها:

ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قال: لما
طاف النبي ﷺ قال له عمر: هذا مقام أئمتنا إبراهيم؟ قال:
نعم، قال: أفلا نتخذة مصلى؟ فأنزل الله ﴿وَاتَّخَذُوا مِن مَّقَامِ
إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾. وأخرج ابن مردويه من طريق عمرو بن ميمون
عن عمر بن الخطاب أنه مر من مقام إبراهيم، فقال: يا رسول
الله أليس تقوم مقام خليل ربنا؟ قال: بلى ، قال: أفلا نتخذة
مصلى؟ فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت ﴿وَاتَّخَذُوا مِن مَّقَامِ
إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

وظاهر هذا وما قبله أن الآية نزلت في حجة الوداع.

﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّجَرَاتِ﴾ وقد فعل بنقل الطائف
من الشام إليه وكان أوفر لا يزرع فيه ولا ماء ﴿مَنْ
ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بدل من أهله
وخصهم بالدعاء لهم موافقة لبقوله لا ينال عهدي
الظالمين ﴿فَقَالَ﴾ تعالى ﴿وَو﴾ ارزق ﴿مَنْ كَفَرَ
فَأُمِئْتُهُ﴾ بالتشديد والتخفيف في الدنيا بالرزق
﴿قَلِيلًا﴾ مدة حياته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ ألجعه في
الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ فلا يجد عنها محيصا
﴿وَيُشِ الْمُصِيبُ﴾ المرجع هي

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا
تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]

١٢٧ ﴿وَو﴾ اذكر ﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾
الأسس أو الجدر ﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾ بينه ، متعلق برفع
﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ عطف على إبراهيم ، يقولان ﴿رَبَّنَا
تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ بناءنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ للقول
﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ
وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَبِنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾
[البقرة: ١٢٨]

١٢٨ ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ﴾ منقادين ﴿لَكَ
وَ﴾ اجعل ﴿مِن ذُرِّيَّتِنَا﴾ أولادنا ﴿أُمَّةً﴾ جماعة
﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ ومن للتبعيض ، وأتى به لتقدم قوله
﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ ﴿وَأَرِنَا﴾ علمنا
﴿مَنَاسِكَنَا﴾ شرايع عبادتنا أو حجنا ﴿وَوْتَّبِ عَلَيْنَا
إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ سألاه التوبة مع
عصمتها تواضعا وتعلما لذريتهما

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]

١٢٩ ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي أهل البيت
﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ من أنفسهم ، وقد أجاب الله
دعاه بمحمد ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ القرآن
﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي ما فيه
من الأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك
﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه

﴿وَمَنْ يَرْعُبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ
وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ

الصَّالِحِينَ ﴿ [البقرة: ١٣٠]

١٣٠ ﴿وَمَنْ﴾ أي لا ﴿يَزُغِبْ عَنْ مِلَّةِ﴾ إبراهيم ﴿فِي تَرْكِهَا﴾ إلا من سَفِهَ نَفْسَهُ ﴿جَهْلٌ أَنهَا﴾ مخلوقة لله يجب عليها عبادته أو استخف بها وامتحنها ﴿وَلَقَدْ اضْطَفَيْنَاهُ﴾ اخترناه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالرسالة والخلة ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى (١).

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ رَبِّي الْعَالَمِينَ﴾ واذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ﴾ انقذ لله وأخلص له دينك ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

١٣٢ ﴿وَوَصَّى﴾ وفي قراءة «أوصى» ﴿بِهَا﴾ بالملة ﴿إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ﴾ بنيه قال: ﴿يَأْتِيَنَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ نهى عن ترك الإسلام وأمر بالثبات عليه إلى مصادفة الموت

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]

١٣٣ ولما قال اليهود للنبي ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية؟ نزل: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ بعد موتي ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ عد إسماعيل من الآباء تغليباً، ولأن العم بمنزلة الأب ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ بدل من إلهك ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ وأم بمعنى همزة الإنكار أي لم تحضره وقت موته فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به

(١) أسباب نزول الآية ١٣٠: قال ابن عيينة: روي أن عبد الله بن سلام دعا ابن أخيه سلمة ومهاجرًا إلى الإسلام فقال لهما: «قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة: إنني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد، ومن لم يؤمن به فهو ملعون» فأسلم سلمة وأبى مهاجر، فنزلت فيه الآية.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]

١٣٤ ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وبنيهما وأنت لتأنيث خبره ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ سلفت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل أي جزاؤه استئناف ﴿وَلَكُمْ﴾ الخطاب لليهود ﴿مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كما لا يسألون عن عملكم والجملة تأكيد لما قبلها

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

١٣٥ ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ أو للتفصيل رقائق الأول يهود المدينة والثاني نصارى نجران ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿بَلْ﴾ تتبع ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ حال من إبراهيم ماثلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١)

﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]

١٣٦ ﴿قُولُوا﴾ خطاب للمؤمنين ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ﴾ من الصحف العشر ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ أولاده ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من التوراة ﴿وَعِيسَى﴾ من الإنجيل ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ من الكتب والآيات ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

﴿فَإِن ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدُوا وَإِن لَوْلَا فَآمَنَّا هُمْ فِي شِقَاقٍ نَسَبْنَا إِلَيْكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]

(١) أسباب نزول الآية ١٣٥: أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «قال ابن سوريا للنبي ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه فأتبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله فيهم: «وقالوا كونا هوداً أو نصارى تهتدوا».

﴿شَهَادَةً عِنْدَهُ﴾ كائنة ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي لا أحد أظلم منه وهم اليهود كتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم .

﴿تَبْلُغُ أُمَّةً لَمَّا مَا كَبَبْتَ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١] ١٤١ ﴿تَبْلُغُ أُمَّةً لَمَّا مَا كَبَبْتَ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تقدم مثله

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَن قِبَلِهِمُ آلِي كَاوُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ بِيَدِي مَن يَشَاءُ لِيُصِطِّبَ عَلَيْهِمُ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٤٢]

١٤٢ ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ الجاهل ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ اليهود والمشركين ﴿مَا وَلَّيْتُمْ﴾ أي شيء صرف النبي ﷺ والمؤمنين ﴿عَن قِبَلِهِمُ﴾ كَانُوا عَلَيْهَا ﴿عَلَى اسْتِقْبَالِهَا فِي الصَّلَاةِ وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدَسِ ، وَالْإِتْيَانِ بِالسَّيْنِ الدَّلَالَةَ عَلَى الْاسْتِقْبَالِ مِنَ الْإِخْبَارِ بِالْغَيْبِ﴾ ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي الجهات كلها فيأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء لا اعتراض عليه ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿وَإِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام أي ومنهم أتم دل على هذا .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مَعَن يَنْقَلِبْ عَلَ عَقْبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكِبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]

١٤٣ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما هديناكم إليه ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾ يا أمة محمد ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ خياراً عدولاً ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يوم القيامة أن يرسلهم بلغتهم ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أنه بلغكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ صيرنا ﴿الْقِبْلَةَ﴾ لك الآن الجهة ﴿الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا﴾ أولا وهي الكعبة وكان النبي ﷺ يصلي إليها فلما هاجر أمر باستقبال بيت المقدس تالفا لليهود فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهرا ثم حول ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَن يَتَّبِعُ

١٣٧ ﴿فَإِنِ آمَنُوا﴾ أي اليهود والنصارى ﴿بِعِثْلٍ﴾ مثل ، والباء زائدة ﴿مَّا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اٰمَقَدُوا وَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان به ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ خلاف معكم ﴿فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ﴾ يا محمد شقاقهم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم ، وقد كفاه إياهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم .

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]

١٣٨ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لآمنا ونصبه بفعل مقدر ، أي صبغنا الله والمراد بها دينه الذي فطر الناس عليه لظهور أثره على صاحبه كالصبغ في الثوب ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ تمييز ﴿وَنَحْنُ لَهُ عٰبِدُونَ﴾ .

﴿قُلْ أَتَعٰبَجُونَآ فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبِّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنآ أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُنَا وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾

قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول وقبلتنا أقدم ولم تكن الأنبياء من العرب ولو كان محمد نبيا لكان منا فنزل:

١٣٩ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَتَعٰبَجُونَآ﴾ تخاصمونا ﴿فِي اللَّهِ﴾ أن اصطفى نبيا من العرب ﴿وَهُوَ رَبِّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فله أن يصطفي من عباده من يشاء ﴿وَلَنآ أَعْمَلُنَا﴾ نجازى بها ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ تجازون بها فلا يبعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ الدين والعمل دونكم فنحن أولى بالاصطفاء والهمزة للإنكار والجمل الثلاث أحوال

﴿أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرٰهِيْمَ وَإِسْمٰعِيْلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَرِ اللَّهُ وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّن كَتَبَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

١٤٠ ﴿أَمْ﴾ بل أم تقولون ﴿بِالتَّاءِ وَالْبَاءِ﴾ إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل لهم ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَرِ اللَّهُ﴾ أي الله أعلم ، وقد برأ منها إبراهيم بقوله ﴿مَا كَانَ إِبْرٰهِيْمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ والمذكورون معه تبع له ﴿وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّن كَتَبَ﴾ أخفى عن الناس

﴿وَلَيْنَ آتَيْنَ الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْكِتَابَ يَكْفُونَ مَا نَبِغُوا قَلِيلًا مِمَّا أَنْتَ بِتَابِعٍ قَلِيلًا مِمَّا بَعْضُ الَّذِينَ اتَّبَعْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لِينَ الظَّالِمِينَ﴾

١٤٥ ﴿وَلَيْنَ﴾ لام القسم ﴿آتَيْنَ الَّذِينَ أَوْثَرُوا﴾ الكتاب بكل آية ﴿على صدقك في أمر القبلة﴾ ﴿وما تبغوا﴾ أي لا يتبعون ﴿وقبلتك﴾ عناداً ﴿وما أنت يتابع قبلتهم﴾ قطع لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ﴿وما بغضهم يتابع قبلة بغض﴾ أي اليهود قبلة النصارى وبالعكس ﴿ولين اتبعت أهواءهم﴾ التي يدعونك إليها ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ الوحي ﴿إنك إذا﴾ إن اتبعتم فرضاً ﴿لين الظالمين﴾

﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

١٤٦ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي محمداً ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ بنعته في كتبهم قال ابن سلام: لقد عرفته حين رأته كما أعرف ابني ومعرفتي لمحمد أشد ﴿وإن فريقاً منهم لَيَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ﴾ نعته ﴿وهم يعلمون﴾ هذا الذي أنت عليه

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾

١٤٧ ﴿الْحَقُّ﴾ كائن ﴿من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ الشاкин فيه أي من هذا النوع فهو أبلغ من لا تتعتر

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلَاهُ فَاَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨]

١٤٨ ﴿ولكل﴾ من الأمم ﴿وجهة﴾ قبلة ﴿هو مولاها﴾ ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ بادروا إلى الطاعات وقبولها

عليها فأقول الله يستقبل الشفهاء من الناس، إلى آخر الآية. له طرق بنحوه. وفي الصحيحين عن البراء: «مات على القبلة - قبل أن تموت - رجال وقلوا فلم ندر ما نقول فيهم؟ فأقول الله «وما كان الله ليضيع إيمانكم».

الرسول﴾ فيصدقه ﴿ممن يتقلب على عقبيه﴾ أي يرجع إلى الكفر شكا في الدين وظنا أن النبي ﷺ في حيرة من أمره وقد ارتد لذلك جماعة ﴿وإن﴾ مخففة من الثقلية واسمها محذوف أي: وإنها ﴿كانت﴾ أي التولية إليها ﴿لكبيرة﴾ شاقة على الناس ﴿إلا على الذين هدى الله﴾ منهم ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لأن سبب نزولها السؤال عن مات قبل التحويل ﴿إن الله بالناس﴾ المؤمنين ﴿أزوف رحيم﴾ في عدم إضاعة أعمالهم ، والرأفة شدة الرحمة وقدم الأبلغ للفاصلة

﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَوِ اسْتَكْتَبَتْ رِضْنَهَا قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِفَعِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]

١٤٤ ﴿قد﴾ للتحقيق ﴿ترى تقلب﴾ تصرف ﴿وجهك في﴾ جهة ﴿السماء﴾ متطلعا إلى الرحي ومتشوقا للأمر باستقبال الكعبة وكان يود ذلك لأنها قبلة إبراهيم ولأنه أدعى إلى إسلام العرب ﴿فلو استكتبت﴾ نحولك ﴿قبلة ترضاها﴾ تحبها ﴿قول وجهك﴾ استقبال في الصلاة ﴿شطرا﴾ نحو ﴿المسجد الحرام﴾ أي الكعبة ﴿وحيث ما كنتم﴾ خطاب للأمة ﴿فولوا وجوهكم﴾ في الصلاة ﴿شطرا﴾ وإن الذين أوثروا الكتاب يعلمون أنه ﴿أي التولي إلى الكعبة﴾ الثابت ﴿من ربهم﴾ لما في كتبهم من نعت النبي ﷺ من أنه يتحول إليها ﴿وما الله بفعل عمَّا يعملون﴾ بالتاء أيها المؤمنون من امتثال أمره وبالياء أي اليهود من إنكار أمر القبلة (١).

(١) أسباب نزول الآيات ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ : قال ابن إسحاق: حدثني إسمايل بن خالد عن أبي إسحاق عن البراء قال: «كان رسول الله يصلي نحو بيت المقدس، ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله، فأقول الله: وقد ترى تقلب وجهك في السماء فلولايتك قبلة ترضاها قول وجهك شطرا المسجد الحرام». وقال رجل من المسلمين: وددنا لو علمنا من مات منا قيل أن تصرف إلى القبلة وكيف بهيلاتنا قبل بيت المقدس، فأقول الله «وما كان الله ليضيع إيمانكم». وقال الشفاء من الناس: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَحْنُ الْحَقُّ وَإِنَّا نَحْنُ الْمَعِينُ﴾ [البقرة: ١٥١]

١٥١ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ متعلق بأنهم أي إتماما كإتمامها بإرسالنا ﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ محمدا ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

﴿فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾

١٥٢ ﴿فَأَذْكُرُونِي﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ قيل معناه أجازيكم ، وفي الحديث عن الله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير من ملئه ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ نعمتي بالطاعة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بالمعصية .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]

١٥٣ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ على الآخرة ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعة والبلاء ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ خصها بالذكر لتكررها وعظمتها ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون .

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَمُوتٌ بَلْ ءَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]

١٥٤ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هم ﴿ءَمُوتٌ﴾ بل هم ﴿ءَحْيَاءٌ﴾ أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت لحديث بذلك ﴿وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ تعلمون ما هم فيه ^(١)

﴿وَلَتَبْلُغُنَّكُم بِشْيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ

الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْعُرْرِ وَالْوَسْرِ الصَّابِرِينَ﴾

١٥٥ ﴿وَلَتَبْلُغُنَّكُم بِشْيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ للعدو

(١) أسباب نزول الآية ١٥٤ : أخرج ابن منده في معرفة الصحابة من طريق الشدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: «قتل تميم بن الحمام بيد، وفيه وفي غيره نزلت «وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَمُوتٌ» الآية. قال أبو نعيم: اتفقوا على أنه «عمير بن الحمام»، وأن الشدي صحفه.

﴿إِن مَّا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ بجمعكم يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿وَمِنَ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٩]

١٤٩ ﴿وَمِنَ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ لسفر ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء تقدم مثله، وكرره لبيان تساوي حكم السفر وغيره

﴿وَمِنَ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَإِنَّم تَبْتَغِي عَنكُمُ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠]

١٥٠ ﴿وَمِنَ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ كرهه للتأكيد ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ اليهود أو المشركين ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي مجادلة في التولي إلى غيره لتنتفي مجادلتهم لكم من قول اليهود يجحد ديننا ويتبع قبلتنا ، وقول المشركين يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُمْ﴾ بالعناد فإنهم يقولون ما تحول إليها إلا ميلا إلى دين آباءه والاستثناء متصل والمعنى: لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ تخافوا جدالهم في التولي إليها ﴿وَإِخْشَوْنِي﴾ بامتثال أمري ﴿وَلَا تَبْتَغِي عَلَيَّ﴾ عطف على لئلا يكون ﴿وَتَبْتَغِي عَلَيَّ﴾ بالهداية إلى معالم دينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق ^(١)

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

(١) أسباب نزول الآية ١٥٠ : وأخرج ابن جرير من طريق الشدي بأسانيده قال: «لما صرف النبي ﷺ نحو الكعبة بعد صلاته إلى بيت المقدس، قال المشركون من أهل مكة: تحوير على محمّد دينه، فتوجه بقبلته إليكم، وعلم أنّكم أهدى منه سبيلا، ويوشك أن يدخل في دينكم، فأنزل الله «لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ» الآية.»

الطاء ﴿بِهِمَا﴾ بأن يسعى بينهما سبعا ، نزلت لما كره المسلمون ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما وعليهما صنمان يمسحونهما ، وعن ابن عباس أن السعي غير فرض لما أفاده رفع الإثم من التخيير وقال الشافعي وغيره ركن ، وبين عليه السلام فريضته بقوله «إن الله كتب عليكم السعي» رواه البيهقي وغيره وقال ابدؤوا بما بدأ الله به يعني الصفا. رواه مسلم ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ وفي قراءة بالتحنية وتشديد الطاء مجزوما وفيه إدغام التاء فيها ﴿يَطْوَعُ﴾ ﴿خَيْرًا﴾ أي بخير ، أي عمل ما لم يجب عليه من طواف وغيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ لعمله بالإثابة عليه ﴿عَلَيْتُمْ﴾ به (١) .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَيْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]

١٥٩ ونزل في اليهود: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الناس ﴿مَا آتَيْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ كآية الرجم ونعت محمد عليه السلام ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ يبعدهم من رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون أو كل شيء بالدعاء عليهم باللعنة (٢) .

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] .

١٦٠ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ رجعوا عن ذلك ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿وَبَيَّنَّا﴾ ما كتبوا ﴿فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبتهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ﴾

أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا».

وأخرج البخاري عن عاصم بن سليمان قال: «سألت أنسا عن الصفا والمروة قال: كُتِّبَ نرى أنهما من أمر الجاهلية فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله «إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ». وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال: كانت الشياطين في الجاهلية تعزف الليل أجمع بين الصفا والمروة، وكان بينهما أصنام لهم، فلما جاء الإسلام قال المسلمون: يا رسول الله لا تطوف بين الصفا والمروة فإنه شيء كُتِّبَ نصنعه في الجاهلية، فأنزل الله هذه الآية.

(١) أسباب نزول الآية ١٥٩: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: سأل معاذ

﴿وَالْجُوعِ﴾ القحط ﴿وَتَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالهلاك ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ بالقتل والموت والأمراض ﴿وَالشَّمْرَاتِ﴾ بالجوائح ، أي لنختبرنكم فننظر أتصبرون أم لا ﴿وَتَشْرِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ على البلاء بالجنة

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]

١٥٦ وهم ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ بلاء ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ ملكا وعبيدا يفعل بنا ما يشاء ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ في الآخرة فيجازينا كما في الحديث من استرجع عند المصيبة آجره الله فيها وأخلف الله عليه خيرا وفيه أن مصباح النبي عليه السلام طفى فاسترجع فقالت عائشة: إنما هذا مصباح فقال: «كل ما أساء المؤمن فهو مصيبة» رواه أبو داود في مراسيله .

﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]

١٥٧ ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ مغفرة ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ نعمة ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ إلى الصواب

﴿إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ حَرًّا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]

١٥٨ ﴿إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ﴾ جبلان بمكة ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أعلام دينه جمع شعيرة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ أي تلبس بالحج أو العمرة ، وأصلهما القصد والزياره ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إثم عليه ﴿أَنْ يَطَّوَّفَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في

(١) أسباب نزول الآية ١٥٨: أخرج الشيخان وغيرهما عن عروة قال: «قلت لعائشة زوج النبي عليه السلام: أرأيت قول الله: «إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا»، فما أرى على أحد شيئا أن لا يطوف بهما. فقالت عائشة: بئس ما قلت يا ابن أخي إنها لو كانت على ما أولئها عليه كانت: فلا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنهما إنما أنزلت لأن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية وكان من أهل لها يخرج أن يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله عليه السلام فقالوا: يا رسول الله إننا كنا نخرج أن تطوف بالصفا والمروة في الجاهلية، فأنزل الله «إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ»، إلى قوله: «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ»

﴿الْمُسْحَرِينَ﴾ المذلل بأمر الله تعالى يسير إلى حيث شاء الله ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بلا علاقة ﴿لآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون (١).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

١٦٥ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿أنداداً﴾ أصناماً ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ أي كحبهم له ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ من حبههم للأنداد لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما ، والكفار يعدلون في الشدة إلى الله. ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ بالباء والتاء تبصر يا محمد ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يُرَوْنَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول يبصرون ﴿الْعَذَابَ﴾ لرأيت أمراً عظيماً وإذ بمعنى إذا ﴿أَنَّ﴾ أي لأن ﴿الْقُوَّةَ﴾ القدرة والغلبة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ وفي قراءة ﴿يُرى﴾ بالتحية والفاعل قيل ضمير السامع ، وقيل الذين ظلموا فهي بمعنى يعلم وأن وما بعدها سدت مسد المفعولين وجواب لو محذوف والمعنى لو علموا في الدنيا شدة عذاب

(١) أسباب نزول الآية ١٦٤ : أخرج سعيد بن منصور في سننه، والفرياي في تفسيره، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي الضحى قال: «لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ تعجب المشركون وقالوا إله واحد ! لكن كان صادقاً فليأتنا بأية فأنزل الله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

قلت: هذا معضل، لكن له شاهد. أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطار قال: «نزل على النبي ﷺ بالمدينة ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم»، فقال كفار قريش بمكة: كيف يسبح الناس إله واحد، فأنزل الله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ». وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق جيد موصول عن ابن عباس قال: «قالت قريش للنبي ﷺ: ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهباً تنقو به على عدونا، فأوحى الله إليه إني معطيهم، ولكن إن كفروا بعد ذلك عذبهم عذاباً لا أعذبه أحدًا من العالمين، فقال: رب دعني وقومي فأدعهم يَوْمًا يَوْمًا، فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ وكيف يسألونك الصفا وهم يرون من الآيات ما هو أعظم».

اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١] ١٦١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ حال ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي هم مستحقون ذلك في الدنيا والآخرة. والناس قيل: عام. وقيل: المؤمنون .

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾

١٦٢ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي اللعنة والنار المدلول بها عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ طرفه عين ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون لتوبة أو لمعذرة ﴿وَاللَّهُكَرِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]

١٦٣ ونزل لما قالوا صف لنا ربك: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ وطلبوا آية على ذلك فنزل:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسْحَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]

١٦٤ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء، والزيادة والنقصان ﴿وَالْفُلْكِ﴾ السفن ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ ولا ترسب موقرة ﴿بِمَا يَنْفَع النَّاسَ﴾ من التجارات والحمل ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ﴾ مطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿وَبَثَّ﴾ فرق ونشر به ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ تقلبيها جنوباً وشمالاً حارة وباردة ﴿وَالسَّحَابِ﴾ الغيم

ابن جبل، وسعد بن معاذ، وخارجة بن زيد نفرًا من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة، فكتمهم إياه وأبو أن يخبروهم، فأنزل الله فيهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ الآية.

الله وأن القدرة لله وحده وقت معاينتهم له وهو يوم
القيامة لما اتخذوا من دونه أندادا

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا
الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾

[البقرة: ١٦٦]

١٦٦ ﴿إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿تَبَرَّأَ الَّذِينَ
اتَّبَعُوا﴾ أي الرؤساء ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي أنكروا
إضلالهم ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾
عطف على تبرأ ﴿بِهِمْ﴾ عنهم ﴿الْأَسْبَابُ﴾ الوصل
التي كانت بينهم في الدنيا من الارحام والمودة

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا مَنَ تَبَرَّأُوا مِنَّا
كَذَلِكَ يُرِيدُهُ اللَّهُ لِيَكْفُرَهُنَّ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ
وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]

١٦٧ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا﴾
رجعة إلى الدنيا ﴿فَتَتَّبِعُوا مِنْهُمْ﴾ أي المتبوعين
﴿كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ اليوم ولو للتمني وتبرأ جوابه
﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما أراههم شدة عذابه وتبرأ بعضهم
من بعض ﴿يُرِيدُهُمُ اللَّهُ أَغْمَالَهُمْ﴾ السيئة
﴿حَسْرَاتٍ﴾ حال ندامات ﴿عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ
بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ بعد دخولها

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا
تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

[البقرة: ١٦٨]

١٦٨ ونزل فيمن حرم اليساوت ونحوها:
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا﴾ حال
﴿طَيِّبًا﴾ صفة مؤكدة أي مستلذا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوبَاتِ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي تزيينه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ
عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بين العداوة

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا
لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]

١٦٩ ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ﴾ الإثم
﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ القبيح شرعا ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا
لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا
أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]

١٧٠ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي الكفار ﴿اتَّبِعُوا
مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات
﴿قَالُوا﴾ لا ﴿نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ
ءَابَاءَنَا﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السواحب
والبحائر.

قال تعالى: ﴿أَلَا يَتَّبِعُونَ﴾ يتبعونهم ﴿وَلَوْ كَانُوا
يَفْقَهُونَ شَيْئًا﴾ من أمر الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى
الحق ؟ والهزلة للإنكار (١) .

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ
إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾

١٧١ ﴿وَمَثَلُ﴾ صفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومن
يدعوهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّعِقُ﴾ يصوت
﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ إلا دُعَاءَ وَنِدَاءَ أي صوتا ولا يفهم
معناه أي في سماع الموعظة وعدم تديرها كالبهايم
تسمع صوت راعيها ولا تفهمه ، هم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ
عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الموعظة

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

١٧٢ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ﴾
حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ على ما أحل
لكم ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ
وَمَا أَهْلَ بِهِ لَعْنَةً مِنَ اللَّهِ فَمَن أَضْطَرَّ غَيْرَ ذَلِكَ
فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]

١٧٣ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ أي أكلها إذ
الكلام فيه وكذا ما بعدها وهي ما لم يذك شرعا ،
وألحق بها بالسنة ما أبين من حي وخص منها
السّمك والجراد ﴿وَالدَّمَ﴾ أي المسفوح كما في
الأنعام ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ خص اللحم لأنه معظم
المقصود وغيره تبع له ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ أي
ذبح على اسم غيره والإهلال رفع الصوت وكانوا

(١) أسباب نزول الآية ١٧٠ : أخرج ابن أبي حاتم من طريق
سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: دعا رسول الله ﷺ
اليهود إلى الإسلام ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته،
فقال رافع بن حرملة ومالك بن عوف: بل نتبع ما وجدنا عليه
آباءنا فهم كانوا أعلم وخبرنا منا، فأنزل الله في ذلك ﴿وَإِذَا قِيلَ
لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ الآية.

الثَّارِ) أي ما أشد صبرهم ، وهو تعجيب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة وإلا فأئى صبر لهم

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]

١٧٦ ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكر من أكلهم النار وما بعده ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿اللَّهُ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بنزل فاختلَفوا فيه حيث آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه بكتمه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ بذلك وهم اليهود وقيل المشركون في القرآن حيث قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم كهانة ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَيْتِ وَالضَّرَّاءَ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

١٧٧ ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ نزل ردا على اليهود والنصارى حيث زعموا ذلك ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي ذا البر وقرئ بفتح الباء أي البار ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ أي الكتب ﴿وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ له ﴿ذَوِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ المسافر ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ الطالبين ﴿وَفِي﴾ فك ﴿الرِّقَابِ﴾ المكاتبين والأسرى ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ﴾ المفروضة وما قبله في التطوع ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ الله أو الناس ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ نصب على المدح ﴿فِي الْبَيْتِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءَ﴾ المرض ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ وقت شدة القتال في سبيل الله ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم أو ادعاء البر ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الله (١)

يرفعونه عند الذبح لآلتهم ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ أي الجأته الضرورة إلى أكل شيء مما ذكر فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ خارج على المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متعد عليهم بقطع الطريق ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في أكله ﴿وَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ بأهل طاعته حيث وسع لهم في ذلك ، وخرج الباغي والعادي ويلحق بهما كل عاص بسفره كالأبق والمكاس فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا وعليه الشافعي

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤]

١٧٤ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ المشتمل على نعت محمد ﷺ وهم اليهود ﴿وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا يأخذونه بدله من سفلتهم فلا يظهره خوف فوته عليهم ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ لأنها مألهم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ غضبا عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من دنس الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم هو النار (١) .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَاةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]

١٧٥ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَاةَ بِالْهُدَىٰ﴾ أخذوها بدله في الدنيا ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ المعدة لهم في الآخرة لو لم يكتموا ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَىٰ﴾

(١) أسباب نزول الآية ١٧٤ : أخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾، والتي في آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ نزلنا جميعا في يهود.

وأخرج الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في رؤساء اليهود وعلماهم، كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضل، وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، فلما بعث الله محمدا ﷺ من غيرهم خافوا ذهاب ما كلتهم وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة محمد ﷺ فغيروها، ثم أخرجوها إليهم وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الآية».

(١) أسباب نزول الآية ١٧٧ : قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر

بالتقتل (١).

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]

١٧٩ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أي بقاء عظيم ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ذوي العقول لأن القاتل إذا علم أنه يقتل ارتدع فأحيا نفسه ومن أراد قتله فشرع ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القتل مخافة القود

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]

١٨٠ ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمْ﴾ إذا حضر أحدكم الموت أي أسبابه ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ مالا ﴿الْوَصِيَّةَ﴾ مرفوع بكتب ومتعلق بإذا إن كانت ظرفية ودال على جوابها إن كانت شرطية وجواب إن أي فليوص ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالعدل بأن لا يزيد على الثلث ولا يفضل الغني ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ الله. وهذا منسوخ بأية الميراث وبحديث: لا وصية لوارث رواه الترمذي

﴿فَمَنْ بَدَلَهُ بَدَلًا سَمِعَ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١]

١٨١ ﴿فَمَنْ بَدَلَهُ﴾ أي الإيضاء من شاهد ووصي ﴿بَدَلًا سَمِعَ﴾ علمه ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ أي الإيضاء المبدل ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمرة ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقول الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾ بفعل الوصي فمجاز عليه

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَفًّا أَوْ إِثْمًا فَاصْلَحْ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨٢]

١٨٢ ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ﴾ مخففا ومثقلا

(١) أسباب نزول الآية ١٧٨: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبیر قال: «إِنَّ حَيِّنَ مِنَ الْعَرَبِ اقْتُلُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِقَلِيلٍ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ قَتْلٌ وَجِرَاحَاتٌ حَتَّى قَتَلُوا الْعَبِيدَ وَالنِّسَاءَ فَلَمْ يَأْخُذْ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ حَتَّى أُسْلِمُوا، فَكَانَ أَحَدُ الْحَيِّنِ يَتَطَاوَلُ عَلَى الْآخَرِ فِي الْعُدَدِ وَالْأَمْوَالِ، فَحَلَفُوا أَنْ لَا يَرْضُوا حَتَّى يَقْتُلَ بِالْعَبْدِ مِثْلَ الْخُرْمِ مِنْهُمْ، وَالْمَرَامُ مِنَ الرَّجُلِ مِنْهُمْ، فَنَزَلَ فِيهِمْ «الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْيَعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاةُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]

١٧٨ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ﴾ المماثلة ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ وصفا وفعلا ﴿الْحُرُّ﴾ يقبَل ﴿بِالْحُرِّ﴾ ولا يقتل بالعبد ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى﴾ وبينت السنة أن الذكر يقتل بها وأنه تعتبر المماثلة في الدين فلا يُقتل مسلمٌ ولو عبدا بكافر ولو حرا ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ من القاتلين ﴿مِنْ﴾ دم ﴿أَخِيهِ﴾ المقتول ﴿شَيْءٌ﴾ بأن ترك القصاص منه ، وتكثير شيء يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة، وفي ذكر أخيه تعطف داع إلى العفو ويذان بأن القتل لا يقطع أخوة الإيمان ومن مبتدأ شرطية أو موصولة والخير ﴿فَأَبْيَعُ﴾ أي فعلى العافي اتباع للقاتل ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بأن يطالبه بالدية بلا عنف ، وترتيب الاتباع على العفو يفيد أن الواجب أحدهما وهو أحد قولي الشافعي والثاني الواجب القصاص والدية بدل عنه فلو عفا ولم يسمها فلا شيء ورجح ﴿وَ﴾ على القاتل ﴿أَدَاةُ﴾ الدية ﴿إِلَيْهِ﴾ أي العافي وهو الوارث ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ بلا مظل ولا نجس ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور من جواز القصاص والعفو عنه على الدية ﴿تَخْفِيفٌ﴾ تسهيل ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ عليكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بكم حيث وسع في ذلك ولم يحتم واحدا منهما كما حتم على اليهود القصاص وعلى النصراني الدية ﴿فَمَنِ اعْتَدَى﴾ ظلم القاتل بأن قتله ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي العفو ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة بالنار أو في الدنيا

عن قتادة قال: «كانت اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى قبل المشرق، فنزلت «ليس البرُّ أن تولوا وجوهكم» الآية».

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي حاتم عن أبي العالية مثله. وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال: «ذكر لنا أن رجلا سأل النبي ﷺ عن البرِّ، فأنزله الله هذه الآية: «ليس البرُّ أن تولوا»، فدعا الرجل ، فتلاها عليه، وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، ثم مات على ذلك يرجى له ويطلع له في خير، فأنزله الله: «ليس البرُّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب» وكانت اليهود توجهت قبل المغرب، والنصارى قبل المشرق».

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]

١٨٥ تلك الأيام ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، منه ﴿هُدًى﴾ حال هاديا من الضلالة ﴿لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ آيات واضحات ﴿مِنَ الْهُدَى﴾ مما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿وَمَن﴾ من ﴿الْفُرْقَانِ﴾ بما يفرق بين الحق والباطل ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ حضر ﴿مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تقدم مثله وكرر لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر ولكون ذلك في معنى العلة أيضا للأمر بالصوم عطف عليه ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿الْعِدَّةَ﴾ أي عدة صوم رمضان ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ عند إكمالها ﴿عَلَيْهِ مَا هَدَاكُمْ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ﴿وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]

١٨٦ وسأل جماعة النبي ﷺ: أقرب ربنا فنأجبه أم بعيد فنأديه، فنزل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ منهم بعلمي فأخبرهم بذلك ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بإنالته ما سأل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ دعائي بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا﴾ يداوموا على الإيمان ﴿بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ يهتدون (١)

السائب: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٌ مَشْكِينٌ﴾. فأفطر وأطعم لكل يوم مسكينا.

(١) أسباب نزول الآية ١٨٦: أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو الشيخ، وغيرهم من طرق عن جرير ابن عبد الحميد عن عبدة السجستاني عن الصلت بن حكيم

﴿جَنَّتَا﴾ ميلا عن الحق خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بأن تعمد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غني مثلا ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الموصي والموصى له بالأمر بالعدل ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في ذلك ﴿وَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

١٨٣ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٌ مَشْكِينٌ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[البقرة: ١٨٤]

١٨٤ ﴿أَيَّامًا﴾ نصب بالصيام أو بـ «صوموا» مقدرا ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ أي قلائل أو مؤقتات بعدد معلوم وهي رمضان كما سيأتي، وقلته تسهلا على المكلفين ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي مسافر سفر القصر وأجهده الصوم في الحالين فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه عدة ما أفطر ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يصومها بدله ﴿وَعَلَى الَّذِينَ لَا يُطِيقُونَهُ﴾ لكبر أو مرض لا يرجى بُرُؤُهُ ﴿فِدْيَةٌ﴾ هي ﴿طَعَامٌ مَشْكِينٌ﴾ أي قدر ما يأكله في يومه وهو مُدٌّ من غالب قوت البلد لكل يوم، وفي قراءة فدية طعام بإضافة فدية وهي للبيان وقيل لا غير مقدرة وكانوا مخيرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية ثم نسخ بتعيين الصوم بقوله من شهد منكم الشهر فليصمه، قال ابن عباس: إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا على الولد فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فَهُوَ﴾ أي التطوع ﴿خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا﴾ مبتدأ وخبره ﴿وَخَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الإفطار والفدية ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه (١)

(١) أسباب نزول الآية ١٨٤: أخرج ابن سعد في طبقاته عن مجاهد قال: «هذه الآية نزلت في مولاي قيس بن

﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾ أي إلى دخوله بغروب الشمس ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ أي نساءكم ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾ مقيمون بنية الاعتكاف ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ متعلق بعاكفون ، نهي لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾ حدها لعباده ليقفوا عندها ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ أبلغ من لا تعتدوها المعبر به في آية أخرى ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ محارمه (١) .

[البقرة: ١٨٧]

(١) أسباب نزول الآية ١٨٧: روى أحمد وأبو داود والحاكم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل قال: كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا فإذا ناموا امتنعوا ثم إن رجلا من الأنصار يقال له قيس بن صرمة صلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح مجهودا وكان عمر أصاب من النساء بعدما نام فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فأنزل الله «أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم». إلى قوله: «ثم أمعوا الصيام إلى الليل». هذا الحديث مشهور عن ابن أبي ليلى لكنه لم يسمع من معاذ وله شواهد.

* فأخرج البخاري عن البراء قال: «كان أصحاب النبي ﷺ إذا كان الرجل صائما، فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وأن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائما، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: عندك طعام؟ قالت: لا ولكي أنطلق فأطلب لك. وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فجاءته امرأته فلما رآته قالت: خيبة لك. فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: «أجل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم». ففرحوا بها فرحا شديدا ونزلت: «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود».

* وأخرج البخاري عن البراء قال: «لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء ومضيان كله، فكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله «علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم».

* وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال: «كان الناس في رمضان إذا صام الرجل، فأمسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء، حتى يفطر من الغد، فرجع عمر من عند النبي ﷺ وقد سفر عنده فوجد امرأته قد نامت فأرادها، فقالت: إني قد تمت، قال: ما تمت، ووقع عليها، وصنع كعب مثل ذلك، فغدا عمر إلى النبي ﷺ فأخبره فنزلت الآية».

* قوله تعالى: «مِنَ الْفَجْرِ». روى البخاري عن سهل بن سعد قال: «أنزلت «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود»، ولم ينزل «مِنَ الْفَجْرِ». فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحداهم في رجله الخيط الأبيض

﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَانْتَنَبَشُوا هُنَّ وَابْتِغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصَّيَامَ إِلَى آتِلٍ وَلَا تَبْشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنْكُمُوهُنَّ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

١٨٧ ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ﴾ بمعنى الإفضاء ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ بالجماع ، نزل نسخا لما كان في صدر الإسلام من تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ كناية عن تعاقبهما أو احتياج كل منهما إلى صاحبه ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ﴾ تخونون ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بالجماع ليلة الصيام ، وقع ذلك لعمر وغيره واعتذروا إلى النبي ﷺ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل توبتكم ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ﴾ إذ أحل لكم ﴿تَبَشِرُوهُنَّ﴾ جامعوهن. ﴿وَابْتِغُوا﴾ اطلبوا ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي أباحه من الجماع أو قدره من الولد ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ الليل كله ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ﴾ يظهر ﴿لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ أي الصادق بيان للخيط الأبيض وبيان الأسود محذوف أي من الليل شبه ما يبدو من البياض وما يمتد معه من الغبش بخيطين أبيض وأسود في الامتداد ﴿ثُمَّ أَتُوا الصَّيَامَ﴾ من الفجر

ابن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أفریب ربنا فنتاحیه أم بعيد فنتادیه؟ فسکت عنه، فأنزل الله: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ» الآية».

* وأخرج عبد الرزاق عن الحسن قال: «سأل أصحاب رسول الله ﷺ النبي ﷺ أين ربنا؟ فأنزل الله: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ» الآية». مرسل، وله طرق أخرى.

* وأخرج ابن عساکر عن علي قال: «قال رسول الله ﷺ: لا تعجزوا عن الدعاء، فإن الله أنزل علي «ادعوني استجب لكم». فقال رجل: يا رسول الله ربنا نسمع الدعاء، أم كيف ذلك؟ فأنزل الله: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي» الآية».

* وأخرج ابن جرير عن عطاء بن أبي رباح أنه بلغه لما نزلت «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ». قالوا: لو نعلم أي ساعة ندعو؟ فنزلت «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ». إلى قوله: «يَسْتَجِدُّونَ».

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُقْتَلِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]

١٩٠ ولما ضدَّ ﷺ عن البيت عام الحديبية
وصالح الكفار على أن يعود العام القابل ويحلوا له
مكة ثلاثة أيام وتجهز لعمرة القضاء وخافوا أن
لا تفي قريش ويقاتلوهم وكره المسلمون قتالهم في
الحرم والإحرام والشهر الحرام نزل ﴿وَقَاتِلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾ من
الكفار ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾ عليهم بالابتداء بالقتال ﴿إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُقْتَلِينَ﴾ المتجاوزين ما حد لهم ،

العوفي عن ابن عباس قال: «سأل الناس رسول الله ﷺ عن
الأهلة، فنزلت هذه الآية».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: بلغنا أنهم
قالوا: يا رسول الله لم خلقت الأهلة، فأنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ
الْأَهْلَةِ﴾.

* وأخرج أبو نعيم وابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق
الشدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن
معاذ بن جبل وثعلبة بن عمنة قالا: يا رسول الله ما بال الهلال
يبدو ويطلع دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي
ويستدير ثم لا يزال ينقص ويبدق حتى يعود كما كان لا يكون
على حال واحد فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾.

* قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ...﴾ الآية.
روى البخاري عن البراء قال: «كانوا إذا أحرموا في الجاهلية
أتوا البيت من ظهره فأنزل الله ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ
ظُهُورِهَا﴾ الآية». وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم - وصححه -
عن جابر قال: «كانت قريش تدعى الجمس، وكانوا يدخلون
من الأبواب في الإحرام، وكانت الأنصار وسائر العرب لا
يدخلون من باب في الإحرام، فبينما رسول الله ﷺ في بستان
إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر الأنصاري فقالوا: يا
رسول الله إن قطبة بن عامر رجل فاجر وإنه خرج معك من
الباب، فقال له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: رأيتك فعلته
ففعلت كما فعلت. قال: إني رجل أحمسي. قال له: فإن ديني
دينك، فأنزل الله ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾
الآية».

* وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه
وأخرج الطيالسي في مسنده عن البراء قال: «كانت الأنصار إذا
قدموا من سفرهم لم يدخل الرجل من قبل بابه فنزلت هذه
الآية». وأخرج عبد بن حميد عن قيس بن جبير النهشلي قال:
«كانوا إذا أحرموا لم يأتوا بيتاً من قبل بابه وكانت الجمس
بخلاف ذلك فدخل رسول الله ﷺ حائطاً ثم خرج من بابه
فاتبعه رجل يقال له رفاعة بن تابوت ولم يكن من الجمس
فقالوا: يا رسول الله ناقد رفاعة. فقال: ما حملك على ما
صنعت؟ قال: تبعتك. فقال: إني من الجمس. قال: فإن ديننا
واحد فنزلت ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْأُوا بِهَا إِلَى
الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]

١٨٨ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ أي
لا يأكل بعضهم مال بعض ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الحرام
شرعاً كالسرقة والغصب ﴿وَلَا﴾ لا ﴿تُدْأُوا﴾ تلقوا
﴿بِهَا﴾ أي بحكومتها أو بالأموال رشوة ﴿إِلَى
الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِنْ
أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ متلبسين ﴿بِالْإِثْمِ﴾ وأنتم تعلمون ﴿أَنْتُمْ
مَبْطُلُونَ﴾ (١).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ
وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ
الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩]

١٨٩ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ الْأَهْلَةِ﴾
جمع هلال ، لم تبدو دقيقة ثم تزيد حتى تمتلئ
نورا ثم تعود كما بدت ولا تكون على حالة واحدة
كالشمس ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ﴾ جمع
ميقات ﴿لِلنَّاسِ﴾ يعلمون بها أوقات زرعهم
ومتاجرهم وعدد نساتهم وصيامهم وأفطارهم
﴿وَالْحَجُّ﴾ عطف على الناس أي يعلم بها وقته فلو
استمرت على حالة لم يعرف ذلك ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ
تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ في الإحرام بأن تنقبوا
فيها نقبا تدخلون منه وتخرجون وتركبوا الباب
وكانوا يفعلون ذلك ويزعمونه برا ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي
ذا البر ﴿مَنِ اتَّقَى﴾ الله بترك مخالفته ﴿وَأَتَى
الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ في الإحرام كغيره ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون (٢).

والخيط الأسود، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما
فأنزل الله بعد ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾، فعملوا أما يعني الليل والنهار.
* قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَايَسُواهُمْ وَأَنْتُمْ غَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾.
أخرج ابن جرير عن قتادة قال: كان الرجل إذا اعتكف
فخرج من المسجد جامع إن شاء فنزلت ﴿وَلَا تَبَايَسُواهُمْ وَأَنْتُمْ
غَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾.

(١) أسباب نزول الآية ١٨٨ : أخرج ابن أبي حاتم عن
سعيد بن جبير قال: إن أمراً القيس بن عباس وعبدان بن أشوع
الحضرمي اختصما في أرض وأراده امرؤ القيس أن يحلف فقيه
نزلت: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾.

(٢) أسباب نزول الآية ١٨٩ : أخرج ابن أبي حاتم من طريق

وهذا منسوخ بآية براءة (١) أو بقوله:

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ فَفَعَلْتُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفَنَاءُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾

١٩١ ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ﴾ أي من مكة وقد فعل بهم ذلك عام الفتح ﴿وَالْفَنَاءُ﴾ الشرك منهم ﴿أَشَدُّ﴾ أعظم ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾ لهم في الحرم أو الإحرام الذي استعظمتموه ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي في الحرم ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فِيهِ﴾ فاقْتُلُوهُمْ فيه ، وفي قراءة بلا ألف في الأفعال الثلاثة ﴿كَذَلِكَ﴾ القتل والإخراج ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾

﴿فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٢]

١٩٢ ﴿فَإِنْ أَنْتَهَوْا﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]

١٩٣ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ تَوْجِدَ فِتْنَةً﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ العبادة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده لا يعبد سواه ﴿فَإِنْ أَنْتَهَوْا﴾ عن الشرك فلا تعتدوا عليهم دل على هذا ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾ اعتداء يقتل أو غيره ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ومن انتهى فليس بظالم فلا عدوان عليه

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

[البقرة: ١٩٤]

(١) أسباب نزول الآية ١٩٠: أخرج الواحدي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله ﷺ لما صد عن البيت هو وأصحابه، ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامه القابل، فلما كان العام القابل تجهز هو وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي قريش بذلك، وأن يصدوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكره أصحابه قتالهم في الشهر الحرام، فأنزل الله ذلك.»

١٩٤ ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ المحرم مقابل ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم في مثله رد لاستعظام المسلمين ذلك ﴿وَالْحُرُمَاتُ﴾ جمع حرمة ما يجب احترامه ﴿قِصَاصٌ﴾ أي يقتص بمثلها إذا انتهكت ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ بالقتال في الحرم أو الإحرام أو الشهر الحرام ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ سمي مقابلته اعتداء لشبهها بالمقابل به في الصورة ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الانتصار وترك الاعتداء ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر (١).

﴿وَأَتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]

١٩٥ ﴿وَأَتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعته بالجهاد وغيره ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ أي أنفسكم والباء زائدة ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ الهلاك بالإمساك عن النفقة في الجهاد أو تركه لأنه يقوي العدو عليكم ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ بالنفقة وغيرها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي يشيهم (٢).

(١) أسباب نزول الآية ١٩٤: وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: «أقبل نبي الله ﷺ وأصحابه فاعتصموا في ذي القعدة ومعهم الهدي، حتى إذا كانوا بالحديبية صدّهم المشركون، وصالحهم النبي ﷺ على أن يرجع من عامه ذلك، ثم يرجع من العام المقبل، فلما كان العام المقبل أقبل وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين في ذي القعدة، فأقام فيها ثلاث ليال، وكان المشركون قد فخروا عليه حين ردّوه يوم الحديبية فأقصه الله منهم، فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردّوه في ذي القعدة فيه، فأنزل الله «الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ».

(٢) أسباب نزول الآية ١٩٥: روى البخاري عن حذيفة قال: «نزلت الآية في النفقة». وأخرج أبو داود، والترمذي وصححه، وابن حبان، والحاكم، وغيرهم عن أبي أيوب الأنصاري قال: «نزلت الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، قال بعضنا لبعض سراً: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله يرده علينا ما قلنا: «وَأَتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ». فكانت التهلكة الإقامة على أموالنا وإصلاحها وتركنا الغزو. وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي جبير بن الضحاك قال: «كانت الأنصار يتصدقون ويضعون ما شاء الله، فأصابهم سنة فأمسكوا، فأنزل الله: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» الآية.»

* وأخرج أيضاً بسند صحيح عن الثعمان بن بشير قال: «كان الرجل يذنب الذنب فيقول: لا يُغفر لي فأنزل الله: «وَلَا

عَشْرَةَ كَامِلَةً ﴿١٩٦﴾ جملة تأكيد لما قبلها. ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور من وجوب الهدى أو الصيام على من تمتع ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعي فإن كان فلا دم عليه ولا صيام وإن تمتع. وفي ذكر الأهل إشعار باشتراط الاستيطان، فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك وهو أحد وجهين عند الشافعي والثاني لا، والأهل كناية عن النفس والحق بالتمتع فيما ذكر بالسنة القارن وهو من أحرم بالعمرة والحج معا أو يدخل الحج عليها قبل الطواف ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿وَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه (١).

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَصْلَهُ اللَّهُ وَتَسَرَّوْا فَإِنَّ حَيْرَ الزَّادِ الْقَفِيُّ وَأَتَقُونَ بِتَأْوِيلِ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]

١٩٧ ﴿الْحَجُّ﴾ وقته ﴿أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ شوال وذو القعدة وعشر ليالٍ من ذي الحجة وقيل كله

(١) أسباب نزول الآية ١٩٦: أخرج ابن أبي حاتم عن صفوان بن أمية قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ متضخم بالزعران، عليه جبة فقال: كيف تأمرني يا رسول الله في عمري؟ فأنزل الله: ﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾. فقال: أين السائل عن العمرة؟ قال: ها أنذا. فقال له: ألتى عنك ثيابك، ثم اغتسل، واستنشق ما استطعت، ثم ما كنت صانقا في حجك فاصنع في عمرك.»

* قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾ الآية. روى البخاري عن كعب بن عجرة أنه سأل عن قوله ففدية من صيام قال: «حملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي فقال: ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا أما تجد شاة؟ قلت: لا. قال: صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك فنزلت في خاصة وهي لكم عامة». وأخرج أحمد عن كعب قال: «كنا مع النبي ﷺ بالحدبية ونحن محرمون، وقد حصر المشركون، وكانت لي وفرة، فجعلت الهوام تشاقت على وجهي، فمر بي النبي ﷺ فقال: أبؤذيك هوام رأسك؟ فأمره أن يحلق. قال: ونزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾. وأخرج الواحدي من طريق عطاء، عن ابن عباس، قال: «لما نزلنا الحدبية جاء كعب بن عجرة تنتثر هوام رأسه على وجهه فقال: يا رسول الله هذا القمل قد أكلني، فأنزل الله في ذلك الموقف: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾ الآية.»

﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ صِيَامًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبَّعَهُ إِذَا رَجَعْتُمْ تَكَّ عَشْرَةَ كَامِلَةً ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦]

١٩٦ ﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أودهما بحقوقهما ﴿فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ﴾ منعتهم عن إتمامهما بعدو ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تيسر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عليكم وهو شاة ﴿وَلَا تَخْلِفُوا رُءُوسَكُمْ﴾ أي لا تتحللوا ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ الْمَكَامَ الْمَذْكُورَ﴾ المذكور ﴿مَحَلَّهُ﴾ حيث يحل ذبحه وهو مكان الإحصار عند الشافعي فيذبح فيه بنية التحلل ويُفَرَّقُ على مساكينه ويحلق ربه يحصل التحلل ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ كقمل وصداع فحلق في الإحرام ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ عليه ﴿مِنْ صِيَامٍ﴾ لثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ بثلاثة أصع من غالب قوت البلد على ستة مساكين ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ أي ذبح شاة وأو للتخيير والحق به من حلق لغير عذر لأنه أولى بالكفارة، وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن لعذر أو غيره ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ العدو بأن ذهب أو لم يكن ﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ﴾ استمتع ﴿بِالْعُمْرَةِ﴾ أي بسبب فراغه منها بمحظورات الإحرام ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾ أي إلى الإحرام به بأن يكون أحرم بها في أشهره ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تيسر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عليه وهو شاة يذبحها بعد الإحرام به والأفضل يوم النحر ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الهدى لفقده أو فقد ثمنه ﴿فَصِيَامًا﴾ أي فعليه صيام ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ أي في حال الإحرام به فيجب حينئذ أن يحرم قبل السابع من ذي الحجة والأفضل قبل السادس لكرهية صوم يوم عرفة ولا يجوز صومها أيام التشريق على أصح قولي الشافعي ﴿وَسَبَّعَهُ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى وطنكم مكة أو غيرها وقيل إذا فرغتم من أعمال الحج وفيه التفات عن الغيبة ﴿يَتَلَكَّ﴾

تلقوا بأيديكم إلى التهلكة. وله شاهد عن البراء أخرج الحاكم.

﴿فَمَنْ قَرَضَ﴾ على نفسه ﴿فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ بالإحرام به ﴿فَلَا رَفْتٌ﴾ جماع فيه ﴿وَلَا فُشُوقٌ﴾ معاص ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ خصام ﴿فِي الْحَجَّ﴾ وفي قراءة بفتح الأولين، والمراد في الثلاثة النهي ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ كصدقة ﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ فيجازيكم به، ونزل في أهل اليمن وكانوا يحجون بلا زاد فيكونون كلاً على الناس: ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ ما يبلغكم لسفركم ﴿فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ما يتقي به سؤال الناس وغيره ﴿وَأَتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ذوي العقول (١).

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾

١٩٨ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ تطلبوا ﴿فَضْلاً﴾ رزقا ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بالتجارة في الحج نزل رداً لكرهاتهم ذلك ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ﴾ دفعتم ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ بعد الوقوف بها ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ هو جبل في آخر المزدلفة يقال له قَرْح وفي الحديث أنه ﷺ وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جداً. رواه مسلم ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ لمعالم دينه ومناسك حجه والكاف للتعليل ﴿وَإِنْ﴾ مخففة ﴿كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل هداه ﴿لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ (٢).

١٩٩ ﴿ثُمَّ أَيْضُوا﴾ يا قريش ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ أي من عرفة بأن تقفوا بها معهم وكانوا يقفون بالمزدلفة ترفعا عن الوقوف معهم وشم للترتيب في الذكر ﴿وَاسْتَنْفِرُوا اللَّهَ﴾ من ذنوبكم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم (١).

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمَنْ الْنَّكَاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠]

٢٠٠ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ﴾ أديتم ﴿مَنَاسِكَكُمْ﴾ عبادات حجكم بأن رميتم جمره العقبة وطفتم واستقررتم بمنى ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبير والثناء ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ من ذكركم إياهم، ونصب أشد على الحال من ذكر المنصوب بأذكروا إذ لو تأخر عنه لكان صفة له ﴿فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا﴾ نصيباً ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ فيؤتاه فيها ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ نصيب (٢).

(١) أسباب نزول الآية ١٩٩: أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: «كانت العرب تقف بعرفة، وكانت قريش تقف دون ذلك بالمزدلفة، فأنزل الله ﴿ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾. وأخرج ابن المنذر عن أسماء بنت أبي بكر قالت: «كانت قريش يقفون بالمزدلفة، ويقف الناس بعرفة، إلا شبية بن ربيعة، فأنزل الله ﴿ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾.

(٢) أسباب نزول الآية ٢٠٠: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم بقول الرجل منهم: كان أبي يطعم، ويحمل الحملات، ويحمل الدبات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم، فأنزل الله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ الآية.

* وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: «كانوا إذا قضا مناسكهم وقفوا عند الجمره وذكروا آباءهم في الجاهلية، وفعال آبائهم فنزلت هذه الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف، فيقولون: اللهم اجعله عام غيث، وعام خصب، وعام ولاء وحسن، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً، فأنزل الله فيهم: ﴿فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾. وبيء بعدهم آخرون من المؤمنين، فيقولون: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أولئك لهم نصيب بما كسبوا والله سريع الحساب».

(١) أسباب نزول الآية ١٩٧: روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: «كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون نحن المتركلون، فأنزل الله ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

(٢) أسباب نزول الآية ١٩٨: روى البخاري عن ابن عباس قال: «كانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز أسواقاً في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج». وأخرج أحمد، وابن أبي حاتم، وابن جرير، والحاكم، وغيرهم من طرق عن أبي أمامة التيمي قال: «قلت لابن عمر إننا نكرى فهل لنا من حج؟ فقال ابن عمر: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه، فلم يُجبه، حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾. فدعا النبي ﷺ فقال: أتتم حجاج».

(١) أسباب نزول الآية ١٩٧: روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: «كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون نحن المتركلون، فأنزل الله ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

(٢) أسباب نزول الآية ١٩٨: روى البخاري عن ابن عباس قال: «كانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز أسواقاً في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج». وأخرج أحمد، وابن أبي حاتم، وابن جرير، والحاكم، وغيرهم من طرق عن أبي أمامة التيمي قال: «قلت لابن عمر إننا نكرى فهل لنا من حج؟ فقال ابن عمر: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه، فلم يُجبه، حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾. فدعا النبي ﷺ فقال: أتتم حجاج».

الكلام للنبي ﷺ يحلف أنه مؤمن به ومحبه له فيدنى مجلسه فأكذبه الله في ذلك ومز بزرع وحخر لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلاً كما قال تعالى (١):

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَهُنَالِكَ الْخَرْت وَالنَّسْلُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾

٢٠٥ ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ انصرف عنك ﴿سَعَى﴾ مشى ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَهُنَالِكَ الْخَرْتُ وَالنَّسْلُ﴾ من جملة الفساد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ أي لا يرضى به

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦]

٢٠٦ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ في فعلك ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ حملته الأنفة والحمية على العمل ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الذي أمر باتقائه ﴿فَحَسْبُهُ﴾ كافيه ﴿جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش هي

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْهَاتٍ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَاصِينَ﴾ [البقرة: ٢٠٧]

٢٠٧ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي﴾ يبيع ﴿نَفْسَهُ﴾ أي يبذلها في طاعة الله ﴿ابْتِغَاءً﴾ طلب ﴿مَرْهَاتٍ﴾ اللغو، رضاه، وهو صهيب لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَبِيدِ﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه (٢).

(١) أسباب نزول الآية ٢٠٤: أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «لما أصيبت الشربة التي فيها عاصم ومرند، قال رجلان من المنافقين: يا ويح هؤلاء المقتولين، الذين هلكوا هكذا، لا هم قعدوا في أهلهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ الآية». أخرج ابن جرير عن الشدي قال: «ونزلت في الأخنس ابن شريق التقي، أقبل إلى النبي ﷺ فأظهر له الإسلام، فأعجبه النبي ﷺ ذلك منه، ثم خرج من عند النبي ﷺ فرمى بزرع لقوم من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع، وعقر الحمر، فأنزل الله الآية».

(٢) أسباب نزول الآية ٢٠٧: أخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده، وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب قال: «أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي ﷺ فأتبعه نفر من قريش، فنزلت عن راحلته وانتبل ما في كنانته، ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أنني من أربابكم رجلاً، وإيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي كل سهم معي في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

٢٠١ ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ نعمة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ هي الجنة ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ بعدم دخولها وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين والقصد به الحث على طلب خير الدارين كما وعد بالشواب عليه بقوله:

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢]

٢٠٢ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ ثواب ﴿مِنْ﴾ أجل ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ عملوا من الحج والدعاء ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣]

٢٠٣ ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ أي أيام التشريق الثلاثة ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي استعجل بالنفر من منى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بذلك أي هم مخبرون في ذلك ونفي الإثم ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ الله في حجه لأنه الحاج في الحقيقة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]

٢٠٤ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا يعجبك في الآخرة لمخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أنه موافق لقوله ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك لعداوتك لك وهو الأخنس بن شريق كان منافقاً حلواً

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطٰنِ ۗ اِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]

٢٠٨ ونزل في عبد الله في سلام وأصحابه لما
عظّموا السبت وكرهوا الإبل بعد الإسلام ﴿يَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ بفتح السين
وكسرهما الإسلام ﴿كَآفَّةً﴾ حال من السلم أي في
جميع شرائعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ طرق
﴿الشَّيْطٰنِ﴾ أي تزيينه بالتفريق ﴿اِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُّبِينٌ﴾ بين العداوة (١)

﴿فَاَنزَلْنَا لَهُمْ مِن بَدْرِ مَاءً يُبْرِئُ الْوَدَانَ
وَالَّذِينَ اٰمَنُوا مِن بَدْرِ مَاءٍ كَالسَّلْوٰنِ ۗ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ لَعْنٌ شَدِيْدَةٌ
عَظِيْمَةٌ ۗ﴾ [البقرة: ٢٠٩]

٢٠٩ ﴿فَاَنزَلْنَا لَهُمْ﴾ ملتم عن الدخول في
جميعه ﴿مِن بَدْرِ مَاءٍ﴾ بفتح الباء ﴿كَالسَّلْوٰنِ﴾ الحجج
الظاهرة على أنه حق ﴿فَاَعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ عَزِيْزٌ﴾ لا
يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيْمٌ﴾ في صنعه
﴿هَلْ يَنْظُرُوْنَ اِلَّا اَنْ يَّاتِيَهُمُ اللّٰهُ فِيْ ظُلُمٍ مِّنَ اللَّيْلِ
وَالَّذِيْ كَفَرُوْا فَهُمْ يَخِوْنُوْنَ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُ
ۗ﴾ [البقرة: ٢١٠]

٢١٠ ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُوْنَ﴾ ينتظر التاركون
الدخول فيه ﴿اِلَّا اَنْ يَّاتِيَهُمُ اللّٰهُ﴾ أي أمره كقوله أو
يأتي أمر ربك أي عذابه ﴿فِي ظُلُمٍ﴾ جمع ظلة
﴿مِّنَ اللَّيْلِ﴾ السحاب ﴿وَالَّذِيْ كَفَرُوْا فَهُمْ يَخِوْنُوْنَ
اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُ ۗ﴾ [البقرة: ٢١١]

شيء، ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة،
وخليت سبيلي قالوا: نعم. فلما قدم على النبي ﷺ المدينة
قال: ربح البيع أبا يحيى ربح أبا يحيى، ونزلت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يُّشْرِي نَفْسَهُ اِيْتَاةً مَّرْضَاةً اللّٰهُ وَاللّٰهُ رَءُوْفٌ بِالْعٰبِدِيْنَ﴾. وأخرج
الحاكم في المستدرک نحوه، من طريق ابن المسيب، عن
صهيب موصولاً.

* وأخرج أيضاً نحوه من مرسل عكرمة. وأخرجه أيضاً من
طريق حماد بن مسلمة، عن ثابت، عن أنس؛ وفيه التصريح
بنزول الآية، وقال صحيح على شرط مسلم. وأخرج ابن جرير
عن عكرمة قال: «نزلت في صهيب، وأبي ذر وجندب بن
الشكّين»، أحد أهل أبي ذر.

(١) أسباب نزول الآية ٢٠٨: أخرج ابن جرير عن عكرمة
قال: «نزلت في ثعلبة، وعبد الله بن سلام، وابن يامين، وأسد
وأسيد ابني كعب، وسعيد بن عمرو، وقيس بن زيد، كلهم
من يهود قالوا: يا رسول الله يوم السبت يوم نعظمه فدعنا
فلنؤثيث فيه؛ وإن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها بالليل،
فنزلت: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ الآية».

٢١١ ﴿سَلِّ﴾ يا محمد ﴿بِنَبِيِّ إِسْرٰئِيْلَ﴾ تبيكياً
﴿كَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ كم استفهامية معلقة سل عن
المفعول الثاني وهي ثاني مفعول آتينا ومميزها ﴿مِنَ
ءَايَةِ بَيِّنَةٍ﴾ ظاهرة كفلق البحر وإنزال المن والسلوى
فبدلوا كفراً ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّٰهِ﴾ أي ما أنعم
به عليه من الآيات لأنها سبب الهداية ﴿مِنَ بَعْدِ مَا
جَاءَتْهُ﴾ كفرة ﴿فَاِنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ﴾ له

﴿رَبِّنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اَلْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَنَسَحَرُوْنَ مِّنَ الَّذِيْنَ
ءَامَنُوْا وَالَّذِيْنَ اٰتَقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَاللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ
يَّشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢]

٢١٢ ﴿رَبِّنَ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوْا﴾ من أهل مكة
﴿اَلْحَيٰوةَ الدُّنْيَا﴾ بالتمويه فاحبوها ﴿وَمَنْ﴾ هم
﴿يَسْحَرُوْنَ مِّنَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا﴾ لفرهم كبلال وعمار
وصهيب أي يستهزئون بهم ويتعالون عليهم بالمال
﴿وَالَّذِيْنَ اٰتَقَوْا﴾ الشرك وهم هؤلاء ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ
الْقِيٰمَةِ وَاللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي رزقا
واسعاً في الآخرة أو الدنيا بأن يملك المسخور
منهم أموال الساخرين ورقابهم

﴿كَانَ النَّاسُ اُمَّةً وَّاحِدَةً فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيِّْنَ مُبَشِّرِيْنَ
وَمُنْذِرِيْنَ وَاَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ
فِيْمَا اٰخْتَلَفُوْا فِيْهِ وَمَا اٰخْتَلَفَ فِيْهِ اِلَّا الَّذِيْنَ اُوْتُوْهُ مِنْ
بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمْ الْبَيِّنٰتُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّٰهُ الَّذِيْنَ
ءَامَنُوْا لِمَا اٰخْتَلَفُوْا فِيْهِ مِنَ الْحَقِّ بِاِذْنِهِ وَاللّٰهُ يَهْدِيْ مَنْ
يَّشَآءُ اِلٰى صِرٰطٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]

٢١٣ ﴿كَانَ النَّاسُ اُمَّةً وَّاحِدَةً﴾ على الإيمان
فاختلفوا بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿فَبَعَثَ اللّٰهُ
النَّبِيِّْنَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِيْنَ﴾ من آمن بالجنة
﴿وَمُنْذِرِيْنَ﴾ من كفر بالنار ﴿وَاَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتٰبَ﴾
بمعنى الكتب ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ «أنزل»
﴿لِيَحْكُمَ﴾ به ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اٰخْتَلَفُوْا فِيْهِ﴾ من
الدين ﴿وَمَا اٰخْتَلَفَ فِيْهِ﴾ أي الدين ﴿اِلَّا الَّذِيْنَ

تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ ﴿٢١٦﴾ إِنْفَاقٍ أَوْ غَيْرِهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾
فمجاز عليه (١)

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

٢١٦ ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ﴾ للكفار ﴿وَهُوَ كَرْهٌ﴾ مكرهه ﴿لَكُمْ﴾ طبعيا لمشيقته ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ لميل النفس إلى الشهوات الموجبة لهلاكها ونفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها فلعل لكم في القتال وإن كرهتموه خيرا لأن فيه إما الظفر والغنيمه أو الشهادة والأجر وفي تركه وإن أحببتموه شرا لأن فيه الذل والفقر وجرمان الأجر ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو خير لكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ وَقِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُسْأَلُونَكَ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَمَّتْ وَهُوَ كَايٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]

٢١٧ وأرسل النبي ﷺ أول سراياه وعليها عبد الله بن جحش فقاتلوا المشركين وقتلوا ابن الحضرمي آخر يوم من جمادى الآخرة والتبس عليهم برجب فغيرهم الكفار باستحلاله فنزل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْمِحْرَمِ﴾ ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل اشتمال ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ عظيم وزرا مبتدأ وخبر ﴿وَصَدٌّ﴾ مبتدأ منع للناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ بالله ﴿وَو﴾ صد عن

(١) أسباب نزول الآية ٢١٥: أخرج ابن جرير عن ابن جريح قال: سأل المؤمنون رسول الله ﷺ أين يضعون أموالهم؟ فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ الآية. وأخرج ابن المنذر عن أبي حيان، أن عمرو بن الجموح سأل النبي ﷺ: «ماذا ننفق من أموالنا؟ وأين نضعها؟ فنزلت.»

أوتوه ﴿أَي الْكِتَابِ فَأَمَّن بَعْضٌ وَكُفِرَ بَعْضٌ﴾ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج الظاهرة على التوحيد ، ومن متعلقة بـ «اختلف» وهي وما بعدها مقدم على الاستثناء في المعنى ﴿بَغْيًا﴾ من الكافرين ﴿يَتَّبِعُهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ لُبْسَانِ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَّخَلَفُوا بِالْحِكْمَةِ وَلَمَّا بَأْتَكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا بِأَنَّ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾

٢١٤ ونزل في جهد أصاب المسلمين ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَّخَلَفُوا بِالْحِكْمَةِ وَلَمَّا بَأْتَكُمْ مَثَلُ﴾ شبه ما أتى ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من المؤمنين من المحن فتصبروا كما صبروا ﴿مَسَّتْهُمُ﴾ جملة مستأنفة مبنية ما قبلها ﴿الْبَأْسَاءُ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَاءُ﴾ المرض ﴿وَزُلْزَلُوا﴾ أزعجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّى يَقُولَ﴾ بالنصب والرفع أي قال ﴿الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ استبطاء للنصر لتناهي الشدة عليهم ﴿مَتَى﴾ يأتي ﴿نَصُرَ اللَّهُ﴾ الذي وُعدناه فأجيبوا من قبل الله ﴿أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ إتيانه (١)

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]

٢١٥ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي الذي ينفقونه ، والسائل عمرو بن الجموح وكان شيخا ذا مال فسأل ﷺ عما ينفق وعلي من ينفق ؟ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ بيان لما شامل للقليل والكثير وفيه بيان المنفق الذي هو أحد شقي السؤال وأجاب عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله: ﴿لِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أي هم أولى به ﴿وَمَا﴾

(١) أسباب نزول الآية ٢١٤: قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة قال: «نزلت هذه الآية في يوم الأحزاب، أصاب النبي ﷺ وأصحابه يومئذ بلاءٌ وحصر.»

﴿إِنَّكُمْ كَبِيرٌ﴾ عظيم ، وفي قراءة بالمثلثة ﴿كثير﴾ لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش ﴿وَمَتَاعٌ لِلنَّاسِ﴾ باللذة والفرح في الخمر وإصابة المال بلا كد في الميسر ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي ما ينشأ عنهم من المفساد ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ ولما نزلت شربها قوم وامتنع عنها آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي ما قدره ﴿قُلْ﴾ أنفقوا ﴿العَفْوُ﴾ أي الفاضل عن الحاجة ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم ، وفي قراءة بالرفع بتقدير هو ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (١) .

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ عَنْهُ عَزِيرٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]

٢٢٠ ﴿فِي﴾ أمر ﴿الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فتأخذون بالأصلح لكم فيهما ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾ وما يلقونه من الحرج في شأنهم فإن اكلوهم يأتموا وإن عزلوا ما لهم من أموالهم وصنعوا لهم طعاما وحدهم فحرج ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ﴾ في أموالهم بتتميتها ومدخلتكم ﴿خَيْرٌ﴾ من ترك ذلك ﴿وَإِنْ تُخَالطُوهُمْ﴾ أي تخلطوا بنفقتكم بنفقتهم ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي فهم إخوانكم في الدين ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه أي فلکم ذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ بها فيجازي كلا منهما ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ﴾ لضيق عليكم بتحريم المخالطة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعته (٢) .

(١) أسباب نزول الآية ٢١٩: قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ يأتي حديثها في سورة المائدة.

* قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس أن نفزا من الصحابة حين أمروا بالشفقة في سبيل الله أتوا النبي ﷺ ، فقالوا: «إنا لا ندري ما هذه النفقة التي أمرنا بها في أموالنا فما ننفق منها؟ فأنزل الله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ الْعَفْوُ﴾ .

* وأخرج أيضا عن يحيى: أنه بلغه أن معاذ بن جبل وثلاثة أتيا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن لنا أرقاء وأهلين فما ننفق من أموالنا؟ فأنزل الله هذه الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ٢٢٠: أخرج أبو داود، والثسائي،

﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي مكة ﴿وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون وخبر المبتدأ ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم وزرا ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ من القتال فيه ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشرك منكم ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لكم فيه ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي الكفار ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿حَتَّى﴾ كي ﴿يَزِدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿إِنْ اشْتَطَعُوا وَمَنْ يَزِدْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَعِثْتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحة ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها والتقيد بالموت عليه يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله فيثاب عليه ولا يعيده كالحج مثلا وعليه الشافعي ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١) .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

٢١٨ ولما ظن السرية أنهم إن سلموا من الإنم فلا يحصل لهم أجر نزل ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ فارقوا أوطانهم ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ ثوابه ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَغْفُورُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]

٢١٩ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار ما حكمهما ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فِيهِمَا﴾ أي في تعاطيها

(١) أسباب نزول الآية ٢١٧: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، والطبراني في الكبير، والبيهقي في سننه، عن جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطا، وبعث عليهم عبد الله ابن جحش، فلقوا ابن الحضرمي، وقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى، فقال المشركون للمسلمين: «قتلتم في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالِ فِيهِ﴾ الآية». فقال بعضهم: «إن لم يكونوا أصابوا وزرا ليس لهم أجر، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

* وأخرجه ابن منده في الصحابة من طريق عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس.

﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

٢٢٢ ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ أي الحيض أو مكانه ماذا يفعل بالنساء فيه ﴿قُلْ هُوَ أَذَىٰ﴾ قدر أو محله ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ اتركوا وطأهن ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ أي وقته أو مكانه ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ بسكون الطاء وتشديدها والهاء وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء أي يغتسلن بعد انقطاعه ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ بتجنبه في الحيض وهو القبل ولا تعدوه إلى غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ يثيب ويكرم ﴿التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ من الأقدار (١).

﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْي شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَائِقَةٌ وَبَشِّرِ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]

٢٢٣ ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ أي محل زرعكم الولد ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ أي محله وهو القبل ﴿أَنْي﴾ كيف ﴿شِئْتُمْ﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار ونزل ردا لقول اليهود: من أتى امرأته في قبلها أي من جهة دبرها جاء الولد أحول ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ العمل الصالح كالترسمية عند الجماع ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَائِقَةٌ﴾ بالبعث فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين اتقوه بالجنة (٢).

(١) أسباب نزول الآية ٢٢٢: روى مسلم، والترمذي، عن انس: «أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يواكلوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ، فأُنزل الله: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ الآية، فقال: اصنعوا كل شيء إلا النكاح». وأخرج البارودي في الصحابة من طريق ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد، عن ابن عباس أن ثابت بن الدحداح سأل النبي ﷺ، فنزلت: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن الشدي نحوه.

(٢) أسباب نزول الآية ٢٢٣: روى الشيخان، وأبو داود، والترمذي، عن جابر قال: «كانت اليهود تقول: إذا جامعها من

﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تَدْعُوا إِلَىٰ النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيَسِّرُ الْيُسْرَىٰ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]

٢٢١ ﴿وَلَا تُنكِحُوا﴾ تزوجوا أيها المسلمون ﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾ أي الكافرات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾ حرة لأن سبب نزولها العيب على من تزوج أمة وترغيبه في نكاح حرة مشركة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ لجمالها ومالها وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ﴿وَلَا تُنكِحُوا﴾ تُزَوِّجُوا ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ أي الكفار المؤمنات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تَدْعُوا إِلَىٰ النَّارِ﴾ أي أهل الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَىٰ النَّارِ﴾ بدعائهم إلى العمل الموجب لها فلا تليق مناكحتهم ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو﴾ على لسان رسوله ﴿إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ أي العمل الموجب لهما ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته فتجب إجابته بتزويج أوليائه ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يعظون (١).

والحاكم، وغيرهم عن ابن عباس قال: «لما نزلت: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، و «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ» الآية، انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرايه من شرايه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأُنزل الله: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾ الآية».

(١) أسباب نزول الآية ٢٢١: أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والواحدي، عن مقاتل قال: «نزلت هذه الآية في ابن أبي مرثد الغنوي، استأذن النبي ﷺ في عناق أن يتزوجها، وهي مشركة، وكانت ذا حظ وجمال، فنزلت.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ الآية» أخرج الواحدي من طريق الشدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء، وأنه غضب عليها فلطمها، ثم إنه فرغ فأتى النبي ﷺ فأخبره وقال: لأعقنها ولأنزولها ففعل، فظعن عليه ناس من المسلمين، وقالوا ينكح أمة، فأُنزل الله هذه الآية». وأخرجه ابن جرير عن الشدي منقطعاً.

نزولها الامتناع من ذلك ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم (١)

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

٢٢٥ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف نحو والله ، وبلى والله ، فلا إثم عليه ولا كفارة ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي قصده من الإيمان إذا حنثتم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لما كان من اللغو ﴿رَحِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها

﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَابِهِمْ رِئْصَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦]

٢٢٦ ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَابِهِمْ﴾ أي يحلفون أن لا يجامعوهن ﴿رِئْصَ﴾ انتظار ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا﴾ رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم

﴿وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[البقرة: ٢٢٧]

٢٢٧ ﴿وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ أي عليه بأن لم يفثوا فليوقعوه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بعزمهم المعنى ليس لهم بعد تربص ما ذكر إلا الفيئة أو الطلاق

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَوَعِلْنَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]

٢٢٨ ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي لينتظرن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ عن النكاح ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ تمضي من حين الطلاق ، جمع قرء بفتح القاف وهو الطهر أو الحيض قولان وهذا في المدخول بهن أما غيرهن

(١) أسباب نزول الآية ٢٢٤: أخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال: «حدثت أن قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ الآية، نزلت في أبي بكر في شأن يشطح».

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

٢٢٤ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾ أي الحلف به ﴿عُرْضَةً﴾ علة مانعة ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾ أي نصباً لها بأن تكثروا الحلف به ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾ فتكره اليمين على ذلك ويسن فيه الحنث ويكفر بخلافها على فعل البر ونحوه فهي طاعة ﴿وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ المعنى لا تمتنعوا من فعل ما ذكر من البر ونحوه إذا حلقتم عليه بل اتوه وكفروا لأن سبب

ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿بِنِسَائِكُمْ خَوْتُكُمْ لَكُمْ فَأْتُوا خَوْنَكُمْ إِنِّي شَيْتَانٌ﴾.

* وأخرج أحمد، والترمذي، عن ابن عباس قال: «جاء عمر إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، هلكت. قال: وما أهلكك؟ قال: حوّلت رجلي الليلة، فلم يرّد عليه شيئاً، فأنزل الله هذه الآية: ﴿بِنِسَائِكُمْ خَوْتُكُمْ لَكُمْ فَأْتُوا خَوْنَكُمْ إِنِّي شَيْتَانٌ﴾. يقول: أقبل وأدير وأتق الدبر والحليضة».

* وأخرج ابن جرير، وأبو يعلى، وابن مردويه، من طريق زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري: «أن رجلاً أصاب امرأته في دبرها، فأنكر الناس عليه ذلك فأنزلت: ﴿بِنِسَائِكُمْ خَوْتُكُمْ لَكُمْ﴾ الآية. وأخرج البخاري عن ابن عمر قال: «أنزلت هذه الآية في إتيان النساء في أدبارهن».

* وأخرج الطبراني في الأوسط بسند جيد عنه قال: «إنما أنزلت على الرسول ﷺ: ﴿بِنِسَائِكُمْ خَوْتُكُمْ لَكُمْ﴾ رخصة في إتيان الدبر». وأخرج أيضاً عنه: «أن رجلاً أصاب امرأة في دبرها في زمن رسول الله ﷺ فأنكر ذلك، فأنزل الله: ﴿بِنِسَائِكُمْ خَوْتُكُمْ لَكُمْ﴾».

* وأخرج أبو داود، والحاكم، عن ابن عباس قال: «إن ابن عمر والله يغفر له وهم، إنما كان أهل هذا الحي من الأنصار - وهم أهل وثن - مع هذا الحي من يهود - وهم أهل كتاب - كانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من أمر أهل الكتاب أنهم لا يأتون النساء إلا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة، وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرخاً ويتلذذون منهن مقبلات ، ومديبرات، ومستلقيات. فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت: إنما كنتا نؤتي على حرف ففسر أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿بِنِسَائِكُمْ خَوْتُكُمْ لَكُمْ فَأْتُوا خَوْنَكُمْ إِنِّي شَيْتَانٌ﴾ أي مقبلات، ومديبرات، ومستلقيات، يعني بذلك موضع الولد».

* قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: «وهذا الشئب الذي ذكره ابن عمر - في نزول الآية مشهور، وكان حديث أبي سعيد لم يبلغ ابن عباس وبلغه حديث ابن عمر فوّهته فيه».

﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ أي الزوجان ﴿أَنْ﴾ ن ﴿لَا يُقِيمَا﴾
 حُدُودَ اللَّهِ أي لا يأتيها بما حده لهما من
 الحقوق وفي قراءة ﴿يُخَافَا﴾ بالبناء للمفعول فإن لا
 يقيما بدل اشتغال من الضمير فيه وقرئ بالفوقانية
 في الفعلين إلا أن تخاف لاقئما ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ ن
 ﴿لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ ﴿فِيمَا﴾
 افْتَدَتْ بِهِ ﴿نَفْسُهُمَا﴾ من المال ليطلقها أي لا حرج
 على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله ﴿تَبْلُكَ﴾
 الأحكام المذكورة ﴿حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ﴾
 يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾
 فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ طَلَّ أَنْ يُقِيمَا
 حُدُودَ اللَّهِ وَتَبْلُكَ حُدُودَ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

٢٣٠ ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزوج بعد الشنتين ﴿فَلَا﴾
 يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ أَي بعد الطلقة الثالثة ﴿حَتَّى﴾
 تَنْكِحَ ﴿زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ويطأها كما في
 الحديث رواه الشيخان ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ أي الزوج
 الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي الزوجة والزوج
 الأول ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ إلى النكاح بعد انقضاء العدة
 ﴿إِنْ طَلَّ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتَبْلُكَ﴾ المذكورات
 ﴿حُدُودَ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون .

* * *

(١) أسباب نزول الآية ٢٢٩: أخرج الترمذي، والحاكم،
 وغيرهما عن عائشة قالت: «كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن
 يطلقها، وهي امرأته، إذا ارتجعها وهي في العدة، وإن طلقها
 مائة مرة وأكثر. حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فبينني
 متي ولا أويك أبدا. قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك
 فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك، فذهبت المرأة
 وأخبرت النبي ﷺ، فسكت حتى نزل القرآن: «الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ
 فَإِذَا سَكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَشْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ».

* قوله تعالى: «وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ» الآية. أخرج أبو داود في
 النسخ والنسخ عن ابن عباس قال: «كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن
 من امرأته نحلته الذي نحلها وغيره لا يرى أن عليه جناحا،
 فأنزل الله: «وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا».
 وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: «نزلت هذه الآية في
 ثابت بن قيس، وفي حبيبة وكانت اشتكته إلى رسول الله ﷺ
 فقال أتردين عليه حديثه؟ فقالت: نعم، فدعا، فذكر ذلك
 له، فقال: وتطيب لي بذلك؟ قال: نعم، قال: قد فعلت،
 فنزلت: «وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا
 أَنْ يَخَافَا» الآية.

فلا عدة عليهن لقوله ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾
 وفي غير الآية والصغيرة فعدتهن ثلاثة أشهر
 والحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن كما في سورة
 الطلاق والإماء فعدتهن قرءان بالسنة ﴿وَلَا يَحِلُّ﴾
 لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴿مَنْ﴾
 الولد والحيض ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾
 وَبُعُولَتِهِنَّ ﴿أَزْوَاجَهُنَّ﴾ ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ بمراجعتهن
 ولو أتيتن ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي في زمن التربص ﴿إِنْ﴾
 أَرَادُوا إِصْلَاحًا ﴿بَيْنَهُمَا﴾ لا إضرار المرأة، وهو
 تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة وهذا
 في الطلاق الرجعي وأحق لا تفضيل فيه إذ لا حق
 لغيرهم من نكاحهن في العدة ﴿وَلَهُنَّ﴾ على
 الأزواج ﴿مِثْلُ الَّذِي﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ من الحقوق
 ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعا من حسن العشرة وترك
 الإضرار ونحو ذلك ﴿وَاللرِّجَالُ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾
 فضيلة في الحق من وجوب طاعتهم لهم لما ساقوه
 من المهر والإنفاق ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه
 ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبَّره لخلقه ﴿١﴾.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِذَا سَكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَشْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾
 وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا
 أَنْ يَخَافَا إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
 اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تَبْلُكَ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا
 تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾

[البقرة: ٢٢٩]

٢٢٩ ﴿الطَّلَاقُ﴾ أي التطلق الذي يراجع بعده
 ﴿مَرَّتَانِ﴾ أي اثنتان ﴿فَإِذَا سَكَ﴾ أي فعليكم
 إمساكهن بعده بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير
 ضرار ﴿أَوْ تَشْرِيحٍ﴾ أي إرسال لهن ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ وَلَا
 يَحِلُّ لَكُمْ ﴿أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ﴾ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا
 آتَيْتُمُوهُنَّ ﴿مِنَ الْمَهْرِ﴾ ﴿شَيْئًا﴾ إذا طلقتموهن

(١) أسباب نزول الآية ٢٢٨: أخرج أبو داود، وابن أبي
 حاتم، عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية قالت:
 «طلقت على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للمطلقة عدة،
 فأنزل الله العدة للطلاق: «وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَضَّنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ
 قُرُوءٍ». وذكر الثعلبي، وهبة الله بن سلامة في «الناسخ» عن
 الكلبي، ومقاتل، أن إسماعيل بن عبد الله الغفاري: «طلق
 امرأته قتيبة على عهد رسول الله ﷺ ولم يعلم بحملها، ثم
 علم فراجعها، فولدت فماتت ولدها، فنزلت:
 «وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَضَّنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ».

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْتُنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَنْ تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ ذِكْرُكُمْ أَنْتُمْ لَكُمْ وَأَطْرَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

٢٣٢ ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْتُنَّ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خطاب للأولياء أي تمنعوهن من ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ المطلقين لهن لأن سبب نزولها أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فأراد أن يراجعها فمنعها معقل بن يسار كما رواه الحاكم ﴿وَإِذَا تَرَاضَوْا﴾ أي الأزواج والنساء ﴿بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعا ﴿ذَلِكَ﴾ النهي عن العضل ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لأنه المنتفع به ﴿ذَلِكَ﴾ أي ترك العضل ﴿أَرْكَى﴾ خير ﴿لَكُمْ وَأَطْرَهُ﴾ لكم ولهم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه المصلحة ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فاتبعوا أوامره ^(١).

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِيَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ وِجْرًا إِلَّا وَسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بَوْلِدًا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِضَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٢٣٢: روى البخاري، وأبو داود، والترمذي، وغيرهم، عن معقل بن يسار أنه زوج أخته رجلاً من المسلمين، فكانت عنده، ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت العدة، فهبها وهبته، فخطبها مع الخطاب، فقال له: يا لكع أكرمتك بها وزوجتكها فطلقته والله لا ترجع إليك أبداً، فعلم الله حاجتها إليها وحاجتها إليه فأنزل الله: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، فلما سمعها معقل قال: سمع لربي وطاعة، ثم دعاه وقال: أزوجك وأكرمك. وأخرجه ابن مردويه من طرق كثيرة.

* ثم أخرج عن الشدي قال: «نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري، وكانت له ابنة عم فطلقها زوجها فأنقضت عدتها، ثم رجع يريد رجعتها، فأبى جابر، فقال: طلقت ابنة عمنا ثم تريد أن تتكحها الثانية، وكانت المرأة تريد زوجها قد راضته، فنزلت هذه الآية. والأول أصح، وهو أقوى.

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْتُنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَنْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُنْكِسُوهُنَّ سِرّاً لِيَتَّخِذُوا مِنْ بَعْضِ ذَلِكَ ظَلماً لِنَفْسِهِمْ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَادْكُرُوا فِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يُعْظِمُ بِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءاً عَالِماً﴾ [البقرة: ٢٣١]

٢٣١ ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْتُنَّ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿فَأَنْسِكُوهُنَّ﴾ بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرر ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ﴾ أي تركوهن حتى تنتهي عدتهن ﴿وَلَا تُنْكِسُوهُنَّ﴾ بالرجعة ﴿سِرّاً﴾ مفعول لأجله ﴿لِيَتَّخِذُوا﴾ عليهن بالإلجاء إلى الافتداء والتطليق وتطويل الحبس ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضها إلى عذاب الله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً﴾ مهزواً بها بمخالفتها ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿يُعْظِمُكُمْ بِهِ﴾ بأن تشكروها بالعمل به ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءاً عَالِماً﴾ ولا يخفى عليه شيء ^(١)

(١) أسباب نزول الآية ٢٣٠: أخرج ابن المنذر عن مقاتل ابن حيان قال: «نزلت هذه الآية في عائشة بنت عبد الرحمن ابن عتيك، كانت عند رفاعة بن وهب بن عتيك وهو ابن عمها، فطلقها طلاقاً بائناً، فنزّجت بعده عبد الرحمن بن الزبير القرظي، فطلقها. فأتت النبي ﷺ فقالت: إنه طلقني قبل أن يمسي فأرجع إلي الأول؟ فقال ﷺ: لا حتى يمسي... ونزل فيها: «فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ». فبجامعها: «فَإِنْ طَلَّقَهَا» بعد ما جامعها «فلا جناح عليهما أن يترابعا».

(٢) أسباب نزول الآية ٢٣١: أخرج ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عباس، قال: «كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها، ثم يطلقها. يفعل ذلك يضارها ويعضلها، فأنزل الله هذه الآية».

* وأخرج عن الشدي قال: «نزلت في رجل من الأنصار يُدعى ثابت بن يسار طلق امرأته، حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثاً راجعها ثم طلقها بمضارة. فأنزل الله: ﴿وَلَا تُنْكِسُوهُنَّ سِرّاً لِيَتَّخِذُوا﴾».

* قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً﴾. أخرج ابن أبي عمير في مسنده، وابن مردويه عن أبي الدرداء قال: «كان الرجل يطلق ثم يقول: لعبت ويعتق ثم يقول لعبت، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً﴾. وأخرج ابن المنذر عن عبادة بن الصامت نحوه. وأخرج ابن مردويه نحوه عن ابن عباس. وأخرج ابن جرير نحوه من مرسل الحسن.

أَوْ أَكْتَنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذُكَّرُونَهُنَّ
وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا
وَلَا تَزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ [البقرة: ٢٣٥]

٢٣٥ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ لَوْحَتُمْ
بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ المتوفى عنهن أزواجهن في
العدة كقول الإنسان مثلاً: إنك لجميلة ، ومن يجد
مثلك ، ورب راغب فيك ﴿أَوْ أَكْتَنَنْتُمْ﴾ أضمرتم
﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من قصد نكاحهن ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ
سَتَذُكَّرُونَهُنَّ﴾ بالخطبة ولا تصبرون عنهن فأباح
لكم التعريض ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي
نكاحاً ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي ما
عرف شرعاً من التعريض فلکم ذلك ﴿وَلَا تَزِمُوا
عَقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ أي على عقده ﴿حَتَّى يَبْلُغَ
الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ أي المكتوب من العدة ﴿أَجَلَهُ﴾ بأن
تنتهي ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من
العزم وغيره ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾ أن يعاقبكم إذا عزمتم
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لمن يحذره ﴿حَلِيمٌ﴾
بتأخير العقوبة عن مستحقها.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ
تَفَرَّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَتَمَسُّوهُنَّ عَلَى الْمَوْجِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى
الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾

٢٣٦ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ
تَمْسُوهُنَّ﴾ وفي قراءة ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي تجمعهن
﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَفَرَّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مهراً ، وما
مصدرية ظرفية أي لا تبعة عليكم في الطلاق زمن
عدم المسيس والفرض بإثم ولا مهر فطلقوهن
﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿عَلَى
الْمَوْجِعِ﴾ الغني منكم ﴿قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ﴾ الضيق
الرزق ﴿قَدَرُهُ﴾ يفيد أنه لا نظر إلى قدر الزوجة
﴿مَتَاعًا﴾ تمتعاً ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً صفة متاعاً
﴿حَقًّا﴾ صفة ثانية أو مصدر مؤكدة ﴿عَلَى
الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين.

﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيَصِفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ
يَعْفُوا الَّذِي يَدْرُهُ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ

٢٣٣ ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ﴾ أي ليرضعن
﴿أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ عامين ﴿كَامِلَيْنِ﴾ صفة
مؤكدة، ذلك ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ ولا
زيادة عليه ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أي الأب
﴿رِزْقُهُنَّ﴾ إطعام الوالدات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ على
الإرضاع إذا كن مطلقات ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر
طاقته ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها ﴿لَا
تُضَارُّ وَالِدَةُ بَوْلِيدِهَا﴾ أي بسببه بأن تكره على
إرضاعه إذا امتنعت ﴿وَلَا﴾ يضار ﴿مَوْلُودٌ لَهُ
بَوْلِيدِهِ﴾ أي بسببه بأن يكلف فوق طاقتة وإضافة
الولد إلى كل منهما في الموضعين للاستعطف
﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ أي وارث الأب وهو الصبي أي
على وليه في ماله ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾ الذي على الأب
للوالدة من الرزق والكسوة ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي
الوالدان ﴿فِضَالًا﴾ فطاماً له قبل الحولين صادراً
﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾ اتفاق ﴿بَيْنَهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما
لتظهر مصلحة الصبي فيه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في
ذلك ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ خطاب للآباء ﴿أَنْ تَشْتَرُوا
أَوْلَادَكُمْ﴾ مرضع غير الوالدات ﴿فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ﴾ فيه ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ إليهن ﴿مَا آتَيْتُمْ﴾ أي
أردتم إتياءه لهن من الأجرة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالجميل
كطيب النفس ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيضَنَ
بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤]

٢٣٤ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ يموتون ﴿مِنْكُمْ
وَيَذَرُونَ﴾ يتركون ﴿أَزْوَاجًا يَرِيضَنَ﴾ أي ليربصن
﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ بعدهم عن النكاح ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ
وَعَشْرًا﴾ من الليالي وهذا في غير الحوامل وأما
الحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن بأية الطلاق
والأمة على النصف من ذلك بالسنة ﴿فَإِذَا بَلَغَ
أَجَلُهُنَّ﴾ انقضت مدة تربصهن ﴿فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من
التزيب والتعرض للخطاب ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً
﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ

﴿فَرَجَالًا﴾ جمع راجل أي مشاة صلوا ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكب أي كيف أمكن مستقبلتي القبلة أو غيرها ويومئ بالركوع والسجود ﴿فَإِذَا أُمِيتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي صلوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها والكاف بمعنى مثل وما مصدرية أو موصولة.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٠]

٢٤٠ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا﴾ فليوصوا ﴿وَصِيَّةً﴾ وفي قراءة بالرفع أي عليهم ﴿لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ وليعطوهم ﴿مَتَاعًا﴾ ما يتمتع به من النفقة والكسوة ﴿إِلَى﴾ تمام ﴿الْحَوْلِ﴾ من موتهم الواجب عليهن تربصه ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ حال أي غير مخرجات من مسكنهن ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ بأنفسهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾ شرعا كالترزين وترك الإحداد وقطع النفقة عنها ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه، والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث وتربص الحول بآية أربعة أشهر وعشراً السابقة المتأخرة في النزول، والشكني ثابتة لها عند الشافعي رحمه الله (١).

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَوَفَّاتِ﴾

٢٤١ ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَاعٌ﴾ يعطينه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر الإمكان ﴿حَقًّا﴾ نصب بفعله المقدر ﴿عَلَى الْمُتَوَفَّاتِ﴾ الله تعالى كرره ليعم الممسوسة أيضا إذ الآية السابقة في غيرها (٢).

(١) أسباب نزول الآية ٢٤٠: أخرج إسحاق بن راهويه في تفسيره عن مقاتل بن حيان: «أن رجلا من أهل الطائف قدم المدينة وله أولاد رجال ونساء، ومعه أبواه وامراته، فمات بالمدينة، فوضع ذلك إلى النبي ﷺ فأعطى الوالدين، وأعطى أولاده بالمعروف ولم يعط امرأته شيئا، غير أنهم أمروا أن ينفقوا عليها من تركه زوجها إلى الحول، وفيه نزلت ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا﴾ الآية».

(٢) أسباب نزول الآية ٢٤١: أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: لما نزلت: ﴿وَمَتَّعُوهُمْ عَلَىٰ مَوْسِعٍ قَدْرَهُ وَعَلَىٰ الْقَيْتَرِ قَدْرَهُ﴾ متاعا بالمعروف حقا على المحسنين، قال رجل: إن أحسن

لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧]

٢٣٧ ﴿وَأَنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيُضْفَ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يجب لهن ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَغْفُونَ﴾ أي الزوجات فيتركه ﴿أَوْ يَغْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الثَّكَّاحِ﴾ وهو الزوج فيترك لها الكل، وعن ابن عباس: الولي إذا كانت محجورة فلا حرج في ذلك ﴿وَأَنْ تَغْفُوا﴾ مبتدأ خبره ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]

٢٣٨ ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها أقوال وأفردا بالذكر لفضلها ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾ في الصلاة ﴿قَانِتِينَ﴾ قيل مطيعين لقوله ﷺ: كل قنوت في القرآن فهو طاعة رواه أحمد وغيره، وقيل ساكتين لحديث زيد بن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام، رواه الشيخان (١).

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ رِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

٢٣٩ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدو أو سيل أو سبع

(١) أسباب نزول الآية ٢٣٨: أخرج أحمد، والبخاري في تاريخه، وأبو داود، والبيهقي، وابن جرير، عن زيد بن ثابت: «أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر بالهجرة، وكانت أثقل الصلاة على أصحابه، فنزلت: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾. أخرج أحمد، والنسائي، وابن جرير، عن زيد بن ثابت: «أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر بالهجر فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان، والناس في قائلتهم وتجارتهم، فأنزل الله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾. وأخرج الأئمة السنة وغيرهم عن زيد بن أرقم قال: «كنا نتكلم على عهد رسول الله ﷺ في الصلاة يكلم الرجل مئا صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام». وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: «كانوا يتكلمون في الصلاة، وكان الرجل يأمر أخاه بالحاجة، فأنزل الله: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾».

﴿كَذَلِكَ بَيَّنُّ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

٢٤٢ ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿بَيَّنُّ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تدبرون

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾

٢٤٣ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجب وتشويق إلى استماع ما بعده أي بينه علمك ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفا ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ مفعول له وهم قوم من بني إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم ففروا ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ بعد ثمانية أيام أو أكثر بدعاء نبيهم حزقييل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي [وهو نبي الله ذو الكفل] فعاشوا دهرًا عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوبًا إلا عاد كالكفن واستمرت في أسباطهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ ومنه إحياء هؤلاء ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال ولذا عطف عليه

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

٢٤٤ ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي لإعلاء دينه ﴿وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم فيجازيكم

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كثيرة﴾ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿

٢٤٥ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن ينفقه لله عز وجل عن طيب قلب ﴿فَيُضْعِفُهُ﴾ وفي قراءة ﴿فَيضْعفه﴾ بالتشديد. ﴿لَهُ أضعافًا كثيرة﴾ من عشر

فعلت وإن لم أرد ذلك لم أفعل. فأنزل الله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.

إلى أكثر من سبعمائة كما سيأتي ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾ يمسك الرزق عن من يشاء ابتلاء ﴿وَيَبْسُطُ﴾ يوسعه لمن يشاء امتحانًا ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة بالبعث فيجازيكم بأعمالكم (١).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ آتِنَا مِلْكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

٢٤٦ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ﴾ الجماعة ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ﴾ موت ﴿مُوسَى﴾ أي إلى قصتهم وخبرهم ﴿إِذِ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ﴾ هو شمويل ﴿آتِنَا﴾ أقم ﴿لَنَا مِلْكًا نُقَاتِلُ﴾ معه ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه ﴿قَالَ﴾ النبي لهم ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بالفتح والكسر ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ ن ﴿لَا تُقَاتِلُوا﴾ خبر عسى والاستفهام لتقرير التوقع بهم ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا﴾ ن ﴿لَا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا﴾ بسببهم وقتلهم وقد فعل بهم ذلك قوم جالوت أي لا مانع منه مع وجود مقتضيه ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾ عنه وجنبا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتي ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فمجازيهم وسأل النبي إرسال ملك فأجابته إلى إرسال طالوت

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٢٤٥: روى ابن حبان في صحيحه، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عمر قال: «لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فبعضهم يقرأه ﴿فَيضْعفه﴾ بالتشديد. ﴿لَهُ أضعافًا كثيرة﴾ من عشر فقلت وإن لم أرد ذلك لم أفعل. فأنزل الله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٤٧﴾

٢٤٧ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَأَقَالُوا أَتَىٰ كَيْفَ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة وكان دباغا أو راعيا ﴿وَلَمْ يَأْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ يستعين بها على إقامة الملك ﴿قَالَ﴾ النبي لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَاهُ﴾ اختاره للملك ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ تَسْطِطَةً﴾ سعة ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ وكان أعلم بني إسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خلقا ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكًا مَّن يَشَاءُ﴾ لإتيائه لا اعتراض عليه ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهل له

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿البقرة: ٢٤٨﴾

٢٤٨ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لما طلبوا منه آية على ملكه ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ الصندوق وكان فيه صور الأنبياء أنزله الله على آدم واستمر إليهم فغلبهم العمالة عليه وأخذوه وكانوا يستفتحون به على عدوهم ويقدمونه في القتال ويسكنون إليه كما قال تعالى ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ طمانينة لقلوبكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ وهي نعلا موسى وعصاه وعمامة هارون وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ورضاض من الألواح ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ حال من فاعل يأتيكم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ﴾ على ملكه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فحملته الملائكة بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت فأقروا بملكه وتسارعوا إلى الجهاد فاختر من شبابهم سبعين ألفا .

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكُم مُّبْتَلَوْنَ بِنَهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ

وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْكُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

٢٤٩ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ خرج ﴿طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ من بيت المقدس وكان الحر شديدا وطلبوا منه الماء ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ مختبركم ﴿بِنَهْرٍ﴾ ليظهر المطيع منكم والعاصي وهو بين الأردن وفلسطين ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي من ماءه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي من أتباعي ﴿وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ بالفتح والضم ﴿بِيَدِهِ﴾ فاكتمى بها ولم يزد عليها فإنه مني ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ فلما وافوه بكثرة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ فافتصروا على الغرفة روي أنها كفتهم لشربهم ودوابهم وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم الذين اقتصروا على الغرفة ﴿قَالُوا﴾ أي الذين شربوا ﴿لَا طَاقَةَ قُوَّةَ﴾ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴿أَي بَقْتَالِهِمْ وَجَبْنَا وَلَمْ يَجَاوِزُوهُ﴾ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ يَقْنُونُ ﴿أَنَّهُمْ مُّلْكُوا اللَّهَ﴾ بالبعث وهم الذين جاوزوه ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى كثير ﴿مِن فِئَةٍ﴾ جماعة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون والنصر

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَنْفِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿البقرة: ٢٥٠﴾

٢٥٠ ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي ظهروا لقتالهم وتصافوا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ أصب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

﴿فَهَرَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَهَاتَكَ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَإِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ ﴿البقرة: ٢٥١﴾

٢٥١ ﴿فَهَرَمُوهُم﴾ كسروهم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ وَهَاتَكَ﴾ أي داود ﴿اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ في بني

هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿البقرة: ٢٥٤﴾

٢٥٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ زكاته ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِدَاءٍ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ صداقة تنفع ﴿وَلَا شَفَاعَةً﴾ بغير إذنه وهو يوم القيامة ، وفي قراءة برفع الثلاثة ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بالله أو بما فرض عليهم ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لوضعهم أمر الله في غير محله .

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلَمْ يَلِكُ الْقَوْمُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

٢٥٥ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ﴾ أي لا معبود بحق في الوجود ﴿إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾ الدائم بالبقاء ﴿الْقَيُّومُ﴾ المبالغ في القيام بتدبير خلقه ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾ نجاس ﴿وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكا وخالقا وعبيدا ﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ أي لا أحد ﴿يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ له فيها ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي الخلق ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي من أمر الدنيا والآخرة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ أي لا يعلمون شيئا من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أن يعلمهم به . ﴿يُنَبِّئُهَا بِالرَّسُلِ﴾ وسيع كرسية السموات والأرض ﴿قِيلَ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِهِمَا وَقِيلَ مَلِكُهُ وَقِيلَ الْكُرْسِيُّ نَفْسُهُ مَشْتَمَلٌ عَلَيْهِمَا لِعَظَمَتِهِ ، لِحَدِيثِ: مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدِرَاهِمٍ سَبْعَةٌ أَلْقِيَتْ فِي تَرَسٍ .﴾ ﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾ يثقله ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي السماوات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿الْعَظِيمُ﴾ الكبير .

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

٢٥٦ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ على الدخول فيه ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشد والكفر غي نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرههم على الإسلام ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الشيطان أو

إسرائيل ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ النبوة بعد موت شمويل وطالوت ولم يجتمعا لأحد قبله ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ كصناعة الدروع ومنطق الطير ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ دفع بعضهم ببعض .

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿البقرة: ٢٥٢﴾

٢٥٢ ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ التأكيد بيان وغيرها ردا لقول الكفار له لست مرسلا .

﴿تِلْكَ أَرْسُلٌ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ أَخْتَلَفُوا فَيَنْتَهُم مَن ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾

٢٥٣ ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿الرُّسُلِ﴾ صفة والخبر ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بتخصيصه بمنقبة ليست بغيره ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ كموسى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ أي محمدا ﷺ ﴿وَدَرَجَاتٍ﴾ على غيره بعموم الدعوة وختم النبوة وتفضيل أمته على سائر الأمم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة ﴿وَوَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل يسير معه حيث سار ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ لهدى الناس جميعا ﴿مَا أَفْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد الرسل أي أمهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضا ﴿وَلَكِنْ أَخْتَلَفُوا﴾ لمشيئته ذلك ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ﴾ ثبت على إيمانه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ كالنصارى بعد المسيح ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا﴾ تأكيد ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من توفيق من شاء وخذلان من شاء .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ﴾

﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ ل ﴿أَنَّ عَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أي حمله بطره بنعمة الله على ذلك وهو نمرود ﴿إِذْ﴾ بدل من حاج ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ لما قال له من ربك الذي تدعوننا إليه ، ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي يخلق الحياة والموت في الأجساد ﴿قَالَ﴾ هو ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ بالقتل والعفو عنه ودعا برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر ، فلما رآه غيباً ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ منتقلاً إلى حجة أوضح منها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾ أنت ﴿مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ تحير ودهش ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بالكفر إلى محجة الاحتجاج.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُعْجِبُ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظِرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَأَنْظِرْ إِلَى حِمَارِكَ وَنَجَّعَكَ مِائَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِطَابِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩]

٢٥٩ ﴿أَوْ﴾ رأيت ﴿كَالَّذِي﴾ الكاف زائدة ﴿مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ﴾ هي بيت المقدس راكبا على حمار ومعه سلة تين وقدح عصير وهو عزيز ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سقوطها لما خربها بختنصر ﴿قَالَ أَنَّى﴾ كيف ﴿يُعْجِبُ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ استعظاما لقدرة تعالى ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ﴾ وألبسه ﴿مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ أحياه ليريه كيفية ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ مكثت هنا ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنه نام أول النهار فقبض وأحيى عند الغروب فظن أنه يوم النوم ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظِرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾ التين ﴿وَشَرَابِكَ﴾ العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير مع طول الزمان ، والهاء قيل أصل من سانهت وقيل للسكت من سانيت وفي قراءة بحذفها ﴿وَأَنْظِرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كيف هو فرأه ميتا وعظامه بيض تلوح! فعلنا ذلك لتعلم ﴿وَلَنَجْجِعَكَ آيَةً﴾ على البعث ﴿لِلنَّاسِ وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِطَابِ﴾ من حمارك ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ نحيتها بضم النون وقرئ بفتحها من أنشز

الأصنام وهو يطلق على المفرد والجمع ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ تمسك ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ بالعقد المحكم ﴿لَا انْفِصَامَ﴾ انقطاع ﴿لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بما يقال ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعل .
﴿اللَّهُ وَيُؤْمِنُ بِالَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُوهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

٢٥٧ ﴿اللَّهُ وَيُؤْمِنُ﴾ ناصر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ﴾ ذكر الإخراج إما في مقابلة قوله ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أو في كل من آمن بالنبي قبل بعثته من اليهود ثم كفر به ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]

٢٥٨ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾ جادل

(١) أسباب نزول الآية ٢٥٦: روى أبو داود، والنسائي، وابن جبان، عن ابن عباس قال: «كانت المرأة تكون مقلاة، فتجعل على نفسها إن عاشر لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بيو التضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾».

* وأخرج ابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «نزلت: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو مسلماً، فقال للنبي ﷺ: ألا أستكرهما، فأئهما قد أيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله الآية».

(٢) أسباب نزول الآية ٢٥٧: أخرج ابن جرير عن عبدة بن أبي ليابة في قوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. قال: «هم الذين كانوا آمنوا بعبسى، فلما جاءهم محمد ﷺ آمنوا به، وأنزلت فيهم هذه الآية». وأخرج عن مجاهد قال: كان قوم آمنوا بعبسى، وقوم كفروا به. فلما بُعث محمد ﷺ آمن به الذين كفروا بعبسى، وكفر به الذين آمنوا بعبسى، فأنزل الله هذه الآية».

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿البقرة: ٢٦٢﴾
 ٢٦٢ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا﴾ على المنفق عليه بقولهم مثلا: قد أحسنت إليه وجبرت حاله ﴿وَلَا أَدَى﴾ له بذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه ونحوه ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب إنفاقهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى﴾
 وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٦٣﴾

٢٦٣ ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ كلام حسن ورد على السائل جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ له في إلحاحه ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى﴾ بالمن وتعبير له بالسؤال ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن العمان والمؤذي.

﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾
 [البقرة: ٢٦٤]

٢٦٤ ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا﴾ صَدَقَاتِكُمْ أي أجورها ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ إبطالا ﴿كَالَّذِي﴾ أي كإبطال نفقة الذي ﴿يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ مرثيا لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هو المنافق ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ﴾ حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ مطر شديد ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ صلبا أملس لا شيء عليه ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ استئناف لبيان مثل المنافق المنفق رثاء الناس وجمع الضمير باعتبار معنى الذي ﴿عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ عملوا أي لا يجدون له ثوابا في الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَلْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْثُهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا

ونشر لغتان وفي قراءة «نشرها» بالراء نحركها ونرفعها ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فنظر إليها وقد تركبت وكسيت لحما ونفخ فيه الروح ونهق ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ علم مشاهدة ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وفي قراءة «أعلم» أمر من الله له.

﴿وَإِذْ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْمَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

٢٦٠ ﴿وَإِذْ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ﴾ تعالى له ﴿أُولَئِمُتُؤْمِنٌ﴾ بقدرتي على الإحياء، سأله مع علمه بإيمانه بذلك ليجيبه بما أجاب فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ آمنت ﴿وَلَئِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي﴾ يسكن ﴿قُلُوبِي﴾ بالمعانية المضمومة إلى الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بكسر الصاد وضمها، أملهن إليك وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ من جبال أرضك ﴿مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ إليك ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ سريعا ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه فأخذ طاووسا ونسرا وغربا وديكا وفعل بهن ما ذكر وأمسك رؤوسهن عنده ودعاهن فتطايرت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت ثم أقبلت إلى رؤوسها.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

٢٦١ ﴿مَثَلُ﴾ صفة نفقات ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ فكذلك نفقاتهم تضاعفت لسبعمائة ضعف ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾ أكثر من ذلك ﴿لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق المضاعفة.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا

وَابِلْ فُطْلٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾
[البقرة: ٢٦٥]

٢٦٥ ﴿وَمَثَلٌ﴾ نفقات ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾
إتبعاء ﴿طلب﴾ مرصاة الله وتثبيتاً من أنفسهم ﴿أي﴾
تحقيقاً للشواب عليه بخلاف المنافقين الذين لا
يرجونه لإنكارهم له ومن ابتدائية ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾
بستان ﴿بِرِزْوَانٍ﴾ بضم الراء وفتحها مكان مرتفع
مستو ﴿أَصَابَهَا وَاِبِلٌ﴾ [مطر غزير] ﴿فَاتَتْ﴾
أعطت ﴿أَكْلَهَا﴾ بضم الكاف وسكونها ثمرها
﴿ضَيْفَيْنِ﴾ مثلي ما يثمر غيرها ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا﴾
وَابِلٌ فُطْلٌ ﴿مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها،﴾
المعنى: تثمر وتركو كثر المطر أم قل فكذلك
نفقات من ذكر تزكو عند الله كثرت أم قلت
﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

﴿أَيُّدٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّجِيلٍ﴾
وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ
الْفُرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَّعِيفَةٌ فَاَصَابَهَا
إِعْصَابٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ بُيِّنَ اللَّهُ
لَكُمْ الْآيَاتِ لِمَلِكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦]

٢٦٦ ﴿أَيُّدٌ﴾ أيحب ﴿أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ﴾
جَنَّةٌ ﴿بستان﴾ من نجيل وأعناب تجري من تحتها
الأنهار له فيها ثمر ﴿مِن كُلِّ الْفُرَاتِ وَ﴾ قد
﴿أَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ فضعف من الكبر عن الكسب
﴿وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَّعِيفَةٌ﴾ أولاد صغار لا يقدرون عليه
﴿فَاَصَابَهَا إِعْصَابٌ﴾ ربح شديدة ﴿فِيهِ نَارٌ﴾
فَاخْتَرَقَتْ ﴿ففقدها أحوج ما كان إليها وبقي هو﴾
وأولاده عجزة متحيرين لا حيلة لهم وهذا تمثيل
لنفقة المرثي والغان في ذهابها وعدم نفعها أحوج
ما يكون إليها في الآخرة والاستفهام بمعنى النفي ،
وعن ابن عباس هو الرجل عمل بالطاعات ثم بعث
له الشيطان فعسل بالمعاصي حتى أحرقت أعماله
﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ﴾
الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿فتعتبرون﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾
وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ
تُنْفِقُونَ ۖ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ۖ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَكِيمٌ ﴿٢٦٧﴾ [البقرة: ٢٦٧]

٢٦٧ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا﴾ أي زكوا
﴿مِن طَيِّبَاتٍ﴾ جياذ ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ من المال
﴿وَمِمَّا﴾ ن طيبات ﴿مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾
من الحبوب والشمار ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾ تقصدوا
﴿الْخَبِيثَ﴾ الرديء ﴿مِنْهُ﴾ أي المذكور
﴿تُنْفِقُونَ﴾ ه في الزكاة ، حال من ضمير تيمموا
﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ أي الخبيث لو أعطتموه في
حقوقكم ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ بالتساهل وغض
البصر فكيف تؤدون منه حق الله ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ﴾
عَنِّي ﴿عن نفقاتكم﴾ حكيماً ﴿محمود على كل﴾
حال (١)

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ﴾
يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾

٢٦٨ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ يخوفكم به إن
تصدقتم فتمسكوا ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ البخل
ومنع الزكاة ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم﴾ على الإنفاق ﴿مَّغْفِرَةً﴾
مِنْهُ ﴿لذنوبكم﴾ وَفَضلاً ﴿رزقا خلفا منه﴾ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ ﴿فضله﴾ عَلِيمٌ ﴿بالمنفق﴾.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ﴾
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾
[البقرة: ٢٦٩]

٢٦٩ ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ أي العلم النافع المؤدي
إلى العمل ﴿مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ﴾
خَيْرًا كَثِيرًا ﴿لمصيره إلى السعادة الأبدية﴾ وما

(١) أسباب نزول الآية ٢٦٧: روى الحاكم، والترمذي،
وابن ماجه، وغيرهم، عن البراء قال: «نزلت هذه الآية فينا
معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل، وكان الرجل يأتي من
نخله على قدر كثرته وقلته، وكان الناس ممن لا يرغب في
الحير يأتي الرجل بالقنو فيه الشبيص والحشيف والقنو قد انكسر
فيعلقه، فأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما
كسبتم» الآية».

• وروى أبو داود، والنسائي، والحاكم، عن سهل بن
حنيف قال: «كان الناس يتيممون شر ثمارهم يخرجونها من
الصدقة، فنزلت: «وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ»، وروى
الحاكم عن جابر قال: «أمر النبي ﷺ بزكاة الفطر بصاع من
تمر، فجاء رجل بتمر رديء فنزل القرآن: «يا أيها الذين آمنوا
أنفقوا من طيبات ما كسبتم» الآية». وروى ابن أبي حاتم عن
ابن عباس قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يشتررون الطعام
الرخيص ويتصدقون به، فأنزل الله هذه الآية».

والجملتان تأكيد للأولى (١).

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ قَاتِلَ اللَّهِ بِهِ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣]

٢٧٣ ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ خير مبتدأ محذوف أي الصدقات ﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي حسوا أنفسهم على الجهاد ، نزلت في أهل الصفة وهم أربعمائة من المهاجرين أُرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْبًا﴾ سفرًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ﴾ أي لتعففهم عن السؤال وتركه ﴿تَعْرِفُهُمْ﴾ يا مخاطب ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ علامتهم من التواضع وأثر الجهد ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾ شيئاً فيلحفون ﴿إِلْحَاقًا﴾ أي لا سؤال لهم أصلاً فلا يقع منهم إلحاف وهو الإلحاح ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فمجاز عليه.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]

٢٧٤ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢).

(١) أسباب نزول الآية ٢٧٢: روى الثسائي، والحاكم، والبزار، والطبراني، وغيرهم عن ابن عباس قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين، فسألوا فرخص لهم، فنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تظلمون﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ كان يأمر أن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام، فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ الآية. فأمر بالتصدق على كل من سأل من كل دين».

(٢) أسباب نزول الآية ٢٧٤: أخرج الطبراني، وابن أبي حاتم، عن يزيد بن عبد الله بن غريب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: «نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾. في أصحاب الخيل». * يزيد وأبوه: مجهولان. وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، بسند ضعيف، عن ابن عباس قال:

يذكر ﴿فيه إدغام التاء في الأصل في الذال يتعظ ﴿إِلَّا أَوْلَى الْأَتَابِ﴾ أصحاب العقول.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾

٢٧٠ ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ أديتم من زكاة أو صدقة ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ فوفيتهم به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾ فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ بمنع الزكاة والنذر أو بوضع الإنفاق في غير محله من معاصي الله ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ مانعين لهم من عذابه

﴿إِنْ تَبَدُّوا﴾ تظهروا ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ أي النوافل ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أي نعم شيئاً إبداءها ﴿وَإِنْ تَخْفَوْهَا﴾ تسروها ﴿وَوُتُّوْهَا﴾ وتوتتوها ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من إبدائها وإيتائها الأغنياء أما صدقة الفرض فالأفضل إظهارها ليقتدى به ولتلايتهم وإيتاؤها الفقراء متعين ﴿وَيُكْفِّرُ﴾ بالياء والنون مجزوما بالعطف على محل فهو مرفوعاً على الاستئناف ﴿عَنْكُمْ مِنْ﴾ بعض ﴿سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره لا يخفى عليه شيء منه.

٢٧١ ﴿إِنْ تَبَدُّوا﴾ تظهروا ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ أي النوافل ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أي نعم شيئاً إبداءها ﴿وَإِنْ تَخْفَوْهَا﴾ تسروها ﴿وَوُتُّوْهَا﴾ وتوتتوها ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من إبدائها وإيتائها الأغنياء أما صدقة الفرض فالأفضل إظهارها ليقتدى به ولتلايتهم وإيتاؤها الفقراء متعين ﴿وَيُكْفِّرُ﴾ بالياء والنون مجزوما بالعطف على محل فهو مرفوعاً على الاستئناف ﴿عَنْكُمْ مِنْ﴾ بعض ﴿سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره لا يخفى عليه شيء منه.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا لِأَنْفُسِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظلمون﴾

[البقرة: ٢٧٢]

٢٧٢ ولما منع ﷺ من التصدق على المشركين ليسلوا نزل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ أي الناس إلى الدخول في الإسلام إنما عليك البلاغ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته إلى الدخول فيه ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ مال ﴿فَلَأَنْفُسِكُمْ﴾ لأن ثوابه لها ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي ثوابه لا غيره من أعراض الدنيا خير بمعنى النهي ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤْفَ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تظلمون﴾ تنقصون منه شيئاً

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ
الزَّيْءِ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]

٢٧٨ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا اللَّهَ وَذَرُوا﴾
اتركوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الزَّيْءِ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ صادقين
في إيمانكم فإن من شأن المؤمن امتثال أمر الله
تعالى، نزلت لما طالب بعض الصحابة بعد النهي
بريا كان لهم من قبل (١).

﴿إِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا
فَلََكُمْ رُءُوسٌ ءَمُورِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾
٢٧٩ ﴿إِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ ما أمرتم به ﴿فَأْذَنُوا﴾
اعلموا ﴿بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لكم فيه تهديد
شديد لهم ولما نزلت قالوا لا يد لنا بحربه ﴿وَإِن
تُبْتِغُوا﴾ رجعتم عنه ﴿فَلَكُمْ رُءُوسٌ﴾ أصول
﴿ءَمُورِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾
بنقص.

﴿وَإِن كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ لِّنَا مَنَسْرَةً وَإِن
تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
[البقرة: ٢٨٠]

٢٨٠ ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ وقع غريم ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾
فَنَظِرَةٌ ﴿له أي عليكم تأخيره﴾ إِلَى مَنَسْرَةٍ ﴿بفتح
السين وضمها أي وقت يسر﴾ وَأَن تَصَدَّقُوا ﴿
بالتشديد على إدغام التاء في الأصل في الصاد
وبالتخفيف على حذفها أي تصدقوا على المعسر
بالإبراء﴾ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿أنه خير
فأفعلوه وفي الحديث «من أنظر معسراً أو وضع عنه
أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» رواه مسلم.

(١) أسباب نزول الآية ٢٧٨: أخرج أبو يعلى في مسنده،
وابن منده، من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس،
قال: «بلغنا أن هذه الآية نزلت في بني عمرو بن عوف من
ثقيف، وفي بني المغيرة، وكانت بنو المغيرة يربون لثقيف، فلما
أظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الزبا كله. فأتى بنو
عمرو وبنو المغيرة إلى عتاب بن أسيد وهو على مكة، فقال بنو
المغيرة: ما جعلنا أشقى الناس بالزبا، ووضع عن الناس غيرنا،
فقال بنو عمرو: صالحنا أن لنا رباناً فكتب عتاب في ذلك إلى
رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها».

* وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: «نزلت هذه الآية في
ثقيف منهم مسعود، وحبيب، وربيعة، وعبد باليل، بنو عمرو،
وبنو عميرة».

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الزَّبَا لَا يُؤْمُونَ إِلَّا كَمَا يُعْمُونَ
الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَالُوا
إِنَّمَا السَّبْحُ مِثْلَ الزَّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزَّبَا
فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ
إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]

٢٧٥ ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الزَّبَا﴾ أي يأخذونه وهو
الزيادة في المعاملة بالنقود والمطعومات في القدر أو
الأجل ﴿لَا يُقْرَمُونَ﴾ من قبورهم ﴿إِلَّا﴾ قياما
﴿كَمَا يُقَوْمُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾ يصرعه ﴿الشَّيْطَانُ مِنَ
الْمَسِّ﴾ الجنون، متعلق بيقومون ﴿ذَلِكَ﴾ الذي
نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ
مِثْلُ الزَّبَا﴾ في الجواز وهذا من عكس التشبيه
مبالغة فقال تعالى ردا عليهم ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ
وَحَرَّمَ الزَّبَا فَمَنْ جَاءَهُ﴾ بلغه ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ وعظ ﴿مِنْ
رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾ عن أكله ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ قبل النهي
أي لا يسترد منه ﴿وَأَمْرُهُ﴾ في العفو عنه ﴿إِلَى اللَّهِ
وَمَنْ عَادَ﴾ إلى أكله مشبها له بالبيع في الحل
﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿يَمَحُوقُ اللَّهُ الزَّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ
كَفَّارٍ ءَتِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]

٢٧٦ ﴿يَمَحُوقُ اللَّهُ الزَّبَا﴾ ينقصه ويذهب بركنه
﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ يزيدها وينميها ويضاعف
نوابها ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بتحليل الربا
﴿ءَتِيمٍ﴾ فاجر بأكله أي يعاقبه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]

٢٧٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

«نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب، كانت معه أربعة
دراهم، فأنفق بالليل درهماً، وبالنهارة درهماً، وسراً درهماً،
وعلاية درهماً».

* وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب قال: «الآية نزلت في
عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، في نفقتهما في
جيش الغسرة».

يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجِلَّ هُوَ ﴿٢٨١﴾ لخرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك ﴿فَلْيُجِلِّلْ وَيَلِيَهُ﴾ متولي أمره من والد ووصي وقيم ومترجم ﴿بِالْعَدْلِ وَاشْتِشَاهِدُوا﴾ أشهدوا على الدين ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ شاهدين ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أي بالغي المسلمين الأحرار ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾ أي الشهيدان ﴿وَرَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ﴾ يشهدون ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ﴾ لدينه وعدالته وتعدد النساء لأجل ﴿أَنْ تُضِلَّ﴾ تنسى

﴿أَخْذَاهُمَا﴾ الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن ﴿فَتَذَكَّرَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿أَخْذَاهُمَا﴾ الذاكرة ﴿الْأُخْرَى﴾ الناسية ، وجملة الإذكار محل العلة أي لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال لأنه سببه وفي قراءة بكسر ﴿إِنْ﴾ شرطية ورفع تذكر استئناف جوابه ﴿وَلَا يَأْتِ الشَّهَادَةَ إِذَا مَا﴾ زائدة ﴿دُعُوا﴾ إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿وَلَا تَشَأُوا﴾ تملوا من ﴿أَنْ تَكْثُرُوا﴾ أي ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك ﴿صَغِيرًا﴾ كان ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ قليلا أو كثيرا ﴿وَالِي أَجَلِهِ﴾ وقت حلوله حال من الهاء في تكتيبه ﴿ذَلِكَ﴾ أي الكتب ﴿أَفْسَطَ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمَ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي أعون على إقامتها لأنه يذكرها ﴿وَأَذْنَى﴾ أقرب إلي ﴿إِنْ﴾ ن ﴿لَا تَرْتَابُوا﴾ تشكوا في قدر الحق والأجل ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾ تقع ﴿بِجَارَةِ حَاضِرَةٍ﴾ وفي قراءة بالنصب فتكون ناقصة واسمها ضمير التجارة ﴿تُدِيرُونَهَا يَتَنَكَّمُ﴾ أي تقبضونها ولا أجل فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿إِنْ﴾ ن ﴿لَا تَكْثُرُونَهَا﴾ والمراد بها المتجر فيه ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ عليه فإنه أذرع للاختلاف وهذا وما قبله أمر ندب ﴿وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ صاحب الحق ومن عليه بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة ولا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ ما نهيتهم عنه ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾ خروج عن الطاعة لا حق ﴿بِكُمْ وَأَنْتُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَيُؤَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ مصالح أموركم حال مقدرة أو مستأنف ﴿وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ﴾

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهِنَّ مَقْبُوضَةً﴾ فَإِنْ آمِنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ وَيَلْتَقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْفُرُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ

﴿وَأَنْتُمْ أَيُّومًا تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١] ٢٨١ ﴿وَأَنْتُمْ أَيُّومًا تَرْجِعُونَ﴾ بالبناء للمفعول تردون وللفاعل تسيرون ﴿فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿ثُمَّ تُوَفَّى﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَانَيْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَهَ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاسْتَبُوهُ وَيَكْتُبُ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُجِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَيَلِيَهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمُرُوا أَنْ تَكْثُرُوا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَحْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَأَنْتُمْ إِلَى اللَّهِ رُجْعِكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

٢٨٢ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَانَيْتُمْ﴾ تعاملتم ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ كسلم وقرض ﴿وَالِي أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ معلوم ﴿فَاسْتَبُوهُ﴾ استينافا ودفعا للنزاع ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ كتاب الدين ﴿بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ بالحق في كتابته لا يزيد في المال والأجل ولا ينقص ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ يمتنع ﴿كَاتِبٌ﴾ من ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ إذ دعي إليها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي فضله بالكتابة فلا يدخل بها، والكاف متعلقة بياب ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تأكيد ﴿وَلْيُمْلِلْ﴾ يعمل الكاتب ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ الدين لأنه المشهود عليه فيقر ليعلم ما عليه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾ ينقص ﴿مِنْهُ﴾ أي الحق ﴿شَيْئًا﴾ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا مَبْدَرًا ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ عن الإملاء لصغر أو كبر ﴿أَوْ لَا

فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَاكَ أَي مَأْمُرًا بِهِ سَمَاعٍ قَبُولٍ﴾ ﴿وَأَطَعْنَا﴾ نسألك ﴿عُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع بالبعث ، ولما نزلت الآية التي قبلها شكوا المؤمنون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها فنزل (١) :

﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

٢٨٦ ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي ما تسعه قدرتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير أي ثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر أي وزره ولا يؤاخذ أحد بذنوب أحد ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه ، وقالوا ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا بِالْعُقَابِ﴾ ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ تركنا الصواب لا عن عمد كما أخذت به من قبلنا وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة كما ورد في الحديث فسأله اعتراف بنعمة الله ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ أمرا يثقل علينا حمله ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ أي بني إسرائيل من قتل النفس في التوبة وإخراج ربع المال في الزكاة وقرض موضع النجاسة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ من التكاليف والبلاء ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ امح ذنوبنا ﴿وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ سيدنا ومتولي أمورنا ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ بإقامة الحججة والغلبة في قتالهم فإن من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء ، وفي

يَكْتُمُهَا فَإِنَّهُ ءَاتِيكُمْ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿ [البقرة: ٢٨٣]

٢٨٣ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي مسافرين وتديانين ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كِتَابًا فَرِهَانًا﴾ وفي قراءة «فَرِهَانًا» جمع رَهْن «مَقْبُوضَةٌ» تستوثقون بها ، وبينت السنة جواز الرهن في الحضر ووجود الكاتب فالتقيد بما ذكر لأن التوثيق فيه أشد وأفاد قوله مقبوضة اشترط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله ﴿فَإِنْ آمَنَ بِغَضِّكُمْ بَعْضًا﴾ أي الدائن والمدين على حقه فلم يرتهن ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ﴾ أي المدين ﴿أَمَانَتَهُ﴾ دينه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في أدائه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ إذا دعيتم لإقامتها ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاتِيكُمْ قَلْبُهُ﴾ خص بالذكر لأنه محل الشهادة ولأنه إذا أتم تبعه غيره فيعاقب عليه معاقبة الآثمين ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه .

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]

٢٨٤ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا﴾ تظهروا ﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من السوء والعزم عليه ﴿أَوْ تُخْفَوُهُ﴾ تسروه ﴿يُحَاسِبْكُمْ﴾ يخبركم ﴿بِهِ اللَّهُ﴾ يوم القيامة ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه والفعالان بالحزم عطف على جواب الشرط والرفع أي فهو ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه محاسبتكم وجزاؤكم .

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَعْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

٢٨٥ ﴿ءَامَنَ﴾ صدق ﴿الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ من القرآن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف عليه ﴿كُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه ﴿ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ بالجمع والإفراد ﴿وَرُسُلِهِ﴾ يقولون ﴿لَا نَعْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٢٨٥: روى أحمد، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة قال: «لما نزلت: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الصُّحَابَةِ، فَأَتَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ جُفُوا عَلَى الرُّكْبِ، فَقَالُوا: قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا نَطِيقُهَا، فَقَالَ: أَنْتَرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا: كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ: «سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا»؟ بَلْ قُولُوا: «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ». فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، أَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ﴾ الْآيَةَ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ، فَأَنْزَلَ: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

ووعيده ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ عقوبة شديدة ممن عصاه لا يقدر على مثلها أحد.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾

هـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كائن ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لعلمه بما يقع في العالم من كلي وجزئي وخصهما بالذكر لأن الحسن لا يتجاوزهما.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]

٦ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من ذكورة وأنوثة وبياض وسواد وغير ذلك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَسْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]

٧ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ واضحات الدلالة ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله المعتمد عليه في الأحكام ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ لا تفهم معانيها كأوائل السور وجعله كله محكما في قوله ﴿أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ بمعنى أنه ليس فيه عيب ، ومتشابهها في قوله ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ بمعنى أنه يشبه بعضه بعضا في الحسن والصدق ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ ميل عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿الْفِتْنَةِ﴾ لجهالهم بوقوعهم في الشبهات واللبس ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ تفسيره ﴿وَمَا يَلْعَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ تفسيره ﴿إِلَّا الَّذِينَ هُمْ فِي الْعِلْمِ﴾ وحده ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ الشابتون المتمكنون ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ مبتدأ خبره ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ أي بالمتشابه أنه من عند الله ولا نعلم معناه ﴿كُلٌّ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظ ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول ويقولون أيضا إذا رأوا من يتبعه:

الحديث لما نزلت هذا الآية فقرأها ﷺ قيل له عقب كل كلمة قد فعلت.

٣ سورة آل عمران

المدينة وآياتها ٢٠٠ آية ، نزلت بعد الإنفال

﴿آل عمران: ١﴾

١ ﴿الْم﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢]

٢ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (١)

﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣]

٣ ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن متلبسا ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق في أخباره ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾

﴿مَنْ قَبْلَ هَدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾

٤ ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ أي قبل تنزيله ﴿هُدَى﴾ حال بمعنى هادين من الضلالة ﴿لِلنَّاسِ﴾ ممن تبعهما ، وعبر فيهما بأنزل وفي القرآن ينزل المقتضي للتكرير لأنهما أنزلا دفعة واحدة بخلافه ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل وذكره بعد ذكر الثلاثة ليعم ما عداها ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن وغيره ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره فلا يمنعه شيء من إنجاز وعده

وُسْعَهَا إِلَى آخِرِهَا. وروى مسلم وغيره عن ابن عباس نحوه. (١) أخرج ابن أبي حاتم، عن الربيع، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ، فخاصموه في عيسى عليه السلام، فأُنزل الله: ﴿الْم﴾ الله لا إله إلا هو الحي القيوم. نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل... إلى بضع وثمانين آية منها.

* وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن سهل بن أبي أمامة قال: لما قدم أهل نجران على رسول الله ﷺ يسألونه عن عيسى ابن مريم، نزلت فيهم فاتحة آل عمران إلى رأس الثمانين منها. أخرج البيهقي في الدلائل.

مفسرة لما قبلها ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ونزل لما أمر النبي ﷺ اليهود بالإسلام بعد مرجعه من بدر فقالوا له لا يغرنك أنك قتلت نفرا من قريش أعمارا لا يعرفون القتال:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ وَهُمْ يُنْفِرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۗ وَقِيلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ وَهُمْ يُنْفِرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۗ وَيَسَّ آلِ الْيَهُودِ﴾ [آل عمران: ١٢]

١٢ ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من اليهود ﴿سَعْتٌ﴾ وسُعْتٌ بالياء في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية وقد وقع ذلك ﴿وَنُحْشِرُونَ﴾ بالوجهين في الآخرة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ فتدخلونها ﴿وَيَسَّ آلِ الْيَهُودِ﴾ الفراس هي

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِئَةً سَبِيلَ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأَىٰ الْآخِرِينَ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ لِمَا فِي ذَلِكَ لِبَصِيرَةٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣]

١٣ ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ عبرة وذكر الفعل للفصل ﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾ فرقتين ﴿الَّتَقَتَا﴾ يوم بدر للقتال ﴿فِئَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي طاعته وهم النبي وأصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم رجال ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم﴾ أي الكفار ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾ أي المسلمين أي أكثر منهم وكانوا نحو ألف ﴿رَأَىٰ الْعَيْنِ﴾ أي رؤية ظاهرة معاينة وقد نصرهم الله مع قلتهم ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾ يقوي ﴿بِنَصْرِهِ﴾ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ ﴿لِعِبْرَةٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لذوي البصائر أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنوا

(١) أسباب نزول الآية ١٢: روى أبو داود في سننه والبيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق قينقاع وقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشا. فقالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرا من قريش كانوا أعمارا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس وأنت لم تلق مثلنا، فأنزل الله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ﴾. إلى قوله: ولأولي الأبصار».

* وأخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: «قال فتاحي اليهودي يوم بدر: لا يغرن محمدا أن قتل قريشا وغلبيها، إن قريشا لا تحسن القتال. فنزلت هذه الآية»

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]

٨ ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا﴾ تملها عن الحق بابتغاء تأويله الذي لا يليق بنا كما أزغت قلوب أولئك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أرشدتنا إليه ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ تشيبتنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ يَوْمَ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ [آل عمران: ٩]

٩ يا ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ تجمعهم ﴿يَوْمَ﴾ أي في يوم ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ هو يوم القيامة فتجازيهم بأعمالهم كما وعدت بذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ مواعده بالبعث فيه التفات عن الخطاب ويحتمل أن يكون من كلامه تعالي والغرض من الدعاء بذلك بيان أن همهم أمر الآخرة ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها ، روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ إلى آخرها ، وقال فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم وروى الطبراني في الكبير عن أبي موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: ما أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال وذكر منها أن يفتح لهم الكتاب فيأخذها المؤمن يتبغي تأويله وليس يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب الحديث.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾

١٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ بفتح الواو ما توقد به.

﴿كَذَّبَ آلِي فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

١١ ذابهم ﴿كَذَّبَ﴾ كعادة ﴿آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كعاد وثمود ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكتهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ والجملة

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الله بأن يقولوا اللهم اغفر لنا
﴿بِالْأَشْحَارِ﴾ أواخر الليل خصت بالذكر لأنها
وقت الغفلة ولذة النوم.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ
قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ بين لخلقه بالدلائل والآيات
﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا معبود في الوجود بحق ﴿إِلَّا
هُوَ﴾ شهد بذلك ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ بالإقرار ﴿وَأُولُو
الْعِلْمِ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ
﴿قَائِمًا﴾ بتدبير مصنوعاته ونصبه على الحال
والعامل فيها معنى أي تفرد ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرهه تأكيدا ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه
﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلِيسُوا بِمُتَّبِعِينَ
أُولُو الْأَلْبَابِ إِلَّا مَنِ اتَّبَعْتُمْ﴾
﴿يُنْفِقُ مِنْ ذَاتِ رِزْقِهِ﴾
﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ المرضي ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو
﴿الإسلام﴾ أي الشرع المبعوث به الرسل المبني
على التوحيد وفي قراءة بفتح «أن» بدل من أنه الخ
بدل اشتمال ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ﴾
اليهود والنصارى في الدين بأن وحد بعض وكفر
بعض ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعْتُمْ﴾ أي اتبعوا ما جاءهم العلم ﴿بِالتَّوْحِيدِ﴾
﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ من الكافرين ﴿يُنْفِقُ﴾ أي يكفر ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾
فإن الله سريع الحساب ﴿أَي الْمَجَازَةَ لَهُ﴾

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ رَبِّي وَمَنِ اتَّبَعْتُ فَقُلْ
لِلَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ وَالْأَتْبَاعَ أَاسَلْتُمْ فَإِنْ أَسَلْتُمْ
فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ

بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠]

٢٠ ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ خاصمك الكفار يا محمد
في الدين ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿أَسَلْتُ﴾ وجهي لله
انقذت له أنا ﴿وَمَنِ اتَّبَعْتُ﴾ وخص الوجه بالذكر
لشرفه فغيره أولى ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ﴾
اليهود والنصارى ﴿وَالْأَتْبَاعَ﴾ مشركي العرب
﴿أَسَلْتُمْ﴾ أي أسلموا ﴿فَإِنْ أَسَلْتُمْ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾
من الضلال ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَاءُ﴾ التبليغ للرسالة ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ
وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ
الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾

١٤ ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ ما تشتهي
النفس وتدعو إليه ، زينها الله ابتلاء أو الشيطان
﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ﴾ الأموال الكثيرة
﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾ المجمعة ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ
الْمُسَوَّمَةِ﴾ الحسان ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ أي الإبل والبقر
والغنم ﴿وَالْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور
﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يفنى ﴿وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ المرجع وهو الجنة فينبغي
الرغبة فيه دون غيره.

﴿قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِحَيْثُ مِيقَاتِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ

بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥]

١٥ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك ﴿أَوْفَيْتُكُمْ﴾
أخبركم ﴿بِحَيْثُ مِيقَاتِكُمْ﴾ المذكور من الشهوات
استفهام تقرير ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾
خبر مبتدؤه ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
خالدين ﴿أَي مَقْدَرِينَ الْخُلُودِ﴾ فيها إذا دخلوها
﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وغيره مما يستقذر
﴿وَرِضْوَانٌ﴾ بكسر أوله وضمه لغتان أي رضا كثيرا
﴿مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾ عالم ﴿بِالْعِبَادِ﴾ فيجازي
كلا منهم بعمله

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَكْنَا فَاعْفُزْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦]

١٦ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت أو بدل من الذين قبله
﴿يَقُولُونَ﴾ يا ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمَكْنَا﴾ صدقنا بك وبرسولك
﴿فَاعْفُزْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

﴿الْعَصَابِينَ وَالْمَكْدِينِ وَالْقَنْبِزِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَفِيزِينَ
بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]

١٧ ﴿الْعَصَابِينَ﴾ على الطاعة وعن المعصية
نعت ﴿وَالْمَكْدِينِ﴾ في الإيمان ﴿وَالْقَانِزِينَ﴾
المطيعين لله ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ المتصدقين

فيجازيهم بأعمالهم وهذا قبل الأمر بالقتال.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ
بِمَعْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ
مِنَ النَّاسِ قَبِئْرُهُمْ بِعَدَابِ اللَّهِ﴾

٢١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ﴾
وفي قراءة ﴿يقاتلون﴾ ﴿النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ بِالْعَدْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ وهم
اليهود روي أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبيا فنهاهم مائة
وسبعون من عبادهم فقتلوه من يومهم
﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أعلمهم ﴿بِعَدَابِ اللَّهِ﴾ مؤلم وذكر
البشارة تهكم بهم ودخلت الفاء في خير إن لشيء
اسمها الموصول بالشرط

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾

٢٢ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ بطلت
﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوا من خير كصدقة وصلة رحم
﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها لعدم شرطها
﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ مانعين من العذاب

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ
إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿آل عمران: ٢٣﴾

٢٣ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾
حظا ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿يُدْعَوْنَ﴾ حال ﴿إِلَى
كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبول حكمه نزلت في اليهود زنى
منهم اثنان فتحاكموا إلى النبي ﷺ فحكم عليهما
بالرحم فأبوا فجاء بالتوراة فوجد فيها فرجما
ففضبوا (١).

* * *

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ
وَعَرَّضُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

٢٤ ﴿ذَلِكَ﴾ التولي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾
أي بسبب قولهم ﴿لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا
مَّعْدُودَاتٍ﴾ أربعين يوما مدة عبادة آبائهم العجل ثم
تزل عنهم ﴿وَعَرَّضُوا فِي دِينِهِمْ﴾ متعلق بقوله ﴿مَا
كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من قولهم ذلك.

﴿فَكَيفَ إِذَا جُمِعَتْهُم لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

٢٥ ﴿فَكَيفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا جُمِعْتَانَهُمْ لِيَوْمٍ﴾
أي في يوم ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ هو يوم
القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهل الكتاب
وغيرهم جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر
﴿وَهُمْ﴾ أي الناس ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة أو
زيادة سيئة.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ
الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ
يَدِيدُكَ الْحَيَاتُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[آل عمران: ٢٦]

٢٦ ونزلت لما وعد ﷺ أمته ملك فارس
والروم فقال المنافقون هيهات: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ يا الله
﴿مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي﴾ تعطي ﴿الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾
من خلقك ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن
تَشَاءُ﴾ بإيثاره ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ بنزعه منه
﴿يَدِيدُكَ﴾ بقدرتك ﴿الْحَيَاتُ﴾ أي والشر ﴿إِنَّكَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)

﴿تُولِيحُ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ وَتُولِيحُ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرُدُّ مَن
تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧]

٢٧ ﴿تُولِيحُ﴾ تدخل ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِيحُ
النَّهَارِ﴾ تدخله ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد كل منهما بما
نقص من الآخر ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٢٦: أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة
قال: وذكر لنا أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك
الروم وفارس في أمته، فأُنزل الله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ
الآية﴾.

(١) أسباب نزول الآية ٢٣: أخرج ابن أبي حاتم وابن
المنذر، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: دخل رسول الله
ﷺ بيت المدراس على جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله،
فقال له نعيم بن عمرو، والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا
محمد؟ قال: على ملة إبراهيم ودينه، قالا: فإن إبراهيم كان
يهوديا، فقال لهما رسول الله ﷺ: فهلما إلى التوراة فهي بيننا
وبينكم فأبيا عليه، فأُنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ
الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾.

مبتدأ خبره ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ كرر للتأكيد ﴿وَاللَّهُ زَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]

٣١ ونزل لما قالوا ما نعبد الأصنام إلا حبا لله ليقربونا إليه ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ بمعنى أن يتشبهكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن اتبعني ما سلف منه قبل ذلك ﴿رَحِيمٌ﴾ به (١)

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]

٣٢ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فيما يأمركم به من التوحيد ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر أي لا يحبهم بمعنى أنه يعاقبهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]

٣٣ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى﴾ اختار ﴿آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ بمعنى أنفسهما ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بجعل الأنبياء من نسلهم

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضًا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

٣٤ ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضًا مِنْ بَعْضٍ﴾ ولد ﴿بَعْضٍ﴾ منهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

٣٥ اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ حنة لما أسنت واشتاقت للولد فدعت الله وأحست بالحمل يا ﴿رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ﴾ أن أجعل ﴿لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٣١: أخرج ابن المنذر عن الحسن قال: وقال أقوام على عهد نبينا: والله يا محمد إنا لنحب ربنا، فنزل الله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ الآية.

كالإنسان والطيائر من النطفة والبيضة ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي رزقا واسعا

﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُ تُقَاتُوا وَاللَّهُ نَفْسُكُمْ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾

٢٨ ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ يوالونهم ﴿مِنَ دُونِ﴾ أي غير ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي يوالهم ﴿فَلَيْسَ مِنْهُ﴾ دين ﴿اللَّهُ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُ تُقَاتُوا﴾ مصدر تقيته أي تخافوا مخافة فلکم موالاتهم باللسان دون القلب وهذا قبل عزة الإسلام ويجري فيمن هو في بلد ليس قويا فيها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾ يخوفكم ﴿اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أن يغضب عليكم إن واليتموهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع فيجازيكم (١)

﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا يَوْمَئِذٍ مِنَ اللَّهِ فَيَكْفُرُوا بِمَا فِي أَلْسِنِهِمْ وَمَا يَسْتَفْهِمُونَ كَثِيرًا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٩]

٢٩ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من موالاتهم ﴿أَوْ بُدُّوا﴾ تظهروه ﴿يَوْمَئِذٍ مِنَ اللَّهِ﴾ هو ﴿يَسْتَفْهِمُونَ﴾ ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير ومنه تعذيب من والاهم.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحَدَّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ زَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

٣٠ اذكر ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ﴾ من خير محضراً وما عَمِلَتْ من سوء

(١) أسباب نزول الآية ٢٨: أخرج ابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق، وقيس بن زيد، قد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر، وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيشمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء النفر من يهود، واحذروا مباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم فاتوا. فانزل الله فيهم: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

للدعاء ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالنيات ، وهلك عمران وهي حامل

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَعَيْتُهَا مَرْثَةً وَإِنِّي أَعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

[آل عمران: ٣٦]

٣٦ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ ولدتها جارية وكانت ترجو أن يكون غلاما إذ لم يكن يحرم إلا الغلمان ﴿قَالَتْ﴾ معتردة يا ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَا وَضَعْتَ﴾ جملة اعتراض من كلامه تعالى وفي قراءة بضم التاء ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ الذي طلبت ﴿كَالْأُنْثَىٰ﴾ التي وهبت لأنه يقصد للخدمة وهي لا تصلح لها لضعفها وعورتها وما يعتربها من الحيض ونحوه ﴿وَإِنِّي سَعَيْتُهَا مَرْثَةً وَإِنِّي أَعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ أولادها ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ المطرود في الحديث ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها رواه الشيخان

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْزِعُ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِذَا يَشَاءُ يَغْيِرُ حِسَابًا﴾ [آل عمران: ٣٧]

٣٧ ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أنشأها بخلق حسن فكانت تبت في اليوم كما يبت المولود في العام وأتت بها أمها الأحبار سذنة بيت المقدس فقالت: دونكم هذه النذيرة فتناسوا فيها لأنها بنت إمامهم فقال زكريا أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقالوا لا حتى نقترع فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها فثبت قلم زكريا فأخذها وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف كما قال تعالى ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ضمها إليه وفي قراءة بالتشديد ونصب زكريا ممدودا ومقصورا والفاعل الله ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ الغرفة وهي أشرف المجالس ﴿وَجَدَ﴾

عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي لَأَنَّ اللَّهَ يُرِزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ من أين ﴿لَكَ هَذَا قَالَتْ﴾ وهي صغيرة ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يأتيني به من الجنة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُرِزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رزقا واسعا بلا تبعة..

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]

٣٨ ﴿هُنَالِكَ﴾ أي لما رأى زكريا ذلك وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادر على الإتيان بالولد على الكبر وكان أهل بيته انقضوا ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ لما دخل المحراب للصلاة في جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولدا صالحا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ﴾ مجيب ﴿الدُّعَاءِ﴾

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩]

٣٩ ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي جبريل ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ أي المسجد ﴿أَنَّ﴾ أي بأن وفي قراءة بالكسر بتقدير القول ﴿اللَّهُ يُبَشِّرُكَ﴾ مثقلا ومخففا ﴿بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾ كائنة ﴿مِنْ﴾ الله ﴿أَي﴾ يعيسى أنه روح الله وسمي كلمة لأنه خلق بكلمة كن ﴿وَسَيِّدًا﴾ متبوعا ﴿وَحَصُورًا﴾ ممنوعا من النساء ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهيم بها

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي عُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَأَمْرًا يُعَاقِرُ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾

٤٠ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ ولد ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ أي بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿عَاقِرٌ﴾ بلغت ثمان وتسعين سنة ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق الله غلاما منكما ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ لا يعجزه عنه شيء وإظهار هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بها ولما تافت نفسه إلى سرعة المبشر به

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَاتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ فَلْيَكْفُرُوا إِلَّا رَمَزًا وَآدْرَكَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَوَسَّيْحًا بِالْعَمِيِّ وَالْإِنْبِكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١]

﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾
[آل عمران: ٤٦]

٤٦ ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ أي طفلا قبل وقت الكلام ﴿ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٤٧]

٤٧ ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى ﴾ كيف ﴿ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ﴾ بتزوج ولا غيره ﴿ قَالَ ﴾ الأمر ﴿ كَذَلِكَ ﴾ من خلقي ولد منك بلا أب ﴿ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴾ أراد خلقه ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ أي فهو يكون

﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾

٤٨ ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ بالنون والياء ﴿ الْكِتَابَ ﴾ الخط والالحكمة والتوراة والإنجيل ﴿

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُرْسِلُ الْأَكْصَمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُمِّي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنثِيَكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْرُسُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٩]

٤٩ ﴿ وَ ﴾ نجعله ﴿ رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ في الصبا أو بعد البلوغ فنفخ جبريل في جيب درعها فحملت ، وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل قال لهم: إني رسول الله إليكم ﴿ أَنِّي ﴾ أي بأني ﴿ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ ﴾ علامة على صدقي ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ هي ﴿ أَنِّي ﴾ وفي قراءة بالكسر استثنافا ﴿ أَخْلَقْتُ ﴾ أصور ﴿ لَكُمْ مِّن الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ مثل صورته فالكاف اسم مفعول ﴿ فَأَنْفُخُ فِيهِ ﴾ الضمير للكاف ﴿ فَيَكُونُ طَيْرًا ﴾ وفي قراءة طائر ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ بإرادته فخلق لهم الخفاش لأنه أكمل الطير خلقا فكان يطير وهم ينظرونه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا [ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهو الله تعالى وليعلم أن الكمال لله] ﴿ وَأُورِئُ ﴾ أشفى ﴿ الْأَكْصَمَةَ ﴾ الذي ولد أعمى ﴿ وَالْأَبْرَصَ ﴾ وخصا بالذكر لأنهما داءا إعياء

٤١ ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً ﴾ أي علامة علي حمل امرأتي ﴿ قَالَ آيَتُكَ ﴾ عليه ﴿ أَن نَّ لَا نُكَلِّمُ النَّاسَ ﴾ أي تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى ﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ أي لباليها ﴿ إِلَّا زَمْزًا ﴾ إشارة ﴿ وَأَذْكَرَ زُرْبُكَ كَثِيرًا وَسَبْحُ ﴾ صل ﴿ بِبَالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ أواخر النهار وأوائله

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢]

٤٢ ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ ﴾ أي جبريل ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴾ اختارك ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ من مسيس الرجال ﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ أي أهل زمانك

﴿ يَمْرُؤُا أَقْبَىٰ لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾
[آل عمران: ٤٣]

٤٣ ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾ أطيعيه ﴿ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ أي صلي مع المصلين ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهِمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٤]

٤٤ ﴿ ذَلِكَ ﴾ المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَفْئَامَهُمْ ﴾ في الماء فيقترعون ليطهر لهم ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ ﴾ يرثي ﴿ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ في كفالتها فتعرف ذلك فتخبر به وإنما عرفته من جهة الوحي

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٥]

٤٥ ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ ﴾ أي جبريل ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ أي ولد ﴿ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ خاطبها بنسبته إليها تبيها على أنها تلده بلا أب إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم ﴿ وَجِيهًا ﴾ ذا جاه ﴿ فِي الدُّنْيَا ﴾ بالنبوة ﴿ وَالْآخِرَةِ ﴾ بالشفاعة والدرجات العلاء ﴿ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ عند الله

٥٣ ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ من الإنجيل
﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ عيسى ﴿فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾
لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق
﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ الْمَكْرِينَ﴾

٥٤ قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي كفار بني
إسرائيل بعيسى إذ وكلوا به من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ
اللَّهُ﴾ بهم بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله
فقتلوه ورفع عيسى إلى السماء ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ
الْمَكْرِينَ﴾ أعلمهم به

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَأْفَعَكَ إِلَيَّ
وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ
فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل
عمران: ٥٥]

٥٥ اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
قَابِضْكَ﴾ ﴿وَرَأْفَعَكَ إِلَيَّ﴾ من الدنيا من غير موت
﴿وَمُطَهِّرَكَ﴾ مبعذك ﴿وَمِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلَ
الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ صدقوا بنبوتك من المسلمين
والنصارى ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بك وهم اليهود
يعلونهم بالحجة والسيف ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ
مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾
من أمر الدين

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٦]

٥٦ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي والجزية ﴿وَالْآخِرَةِ﴾
بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ مانعين منه

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ
أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]

٥٧ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالياء والنون ﴿أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ
الظَّالِمِينَ﴾ أي يعاقبهم ، روي أن الله تعالى أرسل
إليه سحابة فرفعته فتعلقت به أمه وبكت فقال لها
إن القيامة تجتمعنا وكان ذلك ليلة القدر بيت
المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة ، وعاشت أمه
بعده ست سنين .

وكان بعنه في زمن الطب فأبرأ في يوم خمسين ألفا
بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾
كرره لنفي توهم الألوهية فيه فأحيا عازر صديقا له
وابن العجوز وابنه العاشر فعاشوا وولد لهم ، وسام
بن نوح ومات في الحال ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا
تَدْخِرُونَ﴾ تخبئون ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مما لم أعينه
فكان يخبر الشخص بما أكل وبما لم يأكل بعد
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾

﴿وَمَصَدَقًا لِمَا بَيَّنَّا يَدَىٰ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلِ
لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِّن
رَبِّكَ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [آل عمران: ٥٠]

٥٠ ﴿و﴾ جفتكم ﴿مُصَدَّقًا لِمَا بَيَّنَّا يَدَىٰ﴾
قبلي ﴿وَمِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ
عَلَيْكُمْ﴾ فيها فأحل لهم من السمك والطيور ما لا
صبيصة له وقيل أحل الجميع فبعض بمعنى كل
﴿وَجِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ كزره تأكيدا وليبني عليه
﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به من توحيد
الله وطاقته

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ
مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١]

٥١ ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا﴾ الذي
أمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾ فكذبوه ولم
يؤمنوا به

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي
إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ
وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]

٥٢ ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ علم ﴿عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾
وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي﴾ أعواني ذاهبا ﴿إِلَى
اللَّهِ﴾ لأنصر دينه ﴿قَالَ الْخَوَارِثُ نَحْنُ أَنْصَارُ
اللَّهِ﴾ أعوان دينه وهم أصفياء عيسى أول من آمن
به وكانوا اثني عشر رجلا من الحور وهو البياض
الخالص وقيل كانوا قصارين يحوررون الثياب أي
يبيضونها ﴿ءَامَنَّا﴾ صدقتنا ﴿بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ﴾ يا عيسى
﴿بِأَنَّنا مسلمون﴾ .

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا
مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]

٥٩ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ شأنه الغريب ﴿عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ كشأنه في خلقه من غير أم ولا أب وهو من تشبيهه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس ﴿خَلَقَهُ﴾ أي آدم أي قلبه ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ بشراً ﴿فَيَكُونُ﴾ أي فكان وكذلك عيسى قال له كن من غير أب فكان

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾

٦٠ ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ خير مبتدأ محذوف أي أمر عيسى ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه

﴿فَمَنْ حَاخَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾

﴿الْكَاذِبِينَ﴾

٦١ ﴿فَمَنْ حَاخَكَ﴾ جادلِكَ من النصراري ﴿فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بأمره ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ فنجمعهم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ تنضرع في الدعاء ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ بأن نقول: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى وقد دعا ﷺ وفد نجران لذلك لما حاجوه به فقالوا: حتى ن نظر في أمرنا ثم نأتيك فقال ذو رأيهم: لقد عرفتم نبوته وأنه ما باهل قوم نبيا إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا الرسول ﷺ وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي وقال لهم: إذا دعوت فأمّنوا فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية رواه أبو نعيم، وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا، وروي: لو خرجوا لاحترقوا

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢]

٦٢ ﴿إِنَّ هَذَا﴾ المذكور ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ﴾ الخبر ﴿الْحَقُّ﴾ الذي لا شك فيه ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ صنعته.

وروى الشيخان حديث أنه ينزل قرب الساعة ويحكم بشريعة نبينا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية وفي حديث مسلم أنه يمكث سبع سنين وفي حديث عن أبي داود الطيالسي أربعين سنة ويتوفى ويصلى عليه فيحتمل أن المراد مجموع لثته في الأرض قبل الرفع وبعده ﴿ذَلِكَ نَتَلَوُهْ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]

٥٨ ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿نَتَلَوُهْ﴾ نقصه ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ حال من الهاء في نتلوه وعامله ما في ذلك من معنى الإشارة ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ المحكم أي القرآن (١).

(١) أسباب نزول الآية ٥٨: أخرج ابن أبي حاتم عن الحسين قال: «أتى رسول الله ﷺ راهبا نجران، فقال أحدهما: من أبو عيسى؟ وكان رسول الله ﷺ لا يعجل حتى يأمره ربه، فنزل عليه: «ذَلِكَ نَتَلَوُهْ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ» إلى: «مِنَ الْمُخْتَرِينَ».

* وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ فِيهِمْ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ، فَقَالُوا: مَا شَأْنُكَ تَذَكُرُ صَاحِبَنَا؟ قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالُوا: عِيسَى تَزْعُمُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ: أَجَلٌ، فَقَالُوا: فَهَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ عِيسَى أَوْ أَنْبِئْتَهُ بِهِ؟ ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ، فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ: قُلْ لَهُمْ إِذَا تَوَكَّأ: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ»، إِلَى قَوْلِهِ: «مِنَ الْمُخْتَرِينَ».

* وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ نَجْرَانَ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِ: «طَس... سليمان»، بِاسْمِ إِلَهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ: مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ...» الحديث، وفيه: «فَبِعَثُوا إِلَيْهِ شَرْحِيلَ بْنَ وَدَاعَةَ الْهَمْدَانِيَّ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ شَرْحِيلِ الْأَصْبَحِيِّ وَجَبَّازَ الْحَرْثِيِّ، فَانْطَلَقُوا فَأَتَوْهُ فَسَأَلُوهُ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ وَبِهِمُ الْمَسْأَلَةَ، حَتَّى قَالُوا: مَا تَقُولُ فِي عِيسَى؟».

قال: ما عندي فيه شيء، يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم. فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآيات: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ - إلى قوله - ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ».

* وأخرج ابن سعد في الطبقات عن الأزرق بن قيس قال: «قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَسْفَفُ نَجْرَانَ وَالْعَاقِبُ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الْإِسْلَامَ فَقَالَا: إِنَّا كُنَّا مُسْلِمِينَ قَبْلَكَ، قَالَ: كَذِبْتُمَا، إِنَّهُ مَنَعَ مِنْكُمَا الْإِسْلَامَ ثَلَاثَ قَوْلِكُمَا: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَكَلَكُمَا لَحْمَ الْخَنزِيرِ، وَسَجَدَكُمَا لِلصَّنَمِ، قَالَا: فَمِنْ أَبُو عِيسَى؟ فَمَا دَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: «وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ». فدعاها إلى الملاعة فأبيا وأقروا بالجزية ورجعا».

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾

[آل عمران: ٦٣]

٦٣ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمرة

﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ تَمَلَّوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّلَمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]

٦٤ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿تَمَلَّوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ مصدر بمعنى مستو أمرها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هي ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كما اتخذتم الأحرار والرهبان ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا﴾ أنتم لهم ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ موحدون

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَعَاجُزُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِيهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥]

٦٥ ونزل لما قال اليهود: إبراهيم يهودي ونحن على دينه ، وقالت النصارى كذلك: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَعَاجُزُونَ﴾ تخاصمون ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ بزعمكم أنه على دينكم ﴿وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِيهِ﴾ بزمن طويل وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بطلان قولكم (١).

﴿هَتَأْتُمْ هَتُوكَ حَبِجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهٍ عِلْمٌ فَلِمَ تُعَاجِزُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦]

٦٦ ﴿هَا﴾ للتنبيه ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ يا ﴿هَتُوكَ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٦٥: روى ابن إسحاق بسنده المتكرر إلى ابن عباس قال: «اجتمعت نصارى نجران، وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً. وقال النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً. فأنزل الله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَعَاجِزُونَ﴾ الآية». أخرجه البيهقي في الدلائل.

والخبر ﴿حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ من أمر موسى وعيسى وزعمكم أنكم على دينهما ﴿فَلِمَ تُعَاجِزُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ من شأن إبراهيم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شأنه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال تعالى تبرئة لإبراهيم:

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]

٦٧ ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿مُسْلِمًا﴾ موحداً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]

٦٨ ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ﴾ أحقهم ﴿بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ محمد لموافقته له في أكثر شرعه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أمته فهم الذين ينبغي أن يقولوا نحن على دينه لا أنتم ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ناصرهم وحافظهم

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

٦٩ ونزل لما دعا اليهود معاداً وحذيفة وعماراً إلى دينهم: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم والمؤمنون لا يطيعونهم فيه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ﴾ [آل عمران: ٧٠]

٧٠ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن المشتمل على نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ﴾ تعلمون أنه حق

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُونِ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْمُنُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[آل عمران: ٧١]

٧١ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ﴾ تخلطون ﴿الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ بالتحريف والتزوير ﴿وَتَكْمُنُونَ الْحَقَّ﴾ أي نعت النبي ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٤]

٧٤ ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إن تَأْمَنهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن إن تَأْمَنهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

٧٥ ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إن تَأْمَنهُ بِقِنطَارٍ﴾ أي بمال كثير ﴿يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ لأمانته كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا ومائتي أوقية ذهباً فأداها إليه ﴿وَمِنْهُمْ مَن إن تَأْمَنهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ لخيانته ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ لا تفارقه فمتى فارقته أنكره ككعب بن الأشرف استودعه قرشي ديناراً فجحدته ﴿ذَلِكَ﴾ أي ترك الأداة ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ بسبب قولهم ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ أي العرب ﴿سَبِيلٌ﴾ أي إثم لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم ونسبوه إليه تعالى ، قال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ في نسبة ذلك إليه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون .

﴿بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَأَتَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾

٧٦ ﴿بَلَىٰ﴾ عليهم فيه سبيل ﴿مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ﴾ الذي عاهد الله عليه أو بعهد الله إليه من أداء الأمانة وغيره ﴿وَأَتَىٰ﴾ الله بترك المعاصي وعمل الطاعات ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمرة أي يحبهم بمعنى يشيهم .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

٧٧ ونزل في اليهود لما بدلوا نعت النبي ﷺ وعهد الله إليهم في التوراة وفيمن حلف كاذباً في دعوى أو في بيع سلعة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ يستبدلون ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ إليهم في الإيمان بالنبي ﷺ وأداء الأمانة ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ حلفهم به تعالى كاذبين

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَأَمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَأَمِنُوا وَجَءَ النَّهَارِ وَآكُفَرُوا ءَآخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

٧٢ ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اليهود لبعضهم ﴿ءَأَمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَأَمِنُوا﴾ أي القرآن ﴿وَجَءَ النَّهَارِ﴾ أوله ﴿وَآكُفَرُوا﴾ به ﴿ءَآخِرَهُ لَعَلَّهُمْ﴾ أي المؤمنین ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عن دينهم إذ يقولون ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لعلهم يطلانه (١) .

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ ءَأَهْدَىٰ هُدَىٰ اللَّهُ أَن يُؤَفِّقَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُرَيْتُمْ أَوْ يُجَءِزِكُمْ فَكُلٌّ مِّنَ الْفَضْلِ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾

٧٣ وقالوا أيضاً ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾ تصدقوا ﴿إِلَّا لِمَن﴾ اللام زائدة ﴿تَبِعَ﴾ وافق ﴿دِينَكُمْ﴾ قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام وما عداه ضلال ، والجملة اعتراض ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿يُؤْتِي أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُرَيْتُمْ﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل ، ﴿وَأَنْ﴾ مفعول تؤمنوا ، والمستثنى منه أحد قدم عليه المستثنى المعنى: لا تقروا بأن أحدا يؤتى ذلك إلا لمن اتبع دينكم ﴿أَوْ﴾ بأن ﴿يُحَاجُّوكُمْ﴾ أي المؤمنون يغلبوكم ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ يوم القيامة لأنكم أصبح ديناً ، وفي قراءة: أن بهمزة التوبيخ أي إبتاء أحد مثله تقرون به ؟ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ فمن أين لكم أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهله .

* * *

(١) أسباب نزول الآية ٧٢: روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: ﴿قال عبد الله بن الصيف، وعدي بن زيد، والحارث بن عوف، بعضهم لبعض، تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع فيرجعون عن دينهم، فأنزل الله فيهم: ﴿وَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾، إلى قوله: ﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .

* وأخرج ابن أبي حاتم عن الشدي عن أبي مالك قال: ﴿كانت اليهود تقول أحبارهم للذين من دونهم: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، فأنزل الله: ﴿قُلْ إِنْ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ .

السجود له ﷺ ﴿مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لِيُشِيرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ﴾
اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ أي الفهم للشرعة ﴿وَالنَّبِيَّةَ﴾
ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَلَكِنْ﴾ يقول ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ علماء عاملين
منسويين إلى الرب بزيادة ألف ونون تفخيما ﴿وَمَا
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿الْكِتَابَ وَمَا
كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ أي بسبب ذلك فإن فائدته أن
تعملوا (١).

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾
﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

٨٠ ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بالرفع استثناء أي الله ،
والنصب عطفًا على يقول أي البشر ﴿أَنْ تَتَّخِذُوا
الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ كما اتخذت الصابئة
الملائكة واليهود عزيرًا والنصارى عيسى ﴿أَيَأْمُرُكُمْ
بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لا ينبغي له هذا

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ
كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا
مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ
ذَلِكَُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ
الشَّاهِدِينَ﴾

٨١ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ﴾
النَّبِيِّينَ ﴿عِهِمْ﴾ ﴿لَمَّا﴾ بفتح اللام للابتداء وتوكيد
معنى القسم الذي في أخذ الميثاق وكسرها متعلقة
بأخذ وما موصولة على الوجهين أي للذي
﴿آتَيْتُكُمْ﴾ إياه ، وفي قراءة ﴿آتَيْنَاكُمْ﴾ ﴿مَنْ﴾
كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا
مَعَكُمْ﴾ من الكتاب والحكمة وهو محمد ﷺ

(١) أسباب نزول الآية ٧٩: أخرج ابن إسحاق، والبيهقي،
عن ابن عباس قال: «قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت
الأخبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله
ﷺ ، ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما
تعبد النصارى عيسى؟ فقال: معاذ الله، فأنزل الله في ذلك:
﴿مَا كَانَ لِيُشِيرَ﴾ إلى قوله: «بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

﴿وَ﴾ وأخرج عبد الرزاق في تفسيره عن الحسن قال: «بلغني
أن رجلاً قال: يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على
بعض أفلا نسجد لك؟ قال: لا ولكن أكرموا نبيكم وارعفوا
الحق لأهله، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، فأنزل
الله: «مَا كَانَ لِيُشِيرَ﴾ إلى قوله: «بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

﴿ثُمَّ قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿أُوذِيكَ لَا خَلَاقَ﴾ نصيب
﴿لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ غضبا عليهم
﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ يرحمهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا
يُرَكِّبُهُمْ﴾ يطهرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم (١)

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوَنَ أَسِنَّهُمْ بِالْكِتَابِ
لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْهُ﴾
وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

٧٨ ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أي أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا﴾
طائفة ككعب بن الأشرف ﴿يَلْوَنَ أَسِنَّهُمْ﴾
بِالْكِتَابِ﴾ أي يعطفونها بقراءته عن المنزل إلى ما
حرفوه من نعت النبي ﷺ ونحوه ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي
المحرف ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ الذي أنزله الله ﴿وَمَا هُوَ
مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
أنهم كاذبون

﴿مَا كَانَ لِيُشِيرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾
وَالنَّبِيَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ
وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾

٧٩ ونزل لما قال نصارى نجران إن عيسى
أمرهم أن يتخذوه رباً ولما طلب بعض المسلمين

(١) أسباب نزول الآية ٧٧: روى الشيخان وغيرهما أن
الأشعث بن قيس قال: «كان بيني وبين رجل من اليهود أرض،
فجددني فقدّمته إلى النبي ﷺ، فقال: ألك بينة؟ قلت: لا،
فقال لليهودي: احلف، فقلت: يا رسول الله إذن يحلف
فيذهب مالي، فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ
ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى آخر الآية».

﴿وَ﴾ وأخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى «أن رجلاً
أقام سلعة له في السوق ، فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم
يُعطه، ليوقع فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾».

﴿وَ﴾ قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: «لا منافاة بين
الحديثين؛ بل يحمل على أن النزول كان بالسببين معاً».

﴿وَ﴾ وأخرج ابن جرير عن عكرمة: «إن الآية نزلت في حبي
ابن أخطب، وكعب بن الأشرف، وغيرهما من اليهود الذين
كتموا ما أنزل الله في التوراة وبدلوه وحلفوا أنه من عند الله».
قال الحافظ ابن حجر: الآية محتملة، لكن العمدة في ذلك
ما ثبت في الصحيح.

٨٦ ﴿كَيْفَ﴾ أي لا ﴿يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا﴾ أي شهادتهم ﴿أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ﴾ قد ﴿جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج الظاهرات على صدق النبي ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي الكافرين (١).

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آل عمران: ٨٧]

٨٧ ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [آل عمران: ٨٨]

٨٨ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي اللعنة أو النار المدلول بها عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٨٩]

٨٩ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾

٩٠ ونزل في اليهود ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعيسى ﴿بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ بموسى ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ﴾ إذا غرغروا أو ماتوا كفارا ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾

* * *

(١) أسباب نزول الآية ٨٦: روى الثَّسَالِي، وابن جَبَّان، والحَاكِم، عن ابن عَبَّاس قال: «كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ثم ندم فأرسل إلى قومه: أرسلوا إلى رسول الله هل لي من توبة؟ فنزلت: «كيف يَهْدِي الله قَوْمًا كَفَرُوا» إلى قوله: «فإنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ» فأرسل إليه قومه فأسلم.»

وأخرج مسدد في مسنده، وعبد الرزاق، عن مجاهد قال: «جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي ﷺ ثم كفر، فرجع إلى قومه، فأنزل الله فيه القرآن: «كيف يَهْدِي الله قَوْمًا كَفَرُوا» إلى قوله: «غَفُورٌ رَحِيمٌ». فحملها إليه رجل من قومه، فقرأها عليه، فقال الحارث: إنك والله ما علمت لصدوق، وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك، وإنَّ الله لأصدق الثلاثة، فرجع وأسلم وحسن إسلامه.»

﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ جواب القسم إن أدر كنتموه وأممهم تبع لهم في ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ بذلك ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾ قبلتم ﴿عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ عهدي ﴿قَالُوا أَفَرَأَيْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا﴾ على أنفسكم وأتباعكم بذلك ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

٨٢ ﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْعُوثُ وَكَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾

٨٣ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْعُوثُ﴾ بالياء والتاء أي المتبولون ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ انقاد ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ بلا إباء ﴿وَوَكْرَهًا﴾ بالسيف ومعانية ما يلجئ إليه ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ بالتاء والياء والهمزة في أول الآية للإنكار

﴿قُلْ ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا لِنُزِيلَهُمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤]

٨٤ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا لِنُزِيلَهُمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ أولاده ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون في العبادة. ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقَبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

٨٥ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقَبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ لمصيره إلى النار المؤيدة عليه

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦]

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾
[آل عمران: ٩٥]

٩٥ ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ في هذا كجميع ما أخبر به ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ التي أنا عليها ﴿حَنِيفًا﴾ مائلا عن كل دين إلى الإسلام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]

٩٦ ونزل لما قالوا قبلتنا قبل قبلكم ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ مُتَعَبِّدًا ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الأرض ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ بآباء لغة في مكة سميت بذلك لأنها بئك أعناق الجبارة أي تدقها ، بناه الملائكة قبل خلق آدم ووضع بعده الأقصى وبينهما أربعون سنة كما في حديث الصحيحين وفي حديث «أنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض زبدة بيضاء فدحيت الأرض من تحتها» ﴿مُبَارَكًا﴾ حال من الذي أي ذا بركة ﴿وهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ لأنه قبلتهم

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾
﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾
﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

[آل عمران: ٩٧]

٩٧ ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ منها ﴿مِّمَّا إِبْرَاهِيمَ﴾ أي الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت فأثر قدمه فيه وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه ومنها تضعيف الحسنات فيه وأن الطير لا يعلوه ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ لا يتعرض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ واجب بكسر الحاء وفتحها لغتان في مصدر حج قصد ويبدل من الناس ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً فشره ﷺ بالزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه من الحج ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم^(١)

(١) أسباب نزول الآية ٩٧: أخرج سعيد بن منصور عن عكرمة قال: «لما نزلت: وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا، الآية، قالت اليهود: فحن مسلمون، فقال لهم النبي ﷺ: إِنَّ اللَّهَ

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾
[آل عمران: ٩١]

٩١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ﴾ مقدار ما يملؤها ﴿ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ أدخل الفاء في خبر إن لشبه الدين بالشرط وإيداناً بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ مانعين منه ﴿لَنْ نَنَالُوا آلَئِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا يُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَوْمَ عَالِمٌ﴾

٩٢ ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ﴾ أي ثوابه وهو الجنة ﴿حَتَّىٰ تُنْفِقُوا﴾ تَصَدَّقُوا ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من أموالكم ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَوْمَ عَالِمٌ﴾ فيجازي عليه

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلا لِيَّي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِّلَ التَّوْرَةَ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأْتَلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
[آل عمران: ٩٣]

٩٣ ونزل لما قال اليهود إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل والبانها: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلا لِيَّي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ وهو الإبل لما حصل له عرق النسا بالفتح والقصر فنذر إن شفي لا يأكلها فحرم عليه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزِّلَ التَّوْرَةَ﴾ وذلك بعد إبراهيم ولم تكن على عهده حراما كما زعموا ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأْتَلُوهَا﴾ ليتبين صدق قولكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه فبهتوا ولم يأتوا بها قال تعالى:

﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [آل عمران: ٩٤]

٩٤ ﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المتجاوزون الحق إلى الباطل

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُثَلَّىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَيَسَّرَ لَكُمْ رَسُولَهُ وَمَنْ يَعْصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

١٠١ ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ استفهام تعجب وتوبيخ ﴿وَأَنْتُمْ تُثَلَّىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْصِمِ﴾ يتمسك ﴿بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا آتَاؤُا اللَّهِ حَقَّ تَقَاتِيهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

١٠٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِيهِ﴾ بأن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى فقالوا يا رسول الله و من يقوى على هذا فنسخ بقوله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون موحدون

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

١٠٣ ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾ تمسكوا ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي دينه ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ بعد الإسلام ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ إنياعه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿إِذْ كُنْتُمْ﴾ قبل الإسلام ﴿أَعْدَاءً فَأَلَّفَ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ فصرتم ﴿بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ في الدين والولاية ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا﴾ طرف ﴿حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا كفاراً ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ بالإيمان ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

﴿وَلَنْكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلِعُونَ﴾

١٠٤ ﴿وَلَنْكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ الإسلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ﴾ الداعون الأمرين الناهون ﴿هُمُ

الكتاب. الآية. وفي شاس بن قيس: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ، الآية.﴾

﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨]

٩٨ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَاللَّهُ شَهِدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه

﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٩]

٩٩ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي دينه ﴿مَنْ آمَنَ﴾ بتكذيبكم النبي وكنتم نعمته ﴿تَبِعُونَهَا﴾ أي تطلبون السبيل ﴿عَوجًا﴾ مصدر بمعنى معوجة أي مائلة عن الحق ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ عالمون بأن الدين المرضي القيم دين الإسلام كما في كتابكم ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب وإنما يؤخركم إلى وقتكم ليجازيكم

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾

١٠٠ ونزل لما مر بعض اليهود على الأوس والخزرج وغازهم تألفهم فذكروهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن فتشاجروا وكادوا يقتتلون: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (١)

فرض على المسلمين حج البيت، فقالوا: لم يكتب علينا، وأبوا أن يحجوا، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾. (١) أسباب نزول الآية ١٠٠: أخرج القرطبي وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كانت الأوس والخزرج في الجاهلية بينهم شر، فبينما هم جلوس ذكروا ما بينهم حتى غضبوا، وقام بعضهم إلى بعض بالسلاح، فنزلت: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ الآية. والأتان بعدها.

* وأخرج ابن إسحاق، وأبو الشيخ، عن زيد بن أسلم قال: «مر شاس بن قيس، وكان يهوديًا على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون فغاضه ما رأى من تألفهم بعد العداوة، فأمر شاشًا معه من يهود أن يجلس بينهم فيذكرهم يوم يمات ففعل، فتنازعا وتفاخروا حتى وثب رجلان: أوس بن قبيظي من الأوس، وجبار بن صخر من الخزرج، فقالوا و غضب الفريقان وتواتبوا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء حتى وعظهم وأصلح بينهم، فسمعوا وأطاعوا، فأنزل الله في أوس وجبار، ومن كان معهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

وَأَكْثَرَهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾

١١٠ ﴿كُنْتُمْ﴾ يا أمة محمد في علم الله تعالى ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ أظهرت ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ الْإِيمَانُ﴾ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴿كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه﴾ وَأَكْثَرَهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿الكافرون﴾ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا آذَانُ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ وَإِنْ يَمُنُّوا بِكُمْ يُلَوِّكُمُ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُصْرُونَ ﴿

١١١ ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ﴾ أي اليهود يا معشر المسلمين بشيء ﴿إِلَّا آذَى﴾ باللسان من سب ووعيد ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُلَوِّكُمُ الْأَذْبَارَ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يُضُرُّونَ﴾ عليكم بل لكم النصر عليهم ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبِأَمْرِ بِعَاصِبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢]

١١٢ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا﴾ حيثما وجدوا فلا عز لهم ولا اعتصام ﴿إِلَّا﴾ كائنين ﴿بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ المؤمنين وهو عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية أي لا عصمة لهم غير ذلك ﴿وَبِأَمْرِ﴾ رجعوا ﴿بِعَاصِبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ﴾ تأكيد ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ أمر الله ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون الحلال إلى الحرام .

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾

١١٣ ﴿لَيْسُوا﴾ أي أهل الكتاب ﴿سَوَاءً﴾ مستويين ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ مستقيمة ثابتة على الحق كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وعن أصحابه ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ أي في ساعاته ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يصلون ، حال (١) .

المفلحون ﴿الفائزون ، ومن للتبعض لأن ما ذكر فرض كفاية لا يلزم كل الأمة ولا يليق بكل أحد كالجاهل . وقيل زائدة أي لتكونوا أمة .

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

١٠٥ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ عن دينهم ﴿وَاخْتَلَفُوا﴾ فيه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦]

١٠٦ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أي يوم القيامة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم الكافرون فيلقون في النار ويقال لهم توبيخا ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يوم أخذ الميثاق ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]

١٠٧ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم المؤمنون ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي جنته ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨]

١٠٨ ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ بأن يأخذهم بغير جرم

﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [آل عمران: ١٠٩]

١٠٩ ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وَاللَّهُ تَرْجَعُ﴾ تصير ﴿الْأُمُورُ﴾

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ

(١) أسباب نزول الآية ١١٣: أخرج ابن أبي حاتم،

﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في عداوة النبي من صدقة ونحوها ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ حر أو برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكْتُهُمْ﴾ فلم ينتفعوا به فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿وَمَا ظَلَمْتُمْ اللَّهَ﴾ بضياح نفقاتهم ﴿وَلَكِنِ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر الموجب لضياعها

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مِن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُونًا مَّا عِنتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾

١١٨ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ﴾ أصفياء تطعونهم على سرهم ﴿مِن دُونِكُمْ﴾ أي غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿وَلَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ نصب بنزع الخافض أي لا يقصرون لكم في الفساد ﴿وَدُونًا﴾ تمنوا ﴿وَمَا عِنتُمْ﴾ أي عنتكم وهو شدة الضرر ﴿قَدْ بَدَتِ﴾ ظهرت ﴿الْبَغْضَاءُ﴾ العداوة لكم ﴿مِن أَفْوَاهِهِمْ﴾ بالوقية فيكم وإطلاع المشركين على سرهم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ على عداوتهم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ذلك فلا تولوهم (١).

﴿هَتَأْتُمْ أَزْوَاجًا تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمُ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَىٰ كُمُ الْأُنَامِلِ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْمِنًا يَتَّبِعْتُمْ إِنَّا لَآلِهَةٌ مِّمَّنْ بَدَّاتِ الصُّدُورِ﴾

١١٩ ﴿مَا﴾ للتنبيه ﴿أَنْتُمْ﴾ يا ﴿أَوْلَاءِ﴾ المؤمنين ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ لقرابتهم منكم وصدقتهم ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمُ﴾ لمخالفتهم لكم في الدين ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي بالكتب كلها ولا يؤمنون بكتابتكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَىٰ كُمُ الْأُنَامِلِ﴾ أطراف الأصابع ﴿مِنَ الصُّدُورِ﴾

(١) أسباب نزول الآية ١١٨: أخرج ابن جرير، وابن إسحاق، عن ابن عباس قال: «كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من يهود يما كان بينهم من الجوار والخلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم ففهمهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مِن دُونِكُمْ» الآية.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤]

١١٤ ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر الله ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِن خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ بِالْغَيْبَاتِ﴾ [آل عمران: ١١٥]

١١٥ ﴿وَمَا يَفْعَلُوا﴾ بالناء أيها الأمة والياء أي الأمة القائمة ﴿مِن خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ بالوجهين أي بعدموا ثوابه بل يجازون عليه ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمُتَّقِينَ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٦]

١١٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي من عذابه ﴿شَيْئًا﴾ وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكْتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنِ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

١١٧ ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿مَا يُنْفِقُونَ﴾ أي الكفار

والطبراني، وابن منده في الصحابة، عن ابن عباس قال: «ما أسلم: عبد الله بن سلام وثعلبة بن سقية، وأسيد بن سقية، وأسد بن عبيد، ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورجعوا في الإسلام قالت أبحار اليهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد وأتبعه إلا أشراؤنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آباؤهم وذهبوا إلي غيره، فأنزل الله في ذلك: «لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» الآية. وأخرج أحمد والنسائي وغيره عن ابن مسعود قال: «أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال: أما إنهم ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم، وأنزلت هذه الآية: «لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ» حتى بلغ: «وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ».

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

١٢٢ ﴿إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ بنو سلمة وبنو حارثة جناحا العسكر ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ تجنبا عن القتال وترجعا لما رجع عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وقال: علام نقتل أنفسنا وأولادنا وقال لأبي جابر السلمي القائل له أنشدكم الله في نبيكم وانفسكم: لو نعلم قتالا لاتبعناكم فبثتها الله ولم ينصرفا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ ناصرهما ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ليقنوا به دون غيره ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]

١٢٣ ونزل لما هزموا تذكيراً لهم بنعمة الله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ موضع بين مكة والمدينة ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ بقله العدد والسلاح ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾

١٢٤ ﴿إِذْ﴾ ظرف لنصركم ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ توعدهم تطمينا ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ﴾ يعينكم ﴿رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ بالتخفيف والتشديد

﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُبَدِّلْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾

١٢٥ ﴿بَلَىٰ﴾ يكفيكم ذلك ، وفي الأنفال

تَفْشَلَا. قال: هم الذين طلبوا الأمان من المشركين إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾. قال: هو تمنى المؤمن لقاء العدو إلى قوله: ﴿أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ﴾. قال: هو صباح الشيطان يوم أحد: قُتِلَ مُحَمَّدٌ، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَمِنَةً نَعَّاشًا﴾. قال: ألقى عليهم التوم.

* وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله قال: ﴿فِينَا نَزَلَتْ فِي بَنِي سَلْمَةَ وَبَنِي حَارِثَةَ: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾.

* وأخرج ابن أبي شيبة من المصنّف، وابن أبي حاتم، عن الشعبي: «أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرزين جابر الحاربي يمدّ المشركين، فسحق عليهم، فأنزل الله: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رَبُّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ فبلغت كرزاً الهزيمة فلم يمدّ المشركين ولم يمدّ المسلمون بالخمسة.

العَظِيظُ﴾ شدة الغضب لما يرون من ائتلافكم ، ويعبر عن شدة الغضب بعض الأنامل مجازاً وإن لم يكن ثم عض ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ أي ابقوا عليه إلى الموت فلن تروا ما يسركم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب ومنه ما يضره هؤلاء

﴿إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً سَوْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]

١٢٠ ﴿إِنْ تَمَسَسْتُمْ﴾ تصبكم ﴿حَسَنَةً﴾ نعمة كنصر وغنيمة ﴿تَسَوْؤُهُمْ﴾ تحزنهم ﴿وَأَنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كهزيمة وجذب ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾ وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل وما بينهما اعتراض والمعنى أنهم متناهون في عداوتكم فلم توالوهم فاجتنبوهم ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ على أذاهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله في مولاتهم وغيرها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ بكسر الضاد وسكون الراء وضمها وتشديدها ﴿كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مُحِيطٌ﴾ عالم فيجازيهم به

﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١]

١٢١ ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ من المدينة ﴿تُبَوِّئُ﴾ تنزل ﴿الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ﴾ مراكز يقفون فيها ﴿لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم ، وهو يوم أحد خرج النبي ﷺ بألف أو إلا خمسين رجلاً والمشركون ثلاثة آلاف ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاثة من الهجرة وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وسوى صفوفهم وأجلس جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل وقال: أنضحوا عنا بالنبل لا يأتوا من ورائنا ولا تبرحوا علينا أو نصرنا (١).

(١) أسباب نزول الآية ١٢١: أخرج ابن أبي حاتم، وأبو يعلى، عن المسور بن مخرمة قال: «قلت لعبد الرحمن بن عوف: أخبرني عن قصتك يوم أحد، فقال: اقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾، إلى قوله: ﴿وَإِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾».

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

١٢٩ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بأهل طاعته
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

١٣٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ بالف و دونها بأن تزيدوا في المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بتركه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون (١)
﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

١٣١ ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أن تعذبوا بها

إلى آخرها، فتيب عليهم كلهم. وروى البخاري عن أبي هريرة نحوه.

قال الحافظ ابن حجر: «طريق الجمع بين الحديثين: أنه ﷺ دعا على المذكورين في صلاته بعد ما وقع له من الأمر المذكور يوم أحد، فنزلت الآية في الأمرين معا فيما وقع له وفيما نشأ عنه في الدعاء عليهم. قال: «لكن يشك على ذلك ما وقع في مسلم من حديث أبي هريرة أنه ﷺ كان يقول في الفجر: اللهم العن رعلاً وذكوان وعصية، حتى أنزل الله عليه: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ»، ووجه الإشكال أن الآية نزلت في قصة أحد، وقصة رعل وذكوان بعدها، ثم ظهرت لي علة الخبر وأن فيه إدراجاً، فإن قوله حتى أنزل الله منقطع من رواية الزهري على من بلغه، بين ذلك مسلم، وهذا البلاغ لا يصح لما ذكرته. قال: «ويحتمل أن يقال أن قصتهم كانت عقب ذلك، وتأخر نزول الآية عن سببها قليلاً، ثم نزلت في جميع ذلك. قلت: «ورد في سبب نزولها أيضاً ما أخرجه البخاري، في تاريخه، وابن إسحاق، عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل من قريش إلى النبي ﷺ، فقال: إنك تنهي عن السب، ثم تحول فحول قفاه إلى النبي ﷺ، وكشف أشته، فلعنه ودعا عليه، فأنزل الله: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» الآية. ثم أسلم الرجل فحسن إسلامه. مرسل غريب.»

(١) أسباب نزول الآية ١٣٠: أخرج الفريابي عن مجاهد قال: «كانوا يتعاونون إلى الأجل، فإذا حل الأجل زادوا عليهم، وزادوا في الأجل، فنزلت: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً». وأخرج أيضاً عن عطاء قال: «كانت تقيف تداين بني النضير في الجاهلية، فإذا جاء الأجل قالوا: نزيكهم وتؤخرون عتاً، فنزلت: «لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً».

بألف لأنه أمدهم أولاً بها ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى ﴿إِن تَضَيَّرُوا﴾ على لقاء العدو ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله في المخالفة ﴿وَيَأْتُواكُمْ﴾ أي المشركون ﴿مِّن قُورِهِمْ﴾ وقتهم ﴿هَذَا يُعَذِّبُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ بكسر الواو وفتحها أي معلمين وقد صبروا وأنجز الله وعده بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر أو بيض أرسلوها بين أكتافهم

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا الْقَبْضُ إِلَّا مِّنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾

١٢٦ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقتلكم ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِّنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ يؤتیه من يشاء وليس بكثرة الجند

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٧]

١٢٧ ﴿لِيَقْطَعَ﴾ متعلق بنصركم أي ليهلك ﴿طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْتُمَهُمْ﴾ يذلهم بالهزيمة ﴿فَيَنْقَلِبُوا﴾ يرجعوا ﴿خَائِبِينَ﴾ لم ينالوا ما راموه
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]

١٢٨ ولما كسرت ربايعته ﷺ وشج وجهه يوم أحد وقال: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدّم؟ نزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ بل الأمر لله فاصبر ﴿أَوْ﴾ بمعنى إلى أن ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإسلام ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ بالكفر (١).

(١) أسباب نزول الآية ١٢٨: روى أحمد، ومسلم، عن أنس: «أن النبي ﷺ كسرت ربايعته يوم أحد، وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه، فقال: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم، فأنزل الله: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» الآية. وروى أحمد والبخاري عن ابن عمر قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم العن فلاناً، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو، اللهم العن صفوان بن أمية، فنزلت هذه الآية: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ».

مضت ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ طرائق في الكفار يأمهالهم ثم أخذهم ﴿فَيَسِيرُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فلا تحزنوا لعلبتهم فأنا أمهلهم لوقتهم

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾

١٣٨ ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ كلهم ﴿وهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ منهم ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]

١٣٩ ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تضعفوا عن قتال الكفار ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما أصابكم بأحد ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ بالغلبة عليهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حقا وجوابه دل عليه مجموع ما قبله

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

١٤٠ ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ﴾ يصيبكم بأحد ﴿قَرْحٌ﴾ بفتح القاف وضمها: جهد من جرح ونحوه ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾ الكفار ﴿قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ بيدر ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾ نصرناها ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ يوما لفرقة ويوما لأخرى ليتعظوا ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أخلصوا في إيمانهم من غيرهم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ يكرمهم بالشهادة ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين أي يعاقبهم وما ينعم به عليهم استدراج (١).

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾

١٤١ ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم ﴿وَيَمْحَقَ﴾ يهلك ﴿الْكٰفِرِينَ﴾

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ

(١) أسباب نزول الآية ١٤٠: أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: «لما أبطأ على النساء الخبر خرجن ليستخرين، فإذا رجلان مقلبان على بعير فقالت امرأة: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: حي، قالت: فلا أبالي يتخذ الله من عباده الشهداء. ونزل القرآن على ما قالت: «وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ».

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

١٣٢ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

١٣٣ ﴿وَسَارِعُوا﴾ بواو ودونها ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي كعرضهما لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض السعة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله بعمل الطاعات وترك المعاصي

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكٰطِبِينَ الْقَنِيطَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

١٣٤ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ اليسر والعسر ﴿وَالْكٰطِبِينَ﴾ الغيظ ﴿الْعَافِينَ﴾ الكافرين عن إمضائه مع القدرة ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ممن ظلمهم أي التاركين عقوبتهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بهذه الأفعال، أي يشيهم

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

١٣٥ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ ذنباً قبيحاً كالزنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بما دونه كالقبلة ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أي وعيده ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ لَا يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ يداوموا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ بل أفلحوا عنه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن الذي أتوه معصية

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِمَا أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾

١٣٦ ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة، أي مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها ﴿وَبِمَا أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ بالطاعة هذا الأجر

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾

١٣٧ ونزل في هزيمة أحد: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَتَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾

١٤٥ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه ﴿كِتَابًا﴾ مصدر أي: كتب الله ذلك ﴿مُؤَجَّلًا﴾ مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر فلم انهزمتم! والهزيمة لا تدفع الموت والثبات لا يقطع الحياة ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي جزاءه منها ﴿نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ ما قسم له ولا حظ له في الآخرة ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ أي من ثوابها ﴿وَسَتَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾

﴿وَكَايِنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]

١٤٦ ﴿وَكَايِنٍ﴾ كم ﴿مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ﴾ وفي قراءة ﴿قَاتِلٍ﴾ والفاعل ضميره ﴿مَعَهُ﴾ خبر مبتدؤه ﴿رِيثُونَ كَثِيرٌ﴾ جموع كثيرة ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ جبنوا ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن الجهاد ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قتل النبي ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ على البلاء أي يشيهم.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]

١٤٧ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

نبيكم حتى يفتح الله عليكم أو تلتحقوا به، فأنزل الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية.

* وأخرج البيهقي في الدلائل عن أبي نجيح: «أن رجلاً من المهاجرين مرّ علي رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه، فقال: أشعرت أن محمداً قد قتل، فقال: إن كان محمداً قد قتل فقد بلغ قاتلوا عن دينكم، فنزلت.»

* وأخرج ابن راهويه في مسنده، عن الزهري: «أن الشيطان صاح يوم أحد: إن محمداً قد قتل، قال كعب بن مالك: أنا أول من عرف رسول الله ﷺ رأيت عينيه من تحت المغفر، فنادت بأعلى صوتي: هذا رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية.»

جَاهِدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾

١٤٢ ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ علم ظهور ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ في الشدائد

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْفَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣]

١٤٣ ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْفَوْهُ﴾ حيث قلت: ليت لنا يوماً كيوم بدر لننال ما نال شهداؤه ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ﴾ أي سببه الحرب ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظَرُونَ﴾ أي بصراء تتاملون الحال كيف هي فلم انهزمتم؟ ونزل في هزيمتهم لما أشيع أن النبي قتل وقال لهم المنافقون إن كان قتل فارجعوا إلى دينكم^(١).

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾

١٤٤ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ كغيره ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ رجعتم إلى الكفر، والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري أي ما كان معبودا فترجعوا ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا﴾ وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ نعمة بالثبات^(٢).

(١) أسباب نزول الآية ١٤٣: أخرج ابن أبي حاتم عن طريق العوفي عن ابن عباس: «أن رجلاً من الصحابة كانوا يقولون: ليتنا نقتل كما قتل أصحاب بدر أو ليت لنا يوماً كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ونبلي فيه خيراً أو نلتبس الشهادة والجنة أو الحياة والرزق، فأشهدهم الله أحداً فلم يلبثوا إلا ما شاء الله منهم، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ الآية.»

(٢) أسباب نزول الآية ١٤٤: أخرج ابن المنذر عن عمر قال: «تفرقتنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد فصعدت الجبل فسمعت يهود يقول: قتل محمد، فقلت: لا أسمع أحداً يقول قتل محمد إلا ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يترجعون إليه فنزلت: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية.» * وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع قال: «لما أصابهم يوم أحد ما أصابهم من القرص وتداعوا نبي الله قالوا: قد قتل، فقال أناس: لو كان نبياً ما قتل، وقال أناس: قاتلوا على ما قاتل عليه

وإسرافنا ﴿ تجاوزنا الحد ﴾ ﴿ في أمرنا ﴾ إيدانا بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضماً لأنفسهم ﴿ وثبت أقدامنا ﴾ بالقوة على الجهاد ﴿ وانصرتنا على القوم الكافرين ﴾

﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يَجِبُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٨]

١٤٨ ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ النصر والغنيمة ﴿ وَحَسَّنَ ثَوَابَ الآخِرَةِ ﴾ أي الجنة ، وحسنه : التفضيل فوق الاستحقاق ﴿ وَاللَّهُ يَجِبُ الْمُحْسِنِينَ ﴾

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرِيدُواكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنَقَّلُوا خَسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٩]

١٤٩ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فيما يأمرونكم به ﴿ يُرِيدُواكُمْ ﴾ إلى الكفر ﴿ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنَقَّلُوا خَسِرِينَ ﴾

﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾

١٥٠ ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ﴾ ناصركم ﴿ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ فاطيعوه دونهم

﴿ سَنَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥١]

١٥١ ﴿ سَنَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ بسكون العين وضمها الخوف ، وقد عزموا بعد ارتحالهم من أحد على العود واستئصال المسلمين فرعبوا ولم يرجعوا ﴿ بِمَا أَشْرَكُوا ﴾ بسبب إشراكهم ﴿ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ حجة على عبادته وهو الأصنام ﴿ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ﴾ مأوى ﴿ الظالمين ﴾ الكافرين هي

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ مَرَرْنَا مِنْكُمْ لِيَتْلَبَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]

١٥٢ ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ إياكم بالنصر ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ ﴾ تقتلونهم ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ بإرادته ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ ﴾ جبنتم عن القتال ﴿ وَتَنَزَّعْتُمْ ﴾ اختلفتم ﴿ فِي الْأَمْرِ ﴾ أي أمر النبي ﷺ بالمقام في سفح الجبل للرمي فقال بعضهم: نذهب فقد نصر أصحابنا ، وبعضكم: لا نخالف أمر النبي ﷺ ﴿ وَعَصَيْتُمْ ﴾ أمره فتركتهم المركز لطلب الغنيمة ﴿ مَنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ ﴾ الله ﴿ مَا تُحِبُّونَ ﴾ من النصر وجواب إذا دل عليه ما قبله أي منعكم نصره ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ فترك المركز للغنيمة ﴿ وَمَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ فثبت به حتى قتل كعبد الله بن جبير وأصحابه ﴿ ثُمَّ صَرَفْنَاكُمْ ﴾ عطف على جواب إذا المقدر ، زدكم بالهزيمة ﴿ عَنْهُمْ ﴾ أي الكفار ﴿ لِيَتْلَبَكُمْ ﴾ ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ ما ارتكبتموه ﴿ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالنعو

﴿ إِذْ تُضْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ فَأَتَيْتُمُ عَمَّا يَفْعُرُ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

١٥٣ اذكروا ﴿ إِذْ تُضْعَدُونَ ﴾ تبعدون في الأرض هاربين ﴿ وَلَا تَلُونُ ﴾ تخرجون ﴿ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ ﴾ أي من ورائكم يقول: إلي عباد الله ﴿ فَأَتَيْتُمُ ﴾ فجازاكم ﴿ عَمَّا ﴾ بالهزيمة ﴿ يَفْعُرُ ﴾ بسبب غمكم للرسول بالمخالفة وقيل الباء بمعنى على ، أي مضاعفا على غم فوت الغنيمة ﴿ لِكَيْلًا ﴾ متعلق بعفا أو بأثابكم ﴿ تَحْزَنُوا ﴾ على ما فاتكم ﴿ مِنَ الْغَنِيمَةِ ﴾ ولا ما أصابكم ﴿ مِنَ الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ ﴾ والله خبيرٌ بما تعملون ﴿

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نَاسًا يَنْصَحُكُمْ بِطَائِفَةٍ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

يَذَابِ الصُّدُورِ ﴿آل عمران: ١٥٤﴾

١٥٤ ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا
نُعَاشًا﴾ بدل ﴿يُعَشَى﴾ بالياء والتاء ﴿طَائِفَةٌ
مِنْكُمْ﴾ وهم المؤمنون فكانوا يمشون تحت
الحجف وتسقط السيوف منهم ﴿وطائفة قد
أهنتهم أنفسهم﴾ أي حملتهم على الهم فلا رغبة
لهم إلا نجاتها دون النبي وأصحابه فلم يناموا وهم
المنافقون ﴿يظنون بالله﴾ ظناً ﴿غير﴾ الظن ﴿الحق﴾
ظن أي كظن ﴿الجاهلية﴾ حيث اعتقدوا أن
النبي قتل أو لا ينصر ﴿يقولون هل﴾ ما ﴿لنا من
الأمر﴾ أي النصر الذي وعدناه ﴿من﴾ زائدة
﴿شيء قل﴾ لهم ﴿إن الأمر كله﴾ بالنصب توكيداً
والرفع مبتدأ وخبره ﴿لله﴾ أي القضاء له يفعل ما
يشاء ﴿يخفون في أنفسهم ما لا يبدون﴾ يظهرون
﴿لك يقولون﴾ بيان لما قبله ﴿لو كان لنا من الأمر
شيء ما قتلنا ما هنا﴾ أي لو كان الاختيار إلينا لم
نخرج فلم نقتل لكن أخرجنا كرها ﴿قل﴾ لهم
﴿لو كنتم في يوتركم﴾ وفيكم من كتب الله عليه
القتل ﴿ليبرز﴾ خرج ﴿الذين كتب﴾ قضي ﴿عليهم
القتل﴾ منكم ﴿إلى مضاجعهم﴾ مصارعهم فيقتلوا
ولم ينجم قعودهم لأن قضاء تعالي كائن لا
محالة ﴿و﴾ فعل ما فعل بأحد ﴿ليبتلي﴾ يختبر
﴿الله ما في صدوركم﴾ قلوبكم من الإخلاص
والنفاق ﴿وليخص﴾ يميز ﴿ما في قلوبكم والله
عليم يذاب الصدور﴾ بما في القلوب لا يخفى
عليه شيء وإنما يتلي ليظهر للناس ^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا
اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ
عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥]

١٥٥ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ عن القتال ﴿يَوْمَ
التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ جمع المسلمين وجمع الكفار

(١) أسباب نزول الآية ١٥٤: أخرج ابن راهويه، عن الزبير
قال: «لقد رأيتني يوم أحد حين اشتد علينا الخوف، وأرسل
علينا النوم، فما متاً أحد إلا ذقته في صدره، فوالله إني لأسمع
كالحلم قول معتب بن قشير: «لو كان لنا من الأمر شيء ما
قتلنا هاهنا»..

فحفظها، فأمر الله في ذلك: «ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ
الْغَمِّ أَمْنًا نُعَاشًا» إلى قوله: «وَاللَّهُ عَلِيمٌ يَذَابِ الصُّدُورِ».

بأحد وهم المسلمون إلا اثني عشر رجلاً ﴿إِنَّمَا
اسْتَزَلَّهُمُ﴾ أزلهم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ بوسوسته ﴿بِبَعْضِ مَا
كَسَبُوا﴾ من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي ﴿وَلَقَدْ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿حَلِيمٌ﴾ لا
يعجل على العصاة

﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا
لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا
عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي
قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

١٥٦ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
كَفَرُوا﴾ أي المنافقين ﴿وقالوا لإخوانهم﴾ أي في
شأنهم ﴿إذا ضربوا﴾ سافروا ﴿في الأرض﴾ فماتوا
﴿أو كانوا غُرَى﴾ جمع غاز، فقتلوا ﴿لَوْ كَانُوا
عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ أي لا تقولوا كقولهم
﴿ليجعل الله ذلك﴾ القول في عاقبة أمرهم
﴿حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت﴾ فلا يمنع
عن الموت فعود ﴿والله بما تعملون﴾ بالتاء والياء
﴿بصير﴾ فيجازيكم به

﴿وَلَيْنِ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتْتَمِعَةً مِنْ اللَّهِ
وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

١٥٧ ﴿وَلَيْنِ﴾ لام قسم ﴿قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ﴾ أي الجهاد ﴿أَوْ مُتْتَمِعَةً﴾ بضم الميم وكسرها
من مات يموت أتاكم الموت فيه ﴿لتمغفرة﴾ كاتنة
﴿من الله﴾ لذنوبكم ﴿ورحمة﴾ منه لكم على
ذلك واللام ومدخولها جواب القسم وهي موضع
الفعل مبتدأ خبره ﴿خير مما يجمعون﴾ من الدنيا
بالتاء والياء

﴿وَلَيْنِ مُمْتَمٌ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾

١٥٨ ﴿وَلَيْنِ﴾ لام قسم ﴿مُتْتَمِعَةً﴾ بالوجهين ﴿أَوْ
قُتِلْتُمْ﴾ في الجهاد وغيره ﴿إلى الله﴾ لا إلى غيره
﴿تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم

﴿فَمَا رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ
الْقَلْبِ لَا تَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
وَسَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

١٥٩ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ﴾ يا محمد

﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَدَّهٖ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرَ﴾

٦٢ ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ فأطاع ولم يغل
﴿كَمَنْ بَاءَ﴾ رجع ﴿بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ لمعصيته
وغلوله ﴿وَمَا وَدَّهٖ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرَ﴾ أي المرجع؟
والجواب: لا

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾
٦٣ ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾ أي أصحاب درجات
﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي مختلفو المنازل فلمن اتبع رضوانه
الثواب ولمن باء بسخطه العقاب ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ
أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرُكُوعِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

١٦٤ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ
فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي عربيًا مثلهم ليفهموا
عنه ويشرفوا به لا ملكًا ولا أعجميًا ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الذنوب
﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السنة
﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي قبل
بعثه ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بين .

﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى
هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]

١٦٥ ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ بأحد بقتل
سبعين منكم ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ بيد بقتل سبعين
وأسر سبعين منهم ﴿قُلْتُمْ﴾ متعجبين ﴿أَنَّى﴾ من
أين لنا ﴿هَذَا﴾ الخذلان ونحن مسلمون ورسول
الله فينا ، الجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري
﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ لأنكم تركتم
المركز فخذلتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
ومنه النصر ومنعه وقد جازاكم بخلافكم (١) .

(١) أسباب نزول الآية ١٦٥ : أخرج ابن أبي حاتم عن عمر
ابن الخطاب قال : «عوقبوا يوم أحد بما صنعوا يوم بدر من
أخذهم الغداة ، فقتل منهم سبعون ، وفر أصحاب النبي ﷺ

﴿لَهُمْ﴾ أي سهلت أخلاقك إذ خالفوك ﴿وَلَوْ
كُنْتُ فَظًا﴾ سيء الأخلاق ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ جافيا
فأغلظت لهم ﴿لَانْفَضُّوا﴾ تفرقوا ﴿مِن حَوْلِكَ
فَاعْتَفُ﴾ تجاوز ﴿عَنْهُمْ﴾ ما أتوه ﴿وَاشْتَعَفُوا لَهُمْ﴾
ذنبهم حتى أغفر لهم ﴿وَشَاوَرَهُمْ﴾ استخرج آراءهم
﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي شأنك من الحرب وغيره تطيبيا
لقلوبهم وليستن بك وكان ﷺ كثير المشاورة لهم
﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على إمضاء ما تريد بعد المشاورة
﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثق بعد المشاورة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه

﴿إِن يَصْرُوكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخَذِلْكُمْ مِمَّنْ
ذَا الَّذِي يَصْرُوكُمْ مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ﴾

٦٠ ﴿إِن يَصْرُوكُمْ اللَّهُ﴾ يعنكم على عدوكم
كيوم بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخَذِلْكُمْ﴾ يترك
نصركم كيوم أحد ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَصْرُوكُمْ مِمَّنْ
بَعْدِهِ﴾ أي بعد خذلانه أي لا ناصر لكم ﴿وَعَلَى
اللَّهِ﴾ لا غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ ليق (المؤمنون)

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا
يُظَلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١]

١٦١ ونزلت لما فقدت قطيفة حمراء يوم أحد
فقال بعض الناس: لعل النبي أخذها ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما
ينبغي ﴿لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلَّ﴾ يخون في الغنيمة فلا تظنوا
به ذلك ، وفي قراءة بالبناء للمفعول أن ينسب إلى
الغلول ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾
حاملًا له على عنقه ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ الغال
وغيره جزاء ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿وَهُمْ لَا
يُظَلَمُونَ﴾ شيئًا (١)

(١) أسباب نزول الآية ١٦١ : أخرج أبو داود، والترمذي
وحسنه، عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في قطيفة
حمراء، اتفقت يوم بدر فقال بعض الناس: لعل رسول الله
ﷺ أخذها، فأنزل الله: «وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلَّ» إلى آخر
الآية».

﴿وأخرج الطبراني في الكبير بسند رجاله ثقات عن ابن
عباس قال: «بعث النبي ﷺ جيشًا فردت رايته، ثم بعث
فردت، ثم بعث فردت بغلول رأس غزال من ذهب فنزلت:
«وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلَّ»».

يأكلون من ثمار الجنة (١) .

﴿فَرِحِينَ يَمَّا آتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاسْتَبْشَرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠]

١٧٠ ﴿فَرِحِينَ﴾ حال من ضمير يرفقون ﴿بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ هم ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من إخوانهم المؤمنين ويبدل من الذين ﴿أَنَّ أَي بَانَ﴾ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴿أَي الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿فِي الْآخِرَةِ الْمَعْنَى يَفْرَحُونَ بِأَمْنِهِمْ وَفَرِحَهُمْ﴾

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١]

١٧١ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ﴾ ثواب ﴿مَنْ اللَّهُ وَفَضْلٌ﴾ زيادة عليه ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفا على نعمة وبالكسر استئنافا ﴿اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بل يأجرهم

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

١٧٢ ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ دعاء بالخروج للقتال لما أراد أبو سفيان وأصحابه العود وتواعدوا مع النبي ﷺ وأصحابه سوق بدر العام المقبل من يوم أحد ﴿مَنْ بَعْدَ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ بأحد وخبر المبتدأ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَاتَّقُوا﴾ مخالفته ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هو الجنة (٢)

(١) أسباب نزول الآية ١٦٩: روى أحمد، وأبو داود، والحاكم، عن ابن عباس قال: «قال رسول الله ﷺ: لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم، ومشربهم، وحسن مقيلمهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهوا في الجهاد ولا ينكوا عن الحرب. فقال الله: أنا أبليغهم عنكم، فانزل الله هذه الآية: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا قُتِلُوا مِنْكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ هُمْ أَمْواتٌ بَلْ أحياءٌ» وروى الترمذي عن جابر نحوه.

(٢) أسباب نزول الآية ١٧٢: أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «إن الله قذف الرُّعْبَ في قلب أبي سفيان يوم أحد بعد الذي كان منه فرجع إلى مكة، فقال النبي ﷺ: إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا وقد رجع

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنْ اللَّهُ وَيَلْعَلَمُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٦]

١٦٦ ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ بأحد ﴿فَيَاذَنْ اللَّهُ﴾ بإرادته ﴿وَيَلْعَلَمُ﴾ الله علم ظهور ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ حقا

﴿وَيَلْعَلَمُ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ لَقَاتَلْنَا لِاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾

١٦٧ ﴿وَيَلْعَلَمُ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ الذين ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ لما انصرفوا عن القتال وهم عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿تَمَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أعداءه ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ﴾ نحسن ﴿وَقَاتَلْنَا لِاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ قال تعالى تكذبا لهم: ﴿هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ولو علموا قتالا لم يتبعوكم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أِطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

١٦٨ ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من الذين قبله أو نعت ﴿قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ في الدين ﴿وَقَعَدُوا﴾ قد ﴿قَعَدُوا﴾ عن الجهاد ﴿لَوْ أِطَاعُونَا﴾ أي شهداء أحد أو إخواننا في القعود ﴿مَا قُتِلُوا قُلْ﴾ لهم ﴿فَادْرَأُوا﴾ ادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن القعود ينجي منه .

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

١٦٩ ونزل في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي لأجل دينه ﴿أَمْواتًا بَلْ﴾ هم ﴿أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت كما ورد في الحديث ﴿يُرْفَعُونَ﴾

وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه فانزل الله: «أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ الْآيَةُ».

قتل أو جرح ﴿وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بطاعته وطاعة رسوله في الخروج ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهل طاعته

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿آل عمران: ١٧٥﴾

١٧٥ ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ﴾ أي القائل لكم إن الناس ألخ ﴿الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ﴾كم ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾ الكفار ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا﴾ في ترك أمري ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حقا

﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَصُرُوا اللَّهُ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿آل عمران: ١٧٦﴾

١٧٦ ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ﴾ بضم الزاي وكسر الزاي وفتحها وضم الزاي من حزنه لغة في أحزناه ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يقعون فيه سريعا بنصرته وهم أهل مكة أو المنافقون أي لا تهتم لكفرهم ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَصُرُوا اللَّهُ شَيْئًا﴾ بفعلهم وإنما يضررون أنفسهم ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا﴾ نصيبا ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ أي الجنة فلذلك خذلهم الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

١٧٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي أخذوه بدله ﴿لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ﴾ بكفرهم ﴿شَيْئًا﴾ ولهم عذاب أليم ﴿مؤلم

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ حَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾

١٧٨ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ﴾ أي إملاءنا ﴿لَهُمْ﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿حَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ﴾ وأن ومعولها سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية ومسد الثاني في الأخرى ﴿إِنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ﴾ مهمل ﴿لَهُمْ﴾ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ بكثرة المعاصي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة في الآخرة

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ﴿آل عمران: ١٧٣﴾

١٧٣ ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من الذين قبله أو نعت ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ أي نعيم بن مسعود الأشجعي ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ الجموع ليستأصلوكم ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمْ﴾ ذلك القول ﴿إِيمَانًا﴾ تصديقا بالله ويقيناً ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كافينا أمرهم ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ المفوض إليه الأمر هو، وخرجوا مع النبي ﷺ فوافوا سوق بدر وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه فلم يأتوا وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا قال الله تعالى:

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ مِنْهُمْ شُؤٌّ وَأَتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾

١٧٤ ﴿فَانْقَلَبُوا﴾ رجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ بسلامة وربح ﴿لَّمْ يَمَسَّ مِنْهُمْ شُؤٌّ﴾ من وقذف الله في قلبه الرعب، وكانت وقعة أحد في شوال، وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة، فينزلون بدر الصغرى، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد وكان أصاب المؤمنين القرخ واشتكوا ذلك فندب النبي ﷺ الناس لينطلقوا معه. فجاء الشيطان فخوف أولياءه، فقال: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ، فأبى عليه النَّاسُ أَنْ يتبعوه فقال: إِنِّي ذَاهِبٌ وَإِنْ لَمْ يتبعني أحد، فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلا فساروا في طلب أبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء، فأنزل الله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية.

* وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: «لما رجع المشركون من أحد قالوا: لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردقتم، بئس ما صنعتهم ارجعوا، فسمع رسول الله قَدَبَتِ المسلمین فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد أو بر أبي عتبة، فأنزل الله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية.

وقد كان أبو سفيان قال للنبي ﷺ: «موعدك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فأما الجبان فرجع؛ وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة فأتوه فلم يجدوا به أحداً وتسوقوا، فأنزل الله: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ الآية.»

* وأخرج ابن مردويه عن أبي رافع: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَّهَ عَلِيًّا فِي نَفَرٍ مَعَهُ فِي طَلَبِ أَبِي سَفْيَانَ، فَلَقِيَهُمْ أَعْرَابِيٌّ مِنْ خُرَاعَةَ فَقَالَ: إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ، قَالُوا: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» فنزلت فيهم هذه الآية.»

﴿قَتَلَهُمْ﴾ بالنصب والرفع ﴿الأنبياءَ بغيرِ حقِّ ونقول﴾ بالنون والياء أي الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة ﴿ذوقوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النار (١).

﴿ذَلِكَ يَمَّا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ يَظْلَمُ لِعَلِيْدٍ﴾ [آل عمران: ١٨٢]

١٨٢ ويقال لهم إذا ألقوا فيها: ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها عن الإنسان لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ يَظْلَمُ﴾ أي بذي ظلم ﴿لِلْعَلِيْدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آلا تُوْمِنُ لِرَسُوْلٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

١٨٣ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت للذين قبله ﴿قَالُوا﴾ لمحمد ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ قد ﴿عهَدَ إلينا﴾ في التوراة ﴿آلا تُوْمِنُ لِرَسُوْلٍ﴾ نصدقه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ فلا تؤمن لك حتى يأتينا به وهو ما يتقرب به إلى الله من نعم وغيرها فإن قبل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته وإلا بقي مكانه ، وعهد إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم توبيخا ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ كزكريا ويحيى فقتلتموهم والخطاب لمن في زمن نبينا محمد ﷺ وإن كان الفعل لأجدادهم لرضاهم به ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنكم

(١) أسباب نزول الآية ١٨١: أخرج ابن إسحاق، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: «دخل أبو بكر بيت المدارس فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص، فقال له: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، ولو كان غنيا عتا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، فغضب أبو بكر فضرب وجهه. فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد انظر ما صنع صاحبك بي، فقال: يا أبا بكر ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله قال قولاً عظيماً يزعم أن الله فقير، وأنهم عنه أغنياء، فجدد فنحاص، فأنزل الله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١]

* وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «أنت اليهود النبي ﷺ حين أنزل الله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرَضُ إِلَهُ قَوْصًا حَسَنًا﴾. فقالوا: يا محمد أفقر ربك يسأل عباده؟ فأنزل الله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ الآية.»

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَي مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ

١٧٩ ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾ ليعترك ﴿المؤمنينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَيْهِ﴾ من اختلاط المخلص بغيره ﴿حَتَّى يَمِيزَ﴾ بالتخفيف والتشديد يفصل ﴿الْحَبِيْبَ﴾ المنافق ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك ففعل ذلك يوم أحد ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَ لَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَي﴾ يختار ﴿مِن رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيطلع على غيره كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

١٨٠ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي بركاته ﴿هُوَ﴾ أي بخلهم ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مفعول ثان والضمير للفصل والأول بخلهم مقدرًا قبل الموصول على الفوقانية وقبل الضمير على التحتانية ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ﴾ أي بركاته من المال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يجعل حية في عنقه تنهشه كما ورد في الحديث ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ يرثها بعد فناء أهلها ﴿والله بما تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

[آل عمران: ١٨١]

١٨١ ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ وهم اليهود قالوه لما نزل ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرَضُ إِلَهُ قَوْصًا حَسَنًا﴾ وقالوا: لو كان غنيا ما استقرضنا ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا قَالُوا﴾ في صحائف أعمالهم ليجازوا عليه ، وفي قراءة ﴿سَيَكْتُبُ﴾ بالياء مبنياً للمفعول ﴿و﴾ نكتب

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِيمَسَّ مَا يَشْرُونَ﴾

[آل عمران: ١٨٧]

١٨٧ ﴿و﴾ اذكر ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي العهد عليهم في التوراة ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ أي الكتاب ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ أي الكتاب بالياء والتاء بالفعلين ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ طرحوا الميثاق ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يعملوا به ﴿وَأَشْرَوْا بِهِ﴾ أخذوا بدله ﴿مِمَّا قَلِيلًا﴾ من الدنيا من سفلتهم برياستهم في العلم فكتموه خوف فوته عليهم ﴿فِيمَسَّ مَا يَشْرُونَ﴾ شراؤهم هذا

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨]

١٨٨ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والياء ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا﴾ فعلوا في إضلال الناس ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ بالوجهين تأكيد ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ بمكان ينجون فيه ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ في الآخرة بل هم في مكان يعذبون فيه وهو جهنم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم فيها ، ومفعولا تحسب الأولى دل عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانية وعلى الفرقانية حذف الثاني فقط ^(١).

(١) أسباب نزول الآية ١٨٨: روى الشيخان، وغيرهما، من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف: «أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لمن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لتعذبين أجمعون».

فقال ابن عباس: «ما لكم وهذه؟ إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أنهم قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما آتوا من كتمان ما سألهم عنه».

* وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري: «أن رجلاً من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو وتخلفوا عنه وفرحوا بمقدمهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: «لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا﴾ الآية».

* وأخرج عبد الرزاق في تفسيره، عن زيد بن أسلم: «أن

تؤمنون عند الإتيان به

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾

١٨٤ ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ

جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَالْكِتَابِ﴾ وفي قراءة بإثبات الباء فيها ﴿الْمُنِيرِ﴾ الواضح هو التوراة والإنجيل فاصبر كما صبروا

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

١٨٥ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ﴾ جزاء أعمالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ﴾ بعد ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ نال غاية مطلوبة ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي العيش فيها ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ الباطل يتمتع به قليلا ثم يفتى

﴿لَتَسْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

١٨٦ ﴿لَتَسْلُوكُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي

النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ، لتختبرن ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بالفرائض فيها والجوائح ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بالعبادات والبلاء ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من العرب ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ من السب والطعن والتشبيب بنسائلكم ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي من معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها ^(١).

(١) أسباب نزول الآية ١٨٦: روى ابن أبي حاتم، وابن المنذر، بسند حسن عن ابن عباس: «أنها نزلت فيما كان بين أبي بكر وفتحناص من قوله: «إِنَّ اللَّهَ قَبِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ».

* وذكر عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك: «أنها نزلت في كعب بن الأشرف فيما كان يهجو به النبي ﷺ وأصحابه من الشعراء».

مضطجعين أي في كل حال ، وعين ابن عباس يصلون كذلك حسب الطاقة ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليستدلوا به على قدرة صانعهما يقولون ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا الْخَلْقَ الَّذِي نَرَاهُ ﴿بِاطِلًا﴾ حال ، عبثاً بل دليلاً على كمال قدرتك ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عن العبث ﴿فَقِنَا غَذَابَ النَّارِ﴾

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢]

١٩٢ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ﴾ للخلود فيها ﴿فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ أهنته ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ، فيه وضع الظاهر موضع المضمر إشعاراً بتخصيص الخزي بهم ﴿مِن﴾ زائدة ﴿أنصاري﴾ يمنعونهم من عذاب الله تعالى

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]

١٩٣ ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي﴾ يدعو الناس ﴿لِلْإِيمَانِ﴾ أي إليه وهو محمد أو القرآن ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ به ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ فلا تظهرها بالعقاب عليها ﴿وَتَوَقَّنَا﴾ اقبض أرواحنا ﴿مَعَ﴾ في جملة ﴿الْأَبْرَارِ﴾ الأنبياء الصالحين

﴿رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

١٩٤ ﴿رَبَّنَا وَآيَاتِنَا﴾ أعطنا ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾ به ﴿عَلَىٰ﴾ السنة ﴿رُسُلِكَ﴾ من الرحمة والفضل ، وسؤالهم ذلك وإن كان وعده تعالى لا يخلف سؤال أن يجعلهم من مستحقه لأنهم لم يتيقنوا استحقاتهم له وتكرير ربنا مبالغة في التصرع ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ الوعد بالبعث والجزاء

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقَاتَلُوا لَا أَكْفُرُنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلَتْهُمُ جَهَنَّمَ بَحْرَىٰ مِّن

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٩]

١٨٩ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

١٩٠ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيها من العجائب ﴿وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالمجيء والذهاب والزيادة والنقصان ﴿لآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لأولي الأبواب﴾ لذوي العقول (١)

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ رَبُّكَ رُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٩١]

١٩١ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت لما قبله أو بدل ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾

رافع بن خديج، وزيد بن ثابت، كانا عند مروان، فقال مروان: يا رافع في رأي شيء نزلت هذه الآية: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَاهُم﴾ قال رافع: أنزلت في أناس من المنافقين كانوا إذا خرج النبي ﷺ اعتذروا وقالوا: ما حبسنا عنكم إلا شغل، فلوددنا أنا كنا معكم، فأنزل الله فيهم هذه الآية. وكأن مروان أنكرك ذلك فجزع رافع من ذلك فقال لزيد بن ثابت: أنشدك بالله هل تعلم ما أقول؟ قال: نعم، قال الحافظ ابن حجر يجمع بين هذا، وبين قول ابن عباس: بأنه يمكن أن تكون نزلت في الفريقين معاً.

قال: «وحكى الفراء أنها نزلت في قول اليهود: نحن أهل الكتاب الأول، والصلاة، والطاعة، ومع ذلك لا يقرون بمحمد». وروى ابن أبي حاتم من طرق عن جماعة من التابعين نحو ذلك. ورجحه ابن جرير «ولا مانع أن تكون نزلت في كل ذلك، انتهى».

(١) أسباب نزول الآية ١٩٠: أخرج الطبراني، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: «أنت قريش اليهود فقالوا: بم جاءكم موسى من الآيات؟ قالوا: عصاه، ويده بيضاء للناظرين».

وأما النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ قالوا: كان يري الأكمه والأبرص ويحي الموتى. فأثوا النبي ﷺ فقالوا: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً، فدعا ربه، فنزلت الآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ فليتفكروا فيها.

يَعَاذُكَ اللَّهُ تَمَنَّا قَلِيلًا أَوْلَيْتَ لَهُمْ أَجْرَهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾
[آل عمران: ١٩٩]

١٩٩ ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾
كعبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشي ﴿وَمَا أَنْزَلَ
إِلَيْكُمْ﴾ أي القرآن ﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي التوراة
والإنجيل ﴿خَاشِعِينَ﴾ حال من ضمير يؤمن بالله
فيه معنى من أي: متواضعين ﴿لِلَّهِ لَا يَسْتَرْوُونَ بآيَاتِ
اللَّهِ﴾ التي عندهم في التوراة والإنجيل من بعث
النبي ﷺ ﴿تَمَنَّا قَلِيلًا﴾ من الدنيا بأن يكتموها
خوفاً على الرياسة كفعل غيرهم من اليهود ﴿أَوْلَيْتَ
لَهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يؤتونه
مرتين كما في القصص ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾
يحاسب الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾
وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿آل عمران: ٢٠٠﴾

٢٠٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ على
الطاعات والمصائب وعن المعاصي ﴿وَصَابِرُوا﴾
الكفار فلا يكونوا أشد صبراً منكم ﴿وَرَابِطُوا﴾
أقبحوا على الجهاد ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ في جميع
أحوالكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون بالجنة وتنجون
من النار.

تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ قَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ
التَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

١٩٥ ﴿فَابْتَغَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دعاءهم ﴿أَنِّي﴾
أي بأني ﴿لَا أَضِيعُ عَمَلٌ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ
أَنْتَى بَعْضُكُمْ﴾ كائن ﴿مِّنْ بَعْضٍ﴾ أي الذكور من
الاناث وبالعكس ، والجملة مؤكدة لما قبلها أي
هم سواء في المجازاة بالأعمال وترك تضييعها ،
نزلت لما قالت أم سلمة: يا رسول الله إني لا
أسمع ذكر النساء بالهجرة بشيء ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾
من مكة إلى المدينة ﴿وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَوَدُّوا
فِي سَبِيلِي﴾ ديني ﴿وَقَاتَلُوا﴾ الكفار ﴿وَقُتِلُوا﴾
بالتخفيف والتشديد ، وفي قراءة بتقديمه ﴿لَا كُفْرُنَ
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أسترها بالمغفرة ﴿وَلَا دَخَلْنَاهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَابًا﴾ مصدر من
معنى لأكفرن مؤكداً له ﴿مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فيه التفات
عن التكلم ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ التَّوَابِ﴾ الجزاء
﴿لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾

١٩٦ ونزل لما قال المسلمون: أعداء الله فيما
نرى من الخير ونحن في الجهد: ﴿لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ
الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تصرفهم ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ بالتجارة
والكسب

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ لِلْمُهَادِ﴾

١٩٧ هو ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ يتمتعون به يسيراً في
الدنيا ويفنى ﴿ثُمَّ مَا وَرَاءَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ لِلْمُهَادِ﴾
الفراس هي

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ
خَيْرٌ لِّلْآبَرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]

١٩٨ ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ أي مقدرين بالخلود
﴿فِيهَا نُزُلًا﴾ وهو ما يعد للضيف ، ونصبه على
الحال من جنات والعامل فيها معنى الظرف ﴿مِّنْ
عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ لِّلْآبَرَارِ﴾
من متاع الدنيا

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ
إِلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَسْتَرْوْنَ

(١) أسباب نزول الآية ١٩٩: روى الثَّسَّانِي عن أَنَسٍ قَالَ:
«لَمَّا جَاءَ نَبِيَّ النَّجَاشِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: صَلُّوا عَلَيَّ. قَالُوا:
يَا رَسُولَ اللَّهِ نَصَلِي عَلَى عَبْدِ حَبَشِي؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ». وَرَوَى ابْنُ جُرَيْرٍ نَحْوَهُ عَنْ جَابِرِ
وَفِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: «نَزَلَتْ فِي
النَّجَاشِيِّ «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» الْآيَةَ.»

٤ سورة النساء

احمدية وآياتها ١٧٦ نزلت بعد الممتحنة

﴿يَأْتِيَا النَّاسَ انْقِصَاءً رُبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾
 ١ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ أي عقابه بأن تطيعوه ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَوَخَّلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء بالمد من ضلع من أضلاعه اليسرى ﴿وَبَثَّ﴾ فرق ونشر ﴿مِنْهُمَا﴾ من آدم وحواء ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ كثيرة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في السين ، وفي قراءة بالتخفيف بحذفها أي تتساءلون ﴿بِهِ﴾ فيما بينكم حيث يقول بعضهم لبعض: أسألك بالله وأشدك بالله ﴿وَاتَّقُوا﴾ اتقوا ﴿الْأَرْحَامَ﴾ أن تقطعوها ، وفي قراءة بالجر عطفًا على الضمير في به وكانوا يتناشدون بالرحم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حافظًا لأعمالكم فيجازيكم بها ، أي لم يزل متصفا بذلك

﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْوَلِيَّةَ بِالطَّبِيبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾

٢ ونزل في يتيم طلب من وليه ماله فمنعه: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ﴾ الصغار الذين لا أب لهم ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ إذا بلغوا ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْوَلِيَّةَ﴾ الحرام بالطبيب ﴿الحلال أي تأخذه بدل كما تفعلون من أخذ الجيد من مال اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه﴾ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ﴾ مضمومة ﴿إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ أي أكلها ﴿كَانَ حُوبًا﴾ ذنبًا كبيرًا ﴿عظيمًا﴾

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنَّىٰ وَتِلْكَ وَرِثَةٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَنٌ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾

[النساء: ٣]

٣ ولما نزلت تحرجوا من ولاية اليتامى وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج فلا يعدل بينهم فنزل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾

تُقْسِطُوا﴾ تعدلوا ﴿فِي الْيَتَامَىٰ﴾ فتحرجتم من أمرهم فخافوا أيضًا أن لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن ﴿فَانكِسُوا﴾ تزوجوا ﴿مَا﴾ بمعنى من ﴿طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنَّىٰ وَتِلْكَ وَرِثَةٌ﴾ أي اثنتين اثنتين وثلاثًا ثلاثًا وأربعًا أربعًا ولا تزيدوا على ذلك ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ فيهن بالنفقة والقسم ﴿فَوَاحِدَةٌ﴾ انكحوها ﴿أَوْ﴾ اقتصروا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء إذ ليس لهم من الحقوق ما للزوجات ﴿ذَلِكَ﴾ أي نكاح الأربع فقط أو الواحدة أو التسري ﴿أَذْنَىٰ﴾ أقرب إلى ﴿أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ تجوروا

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ مِثْلًا بِمَا فَخَّرَ بِكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِمَّنَّه فَسَاءَ فِكْرُهُمْ هَيْبًا مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤]

٤ ﴿وَأَتُوا﴾ أعطوا ﴿النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ﴾ جمع صدقة ، مهورهن ﴿مِثْلًا﴾ مصدر ، عطية عن طيب نفس ﴿فَإِنْ طِئِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ تمييز محول عن الفاعل ، أي طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق فوهبهن لكم ﴿فَكُلُّوهُ هَيْبًا﴾ طيبًا ﴿مَرِيئًا﴾ محمود العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة، نزلت ردًا على من كره ذلك

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

٥ ﴿وَلَا تُؤْتُوا﴾ أيها الأولياء ﴿السُّفَهَاءَ﴾ المبذرين من الرجال والنساء والصبيان ﴿أَمْوَالِكُمْ﴾ أي أموالهم التي في أيديكم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ مصدر قام ، أي تقوم بمعاشكم وصلاح أولادكم فيضعوها في غير وجهها ، وفي قراءة ﴿قِيَامًا﴾ جمع قيمة ، ما تُقَوِّمُ به الأمتعة ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أطعموهم منها ﴿وَاكْسُوهُمْ﴾ وقولوا لهم قولًا معرُوفًا ﴿عُدُوهُمْ عِدَّةٌ جَمِيلَةٌ يَاعِطَانَهُمْ أَمْوَالَهُمْ إِذَا رَشَدُوا﴾

﴿وَأَنْبَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦]

٦ ﴿وَأَنْبَلُوا﴾ اخترتوا ﴿الْيَتَامَىٰ﴾ قبل البلوغ في

﴿وَقُولُوا﴾ أيها الأولياء ﴿لَهُمْ﴾ إذا كان الورثة صغاراً ﴿قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ جميلاً بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه للصغار وهذا قيل إنه منسوخ وقيل لا ولكن تهاون الناس في تركه وعليه فهو ندب ، وعن ابن عباس واجب

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضَعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾

٩ ﴿وَلْيَخْشَ﴾ أي ليخف على اليتامى ﴿الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا﴾ أي قاربوا أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ ضَعْفًا﴾ أولاداً صغاراً ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ الضياع ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمر اليتامى وليأتوا إليهم ما يحبون أن يفعل بذريتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُوا﴾ لمن حضرته الوفاة ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صواباً بأن يأمره أن يتصدق بدون ثلثه ويدع الباقي لورثته ولا يتركهم عالة

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]

١٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ بغير حق ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي ملاًها ﴿نَارًا﴾ لأنه يؤول إليها ﴿وَسَيَصْلُونَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول يدخلون ﴿سَعِيرًا﴾ ناراً شديدة يحترقون فيها

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ فَإِنَّ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ أُمَّتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِمَّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ إِبْرَاهِيمُ فَلِأَبِيهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأَبِيهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٌ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمُ أَقْرَبُ لَكُمْ نَعْمًا فَرِيصَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

[النساء: ١١]

١١ ﴿يُوصِيكُمُ﴾ يأمركم ﴿اللَّهُ فِي﴾ شأن ﴿أَوْلَادِكُمْ﴾ بما يذكر ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ﴾ نصيب ﴿الْأُنثِيَّاتِ﴾ إذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولهما النصف فإن كان معه واحدة فلهما الثلث وله الثلثان وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِنْ﴾

دينهم وتصرفهم في أحوالهم ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النُّكَاحَ﴾ أي صاروا أهلاً له بالاحتلام أو السن وهو استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعي ﴿فَإِنْ آتَيْتُمْ أَبْصَرْتُمْ﴾ مَنَّهُمْ رُشْدًا ﴿صَلَاحًا فِي دِينِهِمْ وَمَالِهِمْ﴾ فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا﴾ أيها الأولياء ﴿إِسْرَافًا﴾ بغير حق حال ﴿وَيُبْذَرًا﴾ أي مبادرين إلى إنفاقها مخافة ﴿أَنْ يَكْبُرُوا﴾ رشداء فيلزمكم تسليمها إليهم ﴿وَمَنْ كَانَ﴾ من الأولياء ﴿غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أي يعف عن مال اليتيم ويمتنع من أكله ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر أجره عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي إلى اليتامى ﴿أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ أنهم تسلموها وبرئتم لئلا يقع اختلاف فترجعوا إلى البيعة، وهذا الأمر إرشاد ﴿وَوَكَّفَى بِاللَّهِ﴾ الباء زائدة ﴿حَسِيًّا﴾ حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]

٧ ونزل رداً لما كان عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار: ﴿لِلرِّجَالِ﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ المتوفون ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ أي المال ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ جعله الله ﴿نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ مقطوعاً بتسليمه إليهم ^(١)

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

[النساء: ٨]

٨ ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ للميراث ﴿أُولُو الْقُرْبَى﴾ ذوو القرابة ممن لا يرث ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ﴾ فازرُقُوهُمْ مِنْهُ ﴿شَيْئًا قَبْلَ الْقِسْمَةِ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٧: أخرج أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الفرائض، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار من الذكور حتى يدركوا، فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت وترك ابنتين وابناً صغيراً، ففاجأ ابنا عمه خالد وعرفطة وهما عصبة، فأخذوا ميراثه كله، فأنت امرأته رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: ما أدري ما أقول. فنزلت ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ﴾ الآية».

لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّتُ بِهَا أَوْ دَيْنٌ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الشُّعْرُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تُوَصُّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٌ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً أَوْ أَمْرًا وَلَهُ أَحٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الشُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهَمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّتُ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَاكَّرٍ وَصِيَّتِهِ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ

١٢ ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم أو من غيركم ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّتُ بِهَا أَوْ دَيْنٌ﴾ وألحق بالولد في ذلك ولد الابن بالإجماع ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي الزوجات تعددن أو لا ﴿الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ منهن أو من غيرهن ﴿فَلَهُنَّ الشُّعْرُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تُوَصُّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وولد الابن في ذلك كالولد إجماعاً ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ

كُنَّ﴾ أي الأولاد ﴿بِنِسَاءٍ﴾ فقط ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مَا تَرَكَ﴾ الميت وكذا الاثنان لأنه للأختين بقوله ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ فهما أولى ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر فمع الأنثى أولى و﴿فَوْقَ﴾ قيل صلة وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لما فهم استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَاحِدَةً﴾ وفي قراءة بالرفع فكان تامة ﴿فَلِهَا النِّصْفُ لِابْتَوَائِهِ﴾ أي الميت ويبدل منهما ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ذكر أو أنثى ونكتة البديل إفادة أنهما لا يشتركان فيه وألحق بالولد ولد الابن وبالأب الجد ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ﴾ فقط أو مع زوج ﴿فَلَأُمُّهُ﴾ بضم الهمزة وكسرهما فرارا من الانتقال من ضمة إلى كسرة لثقله في الموضعين ﴿الثُّلُثُ﴾ أي ثلث المال أو ما يبقى بعد الزوج والباقي للأب ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ أي اثنان فصاعداً ذكورا أو إناثا ﴿فَلَأُمُّهُ الشُّدُسُ﴾ والباقي للأب ولا شيء للأخوة وإرث من ذكر ما ذكر ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ تنفيذ ﴿وَصِيَّتِهِ يُوَصِّتُ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿بِهَا أَوْ﴾ قضاء ﴿دَيْنٍ﴾ عليه وتقديم الوصية على الدين وإن كانت مؤخرة عنه في الوفاء للاهتمام بها ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ في الدنيا والآخرة فظان أن ابنه أنفع له فيعطيه الميراث فيكون الأب أنفع وبالعكس وإنما العالم بذلك هو الله ففرض لكم الميراث ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم أي لم يزل متصفاً بذلك (١).

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ

(١) أسباب نزول الآية ١١: أخرج الأئمة الستة عن جابر ابن عبد الله قال: «عادي رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشين، فوجدني ﷺ لا أعقل شيئاً، فدعا بماء فتوضأ، ثم رش عليّ فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي؟ فنزلت: «يُوَصِّيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنثَى».

* وأخرج أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم عن جابر قال: «جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في أحد شهيداً، وإن عمتهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا تنكحان إلا ولهما مال، فقال: يقضي الله في ذلك، فنزلت آية الميراث».

* قال الحافظ ابن حجر: «تمسك بهذا من قال: إن الآية نزلت في قصة ابنتي سعد، ولم تنزل في قصة جابر خصوصاً أن جابراً لم يكن له يومئذ ولد».

* قال: «والجواب أنها نزلت في الأمرين معاً، ويحتمل أن يكون نزول أولها في قصة البنتين، وآخرها وهو قوله: «وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً» في قصة جابر، ويكون مراد جابر بقوله، فنزلت: «يُوَصِّيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ» أي ذكر الكلاله المتصل بهذه الآية. انتهى».

وقد ورد سب ثالث: أخرج ابن جرير عن الشدي قال: «كان أهل الجاهلية لا يورثون الجوارى ولا الصغار من الغلمان لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال، فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة يقال لها أم كجة وخمس أخوات، فجاء الورثة يأخذون ماله، فشكت أم كجة ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية: «وَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ، ثُمَّ قَالَ فِي أُمِّ كَجَةَ: «وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الشُّعْرُ»».

* وقد ورد في قصة سعد بن الربيع وجه آخر، فأخرج القاضي إسماعيل في «أحكام القرآن» من طريق عبد الملك بن محمد بن حزم، أن غفرة بنت حرام كانت تحت سعد بن الربيع، فقتل عنها بأحد، وكان له منها ابنة، فأثت النبي ﷺ تطلب ميراث ابنتها، ف فيها نزلت: «يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ» الآية.

رجالكم المسلمين ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ عليهن بها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهن ﴿فِي الْبُيُوتِ﴾ وامنعهن من مخالطة الناس ﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ أي ملائكته ﴿أَوْ﴾ إلى أن ﴿يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الخروج منها ، أمروا بذلك أول الإسلام ثم جعل لهن سبيلاً بجلد البكر مائة وتغريبها عاما ورجم المحصنة ، وفي الحديث لما بين الحد قال: «خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا» رواه مسلم

﴿وَالَّذَانَ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَتَاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾

١٦ ﴿وَالَّذَانَ﴾ بتخفيف النون وتشديدها ﴿يَأْتِيَانَهَا﴾ أي الفاحشة الزنا أو اللواط ﴿مِنْكُمْ﴾ أي الرجال ﴿فَتَاذُوهُمَا﴾ بالسب والضرب بالنعال ﴿فَإِن تَابَا﴾ منها ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ ولا تؤذوهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾ على من تاب ﴿رَّحِيمًا﴾ به ، وهذا منسوخ بالحد إن أريد بها الزنا وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي لكن المفعول به لا يرجم عنده وإن كان محصنا بل يجلد ويغرب وإرادة اللواط أظهر بدليل تشنية الضمير والأول قال أراد الزاني والزانية ويرده تبيينهما بـ «من» المتصلة بضمير الرجال واشتراكهما في الأذى والتوبة والإعراض وهو مخصوص بالرجال لما تقدم في النساء من الحبس

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

[النساء: ١٧]

١٧ ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي التي كتب على نفسه قبولها بفضله ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ﴾ المعصية ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ حال أي جاهلين إذ عصوا ربهم ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ زمن ﴿قَرِيبٍ﴾ قبل أن يفرغوا ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقبل توبتهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه بهم .

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى

يُورَثَ﴾ صفة والخير ﴿كَلَالَةً﴾ أي لا والد له ولا ولد ﴿أَوْ امْرَأَةً﴾ تورث كلاله ﴿وَلَهُ﴾ أي للمورث كلاله ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أي من أم وقرأ به ابن مسعود وغيره ﴿فَلِكُلٍّ وَاِجِدْ مُنْهَمَا الشَّدُسُ﴾ مما ترك ﴿فَإِن كَانُوا﴾ أي الإخوة والأخوات من الأم ﴿أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي من واحد ﴿فَهُنَّ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ﴾ يستوي فيه ذكرهم وأنثاهم ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصَى بِهَا أَوْ ذَيْنَ غَيْرِ مُضَارٍ﴾ حال من ضمير يوصى أي غير مدخل الضرر على الورثة بأن يوصى بأكثر من الثلث ﴿وَوصِيَّةٌ﴾ مصدر مؤكد ليوصيكم ﴿مَنْ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما دبره لخلقه من الفرائض ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن خالفه ، وخصت السنة توريث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو رق

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

١٣ ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة من أمر اليتامى وما بعده ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ شرائعه التي حدها لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما حكم به ﴿يُدْخِلْهُ﴾ بالياء والنون التفتاناً ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾
١٤ ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ﴾ بالوجهين ﴿نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ﴾ فيها ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة روعي في الضمائر في الأيتين لفظ ﴿مَنْ﴾، وفي ﴿خَالِدِينَ﴾ معناها

﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾

[النساء: ١٥]

١٥ ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ﴾ الزنا ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ أي من

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَهُنَّ فِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ
بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مَثِينًا﴾ [النساء: ٢٠]

٢٠ ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ أَوْ
أَخَذَ بِهَا بِأَنْ طَلَقْتُمُوهَا﴾ ﴿وَقَدْ أَتَيْتُمْ
إِحْدَاهُنَّ﴾ أي الزوجات ﴿فِنْطَارًا﴾ مالا كثيرا
صدقا ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا﴾
ظلما ﴿وَإِنَّمَا مَثِينًا﴾ بينا ، ونصبها على الحال

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ
وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]

٢١ والاستفهام للتوبيخ وللإنكار في قوله:
﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي بأي وجه ﴿وَقَدْ أَفْضَى﴾
وصل ﴿بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ بالجماع المقرر للمهر

* وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسند حسن عن أبي
إمامة بن سهل بن حنيف قال: «لما توفي أبو قيس بن الأسلت
أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان لهم ذلك في الجاهلية، فأنزل
الله «لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْثُوا النِّسَاءَ كَوَهَا». وله شاهد عن
عكرمة عن ابن جرير.

* وأخرج ابن أبي حاتم، والفربري، والطبراني، عن عدي
ابن ثابت، عن رجل من الأنصار قال: «توفي أبو قيس بن
الأسلت، وكان من صالحى الأنصار، فخطب ابنه قيس
امرأته، فقالت: «إِنَّمَا أُعْذِكُ وَلَدًا وَأَنْتَ مِنْ صَالِحِي قَوْمِكَ.
فَأْتِ النَّبِيَّ ﷺ فَأُخْبِرْتَهُ، فَقَالَ: ارْجِعِي إِلَى بَيْتِكَ، فَزَلَّتْ
هَذِهِ الْآيَةُ: «وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ
سَلَفَ».

* وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال:
«كَانَ الرَّجُلُ إِذَا تَوَفَّى عِنَ امْرَأَتِهِ كَانَ ابْنُهُ أَحَقَّ بِهَا أَنْ يَنْكِحَهَا
إِنْ شَاءَ إِنْ لَمْ تَكُنْ أُمُّهُ أَوْ يَنْكِحَهَا مِنْ شَاءَ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو قَيْسٍ
ابْنُ الْأَسْلَتِ قَامَ ابْنُهُ مُحْصَنٌ فَوْرَثَ نِكَاحَ امْرَأَتِهِ وَلَمْ يورثها من
المال شيئا، فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: ارْجِعِي
لَعَلَّ اللَّهَ يُنْزِلُ فِيكَ شَيْئًا فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «وَلَا تَنْكِحُوا مَا
نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ»، وَزَلَّتْ: «لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْثُوا
النِّسَاءَ كَوَهَا» الْآيَةَ.

* وأخرج أيضا عن الزهري قال: «نزلت هذه الآية في ناس
من الأنصار كان إذا مات الرجل منهم كان أملك الناس
بامرأته وليه فيمسكها حتى تموت».

* وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: «قلت لعطاء:
«وَحَلَّالٌ أَتَابِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ». قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهَا
نَزَلَتْ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ نَكَحَ امْرَأَةً «زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ». قَالَ
الْمُشْرِكُونَ فِي ذَلِكَ: فَتَزَلَّتْ: «وَحَلَّالٌ أَتَابِكُمْ الَّذِينَ مِنْ
أَصْلَابِكُمْ». وَنَزَلَتْ: «وَمَا جَعَلَ أَذْيَابَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ». وَنَزَلَتْ:
«مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ».

إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ لِي تَبْتُ الْقَنْ وَلَا
الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَّارٌ أَوْلِيكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا﴾

١٨ ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشَّيْئَاتِ﴾
الذنوب ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ وأخذ
في النزاع ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدة ما هو فيه ﴿إِنِّي
تَبْتُ الْآنَ﴾ فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه
﴿وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَّارٌ﴾ إذا تابوا في
الأخرة عند معاناة العذاب لا تقبل منهم ﴿أَوْلِيكَ
أَعْتَدْنَا﴾ أعدنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْثُوا النِّسَاءَ
كَوَهَا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَهْبِؤُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ
إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَايِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسِّحٌ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ
فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]

١٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْثُوا
النِّسَاءَ﴾ أي ذواتهن ﴿كَوَهَا﴾ بالفتح والضم لغتان ،
أي مكريهين على ذلك كانوا في الجاهلية يرثون
نساء أقربائهم فإن شاءوا تزوجوهن بلا صداق أو
زوجوهن وأخذوا صداقهن أو عضلوهن حتى
تفتدين بما ورثته أو يمتن فيرثوهن فنهوا عن ذلك
﴿وَلَا﴾ أن ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي تمنعوا أزواجكم عن
نكاح غيركم بإمساكنهن ولا رغبة لكم فيهن ضرايرا
﴿لِتَهْبِؤُوا بِبَعْضِ مَا أَتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿إِلَّا أَنْ
يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ﴾ بفتح الباء وكسرها ، أي
يَبْتُتْ أو هي بينة ، أي زنا أو نشوز فلكم أن
تضاروهن حتى يفتدين منكم ويختلن ﴿وَعَايِرُوهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي بالإجمال في القول والنفقة
والمبيت ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا ﴿فَمَسِّحٌ أَنْ
تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾
ولعله يجعل فيهن ذلك بأن يرزقكم منهن ولدا
صالحا (١)

(١) أسباب نزول الآية ١٩: روى البخاري وأبو داود
والنسائي عن ابن عباس قال: «كانوا إذا مات الرجل كان
أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا
زوجوها. فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية».

﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا﴾ عهداً ﴿غَلِيظًا﴾ شديداً وهو ما أمر الله به من إمساكهن بـمعروف أو تسريحهن بإحسان

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]

٢٢ ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا﴾ بمعنى من ﴿نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من فعلكم ذلك فإنه معفو عنه ﴿إِنَّهُ﴾ أي نكاحهن ﴿كَانَ فَحِشَةً﴾ قبيحا ﴿وَمَقْتًا﴾ سببا للمقت من الله وهو أشد البغض ﴿وَسَاءَ﴾ بئس ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً ذلك

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهُنَّ اللَّاتِي أَرْضَعْتَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهُنَّ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنَ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

٢٣ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ أن تنكحوهن وشملت الجدات من قبل الأب أو الأم ﴿وَبَنَاتِكُمْ﴾ وشملت الأولاد وإن سفنن ﴿وَأَخَوَاتِكُمْ﴾ من جهة الأب أو الأم ﴿وَعَمَّاتِكُمْ﴾ أي أخوات آبائكم وأجدادكم ﴿وَوَخَالَاتِكُمْ﴾ أي أخوات أمهاتكم وجداتكم ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ﴾ ويدخل فيهن أولادهم ﴿وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْتَكُمْ﴾ قبل استكمال الحولين خمس رضعات كما بينه الحديث ﴿وَأَخَوَاتِكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾ ويلحق بذلك بالسنة البنات منها وهن من أرضعتهم موطأته والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت منها لحديث: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب».

رواه البخاري ومسلم. ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمْ﴾ جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيره ﴿اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ تربونها صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها ﴿مَنْ نَسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ

بِهِنَّ﴾ أي جامعتموهن ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ فلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن ﴿وَوَحَالَاتِكُمْ﴾ أزواج ﴿أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ بخلاف من تبينتمهم فلهم نكاح حلالهم ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ من نسب أو رضاع بالنكاح ويلحق بهما بالسنة بينها وبين عمتها أو خالتها ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد وملكهما معاً ويطأ واحدة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهلية من نكاحهم بعض ما ذكر فلا جناح عليكم فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما سلف منكم قبل النهي ﴿رَحِيمًا﴾ بكم في ذلك

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَذَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَتَّبِعُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْتَفْجِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

٢٤ ﴿و﴾ حرمت عليكم ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ أي ذوات الأزواج ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن حرائر مسلمات كن أو لا ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء بالسي فلكن وطوهرن وإن كان لهن أزواج في دار الحرب بعد الاستبراء ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ نصب على المصدر أي كتب ذلك ﴿عَلَيْكُمْ وَأَجَلَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ أي سوى ما حرم عليكم من النساء ﴿أَنْ تَتَّبِعُوا﴾ تطلبوا النساء ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ بصدقات أو ثمن ﴿مُحْصِنِينَ﴾ متزوجين ﴿غَيْرَ مُسْتَفْجِينَ﴾ زانين ﴿فَمَا﴾ فمن ﴿اسْتَمْتَعْتُمْ﴾ تمتعتم ﴿بِهِ مِنْهُنَّ﴾ ممن تزوجتم بالوطء ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن التي فرضتم لهن ﴿فَرِيضَةً﴾ ولا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ. أنتم وهن ﴿بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ من حطها أو بعضها أو زيادة عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم (١).

(١) أسباب نزول الآية ٢٤: روى مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، عن أبي سعيد الخدري قال: «أصبنا سبانيا من سبي أوطاس لهن أزواج فكرهنا أن تقع عليهن، ولهن أزواج فسالنا النبي ﷺ فنزلت: «والمحصنات من النساء إلا ما

﴿لِمَنْ خَشِيَ﴾ خاف ﴿العنت﴾ الزنا ، وأصله المشقة ، سمي به الزنا لأنه سببها بالحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة ﴿منكم﴾ بخلاف من لا يخافه من الأحرار فلا يحل له نكاحها وكذا من استطاع طول حرة وعليه الشافعي وخرج بقوله ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾: الكافرات ، فلا يحل له نكاحها ولو عدم وخاف ﴿وأن تصيروا﴾ عن نكاح المملوكات ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لئلا يصير الولد رقيقا ﴿والله غفورٌ رحيمٌ﴾ بالتوسعة في ذلك

﴿يُرِيدُ اللَّهُ يُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

٢٦ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم ومصالح أمركم ﴿ويهديكم سنن﴾ طرائق ﴿الذين من قبلكم﴾ من الأنبياء في التحليل والتحريم فتتبعوهم ﴿ويؤتوب عليكم﴾ يرجع بكم عن معصيته التي كنتم عليها إلى طاعته ﴿والله عليمٌ﴾ بكم ﴿حكيمٌ﴾ فيما دبره لكم

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾

٢٧ ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ كرهه لبيبي عليه ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة ﴿أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾ تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾

٢٨ ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ يسهل عليكم أحكام الشرع ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ لا يصبر عن النساء والشهوات

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ

بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

٢٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ بالحرام في الشرع كالربا والغصب ﴿إلا﴾ لكن ﴿أن تكون﴾ تقع ﴿تجارة﴾ وفي قراءة بالنصب ، أن تكون الأموال أموال تجارة صادرة ﴿عن تراضٍ منكم﴾ وطيب نفس فلکم أن تأكلوها

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيَنْكِحُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مِمَّا حَصَّنْتُمْ بِهِ فَمَنْ حَصَّنْتُمْ فَذَلِكَ فَادَّأَ أَحْسَنَ فَإِنْ أَتَيْتُمْ بِعُقُوبَةٍ فَعَلَيْتُمْ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تُصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

٢٥ ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾ أي غنى ﴿أن ينكح المحصنات﴾ الحرائر ﴿المؤمنات﴾ هو جري على الغالب فلا مفهوم له ﴿فمن مملكت أيمانكم﴾ ينكح ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾ والله أعلم بإيمانكم ﴿فاكتفوا بظاهره واكلوا السرائر إليه فإنه العالم بتفضيلها ورب أمة تفضل حرة فيه وهذا تأنيس بنكاح الإماء ﴿بعضكم من بعض﴾ أي أنتم وهن سواء في الدين فلا تستنكفوا من نكاحهن ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾ مواليهن ﴿وآتوهن﴾ أعطوهن ﴿أجورهن﴾ مهورهن ﴿بالمعروف﴾ من غير مطل ونقص ﴿محصنات﴾ عفاف حال ﴿غير مسافحات﴾ زانيات جهراً ﴿ولا متخذات أخذان﴾ أخلاء يزنون بهن سراً ﴿فأذا أحصن﴾ زوجن وفي قراءة ﴿أحصن﴾ بالبناء للفاعل تزوجن ﴿فإن أتيتن بفاحشة﴾ زنا ﴿فعلعليهن نصف ما على المحصنات﴾ الحرائر الأبقار إذا زنين ﴿من العذاب﴾ الحد فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة ويقاس عليهن العبيد ولم يجعل الإحصان شرطاً لوجوب الحد لإفادة أنه لا رجم عليهن أصلاً ﴿ذلك﴾ أي نكاح المملوكات عند عدم الطول مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يقول: إلا ما أفاء الله عليكم، فاستحللنا بها فروجهن.

• وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: «نزلت يوم حنين لما فتح الله حنيناً أصاب المسلمون نساءً من نساء أهل الكتاب لهن أزواج، وكان الرجل إذا أراد أن يأتي المرأة قالت: إن لي زوجاً، فمثل ﷺ عن ذلك، فأنزل الله: «والمحصنات من النساء» الآية.

• قوله تعالى: «ولا جناح» الآية.

• أخرج ابن جرير عن عمرة بن سليمان عن أبيه قال: «زعم حضرمي أن رجلاً كانوا يفرضون المهو، ثم عسى أن تدرك أحدهم العسرة، فنزلت: «ولا جناح عليكم فيما تراضيتُم به من بغد القرىضة».

كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿النساء: ٣٣﴾

٣٣ ﴿وَلِكُلِّ﴾ من الرجال والنساء ﴿جَعَلْنَا مَوَالِي﴾ عصبه يعطون ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ لهم من المال ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ﴾ بألف ودونها ﴿أَيْمَانَكُمْ﴾ جمع يمين بمعنى القسم أو اليد أى الحلفاء الذين عاهدتموهم في الجاهلية على النصره والإرث ﴿فَأَتَوْهُمْ﴾ الآن ﴿نُصِيْبَهُمْ﴾ حظوظهم من الميراث وهو السدس ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ مطلعا ومنه حالكم ، وهذا منسوخ بقوله ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾^(١)

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النَّسَاءِ﴾ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِن أَطَعْتُمْ فَلَائِيَّ عَظِيمٌ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾

٣٤ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾ مسلطون ﴿وَعَلَى النِّسَاءِ﴾ يؤدبونهن ويأخذون على أيديهن ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ عليهن ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ فَالصَّالِحَاتُ ﴿قَانِتَاتٌ﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي لفروجهن وغيرها في غيبة أزواجهن ﴿بِمَا حَفِظَ﴾ لهن ﴿اللَّهُ﴾ حيث أوصى عليهن الأزواج ﴿وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن لكم بأن ظهرت أمارته ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ فحوفوهن الله ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ اعتزلوا إلى فراش آخر إن أظهرن النشوز ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ ضربا غير مبرح إن لم يرجعن بالهجران ﴿فَإِن أَطَعْتُمْ﴾ فيما يراد منهن ﴿فَلَا تَبْغُوا﴾ تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ طريقا

(١) أسباب نزول الآية ٣٣: أخرج أبو داود في سننه، من طريق ابن إسحاق، عن داود بن الحصين قال: «كنت أقرأ على أم سعد ابنة الربيع، وكانت مقيمة في حجر أبي بكر، فقرأت: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ﴾. فقالت: لا، ولكن: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ﴾، وأما نزلت في أبي بكر وابنه (عبد الرحمن) حين أتى الإسلام، فحلف أبو بكر أن لا يورثه، فلما أسلم أمره أن يؤتبه نصيبه.»

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بارتكاب ما يؤدي إلي هلاكها أيا كان في الدنيا أو الآخرة بقربنة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في منعه لكم من ذلك

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَّظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَّكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٣٠]

٣٠ ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي ما نهى عنه ﴿عُدْوَانًا﴾ تجاوزا للحلال حال ﴿وَّظُلْمًا﴾ تأكيد ﴿فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ﴾ ندخله ﴿نَارًا﴾ يحترق فيها ﴿وَّكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هينا

﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]

٣١ ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وهي ما ورد عليها وعيد كالقتل والزنا والسرقة ، وعن ابن عباس «هي إلى السبعائة أقرب». ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الصغائر بالطاعات ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها أي إدخالا أو موضعا ﴿كَرِيمًا﴾ هو الجنة

﴿وَلَا تَنَّمَنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

٣٢ ﴿وَلَا تَنَّمَنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ من جهة الدنيا أو الدين لئلا يؤدي إلى التحاسد والتباغض ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ ثواب ﴿مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن ، نزلت لما قالت أم سلمة: ليتنا كنا رجالا فجاهدنا وكان لنا مثل أجر الرجال ﴿وَأَسْأَلُوا﴾ بهمزة ودونها ﴿اللَّهُ﴾ مِنْ فَضْلِهِ ﴿مَا احْتَجْتُمْ إِلَيْهِ﴾ يعطكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ومنه محل الفضل وسؤالكم^(١)

﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ فَأَتَوْهُمْ نُصِيْبَهُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ

(١) أسباب نزول الآية ٣٢: روى الترمذي، والحاكم، عن أم سلمة أنها قالت: «يغزو الرجال ولا تغزو النساء، وإنما لها نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَنَّمَنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، وأنزل فيها: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتُ﴾.

في الجوار أو النسب ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ الرفيق في سفر أو صناعة وقيل الزوجة ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الأرقاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا﴾ متكبيرا ﴿فَخُورًا﴾ على الناس بما أوتي

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ٣٧]

٣٧ ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَبْخُلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من العلم والمال وهم اليهود، وخبر المبتدأ لهم وعيد شديد ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ بذلك وبغيره ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾ ذا إهانة (١).

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨]

٣٨ ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على الذين قبله ﴿يُنْفِقُونَ﴾ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ ﴿مَرَاتِينَ لَهُمْ﴾ ولا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿كَالْمُنَافِقِينَ وَأَهْلَ مَكَّةَ﴾ ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾ صاحباً يعمل بأمره كهؤلاء ﴿نِسَاءً﴾ بس ﴿قَرِينًا﴾ هو.

من الأنصار بامرأة له، فقالت: يا رسول الله إنه ضربي، فأثر في وجهي، فقال رسول الله: ليس له ذلك، فأثرل الله: «الرجال قوالمون على النساء» الآية. فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً.

(١) أسباب نزول الآية ٣٧: أخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبیر قال: «كان غلماء بني إسرائيل يبخلون بما عندهم من العلم، فأثرل الله: «الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل» الآية.

* وأخرج ابن جرير، من طريق ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد، عن ابن عباس قال: «كان كردم بن زيد حليف كعب بن الأشرف، وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبحري بن عمرو، وحبي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن الثابت، يأتون رجالاً من الأنصار ينتصحوهم لهم فيقولون: لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرؤن ما يكون، فأثرل الله فيهم: «الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل». إلى قوله: «وكان الله بهم عليماً».

إلى ضربهن ظلماً ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ فأحذروه أن يعاقبكم إن ظلموه (١).

﴿وَأَنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٣٥]

٣٥ ﴿وَأَنْ خِفْتُمْ﴾ علمتم ﴿شِقَاقَ﴾ خلاف ﴿بَيْنِهِمَا﴾ بين الزوجين، والإضافة للاتساع أي شقاقاً بينهما ﴿فَأَبْعَثُوا﴾ إليهما برضاهما ﴿حَكَمًا﴾ رجلاً عدلاً ﴿مَنْ أَهْلِهِ﴾ أقرابه ﴿وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ ويوكل الزوج حكمه في طلاق وقبول عوض عليه وتوكل هي حكمها في الاختلاع فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع أو يفرقان إن رأياه، قال تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَا﴾ أي الحكمان ﴿إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين أي يقدرهما على ما هو الطاعة من إصلاح أو فراق ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا﴾ بالباطن كالظواهر

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]

٣٦ ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ برا ولين جانب ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ والمساكين والجار ذِي الْقُرْبَىٰ ﴿القريب منك في الجوار أو النسب﴾ ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ البعيد عنك

(١) أسباب نزول الآية ٣٤: أخرج ابن أبي حاتم عن الحسين قال: «جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تستعدي على زوجها أنه لطمها، فقال رسول الله ﷺ: القصاص، فأثرل الله: «الرجال قوالمون على النساء» الآية، فرجعت بغير قصاص».

وأخرج ابن جرير من طرق عن الحسن، وفي بعضها: «أن رجلاً من الأنصار لطم امرأته فجاءت تلمس القصاص، فجعل النبي ﷺ بينهما القصاص، فنزلت: «وَلَا تَقْجُلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ»، ونزلت: «الرجال قوالمون على النساء».

* وأخرج نحوه عن ابن جرير والشدي.

* وأخرج ابن مردويه عن علي قال: «أنى النبي ﷺ رجل»

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٩]

٣٩ ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي أي ضرر عليهم في ذلك والاستفهام للإنكار ولو مصدرية أي لا ضرر فيه وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ فيجازيهم بما عملوا

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْلِبُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]

٤٠ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْلِبُ﴾ أحدا ﴿مِثْقَالَ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة بأن ينقصها من حسناته أو يزيدا في سيئاته ﴿وَإِن تَكَ﴾ الذرة ﴿حَسَنَةً﴾ من مؤمن ، وفي قراءة بالرفع فكان تامة ﴿يُّضَاعِفْهَا﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة وفي قراءة ﴿يُضَعِّفْهَا﴾ بالتشديد ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ﴾ من عنده مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يقدره أحد ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]

٤١ ﴿فَكَيْفَ﴾ حال الكفار ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها وهو نبيها ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿يَوْمَ يَذُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ سَوَّيْتُمْ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]

٤٢ ﴿يَوْمَ يَذُودُ﴾ يوم المعجى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ﴾ أي أن ﴿تَسَوَّيْتُمْ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل مع حذف إحدى التاءين في الأصل ، ومع إدغامها في السين [تَسَوَّيْتُمْ] أي تسوى ﴿بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ بأن يكونوا ترابا مثلها لعظم هولها كما في آية أخرى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ عما عملوه وفي وقت آخر يكتمونه ويقولون ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنْتُمْ مَرْهُقَاتٍ أَوْ عَلَيْنَ سَفَرٍ أَوْ

جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣]

٤٣ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ أي لا تَصَلُّوا ﴿وَأَنتُمْ سُكَرَىٰ﴾ من الشراب لأن سبب نزولها صلاة جماعة في حالة سكر ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ بأن تصحوا ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ بإيلاج أو إنزال ، ونصبه على الحال وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿إِلَّا عَابِرِي﴾ مجتازي ﴿سَبِيلٍ﴾ طريق أي مسافرين ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ فلكم أن تصلوا واستثناء المسافر لأن له حكما آخر سيأتي .

وقيل : المراد النهي عن قربان مواضع الصلاة أي المساجد إلى عبورها من غير مكث ﴿وَإِن كُنْتُمْ مَرْضَىٰ﴾ مرضا يضره الماء ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين وأنتم جنب أو محدثون ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ هو المكان المعد لقضاء الحاجة أي أحدث ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ وفي قراءة ﴿لمستم﴾ بلا ألف وكلاهما بمعنى اللمس هو الجنس باليد ، قاله ابن عمر وعليه الشافعي وألحق به الجنس بياقي البشرة .

وعن ابن عباس هو الجماع ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ تطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش وهو راجع إلى ماعدا المرضي ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ اقصدا بعد دخول الوقت ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ترابا طاهرا فاضربوا به ضربتين ﴿فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مع المرفقين منه ، ومسح يتعدى بنفسه وبالحرف ﴿إِن اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (١) .

(١) أسباب نزول الآية ٤٣ : روى أبو داود، والترمذي، والنسائي، والحاكم، عن علي قال: «صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما، فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾. ونحن نعبد ما تعبدون، فأزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾».

* وأخرج الفريابي وابن أبي حاتم وابن المنذر عن علي قال: «نزلت هذه الآية

* قوله: ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ في المسافر تصيبه الجنابة فيتيمم ويصلي».

* وأخرج ابن مردويه عن الألسع بن شريك قال: «كنت أرحل ناقة رسول الله ﷺ فأصابتي جنابة في ليلة باردة،

وَأَسْمَعُ وَأَنْظِرُنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
يَكْفُرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا [النساء: ٤٦]

٤٦ ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قوم ﴿يُحَرِّفُونَ﴾
يغيرون ﴿الْكَلِمَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من
نعت محمد ﷺ ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ التي وضع عليها
﴿وَيَقُولُونَ﴾ للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء ﴿سَمِعْنَا﴾
قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾
حال بمعنى الدعاء أي لا سمعت ﴿وَوَقُولُونَ لَهُ﴾
﴿زَاعِنًا﴾ وقد نهى عن خطابه بها وهي كلمة سب
بلغتهم ﴿لِيَأْتِيَ﴾ تحريفا ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطِفْنَا﴾ قدحا
﴿فِي الدِّينِ﴾ الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا﴾ بدل وعصينا ﴿وَأَسْمَعُ﴾ فقط ﴿وَأَنْظِرُنَا﴾
انظر إلينا بدل راعنا ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ مما قالوه
﴿وَأَقْوَمَ﴾ أعدل منه ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم
عن رحمته ﴿يَكْفُرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم
كعب الله بن سلام وأصحابه

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَكُمْ مِنَ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى
أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَسْحَبَ السَّيْبِ وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧]

٤٧ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا
نَزَّلْنَا﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة
﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ نمحو ما فيها من
العين والأنف والحاجب ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾
فنجعلها كالأقفاء لوحا واحدا ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾
نمسخهم قردة ﴿كَمَا لَعْنَا﴾ مسحنا ﴿أَصْحَابَ
السَّيْبِ﴾ منهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قضاؤه
﴿مَفْعُولًا﴾ ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام فقيل
كان وعيدا بشرط فلما أسلم بعضهم رفع وقيل
يكون طمس ومسح قبل قيام الساعة (١)

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ
لِمَن يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾

(١) أسباب نزول الآية ٤٧: أخرج ابن إسحاق عن ابن
عباس قال: «كلم رسول الله ﷺ رؤساء من أجداد اليهود،
منهم عبد الله بن صوريا، وكعب بن أسيد، فقال لهم: يا
معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي
جئتكم به لحق، فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد. فأنزل الله
فيهم: «يَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا» الآية.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْثُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْرُونَ
الضَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤]

٤٤ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْثُوا نَصِيبًا﴾ حظا
﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ وهم اليهود ﴿يَشْرُونَ الضَّلَاةَ﴾
بالبهدي ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ تحطتوا
الطريق لتكونوا مثلهم (١)
﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَابِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
نَصِيرًا﴾

٤٥ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَابِكُمْ﴾ منكم فيخبركم
بهم لتجنبوهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ حافظا لكم
منهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ مانعا لكم من كيدهم
﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ
وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا
بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطِعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾

فخشيت أن اغتسل بالماء البارد فأمرت أو أمرض، فذكرت
ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا
الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ شَكَارَى﴾ الآية كلها.

* وأخرج الطبراني عن الأسلع قال: «كنت أخدم النبي
ﷺ وأرسل له، فقال لي ذات يوم: يا أسلع قم فارحل،
فقلت: يا رسول الله أصابني جنابة، فسكت رسول الله ﷺ
وأناه جبريل بأية الصعيد، فقال رسول الله ﷺ: قم يا أسلع
فتيمم، فأراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين،
فعمت فتيممت ثم رحلت له».

* وأخرج ابن جرير، عن يزيد بن أبي حبيب: «أن رجلا
من الأنصار كانت لمواهبهم في المسجد، فكانت تصيبهم
جنابة، ولا ماء عندهم، فيريدون الماء ولا يجدون ممرا إلا في
المسجد، فأنزل الله قوله: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: «نزلت هذه الآية
في رجل من الأنصار كان مريضا فلم يستطع أن يقوم
فيتوضأ، ولم يكن له خادم فيتناوله فذكر ذلك لرسول الله
ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ﴾ الآية».

* وأخرج ابن جرير عن إبراهيم النخعي قال: «نال
أصحاب النبي ﷺ جراحة ففشت فيهم، ثم ابتلوا بالجنابة
فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ، فنزلت: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ﴾ الآية
كلها».

(١) أسباب نزول الآية ٤٤: أخرج ابن إسحاق عن ابن
عباس قال: «كان رفاعة بن زيد بن الثابت من عظماء اليهود،
وإذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه، وقال: أرعنا سيمعك يا
محمد حتى نفهمك. ثم طعن في الإسلام دعابة، فأنزل الله
فيه: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْثُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْرُونَ
الضَّلَاةَ».

النبي ﷺ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ صنمان لقريش ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أبي سفيان وأصحابه حين قالوا لهم أنحن أهدي سبيلا ونحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني ونفعل أم محمد وقد خالف دين آباءه وقطع الرحم وفارق الحرم ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي أنتم ﴿أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ أقوم طريقا

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢]

٥٢ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ﴾ به ﴿اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ مانعا من عذابه

﴿أَمْ لَمْ نَصِيبْ مِّنَ الْمَلَكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا﴾

٥٣ ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ أي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا﴾ أي شيئا تافها قدر النقرة في ظهر النواة لفرط بخلهم

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]

٥٤ ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ أي النبي ﷺ ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ من النبوة وكثرة النساء أي يتمنون زواله عنه ويقولون لو كان نبيا لاشتغل عن النساء ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ جده كموسى وداود وسليمان ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ والنبوة ﴿وَآتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا﴾ فكان لداود تسع وتسعون امرأة وللسليمان ألف ما بين حرة وسُرِّيَّةٖ (١)

(١) أسباب نزول الآيات ٥١ - ٥٤: أخرج أحمد، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: «لما قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت قريش: ألا ترى هذا المنصر المنبر من قومه يزعم أنه خيرٌ منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة؟ وأهل السقاية؟ قال: أنتم خير، فنزلت فيهم: «إِنَّ سَانَكَ هُوَ الْأَثَرُ». ونزلت: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ إِلَى نَصِيرًا»

* وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: «كان الذين حَزَبُوا الْأَحْزَابَ مِنْ قَرِيشٍ وَغُطَفَانَ، وَبَنِي قَرِيظَةَ: حَيٌّ بِنِ أَحْطَبٍ، وَسَلَامٌ بِنِ أَبِي الْحَقِيقِ، وَأَبُو رَافِعٍ، وَالرَّبِيعُ بِنِ أَبِي

٤٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ﴾ أي الإشراف ﴿بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ﴾ سوى ﴿ذَلِكَ﴾ من الذنوب ﴿لَعَنَ يَشَاءُ﴾ المغفرة له بأن يدخله الجنة بلا عذاب ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا﴾ ذنبا ﴿عَظِيمًا﴾ كبيرا (١)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ بِلِ اللَّهِ بِرِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ فِتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]

٤٩ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ وهم اليهود حيث قالوا ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ أي ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿بِلِ اللَّهِ يَزُكِّي﴾ أي يطهر ﴿مَن يَشَاءُ﴾ بالإيمان ﴿وَلَا يَظْلُمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فِتِيلًا﴾ قدر قشرة النواة (٢)

﴿انظُرْ كَيْفَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَيْدَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٥٠]

٥٠ ﴿انظُرْ﴾ متعجبا ﴿كَيْفَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَيْدَ﴾ بذلك ﴿وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ بينا .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾

[النساء: ٥١]

٥١ ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر وحرصوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة

(١) أسباب نزول الآية ٤٨: أخرج ابن أبي حاتم، والطبراني عن أبي أيوب الأنصاري قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام، قال: وما دينه؟ قال: يصلي ويوحد الله، قال: استوهب منه دينه فإن أبي فابتعه منه، فطلب الرجل ذلك منه فأبى عليه، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: وجدته شحيحا على دينه، فنزلت: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ»

(٢) أسباب نزول الآية ٤٩: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كانت اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم، ويقربون قربانهم، ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب، فأَنْزَلَ اللَّهُ: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ».

* وأخرج ابن جرير نحوه عن: عكرمة، ومجاهد، وأبي مالك، وغيرهم.

ما اتئمت عليه من الحقوق ﴿إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ نزلت لما أخذ عليّ رضي الله عنه مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحنظلي سادنها قسرا لما قدم النبي ﷺ مكة عام الفتح ومنعه وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فأمر رسول الله ﷺ برده إليه وقال: هاك خالدة تالدة. فعجب من ذلك فقرا له عليّ الآية فأسلم وأعطاه عند موته لأخيه شيبه بقي في ولده، والآية وإن وردت على سبب خاص فعمومها معتبر بقريظة الجمع ﴿وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ يأمركم ﴿أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يُعَمِّمُ فِيهِ إِدْغَامَ مِيمٍ نَعَمٌ فِي مَا النِّكَرَةُ الْمُوصُوفَةُ أَي نَعَم شَيْئًا ﴿يُعِظُّكُمْ بِهِ﴾ تَأْذِيَةُ الْأَمَانَةِ وَالْحُكْمَ بِالْعَدْلِ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَبِيغًا﴾ لما يقال ﴿بِصِيرًا﴾ بما يفعل (١)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

٥٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾ وأصحاب ﴿الأمير﴾ أو الولاية ﴿منكم﴾ إذا أمرهم بطاعة الله ورسوله ﴿فإن تنازعتم﴾ اختلفتم ﴿في شئٍ فرددوه إلى الله﴾ أي إلى كتابه ﴿والرسول﴾ مدة حياته وبعده إلى سنته أي اكشفوا عليه منهما ﴿إن كنتم تؤمنون بالله﴾ والتؤم الآخِرِ ذَلِكَ أي الرد إليهما ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿وأحسن تأويلاً﴾ مالا.

(١) أسباب نزول الآية ٥٨: أخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «لما فتح رسول الله ﷺ مكة دعا عثمان بن طلحة، فلما أتاه قال: أرني المفتاح، فأتاه به فلما بسط يده إليه قام العباس فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية، فكف عثمان يده. فقال رسول الله ﷺ: هات المفتاح يا عثمان، فقال: هاك بأمانة الله، فقام ففتح الكعبة، ثم خرج فطاف بالبيت، ثم نزل عليه جبريل برد المفتاح، فدعا عثمان بن طلحة فأعطاه المفتاح ثم قال: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها حتى فرغ من الآية.» وأخرج شعبة في تفسيره عن حجاج عن ابن جريج قال: «نزلت هذه الآية في عثمان بن طلحة أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة، فدخل به البيت يوم الفتح، فخرج وهو يتلو

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٥]

٥٥ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ بمحمد ﷺ ﴿ومِنْهُمْ مَنْ صَدَّ﴾ أعرض ﴿عنه﴾ فلم يؤمن ﴿وكفىٰ بجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ عذاباً لمن لا يؤمن ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا نَصَّحَتْ جُلُودُهُمْ بِذَلَّتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا [النساء: ٥٦]

٥٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ﴾ تدخلهم ﴿ناراً﴾ يحترقون فيها ﴿كلما نصحت﴾ احترقت ﴿جلودهم بذلتهم جلوداً غيرها﴾ بأن تعاد إلى حالها الأول غير محترقة ﴿ليذوقوا العذاب﴾ ليقاسوا شدته ﴿إن الله كان عزيزاً﴾ لا يعجزه شيء ﴿حكيماً﴾ في خلقه

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَسُدُّوا لَهُمْ ظِلَالًا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]

٥٧ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ من الحيض وكل قدر ﴿وسُدُّوا لَهُمْ ظِلَالًا ظَلِيلًا﴾ دائماً لا تنسخه شمس وهو ظل الجنة .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يُعِظُّكُمْ بِمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ صَبِغًا بِصِيرًا [النساء: ٥٨]

٥٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ أي

الحقيق، وأبو عامر وهودة بن قيس، وكان ساثرهم من بني الضمير فلما قدموا على قريش، قالوا: هؤلاء أجبار يهود أهل العلم بالكتب الأولى، فأسألهم أدينكم خير أم دين محمد؟ فسالوهم فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه، ومن أشبهه، فأنزل الله: «الَّذِينَ تَرَىٰ إِلَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ» إلى قوله: «مُلْكًا عَظِيمًا».

* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «قال أهل الكتاب: زعم محمد أنه أوتي ما أوتي في تواضع، وله تسع نسوة وليس همة إلا الكساح، فأبى ملك أفضل من هذا؟ فأنزل الله: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ» الآية.» وأخرج ابن سعد عن عمر مولى عفرة نحوه أبسط منه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾
 ٦١ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ في القرآن من الحكم ﴿وإلى الرسول﴾ ليحكم بينكم ﴿رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّينَ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون ﴿عنك﴾ إلى غيرك ﴿صُدُودًا﴾

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢]

٦٢ ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعاصي أي أيقدرون على الإعراض والفرار منها لا ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ معطوف على يصدون ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بالمحاكمة إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾ صلحا ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ تأليفا بين الخصمين بالتقريب في الحكم دون الحمل على مُرِّ الحق

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾

٦٣ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وعظهم﴾ خوفهم الله ﴿وقل لهم في﴾ شأن ﴿أنفسهم قولا بليغا﴾ مؤثرا فيهم ، أي ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]

٦٤ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَىٰ الظُّلُمَاتِ وَقَدْ أُسْرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٥]

٦٥ ونزل لما احتصم يهودي ومنافق فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ فأتياه فقاضى لليهودي فلم يرض المنافق، وأتيا عمر فذكر اليهودي ذلك فقال للمنافق أكن ذلك قال نعم فقتله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ الكثير الطغيان وهو كعب بن الأشرف ﴿وقد أُسْرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ ولا يوالوه ﴿ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾ عن الحق (١).

هذه الآية، فدعا عثمان، فدفع إليه المفتاح، قال: وقال عمر بن الخطاب، لما خرج رسول الله من الكعبة، وهو يتلو هذه الآية: فداه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك.

قلت: ظاهر هذه أنها نزلت في جوف الكعبة.

(١) أسباب نزول الآية ٥٩: روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في عهد الله بن خذافة بن قيس إذ بعثه النبي ﷺ في سرية». كذا أخرجه مختصرا.

وقال الداودي: «هذا وهم - يعني الافتراء على ابن عباس - فإن عبد الله بن خذافة خرج على جيش فغضب فأوقد نارًا وقال: اقتحموا. فامتنع بعض وهم بعض أن يفعل قال: فإن كانت الآية نزلت قبل، فكيف يخص عبد الله بن خذافة بالطاعة دون غيره؟، وإن كانت نزلت بعده فأما قيل لهم: إنما الطاعة في المعروف، وما قيل لهم: لِمَ لم تطيعوه؟»

وأجاب الحافظ ابن حجر بأن المقصود في قصته: «فإن تنازعتم في شئٍ فإنهم تنازعوا في امتثال الأمر بالطاعة، والتوقف فرارًا من الثأر فناسب أن ينزل في ذلك ما يرشدهم إلى ما يفعلونه عند التنازع، وهو الرد إلى الله والرسول». وقد أخرج ابن جرير أنها نزلت في قصة جرت لعمار بن ياسر مع خالد بن الوليد وكان خالد أميرًا، فأجار عمار رجلا بغير أمره فخاصما، فنزلت.

(٢) أسباب نزول الآية ٦٥: أخرج ابن أبي حاتم والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: «كان أبو هريرة الأسلمي كاهنًا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه، فننافر إليه ناس من المسلمين فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾».

* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال: «كان الجلّاس بن الضّامت، ومعتب بن قشير، ورافع بن زيد، وبشر، يدعون الإسلام، فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله

ﷺ فدعوههم إلى الكهان حكّام الجاهلية فأنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية.

* وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال: «كان بين رجل من يزعم أنه مسلم وبين رجل من اليهود خصومة، فقال لليهودي: أحاكمك إلى أهل دينك - أو قال إلى النبي - لأنه قد علم أنه لا يأخذ الرّشوة من الحكم، فاختلعا واتفقا على أن يأتيا كاهنًا في جهينة، فنزلت.»

فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا ﴿٦٦﴾
 ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ﴾ مفسرة ﴿اقْتُلُوا﴾
 أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ كما كتبنا على
 بني إسرائيل ﴿مَّا فَعَلُوا﴾ أي المكتوب عليهم ﴿إِلَّا﴾
 قَلِيلًا ﴿بِالرَّفْعِ عَلَى الْبَدَلِ وَالنَّصْبِ عَلَى الْاسْتِنَاءِ﴾
 ﴿مَنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة
 الرسول ﷺ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا﴾ تحقيقاً
 لإيمانهم (١).

﴿وَإِذَا لَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٦٧]

٦٧ ﴿وَإِذَا﴾ أي لو تبتوا ﴿لَأَتَيْنَاهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا﴾
 من عندنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة

﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٨]

٦٨ ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ قال بعض
 الصحابة للنبي ﷺ كيف نراك في الجنة وأنت في
 الدرجات العلى ونحن أسفل منك فنزل:

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
 وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]

٦٩ ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فيما أمرا به
 ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
 وَالصِّدِّيقِينَ﴾ أفاضل أصحاب الأنبياء لمبالغتهم في
 الصدق والتصديق ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ القتلى في سبيل
 الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ غير من ذكر ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ
 رَفِيقًا﴾ رفقاء في الجنة بأن يستمتع فيها برويتهم
 وزيارتهم والحضور معهم وإن كان مقرهم في
 الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم (٢).

(١) أسباب نزول الآية ٦٦: وأخرج ابن جرير عن الشدي
 قال: «لما نزلت ﴿ولو أنَّا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو
 اخروجوا من دياركم ما فعلوا إلا قليل منهم﴾ تفاخر ثابت بن
 قيس بن شماس، ورجل من اليهود، فقال اليهودي: والله لقد
 كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم فقتلنا أنفسنا، فقال ثابت:
 والله لو كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم لقتلنا أنفسنا، فأنزله
 الله: ﴿ولو أنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ
 تَبِيئًا﴾.

(٢) أسباب نزول الآية ٦٩: أخرج الطبراني، وابن مردويه
 بسند لا بأس به عن عائشة قالت: «جاء رجل إلى النبي ﷺ
 فقال: يا رسول الله إنك لأحس إلي من نفسي، وإنك لأحس
 إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى

يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره لا ليعصى
 ويخالف ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتحاكمهم
 إلى الطاغوت ﴿جَاءَهُمْ﴾ تائبين ﴿فَاسْتَعْفَرُوا اللَّهَ﴾
 واشتغفروا لهم الرسول ﴿فيه التفات عن الخطاب
 تفخيماً لشأنه ﴿لَوْ جَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا﴾ عليهم
 ﴿رَحِيمًا﴾ بهم

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا
 شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا
 مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

٦٥ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا
 شَجَرَ﴾ اختلط ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ
 حَرَجًا﴾ ضيقاً أو شكاً ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ به
 ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾ ينفقوا لحكمك ﴿تَسْلِيمًا﴾ من غير
 معارضة (١).

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ
 أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوا إِلَّا لَٰئِلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ

(١) أسباب نزول الآية ٦٥: أخرج الأئمة الستة عن
 عبد الله بن الزبير قال: «خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في
 شراج الحرة، فقال النبي ﷺ اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى
 جارك، فقال الأنصاري: يا رسول الله إن كان ابن عمك،
 فلنؤن وجهه ثم قال: اسق يا زبير ثم أحبس الماء حتى يرجع
 إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك واستوعب للزبير حقه،
 وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فما أحسب
 هذه الآيات إلا أنزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ
 يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.

* وأخرج الطبراني في الكبير والحميدي في مسنده عن أم
 سلمة قالت: «خاصم الزبير رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقضى
 للزبير فقال الرجل: إنما قضى له لأنه ابن عمته، فنزلت: ﴿فَلَا
 وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ الآية.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب في قوله:
 ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ الآية، قال: «أنزلت في الزبير بن العوام، وحاطب
 ابن أبي بلتعة، اختصما في ماء، فقضى النبي ﷺ أن يسقي
 الأعلى ثم الأسفل».

* وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن أبي الأسود
 قال: «اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ فقضى بينهما، فقال
 الذي قضى عليه: زدنا إلى عمر بن الخطاب، فأتيا إليه، فقال
 الرجل: قضى لي رسول الله ﷺ على هذا، فقال: زدنا إلى
 عمر، فقال: أكذلك؟ قال: نعم فقال عمر: مكانكما حتى
 أخرج إليكما فأقضي بينكما، فخرج إليهما مشتملاً على سيفه،
 فضرب الذي قال زدنا إلى عمر فقتله، فأنزله الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ
 لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية». مرسل غريب في إسناده ابن لهيعة وله شاهد
 أخرجه رحيم في تفسيره من طريق عتبة بن ضمرة عن أبيه.

﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عِلْمًا﴾

٧٠ ﴿ذَلِكَ﴾ أي كونهم مع من ذكر مبتداً خبره ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ تفضل به عليهم لا أنهم نالوه بطاعتهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عِلْمًا﴾ بثواب الآخرة، أي فشقوا بما أخبركم به ﴿وَلَا يُنْبِئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا نُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١]

٧١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من عدوكم ، أي احترزوا منه وتيقظوا له ﴿فَانفِرُوا﴾ انهضوا إلى قتاله ﴿نُبَاتٍ﴾ متفرقين سرية بعد أخرى ﴿أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾

[النساء: ٧٢]

٧٢ ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبَطِّئَنَّ﴾ ليتأخرن عن القتال كعبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وجعله منهم من حيث الظاهر واللام في الفعل للقسم ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ كقتل وهزيمة ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ حاضراً فأصاب

﴿وَلَئِنْ أَصَبَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْتَبِئْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣]

أتى فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك وعرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين وأبي إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يرد النبي ﷺ شيئاً حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾. الآية.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مسروق قال: «قال أصحاب محمد ﷺ: يا رسول الله، ما ينبغي لنا أن نفارقك فإنك لو قد مت لرفعنا فوقنا ولم نرك. فأنزل الله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ الآية.»

* وأخرج عن عكرمة قال: «أتى فتى النبي ﷺ، فقال: يا نبي الله إن لنا فيك نظرة في الدنيا، ويوم القيامة لا نراك، فإنك في الجنة في الدرجات العلى. فأنزل الله هذه الآية. فقال رسول الله ﷺ: أنت معي في الجنة إن شاء الله.»

* وأخرج ابن جرير نحوه من مرسل سعيد بن جبير ومسروق والربيع وقتادة والشدي.

٧٣ ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَصَابَتْكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نادماً ﴿كَأَنْ﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنه ﴿لَمْ تَكُنْ﴾ بالياء والتاء ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ معرفة وصداقة وهذا راجع إلى قوله «قد أنعم الله علي» اعترض به بين القول ومقوله وهو ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَتَلْتَبِئَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أخذ حظاً وافراً من الغنيمة

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤]

٧٤ قال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾ يستشهد ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ يظفر بعدوه ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثواباً جزيلاً .

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَإِنَّا وَاجِعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]

٧٥ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ استفهام توبيخ ، أي لا مانع لكم من القتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في تخليص ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وأذوهم ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمي منهم. ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعين يا ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ مكة ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ بالكفر ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وَإِنَّا﴾ يتولى أمورنا ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ يمنعنا منهم ، وقد استجاب الله دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج وبقي بعضهم إلى أن فتحت مكة وولى ﷺ عتاب بن أسيد فأ نصف مظلومهم من ظالمهم

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]

٧٦ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ الشيطان ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ أنصار دينه تغلبوهم

وان تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ ﴿٧٨﴾ جَدْبٌ وَبَلَاءٌ كَمَا حَصَلَ لَهُمْ عِنْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ أَيُّ بِشُؤْمِكَ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ ﴿كُلٌّ﴾ مِنَ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ مِنْ قَبْلِهِ ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ أَيُّ لَا يَقَارِبُونَ أَنْ يَفْهَمُوا ﴿وَحَدِيثًا﴾ يَلْقَى إِلَيْهِمْ ، وَمَا اسْتَفْهَمَ تَعْجِيبٌ مِنْ فِرْطِ جَهْلِهِمْ وَنَفْيِ مِقَارِبَةِ الْفِعْلِ أَشَدُّ مِنْ نَفْيِهِ

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

٧٩ ﴿مَا أَصَابَكَ﴾ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ خَيْرٍ ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ أَنْتَكَ فَضْلًا مِنْهُ ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ بَلِيَّةٍ ﴿فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ أَنْتَكَ حَيْثُ ارْتَكَبْتَ مَا يَسْتَوْجِبُهَا مِنَ الذُّنُوبِ ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ عَلَى رِسَالَتِكَ

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [النساء: ٨٠]

٨٠ ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أَعْرَضَ عَنِ طَاعَتِكَ فَلَا يَهْمُنُكَ ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ حَافِظًا لِأَعْمَالِهِمْ بَلْ نَذِيرًا وَإِنَّا أَمْرَهُمْ فَنَجَازِيهِمْ وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

[النساء: ٨١]

٨١ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أَيُّ الْمُنَافِقِينَ إِذَا جَاؤُوكَ أَمْرًا ﴿طَاعَةٌ﴾ لَكَ ﴿فَإِذَا بَرَزُوا﴾ خَرَجُوا ﴿مِنْ عِنْدِكَ﴾ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ﴿يَادْغَمُ التَّاءُ فِي الطَّاءِ وَتَرَكَهُ أَيُّ أَضْمَرْتُ﴾ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴿لَكَ فِي حَضْرِكَ مِنْ الطَّاعَةِ أَيُّ عَصِيَانِكَ﴾ وَاللَّهُ يَكْتُبُ ﴿يَأْمُرُ بِكُتُبِهَا﴾ مَا يُبَيِّنُونَ ﴿فِي صَحَافِهِمْ لِيَجَازُوا عَلَيْهِ﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ ﴿بِالصَّفْحِ﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴿ثِقَ بِهِ فَإِنَّهُ كَافِيكَ﴾ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿مَفُوضًا إِلَيْهِ

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْ جَدُّوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]

لِقَوْلِكُمْ بِاللَّهِ ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ وَاهِبًا لَا يَقَاوِمُ كَيْدَ اللَّهِ بِالْكَافِرِينَ

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْغِنَاءُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْغِنَاءَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾

٧٧ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عَنِ قِتَالِ الْكُفَّارِ لَمَّا طَلَبُوهُ بِمَكَّةَ لِأَذَى الْكُفَّارِ لَهُمْ وَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فَرَضَ ﴿عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ﴾ يَخَافُونَ ﴿النَّاسَ﴾ الْكُفَّارِ أَيُّ عَذَابِهِمْ بِالْقِتَالِ ﴿كَخَشْيَةِ﴾ سَهْمِ عَذَابِ ﴿اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ مِنْ خَشْيَتِهِمْ لَهُ ، وَنَصَبَ أَشَدَّ عَلَى الْحَالِ وَجَوَابَ ﴿لَمَّا﴾ دَلَّ عَلَيْهِ إِذَا وَمَا بَعْدَهَا أَيُّ فَاجَأَتْهُمْ الْخَشْيَةُ ﴿وَقَالُوا﴾ جَزَعًا مِنَ الْمَوْتِ ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ﴾ لَهُمْ ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا﴾ مَا يَمْتَنِعُ بِهِ فِيهَا أَوْ الْاسْتِمْتَاعُ بِهَا ﴿قَلِيلٌ﴾ مَا يَلِي إِلَى الْفَنَاءِ ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ أَيُّ الْجَنَّةِ ﴿خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ عِقَابَ اللَّهِ بِتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ ، تَنْقُصُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ﴿فَتِيلًا﴾ قَدْرَ قَشْرَةِ النَّوَاةِ فَجَاهِدُوا (١)

﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُسْتَعِدَّةٍ﴾ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾

[النساء: ٧٨]

٧٨ ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾ حِصُونٍ ﴿مُسْتَعِدَّةٍ﴾ مَرْتَفَعَةٍ فَلَا تَخْشَوْنَ الْقِتَالَ خَوْفَ الْمَوْتِ ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ﴾ أَيُّ الْيَهُودِ ﴿حَسَنَةٌ﴾ حَصَبٌ وَسَعَةٌ ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

(١) أسباب نزول الآية ٧٧: أخرج النشائي، والحاكم عن ابن عباس: «أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمننا صرنا أذلة. قال: إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا اليوم، فلما حوِّله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفموا، فأنزل الله: «ألم تر إلى الذين قيل لهم كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ» الآية».

﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يُكَفِّ بِأْسَ﴾ حرب ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
والله أشدُّ بأسًا﴾ منهم ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تعذيبًا منهم
فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأخرجن
ولو وحدي» فخرج بسبعين راكبا إلى بدر الصغرى
فكف الله بأس الكفار بإلقاء الرعب في قلوبهم
ومنع أبي سفيان عن الخروج كما تقدم في آل
عمران.

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ
يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [النساء: ٨٥]

٨٥ ﴿مَنْ يَشْفَعْ﴾ بين الناس ﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾
موافقة للشرع ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ من الأجر
﴿مِنْهَا﴾ بسببها ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ مخالفة
له ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ﴾ نصيب من الوزر ﴿مِنْهَا﴾
بسببها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ مقتدرا
فيجازي كل أحد بما عمل

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾

٨٦ ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ كأن قيل لكم سلام
عليكم ﴿فَحَيُّوا﴾ المحيي ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ بأن
تقولوا له: عليك السلام ورحمة الله وبركاته ﴿أَوْ
رُدُّوهَا﴾ بأن تقولوا له كما قال أي الواجب
أحدهما والأول أفضل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ محاسبًا فيجازي عليه ومنه رد
السلام، وخصت السنة الكافر والمبتدع والفساق
والمسلم على قاضي الحاجة ومن في الحمام
والآكل فلا يجب الرد عليهم بل يكره في غير
الأخير ويقال للكافر: وعليك

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا
رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]

٨٧ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ والله ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾
من قبوركم ﴿إِلَىٰ﴾ في ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ﴾ لا
شك ﴿فِيهِ وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ﴾
حديثًا ﴿قولا﴾

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكَّهُمْ بِمَا
كَسَبُوا أَلَمْ يَكُونُوا لَكُمْ آيَةً أَنْ تَهْتَدُوا مِنْ أَضَلِّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ
اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٨٨]

٨٢ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتأملون ﴿الْقُرْآنَ﴾ وما فيه
من المعاني البديعة ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ
لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ تناقضا في معانيه وتباينا
في نظمه

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ
وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ
الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[النساء: ٨٣]

٨٣ ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ﴾ عن سرايا النبي ﷺ
بما حصل لهم ﴿مِنَ الْأَمْنِ﴾ بالنصر ﴿أَوْ
الْخَوْفِ﴾ بالهزيمة ﴿أَدَّاعُوا بِهِ﴾ أفسوه نزل في
جماعة من المنافقين أو في ضعفاء المؤمنين كانوا
يفعلون ذلك فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى النبي
﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي الخبر ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي
الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أي ذوي الرأي من أكابر الصحابة ،
أي لو سكتوا عنه حتى يخبروا به ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هل هو
مما ينبغي أي يذاع أو لا ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾
يتبعونه ويطلبون علمه وهم المذيعون ﴿مِنْهُمْ﴾ من
الرسول وأولي الأمر ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾
بالإسلام ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ لكم بالقرآن ﴿لَاتَّبَعْتُمُ
الشَّيْطَانَ﴾ فيما يأمركم به من الفواحش ﴿إِلَّا
قَلِيلًا﴾ (١)

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرْصَ
الْمُؤْمِنِينَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسِّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ
أَشَدُّ بِأَسِّ وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤]

٨٤ ﴿فَقَاتِلْ﴾ يا محمد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا
تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فلا تهتم بتخلفهم عنك ،
المعنى: قاتل ولو وحدك فإنك موعود بالنصر
﴿وَحَرْصَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حثهم على القتال ورغبتهم فيه

(١) أسباب نزول الآية ٨٣: روى مسلم عن عمر بن
الخطاب قال: «لما اعتزل النبي ﷺ نساءه دخلت المسجد، فإذا
الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلق رسول الله نساءه،
فقتت على باب المسجد فنادت بأعلى صوتي لم يطلق
نساءه، فنزلت هذه الآية: «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ
الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ
لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» فكنت أنا استنبطت ذلك
الأمر».

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَيْكَ قَوْمٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءَهُمْ وَكُنْتُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوكُمْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَاقَتُلُوكُمْ فَلِإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوْلُ إِلَيْكُمْ السَّلَامُ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠]

٩٠ ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ يلجؤون ﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم كما عاهد النبي ﷺ هلال بن عويمر الأسلمي ﴿أَوْ﴾ الذين ﴿جَاءَهُمْ وَكُنْتُمْ حَصْرَتْ﴾ ضاقت ﴿صُدُورُهُمْ﴾ عن ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ مع قومهم ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ معكم أي ممسكين عن قتالكم فلا تعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل ، وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ تسليطهم عليكم ﴿لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن يقري قلوبهم ﴿فَلَقَاتِلُوكُمْ﴾ ولكنه لم يشأه فآلتي في قلوبهم الرعب ﴿فَلِإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوْلُ إِلَيْكُمْ السَّلَامُ﴾ الصلح أي انقادوا ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ طريقا بالأخذ والقتل^(١).

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا بِنَبِيٍّ قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَقَاتِلُوكُمْ وَبَلَّغُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَكَفَّوْا أَيْدِيَهُمْ فَحَدُّوهُمْ

٨٨ ولما رجع ناس من أحد اختلاف الناس فيهم فقال فريق نقتلهم وقال فريق لا فنزل ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ شأنكم صرتم ﴿فِي الْمُنَافِقِينَ﴾ ففتن ﴿فَرَقْتَيْنِ﴾ ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ ردهم ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ﴾ هـ ﴿اللَّهُ﴾ أي تعدوهم من جملة المهتدين ، والاستفهام في الموضوعين للإنكار ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ﴾ هـ ﴿اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ طريقا إلى الهدى^(١).

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَحَدُّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَايَةً وَلَا نَصِيرًا﴾

٨٩ ﴿وَدُّوا﴾ تمنوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ﴾ أنتم وهم ﴿سَوَاءً﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ توالونهم وإن أظهروا الإيمان ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هجرة صحيحة تحقق إيمانهم ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فَحَدُّوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَايَةً﴾ توالونه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ تنتصرون به على عدوكم

(١) أسباب نزول الآية ٨٨: روى الشيخان وغيرهما عن زيد بن ثابت: «أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين فرقة تقول نقتلهم، وفرقة تقول لا. فأنزل الله: «فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ». وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم عن سعد بن معاذ قال: «خطب رسول الله ﷺ الناس، فقال: من لي بمن يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني، فقال سعد بن معاذ: إن كان من الأوس قتلناه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا فأطعننا. فقام سعد بن عبادة فقال: ما بك يا ابن معاذ طاعة رسول الله ﷺ، ولكن عرفت ما هو منك. فقام أسيد بن حضير فقال: إنك يا ابن عبادة منافق تحب المنافقين».

فقام محمد بن مسلمة فقال: «اسكتوا يا أيها الناس فإن فينا رسول الله ﷺ وهو يأمرنا فننفذ أمره، فأنزل الله: «فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ﴾ الآية».

* وأخرج أحمد عن عبد الرحمن بن عوف: «وَأَنَّ قَوْمًا مِنَ الْعَرَبِ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فَاسْلَمُوا وَأَصَابَهُمْ وَبَاءُ الْمَدِينَةِ وَحُمَاهَا، فَأُرْكَسُوا فَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالُوا لَهُمْ: مَا لَكُمْ رَجَعْتُمْ؟ قَالُوا: أَصَابَنَا وَبَاءُ الْمَدِينَةِ فَقَالُوا: أَمَا لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوءَ حَسَنَةً؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَاقُوا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يَنَاقُوا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: «فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ﴾ الآية». في إسناده تدليس وانقطاع.

(١) أسباب نزول الآية ٩٠: أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن الحسن: «أن سراقا بن مالك المدلجي حدثهم قال: لما ظهر النبي ﷺ على أهل بدر وأحد وأسلم من حولهم قال سراقا: بلغني أنه يريد أن يعيث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج فأتيته فقلت: أنشدك النعمة، بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي وأنا أريد أن توادعهم، فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام، وإن لم يسلموا لم يحسن تغليب قومك عليهم. فأخذ رسول الله ﷺ بيد خالد، فقال: اذهب معه فافعل ما يريد».

فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله ﷺ وإن أسلمت قريش أسلموا معهم، وأنزل الله: «إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ» فكان من وصل إليهم كان معهم على عهدهم».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «نزلت: «إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ» في هلال بن عويمر الأسلمي وسراقا بن مالك المدلجي، وفي بني جذيمة بن عامر ابن عبد مناف».

* وأخرج أيضًا عن مجاهد «أنها نزلت في هلال بن عويمر الأسلمي، وكان بينه وبين المسلمين عهد، وقصده ناس من قومه فكره أن يقاتل المسلمين وكره أن يقاتل قومه».

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانًا مُّبِينًا [النساء: ٩١]

٩١ ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُواكُمْ
بإظهار الإيمان عنكم ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ بالكفر إذا
رجعوا إليهم وهم أسد وغطيان ﴿كُلُّ مَا زُدُوا إِلَى
الفتنة﴾ دعوا إلى الشرك ﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ وقعوا
أشد وقوع ﴿فَإِنْ لَمْ يَغْتَرِبُواكُمْ﴾ بترك قتالكم
﴿وَلَمْ يُبَلِّغُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ﴾ لم ﴿يَكْفُرُوا﴾
عنكم ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ ﴿فَخَذُوا مِنْهُمُ﴾ بالأسر واقتلواهم
حَيْثُ ﴿وَجَدْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا
لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ برهانا بينا ظاهرا على
قتلهم وسيبهم لغدرهم

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ
قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ
مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنَ
قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ
مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ
تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾
[النساء: ٩٢]

٩٢ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ أي ما
ينبغي أن يصدر منه قتل له ﴿إِلَّا خَطَاً﴾ مخطئا في
قتله من غير قصد ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً﴾ بأن
قصد رمي غيره كصيد أو شجرة فأصابه أو ضربه
بما لا يقتل غالبا ﴿فَتَحْرِيرُ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ نسمة
﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ عليه ﴿وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ﴾ مؤداة ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾
أي ورثة المقتول ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ يتصدقوا عليه
بها بأن يعفوا عنها ، وبينت السنة أنها مئة من الإبل
عشرون بنت مخاض وكذا بنات لبون وبنو لبون
وحقاق وجذاع وأنها على عاقلة القاتل وهم عصبته
في الأصل والفرع موزعة عليهم على ثلاث سنين
على الغني منهم نصف دينار والمتوسط ربع كل
سنة فإن لم يفوا فمن بيت المال فإن تعذر فعلى
الجاني ﴿فَإِنْ كَانَ﴾ المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾
حرب ﴿لَكُمْ﴾ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ عَلَى
قاتله كفارة ولا دية تسلم إلى أهله لحرابتهم ﴿وَإِنْ

كَانَ﴾ المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾
عهد كأهل الذمة ﴿فَدِيَةٌ﴾ له ﴿مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾
وهي ثلث دية المؤمن إن كان يهوديا أو نصرانيا
وثلثا عشرين إن كان مجوسيا ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مُؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الرقبة بأن
فقدتها وما يحصلها به ﴿فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾
عليه كفارة ، ولم يذكر الله تعالى الانتقال إلى
الطعام كالظهار وبه أخذ الشافعي في أصح قوله
﴿تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره
لهم (١)

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ
جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ
وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]

٩٣ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ بأن يقصد قتله
بما يقتل غالبا عالما بإيمانه ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا
فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ أبعد من رحمته
﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ في النار وهذا مؤول بمن
يستحلله أو بأن هذا جزاؤه إن جوزي ، ولا بدع
في خلف الرعيد لقوله ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ
يَشَاءُ﴾ وعلى ابن عباس أنها على ظاهرها وأنها
ناسخة لغيرها من آيات المغفرة وبينت آية البقرة أن
قاتل العمد يقتل به وأن عليه الدية إن عفي عنه
وسبق قدرها ، وبينت السنة أن بين العمد والمخطأ
قتلا يسمى شبه العمد وهو أن يقتله بما لا يقتل
غالبا فلا قصاص فيه بل دية كالعمد في الصفة
والمخطأ في التأجيل والحمل وهو والعمد أولى
بالكفارة من المخطأ (٢)

(١) أسباب نزول الآية ٩٢ : أخرج ابن جرير عن عكرمة
قال : «كان الحارث بن يزيد من بني عامر بن لؤي، يعذب
عياش بن أبي ربيعة، مع أبي جهل، ثم خرج الحارث مهاجرا
إلى النبي ﷺ فلقى عياش بالحرّة فعلاه بالسيف وهو يحسب
أنه كافر، ثم جاء النبي ﷺ فأخبره، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ
أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ الآية». وأخرج نحوه عن مجاهد
والشدي.

* وأخرج ابن إسحاق، وأبو يعلى، والحارث بن أبي أسامة،
وأبو مسلم الكجي، عن القاسم بن محمد نحوه. وأخرج ابن
أبي حاتم عن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه.

(٢) أسباب نزول الآية ٩٣ : أخرج ابن جرير عن طريق ابن
جرير عن عكرمة: «أن رجلا من الأنصار قتل أخا مقيس بن

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخُسْفَىٰ وَقَضَىٰ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

٩٥ ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن الجهاد ﴿غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾ بالرفع صفة والنصب استثناء من زمارة أو عمى ونحوه ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ لضرر ﴿دَرَجَةً﴾ فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وَكُلًّا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْخُسْفَىٰ﴾ الجنة ﴿عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ لغير ضرر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١).

المسلمين فيهم أبو قتادة، ومسلم بن جثامة، فمر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي، فسلم علينا فحمل عليه محلم فقتله، فلما قدمنا على النبي ﷺ وأخبرناه الخبر نزل فينا القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية.

* وأخرج ابن جرير من حديث ابن عمر نحوه. وأخرج الثعلبي من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: «أن إسم المقتول مرداس بن نيهك من أهل فدك، وأن اسم المقاتل أسامة بن زيد، وأن اسم أمير الشربة غالب بن فضالة البثي، وأن قوم مرداس لما انهزموا بقي هو وحده، وكان ألجأ غنمه بجبل، فلما لحقوه قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم، فقتله أسامة بن زيد، فلما رجعوا أنزلت الآية». * وأخرج ابن جرير من طريق الشدي نحوه. وأخرج عبد من طريق قتادة نحوه.

* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر قال: «أنزلت هذه الآية ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام﴾ في مرداس، وهو شاهد حسن».

* وأخرج ابن منده عن جزء بن الحدرجان قال: «وفد أحيى مقداد إلى النبي ﷺ من اليمن فلقبته سرية النبي ﷺ فقال لهم: أنا مؤمن فلم يقلوا منه وقتلوه، فبلغني ذلك فخرجت إلى رسول الله ﷺ فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ فأعطاني النبي ﷺ دية أحيى».

(١) أسباب نزول الآية ٩٥: روى البخاري عن البراء قال: «لما نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال النبي ﷺ: أدع فلاناً فجاء معه الدواة واللوح أو الكنف، فقال أكتب: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم، فقال يا رسول الله: أنا ضير، فنزلت مكانها ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾»

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَتَّبَعُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَانِدُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ كَفَرَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]

٩٤ ونزل لما مر نفر من الصحابة برجل من بني سليم وهو يسوق غنما فسلم عليهم فقالوا ما سلم علينا إلا تقي، فقتلوه واستاقوا غنمه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرت للجهاد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ وفي قراءة ﴿فتبينوا﴾ في الموضعين ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام﴾ بألف أو دونها أي التحية أو الانقياد بكلمة الشهادة التي هي أمانة على الإسلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وأنا قلت هذا تقية لنفسك ومالك فقتلوه ﴿تَبَيَّنُوا﴾ تطلبون لذلك ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ متاعها من الغنيمة ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَانِدُ كَثِيرَةٌ﴾ تمنعكم عن قتل مثله لماله ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ تعصم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة ﴿فَمَنْ كَفَرَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أن تقتلوا مؤمنا وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فعل بكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به (١).

صباة فأعطاه النبي ﷺ الدية قبلها ثم وثب على قاتل أخيه فقتله.

فقال النبي ﷺ: لا أؤمنه في جِلِّ ولا حرم. فقتل يوم الفتح. قال ابن جريج: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ الآية.

(١) أسباب نزول الآية ٩٤: روى البخاري، والترمذي، والحاكم، وغيرهم عن ابن عباس قال: «مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ وهو يسوق غنما له، فسلم عليهم فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعود منا، فعمدوا إليه فقتلوه وأتوا بغيمة النبي ﷺ، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ الآية».

* وأخرج البراز من وجه آخر عن ابن عباس قال: «بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقتله المقداد، فقال له النبي ﷺ: كيف لك بلا إله إلا الله غداً، وأنزل الله هذه الآية».

* وأخرج أحمد، والطبراني، وغيرهما عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي قال: «بعثنا رسول الله ﷺ في نفر من

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾

٩٨ ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ﴾ الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ طريقا إلى أرض الهجرة

﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩]

٩٩ ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا﴾

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

١٠٠ ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١)

* وأخرج ابن المنذر وابن جرير عن ابن عباس قال: «كان قوم من أهل مكة قد أسلموا، وكانوا يخفون الإسلام، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر، فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: هؤلاء كانوا مسلمين فأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الآية. فكتبوا بها إلى من بقي بمكة منهم، وأنه لا عذر لهم، فخرجوا فلحق بهم المشركون فقتلواهم فرجعوا، فنزلت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ، فَكُنْ بِإِلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ﴾ بذلك فتحزنوا، فنزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا﴾ الآية، فكتبوا إليهم بذلك، فخرجوا فلحقوهم، ففجأ من فجأ وقيل من قتل». وأخرج ابن جرير من طرق كثيرة نحوه.

(١) أسباب نزول الآية ١٠٠: أخرج ابن أبي حاتم، وأبو يعلى بسند جيد عن ابن عباس قال: «خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجرا فقال لأهله: احمولوني فأخرجوني من أرض المشركين إلى رسول الله ﷺ، فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ فنزل الوحي: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير «عن أبي ضمرة الزرقى، وكان بمكة، فلما نزلت: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ فقال: إني لغني،

﴿وَدَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

٩٦ ﴿وَدَرَجَاتٍ مِّنْهُ﴾ منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ منصوبان بفعلهما المقدر ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته ونزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]

٩٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿قَالُوا﴾ لهم موبخين ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي شيء كنتم في أمر دينكم ﴿قَالُوا﴾ معتذرين ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عاجزين عن إقامة الدين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿قَالُوا﴾ لهم توبيخا ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم قال الله تعالى ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هي (١).

= وروى البخاري وغيره من حديث زيد بن ثابت، والطبراني من حديث زيد بن أرقم. وابن حبان من حديث الفلتان بن عاصم نحوه. وروى الترمذي نحوه من حديث ابن عباس وفيه قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم: إنا أعميان. وقد سيق أحاديثهم في ترجمان القرآن. وعند ابن جرير من طرق كثيرة مرسله نحو ذلك.

(١) أسباب نزول الآية ٩٧: روى البخاري عن ابن عباس: «أن أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثر سواد المشركين على رسول الله ﷺ، فيأتي السهم يُرمى به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾».

* وأخرجه ابن مردويه، وسمى منهم في روايته قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبا قيس بن الفاكه بن المغيرة، والوليد بن عتبة بن ربيعة، وعمرو بن أمية بن سفيان، وعلي بن أمية بن خلف، وذكر في شأنهم أنهم خرجوا إلى بدر، فلما رأوا قلة المسلمين دخلهم شك، وقالوا: غر هؤلاء دينهم فقتلوا بيد.

* وأخرجه ابن أبي حاتم وزاد منهم: الحارث بن زعمة بن الأسود، والعاص بن منه بن الحجاج.

* وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: «كان قوم بمكة قد أسلموا فلما هاجر رسول الله ﷺ كرهوا أن يهاجروا وخافوا فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾. إلى قوله: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾».

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أنه رخصة لا واجب وعليه الشافعي ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ بين العداوة (١).

﴿وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مِمَّا كَفَرُوا وَلْيَأْخُذُوا بِسِلْحِهِمْ وَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ زُرِّيهِمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكُمْ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾

١٠٢ ﴿وَإِذَا كُنْتُمْ﴾ يا محمد حاضرًا ﴿بِهِمْ﴾ وأنتم تخافون العدو ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ وهذا جري على عادة القرآن في الخطاب ﴿فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مِمَّا كَفَرُوا﴾ وتتأخر طائفة ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ أي الطائفة التي قامت معك ﴿وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ أي صلوا ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ أي الطائفة الأخرى ﴿مِنْ زُرِّيهِمْ﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكُمْ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة ، وقد فعل النبي ﷺ كذلك بطن نخل رواه الشيخان ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قمت إلى الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَنْ تَضَعُوا﴾

(١) أسباب نزول الآية ١٠١: أخرج ابن جرير عن علي قال: سألت قوم من التجار رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله إننا نضرب في الأرض فكيف نصلي؟ فأمر الله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْضُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ ثم انقطع الوحي، فلما كان بعد ذلك بجول غزا النبي ﷺ فصلى الظهر، فقال المشركون: لقد أمتكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلاً شددتم عليهم؟ فقال قائل منهم: إن لهم أخرى مثلها في إثرها، فانزل الله بين الصلاتين: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾. فنزلت صلاة الحوف.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْضُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿[النساء: ١٠١]﴾

١٠١ ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتهم ﴿فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَنْ تَقْضُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ بأن تردوها من أربع إلى اثنتين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ﴾ أي ينالكم بمكروه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بيان للواقع ، وبينت السنة أن المراد بالسفر الطويل وهو أربعة برد وهي مرحلتان ويؤخذ من قوله

وإني لذو حيلة، فتجهز يريد النبي ﷺ فأدركه الموت بالتنعيم، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾.

* وأخرج ابن جرير نحو ذلك من طرق عن سعيد بن جبيرة وعكرمة وقتادة والشدي والضحاك وغيرهم، وسمى في بعضها ضمرة بن العيص أو العيص بن ضمرة، وفي بعضها جندب بن ضمرة الجندعي، وفي بعضها الضمري، وفي بعضها رجل من بني ضمرة، وفي بعضها رجل من بني خزاعة، وفي بعضها رجل من بني ليث، وفي بعضها من بني كنانة، وفي بعضها من بني بكر.

* وأخرج ابن سعد في الطبقات عن زيد بن عبد الله بن قسط: «أَنَّ جندب بن ضمرة الضمري كان بمكة، فمرض فقال لبيته: أخرجوني من مكة فقد قتلني غمها، فقالوا: إلى أين؟ فأوماً بيده نحو المدينة يريد الهجرة، فخرجوا به، فلما بلغوا أضاة بني غفار مات، فانزل الله فيه: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾ الآية».

* وأخرج ابن أبي حاتم وابن منده والبارودي في الصحابة عن هشام بن عروة عن أبيه: أن الزبير بن العوام قال: «هاجر خالد بن حرام إلى أرض الحبشة، فهشته حجة في الطريق فمات، فنزلت فيه: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾ الآية».

* وأخرج الأموي في مغازيه عن عبد الملك بن عمير قال: «لما بلغ أكنم بن صيفي مخرج النبي ﷺ أراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه قال: فلبأت من يبلغني عني ويبلغني عنه، فانتدب له رجلاً، فأتيا النبي ﷺ، فقالا: نحن رسل أكنم بن صيفي يسألك من أنت وما أنت وم جئت؟ قال: أنا محمد بن عبد الله، وأنا عبد الله ورسوله، ثم تلا عليهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية، فأتيا أكنم فقالا له ذلك. قال: أي قوم إنه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملامتها، فكونوا في هذا الأمر رؤساء، ولا تكونوا فيه أذناناً فركب بعيره متوجهاً إلى المدينة فمات في الطريق، فنزلت فيه: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾ الآية، مرسل إنساده ضعيف».

* وأخرج أبو حاتم في كتاب العمرين من طريقين عن ابن عباس: «أنه سئل عن هذه الآية، فقال: نزلت في أكنم بن صيفي، قيل فأين الليثي؟ قال: ذا قبل الليثي بزمان وهي خاصة عامة».

شيء **﴿حَكِيمًا﴾** في صنعه

**﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ
بِمَا أَرَادَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾**

١٠٥ وسرق طعمة بن أبيرق درعاً وخبأها عند يهودي فوجدت عنده فرماه طعمة بها وحلف أنه ما سرقها فسأل قومه النبي **﴿ﷺ﴾** أن يجادل عنه ويبرئه فنزل **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾** القرآن **﴿بِالْحَقِّ﴾** متعلقاً بانزول **﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَادَ﴾** أعلمك **﴿اللَّهُ﴾** فيه **﴿وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ﴾** كطعمة **﴿خَصِيمًا﴾** مخاصماً عنهم **﴿١﴾**.

(١) أسباب نزول الآية ١٠٥: روى الترمذي، والحاكم، وغيرهما عن قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت مئياً يقال لهم بنو أبيرق بشر وبشير ومبشر، وكان بشير رجلاً منافقاً، يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله **﴿ﷺ﴾** ثم يتخله بعض العرب، يقول: قال فلان كذا..... وكانوا أهل بيت حاجة وفاقه في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعاهم بالمدينة الشعر والشعير، فابتاع عمي رفاعه بن زيد جملًا من الدرملك، فجعله في مشربة له فيها سلاح «درع وسيف» فغدي عليه من تحت ثقتب المشربة وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعه فقال: يا ابن أخي إنه قد غدي علينا في ليلتنا هذه فثقت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا. فنجسنا في الدار وسألنا فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم، فقال بنو أبيرق ونحن نسأل في الدار: والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل، رجل منا له صلاح وإسلام، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة، قالوا: إليك عتاً أيها الرجل فما أنت بصاحبها. فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها، فقال لي عمي: يا ابن أخي لو أتيت رسول الله **﴿ﷺ﴾** فذكرت ذلك له. فأتيته فقلت: أهل بيت مئياً أهل جفاء عمدوا إلى عمي، فقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينا سلاحنا، وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال رسول الله **﴿ﷺ﴾**: هأنظر في ذلك. فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة، فكلّموه في ذلك فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار، فقالوا: يا رسول الله: إن قتادة بن النعمان وعمّه عمدا إلى أهل بيت مئياً أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بيّنة ولا ثبت. قال قتادة: فأتيت رسول الله **﴿ﷺ﴾** فقال: عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بيّنة؟ فرجعت... فأخبرت عمي فقال: الله المستعان، فلم يلبث أن نزل القرآن: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَادَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾** بني أبيرق «واستغفر الله» أي مما قلت لقتادة إلي قوله: «عظيمًا».

فلما نزل القرآن أتني رسول الله **﴿ﷺ﴾** بالسلاح فردّه إلى

أُسْلِحْتَكُمْ **﴿﴾** فلا تحملوها وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر وهو أحد قولين للشافعي والثاني أنه سنة ورجح **﴿وَأُخَذُوا جُنُودًا﴾** من العدو أي احتزروا منه ما استطعتم **﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾** ذا إهانة **﴿١﴾**.

**﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا وَقُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ
الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾**

١٠٣ **﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾** فرغتم منها **﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾** بالتهليل والتسبيح **﴿فِيهَا وَقُودًا﴾** وعلى جنوبكم **﴿مُضْطَجِعِينَ﴾** أي في كل حال **﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾** أنتم **﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾** أدوها بحقوقها **﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا﴾** مكتوباً أي مفروضاً **﴿مَوْقُوتًا﴾** أي مقدراً وقتها فلا تؤخر عنه

ونزل لما بعث **﴿ﷺ﴾** طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات

**﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ
فَأِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَرَجُونَ مِنْ اللَّهِ
مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾**

١٠٤ **﴿وَلَا تَهِنُوا﴾** تضعفوا **﴿فِي ابْتِغَاءِ﴾** طلب **﴿الْقَوْمِ﴾** الكفار لتقاتلهم **﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾** تجدون ألم الجراح **﴿فَأِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾** أي مثلكم ولا يجبنون على قتالكم **﴿وَتَرْجُونَ﴾** أنتم **﴿مِنْ اللَّهِ﴾** من النصر والثواب عليه **﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾** هم فأنتم تزيدون عليهم بذلك فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾** بكل

(١) أسباب نزول الآية ١٠٢: وأخرج أحمد والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن أبي عياش الزرقعي قال: كنا مع رسول الله بعسفان، فاستقبلنا المشركون وعليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلى بنا النبي **﴿ﷺ﴾** الظهر فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر **﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾** الحديث. وروى الترمذي نحوه عن أبي هريرة. وابن جرير نحوه عن جابر بن عبد الله، وابن عباس. **﴿أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ نَزَلَتْ: «إِنْ كَانَ بَيْنَكُمْ أَدَىٰ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كَثُتُمْ مَرَضًا» فِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ حِينَمَا كَانَ جَرِيحًا.**

وذويه وقرئ ﴿عنه﴾ ﴿في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾ إذا عذبهم ﴿أم من يكون عليهم وكيلا﴾ يتولى أمرهم ويذب عنهم أي لا أحد يفعل ذلك

﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾

١١٠ ﴿ومن يعمل سوءاً﴾ ذنباً يسوء به غيره كرمي طعمة اليهودي ﴿أو يظلم نفسه﴾ يعمل ذنباً قاصراً عليه ﴿ثم يستغفر الله﴾ منه أي يتب ﴿يجد الله غفوراً﴾ له ﴿رحيماً﴾ به

﴿ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً﴾ [النساء: ١١١]

١١١ ﴿ومن يكسب إثماً﴾ ذنباً ﴿فإنما يكسبه على نفسه﴾ لأن وبالها عليها ولا يضر غيره ﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾ في صنعه

﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتانا وإثماً مبيناً﴾

[النساء: ١١٢]

١١٢ ﴿ومن يكسب خطيئة﴾ ذنباً صغيراً ﴿أو إثماً﴾ ذنباً كبيراً ﴿ثم يرم به بريئاً﴾ منه ﴿فقد احتمل﴾ تحمل ﴿بهتانا﴾ برمي به ﴿وإثماً مبيناً﴾ بينا يكسبه

﴿ولو لا فضل الله عليكم ورحمته لمت طائفة منهم أن يضلوا وما يضلوا إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ [النساء: ١١٣]

١١٣ ﴿ولو لا فضل الله عليكم﴾ يا محمد ﴿ورحمته﴾ بالعصمة ﴿لهمت﴾ أضمرت ﴿طائفة منهم﴾ من قوم طعمة ﴿أن يضلوا﴾ عن القضاء بالحق بتلبسهم عليك ﴿وما يضرونك من شيء﴾ لأن وبال إضلالهم عليهم ﴿وأنزل الله عليك الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ من الأحكام والغيب ﴿وكان فضل الله عليك﴾ بذلك وغيره ﴿عظيماً﴾

﴿واستغفر الله﴾ استغفر الله ﴿كان غفوراً رحيماً﴾ ١٠٦ ﴿واستغفر الله﴾ مما هممت به ﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾

﴿ولا تجادل عن الذين يختلون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً﴾

١٠٧ ﴿ولا تجادل عن الذين يختلون أنفسهم﴾ يخونونها بالمعاصي لأن وبال خيانتهم عليهم ﴿إن الله لا يحب من كان خواناً﴾ كثير الخيانة ﴿أثيماً﴾ أي يعاقبه

﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله يما يملكون محيطاً﴾ [النساء: ١٠٨]

١٠٨ ﴿يستخفون﴾ أي طعمة وقومه حياءً ﴿من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم﴾ بعلمه ﴿إذ يبيتون﴾ يضمرون ﴿وما لا يرضى من القول﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وكان الله بما يعملون محيطاً﴾ علماً

﴿هاتئذ هوؤلاء جدلتهم عنهم في الحيوۃ الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً﴾ [النساء: ١٠٩]

١٠٩ ﴿ها أنتم﴾ يا هؤلاء ﴿خطاب لقوم طعمة جادلتم﴾ خاصتمم ﴿عندهم﴾ أي عن طعمة

رفاعة، ولحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد، فأنزله الله: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى﴾ إلى قوله: ﴿ضلالاً بعيداً﴾ قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

* وأخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن محمود بن لبيد قال: عدا بشير بن الحارث على علي بن رفاعة بن زيد عم قتادة بن اليعمان فنبهها من ظهرها وأخذ طعماً له ودرعين بأداتهما، فأتى قتادة النبي ﷺ فأخبره بذلك، فدعا بشيراً فسأله فأنكر، ورمى بذلك لبيد بن سهل - رجلاً من أهل الدار ذا حسيب ونسب - فنزل القرآن يتكذّب بشير وبراعة لبيد: ﴿إننا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس﴾ الآيات.

فلما نزل القرآن في بشير وعثر عليه هرب إلى مكة مرتداً، فنزل على سلافة بنت سعد، فجعل يقع في النبي ﷺ وفي المسلمين، فنزل فيه: ﴿ومن يشاقق الرسول الآية﴾، وهجاه جسان بن ثابت حتى رجع، وكان ذلك في شهر ربيع سنة أربع من الهجرة.

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ ١١٨ ﴿أبعده عن رحمته﴾ ﴿وقال﴾
 أي الشيطان ﴿لأَتَّخِذَنَّ﴾ لأجعلن لي ﴿من عبادك﴾
 نصيبا ﴿مَفْرُوضًا﴾ مقطوعا أَدْعُوهم إلى طاعتي
 ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ ﴿وَلَأَمْنِيَنَّهُمْ﴾ ﴿وَلَأَمْرُنَهُمْ﴾ ﴿فَلْيَبْتِكُنَّ﴾ عَادَاتِ
 الْأَنْعَامِ ﴿وَلَأَمْرُنَهُمْ﴾ ﴿فَلْيُعْزِرُنَّ﴾ خَلْقَ اللَّهِ ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ﴾
 الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ
 خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ ١١٩ ﴿عن الحق بالوسوسة﴾
 ﴿وَلَأَمْنِيَنَّهُمْ﴾ ألقى في قلوبهم طول الحياة أن لا
 بعث ولا حساب ﴿وَلَأَمْرُنَهُمْ﴾ ﴿فَلْيَبْتِكُنَّ﴾ يقطعن
 ﴿إِذْ أُنْعِمَ﴾ وقد فعل ذلك بالبحائر ﴿وَلَأَمْرُنَهُمْ﴾
 فليُعْزِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴿دينه بالكفر وإحلال ما حرم الله﴾
 وتحريم ما أحل ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ يتولاه
 ويطيعه ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿فَقَدْ خَسِرَ﴾
 خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿بيناً لمصيره إلى النار المؤبدة عليه .﴾

﴿يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيَنَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾
 ﴿النساء: ١٢٠﴾

﴿يَعِدُّهُمْ﴾ ١٢٠ ﴿طول العمر﴾ ﴿وَيَمْنِيَنَّهُمْ﴾ نيل
 الآمال في الدنيا وأن لا بعث ولا جزاء ﴿ومأ﴾
 يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ ﴿بذلك﴾ ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلا
 ﴿أُولَئِكَ مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾
 ١٢١ ﴿أُولَئِكَ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا﴾
 مَحِيصًا ﴿معدلا﴾

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ﴾
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
 وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿
 ﴿النساء: ١٢٢﴾

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ١٢٢
 سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا ﴿أي وعدهم الله ذلك﴾
 وحقه حقا ﴿ومَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ﴾ قِيلًا ﴿
 قِيلًا﴾ أي قولاً .

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ﴾
 سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا
 نَصِيرًا ﴿النساء: ١٢٣﴾

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ﴾
 بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ
 يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا
 عَظِيمًا ﴿النساء: ١١٤﴾

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ ١١٤
 الناس أي ما يتناجون فيه ويتحدثون ﴿إِلَّا﴾ نجوى
 ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ عمل بر ﴿أو إصلاح﴾
 بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴿المذكور﴾ ابْتِغَاءَ ﴿
 طلب﴾ مَرْضَاتِ اللَّهِ لا غيره من أمور الدنيا
 ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ بالنون والياء أي الله ﴿أَجْرًا﴾
 عَظِيمًا ﴿

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾
 وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ
 جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿النساء: ١١٥﴾

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿الرَّسُولَ﴾ فيما
 جاء به من الحق ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾
 ظهر له الحق بالمعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ طريقا ﴿غَيْرَ﴾
 سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿أي طريقهم الذي هم عليه من﴾
 الدين بأن يكفر ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ نجعله واليا لما
 تولاه من الضلال بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا
 ﴿وَنُصَلِّهِ﴾ ندخله في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾ فيحترق
 فيها ﴿وسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ مرجعا هي

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾
 لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا﴾
 دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ
 ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿عن الحق﴾

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَنَا وَإِنْ يَدْعُونَ﴾
 إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿النساء: ١١٧﴾

﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبد المشركون
 ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي الله ، أي غيره ﴿إِلَّا إِنْتَنَا﴾ أصناما
 مؤنثة كاللات والعزى ومناة ﴿وإن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾
 يعبدون عبادتها ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ خارجا عن
 الطاعة لطاعتهم له فيها وهو إبليس

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا﴾
 مَفْرُوضًا ﴿النساء: ١١٨﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ
يَكُلُّ شَيْءًا مَّحِطًا﴾ [النساء: ١٢٦]

١٢٦ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا مَّحِطًا﴾
علماً وقدرة أي لم يزل متصفاً بذلك

﴿وَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا
يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّةِ النِّسَاءِ الَّتِي لَا
تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ
الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ
بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾
[النساء: ١٢٧]

١٢٧ ﴿وَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى
﴿فِي﴾ شأن ﴿النِّسَاءِ﴾ وميراثهن ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿اللَّهُ
يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن
من آية الميراث ويفتيكم أيضاً ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ
اللاتي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ﴾ فرض ﴿لَهُنَّ﴾ من
الميراث ﴿وَتَرْغَبُونَ﴾ أيها الأولياء عن ﴿أَنْ
تَنْكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن وتعزلوهن أن يتزوجن طمعاً
في ميراثهن أي يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿و﴾ في
﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الصغار ﴿مِنَ الْوَالِدَانِ﴾ أن
تعطوهم حقوقهم ويأمركم ﴿و﴾ يأمركم ﴿أَنْ
تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل في الميراث والمهر
﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾
فيجازيكم به (١).

﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ
وَأُخْرِجَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ
اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]

(١) أسباب نزول الآية ١٢٧: روى البخاري عن عائشة في
هذه الآية قالت: هو الرجل تكون عنده اليتيمة، هو وليها
ووارثها، قد شركته في مالها حتى في القديق فيرغب أن
ينكحها ويكره أن يزوجه رجلاً، فيشركه في مالها فيعضلها،
فنزلت.

• وأخرج ابن أبي حاتم عن الشدي: كان لجابر بنت عم
دميمة ولها مال ورثته عن أبيها، وكان جابر يرغب عن
نكاحها ولا ينكحها خشية أن يذهب الزوج بمالها، فسأل النبي
ﷺ عن ذلك فنزلت.

١٢٣ ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب
﴿لَيْسَ﴾ الأمر منوطاً ﴿بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ
الْكِتَابِ﴾ بل بالعمل الصالح ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ
بِهِ﴾ إما في الآخرة أو الدنيا بالبلاء والمحن كما
ورد في الحديث ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي
غيره ﴿وَلِيًّا﴾ يحفظه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يمنعه منه (١).

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ
شَيْئًا﴾ [النساء: ١٢٤]

١٢٤ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ﴾ شيئاً ﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ
ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ﴾ بالبناء
للمفعول والفاعل ﴿الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ تَقِيرًا﴾ قدر
نقرة النواة

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ
مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ
خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]

١٢٥ ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ
أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي انقاد واخلى عمله ﴿لِلَّهِ وَهُوَ
مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموافقة لملة
الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ حال أي مائلاً عن الأديان كلها
إلى الدين القيم ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ صفياً
خالص المحبة له

(١) أسباب نزول الآية ١٢٣: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن
عباس قال: قالت اليهود والنصارى: لا يدخل الجنة غيرنا،
وقالت قريش: إنا لا نبعث، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا
أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾.

• وأخرج ابن جرير عن مسروق قال: تفاخر النصارى
وأهل الإسلام فقال هؤلاء: نحن أفضل منكم، وقال هؤلاء:
نحن أفضل منكم، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ
الْكِتَابِ﴾.

• وأخرج أيضاً نحوه عن قتادة والضحاك والشدي وأبي
صالح، ولفظهم: تفاخر أهل الأديان، وفي لفظ: جلس ناس
من اليهود وناس من النصارى
وناس من المسلمين فقال هؤلاء: نحن أفضل، وقال هؤلاء:
نحن أفضل فنزلت.

• وأخرج أيضاً عن مسروق قال: لما نزلت: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء،
فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

١٢٩ ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾ تسووا ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ في المحبة ﴿وَلَوْ حَرَضْتُمْ﴾ على ذلك ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ إلى التي تحبونها في القسم والنفقة ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ أي تركوا الممال عنها ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي لا هي أيم ولا هي ذات بعل ﴿وَإِنْ تَصِلِحُوا﴾ بالعدل بالقسم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما في قلبكم من الميل ﴿رَحِيمًا﴾ بكم في ذلك

﴿وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كَلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]

١٣٠ ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ أي الزوجان بالطلاق ﴿يَغْنِ اللَّهُ كَلًّا﴾ عن صاحبه ﴿مِّن سَعَتِهِ﴾ أي فضله بأن يرزقها زوجها غيره ويرزقه غيرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ لخلقه في الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبر لهم

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١]

١٣١ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ يا أهل القرآن ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿وَ﴾ قلنا لهم ولكم ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ بما وصيتم به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقا وملكا وعبيدا فلا يضره كفركم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿حَمِيدًا﴾ في صنعه بهم

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٣٢]

١٣٢ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كرره تأكيدا لتقرير موجب التقوى ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ شهيدا بأن ما فيها له

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣]

١٣٣ ﴿وَإِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ

١٢٨ ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿خَافَتْ﴾ توقعت ﴿مِنْ بَغْلِهَا﴾ زوجها ﴿تُشُورًا﴾ ترفعا عنها بترك مضاجعتها والتقصير في نفقتها لبغضها وطموح عينه إلى أجمل منها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ عنها بوجهه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد وفي قراءة ﴿يُصْلِحَا﴾ من أصلح ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ في القسم والنفقة بأن ترك له شيئا طلبا لبقاء الصحبة فإن رضيت بذلك وإلا فعلى الزوج أن يوفيهما حقها أو يفارقها ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة والنشوز والإعراض قال تعالى في بيان ما جبل عليه الإنسان ﴿وَأُخْضِرْتُ الْأَنْفُسَ الشُّجَّ﴾ شدة البخل أي جبلت عليه فكانها حاضرت لا تغيب عنه ، المعنى أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبتها من زوجها والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها ﴿وَإِنْ تُخْسِنُوا﴾ عشرة النساء ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور عليهن ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَضْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩]

(١) أسباب نزول الآية ١٢٨: روى أبو داود والحاكم عن عائشة قالت: فرقت سودة أن يفارقها رسول الله ﷺ حين أتت فقالت: يومي لعائشة، فأنزل الله: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَغْلِهَا يُشُورًا﴾ الآية.

* وروى الترمذي مثله عن ابن عباس.

* وأخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب أن ابنة محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن خديج فكره منها أمرا إما كبيرا أو غيره، فأراد طلاقها، فقالت: لا تطلقني واقسم لي ما بدا لك، فأنزل الله: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ﴾ الآية.

* وله شاهد موصول، أخرجه الحاكم من طريق ابن المسيب عن رافع بن خديج.

أخرج الحاكم عن عائشة قالت: نزلت هذه الآية: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ في رجل كانت تحته امرأة قد ولدت له أولادا، فأراد أن يستبدل بها، فراضته على أن تقرّ عنده ولا يقسم لها.

* وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: جاءت امرأة حين نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَغْلِهَا يُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ قالت: إني أريد أن تقسم لي من نفقتك، وقد كانت رضيت أن يدعها فلا يطلقها ولا يأتيها، فأنزل الله: ﴿وَأُخْضِرْتُ الْأَنْفُسَ الشُّجَّ﴾ الآية.

أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴿١٣٤﴾ عَلَى الرَّسْلِ بِمَعْنَى الْكُتُبِ ، وَفِي قِرَاءَةِ الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ فِي الْفَعْلَيْنِ ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عَنِ الْحَقِّ

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ يَكُنَ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٣٧]

١٣٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِمُوسَى وَهُمْ الْيَهُودُ ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بِعِبَادَتِهِمُ الْعَجَلِ ﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ بَعْدَهُ ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بِعِيسَى ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بِمُحَمَّدٍ ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ﴾ مَا أَقَامُوا عَلَيْهِ ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ طَرِيقًا إِلَى الْحَقِّ

﴿بَشِيرِ الْمُتَّقِينَ يَا نَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨]

١٣٨ ﴿بَشُرُ﴾ أَحْبَبَ يَا مُحَمَّدُ ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ بَأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿مَوْلَا هُوَ عَذَابُ النَّارِ﴾
﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
﴿أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]

١٣٩ ﴿الَّذِينَ﴾ بَدَلَ أَوْ نَعَتِ الْمُنَافِقِينَ
﴿يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لِمَا يَتَوَهَّمُونَ فِيهِمْ مِنَ الْقُوَّةِ ﴿أَيَبْتَغُونَ﴾ يَطْلُبُونَ
﴿عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ ، أَيْ لَا يَجِدُونَ عِنْدَهُمْ
﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَا يَبَالِهَا إِلَّا أَوْلِيَائِهِ

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ أَنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]

١٤٠ ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ
﴿عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ الْقُرْآنُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ ﴿أَنَّ﴾ مَخْفِضَةٌ وَاسْمُهَا مَحْذُوفٌ أَيْ أَنَّهُ ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِأُ بِهَا﴾ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ
﴿أَي الْكَافِرِينَ وَالْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ حَتَّى يَخْرُجُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا
﴿قَعَدْتُمْ مَعَهُمْ﴾ مَثَلْتُمْ فِي الْإِثْمِ ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ

بِآخِرِينَ﴾ بِدَلِكُمْ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]

١٣٤ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بِعَمَلِهِ ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لِمَنْ أَرَادَهُ لَا عِنْدَ غَيْرِهِ فَلَمْ يَطْلُبْ أَحَدَكُمْ الْأَخْسَ وَهَلَا طَلَبَ الْأَعْلَى بِإِحْلَاصٍ لَهُ حَيْثُ كَانَ مُطْلَبُهُ لَا يَجُودُ إِلَّا عِنْدَهُ
﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوفًا قَوْمًا بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]

١٣٥ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوفًا قَوْمًا﴾ قَائِمِينَ
﴿بِالْقِسْطِ﴾ بِالْعَدْلِ ﴿شُهَدَاءَ﴾ بِالْحَقِّ ﴿لِلَّهِ وَلَوْ﴾ كَانَتْ الشَّهَادَةُ ﴿عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ فَاشْهَدُوا عَلَيْهَا بِأَنْ تَقْرُوا بِالْحَقِّ وَلَا تَكْتُمُوهُ ﴿أَوْ﴾ عَلَى
﴿الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ إِنْ يَكُنْ الْمَشْهُودُ عَلَيْهِ ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴿مَنْكُمْ وَأَعْلَمُ بِمَصَالِحِهِمَا﴾
﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ فِي شَهَادَتِكُمْ بِأَنْ تَحَابُوا الْغَنِي لِرِضَاهُ أَوْ الْفَقِيرَ رَحْمَةً لَهُ ﴿أَنْ﴾ لَا ﴿تَعْدِلُوا﴾ تَمِيلُوا عَنِ الْحَقِّ ﴿وَإِنْ تَلَوُّوا﴾ تَحَرَّفُوا الشَّهَادَةَ ، وَفِي قِرَاءَةِ ﴿تَلَوُّوا﴾ بِحَذْفِ الْوَاوِ الْأُولَى تَخْفِيفًا ﴿أَوْ تَعْرَضُوا﴾ عَنِ أَدَائِهَا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فَيَجَازِيكُمْ بِهِ (١) .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِآلِهِ وَرُسُلِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]

١٣٦ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِآلِهِ وَرُسُلِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ الْقُرْآنُ ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي

(١) أسباب نزول الآية ١٣٥: أخرج ابن أبي حاتم عن الشدي قال: لما نزلت هذه الآية في النبي ﷺ اختصم إليه رجلان غني وفقير، وكان ﷺ مع الفقير يرى أن الفقير لا يظلم الغني فأبى الله إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكٰفِرِينَ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ اَتُرِيدُونَ اَنْ تَجْعَلُوْا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا مُّبِيْنًا﴾ [النساء: ١٤٤]

١٤٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ بِمَوَالِنِهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ برهاناً بيناً على نفاقكم

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيْرًا﴾ [النساء: ١٤٥]

١٤٥ ﴿إِنَّ الْمُتَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْمَكَانِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وهو قعرها ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيْرًا﴾ مانعا من العذاب

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللّٰهِ وَأَخْلَصُوا دِيْنََهُمْ لِلّٰهِ فَأُوْلٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ اَجْرًا عَظِيْمًا﴾ [النساء: ١٤٦]

١٤٦ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من النفاق ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿وَاعْتَصَمُوا﴾ وثقوا ﴿بِاللَّهِ﴾ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴿مِنَ الرِّبَا﴾ ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما يؤتونه ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الآخرة وهو الجنة

﴿مَا يَفْعَلُ اللّٰهُ بِعٰدِيْكُمْ اِنْ شَكَرْتُمْ وَاِمْاَنْتُمْ وَاِنْ كٰنَ اللّٰهُ شٰكِرًا عَلِيْمًا﴾

١٤٧ ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمه ﴿وَأَمَنْتُمْ﴾ به والاستفهام بمعنى النفي أي لا يعذبكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ لأعمال المؤمنين بالإجابة ﴿عَلِيمًا﴾ بخلقه

﴿لَا يُحِبُّ اللّٰهُ الْجَهْرَ بِالسُّوْرِ مِنَ الْقَوْلِ اِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ وَكَانَ اللّٰهُ سَمِيْعًا عَلِيْمًا﴾ [النساء: ١٤٨]

١٤٨ ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّورِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ من أحد أي يعاقبه عليه ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ فلا يؤاخذ بالجهر به بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيْعًا﴾ لما يقال ﴿عَلِيْمًا﴾ بما يفعل (١)

(١) أسباب نزول الآية ١٤٨: أخرج هناد بن السري في كتاب الزهد عن مجاهد قال: أنزلت: «لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ

الْمُتَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيْعًا﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء

﴿الَّذِينَ يَرَبُّوْنَ بَنِيَكُمْ فَاِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللّٰهِ قَالُوْا اَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَاِنْ كَانَ لِلْكَافِرِيْنَ نَصِيْبٌ قَالُوْا اَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ فَاللّٰهُ يَخْذِكُمْ بِنِعْمَتِهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللّٰهُ لِلْكَافِرِيْنَ عَلٰى الْمُؤْمِنِيْنَ سَبِيْلًا﴾ [النساء: ١٤١]

١٤١ ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من الذين قبله ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾ الدوائر ﴿وَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ ظفر وغنيمة ﴿مِّنَ اللَّهِ قَالُوا﴾ لكم ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الدين والجهاد فأعطونا من الغنيمة ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر عليكم ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾ نستول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم ﴿وَالَمْ نَمْنَعْكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أن يظفروا بكم بتخديلمهم ومراسلتكم بأخبارهم فلنا عليكم المنة ، قال تعالى ﴿فَاللَّهُ يَخْذِكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ طريقا بالاستتصال

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخْدَعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]

١٤٢ ﴿إِنَّ الْمُتَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ باظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر فيدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ مجازيهم على خداعهم فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُوا كَسَالَى﴾ متشاقلين ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ بصلاتهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ يصلون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء

﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾

١٤٣ ﴿مُذَبِّدِينَ﴾ مترددين ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿لَا﴾ منسوبين ﴿إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي الكفار ﴿وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي المؤمنين ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ﴾ هـ ﴿اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ طريقا إلى الهدى

اليهود ﴿أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ جملة كما أنزل على موسى تعنتا فإن استكبرت ذلك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ أي أبأؤهم ﴿مُوسَىٰ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِنَ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهُ جَهْرَةً﴾ عيانا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الموت عقابا لهم ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ حيث تعنتوا في السؤال ﴿ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إليها ﴿مِنَ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ المعجزات على وحدانية الله ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ ولم نستأصلهم ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ تسلطنا بينا ظاهرا عليهم حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه (١).

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤]

١٥٤ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ الجبل ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فقبلوه ﴿وقُلْنَا لَهُمْ﴾ وهو مظل عليهم ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجدوا انحناء ﴿وقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا﴾ وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال ﴿تَعْدُوا﴾ أي لا تتعدوا ﴿فِي السَّبْتِ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿وأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك فنقضوه

﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[النساء: ١٥٥]

١٥٥ ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ﴾ ما زائدة والباء للسببية متعلقة بمحذوف ، أي لعناهم بسبب نقضهم ﴿مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا وَقَوْلِهِمْ﴾ للنبي ﷺ ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لا تعي كلامك ﴿بَلْ طَبَعُ﴾ حتم ﴿اللَّهُ عَلَيْهِمُ بِكُفْرِهِمْ﴾

(١) أسباب نزول الآية ١٥٣: أخرج ابن جرير عن محمد ابن كعب القرظي قال: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إن موسى جاءنا بالألواح من عند الله، فأنتنا بالألواح من عند الله حتى نصدقك، فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾. إلى قوله: ﴿بُيُتْنَا عَظِيمًا﴾ (فجنا رجل من اليهود، فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئا، فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية).

﴿إِنْ يُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]

١٤٩ ﴿إِنْ يُبْدُوا﴾ تظهروا ﴿خَيْرًا﴾ من أعمال البر ﴿أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ تعملوه سرا ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِهِ﴾ ظلم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥٠]

١٥٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ بأن يؤمنوا به دونهم ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ من الرسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ منهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿سَبِيلًا﴾ طريقا يذهبون إليه

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥١]

١٥١ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة وهو عذاب النار

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٢]

١٥٢ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ كلهم ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ بالياء والنون ﴿أَجْرَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَوَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا﴾ لا ولياته ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٥٣]

١٥٣ ﴿يَسْأَلُكَ﴾ يا محمد ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾

بالشئ من القول إلا من ظلم في رجل أضاف رجلا بالمدنية، فأساء قراه، فتحول عنه فجعل يشي عليه بما أولاه، فرخص له أن يشي عليه بما أولاه.

موت عيسى لما ينزل قرب الساعة كما ورد في حديث ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيْهِمْ سَهِيذًا﴾ بما فعلوه لما بعث إليهم

﴿فِيظَلِرَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَهُمْ وَبِصَدِهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠]

١٦٠ ﴿فِيظَلِم﴾ أي فبسبب ظلم ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَهُمْ﴾ هي التي في قوله تعالى: ﴿حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرِ﴾ الآية ﴿وَبِصَدِهِم﴾ الناس ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه صدا ﴿كَثِيرًا﴾

﴿وَأَخَذِهِمُ الرُّبَا وَقَدْ نُهِوا عَنْهُ وَأُكِّلِهِم مَّا آتَاهُمْ وَبِصَدِهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٦١]

١٦١ ﴿وَأَخَذِهِمُ الرُّبَا وَقَدْ نُهِوا عَنْهُ﴾ في التوراة ﴿وَأُكِّلِهِم مَّا آتَاهُمْ﴾ بالباطل ﴿بِالرُّشَا فِي الْحُكْمِ﴾ و﴿أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنَ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

[النساء: ١٦٢]

١٦٢ ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ﴾ الثابتون ﴿فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبد الله بن سلام ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ المهاجرون والأنصار ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من الكتب ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ نصب على المدح وقرئ بالرفع ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم بالنون والياء ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة .

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]

١٦٣ ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ وكما ﴿أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ ابن إسحاق

فلا تعي وعظا ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه

﴿وَبِكْفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦]

١٥٦ ﴿وَبِكْفَرِهِمْ﴾ ثانيا بعيسى وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه ﴿وقولهم على مريم بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ حيث رموها بالزنا

﴿وقولهم إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾

[النساء: ١٥٧]

١٥٧ ﴿وقولهم﴾ مفتخرين ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ في زعمهم ، أي بمجموع ذلك عذبناهم قال تعالى تكذبا لهم في قتله ﴿ومما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ المقتول والمصلوب وهو صاحبهم بعيسى ، أي ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه ﴿وإن الذين اختلفوا فيه﴾ أي في عيسى ﴿لفي شك منه﴾ من قتله حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به وقال آخرون بل هو هو ﴿وما لهم به﴾ بقتله ﴿ومن علم إلا اتباع الظن﴾ استثناء منقطع ، أي لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿ومما قتلوه يقينا﴾ حال مؤكدة لنفي القتل

﴿بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

[النساء: ١٥٨]

١٥٨ ﴿بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ سَهِيذًا﴾

[النساء: ١٥٩]

١٥٩ ﴿وإن﴾ ما ﴿مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أحد ﴿إلا ليؤمننَّ به﴾ بعيسى ﴿قبل موته﴾ أي الكتابي حين يعاين ملائكة الموت فلا ينفعه إيمانه أو قبل

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا
ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧]

١٦٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿وَصَدُّوا﴾
الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام بكتهم نعت
محمد ﷺ وهم اليهود ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾
عن الحق

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ
وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ [النساء: ١٦٨]

١٦٨ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿وَوَظَلَمُوا﴾ نبيه
بكتمان نعتهم ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
طَرِيقًا﴾ من الطرق

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٩]

١٦٩ ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ أي الطريق المؤدي
إليها ﴿خَالِدِينَ﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيهَا﴾ إذا
دخلوها ﴿أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هنيئاً

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ
فَقَامُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧٠]

١٧٠ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿قَدْ
جَاءَهُمُ الرُّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾
﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ به واقصدوا ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ مما أنتم
فيه ﴿وَإِنْ تَكَفَرُوا﴾ به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبدا فلا يضره كفركم
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في صنعه
بهم

﴿يَأْتِيهِمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي
كَانُوا يُخْفَوْنَ﴾ [النساء: ١٧١]

﴿وَالْأَشْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ
وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا﴾ أباه ﴿دَاوُدَ زَبُورًا﴾
بافتح اسم للكتاب المؤتى ، وبالضم مصدر بمعنى
مزبورا أي مكتوباً (١)

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ
نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾
[النساء: ١٦٤]

١٦٤ ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ﴾
من قبل ورُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ روي أنه
تعالى بعث ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من إسرائيل
وأربعة آلاف من سائر الناس قاله الشيخ في سورة
غافر ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾ بلا واسطة ﴿تَكْلِيمًا﴾

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا﴾
[النساء: ١٦٥]

١٦٥ ﴿رُسُلًا﴾ بدل من رسلا قبله ﴿مُبَشِّرِينَ﴾
بالشواب من أمن ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالعقاب من كفر
أرسلناهم ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾ فقال
﴿بَعْدَ﴾ إرسال ﴿الرُّسُلِ﴾ إليهم فيقولوا: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا
أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رُسُلًا فَتَنْبِخَ آيَاتِكَ وَتَكُونَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ فبعثناهم لقطع عذرهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ
عَزِيمًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه .

﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ يَعْلَمُونَ
وَالْمَلَائِكَةُ شَاهِدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾
[النساء: ١٦٦]

١٦٦ ونزل لما سئل اليهود عن نبوته ﷺ
فأنكروه ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ بين نبوتك ﴿بِمَا أَنْزَلَ
إِلَيْكَ﴾ من القرآن المعجز ﴿أَنْزَلَهُ﴾ ملتبسا
﴿بِعَلْمِهِ﴾ أي عالما به أو وفيه علمه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ
يَشْهَدُونَ﴾ لك أيضا ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على
ذلك (٢)

(١) أسباب نزول الآية ١٦٣ : قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
الْآيَةَ﴾ روي ابن إسحاق عن ابن عباس قال : قال عددي بن زيد :
﴿وما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى ،
فأنزل الله الآية﴾ .

(٢) أسباب نزول الآية ١٦٦ : روي ابن إسحاق عن ابن
عباس قال : دخل جماعة من اليهود على رسول الله ﷺ فقال

لهم : إني والله أعلم أنكم لتعلمون أنني رسول الله ، فقالوا : ما
نعلم ذلك ، فأنزل الله : ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ .

١٧١ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ الْإِنْجِيلِ﴾ لا تَغْلُوا ﴿تتجاوزوا الحد﴾ في دينكم ولا تقولوا على الله إلا القول ﴿الحق﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها﴾ أوصلها الله ﴿إلى مريم وروح﴾ أي ذو روح ﴿منه﴾ أضيف إليه تعالى تشريفا له وليس كما زعمتم ابن الله أو إلها معه أو ثالث ثلاثة لأن ذا الروح مركب والإله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه ﴿فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا﴾ الآلهة ﴿ثلاثة﴾ الله وعيسى وأمه ﴿انتهاوا﴾ عن ذلك وأتوا ﴿خيرا لكم﴾ منه وهو التوحيد ﴿إنما الله إله واحد سبحانه﴾ تنزيها له عن أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض ﴿خلقنا وملكا وعبيدا والملكية تنافي النبوة﴾ وكفى بالله وكيلاً ﴿شهدا على ذلك﴾

﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَسَخَّرْ مَشِيئَتَهُمْ إِلَيَّ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢]

١٧٢ ﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ﴾ يتكسر ويأنف ﴿المسيح﴾ الذي زعمتم أنه إله عن أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيدا وهذا من أحسن الاستطراد ذكر للرد على من زعم أنها آلهة أو بنات الله كما رد بما قبله على النصراني الزاعمين ذلك المقصود خطابهم ﴿ومن يستنكف عن عبادتي ويستكبر فسأخسرهم إليه جميعا﴾ في الآخرة

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧٣]

١٧٣ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿ويزيدهم من فضله﴾ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا﴾ عن عبادته ﴿فيعذبهم عذابا أليما﴾ مؤلما هو عذاب النار ﴿ولا يجدون لهم من دون الله﴾ أي غيره

﴿وليأ﴾ يدفعه عنهم ﴿ولا نصيرا﴾ يمنهم منه ﴿يتأيتها الناس قد جاءكم برهن من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾ [النساء: ١٧٤]

١٧٤ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ حِجَّةٍ﴾ ﴿من ربكم﴾ عليكم وهو النبي ﷺ ﴿وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾ بينا وهو القرآن

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥]

١٧٥ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالقرآن ﴿واعتصموا﴾ به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا طريقا ﴿مستقيما﴾ هو دين الإسلام

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرٌ أَمْرًا هَلْكَ لَيْسَ لَكَ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ بَرْتُهُا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أُتْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّلْثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَكَرِ مِنْهُ حِظٌّ مِثْلَ حِظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦]

١٧٦ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في الكلاله ﴿قل الله﴾ يفتيكم في الكلاله إن امرؤ ﴿مرفوع بفعل يفسره﴾ هلك مات ﴿ليس له ولد﴾ أي ولا والد وهو الكلاله ﴿وله أخت﴾ من أبوين أو أب ﴿فلهما﴾ نصف ما ترك وهو ﴿أي الأخ كذلك﴾ برتها جميع ما تركت ﴿إن لم يكن لها ولد﴾ فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء له أو أنثى فله ما فضل من نصيبها ولو كانت الأخت أو الأخ من أم ففرضه السدس كما تقدم أول السورة ﴿فإن كانتا﴾ أي الأختان ﴿أنتنيتن﴾ أي فصاعدا لأنها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات ﴿فلهما الثلثان مما ترك﴾ الأخ ﴿وإن كانوا﴾ أي الورثة ﴿إخوة رجالا ونساء﴾ فللذكر منهم ﴿مثل حظ الأنثيين﴾ الله لكم شرائع دينكم ل ﴿أن﴾ لا ﴿أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾ ومنه الميراث ، روى الشيخان عن البراء أنها آخر آية نزلت أي من الفرائض (١).

(١) أسباب نزول الآية ١٧٦: روى الثسائي من طريق أبي الزبير عن جابر قال: استنكيت فدخل علي رسول الله ﷺ ،

٥ - سورة المائدة

مجانبة وآياتها عشرون ومائة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]

١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ العهد المؤكدة التي بينكم وبين الله والناس ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم أكلها بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في ﴿حُرْمَتِ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةِ﴾ الآية ، فالاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلاً والتحريم لما عرض من الموت ونحوه ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ أي مُحْرَمُونَ ونصب غير على الحال من ضمير لكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا سَعْيَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آتِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالْتَقَوُوا وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالْمُدُونِ وَأْتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]

٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا سَعَايِرَ اللَّهِ﴾ جمع شعيرة ، أي معالم دينه بالصيد في الإحرام

= فقلت: يا رسول الله أوصي لأخواتي بالثلث قال: أحسن، قلت بالشطرنج، قال: أحسن ثم خرج ثم دخل علي قال: لا أراك تموت في وجعك هذا إن الله أنزل ويؤمن ما لأخواتك وهو الثلثان. فكان جابر يقول: * نزلت هذه الآية في: ﴿بَشِّرْتُنكَ قُلِ اللَّهُ يُغْنِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾.

* قال الجافظ ابن حجر: هذه قصة أخرى لجابر غير التي تقدمت في أول السورة.

* وأخرج ابن مردويه عن عمر: أنه سأل النبي ﷺ كيف يُورث الكلاله؟ فأَنزل الله: ﴿بَشِّرْتُنكَ قُلِ اللَّهُ يُغْنِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ إلى آخرها.

﴿تنبيه﴾: إذا تأملت ما أوردناه من أسباب نزول آيات هذه السورة عرفت الرود على من قال بأنها مكية.

﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه ﴿وَالهَدْيَ﴾ ما أهدي إلى الحرم من النعم بالتعرض له ﴿وَالْقَلَائِدَ﴾ جمع قلادة وهي ما كان يقلد به من شجر الحرم ليأسن أي فلا تتعرضوا لها ولا لأصحابها ﴿وَالبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ بأن تقاتلوهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ رزقا ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ بالتجارة ﴿وَرِضْوَانًا﴾ منه بقصده بزعمهم الفاسد ، وهذا منسوخ بآية براءة ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من الإحرام ﴿فَاصْطَادُوا﴾ أمر بإباحة ﴿وَالْأَنْعَامَ﴾ بكسبناكم ﴿شَنَاَنُ﴾ بفتح النون وسكونها ، بغض ﴿قَوْمٍ﴾ لأجل ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ عليهم بالقتل وغيره ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ﴾ بفعل ما أمرتم به ﴿وَالْتَقَوُوا﴾ بترك ما نهيتهم عنه ﴿وَالْمُدُونِ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿عَلَى الْإِثْمِ﴾ المعاصي ﴿وَالْعُدُونِ﴾ التعدي في حدود الله ﴿وَأْتَقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه (١).

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ بَيَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

(١) أسباب نزول الآية ٢:

أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قدم الحطم بن هند البكري المدينة في غير له يحمل طعاما فباعه، ثم دخل على النبي ﷺ فباعه وأسلم، فلما ولي خارجا نظر إليه فقال لمن عنده: لقد دخل علي بوجه فاجر وولي بقفا غادر، فلما قدم اليمامة ارتد عن الإسلام، وخرج في غير له تحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة، فلما سمع به أصحاب النبي ﷺ تبعوا للخروج إليه نفر من المهاجرين والأنصار ليقطعوه في غيره، فأَنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا سَعَايِرَ اللَّهِ﴾ الآية، فانتفى القوم.

* وأخرج عن الشدي نحوه.

* قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾.

* أخرج ابن أبي حاتم، عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله ﷺ بالحدبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم، فمرو بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي ﷺ نصد هؤلاء كما صدوا أصحابنا، فأَنزل الله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ الآية.

اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿المائدة: ٤﴾

٤ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿مَاذَا أَجَلَ لَهُمْ﴾ من الطعام ﴿قُلْ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذات ﴿و﴾ صيد ﴿مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ الكواسب من الكلاب والسياب والطيور ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال من كَلَّبْتُ الكلب بالتشديد أي أرسلته على الصيد ﴿تَعْلَمُونَهُنَّ﴾ حال من ضمير مكليبين أي تودبونهن ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ من آداب الصيد ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وإن قتلته إن لم يأكلن منه بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها وعلامتها أن تسترسل إذا أرسلت وتنزجر إذا زجرت وتمسك الصيد ولا تأكل منه وأقل ما يعرف به ثلاث مرات فإن أكلت منه فليس مما أمسكن على صاحبه فلا يحل أكله كما في حديث الصحيحين وفيه أن صيد السهم إذا أرسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح ﴿وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند إرساله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١)

(١) أسباب نزول الآية ٤ :

* روى الطبراني، والحاكم، والبيهقي وغيرهم عن أبي رافع قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فاستأذن عليه فأذن له فأبطأ، فأخذ رداءه، فخرج إليه وهو قائم بالباب، فقال: قد أذن لك قال: أجل، ولكننا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب، فنظروا فإذا في بعض بيوتهم جرو، فأمر أبا رافع: لا تدع كلباً بالمدينة إلا قتلته، فأناه الناس، فقالوا: يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَجَلَ لَهُمْ﴾ الآية.

* وروى ابن جرير عن عكرمة: أن الرسول ﷺ بعث أبا رافع في قتل الكلاب، حتى بلغ العوالي، فدخل عاصم بن عدي، وسعد بن خيثمة، وعويمر بن ساعدق، فقالوا: ماذا أحل لنا يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَجَلَ لَهُمْ﴾ الآية.

* وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال: لما أمر النبي ﷺ بقتل الكلاب قالوا: يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة؟ فنزلت.

* وأخرج من طريق الشعبي: أن عدي بن حاتم الطائي قال: أتى رجل رسول الله ﷺ يسأله عن صيد الكلاب، فلم يدر ما يقول له حتى نزلت هذه الآية: ﴿تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾. * وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة: أن عدي بن حاتم، وزيد بن المهلهل الطائين، سألا رسول الله ﷺ، فقالا: يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والنزاة، وإن كلاب آل ذريح تصيد البقر والحمير والظباء، وقد حرم الله الميتة، فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَجَلَ لَهُمْ قُلْ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾.

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿المائدة: ٣﴾

٣ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ أي أكلها ﴿وَالدَّمُ﴾ أي المسفوح كما في الأنعام ﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلُ لِعَظِيرِ اللَّهِ بِهِ﴾ بأن ذبح على اسم غيره ﴿وَالْمُنْحَنِفَةَ﴾ الميتة خنقاً ﴿وَالْمَوْقُوذَةَ﴾ المقتولة ضرباً ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةَ﴾ الساقطة من علو إلى أسفل فماتت ﴿وَالطَّيْحَةَ﴾ المقتولة بنطح أخرى لها ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ منه ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ أي أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى﴾ اسم ﴿النُّصَبِ﴾ جمع نصاب وهي الأصنام ﴿وَأَنْ تَشْتَقِيسُوا﴾ تطلبوا القسم والحكم ﴿بِالْأَزْلَامِ﴾ جمع زلم بفتح الزاي وضمها مع فتح اللام، قدح بكسر القاف صغير لا ريش له ولا نصل وكانت سبعة عند سادن الكعبة عليها أعلام وكانوا يحكمونها فإن أمرتهم اثتمروا وإن نهتهم انتهوا ﴿ذَلِكَ﴾ فسق ﴿خروج عن الطاعة، ونزل يوم عرفة عام حجة الوداع: ﴿الْيَوْمَ يَمِيزُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ أن تردوا عنه بعد طمعهم في ذلك لما رأوا من قوته ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أحكامه وفرائضه فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ﴿وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ أي اكتماله وقيل بدخول مكة آمنين ﴿وَرَضِيتُ﴾ أي اخترت ﴿لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ مجاعة إلى أكل شيء مما حرم عليه فأكله ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾ مائل ﴿لِإِثْمٍ﴾ معصية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَحِيمٌ﴾ به في إباحته له بخلاف المائل لإثم أي المتلبس به كقاطع الطريق والباغي مثلاً فلا يحل له الأكل (١)

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَجَلَ لَهُمْ قُلْ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ يَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

(١) أسباب نزول الآية ٣ :

* أخرج ابن منبه في كتاب الصحابة، من طريق عبد الله ابن جبلة بن حبان بن أنجر عن أبيه عن جده حبان قال: كنا مع رسول الله ﷺ وأنا أوقد تحت قدر فيها لحم ميتة، فأنزل تحريم الميتة فأكفأت القدر.

في كل رجل عند مفصل الساق والقدم والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء وعليه الشافعي ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات ﴿وإن كنتم جُنُبًا فاطهروا﴾ فاعتسلوا ﴿وإن كنتم مرضى﴾ مرضاً يضره الماء ﴿أو على سفري﴾ أي مسافرين ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ أي أحدث ﴿أو لامستم النساء﴾ سبق مثله في آية النساء ﴿فلم تجدوا ماء﴾ بعد طلبه ﴿فتيمموا﴾ اقصدوا ﴿صعيداً طيباً﴾ تراباً طاهراً ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ مع المرفقين ﴿منه﴾ بضربتين والباء للإلصاق ، وبينت السنة أن المراد استيعاب العضوين بالمسح ﴿مما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم ﴿ولكن يريد ليظهيركم﴾ من الأحداث والذنوب ﴿وليتم نعمته عليكم﴾ بالإسلام ببيان شرائع الدين ﴿لعلكم تشكرون﴾ نعمه (١) .

(١) أسباب نزول الآية ٦:

روى البخاري من طريق عمرو بن الحارث، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه عن عائشة قالت: سقطت قلادة لي بالبداء ونحن داخلون المدينة، فأناب رسول الله ﷺ، ونزل فنتى رأسه في حجري راقداً، وأقبل أبو بكر فلكرني لكرزة شديدة، وقال: حبست الناس في قلادة. ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾. إلى قوله: ﴿لعلكم تشكرون﴾ فقال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر.

وروى الطبراني من طريق عباد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة قالت: لما كان من أمر عقدي ما كان، وقال أهل الإفك ما قالوا، خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة أخرى فسقط أيضاً عقدي حتى حبس الناس على التماسه، فقال لي أبو بكر: بنية في كل سفر تكونين عناء وبلاء على الناس، فأنزل الله الإحصة في التيمم، فقال أبو بكر: إنك للمباركة.

(تسهيان): الأول: ساق البخاري هذا الحديث من رواية عمرو بن الحارث، وفيه التصريح بأن آية التيمم المذكورة في رواية غيره هي آية المائدة، وأكثر الرواة قالوا: «فنزلت آية التيمم ولم يتيوها».

وقد قال ابن عبد البر: «هذه معضلة ما وجدت لدائها دواء، لأننا لا نعلم أي الآيتين عنت عائشة».

وقد قال ابن بطال: «هي آية النساء». ووجهه بأن آية المائدة تسمى آية الوضوء، وآية النساء لا ذكر للوضوء بها، فينتجه تخصيصها بآية التيمم.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ المستلذات ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب﴾ أي ذبائح اليهود والنصارى ﴿حلال﴾ ﴿لكم﴾ ﴿وطعامكم﴾ إياهم ﴿حلال لهم﴾ والمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ حل لكم أن تنكحوهن ﴿إذا آتيتموهنَّ أجورهنَّ﴾ مهورهن ﴿مُحْصِنِينَ﴾ متزوجين ﴿غَيْرِ مُسْفِحِينَ﴾ معلنين بالزنا بهن ﴿ولا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ منهن تسرون بالزنا بهن ﴿ومن يكفر بالإيمان﴾ أي يرد ﴿فقد حبط عمله﴾ الصالح قبل ذلك فلا يعتد به ولا يثاب عليه ﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ إذا مات عليه

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَهَرُوا وَإِن كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلٰكِنْ يُرِيدُ لِيُظْهِرَكُمْ لِيَلْتَمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾ أي أردتم القيام ﴿إلى الصلاة﴾ وأنتم محدثون ﴿فاغسلوا﴾ ووجوهكم وأيديكم إلى المرافق ﴿أي معها﴾ كما بينته السنة ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ الباء للإلصاق أي ألقوا المسح بها من غير إسالة ماء وهو اسم جنس فيكفي أقل ما يصدق عليه وهو مسح بعض الشعر وعليه الشافعي ﴿وارجلكم﴾ بالنصب عطفًا على أيديكم وبالجر على الجوار ﴿إلى الكعبين﴾ أي معهما كما بينته السنة وهما العظامان الناتقان

٩ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَعَدَا حَسَنًا ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هُوَ الْجَنَّةُ
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ١٠]

١٠ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١]

١١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هُم قَرِيشٌ ﴿أَن يَبْسُطُوا﴾ يَمْدُوا ﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ لِيَفْتَكُوا بِكُمْ ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ وَعَصَمَكُمْ مِمَّا أَرَادُوا بِكُمْ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١)

(١) أسباب نزول الآية ١١ :

* أخرج ابن جرير، عن عكرمة، وي زيد بن أبي زياد، واللفظ له: أن النبي ﷺ خرج معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب ابن الأشرف ويهود بني النضير يستعينهم في عقل أصحابه، فقالوا: نعم اجلس حتى نطمعك ونعطيك الذي تسألنا، فجلس، فقال حيي بن أخطب لأصحابه: لا ترونه أقرب منه الآن، اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه ولا ترون شراً أبداً.

* فجاؤوا إلى رحي عزيمة ليطرحوها عليه، فأمسك الله عنها أيديهم حتى جاءه جبريل فأقامه من ثمة، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ﴾ الآية.
* وأخرج نحوه عن عبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمير بن قتادة، ومجاهد، وعبد الله بن كثير، وأبي مالك.
* وأخرج عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ وهو يبطن نخل في الغزوة السابعة، فأراد بنو نعلبة، وبنو محارب، أن يفتكوا بالنبي ﷺ فأرسلوا إليه الأعرابي يعني الذي جاءه وهو نائم في بعض المنازل، فأخذ سلاحه وقال: من يحول بيني وبينك؟ فقال: الله، فشام السيف ولم يعاقبه.

* وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق الحسن، عن جابر بن عبد الله: أن رجلاً من مُحارب يقال له: «غورث بن الحارث» قال لقومه: أقتل لكم محمداً، فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيفه في حجره، فقال: يا محمد أنظر إلى سيفك هذا، قال: نعم، فأخذه فاستله وجعل يهزه ويهم به فيكبه الله تعالى، فقال: يا محمد أما تخافني؟ قال: لا، قال:

﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧]

٧ ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَاقَهُ﴾ عهده ﴿الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ عاهدكم عليه ﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾ للنبي ﷺ حين بايعتموه ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ في كل ما تأمر به ونهى مما نحب ونكره ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ميثاقه أن تنقضوه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب بغيرها أولى.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]

٨ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ قائمين ﴿لِلَّهِ﴾ بحقوقه ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يحملنكم ﴿شَنَا نُ﴾ بغض ﴿قَوْمٍ﴾ أي الكفار ﴿عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا﴾ فتناولوا منهم لعداوتهم ﴿أَعْدِلُوا﴾ في العذر والولي ﴿هُوَ﴾ أي العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩]

= وأورد الواحدي هذا الحديث في أسباب النزول عند ذكر آية النساء أيضاً، ولا شك أن الذي مال إليه البخاري من أنها آية المائدة هو الصواب للتصريح بها في الطريق المذكور.

الثالث: دل الحديث على أن الوضوء كان واجباً عليهم قبل نزول الآية، ولهذا استعظموا نزولهم على غير ماء، ووقع من أبي بكر في حق عائشة ما وقع.

* قال ابن عبد البر: «معلوم عند جميع أهل المغازي أنه ﷺ لم يصل منيذ فرضت عليه الصلاة إلا بوضوء ولا يدفع ذلك إلا جاحد أو معاند».

* قال: «والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقدم العمل به ليكون فرضه متلوّاً بالتزليل».

* وقال غيره: «يحتمل أن يكون أول الآية نزل مقدماً مع فرض الوضوء، ثم نزل بقيتها - وهو ذكر التيمم - في هذه القصة».

* قلت: الأول أصوب، فإن فرض الوضوء كان مع فرض الصلاة بمكة، والآية مدنية.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
وهذا منسوخ بأية السيف

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْنَا أَخَدْنَا
مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ
يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾
[المائدة: ١٤]

١٤ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ متعلق بقوله
﴿أَخَدْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل
اليهود ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في الإنجيل
من الإيمان وغيره ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أوقنا
﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بتفرقهم
واختلاف أهوائهم فكل فرقة تكفر الأخرى
﴿وسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ
لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ
وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ
وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]

١٥ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿قَدْ
جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ
تُخْفُونَ﴾ تكتُمون ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة والإنجيل
كأية الرجم وصفته ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ من ذلك
فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا افتضحكم
﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ هو النبي ﷺ
﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ قرآن ﴿مُبِينٌ﴾ بين ظاهر^(١).

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكَ سُبُلَ
السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

(١) أسباب نزول الآية ١٥:

* أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: إن نبي الله ﷺ أتاه
اليهود يسألونه عن الرجم فقال: أيكم أعلم؟ فأشاروا إلى ابن
صوريا، فناشده بالذي أنزل في التوراة على موسى، والذي رفع
الطور، وناشده بالمواثيق التي أخذت عليهم حتى أخذه أفلح،
فقال: إنه لما كثر فينا جلدنا مائة وحلقنا الرؤوس فحكيم عليهم
بالرجم، فأنزل الله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله: ﴿صراط
مستقيم﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا
مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ
لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ
بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ١٢]

١٢ ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بما
يذكر بعد ﴿وَبَعَثْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة أقمنا
﴿مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ من كل سبط نقيب يكون
كفيلًا على قومه بالوفاء بالعهد وثيقة عليهم
﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالعموم والنصرة
﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ
اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ ﴿لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ
ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الحق والسواء في
الأصل الوسط

﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ
قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا
حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ
إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]

١٣ فنقضوا الميثاق قال تعالى: ﴿فِيمَا
نَقَضُوا﴾ ما زائدة ﴿مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ أبعدهم عن
رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ لا تلين لقبول
الإيمان ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة من
نعت محمد ﷺ وغيره ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه
الله عليها أي يبدلونه ﴿وَنَسُوا﴾ تركوا ﴿حَظًّا﴾
نصيبا ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا﴾ أمروا ﴿بِهِ﴾ في التوراة من
اتباع محمد ﷺ ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾
﴿تَطَّلِعُ﴾ تظهر ﴿عَلَى خَائِنَةٍ﴾ أي خيانة ﴿مِنْهُمْ﴾
بنقض العهد وغيره ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ ممن أسلم

أما تخافني والسيف في يدي؟ قال: لا، بمعنى الله منك، ثم
أعمد السيف ورده إلى رسول الله، فأنزل الله الآية.

يَاذِينِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾

١٦ ﴿يَهْدِي بِهِ﴾ أي بالكتاب ﴿اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ﴾ رضوانه ﴿بأن آمن﴾ ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ طرق السلامة ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿يَاذِينِهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

١٧ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ حيث جعلوه إلهاً وهم يعقوبية فرقة من النصراري ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ أي يدفع ﴿مِنْ﴾ عذاب ﴿اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي لا أحد يملك ذلك ولو كان المسيح إلهاً لقدر عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَاءَهُ﴾ ﴿قَدِيرٌ﴾

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

[المائدة: ١٨]

١٨ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ أي كل منهما ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ أي كابنائه في القرب والمنزلة وهو كأبنا في الرحمة والشفقة ﴿وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ إن صدقتم في ذلك ولا يعذب الأب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم فأنتم كاذبون ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ﴾ من جملة من ﴿خَلَقَ﴾ من البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه لا اعتراض عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

المرجع (١).

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قَدَرٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

١٩ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ شرائع الدين ﴿عَلَى قَدَرٍ﴾ انقطاع ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول ومدة ذلك خمسمائة وتسع وستون سنة لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَقُولُوا﴾ إذا عذبتم ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ﴾ زائدة ﴿بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ فلا عذر لكم إذا ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيبكم إن لم تتبوه

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوِّمُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠]

٢٠ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾ أي منكم ﴿أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ أصحاب خدم وحشم ﴿وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ من المن والسلوى وخلق البحر وغير ذلك

﴿يَقَوِّمُ أَذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرُدُّوا عَلَىٰ آدَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾

٢١ ﴿يَا قَوْمِ اذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ المطهرة ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أمركم بدخولها وهي الشام

(١) أسباب نزول الآية ١٨:

* روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ نعمان بن قصي وبحر بن عمر وشاس بن عدي، فكلموه وكلمهم، ودعاهم إلى الله وحزبهم نعمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحباؤه كقول النصراري، فأنزل الله فيهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ الآية.

* وروي عنه قال: دعا رسول الله ﷺ يهوداً إلى الإسلام ورغبهم فيه فأبوا عليه، فقال لهم معاذ بن جبل، وسعد بن عباد: يا معشر يهود اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته.

* فقال رافع بن حرملة ووهب بن يهودا: ما قلنا لكم هذا وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى، ولا أرسل بشيراً وإلا نذيراً بعده فأنزل الله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ الآية.

المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أن يدخلوها ﴿أزيعين سنةً يتيهون﴾ يتحiron ﴿في الأرض﴾ وهي تسعة فراسخ قاله ابن عباس ﴿فلا تأسن﴾ تحزن ﴿على القوم الفاسقين﴾ روي أنهم كانوا يسيرون جادين فاذا أصبحوا إذا هم في الموضوع الذي ابتدؤوا منه ويسيرون النهار كذلك حتى انقضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين ، قيل وكانوا ستمائة ألف ومات هارون وموسى في التيه وكان لهما رحمة وعذابا لأولئك وسأل موسى ربه عند موته أن يديه من الأرض المقدسة رمية بحجر فأذناه كما في الحديث ونبي يوشع بعد الأربعين وأمر بقتال الجبارين فسار بمن بقي معه وقتلهم وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم ، وروي أحمد في مسنده حديث "إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس

﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

٢٧ ﴿وَأْتَلَّ﴾ يا محمد ﴿عليهم﴾ على قومك ﴿نبا﴾ خبر ﴿ابني آدم﴾ هابيل وقابيل ﴿بالحق﴾ متعلق بـ اتل ﴿إذ قربا قربانا﴾ إلى الله وهو كبش لهابيل وزرع لقابيل ﴿فتقبل من أحدهما﴾ وهو هابيل بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه ﴿ولم يتقبل من الآخر﴾ وهو قابيل فغضب وأضمر الجسد في نفسه إلى أن حج آدم ﴿قال﴾ له ﴿لأقتلنك﴾ قال: لم ؟ قال: لتقبل قربانك دوني ﴿قال﴾ إنما يتقبل الله من المتقين ﴿

﴿لَيْنٌ بَسَطَ لِي يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾

٢٨ ﴿لين﴾ لام القسم ﴿بسطت﴾ مدت ﴿إني يذك ليقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾ إني أخاف الله رب العالمين ﴿في تلك

﴿إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين﴾

٢٩ ﴿إني أريد أن تبوء﴾ ترجع ﴿بإثمي﴾ بإثم قلبي ﴿وإثمك﴾ الذي ارتكبته من قبل ﴿فتكون من

﴿ولا ترتدوا على أذيباركم﴾ تنهزوا خوف العدو ﴿فتقتلبوا نحاسيين﴾ في سعيكم

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبْرِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢]

٢٢ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبْرِينَ﴾ من بقايا عاد طوالاً ذوي قوة ﴿وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾ لها

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

٢٣ ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رجلان من الذين يخافون﴾ مخالفة أمر الله وهما يوشع وكالب من النقباء الذين بعثهم موسى في كشف أحوال الجبارة ﴿أنعم الله عليهما﴾ بالعصمة فكتما ما اطلعا عليه من حالهم إلا عن موسى بخلاف بقية النقباء فأفشوه فجبنا ﴿ادخلوا عليهم الباب﴾ باب القرية ولا تخشوهم فإنهم أجساد بلا قلوب ﴿فإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾ قال ذلك تيقناً بنصر الله وإنجاز وعده ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَآذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾

٢٤ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَآذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ عن القتال

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥]

٢٥ ﴿قال﴾ موسى حينئذ ﴿رب إني لا أملك إلا نفسي وإني لا أملك غيرهما فأجبرهم على الطاعة﴾ فافرق ﴿بيننا وبين القوم الفاسقين﴾

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْفَاسِقِينَ﴾

٢٦ ﴿قال﴾ تعالى له ﴿فإنها﴾ أي الأرض

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]

٣٣ ونزل في العُرَيبِيِّينَ لما قدموا المدينة وهم مرضى فأذن لهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوالها وألبانها فلما صَحُّوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الإبل ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بمحاربة المسلمين ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بقطع الطرق ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ أي أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ أو لترتيب الأحوال فالقتل لمن قتل فقط والصلب لمن قتل وأخذ المال والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل والنفي لمن أخاف فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعي وأصح قوليه أن الصلب ثلاثا بعد القتل وقيل قبله قليلا ويلحق بالنفي ما أشبهه في التنكيل من الحبس وغيره ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء المذكور ﴿لَهُمْ جِزْيٌ﴾ ذل ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ﴾ هو عذاب النار (١).

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَلَّا اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

٣٤ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من المحاربين والقطاع ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لهم ما أتوه ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم عبر بذلك دون فلا تحذوهم ليفيد أنه لا يسقط عنه بتوبته إلا حدود الله دون حقوق الأدميين كذا ظهر لي ولم أر من تعرض له والله أعلم فاذا قتل وأخذ المال يقتل

(١) أسباب نزول الآية ٣٣:

* أخرج ابن جرير عن يزيد بن أبي حبيب: أن عبد الملك ابن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في العرنيين ارتدوا عن الإسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل. الحديث.

* ثم أخرج عن جرير مثله.

* وأخرج عبد الرزاق نحوه عن أبي هريرة.

أصحاب النَّارِ ﴿ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلتك فأكون منهم﴾ قال تعالى ﴿وَذَلِكَ جِزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠]

٣٠ ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ زينت ﴿لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ﴾ فصار ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بقتله ولم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت على وجه الأرض من بني آدم فحمله على ظهره

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُؤَلِّقُ أَعْجُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١]

٣١ ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ ينبش التراب بمنقاره وبرجليه ويشيره على غراب ميت حتى واره ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي﴾ يستر ﴿سَوْءَةَ﴾ جيفة ﴿أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ عَنْ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على حمله وحفر له وواره ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾

٣٢ ﴿مَنْ أَجَلٌ ذَلِكَ﴾ الذي فعله قاييل ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ قتلها ﴿أَوْ﴾ بغير ﴿فَسَادٍ﴾ أناه ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ من كفر أو زنا أو قطع طريق أو نحوه ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ بأن امتنع عن قتلها ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال ابن عباس: من حيث انتهاك حرمتها ووصونها ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩]

٣٩ ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ رجع عن السرقة ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ في التعبير بهذا ما تقدم فلا يسقط بتوبته حق الأدمي من القطع ورد المال ، نعم بينت السنة أنه إن عفا عنه قبل الرفع إلى الامام سقط القطع وعليه الشافعي

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ٤٠]

٤٠ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذبه ﴿وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه التعذيب والمغفرة

﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَتَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَتَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتُوبَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ بَعْدِ مُوَاعِحِهِمْ يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخَذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَمْ يَفْعَلْ فِي الدُّنْيَا خِزْياً لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١]

٤١ ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ﴾ صنع ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يقعون فيه بسرعة أي يظهره إذا وجدوا فرصة ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بالسننهم متعلق بـ ﴿قَالُوا﴾ ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قوم ﴿سَتَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ الذي افترته أحبارهم سماع قبول ﴿سَتَّاعُونَ﴾ منك ﴿لِقَوْمٍ﴾ لأجل قوم ﴿آخَرِينَ﴾ من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُواكَ﴾ وهم أهل خيبر زنى فيهم محصنان فكرهوا رجعتهم فبعثوا قريظة

ويقطع ولا يصلب وهو أصح قولي الشافعي ولا تفيد توبته بعد القدرة عليه شيئا وهو أصح قوله أيضا

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَعُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥]

٣٥ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿وَابْتَعُوا﴾ اطلبوا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما يقربكم إليه من طاعته ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦]

٣٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ نبت ﴿أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]

٣٧ ﴿يُرِيدُونَ﴾ يتمنون ﴿أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

٣٨ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ أُل فيهما موصولة مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أي يمين كل منهما من الكوع وبينت السنة أن الذي يقطع فيه ربع دينار فصاعدا وأنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى وبعد ذلك يعزر ﴿جَزَاءً﴾ نصب علي المصدر ﴿بِمَا كَسَبَا نَكَالًا﴾ عقوبة لهما ﴿مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه (١).

(١) أسباب نزول الآية ٣٨:

* أخرج أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو: أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَطَعَتْ يَدَهَا اليمنى فقالت:

هل لي من توبة يا رسول الله؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ الآية.

﴿سَتَعْرُوكَ لِلكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلسُّخْتِ فإِنْ جَاءوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَصْرُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]

٤٢ هم ﴿سَتَعْرُوكَ لِلكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلسُّخْتِ﴾ بضم الحاء وسكونها أي الحرام كالرشا ﴿فإِنْ جَاءوكَ﴾ لتحكم بينهم ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾ هذا التخيير منسوخ بقوله ﴿وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ﴾ الآية فيجب الحكم بينهم إذا ترفعوا إلينا وهو أصح قولي الشافعي فلو ترفعوا إلينا مع مسلم وجب إجماعا ﴿وَأِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصْرُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ﴾ بينهم ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين في الحكم أي يشيهم

﴿وَكَيفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾

٤٣ ﴿وَكَيفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ﴾ بالرجم استفهام تعجيب أي لم يقصدوا بذلك معرفة الحق بل ما هو أهون عليهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ التحكيم ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوُا اللَّهَ وَكَانَ اللَّهُ تَسْتَرًا بِنَاتِي سَمًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]

٤٤ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ بيان للأحكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ من بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ انقادوا لله ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾ العلماء منهم ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ الفقهاء

تأخذه عنه. فسأله عن ذلك، فذكر نحو ما تقدم، فأمر به فرجم، فنزلت: ﴿وَإِنْ جَاءوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ الآية. * وأخرج البيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة نحوه.

ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿يُخْرَفُونَ الكَلِمَةَ﴾ الذي في التوراة كآية الرجم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها أي يبدلونه ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ الحكم المحرف أي الجلد الذي أفتاكم به محمد ﴿فَخُذُوهُ﴾ فاقبلوه ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فَأَخَذُوا﴾ أن تقبلوه ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ﴾ إضلاله ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا﴾ في دفعها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ من الكفر ولو أَرَادَهُ لَكَانَ ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ ذل بالفضيحة والجزية ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

(١) أسباب نزول الآية ٤١:

* روى أحمد، وأبو داود، عن ابن عباس قال: أنزلها الله في طائفتين من اليهود، قهرت إحداهما الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا، فاصطلحوا على أن كل قتل قتلته العزيزة من الذليلة فديته خمسون وسقًا، وكل قتل الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق فكانوا على ذلك حتى قدم الرسول ﷺ فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلًا، فأرسلت العزيزة أن ابئنا إلينا بمائة وسق، فقالت الذليلة: وهل كان ذلك في حين قط دينهما واحد ونسبتهما واحدة وبلدهما واحد دية بعضهم نصف دية بعض؟ إِنَّا أَعْطَيْنَاكُمْ هَذَا ضِيمًا مِنْكُمْ لَنَا وَخَوْفًا وَفَرَقًا، فَأَمَّا إِذْ قَدِمَ مُحَمَّدٌ فَلَا نَعْطِيكُمْ، فَكَادَتْ الْحَرْبُ تَهْجِجُ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ ارْتَضُوا عَلَى أَنْ جَعَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمَا، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ نَاسًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ لِيُخْبِتُوا رَأْيَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَخْزَنُكَ الَّذِينَ يُشَارِعُونَ فِي الكُفْرِ﴾ الآية.

* وروى أحمد ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب قال: مرُّ على النبي ﷺ يهودي محمّم مجلود فدعاهم فقال: هكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟ فقالوا: نعم، فدعا رجلًا من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟ فقال: لا والله ولولا أنك نشدتنني بهذا لم أخبرك، نجد حدّ الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرفنا، فكنا إذا زنى الشريف تركناه، وإذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحدّ، فقلنا: تعالوا حتى نجعل شيئًا نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد فقال النبي ﷺ: اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أمانته، فأمر به فرجم، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَخْزَنُكَ الَّذِينَ يُشَارِعُونَ فِي الكُفْرِ﴾ إلهي قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ يقولون: اتوا محمدًا، فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا إلى قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

* وأخرج الحميدي في مسنده عن جابر بن عبد الله قال: زنى رجل من أهل فدك، فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة أن يسألوا محمدًا عن ذلك. * فإن أمركم بالجلد فخذوه عنه، وإن أمركم بالرجم فلا

يَحْكُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾
 قلنا ﴿لَيَخْضَكُنَّ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ فِيهِ﴾ من الأحكام وفي قراءة بنصب يحكم
 وكسر لامه عطفا على معمول آتيناه ﴿وَمَنْ لَمْ
 يَخْضَكُنَّ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾
 ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
 مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّبًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ
 جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ
 أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا
 الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
 فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨]

٤٨ ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾
 القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بأنزلنا ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
 يَدَيْهِ﴾ قبله ﴿مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيِّبًا﴾ شاهدا ﴿عَلَيْهِ﴾
 والكتاب بمعنى الكتب ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ بين أهل
 الكتاب إذا تراءفوا إليك ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ إليك
 ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ عادلا ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾
 لكل جعلنا منكم ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ شريعة ﴿شِرْعَةً﴾ شريعة
 ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ طريقا واضحا في الدين يمشون عليه
 ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على شريعة
 واحدة ﴿وَلَكِنْ﴾ فرقكم فرقا ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم
 ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة لينظر المطيع
 منكم والعاصي ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ سارعوا إليها
 ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بالبعث ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا
 كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين ويجزي كلا
 منكم بعمله

﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
 وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ
 تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ
 كَيْدًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]

٤٩ ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ
 أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ﴾ لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿يَفْتِنُوكَ﴾
 يضلوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾
 عن الحكم المنزل وأرادوا غيره ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ
 اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ﴾ بالعقوبة في الدنيا ﴿بِبَعْضِ

﴿بِمَا﴾ أي بسبب الذي ﴿اسْتَحْفِظُوا﴾ استودعوه
 أي استحفظهم الله إياه ﴿مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي
 يبدلوه ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أنه حق ﴿فَلَا تَخْشَوْا
 النَّاسَ﴾ أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت
 محمد ﷺ والرجم وغيرها ﴿وَاحْشَوْنَ﴾ في كتابه
 ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من
 الدنيا تأخذونه على كتابها ﴿وَمَنْ لَمْ يَخْضَكُنَّ بِمَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ به

﴿وَكَلَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ
 بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ
 بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ
 كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَخْضَكُنَّ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ
 هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]

٤٥ ﴿وَكَلَبْنَا﴾ فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ أي التوراة
 ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ تقتل ﴿بِالنَّفْسِ﴾ إذا قتلتها ﴿وَالْأُذُنَ﴾
 تفتقأ ﴿بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ﴾ يجدع ﴿بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ﴾
 تقطع ﴿بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ﴾ تقلع ﴿بِالسِّنِّ﴾ وفي قراءة
 بالرفع في الأربعة ﴿وَالْجُرُوحَ﴾ بالوجهين
 ﴿قِصَاصًا﴾ أي يقتص فيها إذا أمكن كاليد والرجل
 ونحو ذلك وما لا يمكن فيه الحكومة وهذا الحكم
 وإن كتب عليهم فهو مقرر في شرعنا ﴿فَمَنْ
 تَصَدَّقَ بِهِ﴾ أي بالقصاص بأن مكن من نفسه
 ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ لما أتاه ﴿وَمَنْ لَمْ يَخْضَكُنَّ بِمَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ في القصاص وغيره ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ
 الظَّالِمُونَ﴾

﴿وَقَفِينَا عَلَى مَائِثِهِمْ بِمِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
 يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمَأْتِنَةٌ لِلْإِنْجِيلِ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ
 وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ
 لِلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦]

٤٦ ﴿وَقَفِينَا﴾ أتبعنا ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾ أي النبيين
 ﴿بِمِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله ﴿مِنْ
 التَّوْرَةِ وَآيَاتِنَا الْإِنْجِيلِ فِيهِ هُدًى﴾ من الضلالة
 ﴿وَنُورٌ﴾ بيان للأحكام ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ حال ﴿لِمَا بَيْنَ
 يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ لما فيها من الأحكام ﴿وَهُدًى
 وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾

﴿وَلَيَخْضَكُنَّ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ

مِنَ عِنْدِهِ فَيُصِيبُهَا عَلَىٰ مَا أَسْرَأُوا فِي أَنفُسِهِمْ تَدْمِيمًا

٥٢ ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد كعبد الله بن أبي المنافق ﴿يُتَسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ في موالاتهم ﴿يَقُولُونَ﴾ معتردين عنها ﴿تَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ يدور بها الدهر علينا من جذب أو غلبة ولا يتم أمر محمد فلا يميرونا ، قال تعالى ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَا بِالْفَتْحِ﴾ بالنصر لنبيه يظاهر دينه ﴿أَوْ أَمْرٌ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ بهتك ستر المنافقين وافتضاحهم ﴿فَيُضِيبُوا عَلَيْنَا مَا أَسْرَأُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ من الشك وموالة الكفار ﴿تَادِمِينَ﴾

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾

٥٣ ﴿وَيَقُولُ﴾ بالرفع استئنافا بواو ودونها وبالنصب عطفا على يأتي ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لبعضهم إذا هتك سترهم تعجبا ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿وَأَنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ في الدين قال تعالى: ﴿حِطَّتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحة ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿خَاسِرِينَ﴾ الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن رَّبِّدِّ يَمُنُّكَ عَن دِينِهِ سَوَفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْرٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

٥٤ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن رَّبِّدِّ﴾ بالفك والإدغام ، يرجع ﴿مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ إلى الكفر وإخبار بما علم الله وقوعه وقد ارتد جماعة بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَسَوَفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾ بدلهم ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قال ﷺ: «هم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري» رواه الحاكم في صحيحه

﴿أَذِلَّةٌ﴾ عاطفين ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ﴾ أشداء ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهله.

ذُنُوبِهِمْ﴾ التي أتوها ومنها التولي ويجازيهم على جميعها في الأخرى ﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (١).

﴿أَحْكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]

٥٠ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ﴾ بالياء والتاء يطلبون من المداهنة والميل إذا تولوا ؟ استفهام إنكاري ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ﴾ عند قوم ﴿يُوقِنُونَ﴾ به خصوا بالذكر لأنهم الذين يتدبرون

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]

٥١ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ﴾ من جعلتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بموالاتهم الكفار (٢).

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَمَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ

(١) أسباب نزول الآية ٤٩ :

* روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: قال كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا: يا محمد إنك قد عرفت أننا أحرار يهود وأشرفهم وساداتهم، وإنما إن أتبعناك أتبعنا يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم وتؤمن بك، فأبى رسول الله ﷺ ذلك، وأنزل الله فيهم: ﴿وَأَن أَحْكَمَ يَنْتَهُمْ يَأْتِ أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

(٢) أسباب نزول الآية ٥١ :

أخرج ابن إسحاق وابن جرير. وابن أبي حاتم والبيهقي عن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وكان أحد بني عوف من الخزرج وله من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي، فحالفهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ من حلف الكفار وولائتهم. قال: فقيه وفي عبد الله بن أبي نزلت القصة في المائة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا...﴾ الآية.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلِعِبًا ذَلِكَ يَأتَهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨]

٥٨ ﴿و﴾ الذين ﴿إِذَا نَادَيْتُمْ﴾ دعوتهم ﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾ بالأذان ﴿اتَّخَذُوهَا﴾ أي الصلاة ﴿هُزُوًا وَلِعِبًا﴾ بأن يستهزئوا بها ويتضحكوا ﴿ذَلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِفُونَ مَتَىٰ إِيَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾

٥٩ ونزل لما قال اليهود للنبي ﷺ: بمن تؤمن من الرسل فقال: ﴿بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ الآية فلما ذكر عيسى قالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِفُونَ﴾ تنكرون ﴿مَتَىٰ إِيَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ إلى الأنبياء ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ عطف على أن آمننا المعنى ما تنكرون إلا إيماننا ومخالفتكم في عدم قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم عنه وليس هذا مما ينكر

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَكَرْتُ عَبْدُ اللَّهِ مَنِ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾

٦٠ ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أخبركم ﴿بِشَرِّ مِمَّنْ﴾ أهل ﴿ذَلِكَ﴾ الذي تنقمونه ﴿مَثُوبَةً﴾ ثوابا بمعنى جزاء ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعدته عن رحمته ﴿وَعَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ بالمسخ ﴿و﴾ من ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾ الشيطان بطاعته ، وراعى في «منهم» معنى «من» وفيما قبله لفظها وهم اليهود ، وفي قراءة بضم باء

كَأَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ.

* وبه قال: أتى النبي ﷺ نفرٌ من يهود فيهم أبو ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وغازي بن عمر، فسألوه عن يؤمُّن به من الرسل قال: يؤمن بالله وما أنزل إلي إبراهيم وإسماعيل وإشحاق ويعقوب والأسباط وما أوتيت موسى وعيسى والنبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا تؤمن بعيسى ولا بمن آمن به، فأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِفُونَ مَتَىٰ إِيَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَكَرُونَ﴾

٥٥ ونزل لما قال ابن سلام يا رسول الله إن قومنا هجرونا: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَكَرُونَ﴾ خاشعون أو يصلون صلاة التطوع ^(١).

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]

٥٦ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيعينهم وينصرهم ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ لنصره إياهم أوقعه موقع فإنهم يئاناً لأنهم من حزبه، أي أتباعه

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلِعِبًا مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧]

٥٧ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا﴾ مهزواً به ﴿وَلِعِبًا مِّنْ﴾ للبيان ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ﴾ المشركين بالجر والنصب ﴿أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك موالاتهم ﴿إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم ^(٢).

(١) أسباب نزول الآية ٥٥:

* أخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه مجاهد عن عمار بن ياسر قال: وقف علي بن أبي طالب سائل وهو راكع في تطوع، فنزع خاتمه فأعطاه السائل فنزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾ الآية، وله شاهد.

* قال عبد الرزاق: حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية، قال: نزلت في علي بن أبي طالب.

* وروى ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس مثله.

* وأخرج أيضاً عن علي مثله.

* وأخرج ابن جرير عن مجاهد، وابن أبي حاتم عن سلمة ابن كهيل مثله. فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً.

(٢) أسباب نزول الآية ٥٧:

* روى أبو الشيخ وابن حبان عن ابن عباس قال: كان رفاعة بن زيد بن ثابت وسويد بن الحارث قد أظفروا الإسلام وناقوا، وكان رجل من المسلمين يوادهما، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ﴾. إلى قوله: ﴿وَمَا

عبد وإضافة إلى ما بعده اسم جمع لعبد ونصبه بالعطف على القردة ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ تمييز لأن مأواهم النار ﴿وَأَضَلَّ عَنِ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ طريق الحق وأصل السواء الوسط وذكر شر وأضل في مقابلة قولهم لا نعلم دينا شرًّا من دينكم ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدَّ حَرَجُوا بِيَدِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٦١]

٦١ ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ﴾ أي منافقو اليهود ﴿قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا﴾ إليكم متلبسين ﴿بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدَّ حَرَجُوا﴾ من عندكم متلبسين ﴿بِيَدِهِ﴾ ولم يؤمنوا ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق ﴿وَرَوَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسِرُّونَ فِي الْأَنْزِيلِ وَالْمُنَادِينَ وَأَكْلِهِمْ أَلْسَحَتْ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٢]

٦٢ ﴿وَرَوَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ أي اليهود ﴿يُسَارِعُونَ﴾ يقعون سريعاً ﴿فِي الْإِثْمِ﴾ الكذب ﴿وَالْمُنَادِينَ﴾ الظلم ﴿وَأَكْلِهِمْ أَلْسَحَتْ﴾ الحرام كالرشا ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عملهم هذا ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرَّاغِبِينَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمْ أَلْسَحَتْ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

٦٣ ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يَنْهَاهُمْ الرَّاغِبِينَ وَالْأَخْبَارُ﴾ منهم ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾ الكذب ﴿وَأَكْلِهِمْ أَلْسَحَتْ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ترك نهيمهم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعِنَّا بِمَا قَالُوا بِالْبَلِّ بَدَاءَهُمْ مَسْوَطَانِ يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقِتِينَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]

٦٤ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس مالا ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مقبوضة عن إدرار الرزق علينا كانوا به عن البخل تعالى الله عن ذلك قال تعالى ﴿غُلَّتْ﴾ أمسكت ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ عن فعل الخيرات دعاء عليهم ﴿وَوَلِعِنَّا بِمَا قَالُوا بِالْبَلِّ بَدَاءَهُمْ مَسْوَطَانِ﴾ مبالغة في الوصف بالجد وثني اليد لإفادة الكثرة إذ

٦٥ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِقَاتِيهِمْ وَلَا دَلَّخْنَا لَهُمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾

٦٥ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الكفر ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِقَاتِيهِمْ﴾ ولأدخَلناهم جنات النعيم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْآنِ آمَنُوا وَأَقْرَبُوا لِلَّهِ لَأَسْرَعْنَا لَهُمْ عَذَابًا وَلَا نَجِيءُ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٦]

٦٦ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْآنِ آمَنُوا وَأَقْرَبُوا لِلَّهِ لَأَسْرَعْنَا لَهُمْ عَذَابًا وَلَا نَجِيءُ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]

(١) أسباب نزول الآية ٦٤:

* أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رجل من اليهود يقال له: الثباش بن قيس: إن ربك بخيل لا ينفق، فأنزل الله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ الآية.

* وأخرج أبو الشيخ من وجه آخر عنه قال: نزلت: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ في فتاح رأس يهود قيقاق.

﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ وَلَازِمًا كَثِيرًا
مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ
عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨]

٦٨ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من
الدين معتد به ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا
أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بأن تعملوا بما فيه ومنه
الإيمان بي ﴿وَلَتَزِيدَنَّ كَثِيرًا﴾ ﴿مُنْهُمْ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ
مِن رَّبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لكفرهم به
﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ إن لم
يؤمنوا بك أي لا تهتم بهم

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰلِحِينَ وَالنَّصْرَىٰ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]

٦٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود
مبتدأ ﴿وَالصَّٰلِحِينَ﴾ فرقة منهم ﴿وَالنَّصْرَىٰ﴾
ويبدل من المبتدأ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة خبر المبتدأ ودال على خبر إن

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَرَأْسَنَّا إِلَيْهِمْ
رُسُلًا كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ
فَرِيقًا كَذِبًا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]

٧٠ ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ على
الإيمان بالله ورسله ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَلَّمْنَا

هاشم يجرسونه، حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ
النَّاسِ﴾ فأراد أن يرسل معه من يحرسه فقال: يا عم إن الله
عصمني من الجن والإنس.

﴿وَأَخْرَجَ ابْنَ مَرْدِيَةَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ نَحْوَهُ وَهَذَا
يُقْتَضَىٰ أَنَّ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ، وَالظَّاهِرُ خِلَافُهُ.

(١) أسباب نزول الآية ٦٨:
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ الآية.

﴿رَوَى ابْنُ جُرَيْرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ
رَافِعٌ وَسَلَامٌ بِنِ مَشْكَمٍ، وَمَالِكُ بْنُ الصَّبَّاحِ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ
أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ عَلَىٰ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ، وَتُؤْمِنُ بِمَا عِنْدَنَا؟
قَالَ: بَلَىٰ وَلَكِنِّي أَحَدُكُمْ وَجِدْتُمْ بِمَا فِيهَا، وَكُنْتُمْ مَا أَمَرْتُمْ
أَنْ تَبِينُوهُ لِلنَّاسِ. قَالُوا: فَإِنَّا نَأْخُذُ بِمَا فِي أَيْدِينَا، فَإِنَّا عَلَىٰ الْهُدَىٰ
وَالْحَقِّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ الآية.

إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ﴾ ولا تكتم شيئا منه خوفا أن تنال
بمكروه ﴿وَأَنْ لَّمْ تَفْعَلْ﴾ أي لم تبلغ جميع ما أنزل
إليك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ بالإنفراد والجمع لأن
كتمان بعضها ككتمان كلها ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ
النَّاسِ﴾ أن يقتلوك وكان ﷺ يحرس حتى نزلت
فقال: «انصرفوا فقد عصمني الله» رواه الحاكم
﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١).

(١) أسباب نزول الآية ٦٧:
﴿أَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ
اللَّهَ بَعَثَنِي بِرِسَالَةٍ فَضَعْتُ بِهَا ذِرْعًا، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مَكْذِبِي،
فَوَعَدَنِي لِأَبْلَغُ أَوْ لِعَذْبِي، فَأَنْزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا
الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَصْنَعُ
وَأَنَا وَحْدِي يَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ؟ فَنَزَلَتْ: ﴿وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ
رِسَالَتَهُ﴾.

﴿وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ
ﷺ يُحْرَسُ حَتَّىٰ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾
فَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنَ الْقَبَةِ. فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ انصرفوا فقد
عصمني الله.

﴿فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهَا - أَيْ الْآيَةُ - لِيَلِيَّةٍ،
نَزَلَتْ لَيْلًا - فَرَّاشِيَّةً - وَالرُّسُولُ فِي فَرَّاشِهِ.

﴿وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ قَالَ: كَانَ
الْعَبَّاسُ عُمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَنْ يَحْرُسُهُ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَاللَّهُ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ تَرَكَ الْحِرْسَ.

﴿وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ عَصِمَةَ بِنِ مَالِكِ الْخَطَمِيِّ قَالَ: كُنَّا
نَحْرُسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِاللَّيْلِ، حَتَّىٰ نَزَلَتْ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ
مِنَ النَّاسِ﴾ فَتَرَكَ الْحِرْسَ.

﴿وَأَخْرَجَ ابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا
إِذَا أَصْبَحْنَا وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ تَرَكْنَا لَهُ أَكْظَمَ شَجَرَةٍ
وَأَطْلَهَا، فَيَنْزِلُ تَحْتَهَا، فَتَزِلُ ذَاتُ يَوْمٍ تَحْتِ شَجَرَةٍ وَعَلِقَ سَيْفُهُ
فِيهَا، فَنَجَّاهُ رَجُلٌ فَأَخَذَهُ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ، ضَعَّ السَّيْفُ، فَوَضَعَهُ،
فَنَزَلَتْ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

﴿وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَنِي أَمَّارٍ نَزَلَ ذَاتَ الرِّقَاعِ بِأَعْلَى
نَخْلٍ، فَبَيْنَا هُوَ جَالِسٌ عَلَىٰ رَأْسِ بَيْتٍ قَدْ أُدْلِيَ رَجْلِيهِ، فَقَالَ
غُورَثُ بْنُ الْحَارِثِ: لِأَقْتُلَنَّ مُحَمَّدًا، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: كَيْفَ
تَقْتُلُهُ؟ قَالَ: أَقُولُ لَهُ أَعْطِنِي سَيْفَكَ فَإِذَا أَعْطَانِيهِ قَتَلْتَهُ بِهِ، فَأَنَاهُ
فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ أَعْطِنِي سَيْفَكَ أَشْمَهُ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ فَرَعَدَتْ
يَدُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حَالَ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَا تَرِيدُ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ﴾ الآية.

﴿وَمِنْ غَرِيبٍ مَا وَرَدَ فِي سَبَبِ نَزُولِهَا مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ
مَرْدَوَيْهِ، وَالتَّبْرَانِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ
يُحْرَسُ، وَكَانَ يُرْسَلُ مَعَهُ أَبُو طَالِبٍ كُلَّ يَوْمٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤]

٧٤ ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ﴾ مما
قالوا استفهام توبيخ ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لمن تاب
﴿رَحِيمٌ﴾ به

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدْقَةٌ كَأَنَّا بِكُلَّانٍ
الطَّعَامِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ
أَنْظَرُ أَن يُوَفَّكَوُنَ﴾ [المائدة: ٧٥]

٧٥ ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ
خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فهو يمضي
مثلهم وليس ياله كما زعموا وإلا لما مضى ﴿وَأُمُّهُ
صِدْقَةٌ﴾ مبالغة في الصدق ﴿كَأَنَّا بِكُلَّانٍ الطَّعَامِ﴾
كغيرهما من الناس ومن كان كذلك لا يكون إلهاً
لتركيبه وضعفه وما ينشأ من البول والغائط ﴿انظُر﴾
متعجباً ﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ على وحدانيتنا
﴿ثُمَّ انظُرْ أَنَّى﴾ كيف ﴿يُوَفَّكَوُنَ﴾ يصرفون عن
الحق مع قيام البرهان

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ
شَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

٧٦ ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره
﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ شَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾
لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالكم والاستفهام للإنتكار

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ
الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ
وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾

٧٧ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى
﴿لَا تَغْلُوا﴾ تجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ غلوا
﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بأن تضعوا عيسى أو ترفعه فوق
حقه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾
بغلوهم وهم أسلافهم ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناس
﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ عن طريق الحق
والسواء في الأصل الوسط

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى
لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا

جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ منهم ﴿بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾ من
الحق كذبوه ﴿فَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبُوا وَفَرِيقًا﴾ منهم
﴿يَقْتُلُونَ﴾ كزكريا ويحيى والتعبير به دون قتلوا
حكاية للحال الماضية للفاصلة

﴿وَحَسِبُوا أَنَّا لَنَكُونُ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ
بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٧١]

٧١ ﴿وَحَسِبُوا﴾ ظنوا ﴿أَنَّا لَنَكُونُ﴾
بالرفع فإن مخففة والنصب فهي ناصبة أي تقع
﴿وَفِتْنَةً﴾ عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم
﴿فَعَمُوا﴾ عن الحق فلم يبصروه ﴿وَصَمُوا﴾ عن
استماعه ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما تابوا ﴿ثُمَّ عَمُوا
وَصَمُوا﴾ ثانياً ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ بدل من الضمير
﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾

٧٢ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ﴾ سبق مثله ﴿وقال﴾ لهم ﴿الْمَسِيحُ يَا
بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ فإني عبد
ولست ياله ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ في العبادة غيره
﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ منعه أن يدخلها
﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يمنعهم
من عذاب الله

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ
وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّدَيِّنَهُمَا عَمَّا
يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]

٧٣ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ﴾ آلهة
﴿ثَلَاثَةٌ﴾ أي أحدها والآخران عيسى وأمه وهم فرقة
من النصارى ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ
يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويوحدوا ﴿لَيَمَسَّنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي ثبتوا على الكفر ﴿مِنْهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾ مؤلم وهو النار

وَكَانُوا يَتَدَوَّنُ ﴿المائدة: ٧٨﴾

٧٨ ﴿لِعَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ بَانَ دَعَا عَلَيْهِمْ فَمَسَخُوا قَرْدَةً وَهُمْ أَصْحَابُ آيَلَةٍ ﴿وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ بَانَ دَعَا عَلَيْهِمْ فَمَسَخُوا خَنَازِيرَ وَهُمْ أَصْحَابُ الْمَائِدَةِ ﴿ذَلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿المائدة: ٧٩﴾

٧٩ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أَي لَا يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿عَنْ﴾ مَعَاوِدَةٍ ﴿مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فَعَلَهُمْ هَذَا

﴿تَكْرَى كَثِيرًا مِتَّهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿المائدة: ٨٠﴾

٨٠ ﴿تَكْرَى﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿كَثِيرًا مِتَّهُمْ يَتَوَلَّوْنَ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ بَغْضًا لَكَ﴾ ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ مِنَ الْعَمَلِ لِمَعَادِهِمُ الْمَوْجِبَ لَهُمْ ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِتَّهُمْ فَدَسِيقُونَ﴾ ﴿المائدة: ٨١﴾

٨١ ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ﴾ مُحَمَّدٌ ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾ أَي الْكُفَّارَ ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِتَّهُمْ فَاسِيقُونَ ﴿خَارِجُونَ عَنِ الْإِيمَانِ﴾ ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ وَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُكَ ذَلِكَ بَانَ مِتَّهُمْ قَيْسِيَّةً وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

٨٢ ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ مِنَ أَهْلِ مَكَّةَ لِتَضَاعَفَ كُفْرُهُمْ وَجَهْلُهُمْ وَإِنْهَاكُهُمْ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُكَ ذَلِكَ﴾ أَي قَرَبَ مَوَدَّتِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ

﴿بَانَ﴾ بِسَبَبِ أَنْ ﴿مِنْهُمْ قَيْسِيَّةً﴾ عُلَمَاءُ ﴿وَرُهْبَانًا﴾ عِبَادًا ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ كَمَا يَسْتَكْبِرُ الْيَهُودُ وَأَهْلُ مَكَّةَ نَزَلَتْ فِي وَفْدِ النَّجَاشِيِّ الْقَادِمِينَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَبَشَةِ قَرَأَ ﷺ سُورَةَ يَسَ فَبَكَوْا وَأَسْلَمُوا وَقَالُوا مَا أَشْبَهَ هَذَا بِمَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَى عِيسَى ^(١).

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمُ الرَّسُولَ رَبَّكَ أَتَيْنَهُمْ تَقِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ وَمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿المائدة: ٨٣﴾

٨٣ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمُ الرَّسُولَ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿تَنَزَّى﴾ أَعْيَنَتْهُمْ تَقِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ صَدَقْنَا بِنَبِيِّكَ وَكِتَابِكَ ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ الْمُقْرَبِينَ بِتَصَدِيقِهِمْ

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوَّامِ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿المائدة: ٨٤﴾

٨٤ ﴿و﴾ قَالُوا فِي جَوَابِ مَنْ عَيْرَهُمُ بِالْإِسْلَامِ مِنَ الْيَهُودِ ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ الْقُرْآنِ أَي لَا مَانِعَ لَنَا مِنَ الْإِيمَانِ مَعَ وَجُودِ مُقْتَضِيهِ ﴿وَنَطْمَعُ﴾ عَطَفَ عَلَى نُؤْمِنِ ﴿أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوَّامِ الصَّالِحِينَ﴾ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ

﴿فَأَنذَرَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

(١) أسباب نزول الآية ٨٢:

* أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسْبُوحِ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالُوا: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَ بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ، وَكُتِبَ مَعَهُ كِتَابًا إِلَى النَّجَاشِيِّ، فَقَدِمَ عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَقَرَأَ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ دَعَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالْمُهَاجِرِينَ مَعَهُ، وَأَرْسَلَ النَّجَاشِيَّ إِلَى الرَّهْبَانِ وَالْقَيْسِيَّةِ، ثُمَّ أَمَرَ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ مَرِيَمَ، فَأَمَنُوا بِالْقُرْآنِ وَفَاضَتْ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ، فَهَمَّ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.

* وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ قَالَ: بَعَثَ النَّجَاشِيَّ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ يَسَ فَبَكَوْا، فَنَزَلَتْ فِيهِمْ آيَةُ.

* وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ فِي النَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمُ الرَّسُولَ تَنَزَّى﴾ أَعْيَنَتْهُمْ تَقِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ.

* وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوَهُ أَبْطَلَهُ مِنْهُ.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٨]

٨٨ ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾

مفعول والجار والمجرور قبله حال متعلق به
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ

بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرْتُمْهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ

أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ

رَبْقَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةٌ

أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ

اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩]

٨٩ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي

أَيْمَانِكُمْ﴾ هو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد

الحلف كقول الإنسان: لا والله ، وبلى والله ،

﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد

وفي قراءة ﴿عاقدم﴾ ﴿الْأَيْمَانَ﴾ عليه بأن حلفتم

عن قصد ﴿فَكَفَّرْتُمْهُ﴾ أي اليمين إذا حنثتم فيه

﴿إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ لكل مسكين مد ﴿مِنْ

أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ﴾ منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ أي أقصده

وأغلبه لا أعلاه ولا أدناه ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ بما

يسمى كسوة كقميص وعمامة وإزار ولا يكفي دفع

ما ذكر إلى مسكين واحد وعليه الشافعي ﴿أَوْ

تَحْرِيرُ﴾ عتق ﴿رَبْقَةٍ﴾ أي مؤمنة كما في كفاية

القتل والظهار حملاً للمطلق على المقيد ﴿فَمَنْ لَمْ

يَجِدْ﴾ واحدا مما ذكر ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ كفارته

وظاهره أنه لا يشترط التتابع وعليه الشافعي

﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّارَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾

وحنثتم ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أن تنكثوها ما لم

تكن على فعل بر أو إصلاح بين الناس كما في

سورة البقرة ﴿كَذَلِكَ﴾ أي مثل ما بين لكم ما

ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ه على

ذلك

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا

بِغَيْرِهَا وَاللَّهُ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَدَبًا

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا

بِغَيْرِهَا وَاللَّهُ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَدَبًا

خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٥]

٨٥ قال تعالى: ﴿فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَابُ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ

الْمُحْسِنِينَ﴾ بالإيمان

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ

الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ٨٦]

٨٦ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ

أَصْحَابُ الْجَحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ

لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

٨٧ ونزل لما هم قوم من الصحابة أن يلازموا

الصوم والقيام، ولا يقربوا النساء والطيب ،

ولا يأكلوا اللحم ولا يناموا على الفراش ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ

وَلَا تَعْتَدُوا﴾ تتجاوزوا أمر الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ﴾ (١).

(١) أسباب نزول الآية ٨٧:

* روى الترمذي وغيره عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي

ﷺ، فقال: يا رسول الله إنني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء

وأخذتني شهوتي، فحرمت علي اللحم، فأبذل الله: «يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ، الآية.

* وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس: أن

رجالاً من الصحابة منهم عثمان بن مظعون حرّموا النساء

واللحم على أنفسهم، وأخذوا الشفار ليقطعوا مذاكيرهم، لكي

تقطع الشهوة عنهم ويتفرغوا للعبادة، فنزلت.

* وأخرج نحو ذلك من مرسل: عكرمة، وأبي قلابة،

ومجاهد، وأبي مالك، والنخعي، والشدي، وغيرهم.

* وفي رواية الشدي: أنهم كانوا عشرة، منهم: ابن

مظعون، وعلي بن أبي طالب.

* وفي رواية عكرمة منهم: ابن مظعون، وعلي، وابن

مسعود، والمقداد بن الأسود، وسالم مولى أبي حذيفة.

* وفي رواية مجاهد: منهم ابن مظعون وعبد الله بن عمر.

* وأخرج ابن عساکر في تاريخه من طريق الشدي

الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال:

نزلت هذه الآية في رطب من الصحابة منهم: أبو بكر، وعمر،

وعلي، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد بن الأسود،

وسالم مولى أبي حذيفة، توافقوا أن يجبروا أنفسهم، ويجتزلوا

النساء، ولا يأكلوا لحماً ولا دسماً، ويلبسوا المسوح، ولا يأكلوا

من الطعام إلا قوتاً، وأن يسبحوا في الأرض كهيئة الزهبان،

فنزلت.

وَالْبَعْضَاءُ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴿٩١﴾ إِذَا أُتِمْتُمُوهَا لَمَا يَحْصُلُ فِيهِمَا مِنَ الشَّرِّ وَالْفِتَنِ ﴿وَيَصُدُّكُمْ﴾ بِالِاسْتِغْثَالِ بِهِمَا ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ خَصْصًا بِالذِّكْرِ تَعْظِيمًا لَهَا ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ عَنْ إِتِنَانِهَا ، أَيِ انْتِهَائِهَا

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْتَدِرُوا فَإِنْ قَوَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا﴾
أَتَمَّا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلِّغِ الْمُبِينِ ﴿٩٢﴾

٩٢ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْتَدِرُوا﴾ الْمَعَاصِي ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عَنِ الطَّاعَةِ ﴿فَاعَلِمْنَا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلِّغِ الْمُبِينِ﴾ الْإِبْلَاحَ الْبَيْنَ وَجَزَاؤَكُمْ عَلَيْنَا

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

٩٣ ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بِمَعْنَى أَنَّهُ يُشِيهُم

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ يُتَوَّعُ مِنْ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤]

٩٤ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ﴾ لِيَحْتَبِرَنَّكُمْ ﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ﴾ يُرْسِلُهُ لَكُمْ ﴿مَنْ الصَّيْدِ تَنَالَهُ﴾ أَيِ الصَّغَارِ مِنْهُ ﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ الْكِبَارِ مِنْهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ بِالْحَدِيدِيَّةِ وَهُمْ مُحْرَمُونَ فَكَانَتِ الْوَحْشُ وَالطَّيْرِ تَغْشَاهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ عِلْمَ الظُّهُورِ ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ حَالِ أَيِّ غَائِبٍ لَمْ يَرَهُ فَيَجْتَنِبُ الصَّيْدَ ﴿فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ النَّهْيُ عَنْهُ فَاصْطَادَهُ ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِمَّنْكُمْ هَدْيًا بَلِغًا الْكَمْبَةَ أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامًا مُسْكِنِينَ أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا

﴿وَالْأَنْصَابِ﴾ الْأَصْنَامِ ﴿وَالْأَزْلَامِ﴾ قِدَاحِ الْاِسْتِقْسَامِ ﴿رِجْسٍ﴾ خَبِيثٍ مُسْتَقْدِرٍ ﴿مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانِ﴾ الَّذِي يَزِينُهُ ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أَيِ الرَّجْسِ الْمَعْبُورِ بِهِ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَنْ تَفْعَلُوهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ (١)

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]

٩١ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ

* وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ أَضَافَهُ ضَيْفًا مِنْ أَهْلِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَوَجَدَهُمْ لَمْ يُطْعَمُوا ضَيْفَهُ انْتِظَارًا لَهُ ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: حَبِسْتِ ضَيْفِي مِنْ أَجْلِي هُوَ حَرَامٌ عَلَيَّ ، فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: هُوَ عَلَيَّ حَرَامٌ ، فَقَالَ الضَّيْفُ: هُوَ عَلَيَّ حَرَامٌ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ وَضَعَ يَدَهُ وَقَالَ: كُلُوا بِاسْمِ اللَّهِ ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الْآيَةَ.

(١) أسباب نزول الآية ٩٠:
* رَوَى أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ ، وَيَأْكُلُونَ الْمَيْسِرَ ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْهَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ الْآيَةَ. فَقَالَ النَّاسُ: مَا مُحْرَمٌ عَلَيْنَا إِنَّمَا قَالَ: إِذْ تَمَّ كَيْبَرُ وَكَانُوا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ حَتَّى كَانَ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ صَلَّى رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، أُمَّ أَصْحَابِهِ فِي الْمَغْرِبِ فَخَلَطَ فِي قِرَاعَتِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةً أَشَدَّ مِنْهَا: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ ثُمَّ نَزَلَتْ آيَةٌ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾.

* قَالُوا: انْتَهَيْنَا رَبَّنَا ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَاسٌ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَاتُوا عَلَى فِرَاشِهِمْ ، وَكَانُوا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ ، وَيَأْكُلُونَ الْمَيْسِرَ ، وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ رَجْسًا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

* وَرَوَى النَّسَائِيُّ وَابْنُ أَبِي عَسَابٍ قَالَ: إِذْ نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ فِي قَبِيلَتَيْنِ مِنْ قِبَاثِلِ الْأَنْصَارِ شَرَبُوا ، فَلَمَّا أَنْ نِيلَ الْقَوْمُ عَيْثَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، فَلَمَّا صَحُوا جَعَلَ الرَّجُلُ يَرَى الْأَثَرَ فِي وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ ، يَقُولُ: صَنَعَ بِي هَذَا أَخِي فَلَانَ ، وَكَانُوا إِخْوَةً لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ضَغَائِنٌ ، يَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ بِي رُؤُوفًا رَحِيمًا مَا صَنَعَ بِي هَذَا حَتَّى وَقَعَتِ الضَّغَائِنُ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ الْآيَةَ.

* فَقَالَ نَاسٌ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ: هِيَ رِجْسٌ ، وَهِيَ فِي بَطْنِ فَلَانَ ، وَقَدْ قَتَلَ يَوْمَ أَحَدٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الْآيَةَ.

﴿مَا دُفِنْتُمْ حُرُومًا﴾ فلو صاده مُجِل فللمحرم أكله كما بينته السنة ﴿وَأْتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِيَتَذَكَّرَ اللَّهُ أُمَّةً لِيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧]

٩٧ ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ المحرم ﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ يقوم به أمر دينهم بالحج إليه وديانهم بأمن داخله وعدم التعرض له وجبي ثمرات كل شيء إليه وفي قراءة ﴿قِيَمًا﴾ بلا ألف مصدر قام غير معل ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بمعنى الأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة المحرم ورجب قياما لهم بأمنهم من القتال فيها ﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ قياما لهم بأمن صاحبهما من التعرض له ﴿ذَلِكَ﴾ الجعل المذكور ﴿لِيَتَذَكَّرُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فإن جعله ذلك لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]

٩٨ ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لأعدائه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٩٩]

٩٩ ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ لكم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون من العمل ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ تخفون منه فيجازيكم به.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]

١٠٠ ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ﴾ المحرم ﴿وَالطَّيِّبُ﴾ الحلال ﴿لَوْ أَعْجَبَكَ﴾ أي سرك ﴿كثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في تركه ﴿يَا أُولِي

سَلَفٍ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾

٩٥ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ محرمون بحج أو عمرة ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ﴾ بالتنوين ورفع ما بعده أي فعلية جزاء هو ﴿مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ أي شبهه في الخلقة وفي قراءة بإضافة جزاء ﴿يُحْكَمُ بِهِ﴾ أي بالمثل رجلان ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ لهم فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به وقد حكم ابن عباس وعمر وعلي رضي الله عنهم في النعامة ببينة وابن عباس وأبو عبيدة في بقر الوحش وحمارة ببقرة وابن عمر وابن عوف في الظبي بشاة وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام لأنه يشبهها في العب ﴿هَذَا بِأَنَّهَا﴾ حال من جزاء ﴿بِإِلَافٍ الْكَعْبَةَ﴾ أي يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز أن يذبح حيث كان ونصبه نعتا لما قبله وإن أضيف لأن إضافته لفظية لا تفيد تعريفا فإن لم يكن للصيد مثل من النعم كالصقور والجراد فعليه قيمته ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿كَفَّارَةٌ﴾ غير الجزاء وإن وجده هي ﴿طَعَامٌ مَسَاكِينَ﴾ من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء لكل مسكين مد ، وفي قراءة بإضافة كفارة لما بعده وهي للبيان ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿عَدْلٌ﴾ مثل ﴿ذَلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامًا﴾ يصومه عن كل مد يوم وإن وجده وجب ذلك عليه ﴿لِيَذُوقُوا وَيَذُوقُوا﴾ ثقل جزاء ﴿أَمْرِهِ﴾ الذي فعله ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفُوا﴾ من قتل الصيد قبل تحريمه ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إليه ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ ذو انتقام ﴿مَنْ عَصَاهُ ، وَالْحَقُّ بِقَتْلِهِ مَتَعَمِّدًا﴾ فيما ذكر الخطأ .

﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلنَّسَاءِ وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦]

٩٦ ﴿أَحِلَّ لَكُمْ﴾ أيها الناس جلا كنتم أو محرمين ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ أن تأكلوه وهو ما لا يعيش إلا فيه كالسمك بخلاف ما يعيش فيه وفي البر كالسرطان ﴿وَطَعَامُهُ﴾ ما يقذفه ميتا ﴿مَتَاعًا﴾ تمتعا ﴿لَكُمْ﴾ تأكلونه ﴿وَاللنَّسَاءِ﴾ المسافرين منكم يتزودونه ﴿وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ﴾ وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول أن تصيدوه

الْأَثَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١﴾ تفوزون .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّئَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ نَسَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلُ الْقُرْءَانُ بُدِّئَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

١٠١ ونزل لما أكثروا سؤاله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّئَ تَطْهَرُ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ لما فيها من المشقة ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلُ الْقُرْءَانُ﴾ في زمن النبي ﷺ ﴿تُبَدِّئَ لَكُمْ﴾ المعنى إذا سألتهم عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بإبدائها ومتى أبدأها سأءتكم فلا تسألوا عنها قد ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ عن مسألتكم فلا تعودوا ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا

كٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠٢]

١٠٢ ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ أي الأشياء ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ أنبياءهم فأجيبوا ببيان أحكامها ﴿ثُمَّ

(١) أسباب نزول الآية ١٠٠ :

* أخرج الواحدي والأصبهاني في الترغيب عن جابر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ تَحْرِيمَ الْخَمْرِ، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ رَجُلًا كَانَتْ هَذِهِ تِجَارَتِي فَاعْتَقِبْتَ مِنْهَا مَا لَا فَهْلَ يَنْفَعُ ذَلِكَ الْمَالَ إِنْ عَمِلْتَ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنْ اللَّهُ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَصَدِيقًا لِرَسُولِهِ ﷺ وَقُلَ لَا تَسْتَوِي الْحَبِيبُ وَالطَّيِّبُ» الآية.

(٢) أسباب نزول الآية (١٠١) :

* روى البخاري عن أنس بن مالك قال: خطب النبي ﷺ خطبة، فقال رجل: مَنْ أَبِي؟ قال: فلان، فنزلت هذه الآية: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ الآية.

* وروي أيضًا عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأُنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ حَتَّىٰ يُفْرَغَ مِنَّا مِنَ الْآيَةِ كُلِّهَا﴾.

* وأخرج ابن جرير مثله من حديث أبي هريرة.

* وروي أحمد والترمذي والحاكم عن علي قال: لما نزلت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ قالوا: يا رسول الله في كل عام؟ فسكت، قالوا: يا رسول الله في كل عام؟ قال: لا، ولو قلت: نعم لوجبت، فأُنزل الله: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّئَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾.

* وأخرج ابن جرير مثله من حديث: أبي هريرة، وأبي أمامة، وابن عباس.

* قال الحافظ ابن حجر: «لا مانع أن تكون نزلت في الأمرين، وحديث ابن عباس في ذلك أصح إسنادًا».

أَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿بِهَا كَافِرِينَ﴾ بتركهم العمل بها

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِغَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]

١٠٣ ﴿مَا جَعَلَ﴾ شرع ﴿مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِغَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلونه ، روى البخاري عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة التي يمنح درها للطواغيت فلا يحلها أحد من الناس ، والسائبة التي كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء ، والوصيلة الناقة البكر ت بكر في أول نتاج الإبل بأنثى ثم تشني بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بأخرى ليس بينها ذكر ، والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدودة فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من أن يحمل عليه شيء وسموه الحامي ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في ذلك وفي نسبته إليه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أن ذلك افتراء لأنهم قلدوا فيه آباءهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]

١٠٤ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ﴾ أي إلى حكمه من تحليل ما حرمتم ﴿قَالُوا حَسْبُنَا﴾ كافينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ من الدين والشريعة قال تعالى: ﴿إِنَّ حَسْبَهُمْ ذَلِكَ﴾ ﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسِكُمْ لَا يُضُرُّكُم مِّنْ ضَلَلٍ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَىٰ اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِيمَنِّيْتُمْ﴾ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥]

١٠٥ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي احفظوها وقوموا بصلاحها ﴿لَا يُضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَلٍ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل المراد لا يضركم من ضل من أهل الكتاب وقيل المراد غيرهم لحديث أبي ثعلبة الخشني: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «اتتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا

﴿فَإِنْ عُدَّ عَلَيَّ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَئِينَ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَيْهِمَا وَمَا آعْتَدْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

١٥٧ ﴿فَإِنْ عُدَّ﴾ اطلع بعد حلفهما ﴿عَلَيَّ﴾ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا أَي فعلا ما يوجهه من خيانة أو كذب في الشهادة بأن وجد عندهما مثلا ما اتهما به وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت أو أوصى لهما به ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ في توجه اليمين عليهما ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الوصية وهم الورثة ويبدل من آخران ﴿الْأُولَئِينَ﴾ بالميت أي الأقران إليه وفي قراءة ﴿الْأُولَئِينَ﴾ جمع أول صفة أو بدل من الذين ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ على خيانة الشاهدين ويقولان ﴿لَشَهِدْنَا﴾ يميننا ﴿أَحَقُّ﴾ أصدق ﴿مِنَ شَهِادَتَيْهِمَا﴾ يمينها ﴿وَمَا آعْتَدْنَا﴾ تجاوزنا الحق في اليمين ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ المعنى ليشهد المحتضر على وصيته اثنين أو يوصي إليهما من أهل دينه أو غيرهم إن فقدهم لسفر ونحوه فإن ارتاب الورثة فيهما فادعوا أنهما خانا بأخذ شيء أو دفعه إلى شخص زعما أن الميت أوصى له به فليحلفا إلى آخره فإن اطلع على أمارة تكذيبهما فادعيا دافعا له حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ما ادعوه والحكم ثابت في الوصيين منسوخ في الشاهدين وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة واعتبار صلاة العصر للتغليظ وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها وهي ما رواه البخاري أن رجلا من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي بن بدء أي وهما نصرانيان فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مَحْضُورًا بالذهب فرفعا إلى النبي ﷺ فنزلت

يجدوا، فأمرهم أن يستحلوه فحلف فأبى الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ قال: يرى الناس منها غيري وغير عدي بن بدء، وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام، فأبى الشام لتجارتهما، وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل ابن أبي مريم بتجارة ومعه جام من فضة، فعرض فأوصى به إليهما، وأمرهما أن يلبغا ما ترك أهله.

قال تميم: فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم، ثم اقتسمناه أنا وعدي بن بدء، فلما قدما إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا: ما ترك غير هذا وما دفع إلينا غيره فلما أسلمت تأثمت من ذلك فأبى أهله فخبرتهم الخبر ودفعت إليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها، فأتوا به رسول الله ﷺ فسألهم البيه فلم

مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك» رواه الحاكم وغيره ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةَ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ وَلَا نَشْتَرِي بِهِ سَمًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ [المائدة: ١٠٦]

١٥٦ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أسبابه ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ خبر بمعنى الأمر أي ليشهد ، وإضافة شهادة لـ «بين» على الاتساع ، وحين بدل من إذا أو ظرف لحضر ﴿أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي غير ملتكم ﴿إِنْ أَنتُمْ صَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مَصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا﴾ توقفونهما صفة آخران ﴿مِنَ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ أي صلاة العصر ﴿فَيَقْسِمَانِ﴾ يحلفان ﴿بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ شككتكم فيها ويقولان ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ بِاللَّهِ ثَمَنًا﴾ عوضا نأخذه بدله من الدنيا بأن نحلف به أو نشهد كذبا لأجله ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقسم له والمشهود له ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ قرابة منا ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ التي أمرنا بها ﴿إِنَّا إِذَا﴾ إن كتمناها ﴿لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ (١).

(١) أسباب نزول الآية ١٥٦:

* روى الترمذي وضعفه، وغيره، عن ابن عباس، عن تميم الداري في هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ قال: يرى الناس منها غيري وغير عدي بن بدء، وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام، فأبى الشام لتجارتهما، وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل ابن أبي مريم بتجارة ومعه جام من فضة، فعرض فأوصى به إليهما، وأمرهما أن يلبغا ما ترك أهله.

قال تميم: فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم، ثم اقتسمناه أنا وعدي بن بدء، فلما قدما إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا: ما ترك غير هذا وما دفع إلينا غيره فلما أسلمت تأثمت من ذلك فأبى أهله فخبرتهم الخبر ودفعت إليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها، فأتوا به رسول الله ﷺ فسألهم البيه فلم

فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتَمِرٌ ﴿١١٠﴾

١١٠ اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ اشكرها ﴿إِذْ أَيْدَتُكَ﴾ قويتك ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ حال من الكاف في أيدتك ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ أي طفلا ﴿وَكَهَلًا﴾ يفيد نزوله قبل الساعة لأنه رفع قبل الكهولة كما سبق في آل عمران ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ كَصُورَةٍ﴾ الطير ﴿والكاف اسم بمعنى مثل مفعول ﴿بِإِذْنِي فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ بيارادتي ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ أَخْرَجْنَا الْمُوتَىٰ﴾ من قبورهم أحياء ﴿بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ حين هموا يقتلك ﴿إِذْ جَعَلْنَاكَ مِنَ الْبَنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا﴾ الذي جئت به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وفي قراءة ﴿سَاحِرٌ﴾ أي عيسى

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَآمَنَّا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١]

١١١ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ﴾ أمرتهم على لسانه ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ عيسى ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ بك وبرسولك ﴿وَآمَنَّا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُولُوا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١١٢]

١١٢ اذكر ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ أي يفعل ﴿رَبُّكَ﴾ بالفقانية ونصب ما بعده أي تقدر أن تسأله ﴿أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ﴾ لهم عيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في اقتراح الآيات ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿قَالُوا رَبُّيذْ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَتَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونُ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾

١١٣ ﴿قَالُوا رَبُّيذْ﴾ سألها من أجل ﴿أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُنَا﴾ بزيادة اليقين ﴿وَتَعْلَمَ﴾ نرداد علما ﴿أَنْ﴾ مخفية أي أنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادعاء النبوة ﴿وَتَكُونُ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾

فأحلفهما ثم وجد الجام بمكة فقالوا ابتعناه من تميم وعدي فنزلت الآية الثانية فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا وفي رواية الترمذي فقام عمرو ابن العاص ورجل آخر منهم فحلفا وكان أقرب إليه، وفي رواية فمرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله فلما مات أخذوا الجام ودفعا إلى أهله ما بقي

﴿ذَلِكَ أَذَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِنَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ آيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ١٠٨]

١٠٨ ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور من رد اليمين على الورثة ﴿أَذَىٰ﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾ أي الشهود أو الأوصياء ﴿بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِنَا﴾ الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة ﴿أَوْ﴾ أقرب إلى أن ﴿يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ آيْمَانِهِمْ﴾ على الورثة المدعين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون ويفرغون فلا يكذبوا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك الخيانة والكذب ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته إلى سبيل الخير

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾

١٠٩ اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم توبيخا لقومهم ﴿مَاذَا﴾ أي الذي ﴿أُجِبْتُمْ﴾ به حين دعوتهم إلى التوحيد ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بذلك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ ما غاب عن العباد وذهب عنهم علمه لشدة هول يوم القيامة وفزعهم ثم يشهدون على أممهم لما يسكنون

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ أَخْرَجْنَا الْمُوتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جَعَلْنَاكَ مِنَ الْبَنَاتِ

الشَّاهِدِينَ ﴿

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤]

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا﴾ أي يوم نزولها ﴿عِيدًا﴾ نعظمه ونشرفه ﴿لأَوَّلِنَا﴾ بدل من لنا بإعادة الجار ﴿وآخِرِنَا﴾ لمن يأتي بعدنا ﴿وَآيَةً مِنْكَ﴾ على قدرتك ونبوتي ﴿وآرْزُقْنَا﴾ إياها ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُرْسِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾

﴿قَالَ اللَّهُ﴾ مستجيبا له ﴿إِنِّي مُرْسِلُهَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ﴾ أي نزولها ﴿مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ فنزلت الملائكة بها من السماء عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات فأكلوا منها حتى شبعا قاله ابن عباس وفي حديث أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً فأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لعدو فخانوا وادخروا فمسخوها قرده وخنازير

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْ لِلْهَيْبِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]

﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ﴾ أي يقول ﴿اللَّهُ﴾ لعيسى في القيامة توبيخاً لقومه ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْ لِلْهَيْبِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال عيسى وقد أُرعد ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك عما لا يليق بك من شريك وغيره ﴿مَا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ خبر ليس ، ولي للتبيين ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي ما تخفيه من معلوماتك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾.

﴿مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِدٌ﴾

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ وهو ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِدًا﴾ رقيباً أمنعهم مما يقولون ﴿مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ قبضتني بالرفع إلى السماء ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ الحفيظ لأعمالهم ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من قولي لهم وقولهم بعدي وغير ذلك ﴿شَهِدٌ﴾ مطلع عالم به

﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَلَا تَمُوتُوا وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]

﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ﴾ أي من أقام على الكفر منهم ﴿فَلَا تَمُوتُوا عِبَادُكَ﴾ وأنت مالكم تصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي لمن آمن منهم ﴿فَلَا تَمُوتُوا أَنْتَ الرَّحِيمُ الْحَكِيمُ﴾ في صنعه

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا﴾ أي يوم القيامة ﴿يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ في الدنيا كعيسى ﴿صِدْقُهُمْ﴾ لأنه يوم الجزاء ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بشوابه ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب

﴿يَلِلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]

﴿يَلِلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ أتى بما تغلبها لغير العاقل ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب.

* * *

سورة الأنعام

المكية إلا الآيات ٢٠ و ٢٣ و ٩١ و ٩٣ و ١١٤ و
١٤١ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ فمكية وآياتها ١٦٥

نزلت بعد الحجر

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾
١ ﴿الْحَمْدُ﴾ وهو الوصف بالجميل ثابت
﴿لِلَّهِ﴾ وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو
الثناء به أو هما احتمالات أفيدما الثالث قاله الشيخ
في سورة الكهف ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ﴾ خصهما بالذكر لأنها أعظم المخلوقات
لِلنَّاطِرِينَ ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ﴾ أي
كل ظلمة ونور وجمعها دونه لكثرة أسبابها وهذا
من دلائل وحدانيته ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مع قيام
هذا الدليل ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يسوون غيره في
العبادة

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ
مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢]

٢ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ بخلق أبيكم
آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ لكم تموتون عند انتهائه
﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مضروب ﴿عِنْدَهُ﴾ لبعثكم ﴿ثُمَّ
أَنْتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿تَمُرُونَ﴾ تشكون في البعث
بعد علمكم أنه ابتداء خلقكم ومن قدر على الابتداء
فهو على الإعادة أقدر

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ
وَيَعْلَمُ مَا تُكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣]

٣ ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ مستحق العبادة ﴿فِي السَّمَوَاتِ
وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ ما تسرون وما
تجهرون به بينكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُكْسِبُونَ﴾ تعملون
من خير وشر

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا
مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤]

٤ ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾ أي أهل مكة ﴿مِنْ﴾ صلة
﴿آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ من القرآن ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا﴾

مُعْرِضِينَ

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ٥]

٥ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ
فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ﴾ عواقب ﴿مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي
الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا
وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِيًا مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]

٦ ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ في أسفارهم إلى الشام ﴿كَمْ﴾
خيرية بمعنى كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾
أمة من الأمم الماضية ﴿مُكَّنَّاهُمْ﴾ أعطيناها مكانا
﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بالقوة والسعة ﴿مَا لَمْ يُمَكِّنْ﴾ نعط
﴿لَكُمْ﴾ فيه النفات عن الغيبة ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ
الْمَطَرَ﴾ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا ﴿مُتَابِعًا﴾ وجعلنا الأنهار
تجري من تحتهم ﴿تَحْتِ مَسَاكِنِهِمْ﴾ فأهلكناهم
بذُنُوبِهِمْ ﴿بِتَكْذِبِهِمُ الْأنبياء﴾ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ
قَرْنًا آخَرِينَ

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَابٍ فَلَسَوْهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧]

٧ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ مكتوبا ﴿فِي
قُرْطَابٍ﴾ رق كما اقترحوه ﴿فَلَسَوْهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾
أبلغ من عاينوه لأنه أنفى للشك ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ تعتنا وعنادا
﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَفُضِيَ الْأَمْرُ
ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: ٨]

٨ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على
محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يصدقه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ﴾
كما اقترحوا فلم يؤمنوا ﴿لَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ بهلاكهم
﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة كعادة
الله فيمن قبلهم من إهلاكهم عند وجود مقترحهم
إذا لم يؤمنوا

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ
مَا يَلْبَسُونَ﴾ [الأنعام: ٩]

١٤ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَعَزَّ اللَّهُ اتَّخَذُ لِنَا﴾ أعده ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ يرزق ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾ لا يرزق ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لله من هذه الأمة ﴿وَرَبِّ قِيلَ لِي﴾ لا تكونن من المشركين ﴿بِهِ﴾ ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

١٥ ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بعبادة غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة ﴿مَنْ يُصِرَّ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجِعَهُ وَذَلِكَ الْقَوْمُ الْأَمِيْنُ﴾ [الأنعام: ١٦]

١٦ ﴿مَنْ يُضِرْفُ﴾ بالبناء للمفعول أي العذاب وللفاعل أي الله والعائد محذوف ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجِعَهُ﴾ تعالى أي أراد له الخير ﴿وَذَلِكَ الْقَوْمُ الْأَمِيْنُ﴾ النجاة الظاهرة

﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

١٧ ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بلاء كمرض وفقر ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ﴾ كصحة وغنى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه مسك به ولا يقدر على رده عنك غيره

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾

١٨ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ القادر الذي لا يعجزه شيء مستعليا ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الْخَبِيرُ﴾ بيواطنهم كظواهرهم ﴿قُلْ أَمَّا شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَادَةً فَلَ اللَّهِ شَهِدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَهْلُكُمْ لِتَشْهَدُوا أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ آخَرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]

١٩ ونزل لما قالوا للنبي ﷺ: اثنا بمن يشهد لك بالنبوة فإن أهل الكتاب أنكروك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ تمييز محول عن المبتدأ ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره هو ﴿شَهِدْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ﴾ أخوفكم يا أهل مكة ﴿بِهِ﴾

٩ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي المنزل إليهم ﴿مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ﴾ أي الملك ﴿رَجُلًا﴾ أي على صورته ليمكنوا من رؤيته إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك لو أنزلناه وجعلناه رجلا ﴿وَلَلْبَشَانَا﴾ شبهنا ﴿عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ على أنفسهم بأن يقولوا ما هذا إلا بشر مثلكم

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ فَكَانَ بِالذِّمَنِ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾

١٠ ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِكُمْ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَقَّ﴾ نزل ﴿بِالذِّمَنِ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو العذاب فكذا يحق بمن استهزأ بك

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام: ١١]

١١ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ الرسل من هلاكهم بالعذاب ليعتبروا

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْزِيَكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَبَّ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

١٢ ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ قضى على نفسه ﴿الرَّحْمَةَ﴾ فضلا منه وفيه تلطيف في دعائهم إلى الإيمان ﴿لِيَجْزِيَكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿لَا رَبَّ إِلَّا هُوَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتعريضها للعذاب مبتدأ خبره ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

١٣ ﴿وَلَهُ﴾ تعالى ﴿مَا سَكَنَ﴾ حل ﴿فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي كل شيء فهو ربه وخالقه ومالكة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لما يقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يفعل

﴿قُلْ أَعَزَّ اللَّهُ اتَّخَذُ لِنَا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]

٢٤ قال تعالى: ﴿انظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿وَضَلَّ غَاب عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ه على الله من شركاء

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا فَلْيَسِّرْ وَلَا يَوْمُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُكَ بُجْدُلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

٢٥ ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أعطية لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿يَفْقَهُوهُ﴾ يفهموا القرآن ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً فلا يسمعونه سماع قبول ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا﴾ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُكَ بُجْدُلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم

﴿وَهُمْ يَتَهَوَّنَ عَنْهُ وَيَتَوَدَّعُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٦]

٢٦ ﴿وَهُمْ يَتَهَوَّنُونَ﴾ الناس ﴿عَنْهُ﴾ عن اتباع النبي ﷺ ﴿وَيَتَوَدَّعُونَ﴾ يتباعدون ﴿عَنْهُ﴾ فلا يؤمنون به ، وقيل نزلت في أبي طالب كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿يُهْلِكُونَ﴾ بالنأي عنه ﴿إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ دُعُوا عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

٢٧ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ وَقَفُوا﴾ عرضوا ﴿عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ برفع الفعلين استثنافاً ونصبهما في جواب التمني ورفع الأول ونصب الثاني وجواب لو رأيت أمراً عظيماً.

* روى الحاكم وغيره عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أبي طالب، كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ ويتباعد عما جاء به.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال قال: نزلت

وَمَنْ بَلَغَ ﴿عطف على ضمير أنذركم أي بلغه القرآن من الإنس والجن﴾ ﴿أَتَيْنَكُم لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ﴾ استفهام إنكار ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ بذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ معه من الأصنام (١).

﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلْكَتَبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠]

٢٠ ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلْكَتَبَ﴾ الكتاب يعرفونه ﴿أَي﴾ محمداً بنعته في كتابهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴿مِنْهُمْ﴾ فهم لا يؤمنون ﴿بِهِ﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]

٢١ ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ بذلك

﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سُرَّاكُمُ﴾ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢]

٢٢ ﴿وَو﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ توبيخاً ﴿إِنَّا سُرَّاكُمُ﴾ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿أَنَّهُمْ﴾ شركاء الله

﴿ثُمَّ لَر تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾

٢٣ ﴿ثُمَّ لَر تَكُنْ﴾ بالتاء والياء ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ بالنصب والرفع أي معذرتهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي قولهم ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا﴾ بالجر نعت والنصب نداء ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾

﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

٦- سورة الأنعام ، وهي مكية وآياتها خمس وستون ومائة

(١) أسباب نزول الآية ١٩ :

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: جاء النحام بن زيد وقرم بن كعب وبحري بن عمرو، فقالوا: يا محمد ما نعلم مع الله إلهاً غيره، فقال: لا إله إلا الله، بذلك بعثت، وإلى ذلك أذعر، فأنزل الله في قولهم: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ٢٦ :

﴿بَلْ بَدَأْتُمْ مَا كَانُوا يَحْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]

٢٨ قال تعالى ﴿بَلْ﴾ للإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني ﴿بَدَأَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ يكتُمون بقولهم ﴿وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ بشهادة ﴿جوارحهم﴾ فتمنوا ذلك ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ إلى الدنيا فرضا ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الشرك ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في وعدهم بالإيمان

﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

٢٩ ﴿وَقَالُوا﴾ أي منكرو البعث ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ أي الحياة ﴿وَلَا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَقُولُا عَلَنَ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠]

٣٠ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَقُولُا﴾ عرضوا ﴿عَلَى رَبِّهِمْ﴾ لرأيت أمرا عظيما ﴿قَالَ﴾ لهم على لسان الملائكة توبيخا ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ البعث والحساب ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ إنه لحق ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ به في الدنيا ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَيَّ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أوزارهم عَلَيَّ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾

٣١ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴿بِالْبَعثِ حَتَّى﴾ غاية للتكذيب ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتُنَا﴾ هي شدة التألم ونداؤها مجاز أي هذا أوانك فاحضري ﴿عَلَى مَا فَرَطْنَا﴾ قصرنا ﴿فِيهَا﴾ أي الدنيا ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أوزارهم عَلَيَّ ظُهُورِهِمْ﴾ بأن تأتيهم عند البعث في أقبح شيء صورة وأنتنه ريحا فتركبهم ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بس ﴿مَا يَزُرُونَ﴾ يحملونه حملهم ذلك.

٣٢ ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّ الَّذِينَ يُتَّقُونَ﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

٣٢ ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي الاشتغال بها ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ وأما الطاعة وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ لِّ الَّذِينَ يُتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء ذلك فيؤمنوا

﴿قَدْ نَعَلَمَ إِنَّهُ لِيَحْزَنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَبْتَئِنَ اللَّهُ بِجَحْدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]

٣٣ ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَعَلَمَ إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لِيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ لك من التكذيب ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ في السر لعلمهم أنك صادق وفي قراءة بالتخفيف أي لا ينسبونك إلى الكذب ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ وضعه موضع المضمر ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿بِجَحْدُونَ﴾ يكذبون^(١)

﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَيَّ مَا كَذَّبُوا وَأودُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]

٣٤ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَصَبَرُوا عَلَيَّ مَا كَذَّبُوا وَأودُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾ بإهلاك قومهم فاصبر حتى يأتيك النصر بإهلاك قومك ﴿وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ مواعيده ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ﴾ ما يسكن به قلبك .

٣٥ ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

٣٥ ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الإسلام لحرصك عليهم ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾ سربا ﴿فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا﴾ مصعدا ﴿فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ مما

* روى الترمذي والحاكم عن علي أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله فيهم: «فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون».

(١) أسباب نزول الآية ٥٢:

في عمومة النبي ﷺ ، وكانوا عشرة، فكانوا أشد الناس معه في العلانية، وأشد الناس عليه في السر.

(١) أسباب نزول الآية ٣٣:

إضلاله ﴿يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَأْ﴾ هدايته ﴿يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

٤٠ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ﴾ القيامة المشتملة عليه بغتة ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ لا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الأصنام تنفعكم فادعوها ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤١]

٤١ ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾ في الشدائد ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أن يكشفه عنكم من الضر ونحوه ﴿إِنْ شَاءَ﴾ كشفه ﴿وَتَنْسَوْنَ﴾ تتركون ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ معه من الأصنام فلا تدعونه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَاتَّخَذْتَهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرُّوْنَ﴾ [الأنعام: ٤٢]

٤٢ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن زَائِدَةٍ﴾ رسلًا فكذبوهم ﴿فَاتَّخَذْتَهُم بِالْبَأْسَاءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرُّوْنَ﴾ يتدللون فيؤمنوا

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

٤٣ ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا﴾ أي لم يفعلوا ذلك مع قيام المقضي له ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم تلن للإيمان ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي فأصروا عليها

﴿فَلَمَّا سَأَوْا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فُوحُوا بِمَاءٍ أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]

٤٤ ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ تركوا ﴿مَا دُكِّرُوا﴾ وعظوا وخوفوا ﴿بِهِ﴾ من البأساء والضراء فلم يتعظوا ﴿فَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ

افترحوا فاعل ، المعنى أنك لا تستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هدايتهم ﴿لَجَمَعْنَاهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا ﴿فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بذلك .

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]

٣٦ ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ دعاءك إلى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم واعتبار ﴿وَالْمَوْتَىٰ﴾ أي الكفار شبههم بهم في عدم السماع ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يردون فيجازيهم بأعمالهم .

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مَاءٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ مَاءً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٣٧ ﴿وَقَالُوا﴾ أي كفار مكة ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿عَلَيْنَا آيَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿آيَةً﴾ مما افترحوا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن نزلها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم إن جحدوها

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمٌّ أَتَاهُمْ مَّا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]

٣٨ ﴿وَمَا مِن زَائِدَةٍ﴾ دابَّةٍ ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ﴾ في الهواء ﴿بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمٌّ أَتَاهُمْ﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالهم ﴿مَّا قَرَّطْنَا﴾ تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مِنْ زَائِدَةٍ﴾ شيءٍ ﴿فَلَمْ نَكْتِبْهُ﴾ ثم إلى ربهم يُحْشَرُونَ فيقضي بينهم ويقص للجماء من القرناء ثم يقول لهم كونوا ترابا

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُورٌ وَبِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]

٣٩ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿صُورٌ﴾ عن سماعها سماع قبول ﴿وَبِكُمْ﴾ عن النطق بالحق ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَنْتَجِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

٥٠ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ التي منها يرزق ﴿وَلَا﴾ أني ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾ ما غاب عني ولم يوح إلي ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ من الملائكة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتَجِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ﴾ الكافر ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ المؤمن ؟ لا ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فتؤمنون

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا﴾ إني ربهم ليس لهم من دونه ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم

٥١ ﴿وَأَنْذِرْ﴾ خوف ﴿بِهِ﴾ أي القرآن ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أن يُحْشَرُوا إلى ربهم ليس لهم من دونه ﴿أي غيره﴾ وليي ﴿ينصرهم﴾ ولا شفيع ﴿يشفع لهم﴾ وحملة النفي حال من ضمير يحشروا وهي محل الخوف والمراد بهم المؤمنون العاصون ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الله ياقلاعهم عما هم فيه وعمل الطاعات.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ﴿[الأنعام: ٥٢]﴾

٥٢ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾ عبادتهم ﴿وَجْهَهُ﴾ تعالى لا شيئا من أعراض الدنيا وهم الفقراء وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه وأراد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك طمعا في إسلامهم ﴿وَمَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ زَانِدَةٍ﴾ شيء ﴿إِنْ كَانَ بَاطِنُهُمْ غَيْرَ مَرْضِي﴾ ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن فعلت (١).

(١) أسباب نزول الآية ٥٢ :

* روى ابن حبان، والحاكم، عن سعد بن أبي وقاص قال: لقد نزلت هذه الآية في ستة: أنا، وعبد الله بن مسعود، وأربعة قالوا الرسول الله ﷺ: اطردهم فإننا نستحي أن نكون تبعاً لك كهؤلاء. فوقع في نفس النبي ﷺ ما شاء الله، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾. * وروى أحمد والطبراني وابن أبي حاتم عن ابن مسعود

شيء من النعم استدراجاً لهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرَجُوا بِمَا أُوْتُوا﴾ فرح بطر ﴿أَخَذْنَاَهُمْ﴾ بالعداب ﴿بِعْتَةٍ﴾ فجاءه ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من كل خير

﴿فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]

٤٥ ﴿فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي آحرمهم بأن استوصلوا ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصر الرسل وإهلاك الكافرين

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نَصَرَفُ الْأَيْدِي ثُمَّ هُمْ يَصْدُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦]

٤٦ ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ أصمكم ﴿وَأَبْصَارَكُمْ﴾ أعماكم ﴿وَوَحَّتُمْ﴾ طبع ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ فلا تعرفون شيئا ﴿مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ بما أخذه منكم بزعمكم ﴿أَنْظَرُ كَيْفَ نَصَرَفُ﴾ نبين ﴿الآيَاتِ﴾ الدلالات على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدُقُونَ﴾ يعرضون عنها فلا يؤمنون

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً هَلَ بِهَذَا إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧]

٤٧ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً﴾ ليلاً أو نهاراً ﴿هَلَ بِهَذَا إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون أي ما يهلك إلا هم ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة

٤٨ ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَسْمِهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٩]

٤٩ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَسْمِهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يخرجون عن الطاعة .

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنْتُمْ مَنْ عَمِلْتُمْ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنزَلَ غُفُورًا رَجِيمًا﴾

٥٤ ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ﴾ لهم ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ﴾ قضى ﴿رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ﴾ أي الشأن ، وفي قراءة بالفتح بدل من الرحمة ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ منه حيث ارتكبه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ رجع ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد عمله منه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَأَنزَلَ﴾ أي الله ﴿غُفُورًا﴾ له ﴿رَجِيمًا﴾ به وفي قراءة بالفتح أي فالمغفرة له

﴿وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

٥٥ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نَفُصِّلُ﴾ نبين ﴿الآيَاتِ﴾ القرآن ليطهر الحق فيعمل به ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ تظهر ﴿سَبِيلَ﴾ طريق ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ فتجسب ، وفي قراءة بالتحانية وفي أخرى بالفوقانية ونصب سبيل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعَ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦]

٥٦ ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعَ أَهْوَاءَكُمْ﴾ في عبادتها ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ إن اتبعتها ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ أَلْحَمْتُمْ إِلَّا إِلَهُ يِقْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]

٥٧ ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِنْ رَبِّي وَ﴾ قد ﴿كَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ بربي حيث أشركتم ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ﴾ في ذلك وغيره ﴿إِلَّا إِلَهُ يِقْضُ﴾ القضاء ﴿الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ الحاكمين ، وفي قراءة ﴿يَقْضُ﴾ أي يقول.

* * *

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾

٥٣ ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي الشريف بالوضيع والغني بالفقير بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان ﴿لِيَقُولُوا﴾ أي الشرفاء والأغنياء منكرين ﴿أَهَؤُلَاءِ﴾ الفقراء ﴿مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ بالهداية أي لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ له فيهديهم ، بلى .

قال: مرّ الملائكة من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خطاب بن الأثرث، وصهيب، وبلال، وعمار، فقالوا: يا محمد أَرْضَيْتَ بهؤلاء، أهؤلاء مَنْ الله عليهم من بيننا، لو طردت هؤلاء لأتبعناك، فأنزل الله فيهم القرآن: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا﴾ إلى قوله: ﴿سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

* وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: جاء عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ومطعم بن عدي، والحارث بن نوفل في أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب فقالوا: لو أنَّ ابن أخيك يطرد عنه هؤلاء الأعداء كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا، وأدنى لاتباعنا إياه، فكلم أبو طالب النبي ﷺ، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون، فأنزل الله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ قال: وكانوا بلالاً، وعمار بن ياسر، وسالمًا مولى أبي حذيفة، وصبيحًا مولى أسيد، وابن مسعود، والمقداد بن عبد الله، وواقد بن عبد الله الخنظلي وأشباههم، فأقبل عمر فاعتذر من مقاله فنزل: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ الآية .

* وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن خباب قال: جاء الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، فوجدنا رسول الله ﷺ مع صهيب، وبلال، وعمار، وخباب قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حَقَرُوهم، فأتوه فخلوا به فقالوا: إنا نريد أن نجعل لنا منك مجلسًا نعرف لنا به العرب فضلنا، فإن فود العرب تأتيك فيستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعداء، فإذا نحن جفناك فأقمهم عتًا، فإذا نحن فرغنا فاقدم معهم إن شئت، قال: نعم، فنزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ الآية، ثم ذكر الأقرع وصاحبه، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ الآية. وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فنزل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ الآية.

* قال ابن كثير: (هذا حديث غريب، فإن الآية مكية، والأقرع وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر).

* وأخرج الفريابي وابن أبي حاتم عن ماهان قال: جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: إنا أصبنا ذنوبًا عظامًا فما ردَّ عليهم شيئًا، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ الآية.

الْأَرْوَاحِ ﴿وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾ يَقْصِرُونَ فِيمَا يُؤْمَرُونَ

٤

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ ۗ لَا لَهُ الْخَلْقُ وَهُوَ
أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]

٦٢ ﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾ أي الخلق ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ﴾
مالكهم ﴿الْحَقَّ﴾ الثابت العدل ليجازيهم ﴿أَلَا لَهُ
الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ فيهم ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ
الْحَاسِبِينَ﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف
نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَاكُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

٦٣ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿مَنْ يُنَجِّيكُمْ
مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ أهوالها في أسفاركم حين
﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا﴾ علانية ﴿وَخُفْيَةً﴾ سرًا تقولون
﴿لَيْسَ﴾ لام قسم ﴿أَنْجَاكُمْ﴾ وفي قراءة ﴿أَنْجَانًا﴾
أي الله ﴿مِنْ هَٰذِهِ﴾ الظلمات والشدائد ﴿لَتَكُونَنَّ
مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ المؤمنين .

﴿قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْكِرُونَ﴾

٦٤ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ﴾ بالتخفيف
والتشديد ﴿مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ غم سواها ﴿ثُمَّ
أَنْتُمْ مُشْكِرُونَ﴾ به

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ
مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُلَيِّقَ بَعْضَكُمْ بِأَسْ بَعْضٍ
إِنظُرْ كَيْفَ نَصَرَفَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾

٦٥ ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا
مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ من السماء كالحجارة والصيحة ﴿أَوْ
مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾ كالخسف ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾
يخلطكم ﴿شِيْعًا﴾ فرقا مختلفة الأهواء ﴿وَيُلَيِّقُ
بَعْضَكُمْ بِأَسْ بَعْضٍ﴾ بالقتال قال صلى الله عليه
وسلم لما نزلت : ﴿هذا أهون وأيسر﴾ ولما نزل ما
قبله : ﴿أعوذ بوجهك﴾ رواه البخاري .

وروى مسلم حديث ﴿سألت ربي ألا يجعل
بأس أمي بينهم فمنعنيها﴾ وفي حديث ﴿لما نزلت
قال أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعده﴾ انظر
كَيْفَ نَصَرَفَ ﴿نبيين لهم ﴿الآيَاتِ﴾ الدالات على
قدرتنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون أن ما هم عليه

﴿قُلْ لَوْ أَنَّنِي عِنْدِي مَا فَسْتَعْمِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٨]

٥٨ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَوْ أَنَّنِي عِنْدِي مَا فَسْتَعْمِلُونَ
بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بأن أعجله لكم
وأستريح ولكنه عند الله ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾
متى يعاقبهم

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۗ وَيَعْلَمُ مَا
فِي الْبُرُوجِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رِّزْقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا
وَلَا حَبْرٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي
كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]

٥٩ ﴿وعنده﴾ تعالى ﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ خزائنه
أو الطرق الموصلة إلى علمه ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾
وهي الخمسة التي في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ
السَّاعَةِ﴾ الآية كما رواه البخاري ﴿وَيَعْلَمُ مَا
يُحْدِثُ﴾ في البرِّ ﴿الْقَفَارِ﴾ والبخري القرى التي
على الأنهار ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رِّزْقِهِ إِلَّا
يَعْلَمُهَا وَلَا حَبْرٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا
يَابِسٌ﴾ عطف على ورقة ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾
هو اللوح المحفوظ والاستئناف بدل اشتغال من
الاستثناء قبله

﴿وَهُوَ الَّذِي يُتَوَكَّلُ عَلَىٰ يَأْتِيهِ لَيْلٌ مِّنَ اللَّيْلِ
ثُمَّ يَبْعَثُكُم فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ
مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

٦٠ ﴿وهو الذي يتوكل﴾ بالليل ﴿يقبض
أرواحكم عند النوم﴾ ويعلم ما جرحتم ﴿كسبتم
بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي النهار برد أرواحكم
﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ هو أجل الحياة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ
مَرْجِعُكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
فيجازيكم به

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ
إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾

٦١ ﴿وهو القاهر﴾ مستعليا ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ
ويُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ملائكة تحصى أعمالكم
﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾ وفي قراءة
﴿تَوَفَاهُ﴾ ﴿رُسُلُنَا﴾ الملائكة الموكلون بقبض

باطل (١).

﴿وَلَكِنْ عَلَيْهِمْ ذِكْرِي﴾ تذكرة لهم وموعظة
﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَاهُمْ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ يَمَّا
كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ
تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا
يَمَّا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا
كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٠]

٧٠ ﴿وَذَرِ﴾ اترك ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾
الذي كلفوه ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ باستهزائهم به ﴿وَعَرَاهُمْ﴾
الحياة الدنيا ﴿فلا تتعرض لهم وهذا قبل الأمر
بالقتال ﴿وَذَكَرَ﴾ عظ ﴿بِهِ﴾ بالقرآن الناس ﴿أَنْ﴾
لا ﴿تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ تسلم إلى الهلاك ﴿يَمَّا﴾
كسبت ﴿عملت﴾ ليس لها من دون الله ﴿أي﴾
غيره ﴿وليٌّ﴾ ناصر ﴿ولا شَفِيعٌ﴾ يمنع عنها
العذاب ﴿وان تعديل كل عدل﴾ تفد كل فداء ﴿لا﴾
يؤخذ منها ﴿ما تفدى به﴾ أولئك الذين أُبْسِلُوا يَمَّا
كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿ماء بالغ نهاية
الحرارة ﴿وعذاب أليم﴾ مؤلم ﴿يَمَّا﴾ كانوا
يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم .

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ
عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ
الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُمْ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى
الْهُدَىٰ آتَيْنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا
لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١]

٧١ ﴿قُلْ أَدْعُوا﴾ أعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنْفَعُنَا﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ بتركها وهو الأصنام
﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ نرجع مشركين ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا
اللَّهُ﴾ إلى الإسلام ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ﴾ أضلته
﴿الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا﴾ متحيرا لا يدري
أين يذهب حال من الهاء ﴿لَهُمْ أَصْحَابٌ﴾ رفقة
﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ﴾ أي ليهوده الطريق يقولون له
﴿آتِنَا﴾ فلا يجيبهم فيهلك والاستفهام للإنكار
وجملة التشبيه حال من ضمير نرد ﴿قُلْ إِنَّ هُدَىٰ
اللَّهُ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَىٰ﴾ وما عداه
ضلال ﴿وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ﴾ أي بأن نسلم ﴿لِرَبِّ﴾

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَنْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾
٦٦ ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ﴾
الحق ﴿الصدق﴾ قل ﴿لهم﴾ لست عليكم
بوكيل ﴿فأجازيكم إنما أنا منذر وأمركم إلى الله
وهذا قبل الأمر بالقتال

﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧]
٦٧ ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ خبر ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ وقت يقع فيه
ويستقر ومنه عذابكم ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد
لهم

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي مَائِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ
يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُبْسِتُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ
بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]

٦٨ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾
القرآن بالاستهزاء ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تجالسهم
﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا﴾ فيه إدغام
نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿يُبْسِتُكَ﴾ بسكون
النون والتخفيف وفتحها والتشديد ﴿الشَّيْطَانُ﴾
فقدعت معهم ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ﴾ أي تذكرة
﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع
المضمر

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ
وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٦٩]

٦٩ وقال المسلمون إن قمنا كلما خاضوا لم
نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف فنزل :
﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الله ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ أي
الخائضين ﴿مَنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ إذا جالسوهم

(١) أسباب نزول الآية ٦٥ :

* أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: لما نزلت:
﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ الآية،
قال رسول الله ﷺ: لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم
رقاب بعض بالسيف، قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله،
وأنت رسول الله. فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبدًا أن
يقتل بعضنا بعضًا ونحن مسلمون، فنزلت: ﴿انظُرْ كَيْفَ
نُصِرَفَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ
لَنْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

الْعَالَمِينَ .

﴿وَأَنْ أَيْمِنُوا الصَّلَاةَ وَأَتَقُوا وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٢]

٧٢ ﴿وَأَنْ﴾ أي بأن ﴿أَيْمِنُوا الصَّلَاةَ وَأَتَقُوا﴾ تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون يوم القيامة للحساب .

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلَيْكُمْ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْمَحْكُمْ الْخَيْرُ﴾

٧٣ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي محققا ﴿و﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ للشيء ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ هو يوم القيامة يقول للخلق قوموا فيقوموا ﴿قَوْلَهُ الْحَقُّ﴾ الصدق الواقع لا محالة ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الثانية من إسرافيل لا ملك فيه غيره ﴿لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شهود ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الْخَيْرُ﴾ بباطن الأشياء كظواهرها

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ مَا أَزْرَأْتَنِي تَعْبُدَ إِلَهَاتِي أَبْنَاءَ النَّاسِ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَأُتَوَسَّعُونَ فِي الْحَمْدِ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٧٤]

٧٤ واذكر ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُ جَاهِلًا لِلَّذِينَ اتَّخَذُوا صُلُوبًا آلِهَةً إِنْ يُرْسِلُ عَلَيْنَا سَحَابًا مَاءً غَافِقًا﴾ [الأنعام: ٧٥]

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]

٧٥ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما أريناه إضلال أبيه وقومه ﴿نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ ملك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليستدل به على وحدانيتنا ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ بها وجمله وكذلك وما بعدها اعتراض وعطف على قال

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأَبْجَبُ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]

٧٦ ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ أظلم ﴿عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ قيل هو الزهرة ﴿قَالَ﴾ لقومه وكانوا نجامين ﴿هَذَا رَبِّي﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَا أُجِبُ الْآفِلِينَ﴾ أن اتخذهم أربابا لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال لأنهما من شأن الحوادث فلم ينبج فيهم ذلك .

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾

٧٧ ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾ طالعا ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ﴾ قال لين لم يهديني ربِّي يشبني على الهدى ﴿لَا كُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ تعريض لقومه بأنهم على ضلال فلم ينبج فيهم ذلك .

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُغَوِّرُ إِلَهِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾

٧٨ ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا﴾ ذكره لتذكيره خبره ﴿رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ من الكواكب والقمر ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إني بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالله من الأصنام والأجرام المحدثه المحتاجة إلى محدث فقالوا له ما تعبد ؟

﴿إني وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]

٧٩ قال ﴿إني وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾ خلق ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي الله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلا إلى الدين القيم ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به

﴿وَسَاجِدٌ قَوْمُكَ قَالَ أَتَحْتَجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾

٨٠ ﴿وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ﴾ جادلوه في دينه وهددوه بالأصنام أن تصيبه بسوء إن تركها ﴿قَالَ أَتَحْتَجُونِي﴾ بتشديد النون وتخفيفها بحذف إحدى النون وهي نون الرفع عند النجاة ونون الوقاية عند القراءة أتجادلونني ﴿في﴾ وحدانية ﴿الله﴾ وقد

رَبِّكَ حَكِيمٌ ﴿١٨٤﴾ فِي صَنْعِهِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ
 ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا
 وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ
 وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤]

٨٤ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ابنيه
 ﴿كُلًّا﴾ منهما ﴿وَوَهَبْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي
 قبل إبراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي نوح ﴿وَدَاوُدَ
 وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ بن يعقوب
 ﴿وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم
 ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾
 ٨٥ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ﴾ ابنه ﴿وَعِيسَى﴾ ابن
 مريم يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وَالْيَاسَ﴾ ابن
 ابن هارون أخي موسى ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِنْ
 الصَّالِحِينَ﴾

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَرُوحًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا
 عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦]

٨٦ ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ بن إبراهيم ﴿وَالْيَسَعَ﴾ اللام
 زائدة ﴿وَيُوسُفَ وَرُوحًا﴾ بن هاران أخي إبراهيم
 ﴿وَكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ بالنبوة

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَهَدَيْنَاهُمْ
 إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧]

٨٧ ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ عطف
 على كلاً أو نوحاً ومن للتبغيض لأن بعضهم لم
 يكن له ولد وبعضهم كان في ولده كافر
 ﴿وَاجْتَنَبَيْنَاهُمْ﴾ اخترناهم ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ﴾

﴿ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ
 أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]

٨٨ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدين الذي هدوا إليه ﴿هُدَىٰ اللَّهِ
 يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ فرضاً
 ﴿لَحِطَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

* * *

هَذَانِ ﴿تَعَالَىٰ إِلَهِهَا﴾ ﴿وَلَا أَحَافُ مَا تُشْرِكُونَ﴾ هـ
 ﴿بِهِ﴾ من الأصنام أن تصيبي بسوء لعدم قدرتها
 على شيء ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ من
 المكره يصيبي فيكون ﴿وَيَسِعُ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ
 عِلْمًا﴾ أي وسع علمه كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾
 هذا فتؤمنوا .

﴿وَكَيفَ أَحَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ
 أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ
 الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

٨١ ﴿وَكَيفَ أَحَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ بالله وهي لا
 تضر ولا تنفع ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أَنَّكُمْ
 أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾ في العبادة ﴿مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ﴾ بعبادته
 ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهانا وهو القادر على
 كل شيء ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ نحن أم
 أنتم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من الأحق به أي وهو
 نحن فاتبعوه

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ
 الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]

٨٢ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾
 يخلطوا ﴿إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي شرك كما فسر بذلك
 في حديث الصحيحين ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ من
 العذاب ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (١)

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَٰنَ قَوْمِهِ نَرْفَعُ
 دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

٨٣ ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ ويبدل منه ﴿حُجَّتُنَا﴾ التي
 احتج بها إبراهيم على وحدانية الله من أقول
 الكوكب وما بعده والخبر ﴿آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾
 أرشدناه لها حجة ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن
 نَّشَاءُ﴾ بالإضافة والتنوين في العلم والحكمة ﴿إِنْ

(١) أسباب نزول الآية ٨٢:

* أخرج ابن أبي حاتم، عن عبيد الله بن زحر، عن بكر بن
 سودة، قال: حمل رجل من العدو على المسلمين فقتل رجلاً،
 ثم حمل فقتل آخر، ثم حمل فقتل آخر، ثم قال: أينفني
 الإسلام بعد هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، فضرب فرسه،
 فدخل فيه ثم حمل على أصحابه، فقتل رجلاً، ثم آخر، ثم
 قُتل قال: فيرون أن هذه الآية نزلت فيه: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ
 يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ» الآية.

﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾ باطلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾ (١).

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُوكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾

٩٢ ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُوكٌ
مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَلِتُنذِرَ﴾
بالتاء والياء عطف على معنى ما قبله أي أنزلناه
للسبب والتصدق ولتنذره ﴿وَأُمَّ الْقُرَى وَمَنْ
حَوْلَهَا﴾ أي أهل مكة وسائر الناس ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾
خوفا من عقابها

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ
وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ
تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا
أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَهُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ
الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ
آيَاتِنَا تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]

٩٣ ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بادعاء النبوة ولم ينبا ﴿أَوْ قَالَ
أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزلت في مسيلمة
﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وهم
المستهزئون قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿وَلَوْ
تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ المذكورون ﴿فِي
غَمَرَاتٍ﴾ سكرات ﴿الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا
أَيْدِيهِمْ﴾ إليهم بالضرب والتعذيب يقولون لهم
تعنيفا ﴿أَخْرَجُوا أَنفُسَهُمْ﴾ إلينا لنقبضها ﴿الْيَوْمَ

(١) أسباب نزول الآية ٩١: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد
ابن جبير قال: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف
فخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: أنشدك بالذي أنزل
التوراة على موسى هل تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر
السمين؟ (وكان حبرًا سمينًا) فغضب وقال: ما أنزل الله على
بشر من شيء، فقال له أصحابه: ويحك ولا على موسى؟
فأنزل الله: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية، مرسل.

* وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة. وتقدم حديث آخر
في سورة النساء.

* وأخرج ابن جرير من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس
قال: قالت اليهود: والله ما أنزل الله من السماء كتابًا،
فأنزلت.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْفِكَرَ وَالنُّبُوَّةَ فَاِنْ يَكْفُرْ
بِهَا هَوَآءًا فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾

٨٩ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى
الكتب ﴿وَالْحُكْمَ﴾ الحكمة ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَاِنْ يَكْفُرْ
بِهَا﴾ أي بهذه الثلاثة

﴿هَوَآءًا﴾ أي أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾
أرصدنا لها ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ هم
المهاجرون والأنصار

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ فَأَنَّهٗ قَدْ لَّا
أَسْتَأْذِنُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾
[الأنعام: ٩٠]

٩٠ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ﴾ هم ﴿اللَّهُ
فَيُهْدِيهِمْ﴾ طريقهم من التوحيد والصبر ﴿فَأَنَّهٗ
بِهَاءِ السَّكْتِ وَوَصَلًا وَفِي قِرَاءَةِ بِحَذْفِهَا وَصَلًا
﴿قُلْ﴾ لأهل مكة ﴿لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي القرآن
﴿أَجْرًا﴾ تعطوني به ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآن ﴿إِلَّا
ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ
مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا
وَهُدًى لِلنَّاسِ يُجْعَلُونَ قِرَاطِسَ يُتَدَوَّنَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا
وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنشُرْ وَلَا آتَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ نَزَّلَهُ
ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]

٩١ ﴿وَمَا قَدَرُوا﴾ أي اليهود ﴿اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ﴾
أي ما عظموه حق عظمتهم أو ما عرفوه حق معرفته
﴿إِذْ قَالُوا﴾ للنبي ﷺ ﴿وَقَدْ خَاصَمُوهُ فِي الْقُرْآنِ

﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ﴾ لهم
﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى
لِّلنَّاسِ تُجْعَلُونَ﴾ بالياء والتاء في المواضع الثلاثة
﴿قِرَاطِسَ﴾ أي يكتبونه في دفاتر مقطعة
﴿يُتَدَوَّنَهَا﴾ أي ما يحبون إبداءه منها ﴿وَيُخْفُونَ
كَثِيرًا﴾ مما فيها كتمت محمد ﷺ

﴿وَعَلِمْتُمْ﴾ أيها اليهود في القرآن ﴿مَا لَمْ
تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آتَاؤُكُمْ﴾ من التوراة بيان ما التبس
عليكم واختلفتم فيه

﴿قُلْ اللَّهُ﴾ أنزله إن لم يقولوه لا جواب غيره

﴿وَمُخْرِجِ الْمَيِّتِ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ الْحَيِّ ذِكْكُمْ﴾ الفالق المخرج ﴿اللَّهُ فَالَىٰ تَوْفَكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان

﴿فَالِقِ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]

٩٦ ﴿فَالِقِ الْإِصْبَاحِ﴾ مصدر بمعنى الصبح أي شاق عمود الصبح وهو أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ تسكن فيه الخلق من التعب ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ بالنصب عطفًا من محل الليل ﴿حُسْبَانًا﴾ حسابًا للأوقات أو الباء محذوفة وهو حال من مقدر أي يجريان بحسبان كما في آية الرحمن ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بخلقه

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

٩٧ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَجِدَةٍ فَمُسْتَوْذَعٌ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]

٩٨ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ هي آدم ﴿فَمُسْتَوْذَعٌ﴾ منكم في الرحم ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ منكم في الصلب ، وفي قراءة بفتح القاف أي مكان قرار لكم ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ما يقال لهم

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّيْحَانُ مِثْبَابًا وَعَبَّرَ مَثْنِيَةً أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَجْهَهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

٩٩ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِهِ﴾ بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ينبت ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي النبات شيئًا ﴿خَضِرًا﴾ بمعنى أخضر ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾

تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الهوان ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ على الله غير الحق ﴿بدعوى النبوة والإيحاء كذبا﴾ وكنتم عن آياته تستكبرون ﴿تتكبرون عن الإيمان بها وجواب لو رأيت أمرا فظيما﴾ (١).

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾

٩٤ ويقال لهم إذا بعثوا ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَىٰ﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي حفاة عراة غولًا ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ أعطيناكم من الأموال ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ في الدنيا بغير اختياركم ويقال لهم توبيخًا ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الْأَصْنَامُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أي في استحقاق عبادتكم ﴿شُرَكَاءُ﴾ لله ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ وصلكم ، أي تشتت جمعكم وفي قراءة بالنصب ظرف أي وصلكم بينكم ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ في الدنيا في شفاعتها (٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَاتِظِ يُخْرِجُ أَمْرًا مِنَ اللَّيْلِ وَيَخْرِجُ اللَّيْلَ مِنَ النَّوَاتِظِ فَالِقُ الْغَيْبِ مِنَ اللَّيْلِ فَالِقُ الْغَيْبِ مِنَ اللَّيْلِ﴾

٩٥ ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ﴾ شاق ﴿الغَيْبِ﴾ عن النبات ﴿وَالنَّوَاتِظِ﴾ عن البخل ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة

(١) أسباب نزول الآية ٩٣: أخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ قال: نزلت في مسيلمة، ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ بِمَثَلِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان يكتب للنبي ﷺ فيعلمي عليه عزيز حكيم، فيكتب غفور رحيم، ثم يقرأ عليه فيقول: نعم سواء، فرجع عن الإسلام ولحق بقریش.

* وأخرج عن الشدي نحوه وزاد، قال: إن كان محمَّد يوحى إليه فقد أوحى إليّ، وإن كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله، قال محمد: سميعًا عليما، فقلت أنا: عليما حكيما.

(٢) أسباب نزول الآية ٩٤: أخرج ابن جرير وغيره عن عكرمة قال: قال الضمر بن الحارث: سوف تشفع لي اللات والعزى، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿شُرَكَاءُ﴾.

١٠٣ ﴿لَا تُذِرْكُمُ الْأَبْصَارُ﴾ أي لا تراه وهذا مخصوص لرؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى ﴿وَجُودَ يُؤَيِّدُ تَاضِرَةً﴾ إلى رَبِّهَا نَاطِرَةً﴾ وحدث الشيخين «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» وقيل المراد لا تحيط به ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أي يراها ولا تراه ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر ولا يدركه أو يحيط به علما ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ بأوليائه ﴿الْخَبِيرُ﴾ بهم

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾

١٠٤ قل يا محمد لهم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ﴾ حجج ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ ها فامن ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ أبصر لأن ثواب إبطاره له ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنها فضل ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وبال إضلاله ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ رقيب لأعمالكم إنما أنا نذير

﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ أُولِي بُرْهَانٍ﴾
﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٥]

١٠٥ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾ نبيين ﴿الْآيَاتِ﴾ ليعتبروا ﴿وَلِيُقُولُوا﴾ أي الكفار في عاقبة الأمر ﴿وَدَرَسَتْ﴾ ذاكرت أهل الكتاب وفي قراءة «درست» أي كتب الماضين وحثت بهذا منها ﴿وَلِيُبَيِّنَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

﴿أَتَبِعَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]

١٠٦ ﴿أَتَبِعَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي القرآن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧]

١٠٧ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ فتجازيهم بأعمالهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فتجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالقتال

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلِمْتُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مُرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

من الخضر ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ يركب بعضه بعضا كسنايل الحنطة ونحوها ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ خبير ويبدل منه ﴿مِنْ طَلْعِهَا﴾ أول ما يخرج منها والمبتدأ ﴿فَتَنُونَ﴾ عراجين ﴿وَدَانِيَةً﴾ قريب بعضها من بعض ﴿وَوَاحِيًا﴾ أخرجنا به ﴿بِحَبَابٍ﴾ بساتين ﴿مِنْ أَغْنَابٍ﴾ والرَّيْثُونَ والرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا﴾ ورقهما حال ﴿وَعَجِزٍ مُتَشَابِهٍ﴾ ثمرها ﴿انظُرُوا﴾ يا مخاطبون نظر اعتبار ﴿إِلَى ثَمَرِهِ﴾ بفتح التاء والميم وبضمهما وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ أول ما يبدو كيف هو ﴿وَرَوْحًا﴾ إلى ﴿يَنْبُوعِهِ﴾ نضجه إذا أدرك كيف يعود ﴿إِنْ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين

﴿وَسَجَّوْا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَفَوْا لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَعْبُدْهُ وَهُمْ لِقَوْمٍ يُصَفُّونَ﴾

١٠٠ ﴿وَسَجَّوْا لِلَّهِ﴾ مفعول ثانٍ ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول أول ويبدل منه ﴿الْجِنَّ﴾ حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿وَوَاحِيًا﴾ قد ﴿خَلَقْتَهُمْ﴾ فكيف يكونون شركاء ﴿وَوَاحِيًا﴾ بالتخفيف والتشديد أي اختلفوا ﴿لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ حيث قالوا عزير ابن الله والملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها له ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصَفُّونَ﴾ بأن له ولدا

﴿يَدْعِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

١٠١ هو ﴿يَدْعِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعها من غير مثال سبق ﴿أَنِّي﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ ولم تكن له صاحبة ﴿زَوْجَةً﴾ وخلق كل شيء من شأنه أن يخلق ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

١٠٢ ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ﴾ وحدوه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حفيظ

﴿لَا تُذِرْكُمُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

١١١ ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ
الْمَوْتَىٰ ﴿كَمَا اقترحوا ﴿وَحَشَرْنَا ﴿جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ
كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا ﴿بضمين جمع قبيل أي فوجا فوجا
وبكسر القاف وفتح الباء أي معاينة فشهدوا
بصدقك ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴿لما سبق علم الله
﴿إِلَّا ﴿لكم ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿إيمانهم فيؤمنوا
﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿ذلك

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ
وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ ﴿

١١٢ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴿كما
جعلنا هؤلاء أعداءك وببديل منه ﴿شَيْطَانِينَ ﴿مردة
﴿الإنس والجن يوحى ﴿يوسوس ﴿بغضهم إلى
بعض زُخْرُفَ الْقَوْلِ ﴿مموهه من الباطل ﴿غُرُورًا ﴿
أي ليغروهم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴿أي الإيحاء
المذكور ﴿فَذَرْهُمْ ﴿دع الكفار ﴿وَمَا يَفْعَلُونَ ﴿من
الكفر غيره مما زين لهم وهذا ما قبل الأمر بالقتال.
﴿وَلِلصَّغَىٰ إِلَيْهِ أَقْبَدُهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿

١١٣ ﴿وَلِتَضَعِيَ ﴿عطف على غرورا أي تميل
﴿إِلَيْهِ ﴿أي الزخرف ﴿أَقْبَدُهُ ﴿قلوب ﴿الذين لا
يؤمنون بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا ﴿يكتسبوا ﴿وما
هم مُقْتَرِفُونَ ﴿من الذنوب فيعاقبوا عليه .
﴿أَفَعَيِّرَ اللَّهُ أَتْبَغَىٰ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ
الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ
مَنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿

١١٤ ونزل لما طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل
بينه وبينهم حكماً ، قل ﴿أَفَعَيِّرَ اللَّهُ أَتْبَغَىٰ ﴿أطلب
﴿حِكْمًا ﴿قاضيا بيني وبينكم ﴿وهو الذي أنزل
إليكم الكتاب ﴿القرآن ﴿مُفَصَّلًا ﴿مبيناً فيه الحق
من الباطل ﴿والذين آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴿التوراة كعبد
الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَنْزَلٌ ﴿
بالتخفيف والتشديد ﴿مَنْ رَّبُّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْمُعْتَرِينَ ﴿الشاكين فيه والمراد بذلك التقرير
للكفار أنه حق.

* * *

١٠٨ ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴿هم ﴿مِن
دُونِ اللَّهِ ﴿أي الأصنام ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا ﴿اعتداء
وظلما ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿أي جهلا منهم بالله
﴿كَذَلِكَ ﴿كما زيننا لهؤلاء ما هم عليه ﴿زَيْنًا لِّكُلِّ
أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ﴿من الخير والشر فاتوه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
مَرْجِعُهُمْ ﴿في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿
فيجازيهم به .

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا
بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا
جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿[الأنعام: ١٠٩]

١٠٩ ﴿وَأَقْسَمُوا ﴿أي كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ
أَيْمَانِهِمْ ﴿أي غاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِن جَاءَتْهُمْ
آيَةٌ ﴿مما اقترحوا ﴿لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ ﴿لهم ﴿إِنَّمَا
الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴿ينزلها كما يشاء وإنما أنا نذير
﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴿يدرركم بأيمانهم إذا جاءت أي
أنتم لا تدرون ذلك ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿
لما سبق في علمي ، وفي قراءة بالتاء خطابا للكفار
وفي أخرى بفتح أن بمعنى لعل أو معمولة لما قبل
﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿

١١٠ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ ﴿نحول قلوبهم عن
الحق فلا يفهمونه ﴿وَأَبْصَارَهُمْ ﴿عنه فلا يبصرونه
ولا يؤمنون ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ﴿أي بما أنزل من
الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ ﴿نتركهم ﴿في
طُغْيَانِهِمْ ﴿ضلالهم ﴿يعمَهُونَ ﴿يرددون متحيرين
﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿[الأنعام: ١١١]

(١) أسباب نزول الآية ١٠٨ : أخرج ابن جرير عن محمد
ابن كعب القرظي قال: كلم رسول الله ﷺ قريشا، فقالوا: يا
محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر،
وأن عيسى كان يحي الموتى، وأن نمود كانت لهم الناقة فأنتا
بشيء من الآيات حتى نصدقك ، فقال رسول الله ﷺ: أي
شيء تحبون أن آتيكم به؟ قالوا: تجعل لنا الصفا ذهبا، قال: فإن
فعلت تصدقوني؟ قالوا: نعم والله، فقام رسول الله يدعو،
فجاءه جبريل فقال له: إن شئت أصبح ذهبا، فلم يصدقوا عند
ذلك لتعذيبهم، وإن شئت فآتكمهم حتى يتوب تائبهم،
فأنزل الله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَجْهَلُونَ﴾.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتَيْهِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]

١١٥ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالأحكام
والمواعيد ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ تمييز ﴿لَا مُبَدَّلَ
لِكَلِمَاتِيهِ﴾ بنقص أو خلف ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما
يقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يفعل

﴿وَأَنْ تَطِيعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾

١١٦ ﴿وَأَنْ تَطِيعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي
الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿إِنْ﴾ ما
﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ في مجادلتهم لك في أمر
الميتة إذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم
﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمُ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك
﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٧]

١١٧ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿مَنْ
يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فيجازي كلا
منهم

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِيهِ
مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨]

١١٨ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي
ذبح على اسمه ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِيهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (١)

(١) أسباب نزول الآية ١١٨: روى أبو داود والثرمذي عن
ابن عباس قال: أتى ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله،
أناكل ما نقتل، ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزله الله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا
ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِيهِ مُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله تعالى:
﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

* وأخرج أبو داود، والحاكم، وغيرهما عن ابن عباس في قوله:
﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ قال: قالوا: ما
ذبح الله لا تأكلون، وما ذبحتم أنتم تأكلون؟ فأنزله الله الآية.

* وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال: لما نزلت:
﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أرسلت فارس إلى
قريش أن خصموا محمدًا فقولوا له: ما تذبح أنت بيدك
بسكين فهو حلال، وما ذبح الله بشمشار من ذهب - يعني
الميتة - فهو حرام؟ فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ
إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾، قال: الشياطين هم فارس، وأولياؤهم
قريش.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ
فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ
كَبِيرًا يُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩]

١١٩ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ
اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾ بالبناء
للمفعول وللفاعل في الفعلين ﴿لَكُمْ﴾ ما حَرَّمَ
عَلَيْكُمْ﴾ في آية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ ﴿إِلَّا مَا
اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ منه فهو أيضا حلال لكم المعنى لا
مانع لكم من أكل ما ذكر وقد بين لكم المحرم
أكله وهذا ليس منه ﴿وَإِنَّ كَبِيرًا يُضِلُّونَ﴾ بفتح
الياء وضمها ﴿بِأَهْوَاءِهِمْ﴾ بما تهواه أنفسهم من
تحليل الميتة وغيرها ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعتمدونه في
ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين
الحلال إلى الحرام

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِنِّمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ
الْإِنِّمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠]

١٢٠ ﴿وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿ظَاهِرَ الْإِنِّمِ وَبَاطِنَهُ﴾
علانيته وسره والإثم قبل الزنا .

وقيل كل معصية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنِّمَ
سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾
يكسبون

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ
وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكُمْ لِيُجَادِلُوكُمْ
وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]

١٢١ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ
عَلَيْهِ﴾ بأن مات أو ذبح على اسم غيره وإلا فما
ذبحه المسلم ولم يسم فيه عمدا أو نسيانا فهو
حلال قاله ابن عباس وعليه الشافعي .

﴿وَإِنَّهُ﴾ أي الأكل منه ﴿لَفِسْقٌ﴾ خروج عما
يحل ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾ يوسوسون ﴿إِلَى
أَوْلِيَائِهِمْ﴾ الكفار ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ في تحليل الميتة
﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾

﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي
بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ

يَعْمَلُونَ فِي السَّمَلَةِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ [الأنعام: ١٢٥]

١٢٥ ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ بأن يقدف في قلبه نورا فينفسح له ويقبله كما ورد في حديث ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ الله ﴿أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ بالتخفيف والتشديد عن قبوله ﴿حَرَجًا﴾ شديد الضيق بكسر الراء صفة وفتحها مصدر وصف فيه مبالغة ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَقُ﴾ وفي قراءة ﴿يَصَاعِدُ﴾ وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد وفي أخرى بسكونها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ إذا كلف الإيمان لشدته عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ العذاب أو الشيطان أي يسلطه ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٦]

١٢٦ ﴿وَهَذَا﴾ الذي أنت عليه يا محمد ﴿صِرَاطٌ﴾ مستقيم ﴿رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ لا عوج فيه ونصبه على الحال المؤكد للجملة والعامل فيها معنى الإشارة ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بينا ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظون وخصوا بالذكر لأنهم المتفهمون

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلْوِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَيْلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧]

١٢٧ ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ أي السلامة وهي الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَيْلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَنْعَشِرُ لِحِينٍ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨]

١٢٨ ﴿و﴾ اذكر ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون والياء أي الله الخلق ﴿جَمِيعًا﴾ ويقال لهم ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ باغوائكم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ﴾ الذين أطاعوهم ﴿مَنْ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ انتفع الإنس بتزيين الجن

بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ونزل في أبي جهل وغيره ﴿أَوْ مَنْ كَانَ

مِن تَابًا﴾ بالكفر ﴿فَأَخْبَيْنَاهُ﴾ بالهدى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ يتبصر به الحق من غيره وهو الإيمان ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ مثل زائدة أي كمن هو ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ وهو الكافر؟ لا ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زين للمؤمنين الإيمان ﴿زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي ^(١) .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ مَجْرِمِيهَا يَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

١٢٣ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا فساق مكة أكبرها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ مَجْرِمِيهَا لِيَتَفَكَّرُوا فِيهَا﴾ بالصد عن الإيمان ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لأن وباله عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مَا آوَتْ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤]

١٢٤ ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿آيَةٌ﴾ علي صدق النبي ﷺ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾ به ﴿حَتَّى نُؤْتَى مَا آوَتْ رُسُلُ اللَّهِ﴾ من الرسالة والوحي إلينا لأننا أكثر مالا وأكبر سنا قال تعالى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ بالجمع والإفراد، وحيث مفعول به لفعل دل عليه أعلم أي يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهؤلاء ليسوا أهلا لها ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بقولهم ذلك ﴿صَغَارٌ﴾ ذل ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ أي بسبب مكرهم

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا

(١) أسباب نزول الآية ١٢٢: أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس في قوله: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَخْبَيْنَاهُ﴾. قال: نزلت في عمر وأبي جهل. وأخرج ابن جرير عن الضحاك مثله.

يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ بالياء والتاء

﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْوِبِكُمْ
وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَدَلِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ
ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣]

١٣٣ ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه وعبادتهم
﴿ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبِكُمْ﴾ يا أهل مكة
بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَدَلِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ من
الخلق ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أذهبهم
ولكنه أبقاكم رحمة لكم

﴿إِنَّ مَا تُوَعَّدُونَ لِآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾

١٣٤ ﴿إِنَّ مَا تُوَعَّدُونَ﴾ من الساعة والعذاب
﴿لِآتٍ﴾ لا محالة ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين
عذابنا

﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥]

١٣٥ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ
مَكَانَتِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حالتي
﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ موصولة مفعول العلم
﴿تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي العاقبة المحمودة في
الدار الآخرة أنحن أم أنتم ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾ يسعد
﴿الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ
نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِغْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا
فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا
كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا
يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦]

١٣٦ ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي كفار مكة ﴿لِلَّهِ مِمَّا
ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ الْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ نصيباً
يصرفونه إلى الضيغان والمساكين ولشركائهم نصيباً
يصرفونه إلى سدنتها ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِغْمِهِمْ﴾
بالفتح والضم ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ فكانوا إذا سقط
في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه أو في
نصيبها شيء من نصيبه تركوه وقالوا إن الله غني
عن هذا كما قال تعالى ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا

لهم الشهوات والجن بطاعة الإنس لهم ﴿وَتَلَعْنَا
أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا﴾ وهو يوم القيامة وهذا تحسر
منهم ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم على لسان الملائكة ﴿التَّارُ
مَثْوَاكُمْ﴾ مأواكم ﴿وَخَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾
من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم فإنه
خارجها كما قال تعالى ﴿ثُمَّ إِنْ مَرَجَعْتُمْ إِلَى
الْحَجِيمِ﴾ وعن ابن عباس أنه فيمن علم الله أنهم
يؤمنون فما بمعنى من ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه
﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه

﴿وَكَذَلِكَ تَوَلَّىٰ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

١٣٩ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ لما متعنا عصاة الإنس
والجن بعضهم ببعض ﴿تَوَلَّىٰ﴾ من الولاية ﴿بَعْضُ
الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ أي على بعض ﴿بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي

﴿يَتَمَشَّرَ الْجِبُونَ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ
يُفَصِّحُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُزِدُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا
قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْتُمْ الْكَيْدَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا
عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠]

١٣٠ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ
مِّنْكُمْ﴾ أي من مجموعكم أي بعضكم الصادق
بالإنس أو رسل الجن نذرهم الذين يستمعون كلام
الرسل فيبلغون قومهم ﴿يُفَصِّحُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي
وَيُزِدُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ
أَنْفُسِنَا﴾ أن قد بلغنا قال تعالى ﴿وَغَرَّبْتُمْ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا﴾ فلم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ
كَانُوا كَافِرِينَ﴾

﴿ذَلِكَ أَنْ لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا
غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١]

١٣١ ﴿ذَلِكَ﴾ أي إرسال الرسل ﴿أَنْ﴾ اللام
مقدرة وهي مخففة أي لأنه ﴿لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ
الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منها ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ ألم يرسل
إليهم رسول يبين لهم

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ
عَمَّا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢]

١٣٢ ﴿وَلِكُلِّ﴾ من العاملين ﴿دَرَجَاتٍ﴾ جزء
﴿مِّمَّا عَمِلُوا﴾ من خير وشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا

وتذكيره ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ﴾ الله
 ﴿وَضَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ذلك بالتحليل والتحريم
 أي جزاءه ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه
 ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ
 وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفْرَاءَ عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا
 كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠]

١٤٠ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ بالتخفيف
 والتشديد ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ بالوآء ﴿سَفَهًا﴾ جهلا ﴿بِغَيْرِ
 عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ مما ذكر ﴿أَفْرَاءَ﴾ على
 الله قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ
 وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرُهُمُ وَالزُّيْتُونَ وَالرُّمَانَ
 مُتَشَكِّبًا وَغَيْرَ مُتَشَكِّبٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ
 وَمَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]

١٤١ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّاتٍ﴾
 بساتين ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ مبسوطات على الأرض
 كالبطيخ ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ بأن ارتفعت على ساق
 كالنخل ﴿وَالزُّيْتُونَ﴾ أنشأ ﴿النَّخْلَ وَالزُّيْتُونَ﴾ كالأكل
 ثمره وحبه في الهيئة والطعم ﴿وَالرُّمَانَ﴾ والرومان
 مُتَشَكِّبًا ورَقْمًا ، حال ﴿وَغَيْرَ مُتَشَكِّبٍ﴾ طعمهما
 ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ قبل النضج ﴿وَاتُوا
 حَقَّهُ﴾ زكاته ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ بالفتح والكسر من
 العشر أو نصفه ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بإعطاء كله
 فلا يبقى لعيالكم شيء ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾
 المتجاوزين ما أخذ لهم

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَرَشَاتٌ كُلُوا مِمَّا
 رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ
 عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: ١٤٢]

١٤٢ ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ﴾ صالحة
 للحمل عليها كالإبل الكبار ﴿وَرَشَاتٌ﴾ لا تصلح له

(١) أسباب نزول الآية ١٤١: أخرج ابن جرير عن أبي
 العالية قال: كانوا يعطون شيئا سوى الزكاة ثم تسارفوا، فنزلت
 هذه الآية.

* وأخرج عن ابن جرير أنها نزلت في ثابت بن قيس بن
 شماس جد نخلة، فأطعم حتى أمسى وليس له ثمرة

يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي لجهته ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهْوٌ يَصِلُ
 إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ﴾ بس ﴿مَا يَخْكُمُونَ﴾ حكمهم
 هذا .

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ
 أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرَدُّوهُمْ وَيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ
 دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا
 يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧]

١٣٧ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما زين لهم ما ذكر ﴿زَيْنٌ
 لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ﴾ بالوآء
 ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ من الجن بالرفع ، فاعل زَيْنٌ وفي
 قراءة بينائه للمفعول ورفع قتل ونصب الأولاد به
 وجر شركائهم باضافته وفيه الفصل بين المضاف
 والمضاف إليه بالمفعول ولا يضر وإضافة القتل إلى
 الشركاء لأمرهم به ﴿لِيُرَدُّوهُمْ﴾ يهلكوهم
 ﴿وَيَلْبَسُوا﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا
 فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَمْنَةٌ وَحَرْتُ جِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا
 مَنْ نَشَاءَ بِرِغْمِهِمْ وَأَنْفَمُ حَرَمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْفَمُ
 لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَفْرَاءَ عَلَيْهِمْ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا
 كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٨]

١٣٨ ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ جِجْرًا﴾ حرام
 ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ﴾ من خدمة الأوثان
 وغيرهم ﴿بِرِغْمِهِمْ﴾ أي لا حجة لهم فيه ﴿وَأَنْعَامٌ
 حَرَمَتْ ظُهُورُهَا﴾ فلا تركب كالسوايب والحوامي
 ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها
 بل يذكرون اسم أصنامهم ونسبوا ذلك إلى الله
 ﴿أَفْرَاءَ عَلَيْهِمْ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عليه

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ
 لِلذَّكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى الْأَرْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً
 فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ
 حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٣٩]

١٣٩ ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾
 المحرمة وهي السوايب والبحائر ﴿خَالِصَةٌ﴾ حلال
 ﴿لِلذَّكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى الْأَرْوَاجِنَا﴾ أي النساء ﴿وَإِنْ
 يَكُنْ مَيْتَةً﴾ بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل

١٤٥ ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ شَيْئًا مُمَرَّوًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْبِئَاءِ وَالنَّاءِ ﴿مَيْتَةً﴾ بِالنَّصْبِ وَفِي قِرَاءَةِ بِالرَّفْعِ مَعَ التَّحْتَانِيَةِ ﴿أَوْ دَمًا مُسْفُوحًا﴾ سَائِلًا بِخِلَافِ غَيْرِهِ كَالكَبِدِ وَالطَّحَالِ ﴿أَوْ لَحْمٍ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ حَرَامٌ ﴿أَوْ﴾ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ﴿فَنَسَقًا أَهْلَ لَيْعٍ لِلَّهِ بِهِ﴾ أَي ذَبَحَ عَلَى اسْمِ غَيْرِهِ ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا ذَكَرَ فَأَكَلَهُ ﴿غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ لَهُ مَا أَكَلَ ﴿رِجْسٌ﴾ بِهِ وَيَلْحَقُ بِمَا ذَكَرَ بِالسَّنَةِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ وَمَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَرَسِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾

١٤٦ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أَي الْيَهُودَ ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ وَهُوَ مَا لَمْ تَفْرُقْ أَصَابِعَهُ كَالْإِبِلِ وَالنَّعَامِ ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَرَسِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ الشُّرُوبَ وَشَحْمَ الْكَلْبِيِّ ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ أَي مَا عَلِقَ بِهَا مِنْهُ ﴿أَوْ﴾ حَمَلْتَهُ ﴿الْحَوَايَا﴾ الْأَمْعَاءُ جَمْعُ حَاوِيَاءٍ أَوْ حَاوِيَةٍ ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ مِنْهُ وَهُوَ شَحْمُ الْأَلْيَةِ فَإِنَّهُ أَحْلَى لَهُمْ ﴿ذَلِكَ﴾ التَّحْرِيمِ ﴿جَزَيْنَاهُمْ﴾ بِهِ ﴿بِبَعْضِهِمْ﴾ بِسَبَبِ طَلْعِهِمْ بِمَا سَبَقَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فِي أَخْبَارِنَا وَمَوَاعِيدِنَا .

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّيَ كَبُرَ دُونِ رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرَدُّ بِأَسْفُهِ عَنِ الْقَوْرِ الْمُجْرِمِينَ﴾

١٤٧ ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ فِيمَا جِئْتَ بِهِ ﴿فَقُلْ﴾ لَهُمْ ﴿رَبِّيَ كَبُرَ دُونِ رَحْمَةٍ وَسِعَتْ﴾ حَيْثُ لَمْ يَجِئْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ وَفِيهِ تَلَطُّفٌ بِدَعَائِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ ﴿وَلَا يُرَدُّ بِأَسْفُهِ﴾ عَذَابُهُ إِذَا جَاءَ ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَبَابُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَأَبُوا بِأَسْفُهِ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا قَهْرُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]

كَالْإِبِلِ الصَّغَارِ وَالغَنَمِ سَمِيَتْ فَرشًا لِأَنَّهَا كَالْفَرشِ لِلْأَرْضِ لَدُنُوهَا مِنْهَا ﴿كُلُّوْا مِنْهَا زَرْقَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ طَرَائِقُهُ مِنَ التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بَيْنَ الْعُدَاوَةِ

﴿تَمَيَّنِيَّةٌ أَرْوَجُ مِنْ الصَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ قُلْ وَاللَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإِنْسِيَيْنِ أَمَا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنْسِيَيْنِ نَبِيُونِي بِيَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣]

١٤٣ ﴿تَمَيَّنِيَّةٌ أَرْوَجُ﴾ أَصْنَافٌ بَدَلٌ مِنْ حَمُولَةٍ وَفَرشًا ﴿مِنَ الصَّانِ﴾ زَوْجِيْنِ ﴿الْإِنْسِيَيْنِ﴾ ذَكَرَ وَأُنْثَى ﴿وَمِنَ الْمَعْرِ﴾ بِالْفَتْحِ وَالسَّكُونِ ﴿الْإِنْسِيَيْنِ قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدٌ لِمَنْ حَرَّمَ ذِكُورَ الْأَنْعَامِ تَارَةً وَإِنَائِهَا أُخْرَى وَنَسَبَ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ ﴿الذَّكْرَيْنِ﴾ مِنَ الضَّانِّ وَالْمَعْرِ ﴿حَرَّمَ﴾ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴿أَمِ الْإِنْسِيَيْنِ﴾ مِنْهُمَا ﴿أَمَا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنْسِيَيْنِ﴾ ذَكَرَا كَانَ أَوْ أَنْثَى ﴿نَبِيُونِي بِيَعْلَمُ﴾ عَنِ كَيْفِيَّةِ تَحْرِيمِ ذَلِكَ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِيهِ ، الْمَعْنَى مِنْ أَيْنَ جَاءَ التَّحْرِيمِ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الذَّكُورَةِ فَجَمِيعُ الذَّكُورِ حَرَامٌ أَوْ الْأُنْثَى فَجَمِيعُ الْإِنَاثِ أَوْ اشْتِمَالُ الرَّحْمِ فَالزَّوْجَانِ فَمِنْ أَيْنَ التَّخْصِيصِ؟ وَالاسْتِفْهَامِ لِلْإِنْكَارِ

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ وَاللَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإِنْسِيَيْنِ أَمَا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنْسِيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

١٤٤ ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإِنْسِيَيْنِ أَمَا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنْسِيَيْنِ أَمْ﴾ بَلْ ﴿كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حُضُورًا ﴿إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا﴾ التَّحْرِيمِ فَاعْتَمَدْتُمْ ذَلِكَ لِأَنَّكُمْ كَادِبُونَ فِيهِ ﴿فَمَنْ﴾ أَي لَا أَحَدٌ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بِذَلِكَ ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُمَرَّوًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مُسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ نَسَقًا أَهْلَ لَيْعٍ لِلَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَقْبَلُونَ﴾ تديرون

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَفْلِ وَالْيَمَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْهَدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]

١٥٢ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهي ما فيه صلاحه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ بأن يحتلم ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَفْلِ وَالْيَمَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وترك البخس ﴿لَا تَكْلَفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها في ذلك فإن أخطأ في الكيل والوزن والله يعلم صحته نيته فلا مؤاخذه عليه ورد كما في حديث ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكم أو غيره ﴿فَاعْدُوا﴾ بالصدق ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ القول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ قرابة ﴿وَيَعْهَدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بالتشديد، تتعظون والسكون

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَنَفَّرَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

١٥٣ ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح على تقدير اللام والكسر استئنافا ﴿هَذَا﴾ الذي وصيتكم به ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ﴾ الطرق المخالفة له ﴿فَتَنَفَّرَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين تميل ﴿بِكُمْ﴾ عن سبيله ﴿دينه﴾ ذللكم ﴿وصاكم به لعلكم تتقون﴾

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾

١٥٤ ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة وثم لترتيب الأخبار ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ بالقيام به ﴿وتفصيلاً﴾ بيان ﴿لكل شيء﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وهدى ورحمة لعلهم﴾ أي بني إسرائيل ﴿يلقوا ربهم﴾ بالبعث ﴿يؤمنون﴾ ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم

١٤٨ ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ نحن ﴿ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء﴾ بإشراكنا وتحريمنا بمشيتته فهو راض به! قال تعالى ﴿كَذَلِكَ﴾ كما كذب هؤلاء ﴿كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ أَنَّ اللَّهَ رَاضٍ بِذَلِكَ﴾ ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ أي لا علم عندكم ﴿إن﴾ ما ﴿تتبعون﴾ في ذلك ﴿إلا الظن وإن﴾ ما ﴿أنتم إلا تخوضون﴾ تكذبون فيه .

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١٤٩ ﴿قُلْ﴾ إن لم يكن لكم حجة ﴿فليله الحجة البالغة﴾ التامة ﴿فلو شاء﴾ هدايتكم ﴿لهدايتكم أجمعين﴾

﴿قُلْ هَلَمْ شُهِدْكُمْ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَشَهِدُوا لِي بَشَاهِدٍ مِمَّنْ شَرَعْنَا لَهُمْ أَفَ يُكَذِّبُوكَ وَلَا يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٥٠]

١٥٠ ﴿قُلْ هَلَمْ﴾ أحضروا ﴿شُهِدْكُمْ﴾ شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا الذي حرمتهم ﴿فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم يربهم يعدلون﴾ يشركون .

﴿قُلْ تَكَلَّأْتُمْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُنْتُمْ عَلَىٰ كَيْفٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]

١٥١ ﴿قُلْ تَكَلَّأْتُمْ أَتْلُ﴾ أقرأ ﴿ما حرم ربكم عليكم﴾ ن مفسرة ﴿لا تشركوا به شيئاً﴾ أحسنوا ﴿بالوالدين إحساناً ولا تقفلا أولادكم﴾ بالوآباء ﴿من﴾ أجل ﴿إملاق﴾ فقر تخافونه ﴿تحنن﴾ نزلتكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش الكبائر كالزنا ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ أي علانياتها وسرها ﴿ولا تقفلا أنفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ كالقود وحد الردة ورجم المحصن ﴿ذلكم﴾ المذكور

في إيمانها خَيْرًا ﴿١٥٥﴾ طاعة أي لا تنفعا توبتها كما
في الحديث ﴿قُلْ انظُرُوا﴾ أحد هذه الأشياء ﴿إِنَّا
مُنْتَظِرُونَ﴾ ذلك

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَفَرُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ
إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

١٥٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَفَرُوا دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيه
فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وكانوا شيعًا﴾ فرقا
في ذلك ، وفي قراءة ﴿فارقوا﴾ أي تركوا دينهم
الذي أمروا به وهم اليهود والنصارى ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ
فِي شَيْءٍ﴾ أي فلا تتعرض لهم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى
اللَّهِ﴾ يتولاه ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم به ، وهذا منسوخ بآية السيف .

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ
فَلَا يَجْزِيهِ إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

١٦٠ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي لا إله إلا الله
﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي جزاء عشر حسنات ﴿وَمَنْ
جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾ أي جزاؤه ﴿وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من جزائهم شيئاً .

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَهُ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

١٦١ ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ﴾ ويبدل من محله ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ مستقيماً
﴿مِثْلَهُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]

١٦٢ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ عبادتي من
حج وغيره ﴿وَمَحْيَايَ﴾ حياتي ﴿وَمَمَاتِي﴾ موتي
﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿لَا شَرِيكَ لَّهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾

١٦٣ ﴿لَا شَرِيكَ لَّهُ﴾ في ذلك ﴿وَبِذَلِكَ﴾
أي التوحيد ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه
الأمّة .

﴿قُلْ اعْبُدُوا اللَّهَ أُنْبِيَ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ
كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَاجِلًا وَلَا زَرْءًا وَارِدًا وَذُرًّا أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ

تَرْحُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]

١٥٥ ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا
فَاتَّبِعُوهُ﴾ يا أهل مكة بالعمل بما فيه ﴿وَاتَّقُوا﴾
الكفر ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾

﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكُتُبَ عَلَيْنَا فَمَا نَكُنَّا
وَأَنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦]

١٥٦ أنزلناه ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تقولوا إنما أنزل
الكتاب على طائفتين﴾ اليهود والنصارى ﴿من قبلنا
وإن﴾ مخفية واسمها محذوف أي إنا ﴿كنا عن
دراستهم﴾ قراءتهم ﴿لغافلين﴾ لعدم معرفتنا لها إذ
ليست بلغتنا .

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ
فَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا

سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا
كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧]

١٥٧ ﴿أَوْ تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا
أهدى منهم﴾ لجودة أذهاننا ﴿فقد جاءكم بينة﴾
بيان ﴿من ربكم وهدى ورحمة﴾ لمن اتبعه
﴿فمن﴾ أي لا أحد ﴿أظلم ممن كذب آيات الله
وصدف﴾ أعرض ﴿عنها سنجري الذين يصدفون
عن آياتنا سوء العذاب﴾ أي أشده ﴿بما كانوا
يصدفون﴾

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ
يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ
نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي
إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]

١٥٨ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظر المكذبون
﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء ﴿الملائكة﴾ لقبض
أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي أمره بمعنى عذابه
﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أي علاماته الدالة على
الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وهي طلوع
الشمس من مغربها كما في حديث الصحيحين
﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾
الجملة صفة النفس ﴿أَوْ﴾ نفسا لم تكن ﴿كسبت

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ بالياء والتاء تتعظون ، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال وفي قراءة بسكونها، وما زائدة لتأكيد القلة .

﴿وَمَنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَعَجَاهَا بِأُسْتَايْنَتَا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]

٤ ﴿وَمَنْ قَرِيْبَةٍ﴾ خبرية مفعول ﴿مَنْ قَرِيْبَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أردنا إهلاكها ﴿فَعَجَاهَا بِأُسْتَايْنَتَا﴾ عذابنا ﴿بَيِّنَاتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ نائمون بالظهيرة ، والقيلولة استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم ، أي مرة جاءها ليلاً ومرة جاءها نهاراً

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْتَايْنَتَا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٥]

٥ ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ قولهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْتَايْنَتَا﴾ إلا أن قالوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿﴾

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾

٦ ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي الأمم عن إجابتهم الرسل وعملهم فيما بلغهم ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عن الإبلاغ

﴿فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَلَمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾

٧ ﴿فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَلَمٍ﴾ لنخبرهم عن علم بما فعلوه ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا .

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨]

٨ ﴿وَالْوَزْنُ﴾ للأعمال أو لصحائفها بميزان له لسان وكفتان كما ورد في الحديث كائن ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة ﴿الْحَقُّ﴾ العدل صفة الوزن ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالحسنات ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩]

٩ ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسيئات ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بتصويرها إلى النار ﴿بِمَا

رَبِّكُمْ تَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

١٦٤ ﴿قُلْ أَغْوَى اللَّهُ أَبْغِيَ رَبِّي﴾ إليها أي لا أطلب غيره ﴿وَهُوَ رَبُّ﴾ مالك ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ ولا تكسب كل نفس ﴿ذُنُوبًا﴾ إلا عليها ولا تترز ﴿تحمل نفس﴾ وازرة ﴿أئمة﴾ ووزر ﴿نفس﴾ أخرى ثم إلى ربكم مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]

١٦٥ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ جمع خليفة ، أي يخلف بعضهم بعضاً فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك ﴿لِيَتْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أعطاكم ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمؤمنين بهم .

٧ سورة الأعراف

مكية وآياتها ست ومائتان

﴿الْمَصِّ﴾

١ ﴿الْمَصِّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

٢ هذا ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿مِنْهُ﴾ أن تبلغه مخافة أن تكذب ﴿لِيُنذِرَ﴾ متعلق بأنزل أي للإنذار ﴿بِهِ وَذِكْرَى﴾ تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به .

﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]

٣ قل لهم ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ تتخذوا ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي الله أي غيره ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ تطيعونهم في معصيته تعالى

كأثنا بآياتنا يظلمون ﴿يجحدون﴾
 ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]

١٠ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ يا بني آدم ﴿فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا﴾ بالياء أسبابا تعيشون بها جمع معيشة ﴿قَلِيلًا مَا﴾ لتأكيد القلة ﴿تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١]

١١ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي أباكم آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي صورناه وأتمم في ظهره ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدوا تحية بالانحناء ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ أبا الجن كان بين الملائكة ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾
 ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾

١٢ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾
 ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣]

١٣ ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي من الجنة ، وقيل من السماوات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الدليلين
 ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤]

١٤ ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أخرني ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي الناس

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥]

١٥ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ وفي آية أخرى ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ أي يوم النفخة الأولى .
 ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّكُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

١٦ ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي﴾ أي بإغوائك لي ،

والباء للقسم وجوابه ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي لبني آدم ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي على الطريق الموصل إليك

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]

١٧ ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أي من كل جهة فأمنعهم عن سلوكه ، قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى. ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ مؤمنين

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُومًا مُنْحَرًا لَمَنْ يَمَعَكَ مِنْهُمْ لِأَمَلَانَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨]

١٨ ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُومًا﴾ بالهمزة معيبا أو ممقوتا ﴿مُنْحَرًا﴾ مبعدا عن الرحمة ﴿لَمَنْ يَمَعَكَ مِنْهُمْ﴾ من الناس واللام للابتداء أو موطئة للقسم وهو ﴿لِأَمَلَانَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي منك بذريتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفي الجملة معنى جزاء من الشرطية أي من تبعك أعذبه

﴿وَبَدَادُمْ أَصْحَابُ الْأَنْجَيْنِ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

١٩ ﴿قَالَ﴾ ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ وَالْجَنَّةَ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالمد ﴿وَالْجَنَّةَ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها وهي الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]

٢٠ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿لِيُبْدِيَ﴾ يظهر ﴿لَهُمَا مَا وُورِيَ﴾ فوعل من المواراة ﴿عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا﴾ كراهة ﴿أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ﴾ وقرئ بكسر اللام ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ أي وذلك لازم عن الأكل منها كما في آية أخرى ﴿هَلْ أَذُكُّ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكُ لِي﴾

يَتَلَىٰ.

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَئِنِ النَّاصِحِينَ﴾

٢١ ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي أقسم لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَئِنِ النَّاصِحِينَ﴾ في ذلك .

﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رِزْقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]

٢٢ ﴿فَدَلَّاهُمَا﴾ حطَّهما عن منزلتهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ أي أكل منها قبله وقبل الآخر وديره وسمي كل منها سواة لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ أخذوا يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ رِزْقِ الْجَنَّةِ﴾ ليستترا به ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين العداوة ، والاستفهام للتقرير

﴿قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]

٢٣ ﴿قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ بمعصيتنا ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

﴿قَالَ أَهَيْطُوا بِمَعْشَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا هُم بِأَرْضِكُمْ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف: ٢٤]

٢٤ ﴿قَالَ أَهَيْطُوا﴾ أي آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتهما ﴿بِمَعْشَرَ﴾ بعض الذرية ﴿بِإِعْضَادِ عَدُوٍّ﴾ من ظلم بعضهم بعضا ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي مكان استقرار ﴿وَمَتَاعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ تنقضي فيه أجالكم

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾

٢٥ ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي الأرض ﴿تَحْيَوْنَ﴾ وفيها تموتون ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ بالبعث بالبناء للفاعل والمفعول .

﴿يَبْنَوي بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤْوِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ الثَّقَوِي ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾

٢٦ ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ أي خلقناه لكم ﴿يُؤْوِي﴾ يستر ﴿سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا﴾ وهو ما يتجمل به من الثياب ﴿وَلِبَاسَ الثَّقَوِي﴾ العمل الصالح والسمت الحسن ، بالنصب عطف على لباسا والرفع مبتدأ خبره جملة ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيؤمنوا فيه التفات عن الخطاب

﴿يَبْنَوي بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْوِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا﴾ أي لا يفتنكم الشيطان كما أخرج آتواكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سؤءاتهما إنه يرثكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون [الأعراف: ٢٧]

٢٧ ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي لا تتبعوه ﴿كَمَا أَخْرَجَ آتَوَيْكُمْ﴾ بفتنته ﴿مَنْ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسًا لِيرْيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ حال ﴿عَنْهُمَا لِبَاسُهُمَا﴾ ليريهما سؤءاتهما إنه أي الشيطان يرثكم هو وقبيله جنوده ﴿مَنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ للطفافة أجسادهم أو عدم ألوانهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أعوانا وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ لَا تَأْمُرُوا بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨]

٢٨ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنهوا عنها ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا﴾ فاقنينا بهم ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أيضا ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه قال ، استفهام إنكار .

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾

٢٩ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَأَقِيمُوا﴾ معطوف على معنى بالقسط ، أي قال أقسطوا وأقيموا أو قبله فاقبلوا مقدرًا ﴿وَوُجُوهَكُمْ﴾ لله ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي أخلصوا له سجودكم ﴿وَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئا ﴿تَعُودُونَ﴾ أي يعيدكم أحياء يوم القيامة

بِهِ ﴿بِإِسْرَافِكَ﴾ سُلْطَانًا ﴿حِجَّةٌ﴾ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿مَنْ تَحْرِيْمٌ مَا لَمْ يَحْرَمْ وَغَيْرِهِ .
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الاعراف: ٣٤]

٣٤ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مَدَّةٌ ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عَنْهُ ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عَلَيْهِ .
﴿يَبْنِيْ عَادَ إِمَامًا يَبِيْتُنْكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنْبَغِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

٣٥ ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِسْمًا﴾ فِيهِ إِدْغَامٌ نُونٍ إِنْ الشَّرْطِيَّةُ فِي مَا الْمَزِيْدَةُ ﴿يَا بِيْتُنْكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى﴾ الشَّرْكَ ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عَمَلُهُ ﴿فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ .

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

٣٦ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ تَكْبِيرُوا ﴿عَنْهَا﴾ فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ﴾

٣٧ ﴿فَمَنْ﴾ أَي لَا أَحَدٌ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنِسْبَةِ الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ إِلَيْهِ ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ﴾ يَصِيبُهُمْ ﴿نَصِيبُهُمْ﴾ حِظُّهُمْ ﴿مِمَّنْ الْكِتَابِ﴾ مِمَّا كَتَبَ لَهُمْ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ مِنَ الرِّزْقِ وَالْأَجْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا﴾ أَي الْمَلَائِكَةُ ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا﴾ لَهُمْ تَيْكِيْتًا ﴿آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ تَعْبُدُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا﴾ غَابُوا ﴿عَنْهَا﴾ فَلَمْ نَرَهُمْ ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ عِنْدَ الْمَوْتِ ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْعِجَنِ وَالْأَنْبِيَاءِ فِي النَّارِ كَلِمًا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَمَنْتَ أَخْبَهَا حَتَّى إِذَا أَدْرَكُوا فِيهَا جَمِيْعًا قَالَتْ أَخْرِجْنَهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ رَبَّنَا هَذَا الَّذِي

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الاعراف: ٣٠]

٣٠ ﴿فَرِيقًا﴾ مِنْكُمْ ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي غَيْرِهِ ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾

﴿يَبْنِيْ عَادَ خُدُوًا زَيْنَتِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

٣١ ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ مَا يَسْتَرُ عَوْرَتِكُمْ ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ عِنْدَ الصَّلَاةِ وَالطَّوَافِ ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ مَا شِئْتُمْ ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١).

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

٣٢ ﴿قُلْ﴾ إِنْكَارًا عَلَيْهِمْ ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ مِنَ اللِّبَاسِ ﴿وَالطَّيِّبَاتِ﴾ الْمَسْتَلْذَاتِ ﴿مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بِالْإِسْتِحْقَاقِ وَإِنْ شَارَكَهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ ﴿خَالِصَةً﴾ خَاصَّةٌ بِهِمْ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ حَالِ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ نَبِيْنَهَا مِثْلَ ذَلِكَ التَّفْصِيْلِ ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يَتَدَبَّرُونَ فَإِنَّهُمْ الْمُنْتَفِعُونَ بِهَا .

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

٣٣ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ الْكِبَائِرُ كَالزَّنَا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أَي جَهْرًا وَسِرًّا ﴿وَالْإِثْمَ﴾ الْمَعْصِيَةَ ﴿وَالْبَغْيَ﴾ عَلَى النَّاسِ ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وَهُوَ الظُّلْمُ ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ

(١) أسباب نزول الآية ٣١: روى مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية وهي عريانة وعلى فرجها خرقة وهي تقول: فالיום يبدو بعضه أو كله وما بدأ منه فلا أجله فنزلت: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ونزلت: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ الْآيَاتِ.

أَسْأَلُونَا فَفَاتِنَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿الأعراف: ٣٨﴾

٣٨ ﴿قَالَ﴾ لهم تعالى يوم القيامة ﴿ادخلوا﴾ في ﴿جملة﴾ أمم قد دخلت من قبلكم من الجن والإنس في ﴿متعلق بادخلوا﴾ النار كلما دخلت ﴿النار﴾ أمة لعنت أختها التي قبلها لضلالها بها ﴿حتى إذا أداركها﴾ تلاحقوا ﴿فيها جميعا﴾ قالت أخراهنم ﴿وهم الأتباع﴾ الأولاهنم ﴿أي لأجلاتهم﴾ وهم المتبعون ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِنَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضعفا ﴿مِنَ النَّارِ﴾ قال تعالى ﴿لكل﴾ منكم ومنهم ﴿ضعف﴾ عذاب مضعف ﴿ولكن لا تعلمون﴾ بالياء والتاء ما لكل فريق .

﴿وَقَالَتِ أُولُنَّهُمْ لِأَخْرَجْنَاهُمْ مِمَّا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾

٣٩ ﴿وَقَالَتِ أُولَاهُنَّ لِأَخْرَأَهُنَّ مِمَّا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ لأنكم تكفرون بسبينا فنحن وأنتم سواء ، قال تعالى لهم ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠]

٤٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿عنها﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لا تفتح لهم﴾ أبواب السماء ﴿إذا عرج بأرواحهم إليها بعد الموت﴾ فيهبط بها إلى سبعين بخلاف المؤمن فتفتح له ويصعد بروحه إلى السماء السابعة كما ورد في حديث ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ ثقب الإبرة وهو غير ممكن فكذا دخولهم ﴿وكذلك﴾ الجزاء ﴿نجزى﴾ المجرمين ﴿بالكفر﴾ .

﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١]

٤١ ﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿ومِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أعطية من النار جمع غاشية وتوينة عوض من الياء المحذوفة ﴿وكذلك نجزي﴾ الظالمين ﴿

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

٤٢ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ ، وقوله ﴿لا نكلف نفسا إلا وسعها﴾ طاقتها من العمل اعتراض بينه وبين خبره وهو ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ .

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا لِمَ هُنَا لِمَ هُنَا لِمَ هُنَا وَمَا لَنَا لِهَذَا لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أُرِثْتُمْوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

٤٣ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ﴾ حقد كان بينهم في الدنيا ﴿تجري من تحته﴾ تحت قصورهم ﴿الأنهار﴾ وقالوا ﴿عند الاستقرار في منازلهم﴾ الحمد لله الذي هدانا لهذا العمل الذي هذا جزاؤه ﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ حذف جواب لولا دلالة ما قبله عليه ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن﴾ أو مفسرة في المواضع الخمسة ﴿تلكم الجنة أوريتموها بما كنتم تعملون﴾

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

٤٤ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ تقريرا أو تبكيئا ﴿أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب﴾ حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم كم ﴿ربكم﴾ من العذاب ﴿حقا قالوا نعم فأذن مؤذن﴾ نادى مناد ﴿بينهم﴾ بين الفريقين أسمعهم ﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾ .

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا

وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾

٤٥ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿ويبغونها عوجا﴾ أي يطلبون السبيل ﴿عوجا﴾ معوجا ﴿وهم بالآخرة كافرون﴾ .

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ

مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا
عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿الأعراف: ٥٠﴾

٥٠ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ
أَيُّضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من
الطعام ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا﴾ منعهما ﴿عَلَى
الْكَافِرِينَ﴾ .

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّبَتْهُمْ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ
يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾

٥١ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّبَتْهُمْ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾ نتركهم في النار
﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ بتركهم العمل له
﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ أي وكما جحدوا .

﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُم بِكُتُوبٍ فَاصْلَتَهُ عَلَيَّ هُدًى وَرَحْمَةً
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]

٥٢ ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُم﴾ أي أهل مكة ﴿بِكِتَابٍ﴾
قرآن ﴿فَصَلَّيْنَاهُ﴾ بيناه بالأخبار والوعد والوعد
﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال أي عالمين بما فصل فيه
﴿هُدًى﴾ حال من الهاء ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
به

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ
نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ مِنَّا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِن شُفَعَاءَ
فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

٥٣ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾
عاقبة ما فيه ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ هو يوم القيامة
﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ تركوا الإيمان به
﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ مِنَّا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِن شُفَعَاءَ
فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ﴾ هل ﴿نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ
الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحده الله ونترك الشرك فيقال
لهم لا ، قال تعالى ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ إذ
صاروا إلى الهلاك ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ﴾ ذهب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ﴾ من دعوى الشريك

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي
سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي السَّمَاءَ

وَنَادُوا أَحْسَبَ الْجَنَّةَ أَنَّ سَلَامًا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ
يَطْمَئِنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦]

٤٦ ﴿وَيَبِينَهُمَا﴾ أي أصحاب الجنة والنار
﴿جِجَابٍ﴾ حاجز ، قيل هو سور الأعراف ﴿وَعَلَى
الْأَعْرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿رِجَالٍ﴾ استوت
جسنتهم وسيئاتهم كما في الحديث ﴿يَعْرِفُونَ
كُلًّا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلامتهم
وهي بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين
لرؤيتهم لهم إذ موضعهم عال ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ
الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال تعالى ﴿لَمْ يَدْخُلُوها﴾
أي أصحاب الأعراف الجنة ﴿وَهُمْ يَطْمَئِنُونَ﴾ في
دخولها ، قال الحسن لم يطعمهم إلا لكرامة يريدوا
بهم وروى الحاكم عن حذيفة قال : «بينما هم
كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال قوموا ادخلوا الجنة
فقد غفرت لكم» .

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ لِقَاءَ أَحْسَبِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧]

٤٧ ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ أي أصحاب
الأعراف ﴿بِلِقَاءِ﴾ جهة ﴿أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا
لَا تَجْعَلْنَا﴾ في النار ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا
أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾

٤٨ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من
أصحاب النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ
عَنْكُمْ﴾ من النار ﴿جَمْعُكُمْ﴾ المال أو كثرتم
﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي واستكباركم عن
الإيمان ، ويقولون لهم مشيرين إلى ضعفاء
المسلمين

﴿أَهْوَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا
الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾

٤٩ ﴿أَهْوَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ
بِرَحْمَتِهِ﴾ قد قيل لهم ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ وقرئ ﴿أَدْخِلُوا﴾ بالبناء
للمفعول و ﴿دَخِلُوا﴾ فجملة النفي حال أي مقولا
لهم ذلك .

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَيُّضُوا عَلَيْنَا

﴿سَحَابًا نُّقَالًا﴾ بالمطر ﴿سُقْنَاهُ﴾ أي السحاب وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِيَلِدَ مَيْتًا﴾ لا نبات به أي لإحيائها ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلد ﴿الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بالماء ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ﴾ الإخراج ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لِنَعْلَمَكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنوا .

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ وَيَأْتِي رِبَّهٖ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾

٥٨ ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ العذب التراب ﴿يَخْرِجُ نَبَاتَهُ﴾ حسناً ﴿وَيَأْتِي رِبَّهٖ﴾ هذا مثل للمؤمن يسمع الموعدة فينتفع بها ﴿وَالَّذِي خَبثَ﴾ ترابه ﴿لَا يَخْرِجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ عسراً بمشقة وهذا مثل للكافر ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾ نسين ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ الله فيؤمنون .

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]

٥٩ ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ بالجر صفة لإله ، والرفع بدل من محله ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة .

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ٦٠ ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ﴾ في ضلالٍ مُّبِينٍ .

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦١]

٦١ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ هي أعم من الضلال فنفياً أبلغ من نفيه ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصِّحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢]

٦٢ ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصِّحُ﴾ أريد الخير ﴿لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا

يَطَّلِعُ حَيْثَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ اللَّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

٥٤ ﴿إِنَّ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء خلقهن في لمحة والعدل عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو في اللغة سرير الملك ، استواء يليق به ﴿يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ مخففاً ومشدداً أي يغطي كلا منهما بالآخر ﴿يَطَّلِعُ﴾ يطلب كل منهما الآخر طلباً ﴿حَيْثَا﴾ سريعاً ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ بالنصب عطفاً على السماوات والرفع مبتدأ خبره ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذلات ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بقدرته ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ جميعاً ﴿وَالْأَمْرُ﴾ كله ﴿تَبَارَكَ﴾ تعظيم ﴿اللَّهُ رَبُّ﴾ مالك ﴿الْعَالَمِينَ﴾ .

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٥٥ ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حال تذللًا ﴿وَخُفْيَةً﴾ سرا ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ في الدعاء بالتشدد ورفع الصوت .

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٥٦ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بيعت الرسل ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين ، وتذكير قريب المخبر به عن رحمة لإضافتها إلى الله .

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا نُّقَالًا سَقْنَهُ لِيَكُلَّ مَيْتًا فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لِنَعْلَمَنَّ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]

٥٧ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي متفرقة قدام المطر ، وفي قراءة بسكون الشين تخفيفاً وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدرأ وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أي مبشراً ومفرد الأولى نشور كرسول والأخيرة بشير ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ﴾ حملت الرياح

لا تَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ .

﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ
يُتَذَكَّرُ﴾ وَلَتَقُولُوا ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٣]

٦٣ ﴿﴾ كذبتم ﴿وَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾
موعظة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾
لِيُنذِرَكُمْ ﴿العذاب إن لم تؤمنوا﴾ ولتتقوا ﴿الله﴾
﴿ولعلكم ترحمون﴾ بها

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَجَبْتَنَّهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَعْرَفْنَا
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنْتُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾
[الأعراف: ٦٤]

٦٤ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَجَبْتَنَّهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من العرق
﴿فِي الْفُلِكِ﴾ السفينة ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾
بآياتنا ﴿بالطوفان﴾ ﴿إِنْتُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عن
الحق .

﴿وَالَّذِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّن
إِلَهِ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥]

٦٥ ﴿وَو﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ﴾ الأولى ﴿أَخَاهُمْ﴾
هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴿وحده﴾ ﴿مَا لَكُمْ مِّن﴾
إِلَهِ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿تخافونه فتؤمنون﴾ .

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ
فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

٦٦ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ
فِي سَفَاهَةٍ﴾ جهالة ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في
رسالتك .

﴿قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٧]

٦٧ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ
مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

﴿أَتَيْتُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾

٦٨ ﴿أَتَيْتُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ
أَمِينٌ﴾ مأمون على الرسالة .

﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ
يُتَذَكَّرُ﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ

هُوجٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩]

٦٩ ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ
عَلَىٰ﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ﴾
جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾
وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ﴿قوةً وطولاً وكان﴾
طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين ﴿فَأَذْكُرُوا آلَاءَ﴾
اللَّهِ ﴿نعمه﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون .

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآئِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ به من العذاب
﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قولك .

٧٠ ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ﴾ نترك
﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآئِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ به من العذاب
﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قولك .

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ
أَنْتَجِدُلُونِي فِتْ أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا
نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِّن
الْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ٧١]

٧١ ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وجب ﴿عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ﴾
رِجْسٌ ﴿عذاب﴾ وَعَصَبٌ أَنْتَجِدُلُونِي فِي أَسْمَاءِ
سَمَّيْتُمُوهَا ﴿أي سميتم بها﴾ ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ أصناما
تعبدونها ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي بعبادتها ﴿مِن﴾
سُلْطَانٍ ﴿حجة وبرهان﴾ ﴿فَانظُرُوا﴾ العذاب ﴿إِنِّي﴾
مَعَكُمْ مِّن الْمُنظَرِينَ ﴿ذلكم بتكذيبكم لي فأرسلت﴾
عليهم الريح العقيم .

﴿فَأَجَبْتَنَّهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾

٧٢ ﴿فَأَجَبْتَنَّهُ﴾ أي هوداً ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من
المؤمنين ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾ القوم ﴿الَّذِينَ﴾
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴿أي استأصلناهم﴾ ﴿وَمَا كَانُوا﴾
مُؤْمِنِينَ ﴿عطف على كذبوا﴾

﴿وَالَّذِي تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُمْ مِّن إِلَهِ غَيْرِهِ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا

يَصْلِحُ أَقْنَا بِمَا قَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾
 وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم
 فملوا ذلك ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ عقرها قدار [بن
 سالف] بأمرهم بأن قتلها بالسيف ﴿وَعَتَرُوا عَنْ أَمْرِ
 رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ اثْنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ به من العذاب
 على قتلها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾
 ٧٨ ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة من
 الأرض والسيحة من السماء ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
 جَائِعِينَ﴾ باركين على الركب ميتين .

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا رَبِّي
 وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَنصِحُونَ النَّاصِحِينَ﴾

٧٩ ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض صالح ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا
 قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا
 تَنصِحُونَ النَّاصِحِينَ﴾ .

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ
 بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠]
 ٨٠ ﴿وَلَوْطًا﴾ اذكر ﴿لَوْطًا﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ
 لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ أي أذبار الرجال ﴿مَا
 سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن .

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ
 أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١]

٨١ ﴿إِنَّكُمْ﴾ وفي قراءة ﴿أَنَّكُمْ﴾ بتحقيق
 الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال الألف بينهما علي
 الوجهين ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ
 أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِفُونَ﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام .

﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ
 مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطِهُرُونَ﴾

٨٢ ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا
 أَخْرِجُوهُمْ﴾ أي لوطاً وأتباعه ﴿مَنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ
 أَنَاسٌ يَبْطِهُرُونَ﴾ من أذبار الرجال .

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾
 ٨٣ ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ
 الْغَابِرِينَ﴾ الباقيين في العذاب .

تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءِ فَيَأْخُذْكُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]

٧٣ ﴿وَلَوْ﴾ أرسلنا ﴿إِلَى ثَمُودَ﴾ بترك الصرف ،
 مراداً به القبيلة ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اغْبُدُوا
 لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ معجزة
 ﴿مَنْ رُبُّكُمْ﴾ على صدقي ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ
 آيَةٌ﴾ حال عاملها معنى الإشارة وكانوا سألوه أن
 يخرجها لهم من صخرة عينوها ﴿تَنْزِرُهَا تَأْكُلُ فِي
 أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا﴾ بعقر أو ضرب ﴿بِسُوءِ
 فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ
 وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا
 وَتَنْجِسُونَ الْجِبَالَ بِيُوتًا فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا
 فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]

٧٤ ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ في الأرض
 ﴿مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ أسكنكم ﴿فِي الْأَرْضِ
 تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ تسكنونها في الصيف
 ﴿وَتَنْجِسُونَ الْجِبَالَ بِيُوتًا﴾ تسكنونها في الشتاء ،
 ونصبه علي الحال المقدره ﴿فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا
 تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ .

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ
 اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَقْلَمُونَ أَمْ أَنْتُمْ
 مَرْسَلُونَ مِنْ رَبِّي قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ
 مُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥]

٧٥ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾
 تكبروا عن الإيمان به ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ
 مِنْهُمْ﴾ أي من قومه بدل مما قبله بإعادة الجار
 ﴿أَتَقْلَمُونَ أَنْ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّي﴾ إليكم
 ﴿قَالُوا﴾ نعم ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ
 كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٦]

٧٦ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ
 كَافِرُونَ﴾ .

﴿دَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَرُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا

يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَنَا) وبينكم بإنهاء المحق وإهلاك المبطل ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم .

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨]

٨٨ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شَعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ﴾ ترجعن ﴿فِي مِلَّتِنَا﴾ ديننا ، وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد لأن شعيباً لم يكن في ملتهم قط وعلى نحوه أجاب ﴿قَالَ أَه﴾ نعود فيها ﴿وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ لها استفهام إنكار .

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذِ بَعَثْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾

٨٩ ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذِ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ ذلك فيخذلنا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي وسع علمه كل شيء ومنه حاله وحالكم ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا افْتَحَ﴾ احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ الحاكمين .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا لَتَكُونُنَّ إِذَا لَخَائِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٠]

٩٠ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿لَئِنِ﴾ لام قسم ﴿اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا لَتَكُونُنَّ إِذَا لَخَائِرُونَ﴾ .

﴿فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينِينَ﴾
٩١ ﴿فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾ باركين على الركب ميتين .

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَتَّقُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَائِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٢]

٩٢ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَانَ﴾

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]

٨٤ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ هو حجارة السجيل فأهلكتهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ .

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

٨٥ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿فَأَوْفُوا﴾ أتموا ﴿الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ ولا تبخسوا ﴿تَنْقُصُوا﴾ الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض ﴿بِالْكَفْرِ وَالْمِعَاصِي﴾ بغير إصلاحها ﴿بَعَثَ الرَّسُلَ﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مرادي الإيمان فبادروا إليه .

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦]

٨٦ ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ تخوفون الناس بأخذ ثيابهم أو المكس منهم ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ بتوعدكم إياه بالقتل ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ تطلبون الطريق ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ قبلكم بتكذيب رسلهم أي آخر أمرهم من الهلاك .

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمَرُوا فَأَصِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧]

٨٧ ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمَرُوا﴾ به ﴿فأصبروا حتى

٩٧ ﴿أَفَأَمِينٌ أَهْلُ الْقُرَى﴾ المكذبون ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيِّنَاتًا﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ غافلون عنه .

﴿أَوْ أَمِينٌ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضَحَى وَهُمْ يَلْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٨]

٩٨ ﴿أَوْ أَمِينٌ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضَحَى﴾ نهاراً ﴿وَهُمْ يَلْمَعُونَ﴾ .

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]

٩٩ ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ استدارجه إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُوبُوا الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِيهَا﴾ أن لو نشأ أصحابنام ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ وتطبع على قلوبهم ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠]

١٠٠ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ﴾ يتبين ﴿بِتَرْبُوتِ الْأَرْضِ﴾ بالسكنى ﴿مِن بَعْدِ﴾ هلاك ﴿أَهْلِهَا أَن﴾ فاعل مخففة واسمها محذوف أي أنه ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أصبنا من قبلهم والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ والفاء والواو الداخلة عليهما للعطف وفي قراءة بسكون الواو في الموضع الأول عطفاً بأو ﴿وَو﴾ نحن ﴿تَطْبِيعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الموعظة سماع تدبر .

﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِهَا وَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا﴾ من قبل ﴿كَذَلِكَ يَطْبِيعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾

١٠١ ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ التي مر ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِن أَنبَاءِهَا﴾ أخبار أهلها ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا﴾ كفروا به ﴿مِن قَبْلِ﴾ قبل مجيئهم بل استمروا على الكفر ﴿كَذَلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبِيعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ .

* * *

مخففة واسمها محذوف أي كأنهم ﴿لَمْ يَغْتُوا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في ديارهم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شَعِينًا﴾ كانوا هم الخاسرين ﴿التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق .

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَ قَوْمٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي ربي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأَ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾

٩٣ ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي ربي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيْفَ آسَأَ﴾ أحنن ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ استفهام بمعنى النفي .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّوْنَ﴾ [الأعراف: ٩٤]

٩٤ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فكذبوه ﴿إِلَّا أَخَذْنَا﴾ عاقبنا ﴿أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّوْنَ﴾ يتدللون فيؤمنوا .

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٥]

٩٥ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿الْحَسَنَةَ﴾ الغنى والصحة ﴿حَتَّى عَفَوْا﴾ كثروا ﴿وَقَالُوا﴾ كفراً للنعمة ﴿قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ كما مسنا وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله فكرونا على ما أنتم عليه قال تعالى ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئه قبله .

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]

٩٦ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى﴾ المكذبين ﴿آمَنُوا﴾ بالله ورسولهم ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿وَلَكِن كَذَّبُوا﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ﴾ عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

﴿أَفَأَمِينٌ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا يَبِتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]

١٠٢ ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ أي الناس ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ أي وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق ﴿وَإِن﴾ مخفية ﴿وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾

١٠٣ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي الرسل المذكورين ﴿مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ التسع ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ قومه ﴿فَظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴿بِالْكَفْرِ مِنْ إِهْلَاكِهِمْ﴾ .

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٠٤ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليك فكذبه فقال: أنا .

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

١٠٥ ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَىٰ أَنْ﴾ أي بأن ﴿لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ وفي قراءة بتشديد الياء فحقيق مبتدأ خبره أن وما بعدها ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ﴾ إلى الشام ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وكان استعبدهم

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٦]

١٠٦ ﴿قَالَ﴾ فرعون له ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيها .

﴿قَالَ لَنْ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَانِ تَمِيمٌ﴾

١٠٧ ﴿قَالَ لَنْ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَانِ تَمِيمٌ﴾ حية عظيمة

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾

١٠٨ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّاطِرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة .

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾

١٠٩ ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فائق في علم السحر وفي الشعراء أنه من قول فرعون نفسه فكانهم قالوه معه على سبيل التشاور .

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَأَمَّا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٠]

١١٠ ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَأَمَّا تَأْمُرُونَ﴾

﴿قَالُوا أَزِجُهُ وَآخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾

١١١ ﴿قَالُوا أَزِجُهُ وَآخَاهُ﴾ أخر أمرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ جامعين

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٢]

١١٢ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾ وفي قراءة ﴿سحار﴾ ﴿عَلِيمٍ﴾ يفضل موسى في علم السحر فجمعوا .

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣]

١١٣ ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ .

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾

١١٤ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾

﴿قَالُوا يَلْمُوزُوكَ إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥]

١١٥ ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ﴾ عصاك ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ ما معنا .

﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَبُوا أَعْيُنَ النَّاسِ

وَأَسْرَهُوهُمْ وَجَاءَهُمْ سِحْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: ١١٦]

١١٦ ﴿قَالَ أَلْقُوا﴾ أمر للإذن بتقديم إلقائهم توصلًا به إلى إظهار الحق ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ حبالهم وعصيهم ﴿سَحَبُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿وَأَسْرَهُوهُمْ﴾ خوفوهم حيث

١٢٥ ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾ راجعون في الآخرة .

﴿وَمَا نُنْقِمُ مِنَّا إِلَّا آتٍ مَّامِنًا يَأْتِيَت رِبَّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّأْنَا مُسْلِمِينَ﴾

١٢٦ ﴿وَمَا نُنْقِمُ﴾ تنكر ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ أَمَّنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ عند فعل ما توعدنا به لئلا نرجع كفاراً ﴿وَتَوَقَّأْنَا مُسْلِمِينَ﴾ .

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُؤُا مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْهَيْكَلُ قَالَ سَتَقْبَلُونَ أَتَاءَهُمْ وَسَتَسْتَعِينَهُمْ إِنَّا نَافِقُهُمْ فَهَرُونَ﴾
[الأعراف: ١٢٧]

١٢٧ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿أَتَدْرُؤُا﴾ ترك ﴿مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿وَيَذُرْكُمُ الْهَيْكَلُ﴾ وكان صنع لهم أصناماً صغيراً يعبدونها وقال أنا ربكم وربها ولذا قال أنا ربكم الأعلى ﴿قَالَ سَتَقْبَلُونَ﴾ بالتشديد ﴿أَتَاءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَسَتَسْتَعِينَهُمْ﴾ نستعيني ﴿بِنِسَاءِهِمْ﴾ كفعلنا بهم من قبل ﴿وَأَنَا فَوَقَّهُمْ قَاهِرُونَ﴾ قادرون ، فعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل .

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]

١٢٨ ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ على أذاهم ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله .

﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَسَخِّلْ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾

١٢٩ ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَسَخِّلْ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها .

خيلوها حيات تسمى ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْكُفُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧]

١١٧ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل تبتلع ﴿مَا يَأْكُفُونَ﴾ يقبلون بتمويههم .

﴿فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

١١٨ ﴿فَوَقَّعَ الْحَقُّ﴾ ثبت وظهر ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من السحر .

﴿فَقُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٩]

١١٩ ﴿فَقُلِبُوا﴾ أي فرعون وقومه ﴿هُنَالِكَ﴾ وانقلبوا صاغرين ﴿صاروا ذليلين﴾ .

﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٠]

١٢٠ ﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ .

﴿قَالُوا أَمَّا رَبِّي فَأَنصُرْهُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢١]

١٢١ ﴿قَالُوا أَمَّا رَبِّي فَأَنصُرْهُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

﴿رَبِّي مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٢]

١٢٢ ﴿رَبِّي مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر .

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَّاكُمْ بِيَدِ قَبْلِ أَنْ أَدَّكَ لَكَزَ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

١٢٣ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَّاكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً ﴿بِيَدِ﴾ بموسى ﴿قَبْلِ أَنْ أَدَّكَ لَكَزَ﴾ أنا ﴿لَكُمُ إِنَّ هَذَا﴾ الذي صنعتموه ﴿لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ﴾ في المدينة ليخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ﴿ما ينالكم مني﴾ .

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلْفٍ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ﴾

أجمعين﴾ [الأعراف: ١٢٤]

١٢٤ ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلْفٍ﴾ أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ أجمعين﴾ .

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٥]

العذاب عنا إن آمنّا ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿كَشَفْتُمْ﴾ كَشَفْتُمْ عَنَّا الرَّجْزَ لَتُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلِتُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْفُؤُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٥]

١٣٥ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمْ﴾ الرَّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْفُؤُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ ينفذون عهدهم ويصرون على كفرهم .

﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمُ فَأَعْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦]

١٣٦ ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمُ فَأَعْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ البحر المالح ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتدبرونها .

﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَكْرِبَهَا الَّتِي بَلَغْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]

١٣٧ ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ﴾ بالاستعباد وهم بنو إسرائيل ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر صفة للأرض وهي الشام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ﴾ وهي قوله ﴿وَرِيدُ أَنْ نُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ على أذى عدوهم ﴿وَدَمَرْنَا﴾ أهلكننا ﴿مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ من العمارة ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء وضما يرفعون من البنيان .

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَمْكُتُونَ عَلَىٰ أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾

١٣٨ ﴿وَجَوَزْنَا﴾ عبرنا ﴿بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا﴾ فرموا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَمْكُتُونَ﴾ بضم الكاف وكسرهما ﴿عَلَىٰ أَصْنَانٍ لَهُمْ﴾ يقيمون على عبادتها ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ صنما نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلموه .

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقِصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]

١٣٠ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ بالقحط ﴿وَنَقِصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون .

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُنَا سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١]

١٣١ ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ الخصب والغنى ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي نستحقها ولم يشكروا عليها ﴿وَإِنْ تُصِيبُنَا سَيِّئَةٌ﴾ جَدْبٌ وَبِلَاءٌ ﴿يَطَّيَّرُوا﴾ يتشاءموا ﴿بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ عند الله ﴿يَأْتِيهِمْ بِهِ﴾ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما يصيبهم من عنده .

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢]

١٣٢ ﴿وَقَالُوا﴾ لموسى ﴿مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فدعا عليهم .

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَءَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾

١٣٣ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلق الجالسين سبعة أيام ﴿وَالْجَرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ السوس أو نوع من القراد ، فقتب ما تركه الجراد ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿وَالذَّمَءَ﴾ في مياههم ﴿آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾ مبيّنات ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ .

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن لَّنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلِتُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

١٣٤ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ العذاب ﴿قَالُوا﴾ يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ من كشف

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعَةٌ مَا فِيهِ وَيَطَّلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
 ١٣٩ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعَةٌ﴾ هالك ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾
 وَيَطَّلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَنْبِيَائَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾
 الْعَالَمِينَ ﴿[الأعراف: ١٤٠]

١٤٠ ﴿قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَنْبِيَائَكُمْ إِلَهًا﴾ معبوداً
 وأصله أبغي لكم ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ في
 زمانكم بما ذكره في قوله .

﴿وَإِذْ أَنْبَيْتَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ بِسُوءِ سَوَاءِ
 الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي
 ذُلِّكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

١٤١ ﴿و﴾ اذكروا ﴿وَإِذْ أَنْبَيْتَكُمْ﴾ وفي قراءة
 ﴿أَنْجَاكُمْ﴾ ﴿مَنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَشُومُونَكُمْ﴾
 يكلفونكم ويذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشده وهو
 ﴿يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾
 وفي ذلِّكم ﴿الْإِنْجَاءَ وَالْعَذَابِ﴾ ﴿بَلَاءٌ﴾ إنعام أو
 ابتلاء ﴿مَنْ رَبُّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أفلا تعظون فنتهوا عما
 قلم .

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فَنَمَّ
 مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ
 هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ
 الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]

١٤٢ ﴿وَوَاعَدْنَا﴾ بألف ودونها ﴿مُوسَى ثَلَاثِينَ
 لَيْلَةً﴾ نكلمه عند انتهائها بأن يصومها وهي ذو
 القعدة فصامها فلما تمت أنكر خلوف فمه فاستاك
 فأمره الله بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فمه كما
 قال تعالى ﴿وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ﴾ من ذي الحجة ﴿فَنَمَّ
 مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرْبَعِينَ﴾
 حال ﴿لَيْلَةً﴾ تمييز ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾
 عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة ﴿أَخْلُفْنِي﴾ كن
 خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ أمرهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ
 سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بموافقتهم على المعاصي .

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي
 أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ نُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ
 اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا بَلَغَ لِمِيقَاتِنَا لِمِيقَاتِنَا
 أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ نُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ
 اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا بَلَغَ لِمِيقَاتِنَا لِمِيقَاتِنَا

جَعَلَكُمْ ذِكْرًا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ
 سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

١٤٣ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ أي للوقت
 الذي وعدناه بالكلام فيه ﴿وَوَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بلا واسطة
 كلاماً سمعه من كل جهة ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾
 نفسك ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ﴾ أي لا تقدر
 على رؤيتي ، والتعبير به دون لن أرى يفيد إمكان
 رؤيته تعالى ﴿وَلَكِنْ نُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الذي هو
 أقوى منك ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ﴾ ثبت ﴿مَكَانَهُ فَسَوْفَ
 نَرِيكَ﴾ أي تثبت لرؤيتي وإلا فلا طاقة لك ﴿فَلَمَّا
 تَجَلَّى رَبُّهُ﴾ أي ظهر من نوره قدر نصف أنملة
 الخنصر كما في حديث صححه الحاكم ﴿لِلْجَبَلِ
 جَعَلَهُ ذِكْرًا﴾ بالقصر والمد أي مذكوكاً مستويماً
 بالأرض ﴿وَوَجَّهَ مُوسَى صَعِقًا﴾ مغشياً عليه لهول ما
 رأى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك ﴿بُنْتُ
 إِلَيْكَ﴾ من سؤال ما لم أوامر به ﴿وَأَنَا أَوَّلُ
 الْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماني .

﴿قَالَ يُمُوسَى إِنِّي اضْطَلَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي
 وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

١٤٤ ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿يَا مُوسَى إِنِّي
 اضْطَلَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أهل زمانك
 ﴿بِرِسَالَتِي﴾ بالجمع والافراد ﴿وَبِكَلِمَتِي﴾ أي
 تكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُنْ
 مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لأنعمي

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً
 وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا
 بِأَحْسَنِهَا سَأُوذِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥]

١٤٥ ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ أي ألواح التوراة
 وكانت من سدر الجنة أو زبرجد أو زمرد سبعة أو
 عشرة ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين
 ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً﴾ تبييناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ بدل من
 الجار والمجرور قبله ﴿فَخُذْهَا﴾ قبله قلنا مقدرأ
 ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجهد واجتهاد ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا
 بِأَحْسَنِهَا سَأُوذِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ فرعون وأتباعه
 وهي مصر لتعتبروا بهم .

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

الْخَاسِرِينَ ﴿الأعراف: ١٤٩﴾

١٤٩ ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي ندموا على عبادته ﴿وَرَأَوْا﴾ علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ بها وذلك بعد رجوع موسى ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بالياء والتاء فيهما ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعْمَلْتُمْ أَمْرًا رَّبِّكُمْ وَالْقَى الْأُلْوَابِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ فِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿الأعراف: ١٥٠﴾

١٥٠ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿بِئْسَمَا﴾ أي بئس خلافة ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾ ها ﴿مِن بَعْدِي﴾ خلافتكم هذه حيث أشركتم ﴿أَعْمَلْتُمْ أَمْرًا رَّبِّكُمْ وَالْقَى الْأُلْوَابِ﴾ ألواح التوراة غضباً لربه فتكسرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي بشعره يمينه ولحيتيه بشماله ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ غضباً ﴿قَالَ﴾ يا ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ بكسر الميم وفتحها ، أراد أمي وذكرها أعطف لقلبه ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا قَارِبُوا﴾ ﴿يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ﴾ تفرح ﴿بِئْسَ الْأَعْدَاءُ﴾ بإهانتك إياي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بعبادة العجل في المواخذة .

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾

وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿الأعراف: ١٥١﴾

١٥١ ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلِإِخِي﴾ أشركه الدعاء إرضاء له ودفعاً للشماتة به ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .

١٥٢ قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿سَيَتَأَلَّهُمْ غَضَبٌ﴾ عذاب ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فعذبوا بالأمر بقتل أنفسهم وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿تَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ على الله بالإشراك وغيره .

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿الأعراف: ١٥٣﴾

الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كَلَّ مَائِمَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿الأعراف: ١٤٦﴾

١٤٦ ﴿سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي﴾ دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بأن أخذهم فلا يتكبرون فيها ﴿وَإِن يَرَوْا كَلَّ آتِيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ طَرِيقِ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يسلكوه ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ﴾ الصِّرف ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ تقدم مثله .

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَسِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

﴿الأعراف: ١٤٧﴾

١٤٧ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿حَسِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من التكذيب والمعاصي .

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِن حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْتَمَسُوا آتَهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾

١٤٨ ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ﴾ أي بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿مِن حُلِيِّهِمْ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلّة عرس فبقي عندهم ﴿عِجْلًا﴾ صاغه لهم منه السامري ﴿جَسَدًا﴾ بدل من لحما ودما ﴿لَهُ خُورٌ﴾ أي صوت يسمع انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر جبريل في فمه فإن أثره الحياة فيما يوضع فيه ، ومفعول اتخذ الثاني محذوف أي إلها ﴿أَلْتَمَسُوا آتَهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فكيف يتخذ إلها ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ إلها ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ باتخاذة .

﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

حَسَنَةً فِي الْآخِرَةِ ﴿حَسَنَةً﴾ ﴿إِنَّا هَذَا﴾ ﴿بِنَا﴾ ﴿إِلَيْكَ﴾ قَالَ ﴿تَعَالَى﴾ ﴿عَذَابِي﴾ ﴿أَصِيبُ بِهِ مَنُ أَشَاءُ﴾ ﴿تَعَذِّبُهُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿فَسَأَلْتُهَا﴾ ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

١٥٧ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ باسمه وصفته ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مما حرم في شرعهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ الميتة ونحوها ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ثقلهم ﴿وَالْأَغْلَالَ﴾ الشدائد ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ كقتل النفس في التوبة وقطع أثر النجاسة ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ منهم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ ووقروه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ واتبعوا النور الذي أنزل معه ﴿أَي الْقُرْآنَ﴾ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]

١٥٨ ﴿قُلْ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ترشدون .

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى إِتْمَأْتُوا بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾

١٥٣ ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا الشَّيْءَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا عنها ﴿مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي التوبة ﴿لَعَفُورٌ﴾ لهم ﴿رُحِيمٌ﴾ بهم .
﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ أَخَذَ الْأَلْوَابُ فِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِزُبُوبِهِمْ يَرْهَبُونَ﴾

١٥٤ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ أَخَذَ الْأَلْوَابُ﴾ التي ألغاهها ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي ما نسخ فيها أي كتب ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرُحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِزُبُوبِهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخافون وأدخل اللام على المفعول لتقدمه .

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِيَفْقِنَنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَتْلُوكَ بِمَا فَعَلَ الشُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَبِئْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]

١٥٥ ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ﴾ أي من قومه ﴿رَجُلًا لِيَفْقِنَنَا﴾ ممن لم يعبدوا العجل بأمره تعالى ﴿فَلَمَّا﴾ أي للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه ليعتدروا من عبادة العجل فخرج بهم ﴿أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ قَالَ ﴿الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ﴾ ، قال ابن عباس : لأنهم لم يزيلوا قومهم حين عبدوا العجل ، قال : وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة ﴿رَبِّ﴾ موسى ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبل خروجي بهم ليعلم بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿وَإِنِّي أَتْلُوكَ بِمَا فَعَلَ الشُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ استفهام استعطاف أي لا تعذبنا بذنوب غيرنا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ أي الفتنة التي وقع فيها السفهاء ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ﴾ إضلاله ﴿وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ هدايته ﴿أَنْتَ وَبِئْنَا﴾ متولي أمورنا ﴿فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ .

﴿وَكَتُبْنَا لَكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنُ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٥٦ ﴿وَكَتُبْنَا﴾ أوجب ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾

قِيلَ لَهُمْ ﴿فَقَالُوا حَبِ فِي شِعْرَةٍ وَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ
عَلَى أَسْتَاهُمْ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ عَذَابًا ﴿مِمَّنْ
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ .

﴿وَسَلَّمْتُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً
الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
حِيَتَانِهِمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾

١٦٣ ﴿وَاسْأَلْتَهُمْ﴾ يا محمد توبيخاً ﴿عَنِ
الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ﴾ مجاورة بحر
القلزم وهي أيلة ما وقع بأهلها ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ يعتدون
﴿فِي السَّبْتِ﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه
﴿إِذْ﴾ ظرف ليعدوه ﴿تَأْتِيهِمْ حِيَتَانِهِمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ
شُرْعًا﴾ ظاهرة على الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ لا
يعظمون السبت أي سائر الأيام ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابتلاء
من الله ﴿كَذَلِكَ نَبِّئُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ولما
صادوا السمك افتترقت القرية أثلاثاً ثلث صادوا
معهم وثلث نهوهم وثلث أمسكوا عن الصيد
والنهي .

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ يَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ
مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدِرَةٌ لِّيَ رَبِّنَا وَلَعَلَّهُمْ
يَنْفِقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]

١٦٤ ﴿وَإِذْ﴾ عطف على إذ قبله ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ
مِّنْهُمْ﴾ لم تصد ولم تنه لمن نهى ﴿لِمَ يَعْطُونَ قَوْمًا
اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾
موعظتنا ﴿مَعْدِرَةٌ﴾ نعتذر بها ﴿إِلَى رَبِّنَا﴾ لئلا
نسب إلى تقصير في ترك النهي ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ﴾
الصيد .

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْبَنَّا إِلَيْهِمْ يَنْهَوْنَ عَنِ
السُّوءِ وَأَخَذْنَا إِلَيْهِمْ مِّمَّنْ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]

١٦٥ ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا
﴿بِهِ﴾ فلم يرجعوا ﴿أَجْبَنَّا إِلَيْهِمْ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾
وأخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ﴿بِعَدَابِ بَيْسٍ﴾
شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ .

﴿فَلَمَّا عَوَّا عَن مَّا نُهِوا عَنْهُ قَالُوا لِمَ كُنَّا قَوْمًا قَرَدًا

١٥٩ ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ جماعة
﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ في
الحكم .

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَافَ عَشْرَةِ أَسْبَاطٍ أُمَّةً وَأَوْحَيْنَا إِلَى
مُوسَى إِذْ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنْبَ اضْرِبْ بِعَصَاكَ
الْحَجَرَ فَأَنْجَسْتَ مِنْهُ أَثْنَافَ عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ
كُلُّ أَنَاثٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَمَ وَأَنْزَلْنَا
عَلَيْهِمُ الْمَرَءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا
رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠]

١٦٠ ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾ فرقنا بني إسرائيل ﴿أَثْنَافَ
عَشْرَةَ﴾ حال ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل منه ، أي قبائل
﴿أُمَّةً﴾ بدل من قبله ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ
اسْتَسْقَنَاهُ قَوْمُهُ﴾ في التيه ﴿أَنْبَ اضْرِبْ بِعَصَاكَ
الْحَجَرَ﴾ فضربه ﴿فَأَنْجَسْتَ﴾ انفجرت ﴿مِنْهُ أَثْنَافَ
عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَاثٍ﴾
سبط منهم ﴿مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَمَ﴾ في
التيه من حر الشمس ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَرْءَ
وَالسَّلْوَى﴾ هما الترنجيب والطير السمانى بتخفيف
الميم والقصر وقلنا لهم ﴿كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا
رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ﴾ .

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا
مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ
سُجَّدًا تُغْفِرُ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾

١٦١ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ
الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ
وَقُولُوا﴾ أمرنا ﴿حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ أي باب
القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجدوا انحناء ﴿تُغْفِرُ﴾ بالنون
والتاء مبني للمفعول ﴿لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ
الْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثواباً .

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ
لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا
كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٢]

١٦٢ ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي

وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سَيَغْفِرُ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ الجملة حال أي يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه وليس في التوراة وعد المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ استفهام تقرير ﴿عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ الإضافة بمعنى في ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا﴾ عطف على يؤخذ ، قرؤوا ﴿مَا فِيهِ﴾ فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه مع الإصرار ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء ، أنها خير فيؤثرونها على الدنيا .

﴿وَالَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَمْرَ الْمُصَلِّينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]

١٧٠ ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ بالتحديد والتخفيف ﴿بِالْكِتَابِ﴾ منهم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَمْرَ الْمُصَلِّينَ﴾ الجملة خبر الذين ، وفيه وضع الظاهر موضع المضمرة أي أجرهم .

﴿وَإِذْ نَفَقْنَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِ امْضُوا مِنِّي وَأَمْرًا إِلَىٰ آلِهِمْ بِحَمْلَتِكُمْ فَاجْتَاهُوا فِي طُورٍ غَافِقٍ إِذْ يَبْتَغِي الرَّجُلُ لِوَجْهِهِ الْمَخْتَارَ﴾ [الأعراف: ١٧١]

١٧١ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ نَفَقْنَا الْجَبَلَ﴾ رفعا من أصله ﴿فَفَوْقَهُمْ كَانَتْ ظُلَّةٌ وَظُلُّوا﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة وكانوا أبوها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَإِذْ كَرُّوا مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾

١٧٢ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدل اشمال مما قبله بإعادة الجار ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بأن أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلا بعد نسل كنعو ما يتوالدون كالذر بنعمان يوم عرفة ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ قال ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ أنت ربنا

خَبِيرِينَ ﴿[الأعراف: ١٦٦]

١٦٦ ﴿فَلَمَّا عَتَا﴾ تكبروا ﴿عَنْ﴾ ترك ﴿مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيِينَ﴾ صاغرين فكانوها ، وهذا تفصيل لما قبله ، قال ابن عباس : ما أدري ما فعل بالفرقة الساكنة ، وقال عكرمة : لم تهلك لأنها كرهت ما فعلوه وقالت لم تعظون الخ ، وروى الحاكم عن ابن عباس : أنه رجع إليه وأعجبه .

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبَكَ بَعْدَ عَمَلِكُمْ لَمَنِ بَوَىٰ آلَيْكُمْ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الرَّجْمِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]

١٦٧ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم ﴿رَبُّكَ لَيُعَذِّبُنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بالذل وأخذ الجزية فبعث عليها سليمان وبعده باختنصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها إلى المجوس إلى بعث نبينا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رُحِيمٌ﴾ بهم .

﴿وَتَلَقَّيْنَاهُم فِي الْأَرْضِ مُتَسَلِّمِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَاللَّيِّنَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]

١٦٨ ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ فرقناهم ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَّتًا﴾ فرقا ﴿مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ﴾ ناس ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾ الكفار والفساقون ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾ بالنعم ﴿وَالشَّيْئَاتِ﴾ النقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن فسقهم .

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدْوِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩]

١٦٩ ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدْوِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ التوراة عن آبائهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ﴾ أي حطام هذا الشيء الدنيء من حلال

لاهنأ ذليلاً بكل حال ، والقصد التشبيه في الوضع والخسة بقرينة الغاء المشعرة بترتيب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى وبقريته قوله ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يتدبرون فيها فيؤمنون .

﴿سَلَّمَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الاعراف: ١٧٧]

١٧٧ ﴿سَاءَ﴾ بس ﴿مَثَلًا الْقَوْمِ﴾ أي مثل القوم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ بالتكذيب .

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَعَلَى الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ فَعَلَىٰ أَوْلِيكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الاعراف: ١٧٨]

١٧٨ ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَعَلَى الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ فَعَلَىٰ أَوْلِيكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ اعتبار المواعظ سماع تدبر واتعاط ﴿أَوْلِيكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة ﴿أَوْلِيكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ .

١٧٩ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحق ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دلائل قدرة الله بصر اعتبار ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاط ﴿أَوْلِيكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة ﴿أَوْلِيكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ .

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾

١٨٠ ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث ، والحسنى مؤنث الأحسن ﴿فَادْعُوهُ﴾ سموه ﴿بِهَا وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من الأحد ولحد ، يميلون عن الحق ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء

﴿شَهِدْنَا﴾ بذلك والإشهاد ل ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَقُولُوا﴾ بالياء والتاء في الموضوعين ، أي الكفار ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ التوحيد ﴿غَافِلِينَ﴾ لا نعرفه .
﴿أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾

١٧٣ ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ أي قبلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاقنديناهم بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ تعذبنا ﴿بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ من آباؤنا بتأسيس الشرك ، المعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إسهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس .

﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَيَّاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

١٧٤ ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَيَّاتِ﴾ نبينها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم .

﴿وَاتَّقِ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾

١٧٥ ﴿وَاتَّقِ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي اليهود ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا﴾ خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل ، سئل أن يدعو على موسى وأهدي إليه شيء فدعا فانقلب عليه واندلج لسانه على صدره ﴿فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ فأدركه فصار قريبه ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ .

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَخَبَّطَهُ الْكَوْكَبُ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

١٧٦ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ إلى منازل العلماء ﴿بِهَا﴾ بأن نوفقه للعمل ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ﴾ سكن ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي الدنيا ومال إليها ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في دعائه إليها فوضعناه ﴿فَمَتَلَّهُ﴾ صفته ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ﴾ بالطرد والزجر ﴿يَلْهَثُ﴾ يدلج لسانه ﴿أَوْ﴾ إن ﴿تَتَرَكَّهُ يَلْهَثُ﴾ وليس غيره من الحيوان كذلك ، وجعلنا الشرط حال ، أي

النار فيبادروا إلى الإيمان ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ أي القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦]

١٨٦ ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾
بالياء والنون مع الرفع استئنافا والجزم عطفًا على محل بعد الفاء ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون تحيرًا .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّئُهَا لَوْفِيًّا إِلا هُوَ يُنَزِّلُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾

١٨٧ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿مَرْسَلُهَا قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ متى تكون ﴿عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّئُهَا﴾ يظهرها ﴿لَوْفِيًّا﴾ اللام بمعنى في ﴿إِلا هُوَ يُنَزِّلُ﴾ عظمت ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ على أهلها لهولها ﴿لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ مبالغ في السؤال ﴿عَنْهَا﴾ حتى علمتها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ تأكيد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ أن علمها عنده تعالى .

﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلا ما شاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ الشُّوْءُ إِن أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

١٨٨ ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ أجلبه ﴿وَلا ضَرًّا﴾ أذفعه ﴿إِلا ما شاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ ما غاب عني ﴿لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ الشُّوْءُ﴾ من فقر وغيره لاحترازي عنه باجتناب المضار ﴿إِن﴾ ما ﴿أَنَا إِلا نَذِيرٌ﴾ بالنار للكافرين ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالجنة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

(١) أسباب نزول الآية ١٨٧: أخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس قال: قال تحمل بن أبي قشير وسؤال بن زيد لرسول الله ﷺ: أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيًا كما تقول فإننا نعلم ما هي؟ فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَلُهَا﴾ الآية.

* وأخرج أيضًا عن قتادة قال: قالت قريش فذكر نحوه.

لآلهتهم كالكالات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ من الآخرة جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال .

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾
١٨١ ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما في حديث .

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]

١٨٢ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن من أهل مكة ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ .

﴿وَأَمَّا لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣]
١٨٣ ﴿وَأَمَّا لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ شديد لا يطاق .

﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِذْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٤]

١٨٤ ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا﴾ ففعلوا ﴿مَا يَصَاحِبُهُمْ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿مِنْ جَنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِن﴾ ما ﴿هُوَ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بين الإنذار .

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]

١٨٥ ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ﴾ ملك ﴿وَالْأَرْضِ وَ﴾ في ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لما ، فيستدلوا به على قدرة صانعه ووجدانيته ﴿وَ﴾ في ﴿أَنْ﴾ أي أنه ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ﴾ قرب ﴿أَجَلُهُمْ﴾ فيموتوا كفاراً فيصيروا إلى

(١) أسباب نزول الآية ١٨٤: أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قام على الصفا، فدعا قريشاً، فجعل يدعوهم فخذوا فخذاً: يا بني فلان، يا بني فلان، يحذروهم بأس الله ووقائعهم، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا مجنون بات يهوت إلى الصباح فأنزل الله: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِذْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ .

أَدْعُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ مُصَلِّونَ ﴿١٨٩﴾

١٨٩ ﴿وَأَنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي الأصنام ﴿إِلَى الْهَدْيِ لَا تَتَّبِعُوا كُفْرَهُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْتُهُمْ﴾ إليه ﴿أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ عن دعائهم لا يتبعوه لعدم سماعهم

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

١٩٤ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ﴾ مملوكة ﴿أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ دعاءكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنها آلهة .
﴿الَّهُمْ أَزْجَلُ يَمْشُونَ بِهَا﴾ أَر لَمْ آيِدِ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَّهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿

١٩٥ ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال ﴿الَّهُمْ أَزْجَلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ﴾ بل أ ﴿لَّهُمْ أَيْدِي﴾ جمع يد ﴿يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ﴾ بل أ ﴿لَّهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ﴾ بل أ ﴿لَّهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ استفهام إنكاري ، أي ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وأنتم أنتم حالاً منهم ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ إلى هلاكهم ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ تمهلون فإني لا أبالي بكم .

﴿إِنَّ رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ بِتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾

[الأعراف: ١٩٦]

١٩٦ ﴿إِنَّ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ متولي أموري ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ بِتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ بحفظه .

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧]

١٩٧ ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ فكيف أبالي بهم .
﴿وَأَنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمُلْكِ لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلًا خَفِيئًا فَهَمَزَتْ فِيهِ فَلَمَّا آتَتْكُمْ دَعَاؤَ اللَّهِ رَبُّهُمَا لَعْنٌ آتَيْنَا صَليحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩]

١٨٩ ﴿هُوَ﴾ أي الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي آدم ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ وبألفها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلًا خَفِيئًا﴾ هو النطفة ﴿فَهَمَزَتْ فِيهِ﴾ ذهبت وجاءت لخصته ﴿فَلَمَّا آتَتْكُمْ﴾ بكبر الولد في بطنها وأشفقا أن يكون بهيمة ﴿دُعَاؤَ اللَّهِ رَبُّهُمَا لَعْنٌ آتَيْنَا﴾ ولدا ﴿صَليحًا﴾ سويا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك عليه .

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَليحًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[الأعراف: ١٩٠]

١٩٠ ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا﴾ ولدا ﴿صَليحًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ﴾ وفي قراءة بكسر الشين والتنوين أي شريكا ﴿فِيمَا آتَاهُمَا﴾ بتسميته عبد الحارث ولا ينبغي أن يكون عبدا إلا لله ، وليس يشارك في العبودية لعصمة آدم وروى سمرة عن النبي ﷺ قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسمته فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره» رواه الحاكم وقال صحيح والترمذي وقال حسن غريب ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي أهل مكة به من الأصنام والجملة مسببة عطف على خلقكم وما بينهما اعتراض .

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾

١٩١ ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ به في العبادة ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ .

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾

١٩٢ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرًا﴾ أي لعابديهم ﴿نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ بمنعها ممن أراد بهم سوءاً من كسر أو غيره والاستفهام للتوبيخ .

﴿وَأَنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمُلْكِ لَا يَسْمَعُوا عَلَيْكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]

٢٠٤ ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾
عن الكلام ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ نزلت في ترك
الكلام في الخطبة وعبر عنها بالقرآن لاشتغالها عليه
وقيل في قراءة القرآن مطلقاً .

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ
الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ
الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]

٢٠٥ ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أي سرّاً
﴿تَضَرُّعًا﴾ تذلاًّ ﴿وَخِيفَةً﴾ خوفاً منه ﴿و﴾ فوق
السر ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أي قصداً بينهما
﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أوائل النهار وأواخره ﴿وَلَا تَكُنْ
مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكر الله .

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]

٢٠٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة
﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْبِّحُونَهُ﴾
ينزهونه عما لا يليق به ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ أي
يخضعون بالخشوع والعبادة فكرونا مثلهم .

(١) أسباب نزول الآية ٢٠٤ . أخرج ابن أبي حاتم، وغيره
عن أبي هريرة قال: نزلت: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ
وَأَنْصِتُوا﴾ في رفع الأصوات في الصلاة خلف النبي ﷺ
* وأخرج عنه أيضاً قال: كانوا يتكلمون في الصلاة،
فنزلت: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾ الآية .

* وأخرج عن عبد الله بن مغفل نحوه .
* أخرج ابن جرير عن ابن مسعود مثله .
* وأخرج عن الزهري قال: نزلت هذه الآية في فتي من
الأنصار كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئاً قرأه .
* وقال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا أبو معشر عن
محمد بن كعب قال: كانوا يتلقفون من رسول الله ﷺ إذا
قرأ شيئاً قرأوا معه، حتى نزلت هذه الآية التي في الأعراف:
﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ .
* قلت: ظاهر ذلك أن الآية مدنية .

١٩٨ ﴿وَأَنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي الأصنام ﴿إِلَى
الْهُدَى لَا يَسْتَمِعُوا وَتَرَاهُمْ﴾ أي الأصنام يا محمد
﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي يقابلونك كالناظر ﴿وَهُمْ
لَا يُبْصِرُونَ﴾ .

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

١٩٩ ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ اليسر من أخلاق الناس
ولا تبحث عنها ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ بالمعروف
﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فلا تقابلهم بسفهمهم .

﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]

٢٠٠ ﴿وَإِنَّمَا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما
المزيدة ﴿يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ أي إن
يصرفك عما أمرت به صارف ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾
جواب الشرط وجواب الأمر محذوف أي يدفعه
عك ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للقول ﴿عَلِيمٌ﴾ بالفعل .

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ
تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]

٢٠١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ﴾ أصابهم
﴿طَائِفٌ﴾ وفي قراءة ﴿طَائِفٌ﴾ أي شيء ألم بهم
﴿مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ عقاب الله وثوابه ﴿فَإِذَا
هُم مُبْصِرُونَ﴾ الحق من غيره فيرجعون .

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَیِّ ثُمَّ لَا يُبْصِرُونَ﴾

٢٠٢ ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ أي أخوان الشياطين من
الكفار ﴿يَمُدُّوهُمْ﴾ أي الشياطين ﴿فِي الْعَیِّ ثُمَّ﴾
هم ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ يكفون عنه بالتبصر كما تبصر
المتقون .

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا
أَتَّبِعُ مَا يوحى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]

٢٠٣ ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ﴾ أي أهل مكة ﴿بِآيَةٍ﴾
مما اقترحوا ﴿قَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾ أنشأتها
من قبل نفسك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يوحى
إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ وليس لي أن آتي من عند نفسي
بشيء ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصَائِرٌ﴾ حجج ﴿مِنْ رَبِّكُمْ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

الخروج والجملة حال من كاف أخرجك وكما خير مبتدأ محذوف أي هذه الحال في كراهتم لها مثل إخراجك في حال كراهتم وقد كان خيراً لهم فكذلك أيضاً وذلك أن أبا سفيان قدم بغير من الشام فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغنموها فعملت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليزبوا عنها وهم النفير وأخذ أبو سفيان بالغير طريق الساحل فنجت فقيلاً لأبي جهل ارجع فأبى وسار إلى بدر فشاور النبي ﷺ أصحابه وقال إن الله وعدني إحدى الطائفتين فوافقوه على قتال النفير وكره بعضهم ذلك وقالوا: لم نستعد له^(١)، كما قال تعالى:

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾

٦ ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إليه عياناً في كراهتم له .

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ

وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقَطَّ دَائِرَ الْكَافِرِينَ﴾

٧ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾ تريدون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ﴾ أي البأس والسلاح وهي العير ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لقلة عددها ومددها بخلاف النفير ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ﴾ يظهره ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿وَيَقَطَّ دَائِرَ الْكَافِرِينَ﴾ آخرهم بالاستئصال فأمرهم بقتال النفير .

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبِطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٥: أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي أيوب الأصباري قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة، وبلغه أن عير أبي سفيان قد أقبلت: «ما ترون فيها لعل الله يُغْنِمُنَاهَا وَيُسَلِّمُنَا؟». فخرجنا فلما سرنا يوماً أو يومين قال: ما ترون فيهم؟ قلنا: يا رسول الله ما لنا طاقة بقتال القوم إنما خرجنا للغير، فقال المقداد: لا تقولوا كما قال قوم موسى: «أذهب أنت وربك فقاتلاً إنا هاهنا قاعدون». فأنزل الله: «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون».

• وأخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه.

سورة الأنفال

مدنية وآياتها خمس وسبعون

﴿سَتَلُونَا عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]

١ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الغنائم لمن هي ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ﴾ يجعلها حيث شاء ﴿وَالرَّسُولِ﴾ يقسمها بأمر الله فقسما صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء، رواه الحاكم في المستدرک ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً .

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]

٢ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملو الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ أي وعيده ﴿وَجِلَّتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً تصديقاً ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ به يتقون لا غيره .

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

٣ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله .

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤]

٤ ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صدقاً بلا شك ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ منازل في الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة .

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥]

٥ ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بأخرج ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ فَتَيَاتُ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾

١٢ ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ الذين آمد بهم المسلمين ﴿أَنْتِي﴾ أي بأني ﴿مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالإعانة والتبشير ﴿سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ﴾ الخوف ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي الرؤوس ﴿وَاصْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي أطراف اليدين والرجلين فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل أن يصل إليه سيفه ورماهم ﷺ بقبضة من الحصى فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه منها شيء فهزموا .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣]

١٣ ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُوا﴾ خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له .

﴿ذَلِكَمُ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾

١٤ ﴿ذَلِكَمُ﴾ العذاب ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أيها الكافرون في الدنيا ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾ .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥]

١٥ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ أي مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون ﴿فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ﴾ منهزمين .

﴿وَمَنْ يُؤَلِّمِهِ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالِ أَوْ مُتَحَرِّفًا إِلَيْكَ فَشَرٌّ فَعَدَّ بَاءً يَعْضَبُ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦]

١٦ ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمِهِ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم لقاءهم ﴿دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾ منعطفا ﴿لِقِتَالِ﴾ بأن يريهم الفرة مكيدة وهو يريد الكرة ﴿أَوْ مُتَحَرِّفًا﴾ منضما ﴿إِلَى فِقَةٍ﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿فَعَدَّ بَاءً﴾ رجع ﴿يَعْضَبُ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ﴾

٨ ﴿لِيُجِزَّ الْحَقَّ وَيَبْطِلَ﴾ يمحى ﴿الْبَاطِلَ﴾ الكفر ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ذلك .

﴿إِذْ تَسْتَفِيئُونَ رَبُّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّدِينَ﴾ [الأنفال: ٩]

٩ اذكر ﴿إِذْ تَسْتَفِيئُونَ رَبُّكُمْ﴾ تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم ﴿فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي بأني ﴿مُمِدُّكُمْ﴾ معينكم ﴿بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّدِينَ﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضاً وعددهم بها أولاً ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما في آل عمران وقرئ بآلف كأفلس جمع (١) .

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَيَلْظَمِينَ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا الْغَضُّ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

١٠ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ وَيَلْظَمِينَ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا الْغَضُّ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْغُصَّاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾

١١ اذكر ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْغُصَّاسَ أَمَنَةً﴾ أمناً مما حصل لكم من الخوف ﴿مِنْهُ﴾ تعالى ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ من الأحداث والجنابات ﴿ويُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ وسوسته إليكم بأنكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظمأى محدثين والمشركون على الماء ﴿وليُربِطَ﴾ يجبس ﴿عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين والصبر ﴿ويُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ أن تسوخ في الرمل .

(١) أسباب نزول الآية ٩: روى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فاستقبل القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض. فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداؤه وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَفِيئُونَ رَبُّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّدِينَ﴾ فأمدهم الله بالملائكة.

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا
فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ
شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

١٩ ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾ أيها الكفار إن تطلبوا
الفتح أي القضاء حيث قال أبو جهل منكم : اللهم
أيما كان أقطع للرحم وأنانا بما لا نعرف فأحنه
الغداة أي أهلكه ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ القضاء
بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه
دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَإِنْ تَنْهَوْا﴾ عن الكفر
والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا﴾ لقتال النبي
ﷺ ﴿نَعُدْ﴾ لنصره عليكم ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ﴾ تدفع
﴿عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ﴾ جماعاتكم ﴿شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ
اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بكسر إن استثنافا وفتحها على
تقدير اللام (١)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا
عَنَّهُ وَأَن تَشْرَ سَمِعْتُمْ﴾ [الأنفال: ٢٠]

٢٠ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَلَا تَوَلَّوْا﴾ تعرضوا ﴿عَنَّهُ﴾ بمخالفة أمره ﴿وَأَن تَشْرَ
سَمِعْتُمْ﴾ القرآن والمواظع .

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾
٢١ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا
يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واتعاط وهم المنافقون أو
المشركون .

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ
لَا يَعْقِلُونَ﴾

٢٢ ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ﴾ عن
سماع الحق ﴿البكْمُ﴾ عن النطق به ﴿الَّذِينَ
لَا يَعْقِلُونَ﴾ .

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا

(١) أسباب نزول الآية ١٩ : روى الحاكم عن عبد الله بن
ثعلبة بن صغير قال: كان المستفتح أبا جهل فإنه قال حين التقى
القوم: اللهم أيما كان أقطع للرحم، وأنانا بما لا نعرف فأحنه
الغداة. وكان ذلك استفتاحا، فأنزل الله: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ
جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
* أخرج ابن أبي حاتم عن عطية قال: قال أبو جهل يوم
بدر: اللهم انصر أعزّ الفتيين وأكرم الفرقين، فنزلت.

ويقتل المصير ﴿المرجع هي وهذا مخصوص بما
إذا لم يزد الكفار على الضعف .

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ
رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً
حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧]

١٧ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بيدر بقوتكم ﴿ولَكِنَّ اللَّهَ
قَتَلَهُمْ﴾ بنصره إياكم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد أعين
القوم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بالحصى لأن كفا من الحصى
لا يملأ عيون الجيش الكثير برميه بشر ﴿ولَكِنَّ اللَّهَ
رَمَىٰ﴾ بإيصال ذلك إليهم فعل ذلك ليقهر الكافرين
﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً﴾ عطاء ﴿حَسَنًا﴾ هو
الغنيمة ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾
بأحوالهم (١)

﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾

١٨ ﴿ذَلِكُمْ﴾ الإبلاء حق ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ﴾
مضعف ﴿كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢)

(١) أسباب نزول الآية ١٧ : قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ
رميت... الآية﴾ روى الحاكم عن سعيد بن المسيب عن أبيه
قال: أقبل أبي بن خلف يوم أحد إلى النبي ﷺ فخلوا سبيله،
خاضقبله مصعب بن عمير، ورأى رسول الله ﷺ ترقوة أبي
من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة، فطعنه بحرته، فسقط أبي
عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم، فكسر ضلعاً من أضلاعه
فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أعجزك، إنما
هو خدش، فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: ﴿بل أنا أقتل
أبياءهم قال: والذي نفسي بيده، لو كان هذا الذي بي بأهل
ذي الجاز لماتوا أحمعون، فمات أبي قبل أن يقدم مكة، فأنزل
الله: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ الآية.
صحيح الإسناد، لكنه غريب.

* وأخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن جبير: أن
رسول الله ﷺ يوم خيبر دعا بقوس، فرمى الحصن فأقبل
الشهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه، فأنزل
الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ الآية، مرسل جيد الإسناد، لكنه
غريب، والمشهور أنها نزلت في رميه يوم بدر بالقبضة من
الخصباء.

* روى ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، عن حكيم
بن حزام قال: لما كان يوم بدر سمعنا صوتاً وقع من السماء
إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت في طست، ورمى
رسول الله ﷺ بتلك الحصباء فانهرمنا، فذلك قوله: ﴿وَمَا
رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ الآية.

* وأخرج أبو الشيخ نحوه عن جابر، وابن عباس ولاين
جرير من وجه آخر مرسل نحوه.

ولا ﴿وتُخَوِّنُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره ﴿وأنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١).

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ أَوْلَاكُمُ وَأَوْلَدُكُمْ فَتَنَّهُ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]

٢٨ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ أَوْلَاكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَّهُ﴾ لكم صادة عن أمور الآخرة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوتوه بمرعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم ونزل في توبته .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنفَرُوا اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩]

٢٩ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنفَرُوا اللَّهُ﴾ بالإنابة وغيرها ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ بينكم وبين ما تخافون فتنجون ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ .

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْسِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾

٣٠ ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿الْيَبْسُوتُوكَ﴾ يوتفوك ويحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ كلهم قتلة رجل واحد ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ بك ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج ﴿وَاللَّهُ

(١) أسباب نزول الآية ٢٧: روى سعيد بن منصور وغيره عن عبد الله بن قتادة قال: نزلت هذه الآية: ﴿لَا تُخَوِّنُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ﴾ في أبي لبابة بن عبد المنذر سأله بنو قريظة يوم قريظة ما هذا الأمر؟ فأشار إلى حلقة أنه الذبيح، فنزلت، قال أبو لبابة: ما زالت قدماي حتى علمت أنني خنت الله ورسوله.

• وروى ابن جرير وغيره عن جابر بن عبد الله: أَنَّ أَبَا سَفِيَانَ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ ، فَاتَى جَبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَبَا سَفِيَانَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَبَا سَفِيَانَ فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا فَخَرِّجُوهُ إِلَيْهِ وَاسْمُوا ، فَكَتَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ إِلَى أَبِي سَفِيَانَ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَرِيدُكُمْ فَخَذُوا جَذْرَكُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَا تُخَوِّنُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ﴾ الآية. غريب جدًا في سنده وسياقه نظر.

• وأخرج ابن جرير عن الشدي قال: كانوا يسمعون من النبي ﷺ الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين، فنزلت.

وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]

٢٣ ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاحاً بسماع الحق ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضاً وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عنه ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبوله عناداً وجحوداً .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُهُ مُخَشِّرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]

٢٤ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من أمر الدين لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته ﴿وَأَنَّهُ إِلَهُهُ تُخَشِّرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم .

﴿وَأَتَقُوا فَتَنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]

٢٥ ﴿وَأَتَقُوا فَتَنَةَ﴾ إن أصابتكم ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ بل نعمهم وغيرهم واتقوا ما يانكار موجهها من المنكر ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه .

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾

٢٦ ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فَآوَاكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾ قواكم ﴿بِبَصْرِهِ﴾ يوم بدر بالملائكة ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الغنائم ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخَوِّنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوِّنُوا أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]

٢٧ ونزل في أبي لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه إلى بني قريظة لينزلوا على حكمه فاستشاروه فأشار إليهم أنه الذبيح لأن عياله وماله فيهم ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُخَوِّنُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ﴾

خَيْرَ الْمَاكِرِينَ ﴿١﴾ أعلمهم به (١) .

﴿وَإِذَا تَنَقَّيْتُمْ عَلَيْهَا فَايْتُمْنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٣٠: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن نفراً من قريش ومن أشرف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من أهل نجد سمعت بما اجتمعتم له، فأردت أن أحضركم، ولن يعدمكم مني رأي وتُصبح، قالوا: أجل فادخل، فدخل معهم، فقال: انظروا في شأن هذا الرجل.

• فقال قائل: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المئون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء - زهير والثابتة - فأما هو كأحدهم، فقال عدو الله الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي والله ليخرجن رائداً من محبسه لأصحابه فليوشكروا أن يشبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم ثم يمنعه منكم فما أمرُ عليكم أن يُخرجوكم من بلادكم فانظروا غير هذا الرأي.

• فقال قائل: فأخرجوه من بين أظهركم واستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع. فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلالة قوله وطلاقة لسانه وأخذة للقلوب بما يستمع من حديثه، والله لئن فعلتم، ثم استعرض العرب، لتجتمعن إليه، ثم ليسرن إليكم حتى يخرجكم من بلادكم، ويقتل أشرافكم، قالوا: صدق والله، فانظروا رأياً غير هذا.

• فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أضرتموه بعد، ما أرى غيره، قالوا: وما هذا؟ قال: تأخذوا من كل قبيلة وسيطاً شاباً جليداً، ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلتموه تفرق دمه في القبائل كلها فلا أظن هذا الحكي من بني هاشم يقدر أن يهرب من قريش كلهم، وإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل، واسترحنا وقطعنا عنا أذاه. فقال الشيخ النجدي: هذا والله هو الرأي، القول ما قال الفتى لا أرى غيره.

• فتفرقوا على ذلك وهم مجتمعون له، فأتى جبريل النبي ﷺ فأمره بأن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت، وأخبره بمكر القوم، فلم يبيت رسول الله ﷺ في بيته تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك بالخروج، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة يذكره نعمته عليه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية.

• وأخرج ابن جرير من طريق عبيد بن عمير عن المطلب ابن أبي وداعة أن أبا طالب قال للشيء ﷺ: ما يأتمر بك قومك؟ قال: يريدون أن يسجنوني، أو يقتلونني، أو يخرجوني، قال: من حدثك بهذا؟ قال: ربي، قال: نعم الرّب ربك، فاستوص به خيراً، قال: أبا أستوصي به؟! بل هو يستوصي بي، فنزلت: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية.

• قال ابن كثير: ذكر أبي طالب فيه غريب، بل منكراً، لأن القصة ليلة الهجرة، وذلك بعد موت أبي طالب بثلاث سنين.

لَقُنَّا بِمِثْلِ هَذَا إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾

٣١ ﴿وَإِذَا تَنَقَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُنَّا بِمِثْلِ هَذَا﴾ قاله النضر بن الحارث لأنه كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا أَسْطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَلَّمْتَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِن عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]

٣٢ ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ المنزل ﴿مِن عِنْدِكَ﴾ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم على بصيرة وجزم ببطلانه (١) .

(١) أسباب نزول الآية ٣١: أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبيرة قال: قتل النبي ﷺ يوم بدر صبوا عقبة بن أبي معيط، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث، وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله أسيري، فقال رسول الله ﷺ: إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول، قال: وفيه أنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا تَنَقَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾ الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ٣٢: أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبيرة في قوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ﴾ الآية، قال: نزلت في النضر بن الحارث.

• وروى البخاري عن أنس قال: قال أبو جهل بن هشام: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِن عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ الآية.

• وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون: غفرانك غفرانك، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ الآية.

• وأخرج ابن جرير، عن يزيد بن رومان، ومحمد بن قيس، قال: قالت قريش بعضها لبعض: محمد أكرمه الله من بيننا: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِن عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ الآية، فلما أسسوا ندموا على ما قالوا، فقالوا: غفرانك اللهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَغْلِبُونَ﴾.

• وأخرج ابن جرير أيضاً عن ابن أبي قال: كان رسول الله ﷺ بمكة، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ فخرج إلى المدينة، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها

يُغْلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ مُخْرَجُونَ ﴿٣٦﴾

٣٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي حَرْبِ النَّبِيِّ ﷺ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ عَلَيْهِمْ خَسِرَةٌ نَدَامَةٌ لِفَوَاتِهَا وَأَفْوَاتِ مَا قَصَدُوا ثُمَّ يُغْلِبُونَ فِي الدُّنْيَا وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ يُخْشَرُونَ﴾ يساقون (١).

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧]

٣٧ ﴿لِيَمِيزَ﴾ متعلق بتكون بالتخفيف والتشديد أي يفصل ﴿اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾ الكافر ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبُهُ جَمِيعًا﴾ يجمعه متراكماً بعضه على بعض ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾

٣٨ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأبي سفيان وأصحابه ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عن الكفر وقاتل النبي ﷺ ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من أعمالهم ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ إلى قتاله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي سنتنا فيهم بالهلاك فكذا نفعل بهم .

* * *

(١) أسباب نزول الآية ٣٦: قال ابن إسحاق: حدثني الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمير بن قتادة، والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد قالوا: لما أصيبت قريش يوم بدر ورجعوا إلى مكة مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أبي أمية في رجال من قريش أصيب أبائهم وأبنائهم، فكلّموا أبا سفيان ومن كان له في ذلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش إن محمداً قد وترككم وخياركم فأعينونا بهذا المال على حربته، فلعلنا أن ندرك منه ثأراً، ففعلوا، ففهمهم - كما ذكر عن ابن عباس - أنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن الحكم بن عتيبة قال: نزلت في أبي سفيان أنفق على المشركين أربعين أوقية من ذهب.
* وأخرج ابن جرير عن ابن أبيز، وسعيد بن جبيرة قال: نزلت في أبي سفيان استأجر يوم أحد ألفين من الأحباش ليقاتل بهم رسول الله ﷺ.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]

٣٣ قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ بما سأله ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ لأن العذاب إذا نزل عم ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيث يقولون في طوافهم غفرانك غفرانك وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال تعالى ﴿لَوْ تَرَىٰ أُولَئِكَ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْكُفْرَانُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٣٤ ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا﴾ ن ﴿لَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ بالسيف بعد خروجك والمستضعفين وعلى القول الأول هي ناسخة لما قبلها وقد عذبهم الله ببدر وغيره ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون النبي ﷺ والمسلمين ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أن يطوفوا به ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ كما زعموا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْكُفْرَانُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن لا ولاية لهم عليه .

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

٣٥ ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾ صفيراً ﴿وَتَصَدِيَةً﴾ تصفيقاً، أي جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ببدر ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ

يستغفرون، فلما خرجوا أنزل الله: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾، فأذن في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم.

(١) أسباب نزول الآية ٣٥: أخرج الواحدي عن ابن عمر قال: كانوا يطوفون بالبيت ويصفقون ويصفرون، فنزلت هذه الآية.

* وأخرج ابن جرير عن سعيد قال: كانت قريش يعارضون النبي ﷺ في الطواف يستهزؤون به ويصفرون ويصفقون، فنزلت.

بَيِّنَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿الأنفال: ٤٢﴾

٤٢ ﴿إِذْ﴾ بدل من يوم ﴿أَنْتُمْ﴾ كائنون ﴿بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ القربى من المدينة وهي بضم العين وكسرهما جانب الوادي ﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ البعدى منها ﴿وَالرُّكْبُ﴾ العير كائنون بمكان ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ مما يلي البحر ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ أنتم والنفير للقتال ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ ولكن ﴿جمعكم بغير ميعاد﴾ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴿في علمه وهو نصر الإسلام ومحق الكفر فعل ذلك﴾ لِيَهْلِكَ ﴿يكفر﴾ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴿أي بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهي نصر المؤمنين مع قتلهم على الجيش الكثير﴾ وَيَخْتَبَى ﴿يؤمن﴾ مَنْ خِيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿

﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَدْنَاكُمْ كَثِيرًا لَفِشَلْنَاكُمْ وَلِنَلْتَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿الأنفال: ٤٣﴾

٤٣ ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ﴾ أي نومك ﴿قَلِيلًا﴾ فأحبرت به أصحابك فسروا ﴿وَلَوْ أَرَاكُمُ كَثِيرًا لَفِشَلْنَاكُمْ﴾ اختلفتم ﴿وَلِنَلْتَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ولكنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ﴿كم من الفشل والتنازع﴾ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿بما في القلوب﴾ .

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَّمَّتْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقُلُّكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ يَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَاتَمَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ﴿الأنفال: ٤٤﴾

٤٤ ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿إِذِ التَّيَّمَّتْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ نحو سبعين أو مائة وهم ألف لتقدموا عليهم ﴿وَيَقُلُّكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ﴾ ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالهم وهذا قبل التحام الحرب فلما التحم أراهم إياكم مثلهم كما في آل عمران ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ .

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيَتْهُمْ فَتَنَةٌ فَأَنْبَتُوا وَادَّكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا أَلَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

٤٥ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِتْنَةً﴾ جماعة كافرة ﴿فَأَنْبَتُوا﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿وَادَّكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ادعوه بالنصر ﴿لَعَلَّكُمْ

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَلَّهُ لِلَّهِ فَأَبَى أَنْتَهُمْ فَأَبَى اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿الأنفال: ٣٩﴾

٣٩ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ﴾ توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ كَلَّهُ لِلَّهِ﴾ وحده ولا يعبد غيره ﴿فَأَبَى أَنْتَهُمْ﴾ عن الكفر ﴿فَأَبَى اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيهم به .

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ يَنْعَمُ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ﴿الأنفال: ٤٠﴾

٤٠ ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿وَيَنْعَمُ الْمَوْلَى﴾ هو ﴿وَيَنْعَمُ النَّصِيرُ﴾ أي الناصر لكم .

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَقَّىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

٤١ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ أخذتم من الكفار فهراً ﴿مَنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَآبِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره من المسلمين ، أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل خمس الخمس ، والأخماس الأربعة الباقية للغانمين ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ فاعلموا ذلك ﴿وَمَا﴾ عطف على بالله ﴿أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ من الملائكة والآيات ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ أي يوم بدر الفارق بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ التَّفَقَّىٰ الْجَمْعَانِ﴾ المسلمون والكفار ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصركم مع قتلكم وكثرتهم .

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرُّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَاتَمَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ

عَرَّ هَوْلًا دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿الأنفال: ٤٩﴾

٤٩ ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ ﴿ضعف اعتقاد ﴿عَرَّ هَوْلًا﴾ أي المسلمین
﴿دِينَهُمْ﴾ إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير
توهمًا أنهم ينصرون بسببه قال تعالى في جوابهم
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يثق به يغلب ﴿فَإِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه .
﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرُفُونَ
رُجُومَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

٥٠ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ بالياء
والتاء ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرُفُونَ﴾ حال
﴿وَجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ﴾ بمقامع من حديد ويقولون
لهم ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي النار ، وجواب
لو : رأيت أمراً عظيماً .
﴿ذَلِكَ يَمَا قَدَّمْتَ أَيديكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمِ
لِلْعَبِيدِ﴾

٥١ ﴿ذَلِكَ﴾ التعذيب ﴿يَمَا قَدَّمْتَ أَيديكُمْ﴾
عبر بها دون غيرها لأن أكثر الأفعال تراول بها
﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ﴾ أي بذى ظلم ﴿لِلْعَبِيدِ﴾
فيعذبهم بغير ذنب

﴿كَذَابٍ مَّالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ
اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٤٩ : روي الطبراني في الأوسط
بسنده ضعيف عن أبي هريرة قال: لما أنزل الله على نبيه بمكة:
«سَيُفْزَمُ الْجَفْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ» قال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه: يا رسول الله أي جمع؟ وذلك قبل بدر، فلما كان يوم
بدر وانهمزت قريش نظرت إلى رسول الله ﷺ في آثارهم
مصلتا بالسيف يقول: «سَيُفْزَمُ الْجَفْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ» فكانت
ليوم بدر، فأنزل الله فيهم: «حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعُنَادِ إِذَا
هُمْ يَجَاوِرُونَ» الآية، وأنزل: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ
كُفْرًا» ورماهم رسول الله ﷺ فوسعتهم الرمية وملأت أعينهم
وأفواههم، حتى إن الرجل ليقتل وهو يقذي عينيه وفاه، فأنزل
الله: «وَمَا زَمَيْتَ إِذْ زَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ» وأنزل في إبليس:
«فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِتْيَانُ نَكَصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ» الآية، وقال عتبة بن
ربيعه وناس معه من المشركين يوم بدر: عَرَّ هَوْلًا دِينَهُمْ، فأنزل
الله: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ عَرَّ هَوْلًا
دِينَهُمْ﴾.

تُقَلِّحُونَ ﴿تفوزون .

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسْرِعُوا فَتَقْسَلُوا وَتَذَهَبَ
رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

٤٦ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾ تختلفوا
فيما بينكم ﴿فَتَقْسَلُوا﴾ تجنبوا ﴿وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾
قوتكم ودولتكم ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾
بالنصر والعون

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِينِهِمْ بَطْرًا وَرِفَاءَ
النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَا يَعْمَلُونَ مُجِيطٌ﴾

٤٧ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾
لمينعوا غيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها ﴿بَطْرًا وَرِفَاءَ
النَّاسِ﴾ حيث قالوا لا نرجع حتى نشرب الخمر
وننحر الجزور وتضرب علينا القيان بيدر فيتسامع
بذلك الناس ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَاللَّهُ يَمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مُجِيطٌ﴾ علماً
فيجازيهم به (١)

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ وَقَالَ لَا
غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ
لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِتْيَانُ نَكَصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ وَقَالَ
إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي
أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨]

٤٨ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ إبليس
﴿أَعْمَانَهُمْ﴾ بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما
خافوا الخروج من أعدائهم بني بكر ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿لَا
غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ من كنانة
وكان أتهم في صورة سراقفة بن مالك سيد تلك الناحية
﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ﴾ التقت ﴿الْفِتْيَانُ﴾ المسلمة والكافرة
ورأى الملائكة وكان يده في يد الحارث بن هشام
﴿نَكَصَ﴾ رجع ﴿عَلَىٰ عَقَبَيْهِ﴾ هارباً ﴿وَقَالَ﴾ لما
قالوا له أتخذلنا على هذه الحال ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾
من جواركم ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة
﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ أن يهلكني ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٤٧ : أخرج ابن جرير عن محمد بن
كعب القرظي قال: لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا
باليقان والدفوف، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ
دِيَارِهِمْ بَطْرًا﴾ الآية.

٥٧ ﴿فَإِذَا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿تَتَفَقَّهُهُمْ﴾ تجدنهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرُّهُ﴾ فرق ﴿بِهِمْ مِّنْ خَلْفَهُمْ﴾ من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي الذين خلفهم ﴿يَذْكُرُونَ﴾ يتعظون بهم .

﴿وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَائِضِينَ ﴿[الأنفال: ٥٨]

٥٨ ﴿وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ في عهد يامارة تلوح لك ﴿فَإِنذِرْ﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ حال أي مستوياً أنت وهم في العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾^(١)

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنتَهُمْ لَا يَعْرِضُونَ﴾

٥٩ ونزل فيمن أفلت يوم بدر ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ يا محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ الله أي فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يَعْرِضُونَ﴾ لا يفوتونه ، وفي قراءة بالتحناية فالمفعول الأول محذوف أي أنفسهم وفي أخرى بفتح إن على تقدير اللام .

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْغَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

٦٠ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ لقاتلهم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ : «هي الرمي» رواه مسلم ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْغَيْلِ﴾ مصدر بمعنى حبسها في سبيل الله ﴿تُرْهِبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي غيرهم وهم المنافقون أو اليهود ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ تنقصون منه شيئاً .

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِحْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿[الأنفال: ٦١]

٥٢ دَابُّ هَوْلَاءِ ﴿كَذَّابٍ﴾ كعادة ﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالْعِقَابِ ﴿يَذُوبُهُمْ﴾ جملة كفروا وما بعدها مفسرة لما قبلها ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على ما يريد ﴿شَدِيدٌ الْعِقَابِ﴾ .

﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ لَمْ يَكْ مُغَيَّرًا نِعْمَةً أَنْهَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَذِّبُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

٥٣ ﴿ذَلِكَ﴾ أي تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾ أي بسبب أن ﴿اللَّهُ لَمْ يَكْ مُغَيَّرًا نِعْمَةً أَنْهَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ مبدلاً لها بالنقمة ﴿حَتَّىٰ يُعَذِّبُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ يبدلوا نعمتهم كفراً كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع وأمهم من خوف وبعث النبي صلى الله عليه وسلم إليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .

﴿كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿[الأنفال: ٥٤]

٥٤ ﴿كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ قومه معه ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

٥٥ ونزل في قريظة ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١)

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ ﴿[الأنفال: ٥٦]

٥٦ ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ أن لا يعينوا المشركين ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عاهدوا فيها ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ الله في غدرهم .

﴿وَإِنَّمَا تَتَفَقَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَن خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ ﴿[الأنفال: ٥٧]

(١) أسباب نزول الآية ٥٨ : روى أبو الشيخ عن ابن شهاب قال: دخل جبريل على رسول الله ﷺ ، فقال: قد وضعت السلاح وما زلنا في طلب القوم، فأخرج فإن الله قد أذن لك في قريظة، وأنزل فيهم: ﴿وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ﴾ الآية.

(١) أسباب نزول الآية ٥٥ : أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: نزلت: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في ستة رهط من اليهود فيهم ابن تابوت.

مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿الأنفال: ٦٥﴾

٦٥ ﴿بِأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ﴾ حث ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ للكفار ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾ بالياء والنساء ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ وهذا خبر بمعنى الأمر أي ليقاتل العشرون منكم المائتين والمائة ألفا ويثبتوا لهم ثم نسخ لما كثروا بقوله (١).

﴿الَّذِينَ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ٦٦ ﴿الآن خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ بضم الضاد وفتحها عن قتال عشرة أمثالكم ﴿فَإِنْ يَكُنْ﴾ بالياء والنساء ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته وهو خبر بمعنى الأمر أي لتقابلوا وتثبتوا لهم ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بعونه .

﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧]

٦٧ ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ﴾ بالنساء والياء ﴿لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ﴾ ببالغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَصَ الدُّنْيَا﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿الْآخِرَةَ﴾ أي ثوابها بقتلهم ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وهذا منسوخ بقوله ﴿فَأَمَّا مَنْ بَعَثَ وَامَّا فِدَاءٌ﴾ (٢).

(١) أسباب نزول الآية ٦٥: أخرج إسحاق بن راهويه في مسنده عن ابن عباس قال: لما افترض الله عليهم أن يقاتل الواحد عشرة، ثقل ذلك عليهم وشق فوضع الله عنهم إلى أن يقاتل الواحد الرجلين، فأنزل الله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ إلى آخر الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ٦٧: روى أحمد وغيره عن أنس قال: استشار النبي ﷺ الناس في الأسارى يوم بدر، فقال: إن الله قد أمكنكم منهم، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول

٦١ ﴿وَإِنْ جَنَحُوا بِمَالِهِمْ﴾ باللسلم ﴿بَكْسِرِ السِّينِ وَفَتَحُوا﴾ بالصلح ﴿فَأَجْنَحْ لَهَا﴾ وعاهدهم ، وقال ابن عباس: هذا منسوخ بأية السيف وقال مجاهد مخصوص بأهل الكتاب إذ نزلت في بني قريظة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثق به ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل .

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخُدُّوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصِيرَةٍ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]

٦٢ ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخُدُّوكَ﴾ بالصلح ليستعدوا لك ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ﴾ كافيك ﴿اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصِيرَةٍ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْتِهِمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]

٦٣ ﴿وَأَلْفَ﴾ جمع ﴿بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد الإحن ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْتِهِمْ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج شيء عن حكمته .

﴿بِأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٦٤ ﴿بِأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ حسبك ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

﴿بِأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ

(١) أسباب نزول الآية ٦٤: روي البراز بسند ضعيف من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: لما أسلم عير قال المشركون: قد انتصف القوم منا اليوم، وأنزل الله: ﴿بِأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وله شواهد.

* أخرج الطبراني وغيره من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: لما أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وامرأة، ثم إن عمر أسلم فكانوا أربعين نزل: ﴿بِأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية.

* وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن سعيد بن جبيرة قال: لما أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة، ثم أسلم مع النبي ﷺ عمر نزلت: ﴿بِأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ الآية.

* وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن المسيب قال: لما أسلم عمر أنزل الله في إسلامه: ﴿بِأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ الآية.

٧١ ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ أي الأسرى ﴿حَيَاتِنَا﴾ بما أظهروا من القول ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمَكَنَّ مِنْهُمْ﴾ يبدر قتلا وأسرا فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بحلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا وَأُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَكِيلَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢]

٧٢ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المهاجرون ﴿وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا﴾ النبي ﷺ ﴿وَنَصَرُوا﴾ وهم الأنصار ﴿وَأُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والإرث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَكِيلَتِهِمْ﴾ بكسر الواو وفتحها ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ فلا إرث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ وهذا منسوخ بأخر السورة ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ لهم من الكفار ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]

٧٣ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والإرث فلا إرث بينكم وبينهم ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي تولي المسلمين وقمع الكفار ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام (١) .

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]

(١) أسباب نزول الآية ٧٣: أخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن الشدي عن أبي مالك قال: قال رجل: نورث أرحامنا المشركين فنزلت: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ .

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨]

٦٨ ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ بإحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

﴿تَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٦٩]

٦٩ ﴿تَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَمِنَ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

٧٠ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ وفي قراءة: ﴿الأسرى﴾ ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيمانا وإخلاصاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) .

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمَكَنَّ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧١]

الله اضرب أعناقهم. فأعرض عنه، فقام أبو بكر فقال: نرى أن تغفر عنهم وأن تقبل منهم الفداء. ففعا عنهم وقبل منهم الفداء، فأنزل الله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ الآية.

* وروى أحمد، والترمذي، والحاكم، عن ابن مسعود قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسارى قال رسول الله ﷺ: ما تقولون في هؤلاء الأسارى، الحديث، وفيه فنزل القرآن بقول عمر: ﴿مَا كَانَ لِيَنْبِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾ إلى آخر الآيات.

* وأخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: لم تحمل الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم إنما كانت تنزل نار من السماء فأكلها، فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحمل لهم، فأنزل الله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

(١) أسباب نزول الآية ٧٠: روى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: قال العباس: في والله نزلت، حين أخبرت رسول الله ﷺ بإسلامي وسألته أن يحاسبني بالعشرين أوقية التي وجدت معي، فأعطاني بها عشرين عبداً كلهم تاجر بما لي في يده مع ما أرجو من مغفرة الله.

﴿فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ﴾ أولها شوال بديل ما سيأتي ولا أمان لكم بعدها ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ أي فائتي عذابه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ مذلهم في الدنيا بالقتل والأخرى بالنار .

﴿وَأَذِّنْ تَبَّحُّهُ رَبُّهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ حَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مُعْجِزِي اللَّهِ وَسِعِرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾

٣ ﴿وَأَذِّنْ﴾ إعلام ﴿مَنْ اللَّهُ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ يوم النحر ﴿أَنَّ﴾ أي بأن ﴿اللَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم ﴿وَرَسُولُهُ﴾ براءه أيضا ﴿وقد بعث النبي ﷺ علياً من السنة وهي سنة تسع فأذن يوم النحر بمنى بهذه الآيات وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان﴾ رواه البخاري ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ﴾ من الكفر ﴿فَهُوَ حَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَسِعِرَ﴾ أخبر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم وهو القتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُواكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَاهِدٌ لَكُمْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]

٤ ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُواكُمْ شَيْئًا﴾ من شروط العهد ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾ يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من الكفار ﴿فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَاهِدُهُمْ إِلَى﴾ إنقضاء ﴿مُدَّتِهِمْ﴾ التي عاهدتم عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ بإتمام العهود .

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَاعْلَمُوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]

٥ ﴿فَإِذَا انسَلَخَ﴾ خرج ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ وهي آخر مدة التأجيل ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ في حل أو حرم ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَاحْضُرُوهُمْ﴾ في القلاع والحصون حتى يضطروا إلى القتل أو الإسلام ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾

٧٤ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]

٧٥ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ﴾ أي بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ ذوو القرباب ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ في الإرث من التوراث في الإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه حكمة الميراث (١) .

٩ سورة التوبة

مدنية وآياتها تسع وعشرون ومائة

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١]

١ ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ واصلة ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عهداً مطلقاً أو دون أربعة أشهر أو فوقها ونقض العهد بما يذكر في قوله .

﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ يَخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢]

٢ ﴿فَسِيحُوا﴾ سيروا آمنين أيها المشركون

(١) أسباب نزول الآية ٧٥: أخرج ابن جرير عن ابن الزبير قال: كان الرجل يعاهد الرجل، ترثني وأرثك، فنزلت: «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» الآية.

• وأخرج ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: أوحى رسول الله ﷺ بين الزبير بن العوام، وبين كعب بن مالك. قال الزبير: لقد رأيت كعباً أصابته الجراحة بأحد، فقلت: لو مات فانتقطع عن الدنيا وأهلها لورثته، فنزلت هذه الآية: «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» فصارت الموارث بعد للأرحام والقرباب، وانتقطعت تلك الموارث في المؤاخاة.

طريق يسلكونه ونصب كل على نزع الخافض ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ من الكفر ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ ولا تعرضوا لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّفَعَهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]

٦ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ استأمنك من القتل ﴿فَأَجِرْهُ﴾ آمنه ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ اتَّفَعَهُ مَأْمَنَهُ﴾ وهو دار قومه إن لم يؤمن لينظر في أمره ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ دين الله فلا بد لهم من سماع القرآن ليعلموا .

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]

٧ ﴿كَيْفَ﴾ أي لا ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ وهم كافرون بالله ورسوله غادرون ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يوم الحديبية وهم قريش والمستثنون من قبل ﴿فَمَا اسْتَقْتَمُوا لَكُمْ﴾ أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ على الوفاء به ، وما شرطية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ وقد استقام النبي ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨]

٨ ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهد ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يظفروا بكم ﴿لَا يَرْقُبُوا﴾ يراعوا ﴿وَيَكْفُرُوا﴾ يظفروا بكم ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ عهداً بل يؤذونكم ما استطاعوا وجملة الشرط حال ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ يكلامهم الحسن ﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ الوفاء به ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ناقضون للعهد .

﴿اسْتَشْرَعُوا بِعَيْتَةِ اللَّهِ نَمَنَا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾

إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩]

٩ ﴿اسْتَشْرَعُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿نَمَنَا قَلِيلًا﴾ من الدنيا أي تركوا اتباعها للشهوات والهوى ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دينه ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ﴾ بس ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عملهم هذا

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠]

١٠ ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَفَخَرَّخَكُمْ فِي الدِّينِ وَتَفَصَّلَ آيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١] ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَرَّخَكُمْ﴾ أي فهم إخوانكم ﴿فِي الدِّينِ وَتَفَصَّلَ﴾ بين ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون .

﴿وَلَنْ نَكْفُرًا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَتَنَلُوا أَبْهَمَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢]

١٢ ﴿وَإِنْ نَكَثُوا﴾ نقضوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ مواعيقهم ﴿مَنْ بَعْدَ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ عابوه ﴿فَتَنَلُوا أَبْهَمَ الْكُفْرِ﴾ رؤساءه ، فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ﴾ عهد ﴿لَهُمْ﴾ وفي قراءة بالكسر ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ عن الكفر .

﴿أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدُّوكُمْ أَوْلَكِ مَرْءٌ أَخَشَوْنَهُ قَالَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]

١٣ ﴿أَلَا﴾ للتخصيص ﴿تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا﴾ نقضوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ عهدهم ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة ﴿وَهُمْ بَدُّوكُمْ﴾ بالقتال ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بني بكر فما يمنعكم أن تقتلوهم ﴿أَخَشَوْنَهُمْ﴾ اتخافوهم ﴿قَالَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ في ترك قتالهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿قَتَلْتَهُمْ يَمْذُوبُهُمُ اللَّهُ يَأْتِي دِينَكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرَمَكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِ سُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾

١٤ ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ يقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ﴾ يذلهم بالأسر والفهر ﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ بما فعل بهم بنو خزاعة (١)

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿[التوبة: ١٥]

١٥ ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كربها ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ بالرجوع إلى الإسلام كأبي سفيان ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ .

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ

وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَرِجْةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿

١٦ ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ بإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَرِجْةً﴾ بطانة وأولياء ،

المعنى ولم يظهر المخلصون وهم الموصوفون بما ذكر من غيرهم ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ .

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧]

١٧ ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ بالإفراد والجمع بدخوله والقعود فيه ﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطَّتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (٢)

(١) أسباب نزول الآية ١٤ : أخرج أبو الشيخ عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه نزلت في خزاعة حين جعلوا يقتلون بني بكر بمكة.

* وأخرج عن عكرمة قال: نزلت هذه الآية في خزاعة.

* وأخرج عن الشدي «وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ» قال: هم خزاعة حلفاء النبي ﷺ يشف صدورهم من بني بكر.

(٢) أسباب نزول الآيات ١٧-١٨-١٩ : أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قال

العباس حين أسر يوم بدر: إن كنتم سبقتونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نغير المسجد الحرام، ونسقي الحاج، ونفك العاني، فأنزل الله: ﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

﴿كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

﴿كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

﴿كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

﴿كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

﴿كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾

١٨ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ .

﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

١٩ ﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

عَنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الآية.

* وأخرج مسلم، وابن حبان وأبو داود، عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فقال رجل منهم: ما أبالي أن لا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام، وقال آخر بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلت، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، وذلك يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلافتم فيه، فأنزل الله: ﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ إلى قوله: «لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

* وأخرج الفريابي عن ابن سيرين قال: قدم علي بن أبي طالب مكة، فقال للعباس: أي عم ألا تهاجر، ألا تلحق برسول الله ﷺ؟ فقال: أغفر المسجد وأحجب البيت، فأنزل الله: ﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية.

وقال لقوم سماهم: ألا تهاجروا ألا تلحقوا برسول الله ﷺ؟ فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرتنا وساكنتنا، فأنزل الله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ رَضُوا بِهَا حَبًّا إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ فَبِئْسَ مَا كَفَرْتُمْ يَا قَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الآية.

* وأخرج عبد الرزاق عن الشعبي نحوه.

* وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: افتخر طلحة بن شيبه، والعباس، وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقيام عليها، فقال علي: لقد صليت إلى القبلة قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله: ﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية كلها.

﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

﴿أَجْعَلْنَاهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَا نَفَعْنَا آبَاءَكُمْ وَالنَّبِيَّ إِسْمَاعِيلَ وَآلَهُ إِذْ قَالُوا يَا نَبِيَّ نَبِّئْنَا بِمَا نَحْنُ فِيكَ فَإِنَّا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَعْنِيكَ بِشَيْءٍ وَإِنَّا نَحْنُ الْحَرَامُ بِمَا كَفَرْنَا وَإِنَّا لَمَمُوتُ﴾ [التوبة: ١٩]

والجهاد ﴿فَقَرَّبُوا﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ﴾ تهديد لهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ .

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَذْرَبُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذِرِبًا﴾ [التوبة: ٢٥]

٢٥ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ للحرب ﴿كَثِيرَةٍ﴾ كبدر وقريظة والنضير ﴿وَوَإِذْ أَذْكَرَ الْيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ واد بين مكة والطائف ، أي يوم قتالكم فيه هوازن وذلك في شوال سنة ثمان ﴿إِذْ﴾ بدل من يوم ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَذْرَبُكُمْ﴾ فقتلتم لن تغلب اليوم من قلة وكانوا اثني عشر ألفا والكفار أربعة آلاف ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ ما مصدرية أي مع رحبها أي سمتها فلم تجدوا مكانا تطمئنون إليه لشدة ما لحقكم من الخوف ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذِرِبًا﴾ منهزمين ، وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس وأبو سفيان أخذ بركابه (١) .

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُودًا لَّو تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦]

٢٦ ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فردوا إلى النبي ﷺ لما ناداهم العباس بإذنه وقتلوا ﴿وَأَنْزَلَ جُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ملائكة ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ .

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٧]

٢٧ ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ منهم بالإسلام ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِتْمًا الْمَشْرُوكَاتِ بَحْسَ فَلَا

(١) أسباب نزول الآية ٢٥: أخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن أنس: أن رجلاً قال يوم حنين: لن تغلب من قلة، وكانوا اثني عشر ألفاً؛ فسق ذلك على رسول الله ﷺ ، فأنزل الله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَذْرَبُكُمْ﴾ الآية.

في الفضل ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ، نزلت رداً على من قال ذلك وهو العباس أو غيره .

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

٢٠ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً﴾ رتبة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ من غيرهم ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الظافرون بالخير

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَبِرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا فَيْسَةٌ مُّقِيمَةٌ﴾ [التوبة: ٢١]

٢١ ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَبِرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم .
﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

٢٢ ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدره ﴿فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [التوبة: ٢٣]

٢٣ ونزل فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾ اختاروا ﴿الْكَفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

٢٤ ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ أقرباؤكم وفي قراءة ﴿عشيراتكم﴾ ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وتجارة تخشون كسادها﴾ عدم نفاذها ﴿ومساكين ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله﴾ فقعدتم لأجله عن الهجرة

أَنْ يُؤْفَكُونَ ﴿التوبة: ٣٠﴾

٣٠ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ عِيسَى ﴿ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ لا مستند لهم عليه بل ﴿يُضَاهِئُونَ﴾ يشابهون به ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ من آباؤهم تقليداً لهم ﴿قَاتِلْهُمْ﴾ لعنهم ﴿اللَّهُ أَلَمَّ﴾ كيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يُصرفون عن الحق مع قيام الدليل

﴿اتَّخَذُوا أَسْمَاءَهُمْ زُرَّابَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]

٣١ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ﴾ علماء اليهود ﴿وَزُرَّابَاتَهُمْ﴾ عبادة النصارى ﴿زُرَّابَاتًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا﴾ أي يعبدوا ﴿إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ﴾ تزيهاً له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُّورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

٣٢ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بأقوالهم فيه ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ﴾ يظهر ﴿نُّورَهُ﴾ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿ذَلِكَ﴾
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَاتَّبَعَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَاتَّبَعَتْهُمُ اللَّهُ﴾

٣٣ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ محمداً ﷺ ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ عليه ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك.

* * *

(١) أسباب نزول الآية ٣٠: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ سلاماً من مشكم، ونعمان بن أوفى، ومحمد بن دحية، وشاس بن قيس، ومالك بن الصَّيف، فقالوا: كيف تشمك وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله، فأنزله الله في ذلك: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ الآية.

يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ مَدَّ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿التوبة: ٢٨﴾

٢٨ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قدر لخبث باطنهم ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أي لا يدخلوا الحرم ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ عام تسع من الهجرة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فقراً بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ وقد أغناهم بالفتوح والجزية ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]

٢٩ ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ولا لآمنوا بالنبي ﷺ ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ كالخمر ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ الثابت الناسخ لغيره من الأديان وهو دين الإسلام ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بيان للذين ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿عَنْ يَدٍ﴾ حال أي منقادين أو بأيديهم لا يوكلون بها ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أذلاء منقادون لحكم الإسلام .

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَاتَّبَعَتْهُمُ اللَّهُ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٢٨: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان المشركون يجيئون إلى البيت، ويجيئون معهم بالطعام يتجرون فيه، فلما نهوا عن أن يأتوا البيت، قال المسلمون: فمن أين لنا الطعام؟ فأنزل الله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

* وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ عن سعيد بن جبيرة قال: لما نزلت: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ مَدَّ عَامِهِمْ هَذَا﴾ شق ذلك على المسلمين، وقالوا: من يأتينا بالطعام والمتاع؟ فأنزل الله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

* وأخرج مثله عن عكرمة، وعطية العوفي، والضحاك، وقتادة وغيرهم.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]

٣٧ ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ أي التأخير لحرمة شهر إلى
آخره كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة
المحرم إذا حل وهم في القتال إلى صفر ﴿زِيَادَةٌ
فِي الْكُفْرِ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يُضِلُّ﴾ بضم
الياء وفتحها ﴿بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ﴾ أي النسيء
﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا﴾ يوافقوا بتحليل
شهر وتحريم آخر بدله ﴿عِدَّةٌ﴾ عدد ﴿مَا حَرَّمَ
اللَّهُ﴾ من الأشهر فلا يزيدوا على تحريم أربعة ولا
ينقصوا ولا ينظروا إلى أعيانها ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ
زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ﴾ فظنوه حسناً ﴿وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١).

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قَاتِلَةٌ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيئْتُمْ بِالْحَيَاةِ
الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي
الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]

٣٨ ونزل لما دعا النبي ﷺ الناس إلى غزوة
تبوك وكانوا في عسرة وشدة وحر فشق عليهم
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قَاتِلَةٌ﴾ بإدغام التاء في الأصل في
المثناة واجتلاب همزة الوصل أي تباطؤهم وملتم عن
الجهاد ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ والقعود فيها والاستفهام
للتوبيخ ﴿أَرْضِيئْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولداتها ﴿مِنْ
الْآخِرَةِ﴾ أي بدل نعيمها ﴿فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
فِي﴾ جنب متاع ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ حقير (٢).

(١) أسباب نزول الآية ٣٧: أخرج ابن جرير عن أبي مالك
قال: كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهراً، فيجعلون المحرم
صفراً، فيستحلون فيه المحرمات، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ
فِي الْكُفْرِ﴾.

(٢) أسباب نزول الآية ٣٨: أخرج ابن جرير عن مجاهد في
هذه الآية قال: هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح، أمروا
بالقصر في الصيف حين حُرِّقَتِ النَّخْلُ طَابَتِ الثَّمَارُ واشتهوا
الظلال، وشق عليهم الخرج، فأنزل الله: ﴿انفروا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

٣٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]

٣٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ كالرشا في الحكم ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ النَّاسِ
﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَالَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَكْتُمُونَ﴾
الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا﴾ أي الكنوز ﴿فِي﴾
سَبِيلِ اللَّهِ أَي لَا يُؤَدُّونَ مِنْهَا حَقَّهُ لِلزَّكَاةِ وَالْخَيْرِ
﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا
جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ
لأنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [التوبة: ٣٥]

٣٥ ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى﴾
تُحْرَقُ ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ﴾ وتوسع
جلودهم حتى توضع عليها كلها ويقال لهم ﴿هَذَا
مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ فذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي
جزاء

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي
كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا
أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ
أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُ كَمَا يُفْتَلُونَكُمْ
كَأَنَّهُ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]

٣٦ ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ المعتد بها للسنة
﴿عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اللوح
المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا﴾ أي
الشهور ﴿أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ محرمة هي ذو القعدة وذو
الحجة والمحرم ورجب ﴿ذَلِكَ﴾ أي تحريمها
﴿الَّذِينَ الْقِيَمُ﴾ المستقيم ﴿فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ﴾ أي
الأشهر الحرم ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بالمعاصي فإنها أعظم
وزراً وقيل في الأشهر كلها ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ
كَأَنَّهُ جَمِيعًا فِي كُلِّ الشُّهُورِ﴾ كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ
كَأَنَّهُ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر .

الشهادة ﴿هِيَ الْعَلِيَا﴾ الظاهرة الغالبة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه .

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

٤١ ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ نشاطاً وغير نشاط وقيل أقياء وضعفاء أو أغنياء وفقراء وهي منسوخة بآية ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فلا تناقلوا ^(١).

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السَّعَةُ وَسَخِلْفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢]

٤٢ ونزل في المنافقين الذين تخلفوا ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دعوتهم إليه ﴿عَرَضًا﴾ متاعاً من الدنيا ﴿قَرِيبًا﴾ سهل المأخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطاً ﴿لَاتَّبَعُوكَ﴾ طلباً للنعمة ﴿وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السَّعَةُ﴾ المسافة فتخلفوا ﴿وَسَخِلْفُونَ بِاللَّهِ﴾ إذا رجعت إليهم ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا﴾ الخروج ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ بالحلف الكاذب ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم ذلك .

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَقَلَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]

٤٣ وكان ﷺ أذن لجماعة في التخلف باجتهاد منه ، فنزل عتاباً له وقدم العفو تطميناً لقلبه ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ في التخلف وهلا تركتهم ﴿حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في العذر ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه ^(٢) .

* * *

﴿إِلَّا نَفِرُوا بُعَدْتُمْ عَدَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

٣٩ ﴿إِلَّا﴾ بإدغام لا في نون إن الشرطية في الموضوعين ﴿تَنفِرُوا﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿بُعَدْتُمْ عَدَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي يأت بهم بدلکم ﴿وَلَا تَضُرُّهُ﴾ أي الله أو النبي ﷺ ﴿شَيْئًا﴾ بترك نصره فإن الله ناصر دينه ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصرُ دينه ونبيه ^(١) .

﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَّةُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

٤٠ ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾ أي النبي ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ﴾ حين ﴿أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكة أي الجأوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ حال أي أحد اثنين والآخر أبو بكر المعنى نصره الله في مثل تلك الحالة فلا يخذله في غيرها ﴿إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿هُمَا فِي الْغَارِ﴾ نقب في جبل ثور ﴿إِذْ﴾ بدل ثان ﴿يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ أبي بكر وقد قال له لما رأى أقدام المشركين : لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل على النبي ﷺ وقيل على أبي بكر ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ أي النسبى ﷺ ﴿بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ ملائكة في الغار ومواطن قتاله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي دعوة الشرك ﴿السُّفْلَى﴾ المغلوبة ﴿وَكََلِمَةَ اللَّهِ﴾ أي كلمه

(١) أسباب نزول الآية ٤١ : أخرج ابن جرير عن حزمري أنه ذكر له أن أناساً كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلاً أو كبيراً، فيقول: إني آمم ! فأنزل الله: «انفروا خِفَافًا وَثِقَالًا».

(٢) أسباب نزول الآية ٤٣ : أخرج ابن جرير: عن عمرو بن ميمون الأزدي قال: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر بهما بشيء: إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأسارى، فأنزل الله: «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ».

(١) أسباب نزول الآية ٣٩ : أخرج ابن أبي حاتم عن نجدة ابن نفع قال: سألت ابن عباس عن هذه الآية، فقال: استنفر رسول الله ﷺ حياً من أحياء من العرب فتناقلوا عنه، فأنزل الله: «إِلَّا تَنفِرُوا بُعَدْتُمْ عَدَابًا أَلِيمًا فَأَمْسَكَ عَنْهُمْ الْمَطَرُ، فَكَانَ عَذَابُهُمْ» .

كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ لَهُ فَدْخَلُوا فِيهِ ظَاهِرًا .

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَتَذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]

٤٩ ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَتَذَن لِّي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ وهو الجَد بن قيس قال له النبي ﷺ: «هل لك في جِلاَد بني الأصفر؟» فقال: إني مغرم بالنساء؛ وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن فأفتنن، قال تعالى ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ بالتخلف، وقرئ سقط ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ لا محيص لهم عنها (١).

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسَبِّحْهُنَّ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْهُ﴾ [التوبة: ٥٠]

٥٠ ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾ كنصر وغنيمة ﴿تَسَبِّحْهُنَّ﴾ وإن تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ شدة ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا﴾ بالحرم حين تخلفنا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل هذه المعصية ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْهُ﴾ بما أصابك (٢).

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾

(١) أسباب نزول الآية ٤٩: أخرج الطبراني، وأبو نعيم، وابن مردويه، عن ابن عباس قال: لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال للجد بن قيس: يا جد بن قيس ما تقول في مجاهدة بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله إني امرؤ صاحب نساء ومتى أرى نساء بني الأصفر أفتن فأذن لي ولا تفتني، فأنزل الله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَتَذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ الآية.

* وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث جابر بن عبد الله مثله.

* وأخرج الطبراني من وجه آخر عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: اغزوا تغصموا بنات بني الأصفر، فقال ناس من المنافقين: إنه ليفتنكم بالنساء، فأنزل الله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَتَذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي﴾.

(٢) أسباب نزول الآية ٥٠: أخرج ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله قال: جعل المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبي ﷺ أخبار الشوء، يقولون: إن محمداً وأصحابه قد جهدوا في سبهم، وهلكوا، فبلغهم تكذيب حديثهم وعافية النبي ﷺ وأصحابه فسأهم ذلك، فأنزل الله: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسَبِّحْهُنَّ﴾ الآية.

﴿لَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ ٤٤ ﴿لَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ في التخلف عن ﴿أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ .

﴿إِنَّمَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَاتَّابَتْ قُلُوبُهُمْ فَمَهْمُ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ ٤٥ ﴿إِنَّمَا يَسْتَفْذِنُكَ﴾ في التخلف ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَاتَّابَتْ﴾ شكك ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ في الدين ﴿فَمَهْمُ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ يتحيرون

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]

٤٦ ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ معك ﴿لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً﴾ أهبة من الآلة والزراد ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ أي لم يرد خروجهم ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ كسلبهم ﴿وقيل﴾ لهم ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ المرضى والنساء والصبيان، أي قدر الله تعالى ذلك .

﴿لَوْ حَرَجُوا فِئَكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا فِئَتِكُمْ يَتَغَوَّنَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِئَكُمْ سَمْعُونَ لَمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧]

٤٧ ﴿لَوْ حَرَجُوا فِئَكُمْ﴾ ما زادوكم إلا خبالاً ﴿فَسَادَا﴾ بتخذييل المؤمنين ﴿وَلَا أُضْعَفُوا﴾ أي أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة ﴿يَتَغَوَّنَكُمْ﴾ يطلبون لكم ﴿الْفِتْنَةَ﴾ بإلقاء العداوة ﴿وَفِئَكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ ما يقولون سماع قبول ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ .

﴿لَقَدْ آتَيْنَا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾

٤٨ ﴿لَقَدْ آتَيْنَا الْفِتْنَةَ﴾ لك ﴿الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ أول ما قدمت المدينة ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أي أجالوا الفكر في كيدك وإبطال دينك ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾ النصر ﴿وَوَضَّحَتْ﴾ عن ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾

٥٥ ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ أي لا تستحسن نعمنا عليهم فهي استدراج ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ أي أن يعذبهم ﴿بِمَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بما يلقون في جمعها من المشقة وفيها من المصائب ﴿وَتَرْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب .

﴿وَيُخَلِّفُونَ بِاللَّهِ إِتْمَانَهُمْ وَمَا هُمْ بِبِنَايِهِمْ﴾
﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦]

٥٦ ﴿وَيُخَلِّفُونَ بِاللَّهِ إِتْمَانَهُمْ لَيْبِنُكُمْ﴾ أي مؤمنون ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية .

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَعْرَاجًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٧]

٥٧ ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا﴾ يلجأون إليه ﴿أَوْ مَعْرَاجًا﴾ سراديب ﴿أَوْ مَدْخَلًا﴾ موضعاً يدخلونه ﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسرعاً لا يرده شيء كالفرس الجموع .

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَلِيْزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْفُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]

٥٨ ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَلِيْزُكَ﴾ يعيبك ﴿فِي﴾ قسم ﴿الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْفُونَ﴾^(١)

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَيْنَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩]

٥٩ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وقالوا حسبتنا﴾ كافينا ﴿اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ من غنيمة أخرى ما

(١) أسباب نزول الآية ٥٨: روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم قسماً إذ جاءه ذو الخويصرة، فقال: اعدل. فقال: وبلك من يعدل إذا لم أعدل؟ فنزلت: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَلِيْزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ الآية. * وأخرج ابن أبي حاتم عن جابر نحوه.

٥١ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ إصابة ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢]

٥٢ ﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل أي تنتظرون أي يقع ﴿بِنَا إِلَّا إِحْدَى﴾ العاقبتين ﴿الحُسَيْنَيْنِ﴾ تشبیه حسنى ، تأنيث أحسن النصر أو الشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ﴾ ننتظر ﴿بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ بقارعة من السماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ بأن يؤذنا لنا في قتالكم ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ عاقبتكم .

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِلاَّ كَمَنْ كَفَرَ قَوْمًا فَايِقِينَ﴾ [التوبة: ٥٣]

٥٣ ﴿قُلْ أَنْفِقُوا﴾ في طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ ما أنفقتموه ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ والأمر هنا بمعنى الخير .

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ﴾

٥٤ ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ﴾ بالياء والتاء ﴿مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ﴾ فاعل ؛ وأن تقبل مفعول ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ متناقلون ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ﴾ النفقة لأنهم يعدونها مفرماً .

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]

(١) أسباب نزول الآية ٥٣: أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قال الخدري بن قيس: إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتن، ولكن أعينك بمالي، قال: ففيه نزلت: ﴿أنفقوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ قال: لقوله: أعينك بمالي.

﴿أَذُنُ﴾ مستمع ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لا مستمع شر ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾ يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالرفع عطفاً على أذن والجر عطفاً على خير ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦١)

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢]

٦٢ ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول أنهم ما أتوه ﴿لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ بالطاعة ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً وتوحيد الضمير لتلازم الرضاهين وخير الله أو رسوله محذوف

﴿أَلَمْ يَسْلَمُوا أَنَّهُمْ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولَهُ فَأَبْدَأَهُمُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾

٦٣ ﴿أَلَمْ يَغْلَمُوا أَنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿مَنْ يُحَادِدِ﴾ يشاقق ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ جزاء ﴿خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾

٦٤ ﴿يَحْذَرُ﴾ يخاف ﴿الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وهم مع ذلك يستهزئون ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَا تَحْذَرُونَ﴾ إخراجاً من نفاقكم

﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾

٦٥ ﴿وَلَكِنْ﴾ لام القسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلي تبوك ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ معتدلين ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ في الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ

أسباب نزول الآية ٦١: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان نبتل بن الحارث يأتي رسول الله ﷺ فيجلس إليه فيسمع منه وينقل حديثه إلى المنافقين، فأنزل الله: «ومنهم الذين يؤذون النبي» الآية.

يكفينا ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ أن يغنيننا ، وجواب لو لكان خيرا لهم .

﴿إِنَّمَا السَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَعْمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْقَدْرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]

٦٠ ﴿إِنَّمَا السَّدَقَاتُ﴾ الزكوات مصروفة ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي الصدقات من جاب وقاسم وكاتب وحاشر ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ﴾ ليسلوا أو يثبت إسلامهم أو يسلم نظراؤهم أو يذبوا عن المسلمين أقسام الأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لعز الإسلام بخلاف الآخرين فيعطيان على الأصح ﴿وَفِي﴾ فك ﴿الرِّقَابِ﴾ أي المكاتبين ﴿وَالْقَدْرَمِينَ﴾ أهل الدين إن استدانوا لغير معصية أو تابوا وليس لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي القائمين بالجهاد ممن لا فيء لهم ولو أغنياء ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿فَرِيضَةً﴾ نصب بفعله المقدر ﴿مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا منع صنف منهم إذا وجد فيقسمها الإمام عليهم السواء وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض وأفادت اللام وجوب استغراق أفرادها لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف ولا يكفي دونها كما أفادته صيغة الجمع وبينت السنة أن شرط المعطى منها الإسلام وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً .

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

٦١ ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي المنافقين ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بعيبه وبنقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا نهوا عن ذلك لئلا يبلغه ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أي يسمع كل قيل ويقبله فإذا حلفنا له أننا لم نقل صدقنا ﴿قُلْ﴾ هو

تَشْتَهَرُونَ ﴿١﴾

﴿لَا تَعْدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعَذِبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦]

٦٦ ﴿لَا تَعْدِرُوا﴾ عنه ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان ﴿إِنْ نَعَفَ﴾ بالياء مبنياً للمفعول والنون مبنياً للفاعل ﴿عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ بإخلاصها وتوبتها كجحش بن حمير ﴿نَعَذِبْ﴾ بالياء والنون ﴿طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ مصرين على النفاق والاستهزاء .

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

٦٧ ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي متشابهون في الدين كأبعض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ تركوا طاعته

(١) أسباب نزول الآية ٦٥: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأينا مثل قرآن هؤلاء، ولا أرغب بطوبأ، ولا أكذب أسنة ولا أجن عند اللقاء منهم، فقال له رجل: كذبت، ولكنا منافق لأخبرن رسول الله ﷺ، فيبلغ ذلك رسول الله ﷺ نزل القرآن، قال ابن عمر: فأنا رأيت متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ والحجارة تنكيه وهو يقول: يا رسول الله ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ ورسول الله ﷺ يقول: ﴿بِاللَّهِ وَأَهْلِيهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ .

* ثم أخرج من وجه آخر عن ابن عمر نحوه، وسعى الرجل عبد الله بن أبي.

* وأخرج عن كعب بن مالك قال مخشي بن حمير: لوددت أنني أقاضي على أن يضرب كل رجل منكم مائة مائة على أن ننجو من أن ينزل فينا قرآن فيبلغ النبي ﷺ فجاءوا يعتدون، فأقول: لا تعذرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ الآية، فكان الذي عفا الله عنه مخشي بن حمير، فسمي عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم بمقتله، فقتل يوم اليمامة لا يعلم مقتله ولا من قتله.

* وأخرج ابن جرير عن قتادة، أن ناساً من المنافقين قالوا في غزوة تبوك يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيات، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فأتاهم فقال: قلتم كذا وكذا، قالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فنزلت.

﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من لطفه ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾

٦٨ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ جزاء وعقاباً ﴿وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَانُوا أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

٦٩ أنتم أيها المنافقون ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَانُوا أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا﴾ تمتعوا ﴿بِخَلْقِهِمْ﴾ نصيبهم من الدنيا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾ أيها المنافقون ﴿بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في الباطل والظعن في النبي ﷺ ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ أي كخوضهم ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠]

٧٠ ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وَتَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ قري قوم لوط أي أهلها ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات فكذبوهم فأهلكوا ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بأن يعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب .

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْمِعُونَ الصَّلَاةَ﴾

والمعنى لم ينلهم منه إلا هذا وليس مما ينقم ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿بِكَ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظهم منه ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ يمنعهم (١).

﴿وَمَنْهُمْ مَنَّ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ نَأْتِيَنَّكَ مِنْ فَضْلِهِ .
لَنَصَدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥]

٧٥ ﴿وَمَنْهُمْ مَنَّ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ نَأْتِيَنَّكَ مِنْ فَضْلِهِ
لَنَصَدَّقَنَّ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد
﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وهو ثعلبة بن حاطب ،

(١) أسباب نزول الآية ٧٤: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان الجلاس بن سويد بن الصامت ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وقال: لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر من الحمير، فرجع عمير بن سعد ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فحلف بالله ما قلت، فأنزل الله: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ الآية، فرجعوا: أنه تاب وحسنت توبته.
* ثم أخرج عن كعب بن مالك نحوه.

* وأخرج ابن سعد في الطبقات نحوه عن عروة.
* وأخرج ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك قال: سمع زيد ابن أرقم رجلاً من المنافقين يقول والنبي ﷺ يخطب: إن كان هذا صادقاً لنحن شر من الحمير، فرجع ذلك إلى النبي ﷺ فوجد القائل، فأنزل الله: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ الآية.
* وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل شجرة، فقال: إنه سيأتيكم إنسان فينظر بعيني شيطان، فطلع رجل أزرق فدعا رسول الله ﷺ فقال: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا هذا حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ الآية.

* وأخرج عن قتادة قال: إن رجلين اقتتلا، أحدهما من جبهة الآخر من غفار، وكانت جبهة حلفاء الأنصار، وظهر الغفاري على الجهيني، فقال عبد الله بن أبي الأوس: أنصروا أحاكم، فوالله ما مثلكا ومثل محمد إلا كما قال القائل: ﴿سَمَّيْكَ كَلِيكَ يَا كَلِيكَ، لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ فيسعى رجل من المسلمين إلى رسول الله ﷺ، فأرسل إليه فسأله، فجعل يحلف بالله ما قال، فأنزل الله تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ الآية.

* وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: هم رجل يقال له: الأسود يقتل النبي ﷺ، فنزلت: ﴿وَهُمْوَا بَمَا لَمْ يَنْتَالُوا﴾.
* وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة: أن مولى بني عدي بن كعب قتل رجلاً من الأنصار، ففضي النبي ﷺ بالذبة اثني عشر ألفاً، وفيه نزلت: ﴿وَمَا تَقْتُمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

﴿وَيُؤْتُونَكَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]

٧١ ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ لا يعجزه شيء عن إنجاز وعده ووعيده ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يضع شيئاً إلا في محله .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينٍ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]

٧٢ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينٍ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أعظم من ذلك كله ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]

٧٣ ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهاز والمقت ﴿وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي .

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَتُّوا بِمَالَهُمْ نَبَأًا وَمَا تَقَمُّوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا بِكَ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

٧٤ ﴿يَخْلِفُونَ﴾ أي المنافقين ﴿بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ ما بلغك عنهم من السب ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهُمْوَا بَمَا لَمْ يَنْتَالُوا﴾ من الفتك بالنبي ليلة العقبة عند عودته من تبوك وهم بضعة عشر رجلاً فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه فردوا ﴿وَمَا تَقَمُّوا﴾ أنكروا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالغنائم بعد شدة حاجتهم

تاجوا به بينهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ما غاب عن العيان ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فنصدق بشيء كثير فقال المنافقون مرءاه، وجاء رجل فنصدق بصاع فقالوا إن الله غني عن صدقة هذا فنزل .

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]

٧٩ ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَلْمِزُونَ﴾ يعيبون ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ المتنفلين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ طاعتهم فيأتون به ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ والخير ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) .

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

٨٠ ﴿اسْتَغْفِرْ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ تخيير له في الاستغفار وتركه قال ﷺ : ﴿إني خيرت فاخترت يعني الاستغفار﴾ رواه البخاري ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قيل المراد بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار وفي البخاري حديث «لو أعلم أنني لو زدت على السبعين غفر لزدت عليها» وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه أيضاً «وسأزيد على السبعين» فبين له حسم المغفرة بآية ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ .

(١) أسباب نزول الآية ٧٩: روى الشيخان عن أبي مسعود قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نتحامل على ظهورنا، فجاء رجل فنصدق بشيء كثير، فقالوا: مرءاه، وجاء رجل فنصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، فنزل: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ الآية.

• وورد نحو هذا من حديث أبي هريرة، وأبي عقيب، وأبي سعيد الخدري، وابن عباس، وعميرة بنت سهيل بن رافع، أخرجها كلها ابن مردويه.

سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالا ويؤدي منه إلى كل ذي حق حقه فدعا له فوسع عليه فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة كما قال تعالى (١) .

﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [التوبة: ٧٦]

٧٦ ﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا﴾ عن طاعة الله ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ .

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾

٧٧ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي فصير عاقبتهم ﴿نِفَاقًا﴾ ثابتاً ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ أي الله وهو يوم القيامة ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ فيه فجاء بعد ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم بركاته فقال إن الله منعتني أن أقبل منك فجعل يحشو التراب على رأسه، ثم جاء إلى أبي بكر فلم يقبلها، ثم إلى عمر فلم يقبلها ثم إلى عثمان فلم يقبلها ومات في زمانه .

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨]

٧٨ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أي المنافقين ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما أسروه في أنفسهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما

(١) أسباب نزول الآية ٧٥: أخرج الطبراني وابن مردويه وابن أبي خاتم والبيهقي في الدلائل بسند ضعيف عن أبي أمامة: أن ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا، قال: ويحك يا ثعلبة قليل تؤذي شكريه خير من كثير لا تطيقه، قال: والله لئن آتاني الله مالا لأؤتين كل ذي حق حقه، فدعا له فاتخذ غنماً، فتمت حتى ضاقت عليه أرفة المدينة فتنحى بها، وكان يشهد الصلاة ثم يخرج إليها، ثم تمت حتى تعدت عليه مراعي المدينة فتنحى بها، فكان يشهد الجمعة ثم يخرج إليها، ثم تمت فتنحى بها، فترك الجمعة والجماعات، ثم أنزل الله على رسوله: ﴿وَحُدِّثْ بِأَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾، فاستعمل على الصدقات رجلين، وكتب لهما كتاباً، فأتيا ثعلبة فأقرأه كتاب رسول الله ﷺ فقال: إنطلقا إلى الناس، فإذا فرغتم فمروا بي فعلا، فقال: ما هذه إلا أخت الجزية فانطلقا، فأنزله الله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُؤْتِيَنَّكَ﴾ إلى قوله: ﴿يَكْذِبُونَ﴾ الحديث.

• وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن طريق العوفي عن ابن عباس نحوه. قلت: وهذه القصة لا تصح .

النساء والصبيان وغيرهم.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾

٨٤ ﴿ولما صلى النبي ﷺ على ابن أبي نزل﴾
﴿ولا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾
﴿لدفن أو زيارة﴾ ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ كافرون (١).

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾

٨٥ ﴿ولا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾
﴿أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾

﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطُّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٨٦]

٨٦ ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أي طائفة من القرآن
﴿أَنْ﴾ أي بآن ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ﴾
﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطُّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِحَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧]

٨٧ ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ جمع
خالفة أي النساء اللاتي تخلفهن في البيوت ﴿وَطُبِحَ﴾
﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الخبير .

﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١]

٨١ ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي بقعودهم ﴿خِلَافَ﴾ أي بعد ﴿رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿لَا تَنْفِرُوا﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ من تبوك فالأولى أن يتقوها بترك التخلف ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون ذلك ما تخلفوا .

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢]

٨٢ ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا﴾ في الآخرة ﴿كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ خبر عن حالهم بصيغة الأمر .

﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنَكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾

٨٣ ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ﴾ ردك ﴿اللَّهُ﴾ من تبوك ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ ممن تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿فَاسْتَأْذَنَكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾ ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ المتخلفين عن الغزو من

(١) أسباب نزول الآية ٨١: أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ الناس أن يبعثوا معه وذلك في الصيف، فقال رجل: يا رسول الله الحار شديد ولا نستطيع الخروج فلا تفر في الحر، فأذن الله: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ الآية.

* وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال: خرج رسول الله ﷺ في حر شديد إلى تبوك، فقال رجل من بني سلمة: لا تنفروا في الحر، فأذن الله: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ الآية.

* وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق، عن عاصم بن عمرو بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: قال رجل من المنافقين: لا تنفروا في الحر، فنزلت.

(١) أسباب نزول الآية ٨٤: روى الشيخان عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي، جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام ليصلي عليه، فقام عمر بن الخطاب، فأخذ بثوبه وقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي على المنافقين، قال: «إنما قد خيرني الله فقال: «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة» وسأزيد على السبعين»، فقال: إنه منافق، فصلى عليه، فأذن الله: «ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره» فترك الصلاة عليهم.

* ورد ذلك من حديث عمر وأنس وجابر وغيرهم.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ
لَا أَحَدٌ مَّا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ
مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾

٩٢ ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾
معك إلى الغزو وهم سبعة من الأنصار وقيل بنو
مُفَرِّقٍ ﴿قُلْتَ لَا أَحَدٌ مَّا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال
﴿تَوَلَّوْا﴾ جواب إذا أي انصرفوا ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾
تسيل ﴿مِنَ﴾ للبيان ﴿الدَّمْعِ حَزَنًا﴾ لأجل
﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ في الجهاد .

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ
أَغْيَابٌ رَضُوا بَأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى
قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣]

٩٣ ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ﴾ في
التخلف ﴿وَهُمْ أَغْيَابٌ رَضُوا بَأَن يَكُونُوا مَعَ
الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
تقدم مثله .

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَن
تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ
عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُزَدُّونَ إِلَىٰ عِلْيِهِ الْعَنِيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

٩٤ ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إِذَا
رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَا تَعْتَذِرُوا
لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ نصدقكم ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ
أَخْبَارِكُمْ﴾ أي أخبرنا بأحوالكم ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ
عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُزَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَىٰ عَالِمِ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي الله ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه .

* * *

وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: أمر رسول الله
ﷺ الناس أن يبعثوا غازين معه، فجاءت عصابة من أصحابه
فيهم عبد الله بن معقل المزني، فقال: يا رسول الله احملنا،
فقال: «والله لا أجد ما أحملكم عليه»، فولوا ولهم بكاء، وعز
عليهم أن يُحسبوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملاً،
فأنزل الله عز وجل: «ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم...»
الآية.

﴿ذَكَرْتُ أَسْمَاءَهُمْ فِي الْمَهْمَاتِ﴾

وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَاءَهُمْ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأَوْلِيَاءَهُمْ
الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨]

٨٨ ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا
بَأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَاءِهِمْ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ في الدنيا
والآخرة ﴿وَأَوْلِيَاءَهُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفاترون .

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٨٩]

٨٩ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ
الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٠]

٩٠ ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ يادغام التاء في الأصل
في الذال أي المعتذرون بمعنى المعذرين وقرئ به
﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في
العود لعذرهم فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ﴾ في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن
المجيب للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ
مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

٩١ ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ كالشيخوخ
﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ كالعمي والزمنى ﴿وَلَا عَلَى
الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرَجٌ﴾
إثم في التخلف عنه ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في
حال قعودهم بعدم الإرجاف والتشيط والطاعة ﴿مَا
عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿مِنَ سَبِيلٍ﴾ طريق
بالمواخذه ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم في
التوسعة في ذلك^(١) .

(١) أسباب نزول الآية ٩١ : أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن
ثابت قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ فكنت أكتب براءة،
فإني لو اضع القلم على أذني إذ أمرنا بالقتال، فجعل رسول الله
ﷺ ينظر ما ينزل عليه، إذ جاءه أعمى فقال: كيف بي يا
رسول الله وأنا أعمى، فنزلت: «ليس على الضعفاء...» الآية.

٩٩ ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ﴾ كجهينة ومزينة ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ في
سبيل الله ﴿فَقُرْبَاتٍ﴾ تقربه ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ وسيلة
إلى ﴿صَلَوَاتٍ﴾ دعوات ﴿الرُّسُولِ﴾ له ﴿أَلَا إِنَّهَا﴾
أي نفقتهم ﴿قُرْبَةٌ﴾ بضم الراء وسكونها ﴿لَهُمْ﴾
عنده ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾
غَفُورٌ ﴿لِأَهْلِ طَاعَتِهِ﴾ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم (١).

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالنَّاصِرِينَ﴾
اتَّبَعُوهُمْ يَإْحْسَنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]

١٠٠ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالنَّاصِرِينَ﴾ وهم من شهد بدرًا أو جميع الصحابة
﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ﴾ إلى يوم القيامة ﴿يَإْحْسَنِينَ﴾ في
العمل ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾
بشوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
وفي قراءة بزيادة ﴿مَنْ﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ﴾
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

﴿وَمَنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ
سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾

١٠١ ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ يا أهل المدينة ﴿مَنْ
الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ كأسلم وأشجع وغفار ﴿وَمِنْ
أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ منافقون أيضا ﴿مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ﴾
لجوا فيه واستمروا ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ خطاب للنبي ﷺ
﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ بالفضيحة أو
القتل في الدنيا وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ في
الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هو النار .

﴿وَالْآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ
سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
١٠٢ ﴿و﴾ قوم ﴿آخَرُونَ﴾ مبتدأ ﴿اعْتَرَفُوا﴾

﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُتْرَضُوا
عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥]

٩٥ ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ رجعتم
﴿إِلَيْهِمْ﴾ من تبوك أنهم معذرون في التخلف
﴿لِيُتْرَضُوا عَنْهُمْ﴾ بترك المعاتبه ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾
لأنهم رَجِسٌ ﴿قَدِرٌ لَّخِيبٌ﴾ باطنهم ﴿وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ .

﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾

٩٦ ﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا
عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي
عنهم ولا ينفع رضاكم مع سخط الله .

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا
حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

٩٧ ﴿الْأَعْرَابُ﴾ أهل البدو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا﴾
وَنِفَاقًا ﴿مِنَ أَهْلِ الْمَدِينِ﴾ لجفائهم وغلظ طباعهم
وبعدهم عن سماع القرآن ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أولى ﴿أَلَّا﴾
يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴿مِنَ﴾
الْأَحْكَامِ وَالشَّرَاعِ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾
في صنعه بهم .

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ
الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

٩٨ ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ في
سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ غرامة وخسراناً لأنه لا يرجو
ثوابه بل ينفقه خوفاً وهم بنو أسد وغطفان
﴿وَيَتَرَبَّصُّ﴾ ينتظر ﴿بِكُمُ الدَّوَابِّ﴾ دوائر الزمان أن
تنقلب عليكم فيتخلص ﴿عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ﴾
بالضم الفتح ، أي يدور العذاب والهلاك عليهم
لا عليكم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عباده ﴿عَلِيمٌ﴾
بأفعالهم .

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ
الرُّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٩]

(١) أسباب نزول الآية ٩٩ : أخرج ابن جرير عن مجاهد:
أنها نزلت في بني مقرن الذين نزلت فيهم: وولا على الدين إذا
ما أتوك لتحملهم.

* وأخرج عبد الرحمن بن مغلل المزني قال: كنا عشرة
ولد مقرن، فنزلت فينا هذه الآية.

﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

١٠٣ ﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ من ذنوبهم فأخذ ثلث أموالهم وتصدق بها ﴿وَصَلَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي ادع لهم ﴿وَأَنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ﴾ رحمة ﴿لَهُمْ﴾ وقيل طمأنينة بقبول توبتهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ أَتَوْابٌ الرَّحِيمُ﴾

١٠٤ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ﴾ يقبل ﴿الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ﴾ على عباداه بقبول توبتهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم، والاستفهام للتقرير والقصد به هو تهييجهم إلى التوبة والصدقة .

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِرُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]

١٠٥ ﴿وَقُلْ﴾ لهم أو للناس ﴿أَعْمَلُوا﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي الله ﴿فَيُنشِرُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يجازيكم به . ﴿وَمَا أُخْرِجَتْ مُرْجُونَ لِأَنَّ اللَّهَ إِمَّا يَدْعِبُكُمْ وَإِمَّا يُتُوبُ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٦]

١٠٦ ﴿وَأَخْرَجُوا﴾ من المتخلفين ﴿مُرْجُونَ﴾ بالهمز وتركه مؤخرون عن التوبة ﴿لِأَنَّ اللَّهَ﴾ فيهم بما شاء ﴿إِمَّا يَدْعِبُكُمْ﴾ بأن يميتهم بلا توبة ﴿وَأَمَّا يُتُوبُ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم ، وهم الثلاثة الآتون بعد مرارة بن الربيع

قالت: أن توبة أبي لبابة نزلت في بيتي، فسمعت رسول الله ﷺ يضحك في الشحر، فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: تيب على أبي لبابة، فقلت: أوذنه بذلك؟ فقال: ما شئت، فقلت على باب الحجر، وذلك قبل أن يضرب الحجاب، فقلت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك فزار الناس ليطفوه، فقال: حتى يأتي رسول الله ﷺ فيكون هو الذي يطفئي، فلما خرج إلى الصبح أطلقه فنزلت: ﴿وَأَخْرَجُوا﴾ اغتربوا بذنوبهم.

بذنوبهم ﴿من التخلف نعتة والخبر﴾ حَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وهو جهادهم قبل ذلك أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك ﴿وَأَخْرَجُوا سَيِّئًا﴾ وهو تخلفهم ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ نزلت في أبي لبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين وحلفوا لا يحلهم إلا النبي ﷺ فحلهم لما نزل^(١)

(١) أسباب نزول الآية ١٠٢: أخرج ابن مردويه، وابن أبي حاتم من طريق العوفي، عن ابن عباس قال: غزا رسول الله ﷺ فتخلف أبو لبابة وخمسة معه، ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا، وأيقنوا بالهلاك، وقالوا: نحن في الظل والطمأنينة مع النساء، ورسول الله ﷺ والمؤمنون معه في الجهاد، والله لو توفقت أنفسنا بالسواري، فلا نطلقها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقها، ففعلوا، وبقي ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم، فرجع رسول الله ﷺ من غزوته، فقال: «من هؤلاء المؤمنون بالسواري؟» فقال رجل: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا، ففاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم.

* فقال: «لا أطلقهم حتى أؤمر بإطلاقهم» فأنزل الله: ﴿وَأَخْرَجُوا﴾ اغتربوا بذنوبهم، الآية.

* فلما نزلت أطلقهم وعذرهم، وبقي الثلاثة الذين لم يوثقوا أنفسهم لم يذكروا بشيء، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَأَخْرَجُوا﴾ مرجون لأمر الله الآية. فحمل أناس يقولون: هلكوا؛ إذ لم ينزل عذرهم، وأخرون يقولون: عسى الله أن يتوب عليهم حتى نزلت: ﴿وَعَلَىٰ﴾ الثلاثة الذين خلفوا.

* وأخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نحوه وزاد: فجاء أبو لبابة وأصحابه بأموالهم حين أطلقوا، فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا فصدق بها عتاً واستغفر لنا، فقال: ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً، فأنزل الله: ﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية.

* وأخرج هذا القدر وحده عن سعيد بن جبيرة والضحاك، وزيد بن أسلم، وغيرهم.

* وأخرج عن قتادة أنها نزلت في سبعة: أربعة منهم ربطوا أنفسهم في السواري ، وهم أبو لبابة، ومرداس، وأوس بن خذام، وثعلبة بن وداعة.

* وأخرج أبو الشيخ وابن منده في الصحابة من طريق الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: كان ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في تبوك ستة: أبو لبابة، وأوس بن خذام، وثعلبة بن وداعة، وكعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية. فجاء أبو لبابة، وأوس، وثعلبة، فربطوا أنفسهم بالسواري وجاءوا بأموالهم فقالوا: يا رسول الله خذ هذا الذي حبسنا عنك، فقال: لا أحلهم حتى يكون قتال، فنزل القرآن: ﴿وَأَخْرَجُوا﴾ اغتربوا بذنوبهم، الآية، إسناده قوي.

* وأخرج ابن مردويه - بسند فيه الواقدي - عن أم سلمة

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]

١٠٨ ﴿لَا تَقُمْ﴾ تصل ﴿فِيهِ أَبَدًا﴾ فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ بنيت قواعده ﴿عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وضع يوم حلت بدار الهجرة، وهو مسجد قباء كما في البخاري ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿تَقُومَ﴾ تصلي ﴿فِيهِ﴾ فيه رجال ﴿هم الأنصار﴾ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ أي يشبههم ، فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء ، روى ابن خزيمة في صحيحه عن عويمر بن ساعدة أنه ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال: إن الله تعالى قد أحسن عليكم الشاء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به ، قالوا: والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أديبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وفي حديث رواه البزار فقالوا: نتبع الحجارة بالماء فقال: هو ذلك فعليكموه .

عامر: ابنوا مسجدكم، واستمدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فأني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فأني بجند فأخرج محمداً وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا له: لقد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه، فأذن الله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾.

* وأخرج الواحدي عن سعد بن أبي وقاص قال: إن المناققين عرضوا بمسجد يبنونه يضاؤون به مسجد قباء لأبي عامر الزاهد يرضونه إذا قدم ليكون إمامهم فيه، فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إننا بنينا مسجداً فصل فيه، فنزلت: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾.

* وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم.

* وأخرج عمر بن شبة في أخبار المدينة، من طريق الوليد ابن أبي سندر الأسلمي عن يحيى بن سهل الأنصاري عن أبيه: أن هذه الآية نزلت في أهل قباء كانوا يغسلون أديبارهم من الغائط: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا﴾ الآية.

* وأخرج ابن جرير عن عطاء قال: أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء، فنزلت فيهم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾.

وكعب بن مالك وهلال بن أمية تخلفوا كسلاً وميلاً إلى الدعة لا نفاقاً ولم يعتذروا إلى النبي ﷺ كغيرهم فوقف أمرهم خمسين ليلة وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد .

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧]

١٠٧ ﴿و﴾ منهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ وهم اثنا عشر من المنافقين ﴿ضِرَارًا﴾ مضارة لأهل مسجد قباء ﴿وَكُفْرًا﴾ لأنهم بنوه بأمر أبي عامر الراهب ليكون معقلاً له يقدم فيه من يأتي من عنده وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي ﷺ ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يصلون بقاء بصلاة بعضهم في مسجدهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾ ترقباً ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبل بنائه وهو أبو عامر المذكور ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ ببنائه ﴿إِلَّا﴾ الفعلة ﴿الْحُسْنَى﴾ من الرفق بالمسكين في المطر والحر والتوسعة على المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك ، وكانوا سألوا النبي ﷺ أي يصلي فيه فنزل (١) .

(١) أسباب نزول الآية ١٠٧: أخرج ابن مردويه عن طريق ابن إسحاق قال: ذكر ابن شهاب الزهري عن ابن أكيمة الليثي، عن ابن أخي أبي رهم الغفاري، أنه سمع أبا رهم - وكان ممن بايع تحت الشجرة - يقول: أتى من بني مسجد الضرار رسول الله ﷺ وهو متجهز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله إننا بنينا مسجداً لذي العلة، والحاجة، والليلية الشائية، والليلية المطيرة، وإننا نحب أن تأتينا فصلتي لنا فيه.

* قال: إني على جناح سفر، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه، فلما رجع نزل بذي أوان على ساعة من المدينة، فأذن الله في المسجد: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ إلي آخر القصة، فدعا مالك بن الدخشن، ومع بن عدي، أو أخاه عاصم بن عدي، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وأحرقاه، ففعلوا.

* وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، من طريق العوفي عن ابن عباسي قال: لما بنى رسول الله ﷺ مسجد قباء خرج رجال من الأنصار: منهم: يخدج، فبنوا مسجد النفاق، فقال رسول الله ﷺ ليخدج: ويلك ما أردت إلى ما أرى، فقال: يا رسول الله ما أردت إلا الحسنى، فأذن الله الآية.

* وأخرج ابن مردويه عن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: إن أناساً من الأنصار اتبنوا مسجداً، فقال لهم أبو

العظيم ﴿﴾ المنيل غاية المطلوب (١) .

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الْرَاكِعُونَ أَعْيُنُكُمْ وَالْمُسْتَضِئُونَ نَجْوَاهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾
 ﴿التَّائِبُونَ﴾ له على كل حال ﴿السَّاجِدُونَ﴾ أي المصلون
 ﴿الْمُسْتَضِئُونَ﴾ بالمتعروف والشاهون عن المنكر
 ﴿وَالْمُسْتَضِئُونَ﴾ لحدود الله لأحكامه بالعمل بها
 ﴿وَالْمُسْتَضِئُونَ﴾ بالجنة .

١١٢ ﴿التَّائِبُونَ﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ
 من الشرك والنفاق ﴿العَابِدُونَ﴾ المخلصون العبادة
 لله ﴿الحَامِدُونَ﴾ له على كل حال ﴿السَّاجِدُونَ﴾
 الصائمون ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ أي المصلون
 ﴿الْمُسْتَضِئُونَ﴾ بالمتعروف والشاهون عن المنكر
 والحافظون لحدود الله لأحكامه بالعمل بها
 ﴿وَالْمُسْتَضِئُونَ﴾ بالجنة .

﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَحْسَبُ الْحَيَوَاتِ﴾ [التوبة: ١١٣]

١١٣ ونزل في استغفاره ﷺ لعنه أبي طالب
 واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين ﴿مَا كَانَ﴾
 للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا
 أولىٰ قربي ﴿ذوي قرابة﴾ من بعد ما تبين لهم أنهم
 أصحاب الجحيم ﴿النار بان ماتوا على الكفر﴾ (٢) .

(١) أسباب نزول الآية ١١١: أخرج ابن جرير عن محمد
 ابن كعب القرظي قال عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ:
 اشتراط لربك ولنفسك ما شئت، قال: اشتراط لربي أن تعبدوه
 ولا تشركوا به شيئاً، وأشتراط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه
 أنفسكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة،
 قالوا: ربح البيع، لا تقبل ولا نستقبل، فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ .

(٢) أسباب نزول الآية ١١٣: أخرج الشيخان من طريق
 سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة
 دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي
 أمية، فقال: أي عم قل: لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله،
 فقال أبو جهل وعبد الله: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد
 المطلب، فلم ير إلا يكلمانه حتى أحرشني، كلمهم به هو:
 على ملة عبد المطلب فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أنة
 عنك، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا﴾
 للمشركين الآية. وأنزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ
 أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ الآية.
 وظاهر هذا أن الآية نزلت بمكة.

• وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم عن علي قال: سمعت
 رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت له: أنتستغفر
 لأبويك وهما مشركان؟ فقال: استغفر إبراهيم لأبيه وهو

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ نَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شِقَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩]

١٠٩ ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ نَقْوَىٰ﴾ مخافة
 ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ و﴿رجاء﴾ ﴿رِضْوَانٍ﴾ منه ﴿وَخَيْرٌ أَمْ مَنْ﴾
 أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شِقَا﴾ طرف ﴿جُرْفٍ﴾ بضم الراء
 وسكونها جانب ﴿هَارٍ﴾ مشرف على السقوط
 ﴿فَأَنهَارَ بِهِ﴾ سقط مع بانيه ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خير
 تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه
 والاستفهام للتقرير، أي الأول خير وهو مثال
 مسجد قباء والثاني مثال مسجد الضرار ﴿وَاللَّهُ﴾
 لا يهدي القوم الظالمين ﴿﴾

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٠]

١١٠ ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً﴾ شكاً
 ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ﴾ تنفصل ﴿قُلُوبُهُمْ﴾
 بأن يموتوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في
 صنعه بهم .

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

١١١ ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ بأن يبذلوها في طاعته كالجهاد ﴿بِأَنْ﴾
 لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾
 جملة استئناف بيان للشراء .

وفي قراءة بتقديم المبني للمفعول أي فيقتل
 بعضهم ويقاتل الباقي ﴿وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾ مصدران
 منصوبان بفعليهما المحذوف ﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾
 وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ أي لا أحد
 أوفى منه ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ فيه التفات عن الغيبة
 ﴿بِإِيْعَابِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ الْفَوْزُ﴾

﴿وَلَا نَصِيرَ﴾ يمنعكم من ضرره .

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِمَّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]

١١٧ ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ أي أدام توبته ﴿عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أي وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كان الرجال ان يقتسمان تمره والعشرة يعتقبون البعير الواحد ، واشتد الحرب حتى شربوا القُرث ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ بالياء والتاء تميل ﴿قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ عن اتباعه إلى التخلف لما هم فيه من الشدة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بالثبات ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١)

﴿وَعَلَى الَّذِينَ خَلَعُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]

١١٨ ﴿وَعَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أي مع رحبها ، أي سعتها فلا يجدون مكانا يطمئنون إليه ﴿وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ قلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرور ولا أنس ﴿وَوَظَنُوا﴾ أي قنعوا ﴿أَنْ﴾ مخففة ﴿لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ ثم تاب عليهم ﴿وَقَهَمَ لِلتُّوبَةِ﴾ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]

١١٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك

﴿وَمَا كَانَتْ آسِئْفَاتُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَّوَدَّةٍ وَعَدَّةٍ إِتْيَاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]

١١٤ ﴿وَمَا كَانَتْ آسِئْفَاتُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَّوَدَّةٍ وَعَدَّةٍ إِتْيَاهُ﴾ بقوله : سأستغفر لك ربي ، رجاء أن يسلم ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ بموته على الكفر ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وترك الاستغفار له ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ كثير التضرع والدعاء ﴿حَلِيمٌ﴾ صبور على الأذى .

﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

١١٥ ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ﴾ للإسلام ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ من العمل فلا يتقوه فيستحقوا الإضلال ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه مستحق الإضلال والهداية .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

١١٦ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظكم منه

مشارك. فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فنزلت: وما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين.

* وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل وغيرهما عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً إلى المقابر، فجلس إلى قبر منها فواجه طويلاً ثم بكى، فبكيت لبعائه، فقال: إن القبر الذي جلست عنده قبر أُمِّي، وأُمِّي استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

* وأخرج أحمد، وابن مردويه واللفظ له من حديث بريدة قال: كنت مع النبي ﷺ إذ وقف علي عسفان فأبصر قبر أمه فتوضأ وصلى وبكى، ثم قال: إني استأذنت ربي أن أستغفر لها فهبت، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية.

* وأخرج الطبراني وابن مردويه نحوه من حديث ابن عباس، وأن ذلك بعد أن رجع من تبوك وسافر إلى مكة معتمراً، فهبط عند ثنية عسفان.

* قال الحافظ ابن حجر: «يحتمل أن يكون لنزول الآية أسباب، متقدم هو أمر أبي طالب، ومتأخر وهو أمر أمية، وقصة علي، وجمع غيره بتعدد النزول» .

(١) أسباب نزول الآية ١١٧: روى البخاري وغيره عن كعب بن مالك قال: لم أتخلف عن النبي ﷺ في غزوة غزاهما إلا بدوا حتى كانت غزوة تبوك، وهي آخر غزوة غزاهما، وأذن الناس بالرحيل فذكر الحديث بطوله، وفيه: فأنزل الله توبتنا: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ قال: وفيها أنزل: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّالِحِينَ﴾.

معاصيه ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في الإيمان والعهد بأن تلمزوا الصدق .

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْشُونَ مَوْطِنًا يَعْصِمُ الْكُفَّارَ وَلَا يَتَّالُونَ مِنْ عُذُوِّ نَيْلًا إِلَّا لَكَيْبٌ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

١٢٠ ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ إذا غزا ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ بأن يصونها عما رضىه لنفسه من الشدائد ، وهو نهي بلفظ الخبر ﴿ذَلِكَ﴾ النهي عن التخلف ﴿بِأَنْفُسِهِمْ﴾ بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْشُونَ مَوْطِنًا﴾ مصدر بمعنى وطأ ﴿يَعْصِمُ﴾ يعضب ﴿الْكُفَّارَ وَلَا يَتَّالُونَ مِنْ عُذُوِّ﴾ لله ﴿نَيْلًا﴾ قتلاً أو أسراً أو نهباً ﴿إِلَّا كَيْبٌ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ ليجازوا عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي أجرهم بل يبيهم .

﴿وَلَا يُفْقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَيْبٌ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١]

١٢١ ﴿وَلَا يُفْقُونَ﴾ فيه ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ ولو نمرة ﴿وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ بالسير ﴿إِلَّا كَيْبٌ لَهُمْ﴾ به عمل صالح ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي جزاءهم .

﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيسْفروا كَأَفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَسْفَهُوا فِي آلِيهِمْ وَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

١٢٢ ولما وُجِّهوا على التخلف وأرسل النبي ﷺ سرية نفروا جميعاً فنزل : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا﴾ إلى الغزو ﴿كَأَفَّةً فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قبيلة ﴿مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ جماعة ، ومكث

الباقون ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ أي الماكثون ﴿فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عقاب الله بامثال أمره ونهيه ، قال ابن عباس فهذه مخصوصة بالسرايا ، والتي قبلها بالنهي عن تخلف واحد فيما إذا خرج النبي ﷺ (١) ..

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣]

١٢٣ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ أي الأقرب فالأقرب منهم ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدة أي أغلظوا عليهم ﴿وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر .

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَيَنْهَرُ مَنْ يَقُولُ آيَاتِكُمْ زَادَتْهُ هَلْوَءَ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]

١٢٤ ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً﴾ من القرآن ﴿فَيَنْهَرُ﴾ أي المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ لأصحابه استهزاء ﴿آيَاتِكُمْ زَادَتْهُ هَلْوَءَ إِيمَانًا﴾ تصديقاً ، قال تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ لتصديقهم بها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بها .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَاذِبُونَ﴾

١٢٥ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ كفرأ إلى كفرهم لكفرهم بها ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَاذِبُونَ﴾ .

﴿أَوَّلًا يَرُونَ أَنَّهُمْ بُقْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ

(١) أسباب نزول الآية ١٢٢: أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: لما نزلت: ﴿لَا تَقْرَبُوا مَعْبَدَاتِكُمْ عِدَابًا أَلِيمًا﴾ وقد كان تخلف عنه ناس في البدو يفقهون قومهم، فقال المنافقون: قد بقي ناس في البوادي هلك أصحاب البوادي، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَأَفَّةً﴾ .

* وأخرج عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير قال: كان المؤمنون لحرصهم على الجهاد إذا بعث رسول الله ﷺ سرية خرجوا فيها وتركوا النبي ﷺ بالمدينة في رقة من الناس، فنزلت.

١٠ سورة يونس

مكية وآياتها تسع ومائة

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١]

١ ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن والإضافة بمعنى من ﴿الْحَكِيمِ﴾ المحكم .

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٢]

٢ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة استفهام إنكار والجار والمجرور حال من قوله ﴿عَجَبًا﴾ بالنصب خبر كان وبالرفع اسمها والخبر وهو اسمها على الأولى ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ أي إوحاؤنا ﴿إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿أَنْ﴾ مفسرة ﴿أَنذِرِ﴾ خوف ﴿النَّاسِ﴾ الكافرين بالعذاب ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي بأن ﴿لَهُمْ قَدَمَ﴾ سلف ﴿صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي أجراً حسناً بما قدموه من الأعمال ﴿قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هَذَا﴾ النبي ﷺ ﴿لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بين وفي قراءة ﴿لسحر﴾ والمشار إليه القرآن المشتمل على ذلك ^(١) .

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يَدْبُرُ الْاَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اذِيهِ ذٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاَعْبُدُوْهُ اَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٢: أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك، أو من أنكّر ذلك منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فأنزل الله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ الآية، وأنزل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي اِلَيْهِمْ مِنْ اٰهْلِ الْقُرٰى اَقْلَمُ يَسْبِرُوْنَ فِي الْاَرْضِ فَيَنْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْاٰخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِيْنَ اٰتَقُوْا اَفَلَا يَتَّقِلُوْنَ﴾ الآية، فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا: وإذا كان بشراً فغير محمد كان أحق بالرسالة: ﴿لَوْلَا نَزَّلَ هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيْمٍ﴾ يقولون: أشرف من محمد، يعنون الوليد بن المغيرة من مكة، ومسعود بن عمرو الثقفي من الطائف، فأنزل رداً عليهم: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْنَا رَحْمَةً لِّلَّذِيْنَ رَحْمَةً رَبِّكَ نَحْنُ قَسَعْنَا بَيْنَهُمْ مَّيْمِنَتَهُمْ فِي الْحَيٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُوْنَ﴾ الآية.

مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾

١٢٦ ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ﴾ بالبلاء أي المنافقون والتاء أيها المؤمنون ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي﴾ يبتلون ﴿كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ﴾ بالفحط والأمراض ﴿لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون .

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَهْلِكُمْ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧]

١٢٧ ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكرهم وقرأها النبي ﷺ ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يريدون الهرب يقولون ﴿هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَهْلِكُمْ﴾ إذا قمتم فإن لم يره أحد قاموا وإلا ثبتوا ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ على كفرهم ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن الهدى ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الحق لعدم تدبرهم .

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

١٢٨ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي منكم : محمد ﷺ ﴿عَزِيزٌ﴾ شديد ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي عنتكم أي مشقتكم ولقاؤكم المكروه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أن تهتدوا ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾ شديد الرحمة ﴿رَّحِيمٌ﴾ يريد لهم الخير .

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

١٢٩ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان بك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ﴾ كافي ﴿اللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت لا بغيره ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ﴾ الكرسي ﴿الْعَظِيمِ﴾ خصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات ، وروى الحاكم في المستدرک عن أبي بن كعب قال : آخر آية نزلت ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخر السورة .

ظاهرات حال ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾
لا يخافون البعث ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ ليس فيه
عيب آلهتنا ﴿أَوْ بَدَلُهُ﴾ من تلقاء نفسك ﴿قُلْ﴾
لهم ﴿مَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِ﴾
قبل ﴿نَفْسِي إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ أي
أخاف إن غضبت ربي ﴿بِتَبْدِيلِهِ﴾ عذاب يوم
عظيم ﴿هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَأَكُمْ
يَدَهُ فَكَدَّ لَيْتُ فِيكُمْ عُمَرًا مِّن قَبْلِهِ﴾
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿[يونس: ١٦]

١٦ ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ
وَلَا أَدْرَأَكُمْ﴾ أعلمكم ﴿بِهِ﴾ ولا نافية عطف على
ما قبله ، وفي قراءة بلام جواب لو : أي لأعلمكم
به على لسان غيري ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾ مكثت ﴿فِيكُمْ﴾
عمرًا سنين أربعين ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ لا أحدثكم بشيء
﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه ليس من قبلي .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ
كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿
[يونس: ١٧]

١٧ ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ
بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ﴾ يسعد
﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِّئُوا اللَّهَ
بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ
وَقَسْوَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿[يونس: ١٨]

١٨ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَا لَا
يَضُرُّهُمْ﴾ إن لم يعبدوه ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه
وهو الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عنها ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا
عِنْدَ اللَّهِ قُلْ﴾ لهم ﴿أَنْتَبِّئُوا اللَّهَ﴾ تخبرونه ﴿بِمَا لَا
يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ استفهام إنكار
إذ لو كان له شريك لعلمه إذ لا يخفي عليه شيء
﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾
معه .

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا

كاستعجالهم ﴿بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ﴾ بالبناء للمفعول
وللفاعل ﴿إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ بالرفع والنصب بأن
يهلكهم ولكن يمهلهم ﴿فَتَذَرُهُمْ﴾ الذين
لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿يترددون
متحيرين .

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ
قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ
ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُشْرِكِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿

١٢ ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾ الكافر ﴿الضُّرُّ﴾
المرض والفقر ﴿وَدَعَانَا لِجَنبِهِ﴾ أي مضطجعاً أو
قاعداً أو قائماً ﴿أَي فِي كُلِّ حَالٍ﴾ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ على كفه ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها
محذوف أي كأنه ﴿لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ﴾
كذلك ﴿كَمَا زَيْن لِهَ الدَّعَاءِ عِنْدَ الضَّرْرِ وَالْإِعْرَاضِ
عِنْدَ الرَّخَاءِ﴾ ﴿زَيْنٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ المشركين ﴿مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ
الْمُجْرِمِينَ ﴿[يونس: ١٣]

١٣ ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ الأمم ﴿مِن
قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بالشرك ﴿وَوَجَّهْنَا
قُدُومَهُمْ رُسُلَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدالات على
صدقهم ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عطف على ظلموا
﴿كَذَلِكَ﴾ كما أهلكتنا أولئك ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ
الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين .

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ
كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿[يونس: ١٤]

١٤ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ يا أهل مكة ﴿خَلِيفَةً﴾
جمع خليفة ﴿فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ﴾ فيها وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسلنا .

﴿وَإِذَا تَنَادَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَاءَنَا أَنْتِ بِشْرَةٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي
أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿

١٥ ﴿وَإِذَا تَنَادَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾

الخطاب ﴿بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ لينة ﴿وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ غَاصِفٌ﴾ شديدة الهبوب تكسر كل شيء ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي أهلكوا ﴿وَدَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ الدعاء ﴿لِيُنزِلَ﴾ لام القسم ﴿أَنْجِيَتْنَا مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَالِ﴾ لتكونن من الشاكرين ﴿الموحدين .

﴿فَلَمَّا أَنْجَيْنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

٢٣ ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بالشرك ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ﴾ ظلمكم ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ لأن إثمه عليها هو ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تمتعون فيها قليلاً ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فجازيكم عليه وفي قراءة بنصب متاع أي تمتعون .

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ وَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْزَانًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ [يونس : ٢٤]

٢٤ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾ صفة ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ﴾ مطر ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ بسببه ﴿نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ من البر والشعير وغيرهما ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾ من الكلاب ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ بهجتها من النبات ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾ بالزهر وأصله تزينت أبدلت التاء زايًا وأدغمت في الزاي ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ متمكنون من تحصيل ثمارها ﴿أَتْنَاهَا أَمْزَانًا﴾ قضاؤنا أو عذابنا ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ كالمحصول بالمنجل ﴿كَأَن﴾ مخففة أي كأنها ﴿لَّمْ تَغْنَبِ﴾ تكن ﴿بِالْأَمْسِ﴾ كَذَلِكَ نَفْصَلُ نَبِيْنُ ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ .

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس : ٢٥]

كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَوْصُ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس : ١٩]

١٩ ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على دين واحد وهو الإسلام ، من لدن آدم إلى نوح ، وقيل من عهد إبراهيم إلى عمرو بن لحي ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ بأن ثبت بعض وكفر بعض ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي الناس في الدنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين بتعذيب الكافرين

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ ٢٠ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي أهل مكة ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ على محمد ﷺ ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ﴾ ما غاب عن العباد أي أمره ﴿وَاللَّهُ﴾ ومنه الآيات فلا يأتي بها إلا هو وإنما علي التبليغ ﴿فَانظُرُوا﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ .

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَكْفُرُونَ﴾ [يونس : ٢١]

٢١ ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ أي كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ مطراً وخصباً ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ بؤس وجذب ﴿مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ بالاستهزاء والتكذيب ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ مجازاة ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ الحفظة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَكْفُرُونَ﴾ بالتاء والياء

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتَ فِي فَالِكٍ وَجَرَيْنَ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ غَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لِنِ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس : ٢٢]

٢٢ ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾ وفي قراءة ﴿يُنشركم﴾ ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكَ﴾ السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ فيه التفات عن

مخففة أي إنا ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ .

﴿هُنَالِكَ تَبَرَأَ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مِمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

٣٠ ﴿هُنَالِكَ﴾ أي ذلك اليوم ﴿تَبَرَأُوا﴾ من البريوي ، وفي قراءة بتأين ﴿تَتَلَوُا﴾ من التلاوة ﴿كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ﴾ قدمت من العمل ﴿وَرُدُّوا﴾ إلى الله مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ الثابت الدائم ﴿وَصَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ مِمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عليه من الشركاء .

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس : ٣١]

٣١ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ بمعنى الاسماع أي خلقها ﴿وَالْأَبْصَارَ﴾ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ بين الخلائق ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ هو ﴿اللَّهُ فَقُلْ﴾ لهم ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فتؤمنون .

﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الَّذِي أَخْرَجَ الْفَلَاحَةَ مِنَ الْعَقْرِ إِذْ فَسِقُوا الْفَالَاحَةَ فَجَاءَهَا مِنَ الْحَقِّ طَمْبُورٌ﴾ [يونس : ٣٢]

٣٢ ﴿فَذَلِكُمْ﴾ الفاعل لهذه الأشياء ﴿اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ استفهام تقرير ، أي ليس بعده غيره فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وقع في الضلال ﴿فَأَنَّى﴾ كيف ﴿تُضْرَفُونَ﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان .

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس : ٣٣]

٣٣ ﴿كَذَلِكَ﴾ كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ كفروا ، وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية ، أو هي ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس : ٣٤]

٢٥ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ أي السلامة ، وهي الجنة بالدعاء إلى الإيمان ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام .
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنْسَقٍ وَزِيَادَةٍ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَدَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

٢٦ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿وَزِيَادَةٍ﴾ هي النظر إليه تعالى كما في حديث مسلم ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ يغشى ﴿وُجُوهَهُمْ قَدَرٌ﴾ سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ كآبة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ زَئِجٍ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس : ٢٧]

٢٧ ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على الذين أحسنوا ، أي وللذين ﴿كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ عملوا الشرك ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾ مانع ﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ﴾ ألبست ﴿وُجُوهَهُمْ قِطْعًا﴾ بفتح الطاء ، جمع قطعة وإسكانها أي جزءاً ﴿مِنْ زَئِجٍ مُظْلِمًا﴾ أصحاب النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَرَيْلًا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِبَانًا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس : ٢٨]

٢٨ ﴿و﴾ اذكر ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي الخلق ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ نصب بالرموا مقدراً ﴿أَنْتُمْ﴾ تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر ليعطف عليه ﴿وَشُرَكَاءُكُمْ﴾ أي الأصنام ﴿فَرَيْلًا﴾ ميزنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين كما في آية ﴿وَاشْتَارُوا الْيَوْمَ إِلَٰهًا مُجْرِمُونَ﴾ ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِبَانًا تَعْبُدُونَ﴾ ما نافية وقدم المفعول للفاصلة .

﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ [يونس : ٢٩]

٢٩ ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ﴾

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراء فلم تقدرُوا على ذلك .

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ، وَلَمَا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾
كذلك كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ
عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿يونس : ٣٩﴾

٣٩ قال تعالى ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ﴾ أي القرآن ولم يتدبروه ﴿ولمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كذلك﴾ التكذيب ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿فانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿يونس : ٤٠﴾

٤٠ ﴿ومِنْهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ لعلم الله ذلك منهم ﴿ومِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أبدا ﴿ورَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ تهديد لهم .
﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٌ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿يونس : ٤١﴾

٤١ ﴿وان كَذَّبُوكَ فَقُلْ﴾ لهم ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي لكل جزاء عمله ﴿أنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿يونس : ٤٢﴾

٤٢ ﴿ومِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿ولو كانوا﴾ مع الصمم ﴿لا يَفْقَهُونَ﴾ يتدبرون .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿يونس : ٤٣﴾

٤٣ ﴿ومِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ شبههم بهم في عدم الاهتداء بل أعظم ﴿فأنتها لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ .

٣٤ ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَلَمْ تَكُونِ تَصْرِفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ مَعَ قِيَامِ الدَّلِيلِ .

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَأَلَمْ تَكُونِ تَحْكُمُونَ﴾

٣٥ ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ بنصب الحجج وخلق الاهتداء ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي﴾ يهتدي ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ﴾ أحق أن يتبع ، استفهام تقرير وتوبيخ ، أي الأول أحق ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه .

﴿وَمَا يُتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿يونس : ٣٦﴾

٣٦ ﴿وما يُتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في عبادة الأصنام ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ حيث قلدوا فيه آباءهم ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ فيما المطلوب منه العلم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه .

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿يونس : ٣٧﴾

٣٧ ﴿وما كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى﴾ أي افتراء ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ غيره ﴿ولَكِنْ﴾ أنزل ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ تبين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها ﴿لا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ متعلق بتصديق أو بأنزل المحذوف وقرئ برفع تصديق وتفصيل بتقدير هو .

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِشُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

٣٨ ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ اختلقه محمد ﴿قُلْ فَأْتُوا بِشُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فإنكم عربيون فصحاء مثلي ﴿وادْعُوا﴾ للإعانة عليه ﴿مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره

يَسْتَقْرِئُونَ ﴿ يونس : ٤٩ ﴾

٤٩ ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا ﴾ أدفعه ﴿ ولا نفعًا ﴾ أجله ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ أي بقدرني عليه ، فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَشْخِرُونَ ﴾ يتأخرون عنه ﴿ سَاعَةً ﴾ ولا يستعجلون ﴿ يتقدمون عليه .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابٌ بَيْنًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا

يَسْتَعْجِلُ بَيْنَهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس : ٥٠]

٥٠ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أخبروني ﴿ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابٌ ﴾ أي الله ﴿ نَبَاتًا ﴾ ليلًا ﴿ أَوْ نَهَارًا مَاذَا ﴾ أي شيء ﴿ يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ﴾ أي العذاب ﴿ الْمُجْرِمُونَ ﴾ المشركون ، فيه وضع الظاهر موضع المضمرة وجملة الاستفهام جواب شرط : كقولك إذا أتيتك ماذا تعطيني ، والمراد به التهويل أي ما أعظم ما استعجلوه .

﴿ أَتَدْرَأُ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنُمْ بِهِ ءَأَلْفَنَّا وَقَدْ كُنَّم بِهِ

يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [يونس : ٥١]

٥١ ﴿ أَتَدْرَأُ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ حل بكم ﴿ ءَأَمَنَّم بِهِ ﴾ أي الله أو العذاب عند نزوله والهجرة لإنكار التأخير فلا يقبل منكم ويقال لكم ﴿ ءَأَلْفَنَّا ﴾ تؤمنون ﴿ وَقَدْ كُنَّم بِهِ يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ استهزاء .

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجِزُونَ

إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [يونس : ٥٢]

٥٢ ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ﴾ أي الذي تخلدون فيه ﴿ هَلْ تُجِزُونَ ﴾ إلا ﴿ جِزَاءً ﴾ بما كنتم تكسبون .

﴿ وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ الْوَقْدِ وَإِنَّكُمْ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ

بِمُعْجِزِينَ ﴾ [يونس : ٥٣]

٥٣ ﴿ وَرَبِّي شَتَّىٰ لِقَابِكَ ﴾ يستخبرونك ﴿ أَحَقُّ هُوَ ﴾ أي ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿ قُلْ إِي ﴾ نعم ﴿ وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ بغائتين العذاب .

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ

وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس : ٤٤]

٤٤ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لُّرُ يَلْتَمِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِفَلَقِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [يونس : ٤٥]

٤٥ ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لُّرُ يَلْتَمِسُوا ﴾ أي كأنهم ﴿ لُمُ يَلْتَمِسُوا ﴾ في الدنيا أو القبور ﴿ إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ﴾ لهول ما رأوا ، وجملة التشبيه حال من الضمير ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ يعرف بعضهم بعضاً إذا بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الأحوال والجملة حال مقدرة أو متعلق الظرف ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ اللَّهِ ﴾ بالبعث ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ .

﴿ وَإِنَّمَا زُجِرْنَا عَنْ آلِهَتِنَا الَّذِي نَدْعُهُمْ أَوْ نَتَّقُنَا فَإِنَّمَا تَرَجِمُهُمُ ثُمَّ اللَّهُ شَهِدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾

٤٦ ﴿ وَإِنَّمَا ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿ تَرِيئُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ به من العذاب في حياتك وجواب الشرط محذوف أي فذاك ﴿ أَوْ نَتَّقُنَا ﴾ قبل تعذيبهم ﴿ فَإِنَّمَا تَرَجِمُهُمْ ﴾ ثم الله شهيد ﴿ مطلع ﴾ على ما يفعلون ﴿ من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب .

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ فَجُوعًا يَلْتَمِسُ ﴾ [يونس : ٤٧]

٤٧ ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾ من الأمم ﴿ رَّسُولٌ ﴾ فإذا جاء رَسُولُهُمْ ﴿ فُجُوعًا يَلْتَمِسُ ﴾ إليهم فكذبوه ﴿ فُجُوعًا يَلْتَمِسُ ﴾ بالقسط بالعدل فيعذبون وينجي الرسول ومن صدقه ﴿ وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ ﴾ بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

٤٨ ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ ﴾ بالعذاب ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فيه .

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا

ذَلِكَ بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ لَا ﴿أَمْ﴾ بَلِ ﴿عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ تَكْذِبُونَ بِنَسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْهِ .

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾
إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٦٠]

٦٠ ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾
أَي شَيْءٍ ظَنَّهُمْ بِهِ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أَي حَسِبُونَ أَنَّهُ لَا
يُعَاقِبُهُمْ لَا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾
بِإِمْبَاهِهِمُ وَالإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَشْكُرُونَ﴾

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ
مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُؤَيِّضُونَ فِيهِ وَمَا
يَصْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]

٦١ ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿فِي شَأْنٍ﴾ أَمْرٍ
﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ﴾ أَي مِنَ الشَّأْنِ أَوْ اللَّهُ ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾
أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ خَاطِبُهُ وَأَمْتُهُ ﴿مِنْ عَمَلٍ
إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ رَقَبَاءُ ﴿إِذْ تُفَيْضُونَ﴾
تَأْخِذُونَ ﴿فِيهِ﴾ أَي الْعَمَلِ ﴿وَمَا يَصْرُبُ﴾ يَغِيبُ
﴿عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالٍ﴾ وَزْنِ ﴿ذَرَّةٍ﴾ أَصْغَرَ نَمْلَةٍ
﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾
وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿بَيْنَ هُوَ اللَّوْحِ
المَحْفُوظِ .

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]

٦٢ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣]
٦٣ هُمُ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ اللَّهُ
بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ .

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا
تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
٦٤ ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فَسَرَتْ

بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٤]

٥٤ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ كَفَرَتْ ﴿مَا
فِي الْأَرْضِ﴾ جَمِيعاً مِنَ الْأَمْوَالِ ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ مِنَ
العَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَأَسْرَوْا الثَّمَامَةَ﴾ عَلَى تَرْكِ
الإِيمَانِ ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ أَخْفَاهَا رُؤْسَاؤُهُمْ عَنِ
الضَّعْفَاءِ الَّذِينَ أَضَلُّوهُمْ مَخَافَةَ التَّعْيِيرِ ﴿وَقَضَيْتُمْ
بَيْنَهُمْ﴾ بَيْنَ الْخَلَائِقِ ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بِالْعَدْلِ ﴿وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ﴾ شَيْئاً .

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٥٥ ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا
إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ ﴿حَقٌّ﴾ ثَابِتٌ
﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أَي النَّاسُ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ .

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يونس: ٥٦]

٥٦ ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فِي
الْآخِرَةِ فَيَجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ
لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

٥٧ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أَي أَهْلَ مَكَّةَ ﴿قَدْ
جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كِتَابٌ فِيهِ مَا لَكُمْ وَمَا
عَلَيْكُمْ وَهُوَ الْقُرْآنُ ﴿وَشِفَاءٌ﴾ دَوَاءٌ ﴿لِمَا فِي
الصُّدُورِ﴾ مِنَ الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ وَالشُّكُوكِ ﴿وَهُدًى﴾
مِنَ الضَّلَالِ ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِهِ .

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ
مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]

٥٨ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ الْإِسْلَامِ ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾
الْقُرْآنِ ﴿فَبِذَلِكَ﴾ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ ﴿فَلْيَفْرَحُوا هُوَ
خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَأْسِ وَالتَّوَأْبِ .

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ
مِنْهُ حَرَامًا وَمَحَلًّا قُلْ أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَوَّلُ آيَاتِهِ إِذْ أَنْزَلَ اللَّهُ
تَقْوَاتُكُمْ﴾ [يونس: ٥٩]

٥٩ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أَخْبَرُونِي ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾
خَلَقَ ﴿لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾
كَالْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْمَيْتَةِ ﴿قُلْ أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ فِي

﴿بِهَذَا﴾ الذي تقولونه ﴿أَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ استفهام توبيخ .

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس: ٦٩]

٦٩ ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبه الولد إليه ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ لا يسعدون .

﴿مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾

٧٠ لهم ﴿مَتَّاعٌ﴾ قليل ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ يتمتعون به مدة حياتهم ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بالموت ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ بعد الموت ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ .

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَارًا تُوقِئُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَّبِعُونَ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي إِيَّائِي اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون﴾ [يونس: ٧١]

٧١ ﴿وَأَنزَلْنَا﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي كفار مكة ﴿نَارًا﴾ خبر ﴿نُوحٍ﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ لبيبي فيكم ﴿وَتَذِكْرِي﴾ وعظي إياكم ﴿إِيَّائِي﴾ فعلى الله تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ اعزموا علي أمر تفعلونه بي ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ الواو بمعنى مع ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ مستورا بل أظهوره وجاهروني به ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ امضوا فيما أردتموه ﴿وَلَا تُنظِرُون﴾ تمهلون فإني لست مبالياً بكم .

﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرْتُمْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]

٧٢ ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن تذكري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ ثواب عليه فتولوا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجِرْتُمْ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ .

﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُذْذِبِينَ﴾ [يونس: ٧٣]

في حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الجنة والشواب ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لا خلف لمواعيده ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿هُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ﴾ .

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ أَمْرَةَ اللَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥]

٦٥ ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك لست مرسلًا وغيره ﴿إِنْ﴾ استئناف ﴿الْعِزَّةُ﴾ القوة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ هُوَ السَّمِيعُ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل فيجازيهم وينصرك .

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْتَجِيبُوا إِلَّا أَطْلَقَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾

٦٦ ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ عبيداً وملكاً وخلقاً ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره أصناماً ﴿شُرَكَاءَ﴾ له على الحقيقة تعالي على ذلك ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَسْتَجِيبُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾ أي ظنهم أنها آلهة تشفع لهم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

٦٧ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إسناد الإبصار إليه مجاز لأنه يبصر فيه ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالي ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ سماع تدرير واتعاظ .

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْعَزِيزُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

٦٨ ﴿قَالُوا﴾ أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تعالي لهم ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له عن الولد ﴿هُوَ الْعَزِيزُ﴾ عن كل أحد وإنما يطلب الولد من يحتاج إليه ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة

مصدقين .

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾

٧٩ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾

فاتق في علم السحر .

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ

مُلْقُونَ﴾ [يونس: ٨٠]

٨٠ ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ بعد

ما قالوا له ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُلْقِيهِمْ وَإِنَّمَا أَنْتَ تَكُونُ تَخْرُجُ

الْمُلْقِينَ﴾ ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ .

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ

سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾

٨١ ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ حبالهم وعصيهم ﴿وَقَالَ

مُوسَى مَا﴾ استفهامية مبتدأ خبره ﴿جِئْتُمْ بِهِ

السِّحْرُ﴾ بدل ، وفي قراءة بهزمة واحدة إخبار ،

فما اسم موصول مبتدأ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ﴾ أي

سيمحقه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ .

﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾

٨٢ ﴿وَيُحِقُّ﴾ يشبت ويظهر ﴿اللَّهُ الْحَقُّ

بِكَلِمَاتِهِ﴾ بمواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ

فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي

الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣]

٨٣ ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾ طائفة ﴿مِّنْ﴾

أولاد ﴿قَوْمِهِ﴾ أي فرعون ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ

وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ يصرفهم عن دينه بتعديدهم

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ متكبر ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض

مصر ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين الحد

بإدعاء الربوبية .

﴿وَقَالَ مُوسَى يُقَوْمُ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِن

كُنتُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ٨٤]

٨٤ ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ

فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ .

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ

٧٣ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَتَبَعْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾

السفينة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي من معه ﴿خَلَائِفَ﴾ في

الأرض ﴿وَأَعْرِفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ من إهلاكهم

فكذلك نفعل بمن كذب .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْعُ

عَلَى قُلُوبِ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [يونس: ٧٤]

٧٤ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي نوح ﴿رُسُلًا إِلَى

قَوْمِهِمْ﴾ كإبراهيم وهود وصالح ﴿فَجَاءَهُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا

بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبل بعث الرسل إليهم ﴿كَذَلِكَ

نَطْعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ فلا تقبل

الإيمان كما طبعنا على قلوب أولئك .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ

وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾

٧٥ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى

فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ قومه ﴿بِآيَاتِنَا﴾ التسع ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾

عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ .

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ

مُتَّبِعٌ﴾ [يونس: ٧٦]

٧٦ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا

لِسِحْرٌ مُّتَّبِعٌ﴾ بين ظاهر .

﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا

يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [يونس: ٧٧]

٧٧ ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾

إنه لسحر ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ وقد أفلح من أتى به

وأبطل سحر السحرة ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾

والاستفهام في الموضوعين للإنكار .

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتْلِفَنَّا عَمَّا وَوَدَّعْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَتَكُونُ لَكُمَا

الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ﴾

٧٨ ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتْلِفَنَّا﴾ لتردنا ﴿عَمَّا وَوَدَّعْنَا

عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَتَكُونُ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ﴾ الملك ﴿فِي

الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ﴾

الظَّالِمِينَ ﴿ يونس : ٨٥ ﴾

٨٥ ﴿قَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً
لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم
على الحق فيفتنوا بنا .

﴿وَجَنَّتَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿ يونس : ٨٦ ﴾

٨٦ ﴿وَجَنَّتَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ .

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا
وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿ يونس : ٨٧ ﴾

٨٧ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا
اتخذنا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾
مصلى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف ، وكان
فرعون منعهم من الصلاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أتموها
﴿وبشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والجنة .

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ
زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ
رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا
حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿ يونس : ٨٨ ﴾

٨٨ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ
زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا﴾ آتيتهم ذلك
﴿لِيُضِلُّوهُ﴾ في عاقبته ﴿عَنِ سَبِيلِكَ﴾ دينك ﴿رَبَّنَا
اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ امسخها ﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ﴾ اطبع عليها واستوثق ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ المؤلم ، دعا عليهم وأمن هارون
على دعائه .

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿ يونس : ٨٩ ﴾

٨٩ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا﴾
فمسخت أموالهم حجارة ولم يؤمن فرعون حتى
أدركه الفرق ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ على الرسالة والدعوة إلى
أن يأتيهم العذاب ﴿وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ في استعجال قضائي روي أنه مكث
بعدها أربعين سنة .

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ

وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَاقًّا إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ
ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا
مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿ يونس : ٩٠ ﴾

٩٠ ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ
لحقهم ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ مفعول له
﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ﴾ أي بأنه
وفي قراءة بالكسر استثنافا ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ
بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ كرهه ليقبل منه
فلم يقبل ، ودس جبريل في فيه حماة البحر مخافة
أن تناله الرحمة وقال له

﴿ءَالْفَنِّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾

٩١ ﴿الآن﴾ تؤمن ﴿وقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ
مِنَ الْمَفْسِدِينَ﴾ بضالك وإضالك عن الإيمان .
﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ ءَايَةً وَإِنَّ
كَبِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنَّا لَغَابُونَ﴾ ﴿ يونس : ٩٢ ﴾

٩٢ ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نخرجك من البحر
﴿بِدَنِكَ﴾ جسدك الذي لا روح فيه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلَقَ﴾ بعدك ﴿ءَايَةً﴾ عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا
يقدموا على مثل فعلك ، وعن ابن عباس أن بعض
بني إسرائيل شكوا في موته فأخرج لهم ليره ﴿وَإِنَّ
كَبِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنَّا لَغَابُونَ﴾ لا يعتبرون بها .

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُورًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ
الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْدَانُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

٩٣ ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُورًا
صِدْقٍ﴾ منزل كرامة وهو الشام ومصر ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ
مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ بأن آمن بعض وكفر
بعض ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين
يانجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين .

﴿فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ
يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿ يونس : ٩٤ ﴾

بإرادته ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾ العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ يتدبرون آيات الله .

﴿قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْتَبِ
الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]

١٠١ ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿انظروا ماذا﴾ أي الذي ﴿في السموات والأرض﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ﴿وما تنفي الآيات والنذر﴾ جمع نذير ، أي الرسل ﴿عن قوم لا يؤمنون﴾ في علم الله أي ما تفهمهم .

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾

١٠٢ ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ بتكديك ﴿إلا﴾ مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ﴿من الأمم أي مثل وقائعهم من العذاب﴾ ﴿قل فانظروا﴾ ذلك ﴿إني معكم من المنتظرين﴾

﴿فَمَنْ نُنَجِّ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣]

١٠٣ ﴿فَمَنْ نُنَجِّ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضي ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من العذاب ﴿كذلك﴾ الإنجاء ﴿حقاً علينا ننج المؤمنين﴾ النبي ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين .

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

١٠٤ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي يا أهل مكة ﴿إن كنتم في شك من ديني﴾ أنه حق ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾ أي غيره ، وهو الأصنام لشككم فيه ﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾ يقبض أرواحكم ﴿وأمرت أن﴾ أي بأن ﴿أكون من المؤمنين﴾

﴿وَأَنْ أَوَدَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٥]

١٠٥ ﴿ور﴾ قيل لي ﴿أن أود وجهك للدين حنيفاً﴾ مائلاً إليه ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ .

٩٤ ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ﴾ يا محمد ﴿في شك مما أنزلنا عليكم﴾ من القصص فرضاً ﴿فاسئل الذين يقرءون الكتاب﴾ التوراة ﴿من قبلك﴾ فإنه ثابت عندهم يخبرونك بصدقه ، قال ﷺ : لا أشك ولا أسأل ﴿لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممتريين﴾ الشاكين فيه .

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [يونس: ٩٥]

٩٥ ﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦]

٩٦ ﴿إن الذين حقت عليهم كلمت ربك بالعباد﴾ ﴿لا يؤمنون﴾ .

﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾
٩٧ ﴿ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الليم﴾ فلا يفهمهم حينئذ .

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَفَعَلَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُوسُفَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]

٩٨ ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿كانت قرية﴾ أريد أهلها ﴿آمنت﴾ قبل نزول العذاب بها ﴿ففعها إيمانها إلا قوم يوسف﴾ لكن ﴿قوم يوسف لما آمنوا﴾ عند رؤية أمارة العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله ﴿كشفتنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾ انقضاء آجالهم .

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾

٩٩ ﴿ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس بما لم يشاء الله منهم حتى يكونوا مؤمنين﴾ لا .

﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠]

١٠٠ ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾

١١ سورة هود

مكية وآياتها ثلاث وعشرون ومائة

﴿الرَّ كِتَابٌ أَخْبَتْنَا ابْنَهُمْ إِذْ قُضِيَ عَنْهُمْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١]

١ ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ، هذا ﴿كِتَابٌ أَخْبَتْنَا ابْنَهُ﴾ بعجيب النظم وبديع المعاني ﴿ثُمَّ قُضِيَ﴾ بينت بالأحكام والقصاص والمواعظ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ الله .

﴿أَلَا تَتَّبِعُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُرْمَةٌ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾
٢ ﴿أَلَا﴾ أي بأن لا ﴿تَتَّبِعُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب إن كفرتم ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالشواب إن آمنتم .

﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُعْطِكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِنَّ أَجَلَ مُسَمًّى وَوُتِبَ كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣]

٣ ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُعْطِكُمْ﴾ في الدنيا ﴿مَتَاعًا حَسَنًا﴾ بطيب عيش وسعة رزق ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الموت ﴿وَيُؤْتِي فِي الْأُخْرَى﴾ كل ذي فضل ﴿فِي الْعَمَلِ﴾ فضلُهُ ﴿جَزَاءَهُ﴾ ﴿وَأَنْ تَوَلَّوْا﴾ فيه حذف إحدى التاءين ، أي تعرضوا ﴿فَأِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يوم القيامة

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: ٤]
٤ ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ ومنه الثواب والعذاب .

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا جِئِنَّا بِسِتْغَشُونٍ لِّيَأْتِيَهُمْ يَعْلَمُ مَا يَسْرُوتُ وَمَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَدَاتِ السُّدُورِ﴾ [هود: ٥]

٥ ونزل كما رواه البخاري عن ابن عباس فيمن كان يستحيي أن يتخلى أو يجامع فيفضي إلى السماء وقيل في المنافقين ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ أي الله ﴿أَلَا جِئِنَّا بِسِتْغَشُونٍ لِّيَأْتِيَهُمْ﴾ يتغطون بها ﴿يَعْلَمُ﴾ تعالى

﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]

١٠٦ ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾ إن عبدته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبده ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ ذلك فرضاً ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

﴿وَإِنْ يَسْتَسْكِ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

١٠٧ ﴿وَإِنْ يَسْتَسْكِ﴾ يصيبك ﴿اللَّهُ يَضُرُّ﴾ كفقر ومرض ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ﴾ دافع ﴿لِفَضْلِهِ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي بالخير ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨]

١٠٨ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن وبالاه ضلاله عليها ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ فأجبركم على الهدى .

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْمُحْكَمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]

١٠٩ ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ من ربك ﴿وَأَصِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ فيهم بأمره ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم ، وقد صبر حتى حكم على المشركين بالقتال وأهل الكتاب بالجزية .

يَحْسِبُهُ ﴿٩﴾ مَا يَمْنَعُهُ مِنَ النَّزُولِ قَالَ تَعَالَى : ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ مدفوعاً ﴿عَنْهُمْ وَخَاقٍ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من العذاب (١).

﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ﴾ [هود: ٩]

٩ ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الكافر ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ﴾ قنوط من رحمة الله ﴿كَفُورٌ﴾ شديد الكفر به .

﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرْبِهِ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾

١٠ ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرْبِهِ﴾ فقر وشدة ﴿مَسَّتُهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ﴾ المصائب ﴿عَنِّي﴾ ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾ بطر ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أوتي

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١]

١١ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضراء ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في النعماء ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة .

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضٌ مَّا يُوحَىٰ إِيَّاكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

١٢ ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكٌ بَعْضٌ مَّا يُوحَىٰ إِيَّاكَ﴾ فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ بتلاوته عليهم لأجل ﴿أَن يَقُولُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يصدقه كما اقترحنا ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ فما عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حفيظ فيجازيهم .

﴿مَا يُسْأَرُونَ وَمَا يُغْلَبُونَ﴾ فلا يغني استخفاؤهم ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بما في القلوب (١) ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾

٦ ﴿وَمَا مِنْ﴾ زائدة ﴿ذَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ هي ما دب عليها ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ تكفل به فضلاً منه تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مسكنها في الدنيا أو الصلب ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ بعد الموت أو في الرحم ﴿كُلٌّ﴾ مما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ بين هو اللوح المحفوظ .

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَبْكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَيْنَ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مُتَعَمِّتُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

٧ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وأخرها الجمعة ﴿وَوَكَانَ عَرْشُهُ﴾ قبل خلقها ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ وهو على متن الريح ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ متعلق بخلق ، أي خلقهما وما فيهما من منافع لكم ومصالح ليختبركم ﴿أَبْكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي أطوع لله ﴿وَلَيْنَ قُلْتُمْ﴾ يا محمد لهم ﴿إِنَّكُمْ مُتَعَمِّتُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا﴾ القرآن الناطق بالبعث والذي تقوله ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بين ، وفي قراءة ﴿ساحر﴾ ، والمشار إليه النبي ﷺ .

﴿وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَحْسِبُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَخَاقٍ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [هود: ٨]

٨ ﴿وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ﴾ محيء ﴿أُمَّةٍ﴾ أوقات ﴿مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ﴾ استهزاء ﴿مَا

(١) أسباب نزول الآية ٥ : روى البخاري عن ابن عباس في قوله : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ قال : كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا بفرجهم إلى السماء ، وأن يجامعوا نساءهم ، فيفضوا إلى السماء ، فنزل ذلك فيهم .

* وأخرج ابن جرير وغيره عن عبد الله بن شداد قال : كان أحدهم إذا مر بالشيء ﷺ ثنى صدره وتغشى ثوبه لكي لا يراه ، فنزلت .

(١) أسباب نزول الآية ٨ : وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال : لما نزل : ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ ، قال ناس : إن الساعة قد اقتربت فتناهوا . فتناهى القوم قليلاً ثم عادوا إلى مكربهم مكر الشؤم ، فأنزل الله : ﴿وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ الآية .

* وأخرج ابن جرير عن ابن جريج مثله .

وهو النبي ﷺ أو المؤمنون وهي القرآن ﴿وَيَتْلُوهُ﴾
 يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ له بصدقه ﴿مُنْتَهَى﴾ أي من الله وهو
 جبريل ﴿ومن قبله﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ مُوسَى﴾ التوراة
 شاهد له أيضا ﴿إِنَّمَا وَرَحْمَةً﴾ حال كمن ليس
 كذلك لا ﴿أُولَئِكَ﴾ أي من كان على بينة
 ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي القرآن فلهم الجنة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ
 مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ جميع الكفار ﴿فَالنَّارُ موعِدُهُ فَلَا
 تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مُنْتَهَى﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ
 مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة
 ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ
 يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
 كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

١٨ ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى
 عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أُولَئِكَ
 يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق
 ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد وهم الملائكة
 يشهدون للرسول بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب
 ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
 الظَّالِمِينَ﴾ المشركين .

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْتَوْنَا عِوَجًا وَهُمْ
 بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [هود: ١٩]

١٩ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾
 دين الإسلام ﴿وَيَعْتَوْنَا﴾ يطلبون السبيل
 ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد
 ﴿كَافِرُونَ﴾ .

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا
 يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]

٢٠ ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي
 الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ
 أَوْلِيَاءَ﴾ أنصار يمنعونهم من عذابه ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ
 الْعَذَابُ﴾ يضاعف لهم غيرهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
 السَّمْعَ﴾ للحق ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ أي لفرط
 كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك .

* * *

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مَفْرُوتَاتٍ
 وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

١٣ ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي القرآن
 ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة
 ﴿مُفْرُوتَاتٍ﴾ فإنكم عرييون فصحاء مثلي ، تحداهم
 بها أولا ثم بسورة ﴿وَادْعُوا﴾ للمعاونة على ذلك
 ﴿مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراء .

﴿فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَآن
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤]

١٤ ﴿فَبِأَن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي من
 دعوتهم للمعاونة ﴿فَأَعْلَمُوا﴾ خطاب للمشركين
 ﴿أَنَّمَا أَنْزَلَ﴾ ملتبسا ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ وليس افتراء عليه
 ﴿وَأَنَّ﴾ مخففة أي أنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ
 مُسْلِمُونَ﴾ بعد هذه الحجة القاطعة أي أسلموا .

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ
 أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْضَرُونَ﴾

١٥ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بأن
 أصر على الشرك وقيل هي في المراتين ﴿نُوَفِّ
 إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي جزاء ما عملوه من خير
 كصدقة وصلة رحم ﴿فِيهَا﴾ بأن نوسع عليهم
 رزقهم ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أي الدنيا ﴿لَا يُخْضَرُونَ﴾
 ينقصون شيئا

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ
 مَا صَعَوْا فِيهَا وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

١٦ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
 النَّارُ وَحَبِطَ﴾ بطل ﴿مَا صَعَوْا﴾ هـ ﴿فِيهَا﴾ أي
 الآخرة فلا ثواب له ﴿وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْرَفٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ
 وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ
 بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ موعِدُهُ فَلَا
 تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧]

١٧ ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْرَفٍ﴾ بيان ﴿مَنْ رَبِّهِ﴾

٢٧ ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ وهم الأشراف ﴿وَمَا تَرَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ ولا فضل لك علينا ﴿وَمَا تَرَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَن يُصَلُّوا﴾ أسأفنا كالحاكة والأساكفة ﴿بَادِي الرَّأْيِ﴾ بالهمز وتركه ، أي ابتداء من غير تفكر فيك ونصبه على الظرف أي وقت حدوث أول رأيهم ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ فتستحقون به الاتباع منا ﴿بَلْ نُنَظِّمُ كَذِيبِينَ﴾ في دعوى الرسالة ، أدرجوا قومه معه في الخطاب

﴿قَالَ يَتَوَارَىٰ مِنْهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كَذِيبِينَ ﴿إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَتْنِهِ مِّن رَّبِّي وَمَا أُنزِلُكُمْ بِهِمْ﴾ ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِي فَصَبِرْ عَلَيْكُمْ﴾ أَنْزِلُكُمْ كُتُوبًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ ﴿[هود: ٢٨]

٢٨ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ أحبروني ﴿إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَتْنِهِ﴾ بيان ﴿مَنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿مَنْ عِنْدِي فَصَبِرْ﴾ خفيت ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وفي قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول ﴿أَنْزِلُكُمْ كُتُوبًا﴾ أنجزكم على قبولها ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ﴾ لا نقدر على ذلك

﴿وَيَتَوَارَىٰ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَّآ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُّثَلَّفُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: ٢٩]

٢٩ ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مَالًا﴾ تعطينه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِي﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كما أمرتموني ﴿إِنَّهُمْ مُّثَلَّفُوا رَبِّهِمْ﴾ بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم ﴿وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ عاقبة أمركم .

﴿وَيَتَوَارَىٰ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٣٠]

٣٠ ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿إِنْ طَرَدْتُمُ﴾ أي لا ناصر لي ﴿أَفَلَا﴾ فهلا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء الثانية في الأصل في الدال : تتعظون

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [هود: ٢١]

٢١ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَصَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ على الله من دعوى الشريك .

﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخِسُونَ﴾ [هود: ٢٢]

٢٢ ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنََّّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخِسُونَ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْتَبُوا إِلَيَّ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

٢٣ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْتَبُوا﴾ سكنوا واطمأنوا وأتابوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

﴿مِثْلَ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ هَلْ يَسْتَوُونَ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

٢٤ ﴿مِثْلَ﴾ صفة ﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾ الكفار والمؤمنين ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ﴾ هذا مثل الكافر ﴿وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ﴾ هذا مثل المؤمن ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ مَثَلًا﴾ لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الدال تتعظون .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

٢٥ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذِي﴾ أي باني ، وفي قراءة بالكسر على حذف القول ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بين الإنذار .

﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَِّّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ آلِيسَ﴾ [هود: ٢٦]

٢٦ ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ أي لا تعبدوا غيره ﴿عَذَابَ يَوْمِ آلِيسَ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة .

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَبُّكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَبُّكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَن يُصَلُّوا بَادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نُنَظِّمُ كَذِيبِينَ﴾ [هود: ٢٧]

لا تَذُرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ ﴿٣٦﴾ الخ ، فأجاب الله دعاءه
فقال : ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ الآية .

﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تَخْطُبْنِي فِي الَّذِينَ
ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ﴾ [هود: ٣٧]

٣٧ ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ برأى
منا وحفظنا ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أمرنا ﴿وَلَا تَخْطُبْنِي فِي
الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بترك إهلاكهم ﴿وَأِنَّهُمْ
مُعْرِفُونَ﴾ .

﴿وَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ
سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا
تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨]

٣٨ ﴿وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ حكاية حال ماضية
﴿وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ﴾ جماعة ﴿مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا
مِنْهُ﴾ استهزؤوا به ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ
مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذا نجونا وغرقتم .

﴿سَوْفَ نَعْلَمُوتُ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيُعِلُّ عَلَيْهِ
عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [هود: ٣٩]

٣٩ ﴿سَوْفَ نَعْلَمُوتُ مَنْ﴾ موصولة مفعول
العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَجْلُ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ
عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ .

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ
كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
وَمَنْ ءَامَنُ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]

٤٠ ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية للصنع ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾
بإهلاكهم ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ للخباز بالماء ، وكان
ذلك علامة لنوح ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾ في السفينة
﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ ذكر وأنثى أي من كل
أنواعهما ﴿اثْنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى وهو مفعول وفي
القصة أن الله حشر نوح السباع والطيور وغيرها ،
فجعل يضرب بيده في كل نوع ففزع يده اليمنى
على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملها في
السفينة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَنْ
سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي منهم بالإهلاك وهو ولده
كنعان وزوجته بخلاف سام وحام وياث فحملهم
وزوجاتهم الثلاثة ﴿وَمَنْ ءَامَنُ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا

يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنَِّّي إِذَا لَيِّنُ
الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٣١]

٣١ ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا
إِنِّي﴾ أعلم الغيب ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ﴾ بل أنا
بشر مثلكم ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي﴾ تحتقر
﴿أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي
أَنْفُسِهِمْ﴾ قلوبهم ﴿إِنِّي إِذَا﴾ إن قلت ذلك ﴿لَيِّنُ
الظَّالِمِينَ﴾ .

﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَدَلْنَاكَ فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِنَا
تَوَدَّأْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

٣٢ ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا﴾ خاصمتنا
﴿فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِنَا تَوَدَّأْنَا﴾ به من العذاب
﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيه .

﴿قَالَ إِنَّمَا يَا أَيُّكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾

٣٣ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَا أَيُّكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ تعجيله
لكم فإن أمره إليه لا إلي ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾
بفائتين الله .

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ
اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

٣٤ ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ
لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ أي إغواءكم ،
وجواب الشرط دل عليه ولا ينفعكم نصحي ﴿هُوَ
رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْنَاهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي
وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود: ٣٥]

٣٥ قال تعالى : ﴿أَمْ﴾ بل أم ﴿يَقُولُونَ﴾ أي
كفار مكة ﴿افْتَرَيْنَاهُ﴾ اختلق محمد القرآن ﴿قُلْ إِنْ
افْتَرَيْنَاهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي﴾ إثمى أي عقوبته ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ
مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ من إجرامكم في نسبة الافتراء إلي

﴿وَأُوْحِي إِلَيْكَ نُوحٌ أَنَّهُ لَكَ يُؤْمِنُ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ
قَدْ ءَامَنَ فَلَا يَتَّبِعُ بِنَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]

٣٦ ﴿وَأُوْحِي إِلَيْكَ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ
إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا يَتَّبِعُنِي﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ﴾ من الشرك ، فدعا عليهم بقوله : ﴿رَبِّ

٤٥ ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي سَوَّءٌ
كُنْعَانٌ ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنَّ
وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ الذي لا خلف فيه ﴿وَإِنَّكَ أَهْكُمُ
الْحَاكِمِينَ﴾ أعلمهم وأعدلهم .

﴿قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ
فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ
الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]

٤٦ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ
أَهْلِكَ﴾ الناجين أو من أهل دينك ﴿إِنَّهُ﴾ أي
سؤالك إياي بنجاته ﴿وَعَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ فإنه كافر
ولا نجاة للكافرين ، وفي قراءة ﴿عَمِلٌ﴾ بكسر ميم
عَمِلَ فعل ونصب ﴿غَيْرٌ﴾ فالضمير لابنه ﴿فَلَا
تَسْأَلْنِي﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
عِلْمٌ﴾ من إنجاء ابنك ﴿وَإِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ
الْجَاهِلِينَ﴾ بسؤالك ما لم تعلم .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ
عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
٤٧ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أَنْ
أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾ ما فرط
مني ﴿وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

﴿قِيلَ يَنْتُوخُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ
مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنَسِتْنَهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُم مِّنَّا عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾ [هود: ٤٨]

٤٨ ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ انزل من السفينة
﴿بِسَلَامٍ﴾ أو بتحية ﴿مِنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾ خيرات
﴿عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّةٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ في السفينة أي من
أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون ﴿وَأُمَّةٍ﴾ بالرفع
ممن معك ﴿سَنَسِتْنَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمْسُهُم مِّنَّا
عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة وهم الكفار .

﴿تِلْكَ مِنْ آيَاتِ الْفَقِيهِ نُوحِيًّا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا
أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]

٤٩ ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات المتضمنة قصة
نوح ﴿مِنْ آيَاتِ الْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك
﴿نُوحِيًّا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ

قِيلَ﴾ قيل كانوا ستة رجال ونساءهم وقيل جميع
من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم
نساء .

﴿وَقَالَ أَزْكَبُوا بِهَا بِسْمِ اللَّهِ جَعَرَهَا وَمُرْسَهًا إِنَّ
رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ٤١]

٤١ ﴿وَقَالَ﴾ نوح ﴿أَزْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ
مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ بفتح الميمين وضمهما
مصدران، أي جريها ورسوها أي منتهى سيرها ﴿إِنَّ
رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث لم يهلكنا .

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ
وَصَكَاتٌ فِي مَغْزَلٍ يُبْنِي أَزْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ
الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]

٤٢ ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ في
الارتفاع والمطم ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كنعان ﴿وَوَكَانَ
فِي مَغْزَلٍ﴾ عن السفينة ﴿يَا بُنَيَّ أَزْكَب مَعَنَا وَلَا
تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ .

﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِفُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا
عَاصِمَ الْيَوْمَ مِن أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا
الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُهْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣]

٤٣ ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِفُنِي﴾ يمنعني
﴿مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِن أَمْرِ اللَّهِ﴾ عذابه
﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ رَّحِمَ﴾ الله فهو المعصوم ، قال
تعالى ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُهْرَقِينَ﴾ .

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَكَسِمَاهُ أَفْلَحِي وَغِيضَ
الْمَاءِ وَغِيضَ الْأَمْرِ وَأَسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا
لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]

٤٤ ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ الذي نبع
منك فشرته دون ما نزل من السماء أنهاراً وبحاراً
﴿وَيَا سَمَاءُ أَفْلَحِي﴾ أمسكي عن المطر فأمسكت
﴿وَوغِيضَ﴾ نقص ﴿الماءِ وَغِيضَ الْأَمْرِ﴾ تم أمر
هلاك قوم نوح ﴿وَأَسْتَوَتْ﴾ وقفت السفينة ﴿عَلَىٰ
الْجُودِيِّ﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ
بُعْدًا﴾ هلاكاً ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين .

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ
وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَهْكُمُ الْحَاكِمِينَ﴾

٥٥ ﴿مِن دُونِهِ فَيَكِيدُونِي﴾ احتالوا في هلاكى
﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ﴾
تمهلون.

﴿إِنِّي نَزَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ
أَخِذٌ يَنْصِيحُهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

٥٦ ﴿أَنِّي نَزَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ مَا
مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ أَخِذٌ يَنْصِيحُهَا أَي مَالِكهَا وَقَاهَرَهَا فَلَا نَفْعَ وَلَا
ضَرَرَ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَخَصَّ النَّاصِيَةَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ مِنْ أَخِذٍ
بِنَاصِيَتِهِ يَكُونُ فِي غَايَةِ الذَّلِّ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ﴾ أي طريق الحق والعدل .

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ
وَسَنَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٧]

٥٧ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فيه حذف إحدى التاءين أي
تعرضوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ
وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾
ياشرككم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨]

٥٨ ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿نَجَّيْنَا هُودًا
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ﴾ هداية ﴿مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ
عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد .

﴿وَتِلْكَ ءَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُمْ وَاتَّبَعُوا
أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩]

٥٩ ﴿وَتِلْكَ ءَادٌ﴾ إشارة إلى آثارهم أي
فسيحوا في الأرض وانظروا إليها ثم وصف أحوالهم
فقال ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُمْ﴾ جمع
لأن من عصى رسولا جميع الرسل لاشتراكهم في
أصل ما جاؤوا به وهو التوحيد ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أي
السفلة ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معاند للحق من
رؤسائهم .

﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ ءَادًا
كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدَ إِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠]

ولا قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن ﴿فَاصْبِرْ﴾ على
التبليغ وأذى قومك كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾
المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

﴿وَالَّذِي عَادُوا أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَقِرُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا
لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾

٥٠ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة
﴿هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُمْ
مِنْ﴾ زائدة ﴿إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ في عبادتكم
الأوثان ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ كاذبون على الله .

﴿يَنْفَقِرُوا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى
الَّذِي فَطَرَنِي ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥١]

٥١ ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التوحيد
﴿أَجْرًا إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾
خلقني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ .

﴿وَيَنْفَقِرُوا أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ
السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ
وَلَا تُلْوُوا بِحُمْرِ الْحَرِيرِ﴾ [هود: ٥٢]

٥٢ ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ
تُوبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾
المطر وكانوا قد منعه ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ كثير
الدرور ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى﴾ مع ﴿قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال
والولد ﴿وَلَا تُلْوُوا حُمْرَ الْحَرِيرِ﴾ مشركين .

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي
آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾

٥٣ ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ برهان على
قولك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي
لقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّهِ قَالَ إِنَّي أَشْهَدُ
اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤]

٥٤ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿نَقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلَّا﴾
اغترأك ﴿أَصَابَكَ﴾ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّهِ﴾ فخلبك
لسبك إياها فأنت تهذي ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ﴾
علي ﴿وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به .

﴿مِن دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ﴾

عامله الإشارة ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ عقر ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ إن عقرتموها .

﴿فَمَقَرُوهَا فَقَالَ مَتَمَعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥]

٦٥ ﴿فَمَقَرُوهَا﴾ عقرها فدار بأمرهم ﴿فَقَالَ﴾ صالح ﴿تَمَتَّعُوا﴾ عيشوا ﴿فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكون ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فيه .

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦]

٦٦ ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم أربعة آلاف ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ ونجيناهم ﴿وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ بكسر الميم إعرابا وفتحها بناء لإضافته إلى مبني وهو الأكثر ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ الغالب .
﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِيصًا﴾ [هود: ٦٧]

٦٧ ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِيصًا﴾ باركين على الركب ميتين .
﴿كَانَ لَمْ يَسْأَلُوا فِيهَا آلاَ إِنْ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِمُؤَدِّ﴾ [هود: ٦٨]

٦٨ ﴿كَانَ﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنهم ﴿لَمْ يَسْأَلُوا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في دارهم ﴿أَلَا إِنْ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِمُؤَدِّ﴾ بالصرف وتركه على معنى الحي والقبيلة .

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾

٦٩ ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ مصدر ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ عليكم ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ مشوي

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَوَسَّلَ إِلَيْهِ تَكْذِبُهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَنْخَفُ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾

٦٠ ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ من الناس ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿أَلَا إِنَّ غَاثًا كَفَرُوا﴾ جحدوا ﴿رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا﴾ من رحمة الله ﴿لَعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾

﴿وَالِإِنْ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾

٦١ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إِلَى تَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحذوه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ﴾ ابتداء خلقكم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عماراً تسكنون بها ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ من خلقه بعلمه ﴿مُجِيبٌ﴾ لمن سأله .

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢]

٦٢ ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ نرجو أن تكون سيداً ﴿قَبْلَ هَذَا﴾ الذي صدر منك ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأوثان ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع في الريب .

﴿قَالَ يَتَقَوَّمُوا أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يَضُرَّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٣]

٦٣ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِنَ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ﴾ نبوة ﴿فَمَنْ يَضُرَّنِي﴾ ينعني ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ تضليل .

﴿وَيَتَقَوَّمُوا هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤]

٦٤ ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ حال

فيها أربعة عشر مؤمنا؟ قالوا: لا، قال: أفأرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا، قال: إن فيها لوطا، قالوا: نحن أعلم بمن فيها الخ.

﴿يَكْفُرُ بِهِمْ آخِرُ مَا بُعِثُوا بِهٖ لَوٓطٌ لِّنٰهْلِكُمْ .﴾
﴿وَإِنَّمَا أَقْرَبُ عَنْ هٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَمِنَہٗم مَّعَدَابٌ عَذَابٌ غَیْرُ مَرْدُوْدٍ﴾ [هود: ٧٦]

٧٦ فلما أطال مجادلتهم قالوا ﴿يٰٓأَيُّهَا إِبْرٰهِيْمُ اَعْرِضْ عَنْ هٰذَا﴾ الجدل ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم ﴿وَإِنَّهُمْ لَمِنَہٗم مَّعَدَابٌ غَیْرُ مَرْدُوْدٍ﴾ .

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوٓطًا سِیِّئَ بِیْمٍ وَصَاقٍ بِیْمٍ ذَرَعًا﴾
﴿وَقَالَ هٰذَا یَوْمٌ عَصِیْبٌ﴾ [هود: ٧٧]

٧٧ ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوٓطًا سِیِّئَ بِیْمٍ﴾ بهم ﴿بِیْمٍ﴾ بسببهم ﴿وَصَاقٍ بِیْمٍ ذَرَعًا﴾ صدرا لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه ﴿وَقَالَ هٰذَا یَوْمٌ عَصِیْبٌ﴾ شديد .

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ مُهْرَعُونَ لِآلِيهِ وَمِنْ قَبْلِ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّیِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوَّمُوا هٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيْدٌ﴾

٧٨ ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾ لما علموا بهم ﴿مُهْرَعُونَ﴾ يسرعون ﴿لِآلِيهِ وَمِنْ قَبْلِ﴾ قبل مجيئهم ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّیِّئَاتِ﴾ وهي إتيان الرجال ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿يٰٓأَيُّهَا قَوْمِ هٰؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فتزوجوهن ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ﴾ تفضحون ﴿فِي ضَيْفِي﴾ أضيافي ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيْدٌ﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيْدُ﴾ [هود: ٧٩]

٧٩ ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيْدُ﴾ إتيان الرجال .
﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِيَةٌ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيْدٍ﴾

٨٠ ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ طاقة ﴿أَوْ آوِيَةٍ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيْدٍ﴾ عشيرة تنصرتني لبطشت بكم ، فلما رأت الملائكة ذلك .

﴿قَالُوا يٰٓلُوٓطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوْا إِلَيْكَ فَآتِنِي بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْمُوكَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا

٧٠ ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ بمعنى أنكروهم ﴿وَأَوْجَسَ﴾ أضمرب في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ خوفا ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوٓطٍ لِّنَهْلِكُمْ .﴾

﴿وَإِنَّمَا أَقْرَبُ عَنْ هٰذَا بِشَرِّهَا يٰٓإِسْحٰقُ وَمِنَ ذٰلِكَ إِسْحٰقُ يَعْقُوْبُ﴾ [هود: ٧١]

٧١ ﴿وَإِنَّمَا أَقْرَبُ عَنْ هٰذَا﴾ أي امرأة إبراهيم سارة ﴿قَائِمَةً﴾ تخدمهم ﴿فَضَحِكْتَ﴾ استبشاراً بهلاكهم ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحٰقَ وَمِنَ ذٰلِكَ إِسْحٰقُ يَعْقُوْبُ﴾ ولده تعيش إلى أن تراه .

﴿قَالَتْ يٰٓتَوَلَّيْتُ أٰلِدُ وَأَنَا عَجُوْزٌ وَهٰذَا بَعْلِي شَيْخًا مَّتَّ هٰذَا لَشَقِيٌّ عَجِيْبٌ﴾ [هود: ٧٢]

٧٢ ﴿قَالَتْ يٰٓأَيُّهَا وَتَوَلَّيْتُ﴾ كلمة تقال عند أمر عظيم ، والألف مبدلة من ياء الإضافة ﴿أٰلِدُ وَأَنَا عَجُوْزٌ﴾ لي تسع وتسعون سنة ﴿وَهٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ له مائة أو عشرون سنة ونصبه على الحال والعامل فيه ما في ذا من الإشارة ﴿إِنَّ هٰذَا لَشَقِيٌّ عَجِيْبٌ﴾ أن يولد ولد لهرمين .

﴿قَالُوا أَتَفْجِيْنِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَرَكْمَتُهُ عَلَيْكُمُ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيْدٌ مَّجِيْدٌ﴾

٧٣ ﴿قَالُوا أَتَفْجِيْنِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قدرته ﴿رَحِمَتُ اللَّهِ وَرَكْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ بيت إبراهيم ﴿إِنَّهُ حَمِيْدٌ﴾ محمود ﴿مَّجِيْدٌ﴾ كريم .

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰهِيْمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ مُجْدِلًا فِي قَوْمِ لُوٓطٍ﴾ [هود: ٧٤]

٧٤ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰهِيْمَ الرَّوْعُ﴾ الخوف ﴿وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ﴾ بالولد أخذ ﴿مُجْدِلًا﴾ يجادل رسلنا ﴿فِي﴾ شأن ﴿قَوْمِ لُوٓطٍ﴾ .

﴿إِنَّ إِبْرٰهِيْمَ لَحَلِيْمٌ آوَىٰ تَيْبٌ﴾ [هود: ٧٥]

٧٥ ﴿إِنَّ إِبْرٰهِيْمَ لَحَلِيْمٌ﴾ كثير الأناة ﴿آوَىٰ﴾ مُنيب ﴿رَجَاعٌ﴾ رجوع ، فقال لهم : أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا : لا ، قال : أتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا : لا ، قال : أتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا؟ قالوا : لا ، قال : أتهلكون قرية

مُفْسِدِينَ ﴿هُود: ٨٥﴾

٨٥ ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أتموها
﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾
لا تنقصوهم من حقهم شيئا ﴿وَلَا تَغْتَوُوا فِي الْأَرْضِ﴾
مُفْسِدِينَ ﴿بِالْقِتْلِ وَغَيْرِهِ مِنْ عَشَى بِكْسَرِ الْمَثَلَةِ﴾
أفسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها تعنوا .

﴿يَقِئْتُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا﴾
﴿عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾ [هود: ٨٦]

٨٦ ﴿بَقِيَّتُ اللَّذِي﴾ رزقه الباقي لكم بعد إيفاء
الكيل والوزن ﴿تَخَيَّرَ لَكُمْ﴾ من البخس ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾
مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴿رَقِيبٌ أَجَازِيكُمْ﴾
بأعمالكم إنما بعثت نذيراً .

﴿قَالُوا يَسْجَعِبُ أَسْلُوكُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ﴾
﴿أَبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُ إِلَّا نَكَ لَأَنْتَ﴾
الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿هُود: ٨٧﴾

٨٧ ﴿قَالُوا﴾ له استهزاء ﴿يَا شَعْبِ أَصْلَاتِكَ﴾
تَأْمُرُكَ ﴿بِتَكْلِيفٍ﴾ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴿مِنْ﴾
الْأَصْنَامِ ﴿أَنْزِ﴾ نَتْرَكَ ﴿أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا﴾
نَشَاءُ ﴿الْمَعْنَى هَذَا أَمْرٌ بَاطِلٌ لَا يَدْعُو إِلَيْهِ دَاعٍ بِخَيْرٍ﴾
﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قَالُوا ذَلِكَ اسْتِهْزَاءٌ .

﴿قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي﴾
﴿مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُكُمْ إِلَّا مَا أَنْتُمْ لَكُمْ﴾
﴿عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا﴾
﴿يَاللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]

٨٨ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنٍ مِنْ﴾
﴿رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ جَلالاً أَفَاشُوبُهُ بِالْحَرَامِ
مِنَ الْبَخْسِ وَالتَّطْفِيفِ ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُكُمْ﴾
﴿وَأُذْهِبَ﴾ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ ﴿فَأَرْتَكِبُهُ﴾ ﴿إِنْ﴾ مَا
﴿أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ لَكُمْ بِالْعَدْلِ ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾
﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾ قَدَرْتَنِي عَلَى ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ
﴿إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أَرْجِعُ .

﴿وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ يَنْزَلُ مَا﴾
﴿أَصَابَ قَوْمٍ تُوحِ أَوْ قَوْمٍ هُودٍ أَوْ قَوْمٍ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ﴾
﴿مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩]

أَمْرًا لَكَ إِنَّهُ مُصِيبًا مَا أَصَابَهُمْ إِنْ مَوَّعَهُمُ الصُّبْحُ
الَّذِي الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿هُود: ٨١﴾

٨١ ﴿قَالُوا يَا لَوْطُ إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ لَنْ نَبْصُلُوا﴾
﴿إِلَيْكَ﴾ بِسُوءٍ ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ طَائِفَةٍ ﴿مَنْ﴾
﴿الَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ لَعَلَّ يَرَى عَظِيمٌ مَا
يَنْزِلُ بِهِمْ ﴿إِلَّا أَمْرًا لَكَ﴾ بِالرَّفْعِ بَدَلَ مِنْ أَحَدٍ ،
وَفِي قِرَاءَةِ النَّصْبِ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْأَهْلِ أَيِ فَلَا تَسِرْ
بِهَا ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ فَقِيلَ لَمْ يَخْرُجْ بِهَا
وَقِيلَ خَرَجَتْ وَالتَّفْتِ فَقَالَتْ وَأَقْوَامَهَا فَجَاءَهَا حَجَرٌ
فَقَتَلَهَا وَسَأَلَهُمْ عَنْ وَقْتِ هَلَاكِهِمْ فَقَالُوا ﴿إِنْ﴾
﴿مَوَّعَهُمُ الصُّبْحُ﴾ فَقَالَ : أُرِيدُ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا
﴿الَّذِي الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ .

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا﴾
﴿عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾

٨٢ ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بِأَهْلَاكِهِمْ ﴿جَعَلْنَا﴾
﴿عَلَيْهَا﴾ أَيِ قِرَاهِمِ ﴿سَافِلَهَا﴾ أَيِ بَانَ رَفَعَهَا حَبْرِيلُ
إِلَى السَّمَاءِ وَأَسْقَطَهَا مَقْلُوبَةً إِلَى الْأَرْضِ ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾
﴿عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ طِينٍ طَبَخَ بِالنَّارِ
﴿مَنْضُودٍ﴾ مَتَابَعٌ .

﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾

٨٣ ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ مَعْلُومَةٌ عَلَيْهَا اسْمٌ مِنْ يرمى بِهَا
﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ظَرْفٌ لَهَا ﴿وَمَا هِيَ﴾ الْحِجَارَةُ أَوْ
بِلَادِهِمْ ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أَيِ أَهْلِ مَكَّةَ ﴿بِبَعِيدٍ﴾ .

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا﴾
﴿لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾
﴿إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ﴾
﴿يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾

٨٤ ﴿و﴾ أَرْسَلْنَا ﴿إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ﴾
﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وَحْدَهُ ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾
﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ﴾
﴿نِعْمَةً تَنْعِيكُمْ عَنِ التَّطْفِيفِ﴾ ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾
﴿إِنْ لَمْ تَتُومِنُوا﴾ ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ بِكُمْ يَهْلِكُكُمْ ،
وَوَصَفَ الْيَوْمَ بِهِ مَجَازٌ لَوْقَعَهُ فِيهِ .

﴿وَيَنْقُورُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا﴾
﴿تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَغْتَوُوا فِي الْأَرْضِ﴾

يَدْرِيهِمْ جَنِينًا ﴿٩٤﴾ [هود: ٩٤]

٩٤ ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ ياهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾ باركين على الركب ميتين .

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أَلَا بَعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿

٩٥ ﴿كَأَنَّ﴾ مخففة أي كأنهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ أَلَا بَعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾

٩٦ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ برهان ظاهر .

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَأَتْبَعُوا آمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ

فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧]

٩٧ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَأَتْبَعُوا آمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ سديد .

﴿بِئْسَ الْقَوْمُ قَوْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَسَسَ

الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]

٩٨ ﴿بِئْسَ﴾ يتقدم ﴿قَوْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيتبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾ أدخلهم ﴿النَّارَ وَيَسَسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ هي .

﴿وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسَسَ الرَّقْدُ

الْمَرْقُودُ﴾ [هود: ٩٩]

٩٩ ﴿وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ﴾ أي الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ

الْقِيَامَةِ﴾ لعنة ﴿يَسَسَ الرَّقْدُ﴾ العون ﴿الْمَرْقُودُ﴾ ردهم .

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِدٌ

وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠]

١٠٠ ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور مبتدأ خبره ﴿مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا﴾ أي القرى ﴿قَائِدٌ﴾ هلك أهله دونه ومنها ﴿وَحَصِيدٌ﴾ هلك بأهله فلا أثر له كالزروع المحصود بالمنجل .

﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ

عَنَّهُمُ آلَهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا

٨٩ ﴿وَمَا قَوْمٌ لَا يَجْرِمُكُمْ﴾ يكسبكم

﴿شِقَاقِي﴾ خلافي فاعل يجرم والضمير مفعول أول ، والثاني ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾ مثل ما أصاب قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ﴿من العذاب﴾ ﴿وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ﴾ أي منازلهم أو زمن هلاكهم ﴿مُنْكُمْ يَتَّبِعِدُ﴾ فاعتبروا .

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ

رَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]

٩٠ ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي

رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين ﴿وَرُدُّهُ﴾ محب لهم

﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ

فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا

بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]

٩١ ﴿قَالُوا﴾ إيداناً بقلة المبالاة ﴿يَا شَعْبُ مَا

نَفَقَهُ﴾ نفهم ﴿كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا

ضَعِيفًا﴾ ذليلاً ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ بالحجارة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾

كريم عن الرجم وإنما رهطك هم الأعره .

﴿قَالَ يَنْقُورِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ

وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾

٩٢ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾

فنتركوا قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله

﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي الله ﴿وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾ منبوداً

خلف ظهوركم لا تراقبونه ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ

مُحِيطٌ﴾ علماً فيجازيكم .

﴿وَيَنْقُورِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَعِلُّ سَوْفَ

تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ

وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: ٩٣]

٩٣ ﴿وَمَا قَوْمٌ اِغْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم

﴿إِنِّي عَعِلُّ﴾ على حالتي ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من

موصولة مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ

كَاذِبٌ وَاذْقِبُوا﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ

رَقِيبٌ﴾ منتظر .

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَنِينًا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ

بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾

١٠٧ ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ أي مدة دوامهما في الدنيا ﴿ إِلَّا ﴾ غير ﴿ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ من الزيادة على مدتهما مما لا ينتهي له والمعنى خالدين فيها أبداً ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ .

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُورٍ ﴾

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُورٍ ﴾

١٠٨ ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا ﴾ بفتح السين وضمها ﴿ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا ﴾ غير ﴿ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ كما تقدم ، ودل عليه فيهم قوله ﴿ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُورٍ ﴾ مقطوع ، وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر وهو خال من التكلف والله أعلم بمراده .

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَتُولَاءُ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾ [هود: ١٠٩]

١٠٩ ﴿ فَلَا تَكُ ﴾ يا محمد ﴿ فِي مِرْيَةٍ ﴾ شك ﴿ مِمَّا يَعْْبُدُ هَتُولَاءُ ﴾ من الأصنام إنا نعبدهم كما عذبنا من قبلهم ، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿ مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ ﴾ أي كعبادتهم ﴿ مَنْ قَبْلُ ﴾ وقد عذبناهم ﴿ وَإِنَّا لَمُوفُونَ ﴾ مثلهم ﴿ نَصِيبُهُمْ ﴾ حظهم من العذاب ﴿ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾ أي تاماً .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكِّ مِتَّةٍ مُّرِيبٍ ﴾ [هود: ١١٠]

١١٠ ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ التوراة ﴿ فَاخْتَلَفَ فِيهِ ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا ﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾ أي المكذبون به

جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [هود: ١٠١]

١٠١ ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بالشرك ﴿ فَمَا أَغْنَتْ ﴾ دفعت ﴿ عَنْهُمْ إِلَهُهُمْ ﴾ التي يَدْعُونَ ﴿ يَعْبُدُونَ ﴾ من دُونِ اللَّهِ ﴿ أَي غَيْرِهِ ﴾ من زائدة ﴿ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ عذابه ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ ﴾ بعبادتهم لها ﴿ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ تخسير .

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢]

١٠٢ ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ ﴾ أريد أهلها ﴿ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ بالذنوب أي فلا يعني عنهم من أخذه شيء ﴿ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ ﴾ ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ ﴾ الآية .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود: ١٠٣]

١٠٣ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ المذكور من القصص ﴿ لَآيَةً ﴾ لعمرة ﴿ لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ ﴾ فيه ﴿ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ يشهده جميع الخلائق .

﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ [هود: ١٠٤]

١٠٤ ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ لوقت معلوم عند الله .

﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُقُوتٌ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٥]

١٠٥ ﴿ يَوْمَ يَأْتِ ﴾ ذلك اليوم ﴿ لَا تَكَلِّمُ ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ تعالى ﴿ فَمِنْهُمْ ﴾ أي الخلق ﴿ سُقُوتٌ ﴾ ومنهم ﴿ وَسَعِيدٌ ﴾ كتب كل في الأزل .

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَمْ يَهَيِّئْ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾

١٠٦ ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا ﴾ في علمه تعالى ﴿ فِي النَّارِ لَمْ يَهَيِّئْ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ﴾ صوت شديد ﴿ وَشَهِيقٌ ﴾ صوت ضعيف .

﴿لَئِن شَكَ مِنْهُ مُرِيْبٌ ﴿مَوْعِ فِي الرِّبِيَةِ .

﴿وَإِن كَلَّا لَمَّا لِيُوقِنْتَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿هُود: ١١١﴾

١١١ ﴿وَإِن﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿كَلَّا﴾ أي كل الخلائق ﴿لَمَّا﴾ ما زائدة واللام موطئة لقسم مقدر أو فارقة ، وفي قراءة بتشديد لَمَّا بمعنى إلا فإن نافية ﴿لِيُوقِنْتَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ أي جزاءها ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بواطنه كظواهره .

﴿فَأَسْتَقِيمَ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا إِنَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿هُود: ١١٢﴾

١١٢ ﴿فَأَسْتَقِيمَ﴾ على العمل بأمر ربك والدعاء إليه ﴿كَمَا أَمَرْتَ﴾ وليستقيم ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ آمن ﴿مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم .

﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَتَّسِكُمُ النَّارُ وَمَا
لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾

١١٣ ﴿وَلَا تَزْكُوا﴾ تاملوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بمودة أو مداينة أو رضا بأعمالهم ﴿فَمَتَّسِكُمُ﴾ تصيبكم ﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ يحفظونكم منه ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ تمنعون من عذابه .

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ
الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾

١١٤ ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ الغداة والعشي أي : الصبح والظهر والعصر ﴿وَرُفَا﴾ جمع زلفة أي طائفة ﴿مِنْ اللَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾ كالصلوات الخمس ﴿يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ﴾ الذنوب الصغائر ، نزلت فيمن قبل أجنبية فأخبره النبي ﷺ فقال أَلَيْهِ هَذَا ؟ فقال : ﴿لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ﴾ رواه الشيخان ﴿ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾ عظة للمتعمقين (١) .

(١) أسلب نزول الآية ١١٤ : روى الشيخان عن ابن مسعود: أن رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فأُنزل الله : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ﴾ فقال الرجل: أَلَيْ هَذَا؟ قال ﷺ :

﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيْعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

١١٥ ﴿وَاصْبِرْ﴾ يا محمد على أذى قومك أو على الصلاة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيْعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالصبر على الطاعة .

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ
عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ
وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا
مُجْرِمِينَ﴾ ﴿هُود: ١١٦﴾

١١٦ ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ﴾ أصحاب دين وفضل ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ المراد به النفسي أي ما كان فيهم ذلك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ نهوا فنجوا ومن للبيان ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالفساد وترك النهي ﴿مَا أُتْرِفُوا﴾ نعموا ﴿فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ .

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِیَهْلِكَ الْقَرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا
مُضِلِحُونَ﴾ ﴿هُود: ١١٧﴾

١١٧ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِیَهْلِكَ الْقَرَى بِظُلْمٍ﴾ منه لها ﴿وَأَهْلُهَا مُضِلِحُونَ﴾ مؤمنون .

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ
مُخْتَلِفِينَ﴾ ﴿هُود: ١١٨﴾

١١٨ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً
وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الدين .

﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

لجميع أمتي كلهم.

* وأخرج الترمذي وغيره عن أبي اليسر قال: أتتني امرأة تتباع تمراً فقلت: إن في البيت أطيب منه، فدخلت معي في البيت فأهويت إليها فقبلتها فأبى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: أخلفت غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا ؟ وأطرق طويلاً حتى أوحى الله إليه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ إلى قوله: ﴿لِلذَّاكِرِينَ﴾.

* وورد نحوه من حديث أبي أمامة ومعاذ بن جبل وابن عباس وبريدة وغيرهم ، وقد استوفيت أحاديثهم في ترجمان القرآن.

١٢ سورة يوسف

مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة

﴿أَتَرَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١]

١ ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿آيَاتِ الْكِتَابِ﴾ القرآن ، والإضافة بمعنى من ﴿المُبِينِ﴾ المظهر للحق من الباطل .

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

٢ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفقهون معانيه .

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]

٣ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا﴾ بإيحائنا ﴿إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن﴾ مخففة أي وإنه ﴿كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ .

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾

٤ اذكر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب ﴿يَا أَبَتِ﴾ بالكسر دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الياء ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾

سورة يوسف

(١) أسباب نزول الآية ٣: روى الحاكم وغيره عن سعد بن أبي وقاص قال: أنزل على النبي ﷺ القرآن فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فنزل: «الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً متتابعاً تفشيراً منه مجلود الذين يخشون ربهم ثم تلين مجلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن ضلّل الله فما له من هادي الآية.

* زاد ابن أبي حاتم: فقالوا: يا رسول الله لو ذكرتنا، فأنزل الله: «وَأَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَبِيرٌ مِنْهُمْ فَاسْفُتُوا» الآية.

* وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا فنزل: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ».

* وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود مثله.

١١٩ ﴿إِلَّا مَنْ رُحِمَ رَبُّكَ﴾ أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي أهل الاختلاف له وأهل الرحمة لها ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبُّكَ﴾ وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

١٢٠ ﴿وَكَلَّا﴾ نُصِبَ بنقص وتوحيه عوض عن المضاف إليه أي كل ما يحتاج إليه ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا﴾ بدل من كلا ﴿نُثَبِّتُ﴾ نطمئن ﴿بِهِ فُؤَادَكَ﴾ قلبك ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ الأنباء أو الآيات ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصوا بالذكر لانفعاهم بها في الإيمان بخلاف الكفار .

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾

١٢١ ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ على حالتنا تهديد لهم .

﴿وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ [هود: ١٢٢]

١٢٢ ﴿وَأَنْظِرُوا﴾ عاقبة أمركم ﴿إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ ذلك .

﴿وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

١٢٣ ﴿وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي علم ما غاب فيهما ﴿وَاللَّهُ يُرْجِعُ﴾ بالبناء للفاعل يعود ، وللمفعول يرد ﴿الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ فينتقم ممن عصى ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ وحده ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثق به فإنه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخرهم لوقتهم ، وفي قراءة بالفوقانية .

* * *

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾
 ١٠ ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو يهوذا ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ﴾ اطرحوه ﴿فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ مظلم البئر ، وفي قراءة بالجمع ﴿يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ المسافرين ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما أردتم من التفريق فافتكروا بذلك .

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَكُلِّهِ لَنَصِاحُونَ﴾ [يوسف : ١١]
 ١١ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِاحُونَ﴾ لقائمون بمصالحه .
 أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

١٢ ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصحراء ﴿يَزْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾ بالنون والياء فيهما ينشط ويتسع ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

﴿قَالَ إِنِّي لَخِزْنُيَ أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّنْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف : ١٣]
 ١٣ ﴿قَالَ إِنِّي لَخِزْنُيَ أَنْ تَذْهَبُوا﴾ أي ذهابكم ﴿بِهِ﴾ لرفاقه ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّنْبُ﴾ المراد به الجنس وكانت أرضهم كثيرة الذناب ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ مشغولون .

﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذُّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَيْرُونَ﴾ [يوسف : ١٤]
 ١٤ ﴿قَالُوا لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَكَلَهُ الذُّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ عاجزون ، فأرسله معهم .

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف : ١٥]
 ١٥ ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا﴾ عزموا ﴿أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ وجواب لنا محذوف أي فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله وأدلوه فلما وصل إلى نصف البئر ألقوه ليموت فسقط في الماء ، ثم أوى إلى صخرة

والشمس والقمر رأيتهم﴾ تأكيد ﴿لِي سَاجِدِينَ﴾ جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء .

﴿قَالَ يَبْنَؤُ لَا تَقْضُ رُبَّكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾
 ٥ ﴿قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْضُ رُبَّكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ يحتالون في هلاكك حسداً لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب والشمس أمك والقمر أبوك ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ظاهر العداوة .

﴿وَكَذَلِكَ يَجْهَبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُرِيكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَنْتَمَهَا عَلَىٰ أَبِيكَ مِنْ قَبْلُ إِزْهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾
 ٦ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما رأيت ﴿يَجْهَبُكَ﴾ يختارك ﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿وَيُرِيكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ أولاده ﴿كَمَا أَنْتَمَهَا﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَىٰ أَبِيكَ مِنْ قَبْلُ إِزْهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ إن ربك عليهما ﴿بِخَلْقِهِ﴾ حكيمة في صنعه بهم .

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّالِفِينَ﴾
 ٧ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي﴾ خبر ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ وهم أحد عشر ﴿آيَاتٌ﴾ عبر ﴿لِّلسَّالِفِينَ﴾

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

٨ اذكر ﴿إِذْ قَالُوا﴾ أي بعض إخوة يوسف لبعضهم ﴿لِيُوسُفَ﴾ مبتدأ ﴿وَأَخُوهُ﴾ شقيقه بنيامين ﴿أَحَبُّ﴾ خبر ﴿إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ خطأ ﴿مُبِينٍ﴾ بين بإثارة عليا .

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبْحَلُ لَكُمْ وَجْهٌ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف : ٩]

٩ ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي بأرض بعيدة ﴿يَبْحَلُ لَكُمْ وَجْهٌ أَبِيكُمْ﴾ بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي بعد قتل يوسف أو طرحه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ بأن تتوبوا .

فلما رآه ﴿قَالَ يَا بُشْرَى﴾ وفي قراءة ﴿بشرى﴾
 ونداؤها مجاز أي احضري فهذا وقتك ﴿هَذَا
 غَلَامٌ﴾ فعلم به فاتوه ﴿وَأَسْرُوهُ﴾ أي أخفوا أمره
 جاعليه ﴿بِضَاعَةٍ﴾ بأن قالوا هذا عبدنا أبق وسكت
 يوسف خوفا من أن يقتلوه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا
 يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿وَسَرَّوهُ بِسَمِّنٍ بِخَسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ
 مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]

٢٠ ﴿وَسَرَّوهُ﴾ باعوه منهم ﴿بِسَمِّنٍ بِخَسٍ﴾
 ناقص ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عشرين أو اثنين وعشرين
 ﴿وَكَانُوا﴾ أي إخوته ﴿فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ فجاءت
 به السيارة إلى مصر فباعه الذي اشتراه بعشرين
 دينارا وزوجي نعل وثوبين .

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأُمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي
 مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَفْعَلَنَا أَوْ نَخْذُمُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ
 مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ
 الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
 لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]

٢١ ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ وهو قطفير
 العزيز ﴿لِأُمْرَأَتِهِ﴾ زليخا ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ مقامه
 عندنا ﴿عَسَىٰ أَنْ يَفْعَلَنَا أَوْ نَخْذُمُ وَلَدًا﴾ وكان
 حصورا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما نجيناه من القتل والحب
 وعطفنا عليه قلب العزيز ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
 الْأَرْضِ﴾ أرض مصر حتى بلغ ما بلغ ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن
 تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا عطف علي مقدر
 متعلق بمكنا أي لملكه أو الواو زائدة ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ
 عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ تعالى لا يعجزه شيء ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
 النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك .

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ مَاتَنَّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْرِ
 الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]

٢٢ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو ثلاثون سنة أو
 وثلاث ﴿مَاتَنَّهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقها في
 الدين قبل أن يبعث نبيا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه
 ﴿نُجْرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم

﴿وَزَادَتْهُ أَلْفٌ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ
 الْأُيُوبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي

فنادوه فأجابهم يظن رحمتهم فأرادوا رضخه
 بصخرة فنعمهم يهوذا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ في الجب
 وحى حقيقة وله سبع عشرة سنة أو دونها تطمينا
 لقلبه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ﴾ بعد اليوم ﴿بِأْمْرِهِمْ﴾ بصنيعهم
 ﴿هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بك حال الإنباء .

﴿وَجَاءَ رَبَّاهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦]

١٦ ﴿وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءَ﴾ وقت المساء
 ﴿يَبْكُونَ﴾

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ
 مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ
 كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]

١٧ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ نرمي
 ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا﴾ ثيابنا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ
 وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ بمصدق ﴿لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾
 عندك لانهمتا في هذه القصة لمحبة يوسف وكيف
 وأنت تسيء الظن بنا .

﴿وَجَاءَهُ عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ
 أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا
 تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]

١٨ ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ﴾ محله نصب على
 الظرفية أي فوجه ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي ذي كذب بأن
 ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا
 إنه دمه ﴿قَالَ﴾ يعقوب لما رآه صحيحا وعلم
 كذبه ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْْرًا﴾
 ففعلتموه به ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ لا جزع فيه ، وهو
 خبر مبتدأ محذوف أي أمري ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾
 المطلوب منه العون ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون
 من أمر يوسف .

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَةً قَالَ
 يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا
 يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ١٩]

١٩ ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مدين إلى
 مصر فنزلوا قريبا من جب يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا
 وَارِدَهُمْ﴾ الذي يرد الماء ليستقي منه ﴿فَأَدْلَىٰ﴾
 أرسل ﴿دَلْوَةً﴾ في البئر فتعلق بها يوسف فأخرجه

كان في المهد فقال ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ قَبْلٍ﴾ قدام ﴿فَصَدَقْتُ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ .

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنْ أَصْدِقَائِكَ﴾ [يوسف: ٢٧]

٢٧ ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ﴾ خلف ﴿فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨]

٢٨ ﴿فَلَمَّا رَأَى﴾ زوجها ﴿قَمِيصَهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ﴾ أي قولك ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ﴾ الخ ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ أيها النساء ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ .

﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩]

٢٩ ثم قال يا ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ الأمر ولا تذكره لعلا يشيع ﴿وَاسْتَغْفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ الآثمين ، واشتهر الخبر وشاع .

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

٣٠ ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ مدينة مصر ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ عبدا ﴿عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ تمييز أي دخل حبه شغاف قلبها أي غلافه ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ﴾ أي في خطأ ﴿مُبِينٍ﴾ بين بحبها إياه .

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]

٣١ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ غيبتهن لها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ﴾ أعدت ﴿لَهُنَّ مُتَّكِنًا﴾ طعاماً يقطع بالسكين للاتكاء عنده وهو الأترج ﴿وَأَتْتِ﴾ أعطت ﴿كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ وقالت ﴿لِيُؤْسِفَ﴾ ليوسف ﴿أَخْرُجَ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ أعظمته ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين ولم يشعرن

أَحْسَنَ مَثْوَىٰ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

٢٣ ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ هي زليخا ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي طلبت منه يواقعها ﴿وَوَعَلَقَتْ﴾ الأبواب ﴿لِلْبَيْتِ﴾ وقالت ﴿لَهُ﴾ ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي هلم ، واللام للتبيين وفي قراءة بكسر الهاء وأخرى بضم التاء ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله من ذلك ﴿إِنَّهُ﴾ الذي اشتراني ﴿رَبِّي﴾ سيدي ﴿أَحْسَنَ مَثْوَىٰ﴾ مقامي فلا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الزناة .

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِوَيْهَمَ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُتْلِصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]

٢٤ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهَمَّ﴾ قصدت منه الجماع ﴿وَوَيْهَمَ بِهَا﴾ قصد ذلك ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ قال ابن عباس مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله ، وجواب لولا لجامعها ﴿كَذَلِكَ﴾ أريانه البرهان ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ الخيانة ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ الزنا ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُتْلِصِينَ﴾ في الطاعة ، وفي قراءة بكسر اللام أي المختارين .

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْأَبَائِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥]

٢٥ ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ بادر إليه يوسف للفرار وهي للتشبث به فأمسكت ثوبه وجذبه إليها ﴿وَقَدَّتْ﴾ شقت ﴿قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا﴾ وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾ زوجها ﴿لَدَا الْبَابِ﴾ فنزعت نفسها ثم ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ زنا ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ﴾ يحبس في سجن ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم بأن يضرب .

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [يوسف: ٢٦]

٢٦ ﴿قَالَ﴾ يوسف متبرئاً ﴿هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ ابن عمها زوي أنه

٣٦ ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ غلامان للملك أحدهما ساقيه والآخر صاحب طعامه فرأياه يعبر الرؤيا فقالا لنتخبرنه ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ وهو الساقى ﴿إِنِّي أَرَانِي أَغْصِرُ خَمْرًا﴾ أي عبا ﴿وقال الآخر﴾ وهو صاحب الطعام ﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ قَوْقِرَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِقْنَا﴾ خبزنا ﴿بتأويله﴾ بتعبيره ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾
٣٧ ﴿قَالَ﴾ لهما مخبراً أنه عالم بتعبير الرؤيا ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ﴾ في منامكما ﴿إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ في اليقظة ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ تأويله ﴿ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ فيه حث على إيمانهما ثم قواه بقوله ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ دِينِ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ تأكيد ﴿كَافِرُونَ﴾ .

﴿وَأَتَيْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾
٣٨ ﴿وَأَتَيْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ يَنْبَغِي﴾ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴿شَيْءٍ﴾ لعصمتنا ﴿ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله فيشركون ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال .

﴿يَصَلِّيْهِ السَّجْنَ آزَابًا مُتَّفَرِّقَاتٍ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ

الْوَجْدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]

٣٩ ﴿بِأَصْحَابِي﴾ ساكني ﴿السَّجْنَ آزَابًا مُتَّفَرِّقَاتٍ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَجْدُ الْقَهَّارُ﴾ خير ؟ استفهام تقرير .

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْتُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]

بالألم لشغل قلبهن بيوسف ﴿وقلن حاش ليليه﴾ تنزيهاً له ﴿مَا هَذَا﴾ أي يوسف ﴿بَشْرًا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ لما حواه من الحسن الذي لا يكون عادة في النسمة البشرية وفي الحديث «أنه أعطي شطر الحسن» .

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودَتْهُ عَن نَّفْسِهِ فَأَسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُوْهُ لَيَسْجَنَنَّ وَيَكُوْنَا مِنَ الصَّغِيْرِيْنَ﴾ [يوسف: ٣٢]

٣٢ ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز لما رأت ما حل بهن ﴿فَذَلِكُنَّ﴾ فهذا هو ﴿الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ في حبه بيان لعذرها ﴿ولقد رآودته عن نفسه فاستعصم﴾ امتنع ﴿ولئن لم يفعل ما أمرته﴾ به ﴿لَيَسْجَنَنَّ وَيَكُوْنَا مِنَ الصَّغِيْرِيْنَ﴾ الدليلين فقلن له أطمع مولاتك .

﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا نَصَّرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِيْنَ﴾
٣٣ ﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا نَصَّرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾ أمل ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ﴾ أصير ﴿مِنَ الْجَاهِلِيْنَ﴾ المذنبين ، والقصد بذلك الدعاء فلذا قال تعالى .

﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ فَصَرَفَ عَنْهُمْ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤]

٣٤ ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ دعاءه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُمْ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل .

﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لِيَسْجُنْتَهُمْ فَحَىٰ

حِينَ﴾ [يوسف: ٣٥]

٣٥ ﴿ثُمَّ بَدَأَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ الدالات على براءة يوسف أن يسجنوه دل على هذا ﴿لِيَسْجُنْتَهُمْ فَحَىٰ﴾ إلى ﴿حِينَ﴾ ينقطع فيه كلام الناس فسجن

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِقْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦]

لي تعبيرها ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّعْيَا تَعْبُرُونَ﴾ فاعبروها لي .
﴿قَالُوا أَصْنَعْتَ أَحْلَامَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ [يوسف : ٤٤]

٤٤ ﴿قَالُوا﴾ هذه ﴿أَصْنَعْتَ﴾ أحلاط ﴿أَحْلَامِ﴾
وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين .
﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف : ٤٥]

٤٥ ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ أي من الفتيين
وهو الساقى ﴿وَادَّكَرَ﴾ فيه إبدال التاء في الأصل
دالا وإدغامها في الدال أي تذكر يوسف ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾
حين قال ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾
فأرسلوه فأتى يوسف فقال :

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَتَيْنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

٤٦ يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ الكثير الصدق
﴿أَتَيْنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي الملك وأصحابه ﴿لعلهم يعلمون﴾ تعبيرها .

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾

٤٧ ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ أي ازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾ متتابعة وهي تأويل السبع السمان ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ﴾ أي اتركوه ﴿فِي سُنْبُلِهِ﴾ لئلا يفسد ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ فادرسوه .

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ [يوسف : ٤٨]

٤٨ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي السبع
المخصابات ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ مجدبات صعب وهي
تأويل السبع العجاف ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ من
الحب المزروع في السنين المخصابات أي تاكلونه
فيهن ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ .

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ

٤٠ ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي غيره ﴿إِلَّا أَشْجَاءً سَخِيطٌ مَوْهَا﴾ سميت بها أصناماً ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ﴾ القضاء ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿الَّذِينَ الْفَتِيمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فهم يشركون .

﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَمُضَى الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف : ٤١]

٤١ ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ﴾ أي
الساقى فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ﴾ سيده ﴿خَمْرًا﴾ على عادته ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ هذا تأويل رؤياكما فقلا ما رأينا شيئاً فقال ﴿فَضِي الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ سألتما عنه صدقتما أم كذبتما .

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف : ٤٢]

٤٢ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ أي ظن ﴿أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ وهو الساقى ﴿اِذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ سيدك فقل له إن في السجن غلاماً محبوساً ظلماً فخرج ﴿فَأَنْشَأَهُ﴾ أي الساقى ﴿الشَّيْطَانُ ذِكْرَ﴾ يوسف عند ﴿رَبِّهِ فَلَبِثَ﴾ مكث يوسف ﴿فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ قبل سبعاً وقيل اثنتي عشرة .

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنْ رَأَى مِنْ سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُ لِلرُّعْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف : ٤٣]

٤٣ ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ ملك مصر الريان بن الوليد ﴿إِنِّي أَرَى﴾ أي رأيت ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ﴾ يبتلعهن ﴿سَبْعَ﴾ من البقر ﴿عَجَافٍ﴾ جمع عجفاء ﴿وسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ﴾ أي سبع سنبلات ﴿يَابِسَاتٍ﴾ قد التوت على الخضر وعلت عليها ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾ بينوا

يَعْرِضُونَ ﴿يوسف: ٤٩﴾

٤٩ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي السبع
المجدبات ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ بالمطر ﴿وَفِيهِ
يَعْرِضُونَ﴾ الأعتاب وغيرها لخصبه .

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ﴾ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ
إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ الْإِسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ
إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿يوسف: ٥٠﴾

٥٠ ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ لما جاءه الرسول وأخبره
بتأويلها ﴿أَتُونِي بِهِ﴾ أي الذي عبرها ﴿فَلَمَّا
جَاءَهُ﴾ أي يوسف ﴿الرَّسُولُ﴾ وطلبه للخروج
﴿قَالَ﴾ قاصداً لإظهار براءته ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ
فَأَسْأَلُهُ﴾ أن يسأل ﴿مَا بَالَ﴾ حال ﴿الْإِسْوَةِ اللَّاتِي
قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي﴾ سيدي ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾
فرجع فأخبر الملك فجمعهن .

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ
حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ
أَلَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ
الْمُتَدَبِّرِينَ﴾ ﴿يوسف: ٥١﴾

٥١ ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ شأنكن ﴿إِذْ رَاوَدْتُنَّ
يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ هل وجدتن منه ميلاً إليك
﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ
العَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ﴾ وضح ﴿الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ
عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قوله ﴿هِيَ
رَاوَدْتُنِي عَنْ نَفْسِي﴾ فأخبر يوسف بذلك فقال :

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ
الْمُنَافِقِينَ﴾ ﴿يوسف: ٥٢﴾

٥٢ ﴿ذَلِكَ﴾ أي طلب البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز
﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ في أهله ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال ﴿وَأَنَّ
الله لا يهدي كيد المنافقين﴾ ثم تواضع لله فقال :

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا
رَجَعْتُ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿يوسف: ٥٣﴾

٥٣ ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ من الزلل ﴿إِنَّ
النَّفْسَ﴾ الجنس ﴿لَأَمَّارَةٌ﴾ كثيرة الأمر ﴿بِالسُّوءِ﴾ إلا
ما ﴿بمعنى من﴾ ﴿رَجَعْتُ رَبِّي﴾ فعصمه ﴿إِنَّ رَبِّي

غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ﴾ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ
إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾

٥٤ ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ﴾ اسْتَخْلَصَهُ
لِنَفْسِي ﴿أَجْعَلُهُ خَالِصاً لِي﴾ دون شريك فجاهه
الرسول وقال : أجب الملك فقام وودع أهل
السجن ودعا لهم ثم اغتسل ولبس ثياباً حسنة
ودخل عليه ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ﴾ له ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا
مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا فماذا ترى
أن تفعل ؟ قال : اجمع الطعام وازرع زرعاً كثيراً
في هذه السنين المخيبة وادخر الطعام في سنبله
فتأتي إليك الخلق ليمتاروا منك ، فقال : ومن لي
بهذا ؟ .

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾

٥٥ ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ
الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾ ذو حفظ
وعلم بأمرها وقيل كاتب حاسب .

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ
يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿يوسف: ٥٦﴾

٥٦ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كإنعامنا عليه بالخلاص من
السجن ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر
﴿يَتَّبِعُوا﴾ ينزل ﴿مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ بعد الضيق
والحبس . وفي القصة أن الملك توجه وحثمه
وولاه مكان العزيز وعزله ومات بعد ، فزوجه امرأته
فوجدتها عذراء وولدت له ولدين ، وأقام العدل
بمصر ودانت له الرقاب ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ
ولا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

﴿وَلَا جُرْ إِلَّا فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

٥٧ ﴿وَلَا جُرْ إِلَّا فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ من أجر الدنيا
﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ودخلت سنو القحط
وأصاب أرض كنعان والشام .

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ
مُنْكَرُونَ﴾ ﴿يوسف: ٥٨﴾

٥٨ ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ إلا بنيامين ليمتاروا

نَكْتَلُ ﴿﴾ بالنون والياء ﴿وَأَنَا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ
مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

٦٤ ﴿قَالَ هَلْ﴾ ما ﴿ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا
ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِن قَبْلُ﴾ وقد فعلتم
به ما فعلتم ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ وفي قراءة
﴿حَفِظًا﴾ تمييز كقولهم لله دره فارسا ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ﴾ فأرجو أن يمن بحفظه .

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ
قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبُغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا
وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَتَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ

كَيْلٌ سَيِّئٌ﴾ [يوسف: ٦٥]

٦٥ ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ
رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبُغِي﴾ ما استفهامية أي
أي شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا ،
وقرىء بالفوقانية خطاباً ليعقوب وكانوا ذكروا له
إكرامه لهم ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾
نأتي بالميرة لهم وهي الطعام ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَتَزَادُ
كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ لأخينا ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ سَيِّئٌ﴾ سهل على
الملك لسخائه .

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ
لِأَنَّي بِهِ إِلَّا أَنْ يَحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ
اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦]

٦٦ ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا﴾
عهداً ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ بأن تحلفوا ﴿لِأَنَّي بِهِ إِلَّا أَنْ
يَحَاطَ بِكُمْ﴾ بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تطبقوا الإتيان
به فأجابوه إلى ذلك ﴿فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ بذلك
﴿قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ نحن وأنتم ﴿وَكَيْلٌ﴾
شهيد وأرسله معهم .

﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ
مَّتَفَرِّقَةً وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَكُمُ
إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾

٦٧ ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا﴾ مصر ﴿مِن بَابٍ
وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مَّتَفَرِّقَةً﴾ لفلا تصيبكم
العين ﴿وَمَا أُغْنِي﴾ أرفع ﴿عَنْكُمْ﴾ بقولي ذلك

لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بثمنه
﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَّفَهُمْ﴾ أنهم إخوته ﴿وَهُمْ لَهُ
مُنْكَرُونَ﴾ لا يعرفونه لبعدهم عهدهم به وظنهم هلاكه
فكلموه بالعبرانية فقال كالمنكر عليهم : ما أقدمكم
بلادي ؟ فقالوا : للميرة ، فقال : لعلكم عيون ،
قالوا : معاذ الله ، قال : فمن أين أنتم ، قالوا : من
بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله ، قال : وله
أولاد غيركم ، قالوا : نعم ، كنا اثني عشر فذهب
أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا إليه وبقي شقيقه
فاحتسه لئسلى به عنه ، فأمر بإنزالهم وإكرامهم .

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُوْنِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ
إِلَّا تَرَوُنَّ آتِيَّ أَوْفِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾

٥٩ ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ﴾ وفي لهم كيلهم
﴿قَالَ أَتُوْنِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ أي بنيامين
لأعلم صدقكم فيما قلت ﴿إِلَّا تَرَوُنَّ آتِيَّ أَوْفِي
الْكَيْلِ﴾ أتمه من غير بخس ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ .

﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُوْنِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾
٦٠ ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُوْنِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾
أي ميرة ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ نهى أو عطف على محل
فلا كيل أي تحرموا ولا تقربوا .

﴿قَالُوا سَتَرُوْهُ عَنْهُ آتِيَّهِ وَإِنَّا لَلْفَاعِلُونَ﴾ [يوسف: ٦١]
٦١ ﴿قَالُوا سَتَرُوْهُ عَنْهُ آتِيَّهِ﴾ سنجتهد في طلبه
منه ﴿وَأِنَّا لَلْفَاعِلُونَ﴾ ذلك .

﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
٦٢ ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ﴾ وفي قراءة ﴿لِفَتْيَانِهِ﴾
غلمانه ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ التي أتوا بها ثمن الميرة
وكانت دراهم ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ أوعيتهم
﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾
وفرغوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلينا لأنهم
لا يستحلون إمساکها .

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ
فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكَتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

٦٣ ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا
الْكَيْلُ﴾ إن لم ترسل أخانا إليه ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا

جاء به جملٌ بغيره ﴿من الطعام﴾ و﴿أَنَا بِهِ﴾ بالحمل ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيلاً .

﴿قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣]

٧٣ ﴿قَالُوا تَأَلَّه﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ما سرقنا قط .

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾

٧٤ ﴿قَالُوا﴾ أي المؤذن وأصحابه ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أي السارق ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في قولكم ما كنا سارقين ووجد فيكم .

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [يوسف: ٧٥]

٧٥ ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾ مبتدأ خبره ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ يُسْتَرَقُ ثم أكد بقوله ﴿فَهُوَ﴾ أي السارق ﴿جَزَاؤُهُ﴾ أي المسروق لا غير وكانت سنة آل يعقوب ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بالسرقة فصرحوا ليوسف بتفتيش أوعيتهم .

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتَيْهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن يَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾

٧٦ ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتَيْهِمْ﴾ ففتشها ﴿قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ لعل يثبتم ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ أي السقاية ﴿مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ قال تعالى : ﴿كَذَلِكَ﴾ الكيد ﴿كَدْنَا لِيُوسُفَ﴾ علمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿مَا كَانَ﴾ يوسف ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ رقيقاً عن السرقة ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ حكم مصر لأن جزاءه الضرب وتغريم مثلي المسروق لا الاسترقاق ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أخذه بحكم أبيه أي لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله يالهامه سؤال إخوته وجوابهم بسنتهم ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ﴾ بالإضافة والتنوين في العلم كيوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ من المخلوقين ﴿عَلِيمٌ﴾ أعلم منه حتى ينتهي إلى الله تعالى .

﴿مَنْ اللَّهُ مِنْ﴾ صلة ﴿شَيْءٍ﴾ قدره عليكم وإنما ذلك شفقة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ .

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوُّ عَلِيمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٦٨]

٦٨ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أي متفرقين ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي قضاياه ﴿مِنْ﴾ صلة ﴿شَيْءٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ وهي إرادة دفع العين شفقة ﴿وَإِنَّهُ لَدُوُّ عَلِيمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ لتعليمنا إياه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ إلهام الله لأصفيائه .

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَىٰ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

٦٩ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الحسد لنا وأمره أن لا يخبرهم وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يبقية عنده .

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾

٧٠ ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ﴾ هي صاع من ذهب مرصع بالجواهر ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامين ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى منادٍ بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ .

﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾

٧١ ﴿قَالُوا وَ﴾ قد ﴿أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا﴾ ما الذي ﴿تَفْقِدُونَ﴾ .

﴿قَالُوا تَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٢]

٧٢ ﴿قَالُوا تَفْقِدُ صُوَاعَ﴾ صاع ﴿الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٢]

﴿الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَٰ لِي أَبِي﴾ بالعودة إليه ﴿أَوْ يَخُكِّمَ اللَّهُ لِي﴾ بخلص أخي ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم .

﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ آيَاتِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ سَرَقْتَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ [يوسف : ٨١]

٨١ ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ آيَاتِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ تيقنا من مشاهدة الصاع في رحله ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ لما غاب عنا حين إعطاء الموتى ﴿حَافِظِينَ﴾ ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه .

﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [يوسف : ٨٢]

٨٢ ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ هي مصر ، أي ارسل إلى أهلها فاسألهم ﴿وَالْعَيْرِ﴾ أي أصحاب العير ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وهم قوم كنعان ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في قولنا فرجعوا إليه وقالوا له ذلك .
﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف : ٨٣]

٨٣ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً﴾ ففعلتموه ، اتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ صبري ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ بيوسف وأخويه ﴿جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بحالي ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه .
﴿وَنَوَّلْنَا عَنْهُمْ﴾ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾

٨٤ ﴿وَنَوَّلَىٰ عَنْهُمْ﴾ تاركاً خطابهم ﴿وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ﴾ الألف بدل من ياء الإضافة أي يا حزني ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ انمحق سوادهما وبدل بياضاً من بكائه ﴿مِنَ الْحُزْنِ﴾ عليه ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مغموم مكروب لا يظهر كربه .

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَقْتُلُونَ تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونُوا حَرَصًا أَوْ تُكُونُوا مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف : ٨٥]

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾

٧٧ ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي يوسف فقد سرق لأبي أمه صنماً من ذهب فكسره لئلا يعبده ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا﴾ يظهرها ﴿لَهُمْ﴾ والضمير للكلمة التي في قوله ﴿قَالَ﴾ في نفسه ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ من يوسف وأخيه لسرقتكم أحاكم من أيكم وظلمكم له ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون من أمره .

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

٧٨ ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا﴾ استعبده ﴿مَكَانَهُ﴾ بدلا منه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعالك .

﴿قَالَ مَكَادَ اللَّهُ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلْمُونُ﴾ [يوسف : ٧٩]

٧٩ ﴿قَالَ مَعَادَ اللَّهِ﴾ نصب على المصدر حذف فعله وأضيف إلى المفعول أي نعوذ بالله من ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ﴾ لم يقل من سرق تحرزاً من الكذب ﴿إِنَّا إِذَا﴾ إن أخذنا غيره ﴿لَطَلْمُونُ﴾ .

﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْتِيَٰ لِي أَبِي أَوْ يَخُكِّمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾

٨٠ ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا﴾ يسوا ﴿مِنْهُ خَلَصُوا﴾ اعتزلوا ﴿نَجِيًّا﴾ مصدر يصلح للواحد وغيره ، أي يناجي بعضهم بعضاً ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ سبتاً : روييل أو رايأ : يهوذا ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا﴾ عهداً ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ في أخيكم ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا﴾ زائدة ﴿فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ وقيل ما مصدرية مبتدأ خبره من قبل ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾ أفارق

٨٥ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ لا ﴿تَفْتَأُ﴾ تزال ﴿تَذْكُرُ﴾ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ﴿مُشْرِفًا عَلَى الْهَلَاكِ﴾ لَطُولِ مَرَضِكَ وَهُوَ مُصَدَّرٌ يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَغَيْرُهُ ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ الموتى .

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّزِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]

٨٦ ﴿قَالَ﴾ لَهُمْ ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي﴾ هُوَ عَظِيمُ الْحُزَنِ الَّذِي لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ حَتَّى يَبِثَ إِلَى النَّاسِ ﴿وَحُرِّزِي إِلَى اللَّهِ﴾ لَا إِلَى غَيْرِهِ فَهُوَ الَّذِي تَنْفَعُ الشُّكُورَى إِلَيْهِ ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِنْ أَنْ رَوَّيَا يَوْسُفَ صَدَقَ وَهُوَ حَيٌّ ، ثُمَّ قَالَ .

﴿يَبِثِّي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّمَا لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]

٨٧ ﴿يَا بَنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ اطَّلَبُوا خَبْرَهُمَا ﴿وَلَا تَيَاسُوا﴾ تَفَنَطُوا ﴿مِنْ رُوحِ اللَّهِ﴾ رَحْمَتِهِ ﴿إِنَّهُ لَا يَتَّسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ فَانْطَلَقُوا نَحْوَ مِصْرَ لِيُوسُفَ .

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُرْجَاةٍ﴾ [يوسف: ٨٨]

٨٨ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ﴾ الْجُوعُ ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُرْجَاةٍ﴾ مَدْفُوعَةٌ يَدْفَعُهَا كُلُّ مَنْ رَاها لِرَدَائِهَا وَكَانَتْ دِرَاهِمَ زَيْوْفًا أَوْ غَيْرَهَا ﴿فَأَوْفٍ﴾ أَمَّ ﴿لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ بِالمَسَامِحَةِ عَنْ رَدَاءَةِ بِضَاعَتِنَا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يَنْبِيبُهُمْ ، فَفَرَّقَ لَهُمْ وَأَدْرَكَتْهُ الرَّحْمَةُ وَرَفَعَ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ .

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]

٨٩ ثُمَّ ﴿قَالَ﴾ لَهُمْ تَوْبِيخًا ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ﴾ مِنَ الضَّرْبِ وَالبَيْعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿وَأَخِيهِ﴾ مِنْ هُزْمِكُمْ لَهُ بَعْدَ فِرَاقِ أَخِيهِ ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ مَا يَبُولُ إِلَيْهِ أَمْرُ يَوْسُفَ .

﴿قَالُوا أَيْتُكَ لِأَنَّ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا

أَخِي قَدْ مَرَبَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ بَنِي وَيَصِيرَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

٩٠ ﴿قَالُوا﴾ بَعْدَ أَنْ عَرَفُوهُ لَمَّا ظَهَرَ مِنْ شِمَالِهِ مُتَبَتِّينَ ﴿أَيْتُكَ﴾ بِتَحْقِيقِ الِهْمَزَتَيْنِ وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهِينَ ﴿لَأَنْتَ يُوسُفَ﴾ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَرَبَّ أَنْعَمَ ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بِالِاجْتِمَاعِ ﴿إِنَّهُ مِنْ بَنِي وَيَصِيرَ﴾ يَخْفَى اللَّهُ ﴿وَيَضِيرَ﴾ عَلَى مَا بِنَالِهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فِيهِ وَضَعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ .

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرْنَاكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩١]

٩١ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرْنَاكَ﴾ فَضْلِكَ ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بِالْمَلِكِ وَغَيْرِهِ ﴿وَإِنْ﴾ مَخْفِئَةٌ أَيْ إِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿أَتَمِينُ فِي أَمْرِكَ فَاذْلَنْكَ﴾ .

﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]

٩٢ ﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ﴾ عَتَبَ ﴿عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ حِصَّةً بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ مِظَنَّةُ التَّثْرِبِ فَغَيْرُهُ أَوْلَى ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنْ أَبِيهِ فَقَالُوا ذَهَبَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ :

﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

٩٣ ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ وَهُوَ قَمِيصُ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي لَبِسَهُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ كَانَ فِي عُنُقِهِ فِي الْجَبِّ وَهُوَ مِنَ الْجِنَّةِ أَمْرُهُ جَبْرِيلُ بِإِسْمِهِ وَقَالَ إِنْ فِيهِ رِيحُهَا وَلَا يُلْقَى عَلَى مِبتَلَى إِلَّا عَوْفِي ﴿فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ﴾ بِصِيرَ ﴿بِصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤]

٩٤ ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ خَرَجَتْ مِنْ عَرِيشِ مِصْرَ ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لِمَنْ حَضَرَ مِنْ بَنِيهِ وَأَوْلَادِهِمْ ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أَوْصَلَتْهُ إِلَيْهِ الصَّبَا بِأَذَنِهِ تَعَالَى مِنْ مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَوْ ثَمَانِيَةِ أَوْ أَكْثَرَ ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ تَسْفَهُونَ لِصَدَقْتُمُونِي .

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

٩٥ ﴿قَالُوا﴾ له ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ خططك ﴿الصَّالِحِينَ﴾ من إفراطك في محبته ورجاء لقاؤه على بعد العهد .

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿يوسف: ٩٦﴾

٩٦ ﴿فَلَمَّا أَنْ﴾ زائدة ﴿جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ يهوذا بالقميص وكان قد حمل قميص الدم فأحب أن يفرحه كما أحزنه ﴿الْقَاهُ﴾ طرح القميص ﴿عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ﴾ رجع ﴿بَصِيرًا﴾ قال أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ .

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾
٩٧ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ .

﴿قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿يوسف: ٩٨﴾

٩٨ ﴿قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ آخر ذلك إلى السحر ليكون أقرب إلى الإجابة أو إلى ليلة الجمعة ، ثم توجهوا إلى مصر وخرج يوسف والأكابر لتلقيهم .

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾ ﴿يوسف: ٩٩﴾

٩٩ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ في مضره ﴿آوَىٰ﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أباه وأمه أو حالته ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ اذْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ﴿فَدَخَلُوا وَجَلَسَ يُوْسُفُ عَلَى سَرِيرِهِ﴾ .

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

١٠٠ ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ أجلسهما معه ﴿عَلَى

العرش﴾ السرير ﴿وَوَخَّرُوا﴾ أي أبواه وإخوته ﴿لَهُ سُجَّدًا﴾ سجدوا انحناء لا وضع جبهة ، وكان تحتهم في ذلك الزمان ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ إلي ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ لم يقل من الحب تكريماً لئلا يخجل إخوته ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ البادية ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ﴾ أفسد ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ إن رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿بِخَلْقِهِ﴾ في صنعه ، وأقام عنده أبواه أربعة وعشرين سنة أو سبع عشرة سنة وكانت مدة فراقه ثماني عشرة أو أربعين أو ثمانين سنة وحضره الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه فمضى بنفسه ودفنه ثمة ، ثم عاد إلى مصر وأقام بعده ثلاثاً وعشرين سنة ولما تم أمره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه إلى الملك الدائم فقال :

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَرَبِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ﴾

١٠١ ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبیر الرؤيا ﴿فَاطِرَ﴾ خالق ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَرَبِّي﴾ متولي صالحي ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ﴾ من آبائي فعاش بعد ذلك أسبوعاً أو أكثر ومات وله مائة وعشرون سنة وتشاخ المصريون في قبره فجعلوه في صندوق من مرمر ودفنوه في أعلى النيل لتعم البركة جانبيه فسبحان من لا انقضاء لملكه .

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الَّذِينَ نُوْحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾

١٠٢ ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر يوسف ﴿مِنْ أَنْبَاءِ﴾ أخبار ﴿الْغَيْبِ﴾ ما غاب عنك يا محمد ﴿نُوْحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ في كيدته أي عزموا عليه ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ به ، أي لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها وإنما حصل لك علمها من جهة الله .

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾
 ١٠٣ ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾
 ﴿وَمَا تَشَأْهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَعْرَابٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾

[يوسف: ١٠٩]

١٠٩ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي﴾
 وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة
 ﴿مَنْ أَهْلُ الْقُرَى﴾ الأمصار لأنهم أعلم وأحلم
 بخلاف أهل البوادي لجفائهم وجهلهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾
 أهل مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي آخر أمرهم من
 إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي
 الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالياء
 والتاء يا أهل مكة هذا فتوونوا .

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَطَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا﴾
 جَاءَهُمْ نَصْرًا فَنَجَّىٰ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ
 الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]

١١٠ ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لما دل عليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ أي فتراخى نصرهم حتى
 ﴿إِذَا اسْتَيْسَسَ﴾ يسس ﴿الرُّسُلُ وَطَنُوا﴾ أيقن الرسل
 ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا﴾ بالتشديد تكذيباً لا إيمان
 بعده، والتخفيف أي ظن الأمم أن الرسل أخلفوا
 ما وعدوا به من النصر ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنَجَّىٰ﴾
 بنونين مشدداً ومخففاً وبنون مشدداً ماضٍ ﴿مَنْ نَشَاءُ﴾
 ولا يُرَدُّ بَأْسُنَا عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾
 المشركين .

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

١١١ ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي الرسل
 ﴿عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول ﴿وَمَا كَانَ﴾
 هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ يختلق
 ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من
 الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ تبين ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه
 في الدين ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
 خصروا بالذكر لانفعاهم به دون غيرهم .

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾
 ١٠٣ ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾
 على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾
 ﴿وَمَا تَشَأْهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَعْرَابٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾

١٠٤ ﴿وَمَا تَشَأْهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي القرآن ﴿مِنْ أَعْرَابٍ﴾
 تأخذه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ عَظِيمٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ .
 ﴿وَكَايِنٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾

١٠٥ ﴿وَكَايِنٍ﴾ وكم ﴿مِنْ آيَاتٍ﴾ دالة على
 وحدانية الله ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾
 يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون بها .
 ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾

١٠٦ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ حيث يقرون
 بأنه الخالق الرزاق ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ به بعبادة
 الأصنام ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك
 لك إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك .
 يعنونها .
 ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

١٠٧ ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ﴾ نعمة تغشاهم
 ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة
 ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانها .
 ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

١٠٨ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ وفسرها بقوله
 ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ دين ﴿اللَّهُ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ حجة واضحة
 ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ آمن بي عطف على أنا المبتدأ
 المخبر عنه بما قبله ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيهاً له عن الشركاء
 ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ من جملة سبيله أيضاً
 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ

١٣ سورة الرعد

مدنية وآياتها ثلاث وأربعون

﴿المرء يترك ما بين يديه من رزق الرزق الذي أنزل إليك من رزق الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ [الرعد: ١]

١ ﴿المرء﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿بتلك﴾ هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن والإضافة بمعنى من ﴿والذي أنزل إليك من رزق﴾ أي القرآن مبتدأ خبره ﴿الحق﴾ لاشك فيه ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أي أهل مكة ﴿لا يؤمنون﴾ بأنه من عنده تعالى .

﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم يلقوا ربكم توثقون﴾

٢ ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها﴾ أي العمود جمع عماد وهو الأسطوانة وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿ثم استوى على العرش﴾ استواء يليق به ﴿وسخر﴾ ذلل ﴿الشمس والقمر كل﴾ منهما ﴿يجري﴾ في فلكه ﴿لأجل مسمى﴾ يوم القيامة ﴿يدبر الأمر﴾ يقضي أمر ملكه ﴿يفصل﴾ يبين ﴿الآيات﴾ دلالات قدرته ﴿لعلكم﴾ يا أهل مكة ﴿يلقوا ربكم﴾ بالبعث ﴿توثقون﴾ .

﴿وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٣]

٣ ﴿وهو الذي مد﴾ بسط ﴿الأرض وجعل﴾ خلق ﴿فيها رواسي﴾ جبالاً ثوابت ﴿وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ من كل نوع ﴿يغشى﴾ يغطي ﴿الليل﴾ بظلمته ﴿النهار إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في صنع الله .

﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

٤ ﴿وفي الأرض قطع﴾ بقاع مختلفة ﴿متجاورات﴾ متلاصقات فمنها طيب وسيخ وقليل الربيع وكثيره وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿وجنات﴾ بساتين ﴿من أعناب وزرع﴾ بالرفع عطفاً على جنات والجر على أعناب وكذا قوله ﴿ونخيل صنوان﴾ جمع صنو ، وهي النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها ﴿وعغير صنوان﴾ منفردة ﴿يسقى﴾ بالياء ، أي الجنات وما فيها والياء ، أي المذكور ﴿بماء واحد ونفضل﴾ بالنون والياء ﴿بفضها على بعض في الأكل﴾ بضم الكاف وسكونها فمن حلو وحامض وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون .

﴿إن تعجب فاعجب قولهم أودا كذا تراباً أو أنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [الرعد: ٥]

٥ ﴿إن تعجب﴾ يا محمد من تكذيب الكفار لك ﴿فاعجب﴾ حقيق بالعجب ﴿قولهم﴾ منكرين للبعث ﴿أودا كذا تراباً أو أنا لفي خلق جديد﴾ لأن القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على إعادتهم وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركها ، وفي قراءة بالاستفهام في الأول والخبر في الثاني. وأخرى وعكسه ﴿أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ .

﴿ويستعجلونك بالسبيته قبل الحسنة وقد خلقت من قبليهم المثلث وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب﴾ [الرعد: ٦]

٦ ونزل في استعجالهم العذاب استهزاء ﴿ويستعجلونك بالسبيته﴾ العذاب ﴿قبل الحسنة﴾ الرحمة ﴿وقد خلقت من قبليهم المثلث﴾ جمع المثلة بوزن السمرة أي عقوبات أمثالهم من المكذبين أفلا يعتبرون بها ؟ ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على﴾ مع ﴿ظلمهم﴾ وإلا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ لمن

عصاه .

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ
إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾

٧ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا هَلَا ﴿أُنزِلَ
عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿وَعَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالعصا
واليد والناقة ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾
مخوف الكافرين وليس عليك إتيان الآيات ﴿وَلِكُلِّ
قَوْمٍ هَادٍ﴾ نبي يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من
الآيات لا بما يقترحون .

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ
الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨]

٨ ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ﴾ من ذكر
وأُنثى وواحد ومتعدد وغير ذلك ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾
تنقص ﴿الْأَرْحَامُ﴾ من مدة الحمل ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾
منه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ بقدر واحد
لا يتجاوزهُ .

﴿عِنْدَ الْقَبْرِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُنْتَعَالِ﴾

٩ ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شوهد
﴿الْكَبِيرِ﴾ العظيم ﴿الْمُنْتَعَالِ﴾ على خلقه بالقهر بياء
ودونها .

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ
مُسْتَخْفٍ بِأَلْسِنَةٍ وَإِسْرَارٍ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]

١٠ ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ﴾ في علمه تعالى ﴿مَنْ أَسَرَ
الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ مستتر

سورة الرعد

(١) أسباب نزول الآية ٨ : أخرج الطبراني وغيره عن ابن
عباس : أَنَّ أَرِيْدَ بْنَ قَيْسٍ ، وَعَامِرَ بْنَ الطَّفِيلِ قَدَمَا الْمَدِينَةَ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ عَامِرٌ : يَا مُحَمَّدُ مَا تَجْعَلُ لِي إِذْ أُسْلِمْتَ
؟ قَالَ : لَكَ مَا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ ، قَالَ : أَتَجْعَلُ لِي
الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِكَ ؟ قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ وَلَا لِقَوْمِكَ .

* فخرجا فقال عامر لأريد : إني أشغل عنك وجه محمد
بالحديث فاضربه بالسيف فرجعا ، فقال عامر : يا محمد قم
معي أكلمك ، فقام معه ووقف يكلمه وسل أريد السيف ، فلما
وضع يده على قائم سيفه يست والتفت رسول الله ﷺ ، فأراه
فانصرف عنهما ، فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على
أريد صاعقة فقتلته ، فأنزل الله : ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ﴾
إلى قوله : ﴿شَدِيدُ الْحَالِ﴾

﴿بِاللَّيْلِ﴾ بظلامه ﴿وَسَارِبٍ﴾ ظاهر بذهابه في
سربه أي طريقه ﴿بِالنَّهَارِ﴾ .

﴿لَهُ مَعْقِبَتٌ مِنْ يَمِينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ
دُونِهِ مِنْ وَاٍلٍ﴾

١١ ﴿لَهُ﴾ للإنسان ﴿مَعْقِبَاتٌ﴾ ملائكة تتعقبه
﴿مَنْ يَمِينِ يَدَيْهِ﴾ قدامه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ ورائه
﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي بأمره من الجن
وغيرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ لا يسلبهم
نعمته ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من الحالة
الجميلة بالمعصية ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ عذاباً
﴿فَلَا مَرَدَ لَهُ﴾ من المعقبات ولا غيرها ﴿وَمَا لَهُمْ﴾
لمن أراد الله بهم سوءاً ﴿مَنْ دُونِهِ﴾ أي غير الله
﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿وَالِ﴾ يمنعه عنهم .

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنزِلُ
السَّحَابَ الْمُنْتَغَالَ﴾ [الرعد: ١٢]

١٢ ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبُرُوقَ خَوْفًا﴾ للمسافرين
من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر
﴿وَيُنْزِلُ﴾ يخلق ﴿السَّحَابَ الثُّقَالَ﴾ بالمطر .

﴿وَيَسْخِرُ الرُّعْدَ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةَ مِنْ خِيفَتِهِ
وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ
يَجْتَدِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]

١٣ ﴿وَيَسْخِرُ الرُّعْدَ﴾ هو ملك موكل
بالسحاب يسوقه ملتبساً ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي يقول
سبحان الله وبحمده ﴿وَو﴾ يسبح ﴿الْمَلَائِكَةَ مِنْ
خِيفَتِهِ﴾ أي الله ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ وهي نار
تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾
فتحرقه ، نزل في رجل بعث إليه النبي ﷺ من
يدعوه فقال من رسول الله وما الله آمن ذهب هو
أو من فضة أم نحاس فنزلت به صاعقة فذهبت
بقحف رأسه ﴿وَهُمْ﴾ أي الكفار ﴿يُجَادِلُونَ﴾
يخاصمون النبي ﷺ ﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ
الْحَالِ﴾ القوة أو الأخذ ^(١) .

(١) أسباب نزول الآية ١٣ : وأخرج الثَّسَنِيُّ والبيزار عن
أنس قال : بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل

الإيمان لا ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ﴾ أي خلق الشركاء بخلق الله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقه استفهام إنكار أي ليس الأمر كذلك ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا شريك له فيه فلا شريك له في العبادة ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لعباده .

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَثَلٍ﴾ كذلك يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]

١٧ ثم ضرب مثلاً للحق والباطل فقال ﴿أَنْزَلَ﴾ تعالى ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَسَالَتْ أوديةً بِقَدَرِهَا﴾ بمقدار مثلها ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ عالياً عليه وهو ما على وجهه من قدر ونحوه ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ البتاء والياء ﴿عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس ﴿ابْتِغَاءً﴾ طلب ﴿حِلْيَةٍ﴾ زينة ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ ينتفع به كالأواني إذا أذيت ﴿زَبَدٌ مِثْلُ بَثَلٍ﴾ أي مثل زبد السيل وهو خبثه ، والذي ينفيه الكبير ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي مثلهما ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾ من السيل وما أوقد عليه من الجواهر ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ باطلاً مرمياً به ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من الماء والجواهر ﴿فَيَمْكُتُ﴾ يبقى ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ زماناً كذلك الباطل يضمحل وينمحق وإن علا على الحق في بعض الأوقات والحق ثابت باق ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ﴾ يبين ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ .

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَمْ تَوْأَنْتْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِ﴾ أولئك لهم سوء العذاب ﴿وَأُولَئِكَ جَهَنَّمُ وَسَاءَ لِلْمُهَادِّ﴾ [الرعد: ١٨]

١٨ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه بالطاعة ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ وهم الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِ﴾ من العذاب ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ

﴿لَمْ دَعَوْهُ الْحَقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَتَبْتَهُ إِلَى الْمَاءِ لِيَتَلَعَّ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤]

١٤ ﴿لَهُ﴾ تعالى ﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أي كلمته وهي لا إله إلا الله ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي غيره وهم الأصنام ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ مما يطلبونه ﴿إِلَّا﴾ استجابة ﴿كَبْسِطٍ﴾ أي كاستجابة باسط ﴿كَفْتِهِ﴾ إلى الماء ﴿على شفير البر يمدوه﴾ لِيَتَلَعَّ فَاهُ ﴿بارتفاعه من البر إليه﴾ ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ أي فاه أبداً فكذلك ما هم بمستجيبين لهم ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ عبادتهم الأصنام أو حقيقة الدعاء ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ضياع .

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا هُمْ بِالْفُجُورِ وَالْأَصْحَابُ﴾ [الرعد: ١٥]

١٥ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ كالمؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾ كالمنافقين ومن أكره بالسيف ﴿وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ بِالْفُجُورِ﴾ البكر ﴿وَالْأَصْحَابُ﴾ العشايا .

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أولِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ شَيْئاً نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْحَقُّ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]

١٦ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أي غيره ﴿أولِيَاءَ﴾ أصناماً تعبدونها ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ وتركتكم مالِكهما ؟ استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ﴾ الكفر ﴿وَالنُّورُ﴾

من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله فقال: ايش ريك الذي تدعوني إليه، أمن حديد، أو من نحاس، أو من فضة أو ذهب؟ فأتى النبي ﷺ فأحبره، فأعاد الثانية والثالثة، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته، ونزلت هذه الآية: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ إلى آخرها.

دخولهم للتهنئة .

﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّي الدَّارِ﴾

٢٤ يقولون ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ هذا الثواب ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ بصبركم في الدنيا ﴿فَبِعَمِّي الدَّارِ﴾ عقباكم .

﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]

٢٥ ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ البعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ العاقبة السيئة في الدار الآخرة وهي جهنم .

﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]

٢٦ ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ﴾ يوسع ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿وَفَرِحُوا﴾ أي أهل مكة فرح بظرف ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي بما نالوه فيها ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب حياة ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ شيء قليل يتمتع به ويذهب .

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّي قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾

٢٧ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ علي محمد ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ كالعصا واليد والناقة ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ إضلاله فلا تغني عنه الآيات شيئا ﴿وَيَهْدِي﴾ يرشد ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى دينه ﴿مَنْ أُنَابَ﴾ رجع إليه ، ويبدل من من .

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]

٢٨ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي وعده ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي قلوب المؤمنين .

* * *

الحِسَابِ ﴿وهو المواخذة بكل ما عملوه لا يغفر منه شيء﴾ ﴿وَمَا أَرَأَيْتُمْ جَهَنَّمَ وَيُسَّاتِ الْجِهَادِ﴾ الفرائض هي .

﴿أَفَمَنْ يَأْتِيكُمُ النَّارُ أَنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم لَعْنُ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾
إِنَّمَا يَذْكُرُ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩]

١٩ ونزل في حمزة وأبي جهل ﴿أَفَمَنْ يَغْلُمُ﴾ أنما أنزل إليكم من ربك الحق ﴿فَأَمَّنْ هُوَ أَعْمَى﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به لا ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أَوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول .

﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَتَّقُونَ لِيُغْلِبُوا﴾

٢٠ ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم الذر أو كل عهد ﴿وَلَا يَتَّقُونَ﴾ الميثاق ﴿بترك الإيمان أو الفرائض .

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]

٢١ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الإيمان والرحم وغير ذلك ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي وعيده ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ تقدم مثله .

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَمِّي الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]

٢٢ ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿ابْتِعَاءً﴾ طلب ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا غيره من أعراض الدنيا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا﴾ في الطاعة ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ كالجهد بالحلم والأذى بالصبر ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَمِّي الدَّارِ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة هي .

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾

٢٣ ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هم ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ آمن ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم يكونون في درجاتهم تكرمه لهم ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الجنة أو القصور أول

والجذب ﴿أَوْ تَحُلَّ﴾ يا محمد بجيشك ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ مكة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعَدُ اللَّهِ﴾ بالنصر عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ وقد حل بالحديبية حتى أتى فتح مكة (١).

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِنَا مِن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢]

٣٢ ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِنَا مِن قَبْلِكَ﴾ كما استهزئء بك وهذه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَأَمَلَيْتُمْ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي هو واقع موقعه فكذلك أعمل بمن استهزأ بك .

﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ أَمْ نَتَّبِعُهُنَّ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِيظْهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾

٣٣ ﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ﴾ رقيب ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر وهو الله كمن ليس كذلك من الأصنام ؟ لا ، دل على هذا ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ﴾ له من هم ﴿أَمْ﴾ بل ﴿نَتَّبِعُهُنَّ﴾ نخبرون الله ﴿بِمَا﴾ أي بشريك ﴿لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ استفهام إنكار ، أي لا شريك له إذ لو كان لعلمه تعالى عن ذلك ﴿أَمْ﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿بِيظْهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ بظن باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ كفرهم ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الهدى ﴿وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ .

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَلَذَابٌ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٤]

(١) أسباب نزول الآية ٣١ : وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال: قالوا للنبي ﷺ إن كان كما تقول فأرنا أشياءنا الأول من الموتى نكلمهم، وأفسح لنا هذه الجبال جبال مكة التي قد ضمتنا، فنزلت: ﴿وَلَوْ أَن قُرَأْنَا سُورَتُ يَه الْجِبَالِ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن عطية العوفي قال: قالوا للنبي ﷺ: لو سئرت لنا جبال مكة، حتى تسع فنحرت فيها، أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح، أو أحيت لنا الموتى كما كان عيسى يحيي الموتى لقومه، فأنزل الله: ﴿وَلَوْ أَن قُرَأْنَا﴾ الآية.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾

٢٩ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ خبره ﴿طُوبَىٰ﴾ مصدر من الطيب ، أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها لهم ﴿وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾ مرجع .

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَلْتَلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ﴾ [الرعد: ٣٠]

٣٠ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَلْتَلُوا﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ حيث قالوا لما أمروا بالسجود له وما الرحمن ؟ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ﴾ .

﴿وَلَوْ أَن قُرَأْنَا سُورَتُ يَه الْجِبَالِ أَوْ قُطِعَتْ يَه الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ يَه الْمَوْقُ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلَّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعَدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾

٣١ ونزل لما قالوا له إن كنت نبياً فسير عنا جبال مكة ، واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً لنغرس ونزرع وابعث لنا أباةا الموتى يكلموننا أنك نبي : ﴿وَلَوْ أَن قُرَأْنَا سُورَتُ يَه الْجِبَالِ﴾ نقلت عن أماكنها ﴿أَوْ قُطِعَتْ﴾ شقت ﴿يَه الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ يَه الْمَوْقُ﴾ بأن يحيوا لما آمنوا ﴿بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ لا لغيره فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره إن أوتوا ما اقترحوا ، ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طبعاً في إيمانهم ﴿أَفَلَمْ يَتَأَسَّ﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَن﴾ مخففة أي أنه ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ إلى الإيمان من غير آية ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا﴾ بصنعهم أي كفرهم ﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية تفرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب

رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴿٣٤﴾ أَوْلَادًا وَأَنْتَ مِثْلَهُمْ ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ مِنْهُمْ ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لِأَنَّهُمْ عَبِيدُ مَرْبُوبِينَ ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ مَدَّةٌ ﴿كِتَابٌ﴾ مَكْتُوبٌ فِيهِ تَحْدِيدُهُ .

﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾

٣٩ ﴿يَمْحُو اللَّهُ﴾ مِنْهُ ﴿مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ ، فِيهِ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَحْكَامِ وَغَيْرِهَا ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أَصْلُهُ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ مِنْهُ شَيْءٌ وَهُوَ مَا كَتَبَهُ فِي الْأَزْلِ .

﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ إِلَّا بَلْغُنا الْحِسَابِ﴾

٤٠ ﴿وَإِنْ مَا﴾ فِيهِ إِدْغَامٌ نُونٍ إِنْ الشَّرْطِيَّةُ فِي مَا الْمَزِيدَةُ ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ بِهِ مِنْ الْعَذَابِ فِي حَيَاتِكَ وَجَوَابِ الشَّرْطِ مَحْذُوفٍ أَيْ فِذَلِكَ ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قَبْلَ تَعْدِيهِمْ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ مَا عَلَيْكَ إِلَّا التَّبْلِيغُ ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ إِذَا صَارُوا إِلَيْنَا فَنَجَازِيهِمْ .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعٌ حَسَابٌ﴾

٤١ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا﴾ أَيْ أَهْلَ مَكَّةَ ﴿نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا﴾ نَقْصِدُ أَرْضَهُمْ ﴿مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ﴾ بِالْفَتْحِ عَلَيَّ النَّبِيِّ ﷺ ﴿يَحْكُمُ﴾ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ ﴿لَا مُعَقِّبَ﴾ لَا رَادَ ﴿لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعٌ الْحِسَابِ﴾ .

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلْمُ الْكَفَّارِ لِمَنْ عَقِبَهُ الدَّارُ﴾

٤٢ ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ مِنْ الْأُمَمِ بِأَنْبِيَائِهِمْ كَمَا مَكَرُوا بِكَ ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ وَليْسَ مَكْرُهُمْ كَمَكْرِهِ لِأَنَّهُ تَعَالَى ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فَيَعْدِلُهَا جَزَاءً وَهَذَا هُوَ الْمَكْرُ لِأَنَّهُ يَأْتِيهِمْ بِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿وَسِعَعِلْمُ الْكَفَّارِ﴾

٣٤ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ ﴿وَلِعَذَابٌ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾ أَشَدُّ مِنْهُ ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ﴾ أَيْ عَذَابُهُ ﴿مِنْ وَاقٍ﴾ مَانِعٌ .

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥]

٣٥ ﴿مَثَلُ﴾ صِفَةُ ﴿الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ مَبْتَدَأُ خَبْرِهِ مَحْذُوفٌ أَيْ فِيهَا نَقْصٌ عَلَيْكُمْ ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا﴾ مَا يُؤْكَلُ فِيهَا ﴿دَائِمٌ﴾ لَا يَفْنَى ﴿وَظِلُّهَا﴾ دَائِمٌ لَا تَنْسَخُهُ شَمْسٌ لَعْدَمِهَا فِيهَا ﴿تِلْكَ﴾ أَيْ الْجَنَّةُ ﴿عُقْبَى﴾ عَاقِبَةُ ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشَّرْكَ ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ آمَنَهُمْ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُبْكَرُ بَعْضُهُمْ قُلًّا إِنَّمَا آتَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ اللَّهُ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ إِلَهًا أَدْعُوا إِلَيْهِ مَتَابِ﴾

٣٦ ﴿وَالَّذِينَ آمَنَهُمْ الْكِتَابَ﴾ كَعَبِدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَغَيْرِهِ مِنْ مُؤْمِنِي الْيَهُودِ ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ لِمُؤَافَقَتِهِ مَا عِنْدَهُمْ ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ الَّذِينَ تَحْزَبُوا عَلَيْكَ بِالمُعَادَاةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ ﴿مَنْ يُبْكَرُ بَعْضُهُمْ﴾ كَذَكَرِ الرَّحْمَنِ وَمَا عَدَا الْقِصَصِ ﴿قُلْ إِنَّمَا آمُرُكُمْ﴾ فِيمَا أَنْزَلَ إِلَيَّ ﴿أَنْ﴾ أَيْ بِأَنْ ﴿أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ إِلَهًا أَدْعُوا إِلَيْهِ مَتَابِ﴾ مَرْجِعِي .

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾

٣٧ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الْإِنْزَالُ ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أَيْ الْقُرْآنَ ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ بِلُغَةِ الْعَرَبِ تَحْكُمُ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ ﴿وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أَيْ الْكُفَّارَ فِيمَا يَدْعُونَكَ إِلَيْهِ مِنْ مِلَّتِهِمْ فَرَضًا ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بِالتَّوْحِيدِ ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ﴾ زَائِدَةٌ ﴿وَلِيٍّ﴾ نَاصِرٌ ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ مَانِعٌ مِنْ عَذَابِهِ .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ﴾

﴿كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]

٣٨ ونزل لما عيره بكثرة النساء ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

(١) أسباب نزول الآية ٣٨: وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قالت قريش حين أنزل: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ما نراك يا محمد تملك من شيء، لقد فرغ من الأمر، فأنزل الله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [ابراهيم: ٤]

٤ ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان بلغه قومه ليبيّن لهم﴾ ليفهمهم ما أتى به ﴿فيضّل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾

٥ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ التسع وقلنا له ﴿أن أخرج قومك﴾ بني إسرائيل ﴿من الظلمات﴾ الكفر ﴿إلى النور﴾ الإيمان ﴿وذكرهم بآيات الله﴾ بنعمه ﴿إن في ذلك﴾ التذكير ﴿آيات لكل صبار﴾ على الطاعة ﴿شكور﴾ للنعم .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

٦ ﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويدبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾ لقول بعض الكهنة إن مولودا يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون ﴿وفي ذلك﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بلاء﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿من ربكم عظيم﴾ .

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِجَّتُمْ لِنِ شَكْرَتِكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾

٧ ﴿وإذ تأذت رجتكم أعلم﴾ رجتكم لئن شكرتم ﴿نعمتي بالتوحيد والطاعة﴾ لأزيدنكم ﴿ولئن كفرتم﴾ جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم دل عليه ﴿إن عذابي لشديد﴾

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

المراد به الجنس ، وفي قراءة ﴿الكفار﴾ ﴿لمن غفني الدار﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة لهم أم للنبي ﷺ وأصحابه .

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾

٤٣ ﴿ويقول الذين كفروا﴾ لك ﴿لست مرسلًا﴾ لهم ﴿كفى بالله شهيدا بيني وبينكم﴾ على صدقي ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ من مؤمني اليهود والنصارى .

١٤ سورة ابراهيم

مكية وآياتها ثنتان وخمسون

﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [ابراهيم: ١]

١ ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك هذا القرآن ﴿كتاب أنزلناه إليك﴾ يا محمد ﴿لتخرج الناس من الظلمات﴾ الكفر ﴿إلى النور﴾ الإيمان ﴿بإذن﴾ أمر ﴿ربهم﴾ ويبدل من : إلى النور ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿العزيز﴾ الغالب ﴿الحميد﴾ المحمود .

﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [ابراهيم: ٢]

٢ ﴿الله﴾ بالجر بدل أو عطف بيان وما بعده صفة والرفع مبتدأ خبره ﴿الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وويل للكافرين من عذاب شديد﴾ .

﴿الَّذِينَ يَسْتَحْيُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ابراهيم: ٣]

٣ ﴿الذين﴾ نعت ﴿يستحيون﴾ يختارون ﴿الحياة الدنيا على الآخرة﴾ ويصدون ﴿الناس﴾ عن سبيل الله ﴿دين الإسلام﴾ ويبتغونها ﴿أي السبيل﴾ عوجاً ﴿معوجة﴾ أولئك في ضلال بعيد عن الحق .

فَاتَ اللَّهُ لَعْنِي حَمِيدٌ ﴿٨﴾ [إبراهيم: ٨]

٨ ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لقومه ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَعْنِي﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في صنعه بهم .

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ [إبراهيم: ٩]

٩ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ استفهام تقرير ﴿نَبَأٌ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وَتَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ لكثرتهم ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحة على صدقهم ﴿فَرَدُّوا﴾ أي الأمم ﴿أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي إليها ليعضوا عليها من شدة الغيظ ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ في زعمكم ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ موقع في الريبة .

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم مِّنْ أَجْلِ مُمْسِيٍّ قَالُوا لَإِن أُنشِرُوا لَوْلَا نَشَرْنَا نُرِيدُونَ أَن يُصَدُّوا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠]

١٠ ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ استفهام إنكار أي لا شك في توحيدهِ للدلائل الظاهرة عليه ﴿فَاطِرِ﴾ خالق ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى طاعته ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ من صلة فإن الإسلام يغفر به ما قبله أو تبعضية لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُخْرِجَكُم﴾ بلا عذاب ﴿إِلَى أَجْلِ مُمْسِيٍّ﴾ أجل الموت ﴿قَالُوا لَإِن﴾ ما ﴿أُنشِرُوا لَوْلَا نَشَرْنَا نُرِيدُونَ أَن يُصَدُّوا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَآتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ حجة ظاهرة على صدقكم .

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ

نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]

١١ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن﴾ ما ﴿نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ كما قلتم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بالنسبة ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما ينبغي ﴿لَنَا أَن نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره لأننا عبيد مريبون ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يتقوا به .

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَادَّبْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ١٢ ﴿وَمَا لَنَا﴾ أن ﴿أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ﴾ أي لا مانع لنا من ذلك ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَادَّبْتُمُونَا﴾ على إذاكم ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُدُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ١٣]

١٣ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُدُنَّ﴾ لنصيرن ﴿فِي مِلَّتِنَا﴾ ديننا ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين . ﴿وَلَنَسْخِرنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَن خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]

١٤ ﴿وَلَنَسْخِرنَّكُمُ الْأَرْضَ﴾ أرضهم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد هلاكهم ﴿ذَلِكَ﴾ النصر وإيراث الأرض ﴿لِمَن خَافَ مَقَامِي﴾ أي مقامه بين يدي ﴿وَوَخَّافَ وَعِيدِ﴾ بالعذاب .

﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾

١٥ ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾ استنصير الرسل بالله على قومهم ﴿وَوَخَّابَ﴾ وخسر ﴿كُلَّ جَبَّارٍ﴾ متكبر عن طاعة الله ﴿عَنِيدٍ﴾ معاند للحق .

﴿مِن رَّأْيِهِ جَهَنَّمَ وَسَفَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾

١٦ ﴿مِن رَّأْيِهِ﴾ أي أمامه ﴿جَهَنَّمَ﴾ يدخلها ﴿وَيُسْفَىٰ﴾ فيها ﴿مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطا بالقبح والدم .

﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ

دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من الأولى للتيبين والثانية للتبعيض ﴿قَالُوا﴾ المتبوعون ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ لدعوناكم إلى الهدى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ زَائِدَةٍ﴾ ﴿مُجِيبِينَ﴾ ملجأ .

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُضِرِّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُضِرِّحِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]

٢٢ ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ﴾ بالبعث والجزاء فصدقكم ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ أنه غير كائن ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ زَائِدَةٍ﴾ ﴿سُلْطَانٍ﴾ قوة وقدرة أقهركم على متابعتي ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنفُسُكُمْ﴾ على إجابتي ﴿مَا أَنَا بِمُضِرِّحِكُمْ﴾ بمغيبكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُضِرِّحِي﴾ بفتح الباء وكسرها ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي﴾ بإشراككم إياي مع الله ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا قال تعالى ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم .

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]

٢٣ ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلَامٌ﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾

٢٤ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ غصنها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ .

كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِسَيِّئٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]

١٧ ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يتلعه مرة بعد مرة لمرارته ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ يزدرده لقبحه وكرهته ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ أي أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ﴾ بعد ذلك العذاب ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ قوي متصل .

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾

١٨ ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ مبتدأ ويبدل منه ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحات كصلة وصدقة في عدم الانتفاع بها ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ شديد هبوب الريح فجعلته هباء منثورا لا يقدر عليه والجار والمجرور خبر المبتدأ ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ أي الكفار ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ عملوا في الدنيا ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ أي لا يجدون له ثوابا لعدم شرطه ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ﴾ الهلاك ﴿الْبَعِيدُ﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩]

١٩ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر يا مخاطب استفهام تقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بخلق ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلكم .

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَعْزِيزٌ﴾ [إبراهيم: ٢٠]

٢٠ ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَعْزِيزٌ﴾ شديد .

﴿وَسَرُّوْا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّجِيبٍ﴾

٢١ ﴿وَبَرَزُوا﴾ أي الخلائق والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي لتحقق وقوعه ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ المتبوعين ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ﴾

﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان ﴿يُضَلُّونَهَا﴾ يدخلونها
﴿وَيَسَّ الْقَرَارُ﴾ المقر هي

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتُّعُوا فَإِن مَّصِيرِكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]

٣٠ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا﴾ شركاء ﴿لِيُضِلُّوا﴾
بفتح الياء وضمها ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام
﴿قُلْ لَهُمْ﴾ لهم ﴿تَمَتُّعُوا﴾ بدنياكم قليلا ﴿فَإِن مَّصِيرِكُمْ﴾ مرجعكم ﴿إِلَى النَّارِ﴾

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بِنِعْمِ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ﴾ [إبراهيم: ٣١]

٣١ ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾
ويُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَا بِنِعْمٍ فداء ﴿فِيهِ وَلَا خِلَالٍ﴾ مخالفة أي
صدقة تنفع هو يوم القيامة .

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢]

٣٢ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ﴾
مِن السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ﴾
بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣]

٣٣ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ﴾
جارين في فلكهما لا يفتران ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾
لتسكنوا فيه ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لتبتغوا من فضله .

﴿وَمَا آتَاكُم مِّن كَلِمَةٍ مَّا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَطَلُومٌ كَفَّارٌ﴾

٣٤ ﴿وَمَا آتَاكُم مِّن كَلِمَةٍ مَّا سَأَلْتُمُوهُ﴾ على
حسب مصالحكم ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ بمعنى
إنعامه ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ لا تطبقوا عددها ﴿إِنَّ

﴿تُوقِ أَكْثَرَهَا كُلِّ حِينٍ يَا ذُنَّ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥]

٢٥ ﴿تُوقِي﴾ تعطي ﴿أَكْثَرَهَا﴾ ثمرها ﴿كُلِّ حِينٍ﴾
حين يَأْذُنُ رَبِّهَا يارادته كذلك كلمة الإيمان ثابتة
في قلب المؤمن وعمله يصعد إلى السماء ويناله
بركته وثوابه كل وقت ﴿وَيَضْرِبُ﴾ يبين ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنوا .

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾

٢٦ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر
﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحنظل ﴿اجْتُثَّتْ﴾
استوصلت ﴿مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾
مستقر وثبات كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا
فرع ولا بركة .

﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّيْلِ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]

٢٧ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّيْلِ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾
هي كلمة التوحيد ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾
أي القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم
ونبيهم فيجيبون بالصواب كما في حديث الشيخين
﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ الكفار فلا يهتدون للجواب
بالصواب بل يقولون لا ندري كما في الحديث
﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]

٢٨ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾
أي شكرها ﴿كَفْرًا﴾ هم كفار قريش
﴿وَأَحَلُّوا﴾ أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بإضلالهم إياهم ﴿دَارَ الْبُورِ﴾ الهلاك (١)

﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَسَّ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٩]

سورة إبراهيم

(١) أسباب نزول الآية ٢٨: أخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت هذه الآية في الذين قتلوا من المشركين من قريش يوم بدر.

الإنسان ﴿الكافر﴾ ﴿نَظْلُومٌ كَفَّارٌ﴾ كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾

٣٥ واذكر ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ مَكَّةَ﴾ ﴿آمِنًا﴾ ذا أمن وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما لا يسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه ﴿وَاجْنُبْنِي﴾ بعدني ﴿وَبَنِيَّ﴾ عن ﴿أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ .

﴿رَبِّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]

٣٦ ﴿رَبِّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ﴾ بعبادتهم لها ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي﴾ على التوحيد ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ من أهل ديني ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿هذا قبل علمه أنه تعالى لا يغير الشرك .

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]

٣٧ ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أي بعضها وهو إسماعيل مع أمه هاجر ﴿بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ هو مكة ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ الذي كان قبل الطوفان ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً﴾ قلوبا ﴿مِنْ النَّاسِ تَهْوِي﴾ تميل وتحن ﴿إِلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس لو قال أفئدة الناس لحنحت إليه فارس والروم والناس كلهم ﴿وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ وقد فعل بنقل الطائف إليه .

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا تُخْفِي وَمَا يُخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]

٣٨ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا تُخْفِي﴾ نسر ﴿وما تُخْفِي﴾ وما يُخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ ﴿شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ يحتمل أن يكون من كلامه تعالى أو كلام إبراهيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ﴾

وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]

٣٩ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي﴾ أعطاني ﴿عَلَى﴾ مع ﴿الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ﴾ ولد وله تسع وتسعون سنة ﴿وَإِسْحَاقَ﴾ ولد وله مائة واثنا عشرة سنة ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ .

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ [إبراهيم: ٤٠]

٤٠ ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ اجعل ﴿ومِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ من يقيمها وأتى بمن لإعلام الله تعالى له أن منهم كفارا ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ المذكور .

﴿رَبَّنَا آغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]

٤١ ﴿رَبَّنَا آغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله عز وجل وقيل أسلمت أمه وقرىء والدي مفردا وولدي ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾ يثبت ﴿الْحِسَابُ﴾ قال تعالى :

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾

٤٢ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون من أهل مكة ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بلا عذاب ﴿لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ لهول ما ترى ويقال شخص بصر فلان أي فتحه فلم يغمضه .

﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِبِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]

٤٣ ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين حال ﴿مُقْنِبِي﴾ رافعي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ إلى السماء ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ بصرهم ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ﴾ قلوبهم ﴿هَوَاءٌ﴾ خالية من العقل لفرعهم .

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْغَمَّاتُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَيْكَ أَجَلٌ قَرِيبٌ مُجِبٌ دَعْوَتَكَ وَتَسْجِعُ الْأَرْسُلَ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّن رَّوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]

٤٤ ﴿وَأَنْذِرِ﴾ خوف يا محمد ﴿النَّاسَ﴾

والسَّمَوَاتِ ﴿هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية كما في حديث الصحيحين وروى مسلم حديث سئل النبي ﷺ أين الناس يومئذ قال على الصراط ﴿وَبَرَزُوا﴾ خرجوا من القبور ﴿إِلَيْهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ .

﴿وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾

٤٩ ﴿وَتَرَى﴾ يا محمد تبصر ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾ مشدودين مع شياطينهم ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ القيود أو الأغلال .

﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرٍ وَتَغَشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾

٥٠ ﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾ قمصهم ﴿مِنْ قَطَرٍ﴾ لأنه أبلغ لاشتعال النار ﴿وَتَغَشَىٰ﴾ تعلق ﴿وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ .

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: ٥١]

٥١ ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق ببرزوا ﴿اللَّهُ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك

﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَيَذْكُرُوا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾

٥٢ ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَلَّغٌ لِلنَّاسِ﴾ أي أنزل لتبليغهم ﴿وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا﴾ بما فيه من الحجج ﴿أَنَّمَا هُوَ﴾ أي الله ﴿إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَيَذْكُرُوا﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال يتعظ ﴿أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول .

١٥ سورة الحجر

مكية وآياتها تسع وتسعون

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾

١ ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن والإضافة بمعنى من ﴿وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة .

الكفار ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿رَبَّنَا أَخْرِنَا﴾ بأن تردنا إلى الدنيا ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتِكَ﴾ بالتوحيد ﴿وَتَتَّبِعِ الرَّسُلَ﴾ فيقال لهم توبخا ﴿أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مَن﴾ حلفتم ﴿قَبْلَ مَا﴾ في الدنيا ﴿لَكُمْ مَن زَوَّالٍ﴾ زائدة ﴿وَسَكَنْتُمْ﴾ عنها إلى الأخرة .

﴿رَسَكْتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥]

٤٥ ﴿وَسَكَنْتُمْ﴾ فيها ﴿فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر من الأمم السابقة ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من العقوبة فلم تنزجروا ﴿وَضَرَبْنَا﴾ بينا ﴿لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ في القرآن فلم تعتبروا .

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾

٤٦ ﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾ بالنبي ﷺ ﴿مَكْرَهُمْ﴾ حيث أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجه ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي علمه أو جزاؤه ﴿وَأَنْ﴾ ما ﴿كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ وإن عظم ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ الامعنى لا يعبأ به ولا يضر إلا أنفسهم والمراد بالجبال هنا قيل حقيقتها وقيل شرائع الإسلام المشبهة بها في القرار والثبات وفي قراءة بفتح لام لتزول ورفع الفعل فإن مخففة والمراد تعظيم مكرهم وقيل المراد بالمكر كفرهم ويناسبه على الثانية تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا وعلى الأول ما قرئ وما كان .

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧]

٤٧ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ﴾ بالنصر ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعجزه شيء ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ ممن عصاه .

﴿يَوْمَ يُدْعَى الْأَرْضُ بِأَرْضِهَا وَالسَّمَاءُ بِسَمَوَاتٍ بِرَبِّهَا وَاللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]

٤٨ اذكر ﴿يَوْمَ تُدْعَى الْأَرْضُ بِأَرْضِهَا وَالسَّمَاءُ بِسَمَوَاتٍ بِرَبِّهَا وَاللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم إن أو فصل ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَأَنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْخِ الْأَوَّلِينَ﴾
٩. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلا ﴿فِي شَيْخِ﴾ فرق ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ .

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾
١١ ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك وهذا تسليية له ﷺ .

﴿كَذَلِكَ نَسَلُكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾
١٢ ﴿كَذَلِكَ نَسَلُكُمْ﴾ أي مثل إدخالنا التكذيب في قلوب اولئك ندخله ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي كفار مكة .

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾
١٣ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالنبي ﷺ ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم وهؤلاء مثلهم .

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الحجر: ١٤]
١٤ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ﴾ في الباب ﴿يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾
[الحجر: ١٥]
١٥ ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾ سدت ﴿أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ يخيل إلينا ذلك .

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَبَّتْهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾
١٦ ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ إنني عشر الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبله والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوث وهي منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبله والقمر وله السرطان والشمس ولها الأسد والمشتري وله القوس

﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾

٢ ﴿رُبَّمَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ورب للتكثير فإنه يكثر منهم تمنى ذلك وقيل للتقليل فإن الأحوال تدهشهم فلا يفقهون حتى يتمنوا ذلك إلا في أحيان قليلة .

﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَشْتَبِعُوا وَيَهْتِمُوا الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣]

٣ ﴿ذَرَهُمْ﴾ اترك الكفار يا محمد ﴿يَأْكُلُوا وَيَشْتَبِعُوا﴾ بدنياهم ﴿وَيَهْتِمُوا﴾ يشغلهم ﴿الْأَمَلُ﴾ بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم وهذا قبل الأمر بالقتال .

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾
٤ ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ﴾ زائدة ﴿قَرِيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ﴾ أجل ﴿مَعْلُومٌ﴾ محدود لإهلاكها .

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَهْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾
٥ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ قَرِيَةٍ﴾ زائدة ﴿أُمَّةٍ أَهْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ يتأخرون عنه .

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾
٦ ﴿وَقَالُوا﴾ أي كفار مكة للنبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ القرآن في زعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ .

﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾
٧ ﴿لَوْ مَا﴾ هلا ﴿تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قولك إنك نبي وإن هذا القرآن من عند الله .

﴿مَا نُنزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾
٨ قال تعالى ﴿مَا نُنزِّلُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ بالعذاب ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا﴾ أي حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿مُنْظَرِينَ﴾ مؤخرين .

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّكِبِينَ مِنْكُمْ وَوَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّكِبِينَ﴾

٢٤ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّكِبِينَ مِنْكُمْ﴾ أي من تقدم من الخلق من لدن آدم ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّكِبِينَ﴾ المتأخرين إلى يوم القيامة .

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحَسْرَتِهِمْ إِنَّهُمْ لَحَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

٢٥ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحَسْرَتِهِمْ إِنَّهُمْ لَحَكِيمٌ﴾ في صناعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾

٢٦ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت إذا نقر ﴿مِنْ حَمَلٍ﴾ طين أسود ﴿مَسْنُونٍ﴾ متغير .

﴿وَالْبَلَاءَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُورِ﴾

٢٧ ﴿وَالْبَلَاءَ﴾ أبا الجن وهو إبليس ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ خلق آدم ﴿مِنْ نَارِ السُّمُورِ﴾ هي نار لا دخان لها تنفذ من المسام .

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨]

٢٨ واذكر ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ .

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِمْ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَاجِدِينَ﴾

٢٩ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ﴾ اتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾ أجريت ﴿فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ فصار حيا وإضافة الروح إليه تشریف لآدم ﴿فَقَعُوا لَهُمْ سَاجِدِينَ﴾ سجدوا تحية بالإنحناء .

١٥ - سورة الحجر

(١) أسباب نزول الآية ٢٤: روى الثرمذي، واللساني، والحاكم وغيرهم عن ابن عباس قال: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركب نظر من تحت إبطيه، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّكِبِينَ مِنْكُمْ وَوَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّكِبِينَ﴾.

* وأخرج ابن مردويه عن داود بن صالح قال: قال سهل بن حنيفة الأضراري: أتدرون فيم أنزلت: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّكِبِينَ مِنْكُمْ وَوَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّكِبِينَ﴾ قلت: أنزلت في سبيل الله؟ قال: لا، ولكنها في صفوف الصلاة.

والحوت وزحل وله الجدي والدلو ﴿وَرَبُّنَاهَا﴾ بالكواكب ﴿لِلنَّاطِقِينَ﴾ .

﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧]

١٧ ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ بالشهب ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ مرجوم .

﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾

١٨ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ خطفه ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ كوكب يضيء ويحرقه أو يثقبه أو يخلبه .

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩]

١٩ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالا ثوابت لئلا تتحرك بأهلها ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ معلوم مقدر .

﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَعْيِشًا وَمَنْ أَسْتَمْتُمْ لَكُمْ بَرْزُقِينَ﴾

٢٠ ﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَعْيِشًا﴾ بالياء من الشمار والحبوب وجعلنا لكم ﴿بَرْزُقِينَ﴾ من العبيد والدواب والأنعام فإنما يرزقهم الله .

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]

٢١ ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ مخازنه ﴿وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ على حسب المصالح .

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَنْبَتْنَا لَهُمْ وَأَنْزَلْنَا لَهُمْ مَاءً حَمِيمًا﴾

٢٢ ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ تلعق السحاب فيمتلئ ماء ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ السَّحَابَ مَاءً﴾ مطرا ﴿فَأَنْبَتْنَا لَهُمْ وَأَنْزَلْنَا لَهُمْ مَاءً حَمِيمًا﴾ أي ليست خزائنه بأيديكم .

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾

٢٣ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الباقون نرث جميع الخلق .

المعاصي ﴿وَلَا غَوِيَّتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠]
٤٠ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ أي المؤمنين .

﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر: ٤١]
٤١ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ .

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢]

٤٢ وهو ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أي المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ قوة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الكافرين .

﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣]
٤٣ ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي من اتبعك معك .

﴿لَمَّا سَبَعَهُ أَبْوَابُ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾
٤٤ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أطباق ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾ منها ﴿مِنْهُمْ جُزْءٌ﴾ نصيب ﴿مَقْسُومٌ﴾ .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]
٤٥ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها^(١) .

﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]
٤٦ ويقال لهم ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ أي سالمين من كل مخوف أو مع سلام أي سلموا وادخلوا ﴿ءَامِينِينَ﴾ من كل فزع .

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]

(١) أسلب نزول الآية ٤٥: أخرج الثعلبي عن سلمان الفارسي أنه لما سمع قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فو ثلاثة أيام هاربا من الخوف لا يعقل، فجيء به للنبي ﷺ، فسأله فقال: يا رسول الله أنزلت هذه الآية: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فالذي بعثك بالحق لقد قطع قلبى، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ .

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠]
٣٠ ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ فيه تأكيد .

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾
٣١ ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿أبَى﴾ امتنع من ﴿أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ .

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾
٣٢ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾ ما منعك ﴿أَلَّا﴾ زائدة ﴿تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾

﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٣٣]

٣٣ ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ .

﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤]
٣٤ ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا﴾ أي الجنة وقيل من السموات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود .

﴿وَأَنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥]
٣٥ ﴿وَأَنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الجزاء .

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]
٣٦ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي الناس .

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الحجر: ٣٧]
٣٧ ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ .

﴿إِنَّ يَوْمَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٨]
٣٨ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى .

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]

٣٩ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي بإغوائك لي والباء للقسمة وجوابه ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

يأكلوا ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجُلُونَ﴾ خائفون .

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾

٥٣ ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا﴾ رسل ربك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ ذي علم كثير هو إسحق كما ذكرنا في سورة هود .

﴿قَالَ أَبَشِّرْنِي بَعْنٍ أَنْ مَسَى الْكَبِيرُ فَبَشِّرُونِي﴾

٥٤ ﴿قَالَ أَبَشِّرْنِي﴾ بالولد ﴿عَلَى أَنْ مَسَى الْكَبِيرُ﴾ حال أي مع مسه إياي ﴿فَبَشِّرُونِي﴾ فبأي شيء ﴿بَشِّرُونِي﴾ استفهام تعجب .

﴿قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

٥٥ ﴿قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ الأيسين .

﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾

٥٦ ﴿قَالَ وَمَنْ﴾ أي لا ﴿يَقْنَطُ﴾ بكسر النون وفتحها ﴿مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ الكافرون .

﴿قَالَ فَمَا خَطْبِكُمْ أَتَيْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر: ٥٧]

٥٧ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبِكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَتَيْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكُمْ مُجْرِمِينَ﴾

٥٨ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكُمْ مُجْرِمِينَ﴾ كافرين أي قوم لوط لإهلاكهم .

﴿إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

٥٩ ﴿إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لإيمانهم .

﴿إِلَّا أَمْرًا نَزَّلْنَا إِنَّمَا لِمَنِ الْقَدِيرِينَ﴾

٦٠ ﴿إِلَّا أَمْرًا نَزَّلْنَا إِنَّمَا لِمَنِ الْقَدِيرِينَ﴾ الباقين في العذاب لكفرها .

﴿فَلَمَّا جَاءَ آءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: ٦١]

٦١ ﴿فَلَمَّا جَاءَ آءَالَ لُوطٍ﴾ أي لوطا ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُشْكِرُونَ﴾ [الحجر: ٦٢]

٦٢ ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُشْكِرُونَ﴾ لا

٤٧ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ حقد ﴿وَإِخْوَانًا﴾ حال منهم ﴿عَلَى سُورٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ حال أيضا أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم (١) .

﴿لَا يَسْتَهْمُ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾

٤٨ ﴿لَا يَسْتَهْمُ فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ أبدا .

﴿تَبَيَّنَ عِبَادِي أَيْ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

٤٩ ﴿تَبَيَّنَ﴾ خبر يا محمد ﴿عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ﴾ للمؤمنين ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم (٢) .

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٥٠]

٥٠ ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ للعصاة ﴿هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ المؤلم .

﴿وَيَبْتَلِيهِمْ عَنْ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحجر: ٥١]

٥١ ﴿وَيَبْتَلِيهِمْ عَنْ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل .

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَّمْنَا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجُلُونَ﴾

٥٢ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي هذا اللفظ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لما عرض عليهم الأكل فلم

(١) أسباب نزول الآية ٤٧: أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين: أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعلي ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ قيل: وأتى غل؟ قال: غل الجاهلية، إن بني تيم وبني عدي، وبني هاشم، كان بينهم في الجاهلية عداوة، فلما أسلم هؤلاء القوم تحاتوا، فأخذت أبا بكر الحاضرة فجعل علي يسخن يده فيكمد بها خاصرة أبي بكر، فنزلت هذه الآية.

أسباب نزول الآية ٤٩: أخرج الطبراني عن عبد الله بن الزبير قال: مر رسول الله ﷺ بنجر من أصحابه يضحكون فقال: أتضحكون وذكر الجنة والنار بين أيديكم؟ فنزلت هذه الآية: ﴿تَبَيَّنَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وأن عذابي هو العذاب الأليم.

وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: اطلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبه، فقال: لا أراكم تضحكون، ثم أدير، ثم رجع القهقري، فقال: إنني خرجت حتى إذا كنت عند الحجر جاء جبريل فقال: يا محمد إن الله يقول لك: لم تقنط عبادي؟ ﴿تَبَيَّنَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وأن عذابي هو العذاب الأليم.

أعرفكم .

﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَاءٍ كَانُوا فِيهِ يَسْتَمِرُّونَ﴾

٦٣ ﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَاءٍ كَانُوا﴾ أي قومك فيه يستمرُّون ﴿يشكون وهو العذاب .

﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الحجر: ٦٤]

٦٤ ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في قولنا .

﴿فَأَنْسِرْ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَذْبَانَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾

٦٥ ﴿فَأَنْسِرْ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَذْبَانَهُمْ﴾ امش خلفهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ وهو الشام .

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]

٦٦ ﴿وَقَضَيْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ وهو أن دابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿حال أي يتم استئصالهم في الصباح .

﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الحجر: ٦٧]

٦٧ ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾ مدينة سدوم وهم قوم لوط لما أخبروه أن في بيت لوط مردا حسانا وهم الملائكة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ حال طمعا في فعل الفاحشة بهم .

﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون﴾ [الحجر: ٦٨]

٦٨ ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون﴾ .

﴿وَأَقْرَأُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُون﴾ [الحجر: ٦٩]

٦٩ ﴿وَأَقْرَأُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُون﴾ بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم .

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الحجر: ٧٠]

٧٠ ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ عن إضاعتهم .

﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الحجر: ٧١]

٧١ ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما

تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن

﴿لَمَنْرَكَ إِلَهُنَّ لِي سَكَرْتَهُنَّ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]

٧٢ ﴿لَمَنْرَكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ أي وحياتك ﴿إِنَّهُنَّ لَفِي سَكَرْتَهُنَّ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون .

﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٣]

٧٣ ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ صيحة جبريل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ وقت شروق الشمس .

﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]

٧٤ ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا﴾ أي قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ طين طبخ بالنار .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]

٧٥ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانية الله ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ للناظرين المعبرين .

﴿وَأَنبَأَ لِسِجِّيلٍ مُّتَقِيمٍ﴾ [الحجر: ٧٦]

٧٦ ﴿وَأَنبَأَ﴾ أي قرى قوم لوط ﴿لِسِجِّيلٍ مُّتَقِيمٍ﴾ طريق قريش إلى الشام لم تدرس أفلا يعتبرون بهم .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٧]

٧٧ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ لعمرة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ [الحجر: ٧٨]

٧٨ ﴿وَإِنْ﴾ مخففة أي إنه ﴿كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ هي غيضة شجر بقرب مدين وهم قوم شعيب ﴿لِظَالِمِينَ﴾ بتكذيبهم شعيبا .

﴿فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَّامَامٍ مِّبِينَ﴾ [الحجر: ٧٩]

٧٩ ﴿فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بأن أهلكتناهم بشدة الحر ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي قرى قوم لوط والأيكة ﴿لِئَامَامٍ﴾ طريق ﴿مِّبِينَ﴾ واضح أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة

٨٨ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا ۖ
أَصْنافًا﴾ ﴿مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا
﴿وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ﴾ أُنْ جَانِبَكَ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الحجر: ٨٩]
٨٩ ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾ من عذاب الله أن
ينزل عليكم ﴿الْمُبِينُ﴾ البين الإنذار .

﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر: ٩٠]
٩٠ ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا﴾ العذاب ﴿عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾
اليهود والنصارى .

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١]
٩١ ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ﴾ أي كتبهم المنزلة
عليهم ﴿عِضِينَ﴾ أجزاء حيث آمنوا ببعض وكفروا
ببعض وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة
يصدون الناس عن الإسلام وقال بعضهم في القرآن
سحر وبعضهم كهانة وبعضهم شعر .

﴿فَوَرَّيْكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]
٩٢ ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمِينَ﴾ سؤال توبيخ .
٩٣ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٣]
٩٣ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾
٩٤ ﴿فَأَصْدَعُ﴾ يا محمد ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ به أي
اجهر به وأمضه ﴿وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ هذا
قبل الأمر بالجهاد .

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]
٩٥ ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بك يهلا كنا
كلا منهم بأفة وهم الوليد بن المغيرة والعاصي بن
واثل وعدي بن قيس والأسود بن عبد المطلب
والأسود بن عبد يغوث (١) .

(١) أسباب نزول الآية ٩٥ : أخرج البزار والطبراني عن أنس
بن مالك قال: مر النبي ﷺ على أناس بمكة، فجمعوا يغمزون
في فقهه ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي ومعه جبريل فغمز
جبريل بأصبعه فوقع مثل الظفر في أجسادهم، فصارت قروحاً
حتى نتوا، فلم يستطع أحد أن يدنو منهم، فأنزل الله: ﴿إِنَّا
كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ﴾

٨٠ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ واد بين
المدينة والشام وهم ثمود ﴿الْمُرْسِلِينَ﴾ بتكذيبهم
صالحاً لأنه تكذيب لباقي الرسل لا اشتراكهم في
المحيى بالتوحيد .

﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الحجر: ٨١]
٨١ ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ في الناقة ﴿فَكَانُوا عَنْهَا﴾
مُعْرِضِينَ﴾ لا يتفكرون فيها .

﴿وَكَانُوا يَحْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمًا مَأِينًا﴾
٨٢ ﴿وَكَانُوا يَحْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمًا مَأِينًا﴾ .

﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٨٣]
٨٣ ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ﴾ وقت
الصباح .

﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر: ٨٤]
٨٤ ﴿فَمَا أَغْنَىٰ﴾ دفع ﴿عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿مَا﴾
كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من بناء الحصون وجمع الأموال .
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ
وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ فَاصِّغِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾

٨٥ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ﴾ لا محالة فيجازى كل
أحد بعمله ﴿فَاصْفَحِ﴾ يا محمد عن قومك
﴿الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ أعرض عنهم إعراضاً لا جزع
فيه .

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦]
٨٦ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ لكل شيء
﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء .

﴿وَلَقَدْ مَأْنَيْتَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَنَافِي وَالْقُرْآنَاتِ الْعَظِيمِ﴾
٨٧ ﴿وَلَقَدْ مَأْنَيْتَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَنَافِي﴾ قال ﷺ
هي الفاتحة رواه الشيخان لأنها تنسى في كل ركعة
﴿وَالْقُرْآنَاتِ الْعَظِيمِ﴾ .

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا
تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]

﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ أي جبريل ﴿بِالرُّوحِ﴾ بالوحي
 ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾
 وهم الأنبياء ﴿أَنْ﴾ مفسرة ﴿أَنْذِرُوا﴾ خوفوا
 الكافرين بالعذاب وأعلموهم ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
 فَاتَّقُونِ﴾ خافون .

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا

يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٣]

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي محققاً
 ﴿تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من الأصنام .

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾
 ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مني إلى أن
 صيره قويا شديدا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد
 الخصومة ﴿مُبِينٌ﴾ بينها في نفي البعث قاتلا من
 يحيي العظام وهي رميم .

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا

تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥]

﴿وَالْأَنْعَامَ﴾ الإبل والبقر والغنم ونصبه بفعل
 مقدر يفسره ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ من جملة الناس ﴿فِيهَا
 دِفْءٌ﴾ ما تستدفئون به من الأكسية والأردية من
 أشعارها وأصوافها ﴿وَمَنْفَعٌ﴾ من النسل والدر
 والركوب ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ قدم الظرف للفاصلة .

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾
 ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾
 تردونها إلى مراحتها بالعشي ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾
 تخرجونها إلى المرعى بالغداء .

﴿وَتَحْمِلُ أَوْعَالَكُمْ إِنْ بَلَغْتَ رَبَّكَ لَنْ نَبْلِيغَهُ إِلَّا

بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾

﴿وَتَحْمِلُ أَوْعَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ
 تَكُونُوا بِالْبَلَدِ﴾ واصلين إليه على غير الإبل ﴿إِلَّا
 بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ بجهدنا ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾
 بكم حيث خلقها لكم

﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَرِيذَةً وَمَخْلُوقًا

لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]

٨ وخلق ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ

يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦]

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ صفة
 وقيل مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في
 خبره وهو ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم .

﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾

٩٧ ﴿وَلَقَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَعَلْنَاكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾
 صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من الاستهزاء والتكذيب .

﴿فَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾

٩٨ ﴿فَسَبَّحْ﴾ ملتبسا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي قل
 سبحان الله وبحمده ﴿وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾
 المصلين .

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]

٩٩ ﴿وَاغْبِذْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الموت .

١٦ سورة النحل

مكية وآياتها ثمان وعشرون ومائة

﴿إِنَّ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا

يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١]

لما استبطأ المشركون العذاب نزل ﴿إِنِّي أَمْرُ
 اللَّهِ﴾ أي الساعة وأتى بصيغة الماضي لتحقق وقوعه
 أي قرب ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ تطلبوه قبل حينه فإنه
 واقع لا محالة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا
 يُشْرِكُونَ﴾ به غيره (١) .

﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾

١٦ - سورة النحل مروي عن ابن عباس
 قال: أسبغت نزولها إلى أمر الله، دُعِيَ أصحاب رسول الله ﷺ ،
 حتى نزلت: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فسكتوا.

وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد وابن
 جرير وابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي حفص قال: لما
 أنزلت: ﴿إِنِّي أَمْرُ اللَّهِ﴾ قاموا، فنزلت: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾.

الْأَرْضِ ﴿١٣﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا
الْوَانَهُ﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها ﴿إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون .

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا
طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى
الْفَلَكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَنفَعُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

١٤ ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ ذلله لركوبه
والغوص فيه ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك
﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ
والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿الْفَلَكَ﴾ السفن
﴿مَوَازِيرَ فِيهِ﴾ تمخر الماء أي تشقه بحريها فيه
مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿وَلِتَنفَعُوا﴾ عطف على
لتأكلوا تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ تعالی بالتجارة
﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك .

﴿وَالَّذِي فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا
وَسُبُلًا لِّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥]

١٥ ﴿وَالَّذِي فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي﴾ جبالا ثوابت
﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِكُمْ﴾ جعل فيها
﴿وَأَنْهَارًا﴾ كالنيل ﴿وَسُبُلًا﴾ طرقا ﴿لِّعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم .

﴿وَعَلَّمَكُمُ الْبَالَغَةَ وَالنَّجْمَ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]

١٦ ﴿وَعَلَّمَكُمُ الْبَالَغَةَ﴾ تستدلون بها على الطرق
كالجبال بالنهار ﴿وَالنَّجْمَ﴾ بمعنى النجوم ﴿هُمُ
يَهْتَدُونَ﴾ إلى الطرق والقبلة بالليل .

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

١٧ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ وهو الله ﴿كَمَنْ
لَا يَخْلُقُ﴾ وهو الأصنام حيث تشركونها معه في
العبادة لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنوا .

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]

١٨ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾
تضبطوها فضلا أن تطبقوا شكرها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾ حيث ينعم عليكم مع تقصيركم
وعصيانكم.

وزينة ﴿مفعول له والتعليل بهما بتعريف النعم لا
ينافي خلقها لغير ذلك كالأكل في الخيل الثابت
بحدِيث الصحيحين ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من
الاشياء العجيبة الغريبة .

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايزٌ وَلَوْ شَاءَ
لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩]

٩ ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي بيان الطريق
المستقيم ﴿وَمِنْهَا﴾ أي السبيل ﴿جَايزٌ﴾ حائد عن
الاستقامة ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَّكُمْ﴾ إلى
قصد السبيل ﴿أَجْمَعِينَ﴾ فتهتدون إليه باختيار
منكم .

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ
وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾

١٠ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ
شَرَابٌ﴾ تشربونه ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ ينبت بسببه ﴿فِيهِ
تُسِيمُونَ﴾ ترعون دوابكم .

﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ
وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١]

١١ ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ
وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً﴾ دالة على وحدانيته تعالی ﴿لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه فيؤمنون .

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
وَالنُّجُومَ مَسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]

١٢ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ﴾
بالنصب عطفًا على ما قبله والرفع مبتدأ ﴿وَالْقَمَرَ
وَالنُّجُومَ﴾ بالوجهين ﴿مَسْخَرَاتٍ﴾ بالنصب حال
والرفع خبر ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون .

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنَةً إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٣]

١٣ وسخر لكم ﴿وَمَا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمْ﴾ في

ذنوبهم ﴿كَايَمَةً﴾ لم يكفر منها شيء ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾
 ومن ﴿بعض﴾ ﴿أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾
 لأنهم دعوهم إلى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا في
 الإثم ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا يَزُرُونَ﴾ يحملونه
 حملهم هذا .

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآفَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ﴾
 مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ الشَّقْفُ مِنْ قَوْعِهِمْ
 وَأَتَدَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾

٢٦ ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وهو نمرود
 بنى صرحا طويلا ليصعد منه إلى السماء ليقاتل
 أهلها ﴿فَأَتَى اللَّهَ﴾ قصد ﴿بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾
 الأساس فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمته ﴿فَحَزَّ﴾
 عَلَيْهِمُ الشَّقْفُ مِنْ قَوْعِهِمْ ﴿أَيَّ وَهْمٍ تَحْتَهُ﴾ وَأَتَاهُمْ
 الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿مِنْ جِهَةٍ لَا تَخْطُرُ﴾
 بِأَلْسِنَتِهِمْ وَقِيلَ هَذَا تَمَثِيلٌ لِإِفْسَادِ مَا أBRَمُوهُ مِنَ الْمَكْرِ
 بِالرَّسْلِ .

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَنْ شُكَّيْتُمْ الَّذِينَ﴾
 كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ
 الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ٢٧]

٢٧ ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ﴾ يذلهم
 ﴿وَيَقُولُ﴾ الله لهم على لسان الملائكة توبيخا
 ﴿أَيْنَ شُكَّيْتُمْ﴾ بزعمكم ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾
 تخالفون المؤمنين ﴿فِيهِمْ﴾ في شأنهم ﴿قَالَ﴾ أي
 يقول ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من الأنبياء والمؤمنين
 ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقولونه
 شتما بهم .

﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ فَأَلْفَوْا سَلَامًا مَا﴾
 كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٢٨]

٢٨ ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ﴾ بالبناء والياء ﴿المَلَائِكَةَ﴾
 ظالِمين أَنفُسِهِمْ ﴿بالكفر﴾ ﴿فَأَلْفَوْا السَّلَامَ﴾ انقادوا
 واستسلموا عند الموت قائلين ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ﴾
 سُوءٍ ﴿شَرِكُ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ﴾ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿فيجازيكم به﴾

﴿فَادْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوَىٰ﴾
 الْمَتَكِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩]

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُغْلِبُونَ﴾

١٩ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُغْلِبُونَ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ﴾
 يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠]

٢٠ ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالثناء والياء تعبدون
 ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾
 وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿يصورون من الحجارة وغيرها .

﴿أَمْ تَوْءَمُّ عِبْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾

٢١ ﴿أَمْ تَوْءَمُّ﴾ لا روح فيهم خبر ثان ﴿غَيْرُ﴾
 أَحْيَاءٍ ﴿تَأْكِيدٌ﴾ ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي الأصنام ﴿أَيَّانَ﴾
 وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾ أي الخلق فكيف يعبدون إذ لا
 يكون إلها إلا الخالق الحي العالم بالغيب .

﴿إِنَّ الْهَكَرَ لِلَّهِ وَحِيدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فُلُوبُهُمْ﴾
 مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٢]

٢٢ ﴿إِنَّ الْهَكَرَ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَهًا﴾
 واحدًا ﴿لَا نَظِيرَ لَهُ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَهُوَ اللَّهُ﴾
 تَعَالَى ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾
 جاحدة للوحدانية ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ متكبرون عن
 الإيمان بها .

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتُ وَمَا يُغْلِبُونَ﴾
 إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣]

٢٣ ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ﴾
 وَمَا يُغْلِبُونَ ﴿فيجازيهم بذلك﴾ ﴿أَنَّهُ لَا يُحِبُّ﴾
 الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿بمعنى أنه يعاقبهم .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسْطِيرُ﴾
 الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤]

٢٤ ونزل في النضر بن الحرث ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾
 مَاذَا﴿ استفهامية موصولة ﴿أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على
 محمد ﴿قَالُوا﴾ هو ﴿أَسْطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾
 إضلالا للناس .

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ﴾
 الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾
 ٢٥ ﴿لِيَحْمِلُوا﴾ في عاقبة الأمر ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾

﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿أَيِ الْعَذَابِ﴾
 ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾

٣٥ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من أهل مكة ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من البحائر والسوائب فإشراكنا وتحريمنا بمشيتته فهو راض به قال تعالى ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي كذبوا رسلهم فيما جاؤا به ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ الإبلاغ البين وليس عليهم الهداية .

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]

٣٦ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ كما بعثناك في هؤلاء ﴿أَنْ بَانَ﴾ أي بَانَ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الأوثان أن تعبدوها ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾ فآمن ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ في علم الله فلم يؤمن ﴿فَسَبِّحُوا﴾ يا كفار مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ رسلهم من الهلاك . ﴿إِنْ تَحَرَّضَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [النحل: ٣٧]

٣٧ ﴿إِنْ تَحَرَّضَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هُدَاهُمْ﴾ وقد أضلهم الله لا تقدر على ذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل ﴿مَنْ يُضِلُّ﴾ من يريد إضلاله ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ما نعين من عذاب الله .
 ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلْ وَعَدَ عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣٨]

٢٩ ويقال لهم ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَنُورًا﴾ ماوي ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾
 ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبِيرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]

٣٠ ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ حياة طيبة ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها قال تعالى فيها ﴿وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ هي .
 ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ عِزَّةَ رَبِّكَ إِذْ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ مَلَكِهِ لِنُورٍ مَأْنُورٍ﴾

٣١ ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ﴾ إقامة مبتدأ خبره ﴿يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ كذلك ﴿الجزء﴾ ﴿يُجْرَى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ .
 ﴿الَّذِينَ نُوْنِمُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]

٣٢ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿تَتَرَفَأُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الكفر ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ويقال لهم في الآخرة ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
 ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ٣٣]

٣٣ ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر الكفار ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ بالباء والياء ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ العذاب أو القيامة المشتملة عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كذبوا رسلهم فاهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر .
 ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [النحل: ٣٤]

٣٤ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا﴾ أي جزاؤها

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

٤٢ هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فبرزقهم من حيث لا يحتسبون ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْنَا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]

٤٣ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه وأنتي إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﴿وَاللَّيْسَتِ وَالزُّبَيْرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]

٤٤ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ متعلق بمحذوف فأى أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿وَالزُّبَيْرِ﴾ الكتب ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فيه من الحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فاعتبروا ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْبَأَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾

٤٥ ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا﴾ المكرات ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ بالنبي ﷺ في دار الندوة من تقيده أو قتله أو إخراجهم كما ذكر في الأنفال ﴿أَن يَخْبَأَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ كقارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي من جهة لا تخطر ببالهم وقد اهلكوا بغيره ولم يكونوا يقدرون ذلك ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ﴾

٤٦ ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ﴾ في أسفارهم للتجارة ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفاتنين العذاب ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِن رَّبِّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

٤٧ ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ تنقص شيئا فشيئا حتى يهلك الجميع حال من الفاعل أو المفعول ﴿فَإِن رَّبِّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة .

٣٨ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي غاية اجتهادهم فيها ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِن يَمُوثٍ﴾ قال تعالى ﴿يَلِي﴾ يعيئهم ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكداان منصوبان بفعلهما المقدر أي وعد ذلك وحقه حقا ﴿وَلِكُرْهُ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٩]

٣٩ ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ متعلق ببعثهم المقدر ﴿لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ﴾ مع المؤمنين ﴿فِيهِ﴾ من أمر الدين بتعذيبهم وإثابة المؤمنين ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ في إنكار البعث ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]

٤٠ ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ أي أردنا إيجاده وقولنا مبتدأ خبره ﴿أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفا على نقول والآية لتقرير القدرة على البعث ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْوَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَالْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

٤١ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿مِن بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ بالأذى من أهل مكة وهم النبي ﷺ وأصحابه ﴿لَنَبْوَنَّهُمْ﴾ نزلهم ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ دارا ﴿حَسَنَةً﴾ هي المدينة ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ الآخرة ﴿أَي الْجَنَّةِ﴾ أعظم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي الكفار أو المتخلفين عن الهجرة ما للمهاجرين من الكرامة لو افقوهم .

(١) أسباب نزول الآية ٣٨: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين، فأناه يتقاضاه، فكان فيما تكلم به: والذي أرجوه بعد الموت إنه كذا وكذا، فقال المشرك: إنك لتزعم أنك تبعث من بعد الموت، فأقسم بالله جهد يمينه: لا يبعث الله من يموت فنبئت. الآية ٤١: أخرج ابن جرير عن داود بن أبي هند قال: نزلت: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ في أبي جندل بن سهيل.

فَأَيُّهُ يَجْرُونَ ﴿النحل: ٥٣﴾

٥٣ ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ لا يأتي بها غيره وما شرطية أو موصولة ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ﴾ أصابكم ﴿الضُّرُّ﴾ الفقر والمرض ﴿فَأَيُّهُ يَجْرُونَ﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٤]

٥٤ ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ .

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ فَمَتَّعُوا سُوفَ يَعْلَمُونَ﴾

٥٥ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿فَمَتَّعُوا﴾ باجتماعكم على عبادة الأصنام أمر تهديد ﴿فَسُوفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك .

﴿وَيَعْلَمُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيحًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُتِبَ لَهُنَّ يَوْمَ تَصْرُونَ﴾ [النحل: ٥٦]

٥٦ ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أي المشركون ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنها تضر ولا تنفع وهي الأصنام ﴿نَصِيحًا﴾ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ من الحرث والأنعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾ سؤال توبيخ وفيه التفات عن الغيبة ﴿عَمَّا كُتِبَ لَهُنَّ يَوْمَ تَصْرُونَ﴾ على الله من أنه أمركم بذلك .

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾

٥٧ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ﴾ بقولهم الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له عما زعموا ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي البنون والجملة في محارفة أو نصب يجعلون المعنى يجعلون له البنات التي يكرهونها وهو منزه عن الولد ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونهم فيختصون بالأسنى كقوله فاستفتحهم الربك البنات ولهم البنون .

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨]

٥٨ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾ تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ متغيرا تغير مغتم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غما فكيف ينسب البنات

﴿أَوْلَتْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَتُوا ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ﴾

٤٨ ﴿أَوْلَتْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَتُوا﴾ له ظل كشجرة وجبل ﴿ظِلُّهُ﴾ تتميل ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا﴾ جمع شمال أي عن جانبيهما أول النهار وآخره ﴿لِلَّهِ وَهُمْ﴾ حال أي خاضعين له بما يراد منهم ﴿ذَاخِرُونَ﴾ الظلال ﴿وَاللَّهُ﴾ صاغرون نزلوا منزلة العقلاء .

﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٩]

٤٩ ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ أي نسمة تدب عليها أي تخضع له بما يراد منها وغلب في الإتيان بما لا يعقل لكثرتهم ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ خصهم بالذكر تفضيلا ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون عن عبادته .

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوِّهِمْ وَيَقُولُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

٥٠ ﴿يَخَافُونَ﴾ أي الملائكة حال من ضمير يستكبرون ﴿رَبَّهُمْ مِنْ قَوِّهِمْ﴾ حال من هم أي عاليا عليهم بالقهر ﴿وَيَقُولُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ به .

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازِهِبُونَ﴾ [النحل: ٥١]

٥١ ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ تأكيد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ أتى به لاثبات الإلهية والوحدانية ﴿فَأَيُّهَا فَازِهِبُونَ﴾ خافون دون غيري وفيه التفات عن الغيبة .

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [النحل: ٥٢]

٥٢ ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبدا ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾ الطاعة ﴿وَاصِبًا﴾ دائما حال من الدين والعامل فيه معنى الطرف ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ وهو الإله الحق ولا إله غيره والاستفهام للانكار والتوبيخ .

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ

إليه تعالى .

﴿بَنَوْنِي مِنَ الْقَوْرِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيَسْكُكُمُ عَلَى هُوبٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

٥٩ ﴿يَتَوَارَى﴾ يختفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي قومه ﴿مِنَ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ خوفا من التعبير مترددا فيما يفعل به ﴿أَيَسْكُكُمُ﴾ يتركه بلا قتل ﴿عَلَى هُوبٍ﴾ هوان وذل ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ بأن يثده ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتي هن عندهم بهذا المحل .

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]

٦٠ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي الكفار ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي الصفة السوأى بمعنى القبيحة وهي وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ الصفة العليا وهو أنه لا إله إلا هو ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه .

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ [النحل: ٦١]

٦١ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ بالمعاصي ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي الأرض ﴿مِنَ دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ﴾ فإذا جاء أجلهم لا يستأجرون ﴿عنه﴾ ساعة ولا يستقدمون ﴿عليه﴾ .

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْمُسْتَقَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢]

٦٢ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات والشريك في الرياسة وإهانة الرسل ﴿وَتَصِفُ﴾ تقول ﴿أَلْسِنَهُمْ﴾ مع ذلك ﴿الْكُذِبَ﴾ وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ عند الله أي الجنة لقوله ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى قال تعالى ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقا ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ

مُفْرَطُونَ﴾ متروكون فيها أو مقدمون إليها وفي قراءة بكسر الراء أي متجاوزين الحد .

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرِئَنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ٦٣]

٦٣ ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلا ﴿فَرِئَنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾ السيئة فأروها حسنة فكذبوا الرسل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾ متولي امورهم ﴿الْيَوْمَ﴾ أي في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة وقيل المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية أي لا ولي لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

٦٤ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للناس ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من أمر الدين ﴿وَهُدًى﴾ عطف على لتبين ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به .

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾

٦٥ ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على البعث ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر .

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نَّتَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]

٦٦ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ اعتبارا ﴿نَّتَقِيكُمْ﴾ بيان للعبرة ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ أي الأنعام ﴿مِنَ﴾ للابتداء متعلقة بنسقيكم ﴿بَيْنِ فَرْثٍ﴾ ثفل الكرش ﴿وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا﴾ لا يشوبه شيء من الفرث والدم من طعم أو ريح أو لون وهو بينهما ﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ سهل المرور في حلقهم لا يغص به .

﴿وَمِن تَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١]

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فمنكم غني وفقير ومالك ومملوك ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ أي الموالى ﴿بِرِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي بجاعلي ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكهم ﴿فَهُمْ﴾ أي المماليك والموالي ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ شركاء والمعنى ليس لهم شركاء من مماليكهم في أموالهم فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له ﴿أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ يكفرون حيث يجعلون له شركاء .

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَعْلَمَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَدَّةٍ وَرِزْقِكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ

أَفِيَابًا لِّتَبْلُغُوا بِمُؤْمِنُونَ وَبِعِزَّةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾
٧٢ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلق حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَدَّةٍ﴾ أولاد الأولاد ﴿وَرِزْقِكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من أنواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿أَفِيَابًا لِّتَبْلُغُوا﴾ الصنم ﴿بِأَيْمَانِهِمْ وَبِعِزَّةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾

٧٣ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿شَيْئًا﴾ بدل من رزقا ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يقدرون على شيء وهم الأصنام .

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]

٧٤ ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ لا تجعلوا له أمثالا تشركونهم به ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أن لا مثل له ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك .

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا

٦٧ ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّجِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ تمر ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ خمرا يسكر سميت بالمصدر وهذا قبل تحريمها ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزبيب والخل والدبس ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على قدرة الله تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون .

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ اللَّيَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨]

٦٨ ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ﴾ وحي إلهام ﴿أَنَّ﴾ مفسرة أو مصدرية ﴿أَتَّخِذِي مِنَ اللَّيَالِ بُيُوتًا﴾ تأوين إليها ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ بيوتا ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ أي الناس ينون لك من الأماكن وإلا لم تأو إليها .

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩]

٦٩ ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي﴾ ادخلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ طرقة من طلب المرعى ﴿ذُلُلًا﴾ جمع ذلول حال من السبل أي مسخرة لك فلا تعسر عليك وإن توعدت ولا تضلي عن العود منها وإن بعدت وقيل من الضمير في اسلكي أي منقادة لما يراد منك ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العسل ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ من الأوجاع قيل لبعضها كمداد عليه هتكير شفاء أو لكلها بضميمته إلى غيره أقول وبدونها بنيتة وقد أمر به ﷺ من استطلق عليه بطنه رواه الشيخان ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه تعالى .

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ فَرَبَّوْفَكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ لِكِ أَوَّلَ الْعُمُرِ لِكِنِّي لَا يَمْلِكُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾

٧٥ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئا ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَى أَوَّلِ الْعُمُرِ﴾ أي أحسه من الهرم والخرف ﴿لِكِنِّي لَا يَمْلِكُ بَعْدَ عِلْمٍ﴾ قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ﴾ بتدبير خلقه ﴿عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ على ما يريد .

وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْعَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ [النحل: ٧٥]

٧٥ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه ﴿عَبْدًا مَثَلُوكَا﴾ صفة تميزه من الحر فإنه عبد الله ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لعدم ملكه ﴿وَمَنْ﴾ نكرة موصوفة أي حرا ﴿رُزِقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ أي يصرف به كيف يشاء والأول مثل الأصنام والثاني مثله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي العبد العجزة والحر المتصرف لا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إياه من العذاب فيشركون

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦]

٧٦ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه ﴿رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ﴾ ولد أخرس ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لأنه لا يفهم ولا يفهم ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ ثقيل ﴿عَلَى مَوْلَاهُ﴾ ولي أمره ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ منه ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق ﴿وَلِلَّهِ﴾ وهو الثاني المؤمن لا وقيل هذا مثل لله والأبكم للأصنام والذي قبله مثل الكافر والمؤمن ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أُمْرُ السَّاعَةِ﴾ كَلَمَحِ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿[النحل: ٧٧]

٧٧ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي علم ما غاب فيهما ﴿وَمَا أُمْرُ السَّاعَةِ﴾ كَلَمَحِ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ منه لأنه بلفظ كن فيكون ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٧٥: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس في قوله: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَثَلُوكَا» قال: نزلت في رجل من فريش وعبيده، وفي قوله: «رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ» قال: نزلت في عثمان بن عفان ومولى له كان يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيها

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]

٧٨ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ الجملة حال ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك فنؤمنوا ﴿وَاللَّهُ يَبْرِؤُا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

٧٩ ﴿وَاللَّهُ يَبْرِؤُا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات للطيران ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ أي الهواء بين السماء والارض ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عند قبض أجنحتهن أو بسطها أن يقعن ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هي خلقها بحيث يمكنها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَصْوَابُهَا وَأَصْوَابُهَا أَشْأَارُهَا أَثْنَا وَمَثَا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]

٨٠ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ موضعا تسكنون فيه ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ كالخيام والقباب ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ للحمل ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ سفركم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا﴾ أي الغنم ﴿وَأَصْوَابُهَا﴾ أي الإبل ﴿وَأَصْوَابُهَا﴾ أي المعز ﴿أَثْنَا﴾ متاعا لبيوتكم كسبط وأكسية ﴿وَمَثَا﴾ تمتعون به ﴿إِلَى حِينٍ﴾

تلي فيه ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَايِلَ تَقِيكُمْ أَلْحَرَ وَسَرَايِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٨١]

٨١ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ﴾ من البيوت والشجر والغمم ﴿ظِلَالًا﴾ جمع ظل تقيكم حر

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون عنه إذا رآه .
 ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ
 شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ
 الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ٨٦]

٨٦ ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ من
 الشياطين وغيرها ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ
 كُنَّا نَدْعُوهُمْ نَعْبُدُهُمْ﴾ من دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ
 الْقَوْلَ أَي قَالُوا لَهُمْ ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فِي قَوْلِكُمْ
 إِنَّكُمْ عِبَدْتُمُونَا كَمَا فِي آيَةِ أُخْرَى مَا كَانُوا إِبَانًا
 يَعْبُدُونَ سِيكْفَرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ .
 ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَٰءَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
 يَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٨٧]

٨٧ ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَٰءَ﴾ أَي
 اسْتَسْلَمُوا لِحُكْمِهِ ﴿وَضَلَّ﴾ غَاب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا
 يَفْتَرُونَ﴾ مِنْ أَنَّ آلِهَتَهُمْ تَشْفَعُ لَهُمْ .
 ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا
 فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]

٨٨ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾ النَّاسِ ﴿عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ﴾ دِينِهِ ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الَّذِي
 اسْتَحَقُّهُ بِكُفْرِهِمْ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَقَارِبُ أَنْبِيَائِهَا
 كَالنَّخْلِ الطَّوَالِ ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ بِصَدْمِهِ
 النَّاسِ عَنِ الْإِيمَانِ .
 ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ
 وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَرَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
 نَبِيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾

٨٩ واذكر ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا
 عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ هُوَ نَبِيِّهِمْ ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يَا
 مُحَمَّدٌ ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾ أَي قَوْمِكَ ﴿وَرَزَلْنَا
 عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ الْقُرْآنَ ﴿نَبِيَّنَا﴾ بَيَانًا ﴿لِكُلِّ
 شَيْءٍ﴾ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَمْرِ الشَّرِيعَةِ ﴿وَهْدًى﴾
 مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾ بِالْجَنَّةِ
 ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ الْمُوَحَّدِينَ .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي
 الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
 يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]

الشمس ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ جَمَعَ
 كَبَنٌ وَهُوَ مَا يَسْتَكِنُ فِيهِ كَالغَارِ وَالسَّرْبِ ﴿وَجَعَلَ
 لَكُمْ سَرَائِيلَ﴾ قِمصًا ﴿تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ أَي وَالْبَرْدَ
 ﴿وَسَرَائِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ حَرِيكُم أَي الطَّعْنَ
 وَالضَّرْبَ فِيهَا كَالدَّرُوعِ وَالْجَوَاشِنِ ﴿كَذَلِكَ﴾ كَمَا
 خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُ﴾ فِي الدُّنْيَا
 ﴿وَعَلَيْكُمْ﴾ بِخَلْقِ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يَا
 أَهْلَ مَكَّةَ ﴿تُشْلِئُونَ﴾ تُوَحِّدُونَهُ .
 ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ الْمُمِيتُ﴾ [النحل: ٨٢]

٨٢ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِسْلَامِ ﴿فَإِنَّمَا
 عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿الْبَلَاغُ الْمُمِيتُ﴾ الْإِبْلَاقُ الْبَيْنُ
 وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ .
 ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمْ
 الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣]

٨٣ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أَي يَقْرُونَ بِأَنَّهَا مِنْ
 عِنْدِهِ ﴿ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ بِإِسْرَاقِهِمْ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ
 الْكَافِرُونَ﴾ .
 ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤَدُّتُ لِلَّذِينَ
 كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾

٨٤ واذكر ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾
 وَهُوَ نَبِيُّهَا يَشْهَدُ لَهَا وَعَلَيْهَا وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿ثُمَّ لَا
 يُؤَدُّتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فِي الْإِعْتِدَارِ ﴿وَلَا هُمْ
 يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لَا يُطَلَبُ مِنْهُمْ الْعُتْبَىٰ أَي الرَّجُوعُ إِلَىٰ
 مَا يَرْضَىٰ اللَّهُ .
 ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
 يُنظَرُونَ﴾ [النحل: ٨٥]

٨٥ ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كَفَرُوا
 ﴿الْعَذَابَ﴾ النَّارَ ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ الْعَذَابَ

(١) أسباب نزول الآية ٨٣: أخرج ابن أبي حاتم عن
 مجاهد: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ: «وَاللَّهِ
 جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُرُوتِكُمْ سَكَنًا» قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: نَعَمْ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ:
 «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَلَمْتُمْ
 وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ». قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ كُلَّ ذَلِكَ وَهُوَ يَقُولُ:
 نَعَمْ. حَتَّى بَلَغَ: «كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْلِئُونَ»
 فَوَلَّى الْأَعْرَابِيَّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا
 وَأَكْثَرُهُمْ الْكَافِرُونَ».

يَتْلُوكُمْ ﴿٩٠﴾ يختبركم ﴿اللَّهُ بِهِ﴾ أي بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصي أو يكون أمة أربي لينظر أنفون أم لا ﴿وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي (١).

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣]

٩٣ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ولتسألن ﴿يوم القيامة سؤال تبكيت ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لتجازوا عليه .

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ بُيُوتِهِمْ وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ٩٤]

٩٤ ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ كرهه تأكيداً ﴿فَتَزَلْ قَدَمٌ﴾ أي أقدامكم عن محجة الإسلام ﴿بَعْدَ بُيُوتِهِمْ﴾ استقامتها عليها ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾ أي العذاب ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي بصدكم عن الوفاء بالعهد أو بصدكم غيركم عنه لأنه يستن بكم ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة .

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٥]

٩٥ ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا بأن تنقضوه لأجله ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ مما في الدنيا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ذلك فلا تنقضوا .

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

٩٦ ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿يَنْفَدُ﴾ يفنى

٩٠ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ التوحيد أو الإنصاف ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ أداء الفرائض أو أن تعبد الله كأنك تراه كما في الحديث ﴿وَأِيتَاءِ﴾ إعطاء ﴿ذِي الْقُرْبَى﴾ القرابة خصه بالذكر اهتماماً به ﴿وَيُنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ الزنا ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ شرعاً من الكفر والمعاصي ﴿وَالْبَغْيِ﴾ الظلم للناس خصه بالذكر اهتماماً كما بدأ بالفحشاء كذلك ﴿يُعِظْكُمْ﴾ بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون فيه إدغام التاء في الأصل في الذال وفي المستدرك عن ابن مسعود وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر .

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩١]

٩١ ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ من البيع والأيمان وغيرها ﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ بالوفاء حيث حلفتكم به والجملة حال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم (١) .

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِمْ وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

٩٢ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ﴾ أفسدت ﴿غَرْلَهَا﴾ ما غزلته ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إحكام له وبرم ﴿أَنكَا﴾ حال جمع نكت وهو ما ينكت أي يحل إحكامه وهي امرأة حمقاء من مكة كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ حال من ضمير تكونوا أي لا تكونوا مثلها في اتخاذكم ﴿أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾ هو ما يدخل في الشيء وليس منه أي فسادا وخديعة ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بأن تنقضوها ﴿أَنْ﴾ أي لأن ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿هِيَ أَرْبَى﴾ أكثر ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا أكثر منهم وأعز نقضوا حلف اولئك وحالفوهم ﴿إِنَّمَا

(١) أسباب نزول الآية ٩٢: أخرج ابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي حفص قال: كانت سعيدة الإسديّة مجنونة تجمع الشعر والليف، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَرْلَهَا﴾.

(١) أسباب نزول الآية ٩١: أخرج ابن جرير عن بريدة قال: نزلت هذه الآية في بيعة النبي ﷺ.

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ دائم ﴿وَلَنُحْزِنَهُنَّ﴾ بالياء والنون ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الوفاء بالعهود ﴿أَجْرَهُمْ﴾ بأحسن ما كانوا يعملون ﴿أحسن بمعنى حسن .

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]

عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا لِّلْحَقِيقِ﴾ نَعَلَّمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ﴾ القرآن ﴿بَشَرٌ﴾ وهو قين نصراني كان النبي ﷺ يدخل عليه قال تعالى ﴿لِسَانَ﴾ لغة ﴿الَّذِي يُلْحِدُونَ﴾ يميلون ﴿إِلَيْهِ﴾ أنه يعلمه ﴿أَعْجَبِيَّ﴾ وهذا القرآن ﴿لِسَانَ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه أعجمي (١) .

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ قيل هي حياة الجنة وقيل في الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٤]

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أي أردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكٰذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولٰٓئِكَ هُمُ الْكٰذِبُونَ﴾

﴿إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩]

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكٰذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن بقولهم هذا من قول البشر ﴿وَأُولٰٓئِكَ هُمُ الْكٰذِبُونَ﴾ والتأكيد بالتركرار وما بعدها رد لقولهم إنما أنت مفتر .

﴿إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠]

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمٰنِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمٰنِ وَلٰكِن مِّنْ شَرٍّ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]

﴿وَإِذَا بَدَلْنَا ءآيَةً مَّكَانَ ءآيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَزِيلُ قَالُوا أَتَمَّا أَنْتَ مُفْتَرٍ بِلْ أَكْثَرِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾ بنسخها وإنزال غيرها لمصلحة العباد ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزَلُ﴾ قالوا أي الكفار للنبي ﷺ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ كذاب تقوله من عندك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ .

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمٰنِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ على التلفظ بالكفر فتلفظ به ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ صَدْرًا﴾

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بنزل ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بإيمانهم به ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ .

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمٰنِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ على التلفظ بالكفر فتلفظ به ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ صَدْرًا﴾

(١) أسباب نزول الآية: كان رسول الله ﷺ يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان أعجمي اللسان، وكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلمه بلعام، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمي قال: كان لنا عبدان: أحدهما يقال له: يسار، والآخر: جبر، وكانا صقليين، فكانا يقرآن كتابهما ويعلمان علمهما، وكان رسول الله ﷺ يؤ بهما فيستمع قراءتهما، فقالوا: إنما يتعلم منهما، فنزل الله ﷻ .

أخرج ابن جرير بسند ضعيف عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان أعجمي اللسان، وكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلمه بلعام، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ الآية.

بِالْإِيمَانِ ﴿ وَمَنْ مَبْتَدَأْ أَوْ شَرَطِيَّةَ وَالْخَيْرِ أَوْ الْجَوَابِ لَهُمْ وَعِيدٌ شَدِيدٌ دَلَّ عَلَى هَذَا ﴿ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا ﴾ لَهُ أَي فَتْحُهُ وَوَسَعَهُ بِمَعْنَى طَابَتْ لَهُ نَفْسُهُ ﴿ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الْوَعِيدُ لَهُمْ ﴿ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ اخْتَارُوهَا ﴿ عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ عَمَّا يَرَاد بِهِمْ .

﴿ لَا جَزَاءَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴾ ﴿ لَا جَزَاءَ ﴾ حَقًّا ﴿ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴾ لِمَصِيرِهِمْ إِلَى النَّارِ الْمُؤَبَّدَةِ عَلَيْهِمْ .

﴿ ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فَعَلُوا ثُمَّ جَنَّهُدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَخَذَ الْمَشْرُوكُونَ بِلَالًا وَخَبَابًا وَعُمَرَ بْنَ الْيَاسِرِ، فَأَتَاهُ عِمَارٌ فَقَالَ لَهُمْ كَلِمَةٌ أَعْجَبَتْهُمْ تَقِيَّةً، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُ، فَقَالَ: كَيْفَ كَانَ قَلْبُكَ حِينَ قَلْتِ، أَكُنَّ مَنشُورًا بِالَّذِي قَلْتِ؟ قَالَ: لَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾.

وَأَخْرَجَ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَنَسٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَمْنَاءَ، فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ بَعْضُ الصَّحَابَةِ بِالْمَدِينَةِ أَنْ هَاجَرُوا فَخَرَجُوا يَرِيدُونَ الْمَدِينَةَ فَأَدْرَكَهُمْ قُرَيْشٌ بِالطَّرِيقِ فَفَتَنُوهُمْ فَكَفَرُوا بِمَكْرِهِمْ، فَبَيَّهَمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ عَنْ عَمْرِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: كَانَ عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ يَعْذِبُ حَتَّى لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ، وَكَانَ صَهِيْبٌ يَعْذِبُ حَتَّى لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ، وَكَانَ أَبُو فَكِيهَةَ يَعْذِبُ حَتَّى لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ، وَبِلَالٌ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَقَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فَعَلُوا ثُمَّ جَآهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

بَعْدَهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ [النحل: ١١٠] ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا فَعَلُوا ﴾ عَذَبُوا وَتَلَفَضُوا بِالْكَفْرِ وَفِي قِرَاءَةِ بَالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ أَي كَفَرُوا أَوْ فَتَنُوا النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿ ثُمَّ جَآهَدُوا وَصَبَرُوا ﴾ عَلَى الطَّاعَةِ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ أَي الْفِتْنَةَ ﴿ لَغَفُورٌ ﴾ لَهُمْ ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بِهِمْ وَخَبِرَ إِنْ الْأُولَى دَلَّ عَلَيْهِ خَبِرَ الثَّانِيَةَ .

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

﴿ [النحل: ١١١] ﴾ اذْكُرْ ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ ﴾ تَحَاجُّ ﴿ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ لَا يَهْمُهَا غَيْرُهَا وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿ وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ﴾ جَزَاءَ ﴿ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ شَيْئًا .

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

﴿ [النحل: ١١٢] ﴾ ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ وَيُبَدِّلُ مِنْهُ ﴿ قُوَّةً ﴾ هِيَ مَكَّةُ وَالْمَرَادُ أَهْلِهَا ﴿ كَانَتْ ءَامِنَةً ﴾ مِنَ الْغَارَاتِ لَا تَحَاجُّ ﴿ مُطْمَئِنَّةً ﴾ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِنْتِقَالِ عَنْهَا لِضَيْقِ أَوْ خَوْفٍ ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ﴾ وَاسْعًا ﴿ مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾ بِتَكْذِيبِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ ﴾ فَفَقَحَطُوا سَبْعَ سِنِينَ ﴿ وَالْخَوْفِ ﴾ بِسَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ ﴿ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾

﴿ [النحل: ١١٣] ﴾ ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ الْجُوعُ وَالْخَوْفُ ﴿ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ .

الشرك ﴿بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي الجهالة أو التوبة ﴿لَعَفُورٌ﴾ لهم ﴿رُحِيمٌ﴾ بهم .

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَوْ يَكَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]

١٢٠ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إماما قدوة جامعا لخصال الخير ﴿قَانِتًا﴾ مطيعا ﴿لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ مائلا إلى الدين القيم ﴿وَلَمْ يَكْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

١٢١ ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ﴾ اصطفاه ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

﴿وَمَا آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّمَا فِي الآخِرَةِ لَئِن

الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٢]

١٢٢ ﴿وَأَتَيْنَاهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هي الثناء الحسن في أهل الأديان ﴿وَأَنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَئِن الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى .

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]

١٢٣ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ﴾ دين ﴿إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كرر ردا على زعم اليهود والنصارى أنهم على دينه .

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ١٢٤]

١٢٤ ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ فرض تعظيمه ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ على نبيهم وهم اليهود وأمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فقالوا لا نزيد اختاروا السبت فشدد عليهم فيه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمة .

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَعْرَظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُمْ بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ

﴿فَكُلُوا مِنَّمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُفْرَ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

١١٤ ﴿فَكُلُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿مِنَّمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُفْرَ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥]

١١٥ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْسِنَا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]

١١٦ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ﴾ أي لوصف ألسنتكم ﴿الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ لما لم يحله الله ولم يحرمه ﴿لِنَفْسِنَا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ .

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٧]

١١٧ لهم ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم .

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

١١٨ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي اليهود ﴿حَرَمًا﴾ مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ في آية وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر إلى آخرها ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بتحريم ذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك .

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٩]

١١٩ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ﴾

والمعاصي ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ بالطاعة والصبر
بالعون والنصر .

١٧ سورة الإسراء

مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِئَلْيُرَى
مِنَ الْبَاطِنِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]

١ ﴿سُبْحَانَ﴾ أي تنزيهه ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾
محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ نصب على الظرف والإسراء
سير الليل وفائدة ذكره الإشارة بتنكيره إلى تقليل
مدته ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي مكة ﴿إِلَى
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ بيت المقدس لبعده منه ﴿الَّذِي
بَنَيْنَا حَوْلَهُ﴾ بالثمار والأشجار ﴿لِئَلْيُرَى
مِنَ الْبَاطِنِ﴾ أي العالم
بأقوال النبي ﷺ وأفعاله فأنعم عليه بالإسراء
المشتمل على اجتماعه بالأنبياء وعروجه إلى السماء
ورؤية عجائب الملكوت ومناجاته له تعالى فإنه
ﷺ

﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ
أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾ [الإسراء: ٢]

٢ قال تعالى ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة
﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي
وَكِيلاً﴾ يفوضون إليه أمرهم وفي قراءة تتخذوا
بالفوقانية التفاتا فأن زائدة والقول مضمر .

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]

٣ ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة ﴿إِنَّهُ
كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ كثير الشكر لنا حامدا في
جميع أحواله .

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْهُدًى فِي
الْأَرْضِ مَرَجَيْنِ وَتَلْعَانٌ غَلُوقًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]

٤ ﴿وَقَضَيْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي
الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿لُفْهُدًى فِي الْأَرْضِ﴾ أرض
الشام بالمعاصي ﴿مَرَجَيْنِ وَتَلْعَانٌ غَلُوقًا كَبِيرًا﴾ تبغون

صَلَ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

١٢٥ ﴿إِذْ عَجَبْتَ﴾ الناس يا محمد ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾
دينه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ بالقرآن ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾
مواظبه أو القول الرقيق ﴿وَجَادِلْهُمْ﴾ أي المجادلة التي
﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى
حججه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَن صَلَ عَن
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فيجازيهم وهذا قبل الأمر
بالمقاتلة ونزل لما قتل حمزة ومثل به فقال ﷺ وقد رآه
لأمثلن بسبعين منهم مكانك .

﴿وَإِن عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن
صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾

١٢٦ ﴿وَإِن عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ
وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ عن الانتقام ﴿لَهُمْ﴾ أي الصبر ﴿خَيْرٌ
لِّلصَّابِرِينَ﴾ فكف ﷺ وكفر عن يمينه رواه
البخاري (١) .

﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ
وَلَا تَكُ فِي صَبَقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]

١٢٧ ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ بتوفيقه
﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي الكفار إن لم يمنوا
لحربك على إيمانهم ﴿وَلَا تَكُ فِي صَبَقٍ مِّمَّا
يَمْكُرُونَ﴾ أي لا تهتم بمكرهم فأن ناصرك عليهم .

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾

١٢٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكفر

(١) أسباب نزول الآية ١٢٦: أخرج الحاكم، والبيهقي في
الدلائل، والبخاري عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ وقف على
حمزة حين استشهد، وقد مثل به فقال: لأمثلن بسبعين منهم
مكانك، فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بخواتم سورة النحل:
﴿وَإِن عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ إلى آخر السورة، فكف
رسول الله ﷺ وأمسك عما أراد.

* وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم عن أبي بن كعب
قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون، ومن
المهاجرين ستة منهم حمزة بن عبد المطلب فماتوا بهم، فقالت
الأنصار: لمن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنريئهم عليهم في
التمثل، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله: ﴿وَإِن عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا﴾
الآية.

* وظاهر هذا تأخر نزولها إلى الفتح، وفي الحديث الذي
قبله نزولها بأحد، وجمع ابن الحصار: بأنها نزلت أولاً: بمكة،
ثم ثانياً: بأحد، ثم ثالثاً: يوم الفتح، تذكيراً من الله لعباده.

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ محسبا وسجنا .
 ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ هُمْ أَقْوَمٌ وَيُنذِرُ
 الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾

٩ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ﴾ أي الطريقة
 التي ﴿هِيَ أَقْوَمٌ﴾ أعدل وأصوب ﴿وَيُنذِرُ الْمُؤْمِنِينَ
 الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ .
 ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا
 أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ١٠]

١٠ ويخبر ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
 أَعْتَدْنَا﴾ أعدنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما هو النار .
 ﴿وَيُنذِرُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءُ الْإِنْسَانِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
 عُجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]

١١ ﴿وَيُنذِرُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ﴾ على نفسه وأهله
 إذا ضجر ﴿دُعَاءُهُ﴾ أي كدعائه له ﴿بِالشَّرِّ وَكَانَ
 الْإِنْسَانُ الْجَنَسَ﴾ عَجُولًا ﴿بِالدُّعَاءِ﴾ على نفسه
 وعدم النظر في عاقبته .
 ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتٍ لِلنَّهَارِ وَاللَّيْلِ فَحَرُونَا﴾ آيَةَ الْآيَاتِ وَجَعَلْنَا
 آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَتَّبِعُوا فَضْلًا مِمَّنْ رَزَقُوا وَلِيَتَّعَلَّمُوا
 عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾

١٢ ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ﴾ دالتين على
 قدرتنا ﴿فَمَحْوِنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ طمسنا نورها بالظلام
 لتسكنوا فيه والإضافة للبيان ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ
 مُبْصِرَةً﴾ أي مبصرا فيها بالضوء ﴿لِيَتَّبِعُوا﴾ فيه
 ﴿فَضْلًا مِمَّنْ رَزَقُوا﴾ بالكسب ﴿وَلِيَتَّعَلَّمُوا﴾ بهما
 ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ للآوقات ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾
 يحتاج إليه ﴿فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ بيناه تبيينا .
 ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَّا طَلَبُوا فِي عَقْبِهِ وَنُخْرِجُهُ لَوْمَةً يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]

١٣ ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَّا طَلَبُوا﴾ عمله بحمله
 ﴿فِي عَقْبِهِ﴾ خص بالذكر لأن اللزوم فيه أشد وقال
 مجاهد ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة
 مكتوب فيها شقي أو سعيد ﴿وَنُخْرِجُهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 كِتَابًا﴾ مكتوبا فيه عمله ﴿يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ صفتان
 لكتابا .

بغيا عظيما .
 ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولُنَّهُمَا بِعَتَابِنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ
 شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾

٥ ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَاهُمَا﴾ أولى مرتي
 بالفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾
 أصحاب قوة في الحرب والبطش ﴿فَجَاسُوا﴾
 ترددوا لطلبكم ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ وسط دياركم
 ليقتلوكم ويسبوكم ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ وقد
 أفسدوا الأولى بقتل ذكريا فبعث عليهم جالوت
 وجنوده فقتلوهم وسبوا أولادهم موخروبا بيت
 المقدس .

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ
 وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾

٦ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ الدولة والغلبة
 ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد مائة سنة بقتل جالوت ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ
 بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ عشيرة .
 ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا
 جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
 كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾

٧ ﴿وَقَلْنَا﴾ إن أحسنتم ﴿بِالطَّاعَةِ﴾ أحسنتم
 لأنفسكم ﴿لأن ثوابه لها﴾ وإن أسأتم ﴿بِالْفَسَادِ﴾
 ﴿فَلَهَا﴾ إساءتكم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ﴾ المرة
 ﴿الْآخِرَةَ﴾ بعثناهم ﴿لِيَسْتَوْفُوا وَجُوهَكُمْ﴾ يحزنوكم
 بالقتل والسبي حزنا يظهر في وجوهكم ﴿وَلِيَدْخُلُوا
 الْمَسْجِدَ﴾ بيت المقدس فيخربوه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾
 وخربوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا﴾ يهلكوا ﴿مَا عَلَوْا﴾
 غلبوا عليه ﴿تَتْبِيرًا﴾ هلاكا وقد أفسدوا ثانيا بقتل
 يحيى فبعث عليهم بختنصر فقتل منهم الوفا وسبى
 ذريتهم وخرب بيت المقدس .
 ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عَلَيْنَا جِئْتُمْ
 لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨]

٨ ﴿وَقَلْنَا فِي الْكِتَابِ﴾ عسى ربكم أن
 يرحمكم ﴿بعد المرة الثانية إن تبتم﴾ وإن عدتم ﴿إلى
 الفساد﴾ عدنا ﴿إلى العقوبة﴾ وقد عادوا بتكذيب
 محمد صلى الله عليه وسلم فسلط عليهم بقتل
 قريظة ونفي بني النضير وضرب الجزية عليهم

﴿أَفَرَأَى كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾

١٤ ويقال له ﴿أَفَرَأَى كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ محاسبا .
﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَرْزُقُ وَلَا نُزِرُ وَآخِرُ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]

١٥ ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن إثمها عليها ﴿وَلَا نُزِرُ﴾ نفس ﴿وَوَارِزَةٌ﴾ آثمة أي لا تحمل ﴿وَرِزْقٌ﴾ نفس ﴿وَآخِرُ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحدا ﴿حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ يبين له ما يجب عليه

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مَعْرُوفًا فَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَمَدَرْنَاهَا تَدْمِيمًا﴾ [الإسراء: ١٦]

١٦ ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مَعْرُوفًا﴾ منعيمها بمعنى رؤسائها بالطاعة على لسان رسلنا ﴿فَسَقُوا فِيهَا﴾ فخرجوا عن أمرنا ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿فَمَدَرْنَاهَا تَدْمِيمًا﴾ أهلكنها بإهلاك أهلها وتخريبها .

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧]

١٧ ﴿وَكَمْ﴾ أي كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ الْأُممِ﴾ من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً ﴿عَالِمًا بِيَاطْنِهَا وَظَوَاهِرِهَا وَبِهِ يَتَعَلَّقُ بِذُنُوبِ﴾

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا﴾

١٨ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ أي

١٧- سورة الإسراء

(١) أسباب نزول الآية ١٥: أخرج ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف عن عائشة قالت: سألت خديجة رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: هم مع آبائهم ثم سأله بعد ذلك، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثم سأله بعدما استحکم الإسلام، فنزلت: ﴿وَلَا تُزْرُ وَأَرْزُقُ وَآخِرُ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ وقال: هم على الفطرة أو قال: في الجنة .

الدنيا ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ التعجيل له بدل من له بإعادة الجار ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلها ﴿مَدْمُومًا﴾ ملوما ﴿مَدْحُورًا﴾ مطرودا من الرحمة .
﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]

١٩ ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ عمل عملها اللائق بها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ عند الله أي مقبولا مثابا عليه .
﴿كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًا وَهَمُورًا مِمَّا يَنْزُلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا بِعَاطِيهِمْ إِذْ يَقُولُ لِغُفَّارِهِمْ سَاقُوا عَظَاءَكُمْ﴾ [الإسراء: ٢٠]

٢٠ ﴿كُلًّا﴾ من الفريقين ﴿نُمِدُّ﴾ نعطي ﴿هُنُوًا وَهَمُورًا﴾ بدل ﴿مِنْ﴾ متعلق بنمد ﴿عَظَاءَكُمْ رَبِّكُمْ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كُنَّا بِعَاطِيهِمْ رَبِّكُمْ﴾ فيها ﴿مَخْطُورًا﴾ ممنوعا عن أحد .
﴿وَأَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]

٢١ ﴿وَأَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الرزق والجاه ﴿وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ من الدنيا فينبغي الاعتناء بها دونها .
﴿لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَلَقَدْ مَدْمُومًا مَدْحُورًا﴾

٢٢ ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَدْمُومًا مَدْحُورًا﴾ لا ناصر لك .
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ فاعل ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ وفي قراءة يبلغان فأحدهما بدل من ألفه ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ وكسرهما منونا وغير منون مصدر بمعنى تبا وقبحا ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ ترجمهما ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ جميلا لينا .

٢٣ ﴿وَقَضَىٰ﴾ أمر ﴿رَبُّكَ﴾ أن أي بأن ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ أن تحسنوا ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ بأن تبروهما ﴿إِنَّمَا يَنْبَغُ لَكُمَا﴾ وفي قراءة يبلغان فأحدهما بدل من ألفه ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ وكسرهما منونا وغير منون مصدر بمعنى تبا وقبحا ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ ترجمهما ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ جميلا لينا .

﴿مَنْ رُبُّكَ تَرْجُوهُمَا﴾ أي لطلب رزق تنتظره يأتيك فتعطيهن منه ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا﴾ ليينا سهلا بأن تعدهم بالإعطاء عند مجيء الرزق (١).

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾

٢٩ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ راجع للأول ﴿مَّحْسُورًا﴾ منقطعاً لا شيء عندك راجع للثاني (٢).

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠]

٣٠ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالماً بواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم .

﴿وَلَا تَقُولُوا أَوْلَادُكُمْ خَشِيَةٌ لِّمَلِكٍ مَّا نَزَّلْنَاهُمْ وَإِنَّا كُنَّا لَإِنَّ فَتَنَهُمْ كَانَتْ حِطًّا كَبِيرًا﴾

٣١ ﴿وَلَا تَقُولُوا أَوْلَادُكُمْ﴾ بالوآء ﴿خَشِيَةٌ﴾ مخافة ﴿مَّا نَزَّلْنَاهُمْ﴾ فمر ﴿وَإِنَّا كُنَّا لَإِنَّ فَتَنَهُمْ كَانَتْ حِطًّا كَبِيرًا﴾

رسول الله ﷺ قال: لا أجد ما أحملكم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً، ظنوا ذلك من غضب رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿وَأَمَّا تَعْرِضُنَّ عَنْهُمْ أَيَّتَآءَ رَحْمَةِ الْآيَةِ﴾.

* وأخرج ابن جرير عن الضحاک قال: نزلت فيمن كان يسأل النبي ﷺ من المساكين.

(١) أسباب نزول الآية ٢٩: أخرج سعيد بن منصور عن سيار أبي الحكم قال: أتى رسول الله ﷺ بوز، وكان معطاة كريماً فقسمه بين الناس، فأتاه قوم فوجدوه قد فرغ منه، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ الآية.

* وأخرج ابن مردويه وغيره عن ابن مسعود قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إن أمي تسألك كذا وكذا، قال: ما عندنا شيء اليوم، قال: فتقول لك اكسني قميصك، فخلع قميصه فدفعه إليه فجلس في البيت حاسراً، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾.

* وأخرج أيضاً عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال لعائشة: أنفق ما علي ظهر كفي، فقالت: إذن لا يبقى شيء، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ الآية. وظاهر ذلك أنها مدنية.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]

٢٤ ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ ألن لهما جانبك الذليل ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي لرقنتك عليهما ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾

٢٥ ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ من إضمار البر والعفوق ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ طائعين لله ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ الرجاعين إلى طاعته ﴿غَفُورًا﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة وهم لا يضررون عقوقاً .

﴿وَأَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْدُرْ تُبْدِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]

٢٦ ﴿وَأَاتِ﴾ أعط ﴿ذَا الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿حَقَّهُ﴾ من البر والصلة ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ ولا تبذر تبديراً بالإنفاق في غير طاعة الله (١).

﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧]

٢٧ ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ أي على طريقتهم ﴿وَوَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ شديد الكفر لنعمه فكذلك أخوه المبذر.

﴿وَأَمَّا تَعْرِضُنَّ عَنْهُمْ أَيَّتَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]

٢٨ ﴿وَأَمَّا تَعْرِضُنَّ عَنْهُمْ﴾ أي المذكورين من ذي القربى وما بعدهم فلم تعطهم ﴿أَيَّتَآءَ رَحْمَةٍ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٢٦: أخرج الطبراني وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: لما أنزلت: ﴿وَأَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطهاها فذك.

* قال ابن كثير: هذا الحديث مشكل فإنه يشعر بأن الآية مدنية والمشهور خلافه.

* وروى ابن مردويه عن ابن عباس مثله.

(٢) أسباب نزول الآية ٢٨: أخرج سعيد بن منصور عن عطاء الخراساني قال: جاء ناس من مزينة يستحملون

﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾

٣٨ ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ .

﴿ذَلِكَ وَمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّا خَرَفْتَلَّىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾

٣٩ ﴿ذَلِكَ وَمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ الموعظة ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّا خَرَفْتَلَّىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ مطرودا من رحمة الله .

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيِّنَاتِ وَأَخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتَابًا إِنَّكُم لَلظَّالِمُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠]

٤٠ ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾ أخلصكم يا أهل مكة ﴿رَبُّكُم بِالْبَيِّنَاتِ وَأَخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتَابًا﴾ بنات لنفسه بزعمكم ﴿إِنَّكُم لَلظَّالِمُونَ﴾ بذلك ﴿قَوْلًا عَظِيمًا﴾ .

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤١]

٤١ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ من الأمثال والوعد والوعيد ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ يتعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحق .

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَغُوا إِلَيَّ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢]

٤٢ ﴿قُلْ لِهِمْ﴾ لَوْ كَانَ مَعَهُ ﴿أَيُّ اللَّهِ﴾ إِلَهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأَبْتَغُوا ﴿إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ﴾ أَيُّ اللَّهِ ﴿سَبِيلًا﴾ ليقاتلوه .

﴿سُبْحَانَكَ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾

٤٣ ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها له ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من الشركاء ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ .

﴿سَبِّحْ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]

٤٤ ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ﴾ تنزيهه ﴿السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾ من

قَتَلْتُمْ كَانَ خِطْفًا﴾ إِثْمًا ﴿كَبِيرًا﴾ عَظِيمًا

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾

٣٢ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ﴾ أبلغ من لا تأتوه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ قبيحا ﴿وَسَاءَ﴾ بِئس ﴿سَبِيلًا﴾ طريقا هو .

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي أَلْقَاتِهِ إِنَّهُ كَانَ مُنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]

٣٣ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ﴾ لوارثه ﴿سُلْطَانًا﴾ تسلطا على القتيل ﴿فَلَا يَسْرِفُ﴾ يتجاوز الحد ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ بأن يقتل غير قاتله أو بغير ما قتل به ﴿إِنَّهُ كَانَ مُنْصُورًا﴾ .

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَشْهُورًا﴾

٣٤ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ إذا عاهدتم الله أو الناس ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَشْهُورًا﴾ عنه .

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥]

٣٥ ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أتموه ﴿وَإِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ الميزان السوي ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مَالًا .

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُورًا﴾

٣٦ ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ تتبع ﴿مَّا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ ﴿كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُورًا﴾ صاحبه ماذا فعل به .

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]

٣٧ ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي ذا مرح بالكبر والخيلاء ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ تنقبها حتى تبلغ آخرها بكبيرك ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ فكيف تحتال .

تفسير الجلالين

بالمسحور والكاهن والشاعر ﴿فَصَلُّوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ طريقا إليه .

﴿وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا

جديدا﴾ [الإسراء: ٤٩]

﴿وَقَالُوا﴾ منكرين للبعث ﴿أَيُّدَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفْنَا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جديدا﴾

﴿قُلْ كُونُوا حِجَابًا أَوْ حديدًا﴾ [الإسراء: ٥٠]

٥٠ . ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُونُوا حِجَابًا أَوْ حديدًا﴾ .

﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن

يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُقْضَىٰ عَلَيْكَ

رُءُوسُهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا

﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعظم

عن قبول الحياة فضلا عن العظام والرفات فلا بد

من إيجاد الروح فيكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ إلى

الحياة ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

ولم تكونوا شيئا لان القادر على البدء قادر على

الإعادة بل هي أهون ﴿فَسَيُنْفِضُونَ﴾ يحركون

﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ تعجبا ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاء

﴿مَتَىٰ هُوَ﴾ أي البعث ﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ

قَرِيبًا﴾ .

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِن لَّبِثْنَا إِلَّا

قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢]

٥٢ ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يناديكم من القبور على

لسان إسرافيل ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ فتجيبون دعوته من

القبور ﴿بِحَمْدِهِ﴾ بأمره وقيل وله الحمد ﴿وَتَقُولُونَ

﴿إِن﴾ ما ﴿لَبِثْنَا﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لهول ما

ترون .

﴿وَقُلْ لِيَعْبُدِيَ يَقُولُوا أَلَيْسَ مِنِّي أَن الشَّيْطَانُ يَزْعُ

يَنَّهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾

٥٣ ﴿وَقُلْ لِيَعْبُدِيَ﴾ المؤمنين ﴿يَقُولُوا﴾ للكفار

الكلمة ﴿التي هي أحسن﴾ إن الشيطان يَزْعُ يفسد

﴿يَنَّهُمْ﴾ إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً بين

العداوة والكلمة التي هي أحسن هي .

﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمُ إِن يَشَأْ يُرْسِلْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ

المخلوقات ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ﴾ متلبسا ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي يقول سبحان الله وبحمده ﴿وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾ تفهمون ﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾ لأنه ليس بلغتكم ﴿إِنَّهُ كَانَ خَلِيفًا غُفُورًا﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة .

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّشْتُورًا﴾

٥٤ ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّشْتُورًا﴾ أي

ساترا لك عنهم فلا يرونك نزل فيمن أراد الفتك

﴿فَلْيَكْفُرْ﴾ (١)

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا

وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ آذَانِهِمْ

نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]

٤٦ ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أعطية ﴿أَن

يَفْقَهُوهُ﴾ من أن يفهموا القرآن أي فلا يفهمونه

﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلا فلا يسمعونه ﴿وَإِذَا

ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ آذَانِهِمْ

نُفُورًا﴾ عنه

﴿مَنْ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ

يَجُوزُونَ إِذْ يَقُولُ الْغَالِبُونَ إِن تَسْمِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾

٤٧ ﴿مَنْ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ بسببه من

الهاء ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ قراءتك ﴿وَإِذْ هُمْ

نَجْوَى﴾ يتناجون بينهم أي يتحدثون ﴿إِذْ﴾ بدل

من إذ قبله ﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ في تناجيهم ﴿إِن﴾

ما ﴿تَسْمِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ مخدوعا مغلوبا

على عقله

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٨]

٤٨ ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٤٥ : أخرج ابن المنذر عن ابن

شهاب قال كان رسول الله ﷺ إذا تلا القرآن على مشركي

قريش ودعاهم إلى الكتاب قالوا بهزؤون به: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ

بِمَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ فأنزل

الله في ذلك من قولهم : ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّشْتُورًا﴾ الآيات .

﴿وَأَنذَرْتَهُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾
 ﴿رَبُّكُمْ أَغْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يُزَحِّمِكُمْ﴾
 ٥٤ بالتوبة والإيمان ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾
 بالموت على الكفر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾
 فتجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالقتال .

﴿وَرَبُّكَ أَغْلَمُ بَيْنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا
 بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾
 ٥٥ ﴿وَرَبُّكَ أَغْلَمُ بَيْنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
 فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا
 بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيص كل منهم
 بفضيلة كموسى بالكلام وإبراهيم بالخلعة ومحمد
 بالإسراء ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ .

﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ
 الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾
 ٥٦ ﴿قُلْ لَهُم﴾ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴿أَنَّهُم
 آلهة﴾ ﴿مِن دُونِهِ﴾ كالملائكة وعيسى وعزير
 ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ له
 إلى غيركم (١) .

﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ
 أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ
 رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]
 ٥٧ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ آلهة ﴿يَبْتَغُونَ﴾
 يطلبون ﴿إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ القربة بالطاعة
 ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدل من واو يبتغون أي يبتغيها الذي هو
 ﴿أَقْرَبُ﴾ إليه فكيف بغيره ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾
 وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴿كغيرهم فكيف تدعونهم آلهة
 ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ .

﴿وَأَنذَرْتَهُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾
 ﴿رَبُّكُمْ أَغْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يُزَحِّمِكُمْ﴾
 ٥٤ بالتوبة والإيمان ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾
 بالموت على الكفر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾
 فتجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالقتال .

﴿وَرَبُّكَ أَغْلَمُ بَيْنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا
 بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾
 ٥٥ ﴿وَرَبُّكَ أَغْلَمُ بَيْنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
 فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا
 بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيص كل منهم
 بفضيلة كموسى بالكلام وإبراهيم بالخلعة ومحمد
 بالإسراء ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ .

﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ
 الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾
 ٥٦ ﴿قُلْ لَهُم﴾ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴿أَنَّهُم
 آلهة﴾ ﴿مِن دُونِهِ﴾ كالملائكة وعيسى وعزير
 ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ له
 إلى غيركم (١) .

﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ
 أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ
 رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]
 ٥٧ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ آلهة ﴿يَبْتَغُونَ﴾
 يطلبون ﴿إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ القربة بالطاعة
 ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدل من واو يبتغون أي يبتغيها الذي هو
 ﴿أَقْرَبُ﴾ إليه فكيف بغيره ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾
 وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴿كغيرهم فكيف تدعونهم آلهة
 ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ .

﴿وَأَنذَرْتَهُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾
 ﴿رَبُّكُمْ أَغْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يُزَحِّمِكُمْ﴾
 ٥٤ بالتوبة والإيمان ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾
 بالموت على الكفر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾
 فتجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالقتال .

(١) أسباب نزول الآية ٥٦ أخرج البخاري وغيره عن ابن
 مسعود قال: نزلت آية من الإنس يعبدون ناسًا من الجن،
 فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم، فأنزل الله: ﴿قُلْ أَدْعُوا
 الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ﴾ الآية.

(١) أسباب نزول الآية ٥٩ أخرج الطبراني
 وغيرهما عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن
 يجعل لهم صيفا ذهبا، وأن ينحي عنهم الجبال فيزعموا فيقول
 له: إن شئت أن تستاني بهم، وإن شئت تؤتهم الذي سألتوا،
 فإن كفروا أهلوك كما أهلكت من قبلهم قال: بل استاني
 بهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا
 الْأُولُونَ﴾ الآية.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه، عن الزبير نحوه أوسط
 منه.

(٢) أسباب نزول الآية ٦٠ أخرج أبو يعلى عن أم هانئ، أنه
 لما استزى به أصبح يحدث نفازا من قريش يستهزئون به،
 فجاءوا منه آية، فوصف لهم بيت المقدس، وذكر لهم قصة
 العير، فقال الوليد بن المغيرة: هذا ساحر، فأنزل الله: ﴿وَمَا
 جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ .

وأخرج ابن المنذر عن الحسن نحوه.
 * وأخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي أن رسول الله
 * .

بِحَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾

٦٤ ﴿وَاسْتَفْزِرُوا﴾ استخف ﴿مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ
بِصُورَتِكَ﴾ بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع إلي
المعصية ﴿وَأَجْلِبْ﴾ صح ﴿عَلَيْهِمْ بِحَيْلِكَ
وَرَجْلِكَ﴾ وهم الركاب والمشاة في المعاصي
﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ المحرمة كالربا والغصب
﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ من الزنى ﴿وَعَدَهُمْ﴾ بأن لا يعث ولا
جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾
باطلا .

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ
وَكَيْلًا﴾ [الإسراء: ٦٥]

٦٥ ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ﴾ تسلط وقوة ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكَيْلًا﴾
حافظا لهم منك .

﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا
وَيَنْفَعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

٦٦ ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي﴾ يجري ﴿لَكُمْ
الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ
فَضْلِهِ﴾ تعالى بالتجارة ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في
تسخيرها لكم .

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا
فَمَا تَجْنُرُونَ إِلَّا الْبَرَّ اعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾

٦٧ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ الشدة ﴿فِي الْبَحْرِ﴾
خوف الغرق ﴿ضَلَّ﴾ غاب عنكم ﴿مَنْ تَدْعُونَ﴾
تعبدون من الآلهة فلا تدعون ﴿إِلَّا إِلَاهًا﴾ تعالى
فإنكم تدعون وحده لأنكم في شدة لا يكشفها إلا
هو ﴿فَلَمَّا نَجَّأكُمْ﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿إِلَى الْبَرِّ
اعْرَضْتُمْ﴾ عن التوحيد ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾
جحودا للنعم .

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ حَاصِبًا نَرُّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيْلًا﴾

٦٨ ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ أي
الأرض كقارون ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي
يرميكم بالحصباء كقوم لوط ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ

بها ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ وهي الزقوم
التي تنبت في أصل الجحيم جعلناها فتنه لهم إذ
قالوا النار تحرق الشجرة فكيف تنبت ﴿وَتُخَوِّفُهُمْ﴾
بها ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تخويفنا ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾^(١)
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقَ طِينًا﴾

٦١ واذكر ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾
سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ
أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقَ طِينًا﴾ نصب بنزع الخافض أي
من طين .

﴿قَالَ آهَ يَبْنَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾

٦٢ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾ أي أخبرني ﴿هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتَ﴾ فضلت ﴿عَلَيَّ﴾ بالأمر بالسجود له وأنا
خير منه خلقتني من نار ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَخَّرْتَنِ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ لأستأصلن ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾
بالإغواء ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم ممن عصمته .

﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ
جَزَاءً مُوقُورًا﴾ [الإسراء: ٦٣]

٦٣ ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿أَذْهَبَ﴾ منظرًا إلى
وقت النفخة الأولى ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ
جَزَاءُكُمْ﴾ أنت وهم ﴿جَزَاءً مُوقُورًا﴾ وافرا كاملا .
﴿وَاسْتَفْزِرُوا مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصُورَتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ

﴿صَلَّى﴾ أصبح يومًا مهمومًا، فقيل له: ما لك يا رسول الله لا تهتم
فإن رؤياك فتنه لهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَىٰ نَبَأًا
إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾.

* وأخرج ابن جرير من حديث سهل بن سعد نحوه.
* وأخرج ابن أبي حاتم من حديث عمرو بن العاص ومن
حديث يعلى بن مرة، ومن مرسل سعيد بن المسيب نحوها
وأسانيدها ضعيفة.

قوله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ الآية.

* أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس
قال: لما ذكر الله الزقوم خوف به هذا الحي من قريش. قال أبو
جهل: هل تدرؤن ما هذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد؟
قالوا: لا، قال: التريد بالزبد، أما لئن أمكننا منها لترقمنا زقما،
فأنزل الله: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَتُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ
إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾، وأنزل: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَيْمِ﴾.

وعنه ونزل في ثقيف وقد سألوه صلى الله عليه وسلم أن يحرم واديهم وألحوا عليه .

﴿وإن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لَيْفَتَرَى عَلَيْنَا عَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ حِيلًا﴾

٧٣ ﴿وإن﴾ مخففة ﴿كَادُوا﴾ قاربوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ليستنزلونك ﴿عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ لَيْفَتَرَى عَلَيْنَا عَيْرَهُ وَإِذَا ﴿لو فعلت ذلك﴾ ﴿لَا تَأْخُذُوكَ حِيلًا﴾^(١)

﴿وَلَوْلَا أَن تَبْنَتْنَا لَفَدَّ كِدْتُ تَرَكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا حِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]

٧٤ ﴿وَلَوْلَا أَن تَبْنَتْنَا﴾ على الحق بالعصمة ﴿لَفَدَّ كِدْتُ﴾ قاربت ﴿تَرَكَنُ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٧٣: أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من طريق إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس قال: خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد تعالي فاستلم ألهتنا وندخل معك في دينك، وكان رسول الله ﷺ يشدد عليه فراق قومه ويحث إسلامهم فزق لهم، فأنزل الله: ﴿وإن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ إلى: «نصيرون». * قلت: هذا أصح ما ورد في سبب نزولها وهو إسناد جيد وله شاهد.

* وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبيرة قال: كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر، فقالوا: لا ندعك تستلم حتى تستلم ألهتنا، فقال رسول الله ﷺ: وما علي لو فعلت والله يعلم مني خلافه، فنزلت.

* وأخرج نحوه عن ابن شهاب. وأخرج عن جبيرة بن نفير أن قريشاً أتوا النبي ﷺ، فقالوا: إن كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس ومواليهم، فنكون نحن أصحابك فركن إليهم، فنزلت.

* وأخرج عن محمد بن كعب القرظي: أنه ﷺ قرأ «والشجم» إلى «أقرأتم اللات والعزى» فالتقى عليه الشيطان: تلك القرانين العلاء وإن شفاعتهن لترجي، فنزلت: ﴿وإن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾، فما زال مهموماً حتى أنزل الله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ الآية.

* وفي هذا دليل على أن هذه الآيات مكية، ومن جعلها مدينة استدل بما أخرجه ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس: أن ثقيفاً قالوا للنبي ﷺ: أجلنا سنة حتى يهدي إلى ألهتنا، فإن قبضنا الذي يهدي للآلهة أحرزناه ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة، فهم أن يؤجلهم، فنزلت، وإسناده ضعيف.

وكيلاً حافظاً منه .

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء: ٦٩]

٦٩ ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أي البحر ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ أي ريحا شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته فتكسر فللكم ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بكفركم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ ناصرنا وتابعا يطالبنا بما فعلنا بكم .

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي عَادَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَادِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]

٧٠ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ فضلنا ﴿بَنِي آدَمَ﴾ بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَادِ﴾ على الدواب ﴿وَالْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تَفْضِيلًا﴾ فمن بمعنى ما أو على بابها وتشمل الملائكة والمراد تفضيل الجنس ولا يلزم تفضيل افراده إذ هم أفضل من البشر غير الأنبياء .

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَمُونَ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١]

٧١ اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ نبيهم فيقال يا أمة فلان أو بكتاب أعمالهم فيقال يا صاحب الشر وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ أُوْقِيَ﴾ منهم ﴿كِتَابَهُ يَمِينَهُ﴾ وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا ﴿فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَمُونَ تَفْضِيلًا﴾ يتقصون من أعمالهم ﴿تفصيلاً﴾ قدر قشرة النواة .

﴿وَمَن كَان فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢]

٧٢ ﴿وَمَن كَان فِي هَذِهِ﴾ أي الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ عن الحق ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ عن طريق النجاة وقراءة القرآن ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أبعد طريقاً

لِسْتَيْتَا تَحْوِيلًا ﴿٧٨﴾ تديلا .
﴿أَقْرِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِيَّكَ عَسَىٰ أَن يَأْتِيَنَّكَ الْفَجْرُ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾

٧٨ ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي من وقت زوالها ﴿إِلَىٰ عَسَىٰ اللَّيْلِ﴾ إقبال الظلمة أي الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار .
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]

٧٩ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾ فصل ﴿بِهِ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ فريضة زائدة لك دون أمرك أو فضيلة على الصلوات المفروضة ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ﴾ يقيمك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ يحمذك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء ونزل لما أمر بالهجرة .
﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]

٨٠ ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْمَدِينَةَ﴾ المدينة ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ إدخالاً مرضياً لا أرى فيه ما أكره ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ من مكة ﴿مَخْرَجَ صِدْقٍ﴾ إخراجاً لا ألتفت بقلبي إليها ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ قوة تنصرنني بها علي أعدائك
﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]

٨١ ﴿وَقُلْ﴾ عند دخولك مكة ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ بطل الكفر ﴿وَإِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ مضمحلاً زائلاً وقد دخلها صلى الله عليه وسلم وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت رواه الشيخان .

(١) أسباب نزول الآية ٨٠: أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه: ﴿وقل رب أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾. وهذا صريح في أنَّ الآية مكية. وأخرج ابن مردويه بلفظ أصح منه.

شَيْقًا ﴿رَكُونَا﴾ قَلِيلًا ﴿لَشِدَّةِ احْتِيَالِهِمْ وَالْحَاحِمِمْ وَهُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَرْكُنْ وَلَا قَارِبَ بِنْتِهَا﴾
﴿إِذَا لَادَقْتَنَّاكَ لِيُغَيِّرَ حَيَاتَكَ وَيُضْعِفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٥]

٧٥ ﴿إِذَا﴾ لو ركنت ﴿لَادَقْتَنَّاكَ﴾ ضِعْفَ عَذَابِ ﴿الْحَيَاةِ وَيُضْعِفُ﴾ عَذَابِ ﴿الْمَمَاتِ﴾ أي مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ مانعا منه .
﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِطْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

٧٦ ونزل لما قال له اليهود إن كنت نبيا حقا فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض المدينة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا﴾ لو أخرجوك ﴿لَا يَلْبَثُونَ﴾ جلافاً ﴿فِيهَا﴾ إلا قَلِيلًا ﴿ثُمَّ يَهْلِكُونَ﴾
﴿سُنَّةً مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧]

٧٧ ﴿سُنَّةً مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ أي كسنتنا فيهم من إهلاك من أخرجهم ﴿وَلَا تَجِدُ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٧٦: أخرج ابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل، من حديث شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم: أن اليهود أتوا النبي ﷺ، فقالوا: إن كنت نبيا فالحق بالشام فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء، فصدق رسول الله ﷺ ما قالوا، فغزا غزوة تبوك يريد الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله آيات من سورة بني إسرائيل بعدما ختمت السورة: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَأَمْرُهُ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَالَ: فِيهَا مِحْيَاكُ وَفِيهَا مَمَاتُكُ وَفِيهَا تُبْعَثُ﴾.

وقال له جبريل: سل ربك فإن لكل نبي مسألة، فقال: ما تأمرني أن أسأل؟ قال: ﴿وقل رب أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ فهؤلاء نزلن في رجعتهم من تبوك.

هذا مرسل ضعيف الإسناد، وله شاهد من مرسل جبريل بن جبير عند ابن أبي حاتم ولفظه: قال المشركون للنبي ﷺ: كانت الأنبياء تسكن الشام فما لك والمدينة. فهم أن يشخص، فنزلت.

وله طريق أخرى مرسلة عند ابن جرير أن بعض اليهود قاله له... [الحديث] .

﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾
﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ
مِّنَ الضَّلَالَةِ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿وَلَا يَزِيدُ
الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لكفرهم به .

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّا فَضَّلْنَاكَ عَلَىٰ

كثيراً﴾ [الإسراء: ٨٧]

﴿إِلَّا﴾ لكن أبقيناه ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّا
فَضَّلْنَاكَ كَانَ عَلَيْكَ كِبِيرًا﴾ عظيماً حيث أنزله عليك
وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل .

﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

ظهيراً﴾ [الإسراء: ٨٨]

﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن
يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ في الفصاحة والبلاغة
﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾
معينا نزل ردا لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا (١) .

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ
أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ
مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لمحذوف أي مثلاً من جنس
كل مثل ليتعظوا ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة
﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً للحق .

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ

بُيُوتًا﴾ [الإسراء: ٩٠]

﴿وَقَالُوا﴾ عطف على أبي ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ
حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ بُيُوتًا﴾ عينا ينبع منها
الماء (٢) .

(١) أسباب نزول الآية ٨٨: أخرج ابن إسحاق وابن جرير
عن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أتى النبي ﷺ
سلام بن مشكم - في عامة من يهود ساهم - فقالوا: كذب
نبتك وقد تركت قبلتنا، وإن هذا الذي جئت به لا نراه
مناسقاً كما تناسق التوراة؟ فأنزل علينا كتاباً نعرفه، والأجنتك
بمثل ما أتاني به، فأنزل الله: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ
عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ الآية.
أخرج ابن

(٢) أسباب نزول الآيات ٩٠-٩١-٩٢-٩٣:

﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾
﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ
مِّنَ الضَّلَالَةِ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿وَلَا يَزِيدُ
الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لكفرهم به .

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ
الضَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ [الإسراء: ٨٣]

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ الكافر
﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ ثنى عطفه
متبختراً ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الضَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿كَانَ
يَئُوسًا﴾ قنوطاً من رحمة الله .

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن هُوَ

أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤]

﴿قُلْ كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ
شَاكِلَتِهِ﴾ طريقته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن هُوَ أَهْدَىٰ
سَبِيلًا﴾ طريقاً فيثبه .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا
أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي اليهود ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾
الذي يحيا به البدن ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ
رَبِّي﴾ أي علمه لا تعلمونه ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ
إِلَّا قَلِيلًا﴾ بالنسبة إلى علمه تعالى (١) .

﴿وَلِئِن شِئْنَا لَنذَهَبَنَّ بِالرُّوحِ أَوْحَانًا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ

فإنه: أسباب نزول الآية ٨٥: أخرج البخاري عن ابن مسعود
قال: أصاب أنزول الآية ٨٥: بالمدينة وهو يتوكى على
عسيب، فمرّ بنفر من يهود، فقالوا: لو سألتهم، فقالوا:
حدثنا عن الرُّوح، فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يُوحى إليه
حتى صعد الوحي ثم قال: «الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ
الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا».

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود:
أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الرُّوح فسألوه،
فأنزل الله: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي».

قال ابن كثير: يجمع بين الحديثين بتعدد النزول.
* وكذا قال الحافظ ابن حجر.

* أو يحمل سكوته حين سؤال اليهود على توقع مزيد بيان
في ذلك وإلا فما في الصحيح أصح. قلت: ويرجح ما في
الصحيح بأن رواه حاضر القصة بخلاف ابن عباس.

٩٢ ﴿أَوْ تُبْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾
قطعا ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيْلًا﴾ مقابلة وعيانا
فراهم .

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُرْبٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ
تُؤْمِنَ لِرِيقِكَ حَتَّى نُنزِلَ عَلَيْكَ كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ
رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣]

٩٣ ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُرْبٍ﴾ ذهب
﴿أَوْ تَرْقَى﴾ تصعد ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ على السلم
﴿وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرِيقِكَ﴾ لو رقيت فيها ﴿حَتَّى نُنزِلَ
عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَابًا﴾ فيه تصديقك ﴿نَقْرُؤُهُ قُلْ﴾
لهم ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجب ﴿هَلْ﴾ ما ﴿كُنْتُ إِلَّا
بَشَرًا رَسُولًا﴾ كسائر الرسل ولم يكونوا يأتون بأية
إلا بإذن الله .

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ
قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾

٩٤ ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ
الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي قولهم منكرين ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ
بَشَرًا رَسُولًا﴾ ولم يبعث ملكا .

﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمشُرُونَ مُطْمَئِنِّينَ
لَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾

٩٥ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ﴾ بدل
البشر ﴿مَلَائِكَةً يَمشُرُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ
السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ إذ لا يرسل إلى قوم رسولا
إلا من جنسهم يمكنهم مخاطبته والفهم عنه .

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ
بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٦]

٩٦ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على
صدقني ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالما
ببواطنهم وظواهرهم .

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمُ أَوْلِيَاءَ
مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمُقًا وَكَمَا
وَصَّأْنَا مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾

٩٧ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ
تَجِدَ لَهُمُ أَوْلِيَاءَ﴾ يهدونهم ﴿مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ
الْأَنْهَارُ جِلْجَلًا تَفَجِيرًا﴾ [الإسراء: ٩١]

٩١ ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِّنْ نَّجِيلٍ
وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرُ الْأَنْهَارُ جِلْجَلًا﴾ وسطها ﴿تَفَجِيرًا﴾ .
﴿أَوْ تُسَوِّطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثْقَالَ حَبَّةٍ أَوْ تَأْتِي
بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيْلًا﴾ [الإسراء: ٩٢]

جرير من طريق ابن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر، عن
عكرمة عن ابن عباس: أن غنبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان
ابن حرب ورجلا من بني عبد الدار وأبي البخترى أبا بني
أسد، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن
المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أمية، وأمية بن
خلف، والعاص بن وائل، ونيبها ومنها ابني الحجاج السهميين
اجتمعوا فقالوا: يا محمد والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل
على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء، وعبت
الدين، وسفّهت الأحلام وشتمت الآلهة، وفزقت الجماعة فما
من قبيح إلا وقد جنته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت
بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون
أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب الشرف فبنا سؤدناك علينا،
وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك
بما يأتيك رثيا تراه قد غلب، بدلنا أموالنا في طلب الطب لك
حتى نُبرئك منه نغدر فيك.

فقال رسول الله ﷺ: ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني
إليكم رسولا، وأنزل عليّ كتابا، وأمرني أن أكون لكم بشيرا
ونذيرا. قالوا: فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك، فقد
علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاذا ولا أقل مالا
ولا أشد عيشا منا، فسل لنا ربك الذي بعثك به فليسير عنا
هذه الجبال التي ضيقت علينا، وليسط لنا بلادنا، وليجر فيها
أنهارا كأنهار الشام والعراق، وليبيّث لنا من قد مضى من
آبائنا، فإن لم تفعل فسل ربك ملكا يصدقك بما تقول، وأن
يجعل لك جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة، ويغنيك
على ما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق وتلتبس المعاش...
فإن لم تفعل فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك
إن شاء فعل، فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل...

فقام رسول الله ﷺ عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية،
فقال: يا محمد: عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله
منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورا يعرفوا بها منزلتك من الله فلم
تفعل ذلك، ثم سألوك أن تعجل ما تحوّلهم به من العذاب،
فوالله لا أومن لك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ترقى فيه،
وأنا أنظر حتى تأتيتها، وتأتي معك نسخة منشورة ومعك أربعة
من الملائكة، فيشهدوا لك أنك كما تقول، فانصرف
رسول الله ﷺ حزينا، فأنزل عليه ما قاله عبد الله بن أبي
أمية: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿بَشَرًا رَسُولًا﴾.

١٠٢ ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ الآيات
﴿إِلَّا رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرٌ﴾ عبرا ولكنك
تعاود وفي قراءة بضم التاء ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ
مَثْبُورًا﴾ هالكا أو مصروفا عن الخير

﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ
جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣]

١٠٣ ﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَنْ يَنْفِرَهُمْ﴾ يخرج
موسى وقومه ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَأَعْرَفْنَاهُ
وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ .

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤]

١٠٤ ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا
الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي الساعة ﴿جِئْنَا
بِكُمْ لَفِيفًا﴾ جميعا أنتم وهم .

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]

١٠٥ ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿وَبِالْحَقِّ﴾
المشتمل عليه ﴿نَزَّلَ﴾ كما انزل لم يعتره تبديل
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ من آمن
بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من كفر بالنار .

﴿وَوَرَاءَنَا فِرْقَةٌ لِقَرَامٍ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْتٍ وَنَزَلْنَا
نَزِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]

١٠٦ ﴿وَوَقُرْآنًا﴾ منصوب بفعل يفسره
﴿فَرَقْنَاهُ﴾ نزلناه مفرقا في عشرين سنة أو ثلاث
﴿لِقَرَامٍ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْتٍ﴾ مهل وتؤدة
ليفهموه ﴿وَنَزَلْنَاهُ نَزِيرًا﴾ شيئا بعد شيء على
حسب المصالح .

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ
إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾

١٠٧ ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا
تُؤْمِنُوا﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ
قَبْلِهِ﴾ قبل نزوله وهم مؤمنوا أهل الكتاب ﴿إِذَا يُتْلَى
عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ .

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾

يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ماشين ﴿عَلَىٰ وَجُوهُهُمْ عُثْيَا وَبُكْمًا
وَضُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ كَلِمًا خَبَثٌ﴾ سكن لها
﴿زُرْدَانَهُمْ سَعِيرًا﴾ تلهبا واشتعالا .

﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا
عِظَامًا وَرُفَاتًا أَيْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾

٩٨ ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾
منكرين للبعث ﴿إِنَّا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَيْنَا
لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ
عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَنَّى
الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٩٩]

٩٩ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ﴾ يعلموا ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ﴾ مع عظمها ﴿عَلَىٰ أَنْ
يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ﴾ أي الأناسي في الصغر ﴿لَهُمْ
أَجَلًا لَا﴾ للموت والبعث ﴿رَيْبَ فِيهِ فَأَنَّى الظَّالِمُونَ
إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودا له .

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ
خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾

١٠٠ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ
رَحْمَةِ رَبِّي﴾ من الرزق والمطر ﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ﴾
لبحلتهم ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ خوف نفادها بالإنفاق
ففقرتوا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ بخيلا .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَلَّ بَنِي
إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ
يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١]

١٠١ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾
وهي اليد والعصا والظوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والطمس والسنين ونقص الثمرات
﴿فَأَسْأَلُ﴾ يا محمد ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عنه سؤال
تقرير للمشركين على صدقك أو فقلنا له أسأل وفي
قراءة بلفظ الماضي ﴿إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي
لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ مخدوعا مغلوبا على
عقلك .

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبَّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ بَصَائِرٌ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ بِفِرْعَوْنِ مَشْبُورًا﴾

﴿سَيَلًا﴾ طريقًا وسطًا ﴿وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِكٌ مِّنَ الذَّلِّ وَكَرِهَهُ تَكْبِيرًا﴾

١١١ ﴿وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ في الألوهية ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ﴾ ينصره ﴿مَنْ﴾ أجل ﴿الذَّلِّ﴾ أي لم يذل فيحتاج إلى ناصر ﴿وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد والشريك والذل وكل ما لا يليق به وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المهيمن لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرد في صفاته .

* * *

(١) أسباب نزول الآية ١١٠ : أخرجه ابن مردويه وغيره، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ بمكة ذات يوم، فدعا فقال في دعائه: يا الله يا رحمن، فقال المشركون: انظروا إلى هذا الصائىء ينهانا أن ندعوا إلهين وهو يدعو إلهين فأنزل الله: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا﴾ الآية.

أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس في قوله ﷺ ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا﴾ قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فكان المشركون إذا سمعوا القرآن سيئوه ومن أنزله ومن جاء به، فنزلت. * وأخرج البخاري أيضًا عن عائشة: أنها نزلت في الدعاء. وأخرج ابن جرير من طريق ابن عباس مثله. ثم رُجِحَ الأولى لكونها أصح سندًا، وكذا رجحها النووي وغيره. وقال الحافظ ابن حجر: لكن يحتمل الجمع بينهما بأنها نزلت في الدعاء داخل الصلاة. وقد أخرجه ابن مردويه من حديث أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى عند البيت رفع صوته بالدعاء، فنزلت.

وأخرج ابن جرير والحاكم عن عائشة قالت: نزلت هذه الآية في التشهد، وهي مبنية لمراعاة في الرواية السابقة. ولابن منيع في مسنده عن ابن عباس: كانوا يجهرون بالدعاء: اللهم ارحمني، فنزلت فأمرُوا أن لا يخافتوا ولا

(٢) أسباب نزول الآية ١١١ : أخرجه ابن جرير عن محمد

ابن كعب القرظي قال: إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولدًا، وقالت العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذل، فأنزل الله: ﴿وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ﴾.

١٠٨ ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ تنزيها له عن خلف الوعد ﴿إِنَّ﴾ مخفية ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بنزوله وبعث النبي ﷺ ﴿لَمَفْعُولًا﴾ . ﴿وَيَجْرُونَ لِلَّذِينَ يَكُونُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾

١٠٩ ﴿وَيَجْرُونَ لِلَّذِينَ يَكُونُونَ﴾ عطف بزيادة صفة ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ تواضعا لله . ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾

[الإسراء: ١١٠]

١١٠ وكان ﷺ يقول يا رحمن فقالوا ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إليها آخر معه فنزل ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ أي سموه بأيهما أو نادوه بأن تقولوا يا الله يا رحمن ﴿أَيًّا﴾ شرطية ﴿مَا﴾ زائدة أي أي هذين ﴿تَدْعُوا﴾ فهو حسن دل على هذا ﴿فَلَهُ﴾ أي لمسامهما ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ وهذان منها فإنها كما في الحديث الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور رواه الترمذي .

قال تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ بقراءتك فيها فيسمعك المشركون فيسيبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله ﴿وَلَا تُخَافِتُ﴾ تسر ﴿بِهَا﴾ لينتفع أصحابك ﴿وَابْتَغِ﴾ اقصد ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الجهر والمخافتة

الجزء الثاني

تفسير الإمام جلال الدين المحلي من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن مع سورة الفاتحة (أما تفسير سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء، فهو للإمام جلال الدين السيوطي)
١٨ - سورة الكهف مكية -

إِلَّا الْآيَةَ (٢٨) وَأَيَّاتِهَا (١١٠) مائة وعشر آيات
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَقَدْ جَعَلَ لَهُ
عِزًّا﴾ [الكهف: ١]

١ - (الْحَمْدُ) وهو الوصف بالجميل ثابت (لِلَّهِ) تعالى وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الشاء به أو هما احتمالات أفيدها الثالث (الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ) محمد (الْكِتَابَ) القرآن (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ) أي فيه (عِزًّا) اختلافا وتناقضا والجملة حال من الكتاب
﴿قَسًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾

٢ - (قَسًا) مستقيما حال ثانية مؤكدة (لِيُنذِرَ) يخوف بالكتاب الكافرين (بَأْسًا) عذابا (شَدِيدًا) لَدُنْهُ من قبل الله (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا) [الكهف: ٣]

٣ - (مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَتَدًا) هم الجنة
﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾

٤ - (وَيُنذِرَ) من جملة الكافرين (الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

٥ - (مَا لَهُمْ بِهِ) بهذا القول (مِنْ عِلْمٍ) ولا لِآبَائِهِمْ من قبلهم القائلين له (كَبُرَتْ) عظمت (كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) كلمة تمييز مفسر

للضمير المبهم والمخصوص بالذم محذوف أي مقالتهن المذكورة (إِنْ) ما (يَقُولُونَ) في ذلك (إِلَّا) مقولا (كَذِبًا)
﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ عَلَيَّ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]

٦ - (فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ) مهلك (نَفْسِكَ عَلَيَّ) آثَرِهِمْ) بعدهم أي بعد توليهم عنك (إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ) القرآن (أَسَفًا) غيظا وحرنا منك لحرصك على إيمانهم ونصبه على المفعول له
﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]

٧ - (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ) من الحيوان

١٨ - سورة الكهف

(١) أسباب نزول الآية ٦: أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس قال: بعث قريش النضر بن الحارث وغنبة بن أبي معيط إلى أبحار اليهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، ووصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء.
فخر^١ حتى أتيا المدينة فسألوا أبحار اليهود عن رسول الله^ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهن، فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل مقول. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟ فإنه كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فأقبلا حتى قدما على قريش، فقالا: ﴿جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، فجاءوا رسول الله^ﷺ فسألوه، فقال: أخبركم غدا بما سألتكم عنه،^٢ فأنصروا ومكث رسول الله^ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك إليه وحيا، ولا^٣ جبريل حتى أرجف أهل مكة، وحتى أحرز رسول الله^ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف فيها معابته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾.
وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: اجتمع عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والنضر بن الحارث، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأبو البخترى، في نفر من قريش، وكان رسول الله^ﷺ قد كبر عليه ما يرى من خلاف قوله إياه، وإنكارهم ما جاء به من النصيحة فأحزنه حزنا شديدا فأنزله الله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ عَلَيَّ آثَرِهِمْ﴾ الآية.

١٤ - (وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ قُوَيْنَاهُمْ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ (إِذْ قَامُوا) بَيْنَ يَدَيْ مَلِكِهِمْ وَقَدْ أَمَرَهُمْ بِالسُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ (فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ) أَي غَيْرِهِ (إِلَيْهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا سُطِطَا) أَي قَوْلَا ذَا شَطَطٍ أَي إِفْرَاطٍ فِي الْكُفْرِ إِنْ دَعَوْنَا إِلَيْهَا غَيْرَ اللَّهِ فَرَضَا

﴿هَتُولَاءِ قَوْمًا أَخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥]

١٥ - (هَؤُلَاءِ) مَبْتَدَأُ (قَوْمًا) عَطْفٌ بَيَانُ (اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً لَوْلَا) هَلَا (يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ) عَلِيٌّ عِبَادَتِهِمْ (بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ) بِحُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ (فَمَنْ أَظْلَمُ) أَي لَا أَحَدٌ أَظْلَمُ (مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بِنِسْبَةِ الشَّرِيكِ إِلَيْكَ تَعَالَى قَالَ بَعْضُ الْفَتِيَّةِ لِبَعْضِ

﴿وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهُمْ وَمَا يَمْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأَوْأَى إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]

١٦ - (وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهُمْ وَمَا يَمْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأَوْأَى إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) بِكَسْرِ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْفَاءِ وَبِالْعَكْسِ مَا تَرْتَفِقُونَ بِهِ مِنْ غَدَاءٍ وَعِشَاءٍ

﴿وَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوُّرٌ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْ ذَاتِ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾

١٧ - (وَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوُّرٌ) بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ تَمِيلُ (عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) نَاحِيَتَهُ (وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْ ذَاتِ الشَّمَالِ) تَتَرَكَّهُمْ وَتَتَجَاوَزُ عَنْهُمْ فَلَا تَصِيَّبُهُمُ الْبَتَّةُ (وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ) مَتَسِعَ مِنَ الْكَهْفِ يَنَالُهُمْ بَرْدُ الرِّيحِ وَنَسِيمُهَا (ذَلِكَ) الْمَذْكُورُ (مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) دَلَائِلُ قُدْرَتِهِ (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ) وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا .

﴿وَتَحَسَّبُ أَنْفِكَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ وَنُقُلُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ

والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك (زِينَةً لَهَا لِنَبِيلُوهُمْ) لِنَخْتِيرِ النَّاسَ نَاطِرِينَ إِلَى ذَلِكَ (أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) فِيهِ أَي أَزْهَدُ لَهُ

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨]

٨ - (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا) فَتَنَاتَا (جُرُزًا) يَابَسَا لَا يَنْبِتُ

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩]

٩ - (أَمْ حَسِبْتَ) أَي ظَنَنْتَ (أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ) الْغَارِ فِي الْجَبَلِ (وَالرَّقِيمِ) اللَّوْحِ الْمَكْتُوبِ فِيهِ أَسْمَاؤُهُمْ وَأَنْسَابُهُمْ وَقَدْ سُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قِصَّتِهِمْ (كَانُوا) فِي قِصَّتِهِمْ (مِنْ) جَمَلَةٍ (آيَاتِنَا عَجَبًا) خَبِيرٌ كَانَ وَمَا قَبْلَهُ حَالٌ أَي كَانُوا عَجَبًا دُونَ بَاقِي الْآيَاتِ أَوْ أَعْجَبُهَا لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾

١٠ - اذْكَرُ (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ) جَمْعُ فَتَى وَهُوَ الشَّابُّ الْكَامِلُ خَائِفِينَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمُ الْكُفَّارِ (فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ) مِنْ قَبْلِكَ (رَحْمَةً وَهَيِّئْ) أَصْلَحْ (لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) هِدَايَةً

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾

١١ - (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ) أَي أُنْمَنَاهُمْ (فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا) مَعْدُودَةٌ

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾

١٢ - (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ) أَيْقَظْنَاهُمْ (لِنَعْلَمَ) عِلْمُ مَشَاهِدَةٍ (أَيُّ الْحِزْبَيْنِ) الْفَرِيقَيْنِ الْمَخْتَلِفِينَ فِي مَدَّةِ لَبِثِهِمْ (أَحْصَى) أَفْعَلَ بِمَعْنَى أَضْبَطَ (لِمَا لَبِثُوا) لِلْبِثِّهِمْ مَتَعَلَقٌ بِمَا بَعْدَهُ (أَمَدًا) غَايَةٌ

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]

١٣ - (نَحْنُ نَقُصُّ) نَقَرَأُ (عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ) بِالصِّدْقِ (لأنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَيْهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا سُطِطَا﴾

أَطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوْلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِّتَ مِنْهُمْ
رُغْبًا ﴿ [الكهف: ١٨]

١٨ - (وَتَحَسَّبْتُهُمْ) لو رأيتمهم (أَيْقَاطًا) أي متبهين لأن أعينهم مفتوحة جمع يقظ بكسر القاف (وَهُمْ رُقُودٌ) نيام جمع راقد (وَتَقَلَّبْتُهُمْ ذَاتَ الْجَبِينِ) وذات الشمالى لئلا تأكل الأرض لحومهم (وَكَلَّبْتُهُمْ بَاسِطَ ذِرَاعَيْهِ) يديه (بِالْوَصِيدِ) ببناء الكهف وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم في النوم واليقظة (لَوْ) أطلعت عليهم لوليت منهم فِرَارًا ولملئت بالتشديد والتخفيف (مِنْهُمْ رُغْبًا) بسكون العين وضمها معهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾

١٩ - (وَكَذَلِكَ) كما فعلنا بهم ما ذكرنا (بَعَثْنَاهُمْ) أبقظناهم (لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ) عن حالهم ومدة لبثهم (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول ثم (قَالُوا) متوقفين في ذلك (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ) بسكون الراء وكسرهما بفضتكم (هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ) يقال إنها المسماة الآن طرسوس بفتح الراء (فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا) أي: أي أطعمة المدينة أحل (فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا)

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠]

٢٠ - (لَئِنْهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ) يقتلوكم بالرجم (أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ) ولن تفلحوا (إِذًا) أي إن عدتم في ملتهم (أَبَدًا) .

﴿وَكَذَلِكَ أَخْرَجْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا﴾

٢١ - (وَكَذَلِكَ) كما بعثناهم (أَخْرَجْنَا) أطلعنا

(عَلَيْهِمْ) قومهم والمؤمنين (لِيَعْلَمُوا) أي قومهم (أَنَّ) وعد الله) بالبعث (حَقٌّ) بطريق أن القادر على إنامتهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غذاء قادر على إحياء الموتى (وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ) لا شك (فِيهَا إِذْ) معمول لـ (أَعْرَضْنَا) (يَتَنَزَّعُونَ) أي المؤمنون والكفار (يَبْتَئِنُّهُمْ أَمْرُهُمْ) أمر الفتية في البناء حولهم (فَقَالُوا) أي الكفار (ابْنُوا عَلَيْهِمْ) أي حولهم (بُنْيَانًا) يسترهم (رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ) قال الذين غلبوا على أمرهم) أمر الفتية وهم المؤمنون (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم) حولهم (مَسْجِدًا) يصلى فيه وفعل ذلك على باب الكهف .

﴿سَيَقُولُونَ لَنَنصُرَنَّكَ نَبِيُّنَا وَمَنْ يَنْصُرُنَا اللَّهُ فَمَا لَمْ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ أَمْ نَسِيتَ الْمَوْلَىٰ سِدْرَةَ أَمْ لَبِثْتَ فِي الْمَقَابِرِ قَالُوا لَنْبُؤُنَا بِهِمْ لَوْلَا ذِكْرُ اللَّهِ الْوَاسِعِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [الكهف: ٢٢]

٢٢ - (سَيَقُولُونَ) أي المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي ﷺ أي يقول بعضهم لبعض هم (ثَلَاثَةٌ) رابعهم (كَلْبُهُمْ) يقولون) أي بعضهم (خَمْسَةٌ) سادسهم (كَلْبُهُمْ) والقولان لنصارى نجران (رَجْمًا) بالغيب) أي ظنا في الغيبة عنهم وهو راجع إلى القولين معا ونصبه على المفعول له أي لظنهم ذلك (وَيَقُولُونَ) أي المؤمنون (سَبْعَةٌ) وثامسهم (كَلْبُهُمْ) الجملة من المبتدأ وخبره صفة سبعة بزيادة الواو وقيل تأكيد ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضي وصحيح (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) قال ابن عباس أنا من القليل وذكرهم سبعة (فَلَا تَمَارٍ) تجادل (فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا) مما أنزل عليك (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ) تطلب الفتيا (مِنْهُمْ) من أهل الكتاب اليهود (أَحَدًا) وسأله أهل مكة عن خير أهل الكهف فقال أخبركم به غذا ولم يقل: إن شاء الله فنزل (١) .

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُمْ غَدًا﴾

٢٣ - (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ) أي لأجل شيء (إِنِّي) فاعل ذلك غداً) أي فيما يستقبل من الزمان (٢) .

(١) أسباب نزول الآيات ٢٣ - ٢٤ - ٢٥: أخرج ابن مردويه أيضاً عن ابن عباس قال: أنزلت: «وَلْيَبُؤُوا فِي كَهْفِهِمْ

٢٧ - (وَأْتَلُ مَا أُوجِي إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلتَحِدًا) ملجأ.

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]

٢٨ - (وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ) احبسها (مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ) عبادتهم (وَجْهَهُ) تعالى لا شيئا من أعراض الدنيا وهم الفقراء (وَلَا تَعْدُ) تنصرف (عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) عبر بهما عن صاحبهما (تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا) أي القرآن هو عينية بن حصن وأصحابه (وَأَتَّبَعَ هَوَاهُ) في الشرك (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) إسرافاً (١).

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾

[الكهف: ٢٩]

٢٩ - (وَقُلِ) له ولأصحابه هذا القرآن (الْحَقُّ) من ربكم (فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) تهديد لهم (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ) أي الكافرين (نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) ما أحاط بها (وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) كعكر الزيت (يَشْوِي الْوُجُوهَ) من

(١) أسباب نزول الآية ٢٨: قوله تعالى: «وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ» الآية. تقدم سبب نزولها في سورة الأنعام في حديث خباب. قوله تعالى: «وَلَا تُطِعْ» الآية.

أخرج ابن مردويه من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: «وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا»، قال: نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه الله، من طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة فنزلت.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع قال: حدثنا أن النبي ﷺ تصدَّى لأمية بن خلف وهو ساوٍ غافل عما يقال له فنزلت.

* وأخرج عن أبي هريرة قال: دخل عيينة بن حصن على النبي ﷺ وعنده سلمان، فقال عيينة: إذا نحن أتيناك فأخرج هذا وأخرجنا، فنزلت.

﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِّنْ هَذَا رَشَدًا﴾

٢٤ - (إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ) أي إلا متلبسا بمشيئة الله تعالى بأن تقول إن شاء الله (وَأَذْكُرْ رَبَّكَ) أي مشيئته معلقا بها (إِذَا نَسِيتَ) التعليق بها ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول قال الحسن وغيره ما دام في المجلس (وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِّنْ هَذَا) من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتي (رَشَدًا) هداية وقد فعل الله ذلك

﴿وَلْيُتُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]

٢٥ - (وَلْيُتُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ) بالتثنية (سِنِينَ) عطف بيان لثلاثمائة وهذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكتاب شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين وقد ذكرت في قوله (وَازْدَادُوا تِسْعًا) أي تسع سنين فثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع قمرية

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتُوا لَهُمْ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]

٢٦ - (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتُوا) ممن اختلفوا فيه وهو ما تقدم ذكره (لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي علمه (أَبْصِرْ بِهِ) أي بالله هي صيغة تعجب (وَأَسْمِعْ) به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمعته وهما على جهة المجاز والمراد أنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شيء (مَا لَهُمْ) لأهل السموات والأرض (مِن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ) ناصر (وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) لأنه غني عن الشريك

﴿وَأْتَلُ مَا أُوجِي إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلتَحِدًا﴾

ثَلَاثَ مِائَةٍ: فقيل: يا رسول الله سنين أو شهورًا؟ فأنزل الله: «سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا».

* وأخرجه ابن جرير عن الضحاك.

* وأخرج ابن مردويه أيضًا عن ابن عباس قال: حلف النبي ﷺ على عيينة، فمضى له أربعون ليلة، فأنزل الله: «وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا» «إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ».

﴿وَكَانَ لَمْ نَمُرْ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ
مِنَكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤]

٣٤ - (وَكَانَ لَهُ) مع الجنتين (تَمُرٌّ) بفتح الثاء
والميم وبضمهما وبضم الأول وسكون الثاني وهو
جمع ثمرة ك شجرة وشجر وخشبة وخشب وبدنة
وبدن (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ) المؤمن (وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) يفاحره
(أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) عشيرة .

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ يَبِيدَ
هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣٥]

٣٥ - (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ) بصاحبه يطوف به فيها
ويريه أثمارها ولم يقل جنتيه إرادة للروضة وقيل
اكتفاء بالواحد (وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) بالكفر (قَالَ مَا
أَظُنُّ أَنْ يَبِيدَ) تنعدم (هَذِهِ أَبَدًا) .

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]

٣٦ - (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) ولئن رُودتُ إلى
رَبِّي) في الآخرة على زعمك (لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا
مُنْقَلَبًا) مرجعا .

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ
تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]

٣٧ - (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) يجاوبه
(أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ) لأن آدم خلق منه
(ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) مني (ثُمَّ سَوَّكَ) عدلك وصيرك
(رَجُلًا) .

﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾

٣٨ - (لَيْكِنَّا) أصله لكن أنا نقلت حركة
الهمزة إلى النون أو حذفت الهمزة ثم ادغمت النون
في مثلها (هُوَ) ضمير الشأن يفسره الجملة بعده
والمعنى أنا أقول (اللَّهُ رَبِّي) ولا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا) .

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾

٣٩ - (وَلَوْلَا) هلا (إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ) قُلْتَ
عند إعجابك بها هذا (مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)
وفي الحديث من أعطي خيرا من أهل أو مال
فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم ير

حره إذا قرب منها (يُبَسِّسَ الشَّرَابُ) هو (وَسَاءَتْ) أي
النار (مُرْتَفَقًا) تمييز منقول عن الفاعل أي قبح
مرتفقا وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة وحسنت
مرتفقا وإلا فأَي ارتفاق في النار

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ
أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]

٣٠ - (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) إِنَّا لَا
نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) الجملة خبر إن الذين
وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر والمعنى أجرهم أي
نضيهم بما تضمنه

﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسْوَدٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثُّوَابُ وَحَسُنَتْ
مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١]

٣١ - (أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّتٌ عَدْنٌ) إقامة (تَجْرَىٰ)
من تَخْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسْوَدٍ) قيل من
زائدة وقيل للتبعيض وهي جمع أسورة ك أحمرة
جمع سوار (مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ
سُنْدُسٍ) مارق من الديداج (وَإِسْتَبْرَقٍ) ما غلظ منه
وفي آية الرحمن بطائنها من إستبرق (مُتَّكِينَ فِيهَا
عَلَى الْأَرَائِكِ) جمع أريكة وهي السرير في الحجلة
وهي بيت يزين بالثياب والستور للعرس (نِعْمَ
الثُّوَابُ) الجزاء الجنة (وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) .

﴿وَأَمْرٌ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ
أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾

٣٢ - (وَأَمْرٌ) اجعل (لَهُمْ) للكفار مع
المؤمنين (مَثَلًا رَجُلَيْنِ) بدل وهو وما بعده تفسير
للمثل (جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا) الكافر (جَنَّتَيْنِ) بستانين
(مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا)
يقتات به

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَمَانَتْ أَكْلُهُمَا وَلَمْ تَظَلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا
خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ [الكهف: ٣٣]

٣٣ - (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ) كلتا مفرد يدل على
التثنية مبتدأ (ءَامَانَتْ) خبره (أَكْلُهُمَا) ثمرها (وَلَمْ تَظَلِمِ)
تنقص (مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا) أي شققنا (خِلَالَهُمَا نَهْرًا)
يجري بينهما

فَاخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا ﴿٤٥﴾ [الكهف: ٤٥]

٤٥ - (واضرب) صير (لهم) لقومك (مقل) الحياة الدنيا) مفعول أول (كمائ) مفعول ثان (أنزلناه من السماء) فاختلط به) تكاثف بسبب نزول الماء (نبات الأرض) أو امتزج الماء بالنبات فروي وحسن (فأصبح) صار النبات (هشيمًا) يابسًا متفرقة أجزاؤه (تذروه) تنثره وتفرقه (الرياح) فتذهب به المعنى شبه الدنيا نبات حسن فيبس فتكسر ففرقه الرياح وفي قراءة الريح (وكان الله على كل شيء مقديرًا) قادرًا.

﴿أَمَّا الْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَيِّنَاتُ
الَّذِي خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾

٤٦ - (الأمال والبون زينة الحياة الدنيا) يتجمل بهما فيها (والباقيات الصالحات) هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر زاد بعضهم ولا حول ولا قوة إلا بالله (خير عند ربك ثوابًا وخير أملاً) أي ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالى .

﴿وَيَوْمَ نُسِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ
تُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]

٤٧ - (و) اذكر (يوم نسر الجبال) يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباء منبثا وفي قراءة بالنون وكسر الباء ونصب الجبال (وترى الأرض بارزة) ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره (وحشرناهم) المؤمنين والكافرين (فلم تعادرن) ترك (منهم أحدا) .

﴿وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨]

٤٨ - (وعرضوا على ربك صفا) حال أي مصطفين كل أمة صف ويقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) أي فرادى حفاة عراة غرلا ويقال لمنكري البعث (بل زعتم) أن مخففة من الثقيلة أي أنه (ألن نجعل لكم موعدًا) للبعث.

﴿وَوَضِعَ الْكُتُبَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُسْفِينَ مِمَّا فِيهِ
يَقُولُونَ يُوْتَلْنَا مَا لَنَا هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً

فِيهِ مَكْرُوهًا (إِنْ تَرَىٰ أَنَا) ضمير فصل بين المفعولين (أقل منك مالا وولدا) .

﴿فَمَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَرَيْسِلَ عَلَيْهَا
حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصِيعَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾

٤٠ - (فمسي ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك) جواب الشرط (ويؤيسل عليها حسانا) جمع حسابة أي صواعق (من السماء) فتصيح صعيدا زلقا أرضا ملساء لا يثبت عليها قدم

﴿أَوْ يُصِيعَ مَا وَهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُمْ طَلَبًا﴾

٤١ - (أو يصيح ماوها غورا) بمعنى غائرا عطف على يرسل دون تصبح لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق (فلن تستطيع له طلبا) حيلة تدركه بها

﴿وَأَحْبَطَ بِشَرِّهِ فَأَصْبَحَ يَقْلُبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا
وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي
أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢]

٤٢ - (وأحبط بشرو) بأورجه الضبط السابقة مع جنته بالهلاك فهلكت (فأصبح يقلب كفيه) ندما وتحسرا (على ما أنفق فيها) في عمارة جنته (وهي خاوية) ساقطة (على عروشها) دعائمها للكرم بأن سقطت ثم سقط الكرم (ويقول يا) للتنبيه (لبنتي لم أشرك بربي أحدا) .

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ
مُنْتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٣]

٤٣ - (ولم تكن) بالتاء والياء (له فتنه) جماعة (ينصرونه من دون الله) عند هلاكها (وما كان منتصرا) عند هلاكها بنفسه

﴿هَٰذَاكَ الْوَلِيُّ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾

٤٤ - (هذالك) أي يوم القيامة (الولاية) بفتح الواو النصرة وبكسرهما الملك (لله الحق) بالرفع صفة الولاية وبالجر صفة الجلالة (هو خير ثوابا) من ثواب غيره لو كان يثيب (وخير عقبا) بضم القاف وسكونها عاقبة المؤمنين ونصبيهما على التمييز

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ

والنون (نَادُوا شُرَكَائِي) الأوثان (الَّذِينَ زَعَمْتُمْ) ليشفعوا لكم بزعمكم (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) لم يجيبوهم (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ) بين الأوثان وعابديها (مُؤَبَّقًا) واديا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعا وهو من وبق بالفتح هلك

﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِقُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣]

٥٣ - (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا) أي أيقنوا (أَنَّهُمْ مُوَاعِقُهَا) أي واقعون فيها (وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا) معدلا

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]

٥٤ - (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) بينا (فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ) من كل مثل (صِفَةً) لمحذوف أي مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا (وَكَانَ الْإِنْسَانُ) أي الكافر (أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) خصومة في الباطل وهو تمييز منقول من اسم كان المعنى وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: ٥٥]

٥٥ - (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ) أي كفار مكة (أَنْ يُؤْمِنُوا) مفعول ثانٍ (إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ) القرآن (وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ) إلا أن تأتيهم سنة الأولى (فَاعِلٌ) أي سنتنا فيهم وهي الإهلاك المقدر عليهم (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا) مقابلة وعيانا وهو القتل يوم بدر وفي قراءة بضمين جمع قبيل أي أنواعا .

﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَجِئُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْقُلُوبَ وَيَتَّخِذُوا عَآيِنِي وَمَا أَنْزَرُوا هُزُوعًا﴾ [الكهف: ٥٦]

٥٦ - (وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ) إلا مبشرين (وَمُنذِرِينَ) للمؤمنين (وَمُنذِرِينَ) مخوفين للكافرين (وَيُجَادِلُ) الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ بقولهم : أبعث الله بشرا رسولا ونحوه (لِيُدْحِضُوا بِهِ) ليبطلوا بجدهم (الْحَقَّ) القرآن (وَاتَّخِذُوا آيَاتِي) أي القرآن (وَمَا أَنْزَرُوا) به من النار (هُزُوعًا) سخرية

وَلَا كِبِيرَةً إِلَّا أَحْصَنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]

٤٩ - (وَوُضِعَ الْكِتَابُ) كتاب كل امرئ في يمينه من المؤمنين وفي شماله من الكافرين (فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (مُشْفِقِينَ) خائفين (مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ) عند معابنتهم ما فيه من السيئات (يَا لِلتَّبِيهِ (وَيَلْتَنَّا) هلكتنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه (مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً) من ذنوبنا (إِلَّا أَحْصَاهَا) عددها وأثبتها تعجبوا منه في ذلك (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) مثبتا في كتابهم (وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا) لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَهُمْ عِزٌّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْجَالِمِينَ بَدَلًا﴾

٥٠ - (وَإِذْ) منصوب ب اذكر (قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سجدوا انحناء لا وضع جبهة تحية له (فَسَجَدُوا) إلا إبليس كان من الجن قيل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل وقيل منقطع وإبليس هو أبو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم (فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) أي خرج عن طاعته بترك السجود (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ) الخطاب لآدم وذريته والهاء في الموضوعين لإبليس (أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي) تطيعونهم (وَهُمْ لَكُمْ عِدُوٌّ) أي أعداء حال (يَفْسُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) إبليس وذريته في إطاعتهم بدل إطاعة الله

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُخَيَّرِينَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١]

٥١ - (مَا أَشْهَدْتُهُمْ) أي إبليس وذريته (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ولا خلق أنفسهم أي لم أحضر بعضهم خلق بعض (وَمَا كُنْتُمْ مُخَيَّرِينَ) الشياطين (عَضُدًا) أعوانا في الخلق فكيف تطيعونهم

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢]

٥٢ - (وَيَوْمَ) منصوب ب اذكر (يَقُولُ) بالياء

﴿نَسِيًا حُوتَهُمَا﴾ نسي يوشع حمله عند الرحيل ونسي موسى تذكيره ﴿فَاتَّخَذَ الحوت (سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ) أَي جعله يجعل الله (سَرَبًا) أَي مثل السرب وهو الشق الطويل لانفاذ له وذلك أن الله تعالى أمسك عن الحوت جري الماء فانجاب عنه فبقي كالكرة لم يلتصم وجمد ما تحته منه

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءُنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]

٦٢ - ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء من ثاني يوم (قَالَ) موسى (لِفَتْنَاهُ) آتِنَا غَدَاءُنَا) هو ما يؤكل أول النهار (لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) تعبًا وحصوله بعد المجاوزة

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣]

٦٣ - ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ) أَي تنسبه (إِذْ أَوْتِنَا إِلَى الصَّخْرَةِ) بذلك المكان (فَأِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ) وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ) يبدل من الهاء (أَن أَذْكُرَهُ) بدل اشتغال أي أنساني ذكره (وَاتَّخَذَ الحوت (سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَبًا) مفعول ثان أي يتعجب منه موسى وقتاه لما تقدم في بيانه

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَى ءَأْتَارِهِمَا قَصَصًا﴾

٦٤ - ﴿قَالَ) موسى (ذَلِكَ) أي فقدنا الحوت (مَا) أي الذي (كُنَّا نَبِغُ) نطلبه فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه (فَأَرْتَدَّا) رجعا (عَلَى ءَأْتَارِهِمَا) يقصانها (قَصَصًا) فأتيا الصخرة

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّنْ لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]

٦٥ - ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا) هو الخضر (ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا) نبوة في قول وولاية في آخر وعليه أكثر العلماء (وعَلَّمْنَاهُ مِمَّنْ لَّدُنَّا) من قبلنا (عِلْمًا) مفعول ثان أي معلوما من المغيبات روى البخاري حديث أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فستل أي الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يا

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَأَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧]

٥٧ - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) ما عمل من الكفر والمعاصي (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً) أُغْطِيَةٌ (أَن يَفْقَهُوهُ) أي من أن يفهموا القرآن أي فلا يفهمونه (وَفِي ءَأَذَانِهِمْ وَقْرًا) ثقلا فلا يسمعون (وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا) أي بالجعل المذكور (أَبَدًا) .

﴿وَرَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ العَذَابُ بَل لَّهُمْ مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْيلًا﴾ [الكهف: ٥٨]

٥٨ - ﴿وَرَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم) في الدنيا (بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ العَذَابُ) فيها (بَل لَّهُمْ مَّوْعِدٌ) وهو يوم القيامة (لَن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْيلًا) ملجأ .

﴿وَرَبُّكَ القَرُؤَى أَهْلَكْتَهُم لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]

٥٩ - ﴿وَرَبُّكَ القَرُؤَى) أي أهلها كعاد وثمود وغيرهما (أَهْلَكْتَهُم لَمَّا ظَلَمُوا) كفروا (وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم) لإهلاكهم (وَفِي قِرَاءَةِ بفتح الميم أي لهلاكهم (مَّوْعِدًا) .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]

٦٠ - واذكر (وَإِذْ قَالَ مُوسَى) هو ابن عمران (لِفَتْنَاهُ) يوشع بن نون كان يتبعه ويخدمه ويأخذ عنه العلم (لَآ أَبْرَحُ) لا أزال أسير (حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ) ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق أي المكان الجامع لذلك (أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) دهرًا طويلا في بلوغه إن بعد .

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١]

٦١ - ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا) بين البحرين

علمك واصبر (حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) أي
أذكره لك بعلته فقبل موسى شرطه رعاية لأدب
المتعلم مع العالم

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا
لِنُفِرَّ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]

٧١ - (فَانطَلَقَا) يمشيان على ساحل البحر
(حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ) التي مرت بهما
(خَرَقَهَا) الخضر بأن اقتلع لوحا أو لوحين منها من
جهة البحر بفأس لما بلغت اللجج (قَالَ) له موسى
(أَخَرَقْنَاهَا لِنُفِرَّ أَهْلَهَا) وفي قراءة بفتح التحتانية
والراء ورفع أهلها (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) أي عظيما
منكرا روي أن الماء لم يدخلها

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾

٧٢ - (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
صَبْرًا)

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي
عَسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣]

٧٣ - (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) أي غفلت
عن التسليم لك وترك الإنكار عليك (وَلَا تُرْهِقْنِي)
تكلفني (مِنْ أَمْرِي عَسْرًا) مشقة في صحبتي إياك
أي عاملني فيها بالعسر واليسر

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً
بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]

٧٤ - (فَانطَلَقَا) بعد خروجهما من السفينة
يمشيان (حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا) لم يبلغ الحنث يلبس
مع الصبيان أحسنهم وجها (فَقَتَلَهُ) الخضر بأن
ذبحه بالسكين مضطجعا أو اقتلع رأسه بيده أو
ضرب رأسه بالجدار أقوال وأتى هنا بالفاء العاطفة
لأن القتل عقب اللقاء وجواب إذا (قَالَ) له موسى
(أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً) بتشديد الياء بلا ألف أي طاهرة
لم تبلغ حد التكليف وفي قراءة زاكية (بِغَيْرِ نَفْسٍ)
أي لم تقتل نفسا (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا) بسكون
الكاف وضمها أي منكرا

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾

٧٥ - (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
صَبْرًا) زاد لك على ما قبله لعدم العذر هنا

رب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتا فتجعله في
مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فأخذ حوتا
فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع
ابن نون حتى أتيا الصخرة ووضعوا رأسيهما فناما
واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط
في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وأمسك الله
عن الحوت جريه بالماء فصار عليه مثل الطاق
فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت
فانطلقا بقية يومهما وليلتها حتى إذا كانا من
الغداة قال موسى لفتاه آتيا غداةنا إلى قوله واتخذ
سبيله في البحر عجبنا قال وكان للحوت سربا
ولموسى وفتاه عجبنا إلخ

﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَيَّ أَنْ تَمْلِكُنَّ مِنِّي مِمَّا عَلَّمْتَ
رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]

٦٦ - (قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَيَّ أَنْ
تَمْلِكُنَّ مِنِّي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا) أي صوابا أرشد به وفي
قراءة بضم الراء وسكون الشين وسأله ذلك لأن
الزيادة في العلم مطلوبة

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]

٦٧ - (قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾

٦٨ - (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا)
في الحديث السابق عقب هذه الآية يا موسى إني
على علم من الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم
من الله علمكه الله لا أعلمه وقوله خبرا مصدر
بمعنى لم تحط أي لم تخبر حقيقته

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾

٦٩ - (قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا
أَعْصِي) أي وغير عاص (لَكَ أَمْرًا) تأمرني به وقيدهم
بالمشيئة لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم
وهذه عادة الأنبياء والأولياء أن لا يشقوا بأنفسهم
طرفة عين

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحَدِيثَ لَكَ
مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]

٧٠ - (قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي) وفي قراءة
بفتح اللام وتشديد النون (عَنْ شَيْءٍ) تنكره مني في

﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رِجْمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رِجْمًا﴾

٨١ - (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا) بالتشديد والتخفيف (رِجْمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً) أي صلاحا وتقى (وأقرب) منه (رِجْمًا) بسكون الحاء وضمها رحمة وهي البر بوالديه فأبدلها تعالى جارية تزوجت نبيا فولدت نبيا فهدى الله تعالى به أمة

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ مَالٍ مَدْفُونٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾

٨٢ - (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ مَالٍ مَدْفُونٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) فحفظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما (فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا) أي إيناس رشدهما (وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) مفعول له عامله أراد (وَمَا فَعَلْتُهُ مِنْ خَرَقِ السَّفِينَةِ وَقَتْلِ الْغُلَامِ وَإِقَامَةِ الْجِدَارِ) (عَنْ أَمْرِي) أي اختياري بل بأمر إلهام من الله (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) ويقال استطاع واسطاع بمعنى أطاق ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين ونوعت العبارة في فأردت فأردنا فأراد ربك ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْبَيْنِ قُلْ سَأَلْتُمُوهُنَّ عَنْ شَيْءٍ مِنْكُمْ وَمِنْهُ ذِكْرٌ﴾ [الكهف: ٨٣]

٨٣ - (وَيَسْأَلُونَكَ) أي اليهود (عَنْ ذِي الْقُرْبَيْنِ) اسمه الإسكندر ولم يكن نبيا (قُلْ سَأَلْتُمُوهُنَّ) من حاله (ذِكْرًا) خبرا

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾

٨٤ - (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ) بتسهيل السير فيها (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه (سَبَبًا) طريقا يوصله إلى مراده

﴿فَاتَّبَعِ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥]

٨٥ - (فَاتَّبَعِ سَبَبًا) سلك طريقا نحو المغرب

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْجُبًا فِي ظِلِّ جَمْرٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْبَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ مُعَذِّبٌ وَإِنَّمَا أَنْتَ نَجْدٌ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦]

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦]

٧٦ - ولهذا (قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا) أي بعد هذه المرة (فَلَا تُصَاحِبْنِي) لا تتركني أتبعك (قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي) بالتشديد والتخفيف من قبلي (عُذْرًا) في مفارقتك لي

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَ أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾

٧٧ - (فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ) هي أنطاكية (اسْتَطَعَا أَهْلَهَا) طلبا منهم الطعام بضيافة (فَأَبْوَأَ أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا) ارتفاعه مائة ذراع (يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ) أي يقرب أن يسقط لميلانه (فَأَقَامَهُ) الخضر بيده (قَالَ) له موسى (لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ) وفي قراءة لاتخذت (عَلَيْهِ أَجْرًا) جعلنا حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]

٧٨ - (قَالَ) له الخضر (هَذَا فِرَاقُ) أي وقت فراق (بَيْنِي وَبَيْنِكَ) فيه إضافة بين إلى غير متعدد سوغها تكريره بالعطف بالواو (سَأُنَبِّئُكَ) قبل فراقه لك (بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾

٧٩ - (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ) عشرة (يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ) بها مؤاجرة لها طلبا للكسب (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ) إذا رجعوا أو أمامهم الآن (مَلِكٌ) كافر (يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ) صالحة (غَصْبًا) نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ

﴿وَأَمَّا الْفُلُفُلُ فَكَانَ آبَاؤُهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠]

٨٠ - (وَأَمَّا الْفُلُفُلُ فَكَانَ آبَاؤُهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) فإنه كما في حديث مسلم : طبع كافرا ولو عاش لأرهبهما ذلك لمحبتهما له يتبعانه في ذلك.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: ٩٣]

٩٣ - (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ) بفتح السين وضمها هنا وبعدهما جبلان بمنقطع بلاد الترك سد الإسكندر ما بينهما كما سيأتي (وَجَدَ مِن دُونِهِمَا) أي أمامهما (قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا) أي لا يفهمونه إلا بعد ببطء وفي قراءة بضم الباء وكسر القاف

﴿قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ إِنَّا فَجَّرْنَا بِكَم مَقَابِلَ الْمَأثُومِ ﴿٩٤﴾ فَجَعَلْنَا لِكُلِّ مَجْمُوعٍ غَايَةً وَمَا كَانَ لَهُمْ فِيهَا مِن مَّقَرٍّ ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف: ٩٤-٩٥]

٩٤ - (قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ إِنَّا فَجَّرْنَا بِكَم مَقَابِلَ الْمَأثُومِ) بالهمز وتركه هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا (مُقَابِلَ فِي الْأَرْضِ) بالنهْب والبعْغى عند خروجهم إلينا (فَجَعَلْنَا لِكُلِّ مَجْمُوعٍ غَايَةً) جعلنا من المال وفي قراءة خراجا (عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا) حاجزا فلا يصلوا إلينا

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥]

٩٥ - (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) وفي قراءة بنونين من غير إدغام (فِيهِ رَبِّي) من المال وغيره (خَيْرٌ) من خرجكم الذي تجعلونه لي فلا حاجة بي إليه وأجعل لكم السد تبرعا (فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ) لما أطلبه منكم (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) حاجزا حصينا

﴿آتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ ﴿٩٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]

٩٦ - (آتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ) قطعة على قدر الحجارة التي يبنى بها فبنى بها وجعل بينها الحطب والفحم (حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ) بضم الحرفين وفتحهما وضم الأول وسكون الثاني أي جانبي الجبلين بالبناء ووضع المنافع والنار حول ذلك (قَالَ انْفُخُوا) فنفخوا (حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ) أي الحديد (نَارًا) أي كالنار (قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا) هو النحاس المذاب تنازع فيه الفعلان وحذف من الأول لاعمال الثاني فأفرغ النحاس المذاب على الحديد المحمي فدخل بين زبره

٨٦ - (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ) موضع غروبها (وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) ذات حمأة وهي الطين الأسود وغروبها في العين في رأي العين وإلا فهي أعظم من الدنيا (وَوَجَدَ عِنْدَهَا) أي العين (قَوْمًا) كافرين (قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ) بالهام (إِنَّمَا أَنْ تَعَذَّبَ) القوم بالقتل (وَأِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا) بالأسر .

﴿قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ [الكهف: ٨٧]

٨٧ - (قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ) بالشرك (فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ) نقتله (ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا) يسكون الكاف وضمها شديدا في النار

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقَدِّمُ لَهُ مِن أَمْرٍ آيسُرًا﴾ [الكهف: ٨٨]

٨٨ - (وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ) أي الجنة والإضافة للبيان وفي قراءة جزءا وتوينه قال الفراء ونصبه على التفسير أي لجهة النسبة (وَسَنُقَدِّمُ لَهُ مِن أَمْرٍ آيسُرًا) أي نأمره بما يسهل عليه .

﴿ثُمَّ أُنْبِئُ سَبِيًّا﴾ [الكهف: ٨٩]

٨٩ - (ثُمَّ أُنْبِئُ سَبِيًّا) نحو المشرق

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ أَمْرٌ لَّهَا شَتْرٌ وَإِنَّا لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠]

٩٠ - (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ) موضع طلوعها (وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ) هم الزنج (لَمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا) أي الشمس (سِتْرًا) من لباس ولا سقف لأن أرضهم لا تحمل بناء ولهم سرور يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها

﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٩١]

٩١ - (كَذَٰلِكَ) أي الأمر كما قلنا (وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ) أي عند ذي القرنين من الآلات والجند وغيرهما (خُبْرًا) علما

﴿ثُمَّ أُنْبِئُ سَبِيًّا﴾ [الكهف: ٩٢]

٩٢ - (ثُمَّ أُنْبِئُ سَبِيًّا)

فصار شيئا واحدا

﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾

٩٧- (فَمَا اسْتَطَعُوا) أي يأجوج ومأجوج (أَنْ يَظْهَرُوهُ) يعلوا ظهره لارتفاعه وملاسته (وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا) حرقا لصلابته وسمكه

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]

٩٨- (قَالَ) ذو القرنين (هَذَا) أي السد أي الإقذار عليه (رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي) نعمة لأنه مانع من خروجهم (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي) بخروجهم القريب من البعث (جَعَلَهُ دَكَّاءَ) مذكوكا مبسوطا (وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي) بخروجهم وغيره (حَقًّا) كائنا

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمَاعًا﴾ [الكهف: ٩٩]

٩٩- (وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ) يوم خروجهم (يَمُوجُ فِي بَعْضٍ) يختلط به لكثرتهم (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) أي القرن للبعث (فَجَمَعْنَاهُمْ) أي الخلائق في مكان واحد يوم القيامة (جَمَاعًا) .

﴿وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾

١٠٠- (وَعَرَّضْنَا) قربنا (جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ) لِلْكَافِرِينَ (عَرَضًا)

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١]

١٠١- (الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ) بدل من الكافرين (فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي) أي القرآن فهم عمي لا يهتدون به (وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) أي لا يقدرُونَ أن يسمعوا من النبي ما يتلو عليهم بغضا له فلا يؤمنوا به

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ آلِهَاتِهِ إِذَا أَعْتَدْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٢]

١٠٢- (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أَنْ يَتَّخِذُوا (عِبَادِي مِنْ دُونِ آلِهَاتِهِ) أي ملائكتي وعيسى وعزير (مِنْ دُونِ آلِهَاتِهِ) أربابا مفعول ثانٍ لـ يتخذوا والمفعول الثاني لـ حسب محذوف المعنى أظن أن الاتخاذ المذكور لا بغضبي ولا أعاقبهم عليه كلا (إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ

لِلْكَافِرِينَ) هؤلاء وغيرهم (نُزُلًا) أي هي معدة لهم كالمنزل المعد للضيف

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: ١٠٣]

١٠٣- (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) تمييز طابق المميز وبينهم بقوله

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]

١٠٤- (الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بطل عملهم (وَهُمْ يُحْسِنُونَ) يظنون (أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) عملا يجازون عليه

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]

١٠٥- (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) بدلائل توحيدهِ من القرآن وغيره (وَلِقَائِهِ) أي وبالبعث والحساب والثواب والعقاب (فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) بطلت (فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا) أي لا نجعل لهم قدرا .

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا﴾ [الكهف: ١٠٦]

١٠٦- (ذَلِكَ) أي الأمر الذي ذكرت عن حبوط أعمالهم وغيره مبتدأ خبره (جَزَاءُ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا) أي مهزوءا بهما

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]

١٠٧- (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) كَانَتْ لَهُمْ (جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ) هو وسط الجنة وأعلاها والإضافة إليه للبيان (نُزُلًا) منزلا

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]

١٠٨- (خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ) يطلبون (عَنْهَا حِوَلًا) تحولا إلى غيرها

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾

سورة مريم

(مكية) إِلَّا آيَتِي (٥٨) و (٧١) فَمَجْنُونَاتٍ وَأَيَاتِهَا

(٩٨) ثَمَامٌ وَتَسْعَوْنَ آيَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَهَيْعَصَ﴾ [مريم: ١]

١ - (كَهَيْعَصَ) الله أعلم بمراده بذلك

﴿ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢]

٢ - هذا (ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ) مفعول لرحمة (زَكَرِيَّا) بيان له

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]

٣ - (إِذْ) متعلق برحمة (نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً) مشتملا على دعاء (خَفِيًّا) سرا في جوف الليل لأنه أسرع للإجابة

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ سَبِيحًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]

٤ - (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ) ضعف (العظم) جميعه (مِنِّي) واشتعل الرأس) مني (شَقِيًّا) تمييز محول عن الفاعل أي انتشر الشيب في شعره كما ينتشر النار في الحطب وإني أريد أن أدعوك (وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ) أي بدعائي إياك (رَبِّ شَقِيًّا) أي خائبا فيما مضى فلا تخيبي فيما يأتي

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]

٥ - (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ) أي الذين يلوني في النسب كبني العم (مِنْ وَرَائِي) أي بعد موتي على الدين أن يضيعوه كما شاهده في بني إسرائيل من تبادل الدين (وَكَاثِبِ امْرَأَتِي عَاقِرًا) لا تلد (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ) من عندك (وَلِيًّا) ابنا ﴿بِرَبِّي وَرَبِّكَ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾

٦ - (بِرَبِّي) بالجزم جواب الأمر وبالرفع صفة وليا (وَرَبِّكَ) بالوجهين (مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) جدي العلم والنسب (وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) أي مرضيا عندك قال تعالى في إجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته

١٠٩ - (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ) أي ماؤه (مِذَاذًا) هو ما يكتب به (لِكَلِمَاتِ رَبِّي) الدالة على حكمه وعجائبه بأن تكتب به (لَتَفَدَّ الْبَحْرُ) في كتابتها (قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ) بالتاء والياء تفرغ (كَلِمَاتِ رَبِّي) ولو جئنا بِمِثْلِهِ) أي البحر (مِذَاذًا) زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هي ونصبه على التمييز

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجِدْتُ فَنَ كَانُ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّي فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّيهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]

١١٠ - (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ) آدمي (مِثْلُكُمْ) يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ (وَجِدْتُ) أن المكشوفة بما باقية على مصدريتها والمعنى يوحى إلي وحدانية الإله (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو) يأمل (لِقَاءَ رَبِّي) بالبعث والجزاء (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّيهِ) أي فيها بأن يراني (أَحَدًا) (١)

(١) أسباب نزول الآية ١٠٩: أخرج الحاكم وغيره عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسال عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا».

* وقال اليهود: أوتينا علماً كثيراً، فنزلت: «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِذَاذًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي» الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ١١٠: أخرج ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص عن طائوس قال: قال رجل: يا رسول الله إني أقف مواقف أريد وجه الله، وأحب أن يرى موطني، فلم يرده عليه شيئاً حتى نزلت هذه الآية: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّيهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّيهِ أَحَدًا» مرسل.

* وأخرجه الحاكم في المستدرک موصولاً عن طائوس عن ابن عباس وصححه على شرط الشيخين.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كان رجل من المسلمين يقاتل وهو يحب أن يرى مكانه، فأنزل الله: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّيهِ» الآية.

* وأخرج أبو نعيم وابن عساکر في تاريخه من طريق الشدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له فزاد في ذلك لمقابلة الناس له، فنزلت في ذلك: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّي» الآية.

٢٠ - قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ بَتْرُوجٍ (وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا) زانية

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾

٢١ - (قَالَ) جبريل الأمر (كَذَلِكَ) من خلق غلام منك من غير أب (قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ) أي بأن ينفخ بأمرى جبريل فيك فتحملي به ولكون ما ذكر في معنى العلة عطف عليه (وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ) على قدرتنا (وَرَحْمَةً مِنَّا) لمن آمن به (وَكَانَ) خلقه (أَمْرًا مَّقْضِيًّا) به في علمي فنفخ جبريل في جيب درعها فأحست بالحمل في بطنها مصورا

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم: ٢٢]

٢٢ - (فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ) تنحت (بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا) بعيدا عن أهلها

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]

٢٣ - (فَأَجَاءَهَا) جاء بها (الْمَخَاضُ) وجع الولادة (إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ) لتعتمد عليه فولدت والحمل والتصوير والولادة في ساعة (قَالَتْ يَا لَلنَّسِيَةِ (لَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا) الأمر (وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا) شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر

﴿فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾

٢٤ - (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) أي جبريل وكان أسفل منها (أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) نهر ماء كان قد انقطع

﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ يَجْنَعُ النَّخْلَةَ سَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾

٢٥ - (وَهَزَىٰ إِلَيْكَ يَجْنَعُ النَّخْلَةَ) كانت يابسة والباء زائدة (تَسْقِطُ) أصله بقاء بين قلبت الثانية سينا وأدغمت في السين وفي قراءة تركها (عَلَيْكَ رُطْبًا) تمييز (جَنِيًّا) صفته

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ

إِنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]

٢٦ - (فَكُلِي) من الرطب (وَاشْرَبِي) من

السري (وَقَرِّي عَيْنًا) بالولد تمييز محول من الفاعل أي لتقر عينك به أي تسكن فلا تطمح إلى غيره (فَأِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة (تَرِينِ) حذفت منه لام الفعل وعينه والقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لإلتقاء الساكنين (مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا) فيسألك عن ولدك (فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) أي إمساكا عن الكلام في شأنه وغيره من الأناسي بدليل (فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) أي بعد ذلك

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧]

٢٧ - (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ) حال فرأوه (قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) عظيمًا حيث أتيت بولد من غير أب

﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]

٢٨ - (يَا أُخْتِ هَارُونَ) هو رجل صالح أي يا شبيهته في العفة (مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا) أي زانيا (وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا) أي زانية فمن أين لك هذا الولد

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾

٢٩ - (فَأَشَارَتْ) لهم (إِلَيْهِ) أن كلموه (قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ) أي وجد (فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا)

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾

٣٠ - (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ) أي الإنجيل (وَجَعَلَنِي نَبِيًّا)

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]

٣١ - (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ) أي نفاعا للناس إخبار بـ ما كتب له (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ) أمرني بهما (مَا دُمْتُ حَيًّا)

﴿وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا سَفِيًّا﴾

٣٢ - (وَبَرًّا بِوَالِدِي) منصوب بـ جعلني مقدرًا (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا) متعاطفا (سَفِيًّا) عاصيا لربه

الآخرة (لَكِنَّ الظَّالِمُونَ) من إقامة الظاهر مقام المضمرة (اليَوْم) أي في الدنيا (في ضلالٍ مُّبِين) أي بين به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره أي إعجب منهم يا مخاطب في سمعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صما عميا

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَشْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]

٣٩ - (وَأَنْذَرَهُمْ) خوف يا محمد كفار مكة (يَوْمَ الْحَشْرَةِ) هو يوم القيامة يتحسر فيه المسيء على ترك الإحسان في الدنيا (إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ) لهم فيه بالعذاب (وَهُمْ) في الدنيا (في غَفْلَةٍ) عنه (وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) به

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْحَمُونَ﴾

٤٠ - (إِنَّا نَحْنُ) تأكيد (نَرِثُ الْأَرْضَ) وَمَنْ عَلَيْهَا) من العقلاء وغيرهم بإهلاكهم (وَالَّذِينَ يُرْحَمُونَ) فيه للجزاء

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾

٤١ - (وَأَذْكُرْ) لهم (في الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ) أي خبره (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا) مبالغا في الصدق (نَبِيًّا) ويدل من خبره

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]

٤٢ - (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ) آزر (يَا أَبَتِ) التاء عوض عن ياء الإضافة ولا يجمع بينهما وكان يعبد الأصنام (لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ) لا يكفيك (شَيْئًا) من نفع أو ضرر

﴿يَتَأْتِيَ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلَمَاءِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعَنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣]

٤٣ - (يَا أَبَتِ) إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلَمَاءِ) مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعَنِي) أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) طريقا (سَوِيًّا) مستقيما

﴿يَتَأْتِيَ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤]

٤٤ - (يَا أَبَتِ) لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ) بطاعتك إياه في عبادة الأصنام (لِأَنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا) كثير العصيان

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣]

٣٣ - (وَالسَّلَامُ) من الله (عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) يقال فيه ما تقدم في السيد يحيى

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤]

٣٤ - (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) قَوْلَ الْحَقِّ) بالرفع خير مبتدأ مقدر أي قول ابن مريم وبالنصب بتقدير قلت والمعنى القول الحق (الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) من المرية أي يشكون وهم النصارى قالوا إن عيسى ابن الله كذبوا

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥]

٣٥ - (مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ) تنزيها له عن ذلك (إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا) أي أراد أن يحدثه (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) بالرفع بتقدير هو وبالنصب بتقدير أن ومن ذلك خلق عيسى من غير أب

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

٣٦ - (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) فَاعْبُدُوهُ) بفتح أن بتقدير اذكر وبكسرهما بتقدير قل بدليل ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم (هَذَا) المذكور (صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ) مؤد إلى الجنة

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧]

٣٧ - (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) أي النصارى في عيسى أهو ابن الله أم إله معه أو ثالث ثلاثة (فَوَيْلٌ) فشدة عذاب (لِلَّذِينَ كَفَرُوا) بما ذكر وغيره (مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أي حضور يوم القيامة وأهواله

﴿أَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادَىٰ لِلَّذِينَ اسْتَلْمُوا أَيُّ الْبَشَرِ هِيَ أَشْبَحُ بِكُمْ وَأُبْصِرُ مَا أَبْصَرْتُمْ وَلَكِنِ الْمَلَأُوا قُلُوبَهُمْ غُفْلًا﴾ [مريم: ٣٨]

٣٨ - (أَسْمِعْ بِكُمْ وَأُبْصِرُ) بهم صيغة تعجب بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم (يَوْمَ يُنَادَىٰ) في

﴿يَتَأْتِيَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٥]

٤٥ - يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ إِنْ لَمْ تَتُبْ (فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) ناصرا وقرينا في النار

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لِمَ لَمْ تَتَنَّهُ لَآرْحَمَتِكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]

٤٦ - (قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ) فتعييها (لِمَ لَمْ تَتَنَّهُ) عن التعرض لها (لَآرْحَمَتِكَ) بالحجارة أو بالكلام القبيح فاحذرني (واهْجُرَنِي مَلِيًّا) دهرا طويلا

﴿قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُمْ كَانُوا فِي حَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]

٤٧ - (قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ) مني أي لا أصيبك بمكروه (سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُمْ كَانُوا فِي حَقِيًّا) من حفي أي بارا فيجيب دعائي وقد أوفى بوعده المذكور في الشعراء واغفر لابي وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكره في براءة

﴿قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُمْ كَانُوا فِي حَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]

٤٨ - (وَأَعْتَرَلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ) تعبدون (مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا) أعبد (رَبِّي عَسَى) أن (أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي) بعبادته (شَقِيًّا) كما شقيتم بعبادة الأصنام

﴿فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٩]

٤٩ - (فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) بأن ذهب إلى الأرض المقدسة (وَهَبْنَا لَهُ) ابنين يأنس بهما (إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا) منهما (جَعَلْنَا نَبِيًّا) .

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]

٥٠ - (وَوَهَبْنَا لَهُمْ) للثلاثة (مِّن رَّحْمَتِنَا) المال والولد (وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) رفيعا هوثناء الحسن في جميع أهل الأديان

﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَوْسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١]

٥١ - (وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ) موسى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا بكسر اللام وفتحها من أخلص في عبادته وخلصه الله من الدنس (وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا) ﴿وَنَدَبْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾

٥٢ - (وَنَادَيْنَاهُ) بقول يا موسى إني انا الله (مِن جَانِبِ الطُّورِ) اسم الجبل (الْأَيْمَنِ) أي الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) مناجيا بأن أسمع الله تعالى كلامه

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣]

٥٣ - (وَوَهَبْنَا لَهُ) مِن رَّحْمَتِنَا (نَعْمَتَنَا) (أَخَاهُ هَارُونَ) بدل أو عطف بيان (نَبِيًّا) حال هي المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه وكان أسن منه

﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]

٥٤ - (وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ) إسماعيل إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ لم يعد شيئا إلا وفي به وانظر من وعد ثلاثة أيام أو حولا حتى رجع إليه في مكانه (وَكَانَ رَسُولًا) إلى جرهم (نَبِيًّا) .

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾

٥٥ - (وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ) أي قومه (بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ) وكان عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا اصله مرضوا وأقليت الواوان ياءن والضمة كسرة

﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾

٥٦ - (وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ) إدريس هو جد أبي نوح (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا)

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]

٥٧ - (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) هو حي في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة أو في الجنة ادخلها بعد أن اذيق الموت واحيي ولم يخرج منها

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا

وَأَجْبَيْنَا إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾

٥٨ - (أَوْلَيْكَ) مبتدأ (الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) صفة له (مِّنَ النَّبِيِّينَ) بيان له وهو في معنى الصفة وما بعده الى جملة الشرط صفة للنبیین فقوله (مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ) أي إدريس (وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) في السفينة أي إبراهيم ابن ابنه سام (وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ) أي إسماعيل وإسحق ويعقوب ومن ذرية (إِسْرَائِيلَ) وهو يعقوب أي موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى (وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا) أي من جملتهم وخبر اولئك (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) جمع ساجد وبك أي فكونوا مثلهم وأصل بكى بكوي قلبت الواو ياء والضممة كسرة ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً﴾ [مريم: ٥٩]

٥٩ - (فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ) بتركها كاليهود والنصارى (وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ) من المعاصي (فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً) وهو واد في جهنم أي يقعون فيه ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٠]

٦٠ - (إِلَّا) لكن (مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ) ينقصون (شَيْئًا) من ثوابهم ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ [مريم: ٦١]

٦١ - (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) إقامة بدل من الجنة (الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ) حال أي غائبين عنها (إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ) أي موعوده (مَأْتِيًا) بمعنى آتيا وأصله مأتوي أو موعوده هنا الجنة يأتيه أهله ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ فِيهَا فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيًا﴾ [مريم: ٦٢]

٦٢ - (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا) من الكلام (إِلَّا) لكن يسمعون (سَلَامًا) من الملائكة عليهم أو من بعضهم على بعض (وَلَهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيًا) أي على قدرهما في الدنيا وليس في الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبدا

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾

٦٣ - (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ) نعطي وننزل (مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا) بطاعته ونزل لما تأخر الوحي أياما وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَمَّا بَكَرْنَا أَيْدِيَنَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا يَبْكُ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]

٦٤ - (وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ) لَمَّا بَكَرْنَا أَيْدِيَنَا أي أماننا من أمور الآخرة (وَمَا خَلَقْنَا) من أمور الدنيا (وَمَا يَبْكُ ذَلِكَ) أي ما يكون في هذا الوقت إلى قيام الساعة أي له علم ذلك جميعه (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) بمعنى ناسيا أي تاركا لك بتأخير الوحي عنك

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]

٦٥ - هو (رَبُّ) مالك (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ) أي اصبر عليها (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) أي مسمى بذلك لا ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِثُّ لَسُوفَ أَخْرَجُ حَيًّا﴾

٦٦ - (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ) المنكر للبعث ابي بن خلف أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية (أَيْدِيًا) بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإدخال الألف بينها بوجهيها وبين الأخرى (مَا مِثُّ لَسُوفَ أَخْرَجُ حَيًّا) من القبر كما يقول محمد فالاستفهام بمعنى النفي

١٩ - سورة مريم

(١) أسباب نزول الآية ٦٤ : أخرج البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: أبطأ جبريل في النزول أربعين يوما فذكر نحوه.

* وأخرج ابن مردويه عن أنس قال: سأل النبي ﷺ جبريل أي البقاع أحب إلى الله، وأبغض إلى الله؟ فقال: ما أدري حتى أسأل، فنزل جبريل وكان قد أبطأ عليه، فقال: لقد أبطأت علي حتى ظننت أن ترى علي موجدة، فقال: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية.

* وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس أن قريشا لما سألوا عن أصحاب الكهف مكث خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيا، فلما نزل جبريل قال له: أبطأت، فذكره.

(وَأَحْسَنُ نَذِيرًا) بمعنى النادي وهو مجتمع القوم يتحدثون فيه يعنون نحن فنكون خيرا منكم .

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنَا وَرِيًّا﴾

٧٤ - (وَكَمْ) أي كثيرا (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) أي امة من الأمم الماضية (هُمْ أَحْسَنُ أَثْنَا) مالا ومتاعا (وَرِيًّا) منظرا من الرؤية فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء .

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ [مريم: ٧٥]

٧٥ - (قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ) شرط جوابه (فَلْيَمْدُدْ) فجوابه بمعنى الخير أي يمد (لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا) في الدنيا يستدرجه (حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ) كالقتل والأسر (وَإِمَّا السَّاعَةَ) المشتملة على جهنم فيدخلونها (فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا) أعوانا أهم أم المؤمنون وجندهم الشياطين وجند المؤمنين عليهم الملائكة

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَغِيثَ

الضَّلِيعَ حَتَّىٰ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾

٧٦ - (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا) بالإيمان (هُدًى) بما ينزل عليهم من الآيات (وَالْبَغِيثَ الضَّلِيعَ) هي الطاعة تبقى لصاحبها (خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا) أي ما يرد إليه ويرجع بخلاف أعمال الكفار والخيرية هنا في مقابلة قولهم أي الفريقين خير مقاما

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأَوْتِيَنَّهُ مَا لَمْ يُولَدْنَا

٧٧ - (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا) العاصي بن وائل (وَقَالَ) لخباب بن الأرت إلقايل له تبعت بعد الموت والمطالب له بمال (لَأَوْتِيَنَّهُ) على تقدير البعث (مَا لَمْ يُولَدْنَا) فأقضيك (١)

(١) أسباب نزول الآية ٧٧: أخرج الشبخان وغيرهما عن خباب بن الأرت قال: جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقا لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا حتى تموت ثم تبعت، قال: فإني لميت ثم لمبعوث؟ فقلت: نعم، فقال: إن لي هناك مالا وولدا فأقضيك فنزلت: «أَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأَوْتِيَنَّهُ مَا لَمْ يُولَدْنَا».

أي لا أحيا بعد الموت وما زائدة للتأكيد وكذا اللام ورد عليه بقوله تعالى

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾

٦٧ - (أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ) أصله يتذكر أبذلت التاء ذالا وادغمت في الذال وفي قراءة تركها وسكون الذال وضم الكاف (أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) فيستدل بالابتداء على الإعادة

﴿فَوَرَبِّكَ لَنُحْضِرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨]

٦٨ - (فَوَرَبِّكَ لَنُحْضِرَنَّهُمْ) أي المنكرين للبعث (وَالشَّيَاطِينَ) أي نجمع كلا منهم وشيطانه في سلسلة (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ) من خارجها (جِثِيًّا) على الركب جمع جاث وأصله جثو أو جنوي من جثا يجثو أو يجثي لغتان

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا﴾

٦٩ - (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ) فرقة منهم (أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا) جراءة

﴿ثُمَّ لَنَعْلَمَنَّ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ [مريم: ٧٠]

٧٠ - (ثُمَّ لَنَعْلَمَنَّ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا) أحق بجهنم الأشد وغيره منهم (صِلِيًّا) دخولا واحترافا فبدأ بهم وأصله صلوي من صلي بكسر اللام وفتحها

﴿وَإِنْ يَسْكُرُوا إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾

٧١ - (وَإِنْ) أي ما (مُنْكُمْ) أحد (إِلَّا وَارِدُهَا) أي داخل جهنم (كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) حتمه وقضى به لا يتركه

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾

٧٢ - (ثُمَّ نُنَجِّي) مشددا ومخففا (الَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك والكفر منها (وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ) بالشرك والكفر (فِيهَا جِثِيًّا) على الركب

﴿وَإِذَا نُتِلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءآيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾

٧٣ - (وَإِذَا نُتِلَّىٰ عَلَيْهِمْ) أي المؤمنين والكافرين (آيَاتُنَا) من القرآن (بَيِّنَاتٍ) واضحات حال (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ) نحن وأنتم (خَيْرٌ مَقَامًا) منزلا ومسكنا بالفتح من قام وبالضم من أقام

﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَوْ آتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾

٧٨ - قال تعالى : (أَطَّلَعَ الْغَيْبَ) أي أعلمه وأن يؤتى ما قاله واستغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل فحذفت (أَمْ آتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) بأن يؤتى ما قاله

﴿كَأَلَّا سَكَتُكُمْ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾

٧٩ - (كَأَلَّا) أي لا يؤتى ذلك (سَكَتُكُمْ) نأمر بكتب (مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا) نزيده بذلك عذابا فوق عذاب كفره

﴿وَنَزَّلْنَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم : ٨٠]

٨٠ - (وَنَزَّلْنَاهُ مَا يَقُولُ) من المال والولد (وَيَأْتِينَا) يوم القيامة (فَرْدًا) لا مال له ولا ولد

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾

٨١ - (وَاتَّخَذُوا) أي كفار مكة (مِن دُونِ اللَّهِ) الأوثان (الْإِهْتَهُ) يعبدونهم (لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) شفعاء عند الله بأن لا يعذبوا

﴿كَأَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾

٨٢ - (كَأَلَّا) أي لا مانع من عذابهم (سَيَكْفُرُونَ) أي الآلهة (بِعبَادَتِهِمْ) أي ينفونها كما في آية أخرى ما كانوا إيانا يعبدون (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) أعوانا وأعداء

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾

٨٣ - (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ) سلطاناهم (عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ) تهيجهم الى المعاصي (أَزًّا).

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ [مريم : ٨٤]

٨٤ - (فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ) بطلب العذاب (إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ) الأيام والليالي أو الأنفاس (عَذَابًا) إلى وقت عذابهم

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم : ٨٥]

٨٥ - اذكر (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ) بإيمانهم (إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) جمع وافد بمعنى راكب

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا﴾ [مريم : ٨٦]

٨٦ - (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ) بكفرهم (إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا) جمع وارد بمعنى ماش عطشان

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾

٨٧ - (لَا يَمْلِكُونَ) أي الناس (الشَّفَعَةَ) إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) أي شهادة أن لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم : ٨٨]

٨٨ - (وَقَالُوا) أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) قال تعالى لهم

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مريم : ٨٩]

٨٩ - (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) أي منكرا عظيما ﴿نَكَادُ السَّمَوَاتِ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشُقُ الْأَرْضُ وَتُحْزِرُ الْجِبَالَ هُدًّا﴾ [مريم : ٩٠]

٩٠ - (تَكَادُ) بالتاء والياء (السَّمَوَاتِ يَنْفَطِرْنَ) بالتاء وتشديد الطاء وفي قراءة (ينفطرن) بالنون بالإنشقاق (مِنْهُ وَتَنْشُقُ الْأَرْضُ وَتُحْزِرُ الْجِبَالَ هُدًّا) أي تنطبق عليهم من أجل

﴿أَن دَعَا إِلَى الرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم : ٩١]

٩١ - (أَن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا)

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم : ٩٢]

٩٢ - (وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) أي ما يليق به ذلك

﴿إِن كُفِّرْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آءَاتِيَ الرَّحْمَنِ عَذَابًا﴾

٩٣ - (إِن) أي ما (كُفِّرْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آءَاتِيَ الرَّحْمَنِ عَذَابًا) ذليلا خاضعا يوم القيامة منهم عزيز وعيسى

﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم : ٩٤]

٩٤ - (لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا) فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم : ٩٥]

٩٥ - (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) بلا مال ولا نصير يمنعه

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ

الرَّحْمَنُ وَذَا ﴿مريم: ٩٦﴾

٩٦ - (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وِدًّا) فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تعالى .
﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُ يِلْسَانُكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾

[مريم: ٩٧]

٩٧ - (فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُ) أي القرآن (يِلْسَانُكَ) العربي (لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ) الفائزين بالإيمان (وتُنذِرَ) تخوف (بِهِ قَوْمًا لُدًّا) جمع ألد أي جدل بالباطل وهم كفار مكة
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾

[مريم: ٩٨]

٩٨ - (وَكَمْ) أي كثيرا (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) أي أمة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل (هل تحس) تجد (مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) صوتا خفيا لا فكما أهلكنا اولئك نهلك هؤلاء.

* * *

٢٠- سورة طه

مكية إلا آياتي ١٣٠ ، ١٣١ فمجنبتا وأياتها

١٣٥ مائة وخمسة وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طه﴾

١ - (طه) الله أعلم بمراده بذلك

﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ٢]

٢ - (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) يا محمد (لِتَشْقَى)

(١) أسباب نزول الآية ٩٦ : أخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن عوف لما هاجر إلى المدينة وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة: منهم شيبة وعتبة ابني ربيعة وأميمة بن خلف، فأنزل الله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وِدًّا) قال: محبة في قلوب المؤمنين.

للتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل أي خفف عن نفسك

﴿إِلَّا نَذْكُرَهُ لِمَنْ يَحْتَسِبُ﴾ [طه: ٣]

٣ - (إِلَّا) لكن أنزلناه (تَذْكِرَةً) به (لِمَنْ يَحْتَسِبُ) يخاف الله

﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ [طه: ٤]

٤ - (تَنْزِيلًا) بدل من اللفظ بفعله الناصب له (مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى) جمع عليا ككبرى وكبر

﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]

٥ - هو (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ) وهو في اللغة سرير الملك (اسْتَوَى) استواء يليق به تعالى

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه: ٦]

٦ - (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) من المخلوقات (وما تحته الثرى) هو التراب الندي والمراد الأرضون السبع لأنها تحته

﴿وَإِنْ نَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]

٧ - (وَإِنْ نَجْهَرُ بِالْقَوْلِ) في ذكر أو دعاء فالله غني عن الجهر به (فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) منه أي ما حدثت به النفس وما خطر ولم تحدث به فلا تجهد نفسك بالجهر

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨]

٨ - (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) التسع والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الأحسن

٢٠- سورة طه

(١) أسباب نزول الآيات ١-٢: أخرج ابن مردويه عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان أول ما أنزل عليه الوحي يقوم على صدور قدميه إذا صلى، فأنزل: «طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى»

* وأخرج عبد بن حميد في تفسيره عن الربيع بن أنس قال: قالوا: كان النبي ﷺ يراوح بين قدميه ليقوم على كل رجل حتى نزلت: «طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» * وأخرج ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس قال: قالوا: لقد شقي الرجل بربه، فأنزل الله: «طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى».

الإيمان بها (مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) فِي
إِنْكَارِهَا (فَتَزِدِّي) أَي فَتَهْلِكُ إِنْ صَدَدْتَ عَنْهَا

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: ١٧]

١٧ - (وَمَا تِلْكَ) كَائِنَةُ (بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى)
الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة فيها

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى

غَنِيِّ وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨]

١٨ - (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ) أَعْتَمَدَ (عَلَيْهَا)
عند الوثوب والمشى (وَأَهُشُّ) أَحْبَطَ وَرَقَ الشَّجَرِ
(بِهَا) لِيَسْقُطَ (عَلَى غَنِيِّ) فَتَأْكَلَهُ (وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ)
جمع مَآرِبَةٍ مِثْلُ الرِّاءِ أَي حَوَائِجِ (أُخْرَى) كَحَمَلِ
الزَّادِ وَالسَّقَاءِ وَطَرْدِ الْهُوَامِ وَزَادَ فِي الْجَوَابِ بَيَانُ
حَاجَاتِهَا بِهَا

﴿قَالَ أَلْقِيهَا يَا مُوسَى﴾ [طه: ١٩]

١٩ - (قَالَ أَلْقِيهَا يَا مُوسَى)

﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ سَتْنَى﴾ [طه: ٢٠]

٢٠ - (فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ) ثَعْبَانٌ عَظِيمٌ
(تَسْتَعِي) تَمَشِي عَلَى بَطْنِهَا سَرِيعًا كَسَرْعَةِ الثَّعْبَانِ
المسمى بالجان المعبر به فيها في آية أخرى

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَ سَعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾

٢١ - (قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَ) مِنْهَا (سَعِيدُهَا)
سِيرَتِهَا) مَنْصُوبٌ بِزَعِ الخَافِضِ أَي إِلَى حَالَتِهَا
(الْأُولَى) فَادْخَلَ يَدَهُ فِي فَمِهَا فَعَادَتْ عَصَا وَتَبَيَّنَ
أَنْ مَوْضِعَ الإِدْخَالِ مَوْضِعَ مَسْكِهَا بَيْنَ شَعْبَتَيْهَا
وَأَرَى ذَلِكَ السَّيِّدَ مُوسَى لَثَلًا يَجْزَعُ إِذَا انْقَلَبَتْ حَيَّةٌ
لدى فرعون

﴿وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ
آيَةٌ أُخْرَى﴾ [طه: ٢٢]

٢٢ - (وَأَضْمُ يَدَكَ) اليمنى بمعنى الكف
(إِلَى جَنَاحِكَ) إِلَى جَنَبِكَ الأيسر تحت العضد إلى
الإبط وأخرجها (تَخْرُجُ) خِلافَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ
الأدمة (بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أَي بَرِصَ تَضْيِءُ
كشعاع الشمس تغشي البصر (آيَةٌ أُخْرَى) وَهِيَ
وَبَيْضَاءُ حَالَانَ مِنْ ضَمِيرِ تَخْرُجَ

﴿وَهَلْ أُنْتَكِ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [طه: ٩]

٩ - (وَهَلْ) قَدْ (أُنْتَكِ حَدِيثُ مُوسَى)

﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي
مَأْيِكُمْ يَتَّبِعُونِي أَوْ أُجِذُّ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾

١٠ - (إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ) لِامْرَأَتِهِ
(امْكُثُوا) هُنَا وَذَلِكَ فِي مَسِيرِهِ مِنْ مَدِينِ طَالِبَا مِصْرَ
(إِنِّي آنَسْتُ) أَبْصَرْتُ (نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ)
بشعلة في رأس فتيلة أو عود (أَوْ أُجِذُّ عَلَى النَّارِ)
هُدًى) أَي هَادِيًا يَدْلِينِي عَلَى الطَّرِيقِ وَكَانَ أَخْطَأُهَا
لظلمة الليل وقال لعل لعدم الجزم بوفاء الوعد

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى﴾ [طه: ١١]

١١ - (فَلَمَّا أَتَاهَا) وَهِيَ شَجَرَةُ عَوْسَجٍ (نُودِيَ)
يَا مُوسَى)

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾

١٢ - (إِنِّي) بِكسْرِ الهمزة بتأويل نودي بقيل
وبفتحها بتقدير الباء (أَنَا) تَأْكِيدٌ لِإِياءِ الْمُتَكَلِّمِ (رَبُّكَ)
فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) المَطْهَرِ أَوْ
المبارك (طُوًى) بَدَلٌ أَوْ عَطْفٌ بَيَانٌ بِالتَّنْوِينِ وَتَرْكَةُ
مِصْرُوفٍ بِاعْتِبَارِ الْمَكَانِ وَغَيْرِ مِصْرُوفٍ لِلتَّأْنِيثِ
باعتبار البقعة مع العلمية

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه: ١٣]

١٣ - (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ) مِنْ قَوْمِكَ (فَاسْتَمِعْ لِمَا
يُوحَى) إِلَيْكَ مِنِّي

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
لِيذْكُرَنِي﴾ [طه: ١٤]

١٤ - (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ لِيذْكُرَنِي) فِيهَا

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
سَعَتْ﴾

١٥ - (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) عَنْ النَّاسِ
ويظهر لهم قريبها بعلاماتها (لِتُجْزَى) فِيهَا (كُلُّ نَفْسٍ
بِمَا سَعَتْ) بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرِّ

﴿فَلَا يُصَدِّدْكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَزِدِّي﴾

١٦ - (فَلَا يُصَدِّدْكَ) بِصِرْفِنِكَ (عَنْهَا) أَي عَنْ

﴿لِيُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ [طه: ٢٣]

٢٣- (لِيُرِيكَ) بها إذا فعلت ذلك لإظهارها (من آيَاتِنَا) الآية (الكُبْرَى) أي العظمى على رسالتك وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى فضعها إلى جناحه كما تقدم وأخرجها

﴿أَذْهَبَ إِلَيْكَ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤]

٢٤- (أَذْهَبَ) رسولا (إِلَى فِرْعَوْنَ) ومن معه (إِنَّهُ طَغَى) جاوز الحد في كفره إلى ادعاء الإله

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥]

٢٥- (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) وسعه لتحمل الرسالة

﴿وَوَيْسَرَ لِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٦]

٢٦- (وَيَسِّرْ) سهل (لِي أَمْرِي) لأبلغها

﴿وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ [طه: ٢٧]

٢٧- (واخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي) حدثت من احتراقه بجمرة وضعها فيه وهو صغير

﴿يَقْفَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٨]

٢٨- (يَقْفَهُوا) يفهموا (قَوْلِي) عند تبليغ الرسالة

﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ [طه: ٢٩]

٢٩- (وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا) معيننا عليها (مِنْ أَهْلِي)

﴿هَؤُلَاءِ أَهْلِي﴾ [طه: ٣٠]

٣٠- (هَؤُلَاءِ) مفعول ثاني (أَهْلِي) عطف بيان

﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ [طه: ٣١]

٣١- (اشدُدْ بِهِ أَزْرِي) ظهري

﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٣٢]

٣٢- (وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) أي الرسالة والفعالان بصيغتي الأمر والمضارع المجزوم وهو جواب الطلب

﴿كَيْ سُبْحَكَ كَبِيرًا﴾ [طه: ٣٣]

٣٣- (كَيْ سُبْحَكَ) تسيحا (كَبِيرًا)

﴿وَنَذُرُكَ كَبِيرًا﴾ [طه: ٣٤]

٣٤- (وَنَذُرُكَ) ذكرا (كَبِيرًا)

﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٣٥]

٣٥- (إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا) عالما فأنتعمت بالرسالة

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: ٣٦]

٣٦- (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) منا عليك

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ [طه: ٣٧]

٣٧- (وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى)

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى﴾ [طه: ٣٨]

٣٨- (إِذْ) للتعليل (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) مناما أو إلهاما لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد (مَا يُوحَى) في أمرك ويبدل منه

﴿أَنْ أَقْذِيبَهُ فِي الثَّابُوتِ فَأَقْذِيبَهُ فِي الْبَيْرِ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَمْ يَأْلَمِ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]

٣٩- (أَنْ أَقْذِيبَهُ) ألقيه (فِي الثَّابُوتِ) فاقذِيبه (فِي الْبَيْرِ) فليلقه اليمُّ (بِالسَّاحِلِ) أي شاطئه والأمر بمعنى الخبر (يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي) وعَدُوٌّ لَمْ يَأْلَمِ) بعد أن أخذك (عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) لتحب في الناس فأحبك فرعون وكل من رآك (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) تربي على رعايتي وحفظي لك

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ ۗ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَلَّتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَّاكَ فُتُونًا ۗ فَلَمَّا قَلَّتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [طه: ٤٠]

٤٠- (إِذْ) للتعليل (تَمْشِي أُخْتُكَ) مريم لتتعرف من خبيرك وقد أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منهن (فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ) فأجيبت فجاءت بأمه فقبل ثديها (فَرَجَّعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بلقائك (وَلَا تَحْزَنَ) حينئذ (وَقَلَّتَ نَفْسًا) هو القبطي بمصر فاغتمت لقتله

٤٨ - (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ) ما جئنا به (وَتَوَلَّى) أعرض عنه فأتياه وقالا جميع ما ذكره

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩]

٤٩ - (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ) اقتصر عليه لأنه الأصل ولإدلاله عليه بالترية

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾

٥٠ - (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ) من الخلق (خَلْقَهُ) الذي هو عليه متميز به من غيره (ثُمَّ هَدَىٰ) الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكم وغير ذلك .

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١]

٥١ - (قَالَ) فرعون (فَمَا بَالُ) حال (الْقُرُونِ) الأمم (الْأُولَىٰ) كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثان

• ﴿قَالَ عَلِمْنَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ﴾

٥٢ - (قَالَ) موسى (عَلِمْنَا) أي علم حالهم محفوظ (عِنْدَ رَبِّي) في كتاب هو اللوح المحفوظ يجازيهم عليها يوم القيامة (لَا يَضِلُّ) يغيب (رَبِّي) عن شيء (وَلَا يَنسَىٰ) ربي شيئا

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَوَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَقِيًّا﴾ [طه: ٥٣]

٥٣ - هو (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ) في جملة الخلق (الْأَرْضَ مَهْدًا) فراشا (وسلك) سهل (لَكُمْ) فيها سُبُلًا) طرقا (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطرا قال تعالى تتمينا لما وصفه به موسى وخطابا لأهل مكة (فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا) أصنافا (مِّنْ نَّبَاتٍ شَقِيًّا) أزواجا أي مختلفة الألوان والطعوم وغيرها وشئ جمع شئيت كمرىض ومرضى من شت الأمر تفرق

﴿كُلُوا وَارْزُقُوا أَغْنَمَكُمُ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

٥٤ - (كُلُوا) منها (وارزقوا) أغنمكم) فيها جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم يقال رعت الأنعام ورعيتها والأمر للاباحة وتذكير النعمة والجملة حال

من جهة فرعون (فَتَجْنَبْنَاكَ مِنَ الْعَمِّ) وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) اختبرناك في الإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه (فَلَبِثْتَ سِنِينَ) عشرا (في أهل مَدْيَنَ) بعد مجيئك إليها من مصر عند شعيب النبي وتزوجك بابنته (ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ) في علمي بالرسالة وهو أربعون سنة من عمرك (يَا مُوسَىٰ)

﴿وَأَصْطَفَيْتَكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]

٤١ - (وَأَصْطَفَيْتَكَ) اخترتك (لِنَفْسِي) بالرسالة

﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِآيَاتِنِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾

٤٢ - (أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ) إلى الناس (بِآيَاتِنِي) التسع (وَلَا نَبِيًّا) تفترا (في ذِكْرِي) بتسييح وغيره

﴿أَذْهَبَا إِلَيْكَ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه: ٤٣]

٤٣ - (أَذْهَبَا إِلَيْكَ) فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) بادعائه الربوبية

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَمَلَكٌ مِّنْ دُونِكَ أَوْ يُنْحَاشِي﴾ [طه: ٤٤]

٤٤ - (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا) في رجوعه عن ذلك (لَمَلَكٌ مِّنْ دُونِكَ) يتعظ (أَوْ يُنْحَاشِي) الله فيرجع والترجي بالنسبة إليهما لعلمه تعالى بأنه لا يرجع

﴿قَالَ رَبُّنَا إِنَّا نَخَافُ أَن يُقِرَّ عَلَيْنَا أَوَّارًا يَغْلِبُ﴾

٤٥ - (قَالَ رَبُّنَا إِنَّا نَخَافُ) أَن يُقِرَّ عَلَيْنَا) أي يعجل بالعقوبة (أَوْ أَن يُطْغَى) علينا أي يتكبر

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَىٰ﴾

٤٦ - (قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا) بعوني (أَسْمِعُ) ما يقول (وَأَرَىٰ) ما يفعل

﴿فَأَنبَأَهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَاتٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنِّي أَتَّبِعُ الْهُدَىٰ﴾ [طه: ٤٧]

٤٧ - (فَأَنبَأَهُ) فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا) بَنِي إِسْرَائِيلَ) إلى الشام (وَلَا تَعَذِّبْهُمْ) أي حل عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة كالحففر والبناء وحمل الثقل (قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ) بحجة (مِّنْ رَبِّكَ) على صدقنا بالرسالة (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ) مِنَ اتَّبِعِ الْهُدَى) أي السلامة له من العذاب

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾

الويل (لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) يشارك أحد معه (فَيُشْجِتْكُمْ) بضم الياء وكسر الحاء وفتحتها أي يهلككم (بِعَذَابٍ) من عنده (وَقَدْ خَابَ) خسر (مَنْ أَفْتَرَى) كذب على الله

﴿فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ [طه: ٦٢]

٦٢ - ﴿فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ في موسى وأخيه (وَأَسْرُوا النَّجْوَى) أي الكلام بينهم فيهما

﴿قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾

٦٣ - ﴿قَالُوا﴾ لأنفسهم (إِنَّ هَذَانِ) لأبي عمرو ولغيره ((هذين)) وهو موافق للغة من يأتي في المثني بالالف في أحواله الثلاث (لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ) أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى مؤنث أمثل بمعنى أشرف أي بأشرافكم بملهم إليهما لغلبتهما

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّخْتُ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى﴾ [طه: ٦٤]

٦٤ - ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ من السحر بهمزة وصل وفتح الميم من جمع أي لم وبهمزة قطع وكسر الميم من أجمع أحكم (ثُمَّ اتُّخْتُ صَفًّا) حال أي مصطفين (وَقَدْ أَفْلَحَ) فاز (الْيَوْمَ) مَنْ أَسْتَعْلَى غلب

﴿قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾

٦٥ - ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ﴾ اختر (إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ) عصاك أولا (وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ) عصاه

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]

٦٦ - ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ فألقوا (فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ) أصله عصوو قلبت الواو إياءين وكسرت العين والصاد (يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا) حيات (تَسْعَىٰ) على بطونها

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ﴾ [طه: ٦٧]

٦٧ - ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أحس (فِي نَفْسِهِ خِيفَةً) مُوسَى) أي خاف من جهة أن سحرهم من جنس معجزاته أن يلبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به

من ضمير أخرجنا أي مبيحين لكم الأكل ورعي الإيعام (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور هنا (لآيَاتٍ) لعبرا (لأولي النهى) لأصحاب العقول جمع نهية كغرفة وغرف سمي به العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾

٥٥ - (مِنْهَا) أي من الأرض (خَلَقْنَاكُمْ) بخلق أيكم آدم منها (وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ) مقبورين بعد الموت (وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ) عند البعث (تَارَةً) مرة (أُخْرَى) كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم

﴿وَلَقَدْ آزَيْنَهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَإِنِّي﴾ [طه: ٥٦]

٥٦ - (وَلَقَدْ آزَيْنَاهُ) أي أبصرنا فرعون (آيَاتِنَا كُلَّهَا) التسع (فَكَذَّبَ) بها وزعم أنها سحر (وَإِنِّي) أَنْ يُوْحِدَ اللَّهُ تَعَالَى

﴿قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَّىٰ﴾

٥٧ - ﴿قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر ويكون لك الملك فيها (بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى)

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: ٥٨]

٥٨ - (فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ) يعارضه (فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا) لذلك (لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا) منصوب بنزع الخافض في (سُوًى) بكسر أوله وضمه أي وسطا تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَإِنَّ تُخَشِّرُ النَّاسَ ضَحَّىٰ﴾

٥٩ - ﴿قَالَ﴾ موسى (مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ) يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون (وَإِنَّ تُخَشِّرُ النَّاسَ) يجمع أهل مصر (ضَحَّىٰ) وقته للنظر فيما يقع

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٠]

٦٠ - ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ أدبر (فَجَمَعَ كَيْدَهُ) أي ذوي كيده من السحرة (ثُمَّ أَتَىٰ) بهم الموعد

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَإِلَّاهُكُمْ لَا تُقْرَبُونَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُسْحَرِكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١]

٦١ - ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ﴾ وهم اثنان وسبعون مع كل واحد جبل وعصا (وَإِلَّاهُكُمْ) أي أزمكم الله

الإشراك وغيره (وما أكرهتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السُّحْرِ) تعلمنا
وعملا لمعارضة موسى (وَاللَّهُ خَبِيرٌ) منك ثوابا إذا
اطع (وَأَتَقَى) منك عذابا إذا عصي

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا
وَلَا يَحْيَى﴾ [طه: ٧٤]

٧٤ - قال تعالي (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا)
كافرا كفرعون (فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا)
فيستريح (وَلَا يَحْيَى) حياة تنفعه

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ
الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [طه: ٧٥]

٧٥ - (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ)
الفرائض والنوافل (فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى)
جمع عليا مؤنث أعلی

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ
جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه: ٧٦]

٧٦ - (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) أي إقامة بيان له (تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ
تَزَكَّى) تطهر من الذنوب

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ
طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَحْشَى﴾

٧٧ - (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ
بِعِبَادِي) بهمة قطع من أسرى وبهمة وصل وكسر
النون من سرى لغتان أي أسر بهم ليلا من أرض
مصر (فَاصْرَبْ لَهُمْ) اجعل لهم بعضاك (طَرِيقًا فِي
الْبَحْرِ يَبَسًا) أي يابسا فامتثل ما أمر به وأيسر الله
الأرض فمروا فيها (لَا تَخَافُ دَرَكًا) أي أن
يدركك فرعون (وَلَا تَحْشَى) غرقا

﴿فَأَنبَأَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُودِهِ، فَعَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا عَاشَيْهِمْ﴾

٧٨ - (فَأَنبَأَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُودِهِ) فوعظهم (بِعُودِهِ) وهو معهم
(فَعَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ) أي البحر (مَا عَاشَيْهِمْ) فأغرقهم

﴿وَأَصْلَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: ٧٩]

٧٩ - (وَأَصْلَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ) بدعائهم إلى
عبادته (وَمَا هَدَى) بل أوقعهم في الهلاك خلاف
قوله وما أهديكُم إلا سبيل الرشاد

﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْنَبْنَاكَ مِنَ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ

﴿فَلْنَا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: ٦٨]

٦٨ - (فَلْنَا) له (لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى)

عليهم بالعبية

﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَفًا مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ
سَنَجِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]

٦٩ - (وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ) وهي عصاه
(تَلَفًا) تبتلع (مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاجِرٌ)
أي جنسه (وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى) بسحره
فألقي موسى عصاه فتلقفت كل ما صنعوه

﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سِجْدًا قَالُوا أَمَّا رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾

٧٠ - (فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سِجْدًا) خروا ساجدين
لله تعالي (قَالُوا أَمَّا رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى)

﴿قَالَ أَمَنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ آدَانَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي
عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلْأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ
وَأَصْلَبْتُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا
وَأَتَقَى﴾ [طه: ٧١]

٧١ - (قَالَ) فرعون (أَمَنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين
وإبدال الثانية ألفا (لَمْ قَبْلَ أَنْ آدَانَ) أنا (لَكَبِيرُكُمْ إِنَّهُ
لَكَبِيرُكُمْ) معلمكم (الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلْأَقْطَعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ) حال بمعنى مختلفة
أي الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى (وَأَصْلَبْتُكُمْ
فِي جُدُوعِ النَّخْلِ) أي عليها (وَلَتَعْلَمَنَّ إِنَّا) يعني
نفسه ورب موسى (أَشَدُّ عَذَابًا وَأَتَقَى) أودم على
مخالفته

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْيِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا
فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾

٧٢ - (قَالُوا لَنْ نُؤْيِرَكَ) نخشارك (عَلَىٰ مَا جَاءَنَا
مِنَ الْآيَاتِ) الدالة على صدق موسى (وَالَّذِي
فَطَرَنَا) خلقنا قسم أو عطف على ما (فَاقْضِ مَا أَنْتَ
قَاضٍ) أي اصنع ما قلته (إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا) النصب على الاتساع أي فيها وتجزى عليه
في الآخرة

﴿إِنَّا أَمَّا رَبَّنَا لَيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنْ
السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَتَقَى﴾ [طه: ٧٣]

٧٣ - (إِنَّا أَمَّا رَبَّنَا لَيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا) من

الطَّورِ الْاَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴿٨٠﴾

٨٠ - يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عِدُوِّكُمْ) فرعون ياغراقه (وَوَاعَدْنَاكُمْ بجانِبِ الطُّورِ الْاَيْمَنِ) فنوتى موسى التوراة للعمل بها (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى) هما الترنجيبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر والمنادى من وجد من اليهود زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبي موسى توظفة لقوله تعالى لهم

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾

٨١ - (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) أي المنعم به عليكم (وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ) بأن تكفروا النعمة به (فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي) بكسر الحاء أي يجب وبضمها أي ينزل (وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي) بكسر اللام وضمها (فَقَدْ هَوَى) سقط في النار ﴿وَإِنِّي لَفَعَّاءٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾

٨٢ - (وَإِنِّي لَفَعَّاءٌ لِمَنْ تَابَ) من الشرك (وَأَمَنَ) وحده الله (وَعَمِلَ صَالِحًا) يصدق بالفرض والنفل (ثُمَّ اهْتَدَى) باستمراره على ما ذكر إلى موته ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٣]

٨٣ - (وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ) لمجيء ميعاد أخذ التوراة (يَا مُوسَى)

﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾

٨٤ - (قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ) أي بالقرب مني يأتون (عَلَىٰ أَثَرِي) وعجلت إليك رب ليترضى) عني أي زيادة على رضاك وقبل الجواب أتى بالاعتذار بحسب ظنه وتخلف المظنون لما

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾

٨٥ - (قَالَ) تعالى (فإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ) أي بعد فراقك لهم (وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ) فعبدوا العجل

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقُولُونَ لِمَ يَعْزُبُ عَنْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَطَّالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾

٨٦ - (فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ) من جهنهم (أَسِفًا) شديد الحزن (قَالَ يَا قَوْمِ أَلِمْتُمْ بِعِدَّتِكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا) أي صدقا أنه يعطيكم التوراة (أَطَّالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ) مدة مفارقتي إياكم (أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ) يجب (عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ) بعبادتكم العجل (فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي) وتركتهم المعجى بعدى

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمُلْنَا آوزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾

٨٧ - (قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا) مثلث الميم أي بقدرتنا أو أمرنا (وَلَكِنَّا حُمُلْنَا) بفتح الحاء مخففا وبضمها وكسر الميم مشددا (أَوْزَارًا) أثقالا (مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) أي حلي قوم فرعون استعارها منهم بنو إسرائيل بعله عرس فبقيت عندهم (فَقَدَفْنَاهَا) طرحناها في النار بأمر السامري (فَكَذَلِكَ) كما ألقينا (أَلْقَى السَّامِرِيُّ) ما معه من حليهم ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨]

٨٨ - (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا) صاغه من الحلبي (جَسَدًا) لحما ودما (لَهُ خَوَارٌ) أي صوت يسمع أي انقلب كذلك بسبب التراب الذي أثره الحياة فيما يوضع فيه ووضعه بعد صوغه في فمه (فَقَالُوا) أي السامري وأتباعه (هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ) موسى ربه هنا وذهب يطلبه

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩]

٨٩ - (أَفَلَا يَرَوْنَ) ن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه (لَا يَرْجِعُ) العجل (إِلَيْهِمْ) قَوْلًا) أي لا يرد لهم جوابا (وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا) أي دفعه (وَلَا نَفْعًا) أي جلبه أي فكيف يتخذ إليها ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلِ يَقُولُوا إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠]

٩٠ - (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلِ) أي قبل أن يرجع أن موسى (يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ

الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحْرُفَتِهِ ثُمَّ لَنَسِفْنَهُ فِي
الْيَمِّ نَسْفًا ﴿طه: ٩٧﴾

٩٧ - (قَالَ) له موسى (فَأَذْهَبَ) من بيننا (فَإِنَّ) لَكَ فِي الْحَيَاةِ أي مدة حياتك (أَنْ تَقُولَ) لمن رأته (لَا مَسَاسَ) أي لا تقربني فكان يهيم في البرية وإذا مس أحداً أو مسه أحد حما جميعاً (وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا) لعذابك (لَنْ تُخْلَفَهُ) بكسر اللام أي لن تغيب عنه وبفتحها أي بل تبعث إليه (وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَمْتَ) أصله ظللت بلامين اولاهما مكسورة وحذفت تخفيفاً أي دمت (عَلَيْهِ عَاكِفًا) أي مقبلاً تبعده (لَلنُحْرُفَتِهِ) بالنار (ثُمَّ لَنَسِفْنَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) نذرينه في هواء البحر وفعل موسى بعد ذبحه ما ذكره

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]

٩٨ - (إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) وسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا تمييز محول عن الفاعل أي وسع علمه كل شيء
﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: ٩٩]

٩٩ - (كَذَلِكَ) أي كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة (نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ) أخبار (مَا قَدْ سَبَقَ) من الأمم (وقَدْ آتَيْنَاكَ) أعطيناك (مِنْ لَدُنَّا) من عندنا (ذِكْرًا) قرآناً

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾

١٠٠ - (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ) فلم يؤمن به (فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا) حملاً ثقيلاً من الإثم
﴿خَلِيلَيْنِ فِيهِ وَسَاءَ لِمَنْ لَمْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾

١٠١ - (خَالِدَيْنِ فِيهِ) أي في عذاب الوزر (وسَاءَ لِمَنْ لَمْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حِمْلًا) تمييز مفسر للضمير في ساء والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان ويبدل من يوم القيامة

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]

١٠٢ - (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) القرن النفخة

الرَّحْمَنُ فَأَتَّبِعُنِي) في عبادته (وَأَطِيعُوا أَمْرِي) فيها ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾

٩١ - (قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ) نزال (عَلَيْهِ عَاكِفِينَ) على عبادته مقيمين (حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى)

﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ [طه: ٩٢]

٩٢ - (قَالَ) موسى بعد رجوعه (يَا هَارُونَ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا) بعبادته

﴿أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٣]

٩٣ - (أَلَا تَتَّبِعُنَّ) لا زائدة (أَفْعَصَيْتَ) أمرِّي (بِإِقَامَتِكَ بَيْنَ مَنْ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى)

﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾

٩٤ - (قَالَ) هارون (يَا بَنُؤُمْ) بكسر الميم وفتحها أراد أمي وذكرها أعطف لقلبه (لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي) وكان أخذها بشماله (وَلَا بِرَأْسِي) وكان أخذ شعره بيمينه غضباً (إِنِّي خَشِيتُ) لو اتبعتك (وَلَا بَدَأَ أَنْ يَتَّبِعَنِي جَمْعَ مَنْ لَمْ يَعْبُدُوا الْعَجَلَ) (أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) وتغضب علي (وَلَمْ تَرْقُبْ) تنتظر (قَوْلِي) فيما رأته في ذلك

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُنِي﴾ [طه: ٩٥]

٩٥ - (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ) شأنك الداعي إلى ما صنعت (يَا سَامِرِيُّ)

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦]

٩٦ - (قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) بالياء والثناء أي علمت بما لم يعلموه (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ) تراب (أَثَرِ) حافر فرس (الرَّسُولِ) جبريل (فَنَبَذْتُهَا) القيتها في صورة العجل المصاغ (وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي) لي نفسي ألقى فيها أن أخذ قبضة من تراب ما ذكر والقها على ما لا روح له يصير له روح ورأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلهاً فحدثتني نفسي أن يكون ذلك العجل إلههم

﴿قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مَسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ

الثانية (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) عيونهم مع سواد وجوههم

﴿يَخْخَفُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [طه: ١٠٣]

١٠٣ - (يَخْخَفُونَ بَيْنَهُمْ) يتسارون (إِنْ) ما (لَبِثْتُمْ) في الدنيا (إِلَّا عَشْرًا) من الليالي بأيامها

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه: ١٠٤]

١٠٤ - (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) في ذلك أي ليس كما قالوا (إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ) أعدلهم (طَرِيقَةً) فيه (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا) يستقلون لبثهم في الدنيا جدا لما يعاينونه في الآخرة من أهوالها

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾

١٠٥ - (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ) كيف تكون يوم القيامة (فَقُلْ) لهم (يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا) بأن يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها كالريح

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٦]

١٠٦ - (فَيَذَرُهَا قَاعًا) منبسطة (صَفْصَفًا)

مستويا

﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]

١٠٧ - (لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا) انخفاض (وَلَا أَمْتًا) ارتفاعا

أمتًا

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ

الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]

١٠٨ - (يَوْمَئِذٍ) أي يوم إذ نسفت الجبال

(يَتَّبِعُونَ) أي الناس بعد القيام من القبور (الدَّاعِيَ) إلى المحشر بصوته وهو إسرافيل يقول هلموا إلى عرض الرحمن (لَا عِوَجَ لَهُ) أي لا تبايعهم أي لا يقدر أن لا يتبعوا (وَخَشَعَتِ) سكنت (الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ) فلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) صوت وطء الأقدام في نقلها إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل في مشيها.

﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ إِلَّا مَنْ أَدَانَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ

لَهُمْ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]

١٠٩ - (يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ) أحدا (إِلَّا مَنْ أَدَانَ لَهُ الرَّحْمَنُ) أن يشفع له (وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) بأن يقول لا إله إلا الله

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾

١١٠ - (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمور الآخرة (وَمَا خَلْفَهُمْ) من أمور الدنيا (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) لا يعلمون ذلك

﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ

ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]

١١١ - (وَعَنْتِ الْوُجُوهُ) خضعت (لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) أي الله (وَقَدْ خَابَ) خسر (مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) أي شركا

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ

ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]

١١٢ - (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ) الطاعات (وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا) بزيادة في سيئاته (وَلَا هَضْمًا) بنقص من حسناته

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ

لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ لَوْ يُوْحَدُثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣]

١١٣ - (وَكَذَلِكَ) معطوف على كذلك نقص أي مثل إنزال ما ذكر (أَنْزَلْنَاهُ) أي القرآن (قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا) كررنا (فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ) لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الشرك (أَوْ يُحَدِثُ) القرآن (لَهُمْ ذِكْرًا) بهلاك من تقدمهم من الأمم فيعتبروا

﴿فَتَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

١١٤ - (فَتَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ) عما يقول المشركون (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ) أي بقراءته (مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) أي يفرغ جبريل من إبلاغه (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) أي بالقرآن فكلما انزل عليه شيء منه زاد به علمه (١).

(١) أسباب نزول الآية ١١٤: أخرج ابن أبي حاتم عن الشدي قال: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالقرآن اتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه، يتخوف أن يصعد جبريل ولم يحفظه، فأنزل الله: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ» الآية. * وتقدم في سورة النساء سبب آخر وهذا أصح.

(١) أسباب نزول الآية ١٠٥: أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: قالت قريش: يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ» الآية.

لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا) أي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمي كل منهما سؤءاً لأن انكشافه يسوء صاحبه (وطيفاً يَخْصِفَانِ) أخذوا يلرقان (عَلَيْهِمَا مِنْ رِزْقِ الْجَنَّةِ) ليستترا به (وَعَصَى آدَمَ رَبَّهُ فَغَوَى) بالأكل من الشجرة

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٢]

١٢٢ - ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ قربه (فَتَابَ عَلَيْهِ) قبل توبته (وهدى) أي هداه إلى المداومة على التوبة

﴿قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يُشَقِّقُ﴾ [طه: ١٢٣]

١٢٣ - ﴿قَالَ اهْبِطْ﴾ أي آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتهما (منها) من الجنة (جميعاً بعضكم لبعض) بعض الذرية (لبعض عدو من ظلم بعضهم بعضاً (فإمّا) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة (يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي) أي القرآن (فلا يضل) في الدنيا (ولا يشقى) في الآخرة

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]

١٢٤ - ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ أي القرآن فلم يؤمن به (فإن له معيشة ضنكاً) بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة وفسرت في حديث بعداب الكافر في قبره (ونحشروه) أي المعرض عن القرآن (يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) أعمى البصر

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾

١٢٥ - ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ في الدنيا وعند البعث

﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَمَّا بِنَايَ فَتَنِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾

١٢٦ - ﴿قَالَ الْأَمْرُ﴾ كذلك أنتك (وكذلك) أي تَنَسَّى (مثل نسيانك آياتنا (اليَوْمَ تُنْسَى) ترك في النار

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٧]

١٢٧ - ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن (نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ) أشرك (ولم يؤمن بآيات

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا لَكَ إِذْ أَدَمْنَا مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]

١١٥ - ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا لَكَ إِذْ أَدَمْنَا﴾ ووصيناه أن لا يأكل من الشجرة (من قبل) أي قبل أكله منها (فَنَسَى) ترك عهدنا (ولم نجد له عزمًا) حملاً وصبراً عما منعناه عنه

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ [طه: ١١٦]

١١٦ - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ وهو أبو الجن كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم (أبى) عن السجود لآدم فقال أنا خير منه

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَارْزُقْكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧]

١١٧ - ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَارْزُقْكَ﴾ حواء بالمد (فلا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) تتعب بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك واقتصر على شقائه لأن الرجل يسعى على زوجته

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ [طه: ١١٨]

١١٨ - ﴿إِنَّ لَكَ (أ) لَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ [طه: ١١٩]

١١٩ - ﴿وَأَنَّكَ﴾ بفتح الهمزة وكسرها عطف على اسم إن وجملتها (لا تظمأ فيها) تعطش (ولا تصحى) لا يحصل لك حر شمس الضحى لانقضاء شمس الضحى في الجنة

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ أَخْلَدُ وَمَلِكٌ لَا يُبَلِّغُ﴾ [طه: ١٢٠]

١٢٠ - ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ أَخْلَدُ﴾ أي التي يخلد من يأكل منها (وملك لا يبلغي) لا يفنى وهو لازم الخلد

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رِزْقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمَ رَبَّهُ فَغَوَى﴾

١٢١ - ﴿فَأَكَلَا﴾ أي آدم وحواء (منها فبدت

رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ) من عذاب الدنيا وعذاب
القبر (وَأَنْبَى) أَدُومُ
﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي
مَسْكَنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

١٢٨ - (أَفَلَمْ يَهْدِ) يتبين (لَهُمْ) لكفار مكة
(كَمْ) خبرية مفعول (أَهْلَكْنَا) أي كثيرا إهلاكنا
(قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ) أي الأمم الماضية لتكذيب
الرسول (يَمْشُونَ) حال من ضمير لهم (في)
مَسَاكِينِهِمْ) في سفرهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا
وما ذكر من أخذ إهلاك من فعله الخالي عن حرف
مصدره لرعاية المعنى لا مانع منه (إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ) لعبارة (لِأُولِي الْأَلْبَابِ) لذوي العقول
﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامِ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾

١٢٩ - (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ) بتأخير
العذاب عنهم إلى الآخرة (لَكَانَ) الإهلاك (لِزِمَامِ)
لازما لهم في الدنيا (وَأَجَلٍ مُّسَمًّى) مضروب لهم
معطوف على الضمير المستتر في كان وقام الفصل
بخبرها مقام التأكيد

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ
النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾

[طه: ١٣٠]

١٣٠ - (فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) منسوخ بآية
القتال (وَسَبِّحْ) صل (بِحَمْدِ رَبِّكَ) حال أي ملتبسا
به (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) صلاة الصبح (وَقَبْلَ
غُرُوبِهَا) صلاة العصر (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ) ساعاته
(فَسَبِّحْ) صل المغرب والعشاء (وَأَطْرَافَ النَّهَارِ)
عطف على محل من آناء المنصوب أي صل الظهر
لأن وقتها يدخل بزوال الشمس فهو طرف النصف
الأول وطرف النصف الثاني (لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ) بما
تعطى من الثواب

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾

١٣١ - (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ
أَزْوَاجًا) أصنافا (مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) زينتها
وبهجتها (لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ) بأن يطغوا (وَرِزْقُ رَبِّكَ) في

الجنة (خَيْرٌ) مما أوتوه في الدنيا (وَأَبْقَى) أَدُومُ
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا
نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]

١٣٢ - (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ) اصبر
(عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ) نكلك (رِزْقًا) لنفسك ولا لغريك
(رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ) الجنة (لِلتَّقْوَى) لأهلها
﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ مِنْ رَبِّهِ ءَأَوْلَم تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا
فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٣٣]

١٣٣ - (وَقَالُوا) أي المشركون (لَوْلَا) هلا
(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) محمد (بِأَيَّةٍ مِّن رَّبِّهِ) مما يقترحونه (أَوْلَم
تَأْتِهِم) بالياء والتاء (بينه) بيان (ما في الصُّحُفِ
الْأُولَى) المشتمل عليه القرآن من أنباء الأمم الماضية
وإهلاكهم بتكذيب الرسل

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا
أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ
وَنُخْرِجَ﴾ [طه: ١٣٤]

١٣٤ - (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ)
قبل محمد الرسول (لَقَالُوا) يوم القيامة (رَبَّنَا لَوْلَا
هلا (أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ) المرسل بها
(مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ) في القيامة (وَنُخْرِجَ) في جهنم
﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنِ أَصْحَبُ
الضَّرِيطِ الْأَسْوَىٰ وَمَنِ أَهْتَدَىٰ﴾ [طه: ١٣٥]

١٣٥ - (قُلْ) لهم (كُلُّ) منا ومنكم (مُتَرَبِّصٌ)
منتظر ما يؤول إليه الأمر (فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ) في
القيامة (مَنِ أَصْحَابُ الضَّرِيطِ) الطريق (الأسوي) المستقيم
(وَمَنِ أَهْتَدَى) من الضلالة أنحن أم أنتم.

* * *

(١) أسباب نزول الآية ١٣١: أخرج ابن أبي شيبة وابن
مردويه والبخاري وأبو يعلى عن أبي رافع قال: أضاف النبي ﷺ
ضيفاً فأرسلني إلى رجل من اليهود أن أشلفني دقيقاً إلى هلال
رجب، فقال: لا إلا برهن. فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال:
أما والله إنني لأمين في السماء أمين في الأرض فلم أخرج من
عنده حتى نزلت هذه الآية: «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ
أَزْوَاجًا مِنْهُمْ».

٢١- سورة الأنبياء عليهم السلام

(مكية) وآياتها ١١٢ مائة واثنان عشرة آية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾
[الأنبياء : ١]

١ - (اقْتَرَبَ) قرب (للنَّاسِ) أهل مكة منكري البعث (حِسَابُهُمْ) يوم القيامة (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ) عنه (مُعْرِضُونَ) عن التأهب له بالإيمان

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّبٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء : ٢]

٢ - (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّبٍ) شيئاً فشيئاً أي لفظ القرآن (إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ) يستهزئون

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَكُم مَّا أَفْتَاتُوا الْسِحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء : ٣]

٣ - (لَاهِيَةً) غافلة (قُلُوبُهُمْ) عن معناه (وَأَسْرَأُوا النَّجْوَى) أي الكلام (الَّذِينَ ظَلَمُوا) بدل مِنْ وَاوِ وَأَسْرَأُوا النجوى (هَلْ هَذَا) أي محمد (إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَكُم) فما يأتي به سحر (أَفْتَاتُوا السِّحْرَ) تتبعونه (وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) تعلمون أنه سحر

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء : ٤]

٤ - (قَالَ) لهم (رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ) كأننا (فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) وهو السميع) لما أسروه (العليم) به ﴿بَلْ قَالُوا أَضَلَّتْ أَعْيُنُنَا أَمْ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ﴾ [الأنبياء : ٥]

٥ - (بَلْ) للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة (قَالُوا) فيما أتى به من القرآن هو (أَضَلَّتْ أَعْيُنُنَا) أخطأ رأها في النوم (بَلْ افْتَرَاهُ) اختلقه (بَلْ هُوَ شَاعِرٌ) فما أتى به شعر (فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ) كالناقة والعصا واليد

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء : ٦]

٦ - (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ) أي أهلها (أَهْلَكْنَاهَا) بتكذيبها ما أتتها من الآيات (أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ) لا (١).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْنَا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء : ٧]

٧ - (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي) وفي قراءة بالنون وكسر الحاء (إِلَيْهِمْ) لا ملائكة (فَاتَلَوْنَا) أهل الذِّكْرِ العلماء بالتوراة والإنجيل (إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ [الأنبياء : ٨]

٨ - (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ) أي الرسل (جَسَدًا) بمعنى أجسادا (لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) بل يأكلونه (وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) في الدنيا

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء : ٩]

٩ - (ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ) بإنجائهم (فَأَنْجَيْنَاهُمْ) وَمَنْ نَشَاءُ) أي المصدقين لهم (وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ) المكذبين لهم

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء : ١٠]

١٠ - (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ) يا معشر قريش (كِتَابًا) فِيهِ ذِكْرُكُمْ) لأنه بلغتكم (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) فتؤمنوا به ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء : ١١]

١١ - (وَكَمْ قَصَمْنَا) أهلكتنا (مِنْ قَرِيْبَةٍ) أي أهلها (كَانَتْ ظَالِمَةً) كافرة (وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ)

٢١- سورة الأنبياء

(١) أسباب نزول الآية ٦ : أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قال أهل مكة للنبي ﷺ: إن كان ما تقول حقاً ويسرك أن تؤمن فحول لنا الصفا ذهباً، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن شئت كان الذي سألتك قومك ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يُنظروا، وإن شئت استأنيت بقومك، فأنزل الله: «ما آمنت قبْلَهُمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ».

﴿فَلَمَّا أَحْسَبُوا بُاسًا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾

١٢ - (فَلَمَّا أَحْسَبُوا بُاسًا) أي شعر أهل القرية بالإهلاك (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ) يهربون مسرعين

﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٣]

١٣ - فقالت لهم الملائكة استهزاء (لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ) نعمتم (فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) شيئا من دنياكم على العادة

﴿قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٤]

١٤ - (قَالُوا يَا) للتنبيه (وَيَتَوَلَّوْنَا) هلاكنا (إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بالكفر

﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٥]

١٥ - (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ) الكلمات (دَعْوَاهُمْ) يدعون بها ويرددونها (حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا) أي كالزرع المحصود بالمناجل بأن قتلوا بالسيف (خَامِدِينَ) ميتين كخمود النار إذا طفت

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾

١٦ - (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) عابثين بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧]

١٧ - (لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ) ما يلهى به من زوجة أو ولد (لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا) من عندنا من الحور العين والملائكة (إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ) ذلك لكنا لم نفعله فلم نرده

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]

١٨ - (بَلْ نَقْذِفُ) نرمي (بِالْحَقِّ) الإيمان (عَلَى الْبَاطِلِ) الكفر (فَيَدْمَغُهُ) يذمبه (فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) ذاهب ودمغه في الأصل أصاب دماغه بالضرب وهو مقتل (وَلَكُمُْ الْوَيْلُ) يا كفار مكة (الْوَيْلُ) العذاب الشديد (مِمَّا تَصِفُونَ) الله به من الزوجة أو الولد

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾

١٩ - (وَلَهُ) تعالى (مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ملكا (وَمَنْ عِنْدَهُ) أي الملائكة مبتدأ خبره (لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) لا يعيون

﴿يَسْتَحْسِرُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْقُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]

٢٠ - (يَسْتَحْسِرُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) لا يفتقرُونَ) عنه فهو منهم كالنفس منا لا يشغلنا عنه شاغل

﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

٢١ - (أَمْ) بمعنى بل للانتقال والهمزة للإنكار (اتَّخَذُوا إِلَهًا) كائنة (مِنْ دُونِ اللَّهِ) كحجر وذهب وفضة (هُمْ) أي الآلهة (يُنشِرُونَ) أي يحيون الموتى لا ولا يكون إله إلا من يحي الموتى

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]

٢٢ - (لَوْ كَانَ فِيهِمَا) أي السموات والأرض (إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ) أي غيره (لَفَسَدَتَا) خرجتا عن نظامهما المشاهد لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه (فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ) خالق (العروش) الكرسي (عَمَّا يَصِفُونَ) أي الكفار الله به من الشريك له وغيره

﴿لَا يَسْتَأْذِنُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]

٢٣ - (لَا يَسْتَأْذِنُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ) عن أفعالهم

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤]

٢٤ - (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ) تعالى أي سواه (إِلَهًا) فيه استفهام توبيخ (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) على ذلك ولا سبيل إليه (هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي) أي أممي وهو القرآن (وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي) من الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله ليس في واحد منها أن مع الله إلهما مما قالوا تعالى عن ذلك (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ) أي توحيد الله (فَهُمْ

الأرض (شَيْءٍ حَيٍّ أَفْلا) من نبات وغيره أي فالماء سبب لحياته (يُؤْمِنُونَ) بتوحيدي

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١]

٣١ - (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) جبلا ثوابت لـ (أَنْ) لا (تَمِيد) تتحرك (بِهِمْ) (بِهِمْ) (وَجَعَلْنَا فِيهَا) أي الرواسي (فِجَاجًا) مسالك (سُبُلًا) بدل طرفا نافذة واسعة (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) إلى مقاصدهم في الأسفار

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢]

٣٢ - (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا) للأرض كالسقف للبيت (مَحْفُوظًا) عن الوقوع (وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا) من الشمس والقمر والنجوم (مُعْرِضُونَ) لا يتفكرون فيها فيعلمون أن خالقها لا شريك له

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]

٣٣ - (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ) تنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم (فِي فَلَكٍ) أي مستدير كالطاحونة في السماء (يَسْبَحُونَ) يسرون بسرعة كالسباح في الماء وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]

٣٤ - ونزل لما قال الكفار إن محمدا سيموت (وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ) أي البقاء في الدنيا (أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ) فيها؟ لا فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري (١).

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْحَيْرِ وَنَسَاءً وَإِنَّا تَرَجُّعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]

٣٥ - (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) في الدنيا

مُعْرِضُونَ) عن النظر الموصل إليه

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]

٢٥ - (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي) وفي قراءة بالنون وكسر الحاء (إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) أي وحدوني ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]

٢٦ - (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) من الملائكة (سُبْحَانَهُ بَلْ) هم (عِبَادٌ مُكْرَمُونَ) عنده والعبودية تنافي الولادة

﴿لَا يَسْتَفِئُونَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾

٢٧ - (لَا يَسْتَفِئُونَ بِالْقَوْلِ) لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله (وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) أي بعده

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾

٢٨ - (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أي ما عملوا وما هم عاملون (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى) تعالى أن يشفع له (وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ) تعالى (مُشْفِقُونَ) أي خائفون

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]

٢٩ - (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ) أي الله أي غيره وهو إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها (فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ) كما نجزيه (نَجْزِي الظَّالِمِينَ) أي المشركين

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ أَسْمَوَاتٍ وَالْأَرْضِ كَانَتْا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]

٣٠ - (أَوْ لَمْ يَرَ) بواو وتركها (الَّذِينَ) يعلم (كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتْا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) أي سدا بمعنى مسدودة (وَجَعَلْنَا) جعلنا السماء سبعا والأرض سبعا أو فتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبت (مِنَ الْمَاءِ كُلِّ) النازل من السماء والنابع من

(١) أسباب نزول الآية ٣٤: وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: نعي إلى النبي ﷺ نفسه، فقال: يا رب فمن لأمتي، فنزلت: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ الآية.

٤٠ - (بَلْ تَأْتِيهِمُ) القيامة (بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ) تحيرهم (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) يمهلون لتوبة أو معذرة

﴿وَلَقَدْ آسَفْنَاهُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنبياء: ٤١]

٤١ - (وَلَقَدْ آسَفْنَاهُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فَحَاقَ) نزل (بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك

﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢]

٤٢ - (قُلْ) لهم (مَنْ يَكْفُرْكُمْ) يحفظكم (بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ) من عذابه إن نزل بكم أي لا أحد يفعل ذلك والمخاطبون لا يخافون عذاب الله لإنكارهم له (بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ) أي القرآن (مُعْرِضُونَ) لا يفكرون فيه

﴿أَرَأَيْتُمْ إِذْ أَنْزَلْنَا إِلَهُكَ مِنَ السَّمَاءِ لَا يَسْمَعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْهَا يُصْحَبُونَ﴾

٤٣ - (أَرَأَيْتُمْ) فيها معنى الهمزة للانكار أي : أ (لَهُمْ) إِلَهُةٌ تَنْفَعُهُمْ) مما يسوؤهم (مَنْ دُونَنَا) أي أنهم من يمنعمهم منه غيرنا لا (لَا يَسْتَطِيعُونَ) أي الآلهة (نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ) فلا ينصرونهم (وَلَا هُمْ) أي الكفار (مُنَّاءٌ) من عذابنا (يُصْحَبُونَ) يجارون يقال صحبك الله أي حفظ وأجارك

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٤]

٤٤ - (بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ) بما أنعمنا عليهم (حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) فاغرتوا بذلك (أَفَلَا يَرَوْنَ) أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بالفتح على النبي (أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ) لا بل النبي وأصحابه

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمْرُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٥]

٤٥ - (قُلْ) لهم (إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ) من

(وَتَبْلُوكُمْ) نختبركم (بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ) كفقر وغنى وسقم وصحة (فِتْنَةً) مفعول له أي لننظر أتصبرون وتشكرون أم لا (وَالَّذِينَ تَرْجِعُونَ) فنجازيكم

﴿وَإِذَا رَأَىكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَخْذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْذًا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٦]

٣٦ - (وَإِذَا رَأَىكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ) ما (يَخْذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا) أي مهزوءا به يقولون (أَهْذًا) الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ) أي يعيها (وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ) لهم (هُمُ) تأكيد (كَافِرُونَ) به إذ قالوا ما نعرفه

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧]

٣٧ - ونزل في استعجالهم العذاب (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ) أي أنه لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه (سَأُورِيكُمْ آيَاتِي) مواعيدي بالعذاب (فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ) فيه فأراهم القتل بيد

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

٣٨ - (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بالقيامة (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٩]

٣٩ - قال تعالى (لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ) يدفعون (عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ) ولا عَنْ ظُهُورِهِمْ) ولا هُمْ يُنصَرُونَ) يمنعون منها في القيامة وجواب لو ما قالوا ذلك

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٠]

(١) أسباب نزول الآية ٣٦: وأخرج ابن أبي حاتم عن الشدي قال: مر النبي ﷺ على أبي جهل، وأبي سفيان وهما يتحدثان، فلما رآه أبو جهل ضحك وقال لأبي سفيان: هذا نبي عبد مناف، فغضب أبو سفيان وقال: أتتكرون أن يكون لبي عبد مناف نبي، فسمعتها النبي ﷺ فرجع إلى أبي جهل فوقع به وخوفه، وقال: ما أراك منتهيا حتى يصيبك ما أصاب من غير عهده، فنزلت: ﴿وَإِذَا رَأَىكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَخْذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا
عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]

٥٢ - (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ)
الأصنام (التي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) أي على عبادتها
مقيمون

﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٣]

٥٣ - (قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ) فاقترنا
بهم

﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

٥٤ - (قَالَ) لهم (لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ)
بعبادتها (في ضلالٍ مُّبِينٍ) بين

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾

٥٥ - (قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ) في قولك هذا (أَمْ
أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ) فيه

﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ﴾

وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٦]

٥٦ - (قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ) المستحق للعبادة (رَبُّ)
مالك (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ) خلقهم
على غير مثال سبق (وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ) الذي قلته
(مِّنَ الشَّاهِدِينَ) به

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾

٥٧ - (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ) بعد أن تُوَلُّوا
مُدْبِرِينَ

﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كِبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ

يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨]

٥٨ - (فَجَعَلَهُمْ) بعد ذهابهم إلى مجتمعهم
في يوم عيد لهم (جُودًا) بضم الجيم وكسرهما فتاتا
بفأس (إِلَّا كِبِيرًا لَهُمْ) علق الفأس في عنقه (لَعَلَّهُمْ
إِلَيْهِ) أي إلى الكبير (يَرْجِعُونَ) فيروا ما فعل بغيره

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

٥٩ - (قَالُوا) بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل
(مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ) فيه

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ يُرَٰهِمُ﴾

الله لا من قبل نفسي (ولا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا)
بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء (مَا
يُنذَرُونَ) أي هم لتركهم العمل بما سمعوه من
الإندار كالصم

﴿وَلَمَّا مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ

يَتَوَلَّوْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٦]

٤٦ - (وَلَمَّا مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ) وقعة خفيفة (مِّنْ)
عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا) للتنبيه (وَتَوَلَّوْنَا) هلاكنا (إِنَّا)
كُنَّا ظَالِمِينَ) بالإشراك وتكذيب محمد

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ

شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا
بِهَا وَكُفَىٰ بِهَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

٤٧ - (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ) ذوات العدل
(لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) أي فيه (فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا) من
نقص حسنة أو زيادة سيئة (وَإِنْ كَانَ) العمل
(مِثْقَالَ) زنة (حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا) بموزونها
(وَكَفَىٰ بِهَا حَاسِبِينَ) محصين كل شيء

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَهُ وَذَكَرْنَا

لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]

٤٨ - (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ) أي
التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام
(وَضِيَاءَهُ) بها (وَذَكَرْنَا) عظة بها (لِلْمُتَّقِينَ)

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ

مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩]

٤٩ - (الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ) عن الناس
أي في الخلاء عنهم (وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ) أي أهوالها
(مُشْفِقُونَ) خائفون

﴿وَهَٰذَا ذِكْرُ مَبْرُوكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَانْتُمْ لَمْ تُمَكِّنُوهُ﴾

٥٠ - (وَهَٰذَا) أي القرآن (ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ)
أَفَأَنْتُمْ لَمْ تُمَكِّنُوهُ) الاستفهام فيه للتوبيخ

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ

عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١]

٥١ - (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) أي
هداه قبل بلوغه (وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) أي بأنه أهل
لذلك

غيره (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها وإنما يستحقها الله تعالى

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾

٦٨ - (قَالُوا حَرِّقُوهُ) أي إبراهيم (وانصُرُوا آلِهَتَكُمْ) أي بتحريقه (إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) نصرتها فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار في جميعه وأوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبراهيمَ﴾

٦٩ - (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبراهيمَ) فلم تحرق منه غير وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها وبقوله وسلاما سلم من الموت بيردها

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾

٧٠ - (وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا) وهو التحريق (فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ) في مرادهم

﴿وَيَخَيَّنُهُمْ وَأُلَاطُوا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]

٧١ - (وَيَخَيَّنُهُمْ وَأُلَاطُوا) ابن أخيه هاران من العراق (إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) بكثرة الأنهار والأشجار وهي الشام نزل إبراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفة وبينهما يوم

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢]

٧٢ - (وَوَهَبْنَا لَهُ) أي لإبراهيم وكان سأل ولدا كما ذكر في الصفات (إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً) أي زيادة على المستول أو هو ولد الولد (وَكُلًّا) أي هو وولده (جَعَلْنَا صَالِحِينَ) أنبياء

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]

٧٣ - (وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير (يَهْدُونَ) الناس (بِأَمْرِنَا) إلى ديننا (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ) فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة أي أن تفعل وتقام وتوتى منهم ومن أتباعهم وحذف هاء إقامة تخفيف

٦٠ - (قَالُوا) له أي بعضهم لبعض (سَمِعْنَا فَنَّى يَذُكُرُهُمْ) أي يعيهم (يُقَالُ لَهُ إِبراهيمَ)

﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى آَعِينِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾

٦١ - (قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى آَعِينِ النَّاسِ) أي ظاهرا (لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) عليه أنه الفاعل

﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهِنَا يَا إِبراهيمَ﴾

٦٢ - (قَالُوا) بعد إتيانه (أَأَنْتَ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهِنَا يَا إِبراهيمَ)

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]

٦٣ - (قَالَ) ساكتا عن فعله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ) عن فاعله (إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) فيه تقديم جواب الشرط وفيما قبله تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلها.

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤]

٦٤ - (فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ) بالتفكير (فَقَالُوا) لأنفسهم (إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ) أي عبادتكم من لا ينطق

﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥]

٦٥ - (ثُمَّ نَكِسُوا) من الله (عَلَى رُءُوسِهِمْ) أي ردوا إلى كفرهم وقالوا والله (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ) أي فكيف تأمرنا بسؤالهم

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٦]

٦٦ - (قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) أي بدله (مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا) من رزق وغيره (وَلَا يَضُرُّكُمْ) شيئا إذا لم تعبدوه

﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

٦٧ - (أَفِ) بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أي نتنا وقبحا (لَكُمْ) ولما تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) أي

(وَكَاثُوا لَنَا عَابِدِينَ)

﴿وَلَوْطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَوَجَّعْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبْسِيتَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِءٍ فَسَيَقِينُ﴾ [الأنبياء: ٧٤]

٧٤ - (ولوطًا آتينا حكمًا) فصلا بين الخصوم (وعلمًا ونجيناها من القرية التي كانت تعمل) أي أهلها الأعمال (الخبائث) من اللواط والرمي بالندق واللعب بالطيور وغير ذلك (إنهم كانوا قوم سوء) مصدر «ساء» نقيض «سره» (فأيقين)

﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

٧٥ - (وأدخلناه في رحمتنا) بأن أنجيناها من قومه (إنه من الصالحين)

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَوَجَّعْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: ٧٦]

٧٦ - (و) اذكر (نوحًا) وما بعده بدل منه (إذ نادى) دعا على قومه بقوله رب لا تذر الخ (من قبل) أي قبل إبراهيم ولوط (فاستجبنا له فنجيناها وأهلها) الذين في سفينته (من الكرب العظيم) أي الفرق وتكذيب قومه له

﴿وَنَصْرَنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِءٍ فَأَعْرِضْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٧]

٧٧ - (ونصرناه) معناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) الدالة على رسالته أن لا يصلوا إليه بسوء (إنهم كانوا قوم سوء فأعرضناهم أجمعين)

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾

٧٨ - (و) اذكر (داود وسليمان) أي قصتهما ويبدل منهما (إذ يختصمان في الحرث) هو زرع أو كرم (إذ نفست فيه غنم القوم) أي رعته ليلا بلا راع بأن انفلتت (وكننا لحكمهم شاهدين) فيه استعمال ضمير الجمع لائنين قال داود: لصاحب الحرث رقاب الغنم. وقال سليمان: ينتفع بدها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان بإصلاح صاحبها فيردها إليه

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]

٧٩ - (ففهمناهما) أي الحكومة (سليمان) وحكمهما باجتهاد ورجع داود إلى سليمان وقيل بوحى والثاني ناسخ للأول (وكلًا) منهما (آتيناه) (حكما) نبوة (وعلمًا) بأمر الدين (وسخرونا مع داود الجبال يسبحن والطير) كذلك سخرا للتسبيح معه لأمره به إذا وجد فترة لينشط له (وكننا فاعلين) تسخير تسبيحهما معه وإن كان عجا عندكم أي مجاوبته للسيد داود

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخَفِّيَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]

٨٠ - (وعلمناه صنعة لبوس) وهي الدرع لأنها تلبس وهو أول من صنعها وكان قبلها صفائح (لكم) في جملة الناس (لئخصنكم) بالنون لله وبالتحتانية لداود وبال فوقانية لللبوس (من بأسيكم) حربكم مع أعدائكم (فهل أنتم) يا أهل مكة (شاكرون) نعمتي بتصديق الرسول اشكروني بذلك

﴿وَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]

٨١ - (و) سخرنا (لسليمان الريح عاصفة) وفي آية أخرى رخاء أي شديدة الهبوب وخفيفته بحسب إرادته (تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها) وهي الشام (وكننا بكل شيء عالمين) من ذلك علم الله تعالى بأن ما يعطيه سليمان يدعوه للخضوع لربه ففعله تعالى على مقتضى علمه

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يُغْوِصُونَ لِمُ وِيعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٢]

٨٢ - (و) سخرنا (من الشياطين من يغوصون) له) يدخلون في البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان (ويعملون عملاً دون ذلك) أي سوى الغوص من البناء وغيره (وكننا لهم حافظين) من أن يفسدوا ما عملوا لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشتغلوا بغيره

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]

إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) في ذهابي من بين قومي بلا إذن

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَوِّجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]

٨٨ - (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) بتلك الكلمات (وَكَذَلِكَ) كما نجيناه (نُخَوِّجُ الْمُؤْمِنِينَ) من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين

﴿وَرَزَكْنَاهُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]

٨٩ - (و) اذكر (رَزَكْنَاهُ) وببدل منه (إِذْ نَادَى رَبَّهُ) بقوله (رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا) أي بلا ولد يرثني (وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) الباقي بعد فناء خلقك

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾

٩٠ - (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) نداه (وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ) ولدا (وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ) فأنت بالولد بعد عقمها (إِنَّهُمْ) أي مَنْ ذَكَرَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ (كَانُوا يُسْأَرُونَ) يبادرون (فِي الْخَيْرَاتِ) الطاعات (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا) في رحمتنا (وَرَهَبًا) من عذابنا (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) متواضعين في عبادتهم

﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَزَحْمًا فَفَنَعْنَا فِيهَا مِنْ زَوْجِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

٩١ - (و) اذكر مريم (الَّتِي أَحْصَيْتَ فَزَحْمًا) حفظته من أن ينال (فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ زَوْجِنَا) أي جبريل حيث نفخ في جيب درعها فحملت بعمسى (وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ) الإنس والجن والملائكة حيث ولدته من غير فعل

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ [الأنبياء: ٩٢]

٩٢ - (إِنَّ هَذِهِ) أي ملة الإسلام (أُمَّتُكُمْ) دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها (أُمَّةً وَاحِدَةً) حال لازمة (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون) وحدون

﴿وَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا يَرْجِعُ﴾ ٩٣ - (وَقَطَّعُوا) أي بعض المخاطبين (أَمْرَهُمْ

٨٣ - (و) اذكر (أَيُّوبَ) وببدل منه (إِذْ نَادَى رَبَّهُ) لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجته سنين ثلاثا أو سبعا أو ثماني عشرة وضيق عيشه (أَيُّوبَ) بفتح الهمزة بتقدير الياء (مَسَّيَ الضَّرَّ) أي الشدة (وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَعَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِنْهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]

٨٤ - (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) نداه (فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ) أولاده الذكور والإناث بأن أحيا له وكل من الصنفين ثلاث أو سبع (وَمِنْهُمْ مَعَهُمْ) من زوجته وزيد في شبابها وكان له أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سبحانه إفرغت إحداها على أندر القمح الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض (رَحْمَةً) مفعول له (مَنْ عِنْدِنَا) صفة (وَذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ) ليصبروا فيثابوا

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]

٨٥ - (و) اذكر (إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ) كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ) على طاعة الله وعن معاصيه ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

٨٦ - (وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا) من النبوة (إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ) لها وسمي ذا الكفل لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله وأن يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك وقيل لم يكن نبيا

﴿وَذَا التَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]

٨٧ - (و) اذكر (ذَا التَّوْنِ) صاحب الحوت وهو يونس بن متى وببدل منه (إِذْ ذَهَبَ مُغْلَبًا) لقومه أي غضبان عليهم مما قاسى منهم ولم يؤذن له في ذلك (فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) أي نقضي عليه ما قضيناه من حبسه في بطن الحوت أو نضيق عيه بذلك (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أَنْ) أي بأن (لَا

زعمتم (مَّا وَرَدُوهَا) دخلوها (وَكُلُّ) من العابدين
والمعبودين (فِيهَا خَالِدُونَ)

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾

١٠٠ - (لَهُمْ) للعبادين (فِيهَا زَفِيرٌ) صوت
شديد (وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ) شيئاً لشدة غلبانها
ونزل لما قال ابن الزبير: عُيِدَ عَزِيْرٌ وَالْمَسِيحُ
والملائكة فهم في النار على مقتضى ما تقدم

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]

١٠١ - (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا) المنزلة
(الْحُسْنَىٰ) ومنهم من ذكر (أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) (١).

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَيِّسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ

أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢]

١٠٢ - (لَا يَسْمَعُونَ حَيِّسَهَا) صوتها (وَهُمْ
فِي مَا اشْتَهَتْ) من النعيم (أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ).

﴿لَا يَخْرُجُ لَهُمُ الْفَرْخُ الْأَكْبَرُ وَنَلَقْنَهُمُ الْمَلَائِكَةَ
هَذَا يَوْمَكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾

١٠٣ - (لَا يَخْرُجُ لَهُمُ الْفَرْخُ الْأَكْبَرُ) وهو أن
يؤمر بالعبد إلى النار (وَتَلَقَّوْهُمُ) تستقبلهم
(الْمَلَائِكَةُ) عند خروجهم من القبور يقولون لهم
(هَذَا يَوْمَكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) في الدنيا

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا
فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]

١٠٤ - (يَوْمَ) منصوب بـ اذكر مقدراً قبله
(نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ) اسم ملك (لِلْكِتَابِ)
صحيفة ابن آدم عند موته واللام زائدة أو السجل
الصحيفة والكتاب بمعنى مكتوب واللام بمعنى
على وفي قراءة للكتب جمعا (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ)
من عدم (نُعِيدُهُ) بعد إعدامه فالكاف متعلقة بـ

(١) أسباب نزول الآية ١٠١: وأخرج الحاكم عن ابن عباس
قال: «لما نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ
أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾. قال ابن الزبير: وقد عبدت الشمس
والقمر والملائكة وعزير، وعيسى فكل هؤلاء في النار مع آلهتنا،
فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا
مُبْعَدُونَ﴾ ونزلت: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ إلى: ﴿حَصَبُونَ﴾.

بَيْنَهُمْ) أي تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه وهم
طوائف اليهود والنصارى ، قال تعالى : (كُلُّ إِلَهَاتِنَا
رَاجِعُونَ) أي فنجازيه بعمله

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُونَ﴾

٩٤ - (فَمَنْ يَعْمَلُ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَا كُفْرَانَ) أي لاجحود (لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ)
بأن نأمر الحفظة بكتبه فنجازيه عليه

﴿وَحَرَّمَ عَلَىٰ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾

٩٥ - (وَحَرَّمَ عَلَىٰ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) أريد أهلها
(أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) أي ممتنع رجوعهم إلى
الدنيا

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُجِّعَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِنْ

كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]

٩٦ - (حَتَّىٰ) غاية لامتناع رجوعهم (إِذَا
فُجِّعَتْ) بالتخفيف والتشديد (يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ)
بالهمز وتركه اسمان أعجميان لقبيلتين ويقدر قبله
مضاف أي سدهما وذلك قرب القيامة (وَهُمْ مِنْ
كُلِّ حَدَبٍ) مرتفع من الأرض (يَنْسِلُونَ) يسرعون

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ إِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصُرُ
الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤَيِّنَانَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا
بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧]

٩٧ - (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ) أي يوم القيامة
(وَإِذَا هِيَ) أي القصة (شَاخِصَةٌ أَبْصُرُ)
في ذلك اليوم لشدته يقولون (يَا) للتنبية (وَيُنَلَّنَا)
هلا كنا (قَدْ كُنَّا) في الدنيا (فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا) اليوم
(بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) أنفسنا بتكدينا الرسل

﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ

جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]

٩٨ - (إِنَّكُمْ) يا أهل مكة (وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ) أي غيره من الأوثان (حَصَبُ جَهَنَّمَ)
وقودها (أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) داخلون فيها

﴿لَوْ كَانَتْ هُوْلَاءِ إِلَهَةً مَّا وَرَدُوْهَا وَكُلُّ فِيْهَا
خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٩]

٩٩ - (لَوْ كَانَتْ هُوْلَاءِ) الأوثان (إِلَهَةً) كما

١١١ - (وَإِنْ) مَا (أَذْرِي لَعَلَّهُ) أَي مَا أَعْلَمْتُمْ به ولم يعلم وقته (فِتْنَةً) اختبار (لَكُمْ) ليرى كيف صنعكم (وَمَتَاعٌ) تمتع (إِلَى جِينٍ) أي انقضاء آجالكم وهذا مقابل للأول المترجى بلعل وليس الثاني محلا للترجي

﴿قَالَ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا نَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢]

١١٢ - (قَالَ) وفي قراءة قال (رَبُّ أَحْكُم) بيني وبين مكذبي (بِالْحَقِّ) بالعذاب لهم أو النصر عليهم فعذبوا ببدر وأحد وحنين والأحزاب والخندق ونصر عليهم (وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا نَصِفُونَ) من كذبكم على الله في قولكم اتخذ ولدا وعلي في قولكم ساحر وعلى القرآن في قولكم شعر

* * *

٢٢- سورة الحج

مَدِينَةٍ إِلَّا الْآيَاتِ ٠٢٣ ، ٠٢٤ ، ٠٢٥ فَبَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَأَيَاتِهَا ٧٨ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنَّا زَلْزَلْنَا السَّاعَةَ شِقْوَةً عَظِيمَةً﴾ [الحج: ١]

١ - (بِأَيِّهَا النَّاسُ) أي أهل مكة وغيرهم (آتِفُوا رَبِّكُمْ) أي عقابه بأن تطيعوه (إِنَّا زَلْزَلْنَا السَّاعَةَ) أي الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة (شِقْوَةً عَظِيمَةً) في إزعاج الناس الذي هو نوع من العقاب

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]

٢ - (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ) بسببها (كُلُّ مُرْضِعَةٍ) بالفعل (عَمَّا أَرْضَعَتْ) أي تنساه (وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ) أي حبلها (حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ) من

(نعيمه) وضميره عائد إلى أول وما مصدرية (وَعَدًا عَلَيْنَا) منصوب بوعدنا مقدرًا قبله وهو مؤكد لمضمون ما قبله (إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) ما وعدنا

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرُوثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]

١٠٥ - (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ) يعني الكتاب أي كتب الله المنزلة (مِن بَعْدِ الذِّكْرِ) بمعنى أم الكتاب الذي عند الله (أَنَّ الْأَرْضَ) أرض الجنة (يَرُوثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) عام في كل صالح

﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾

١٠٦ - (إِنَّ فِي هَذَا) القرآن (لَبَلَاغًا) كفاية في دخول الجنة (لِقَوْمٍ عَابِدِينَ) عاملين به

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

١٠٧ - (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ) يامحمد (إِلَّا رَحْمَةً) أي للرحمة (لِّلْعَالَمِينَ) الإنس والجن بك

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]

١٠٨ - (قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ) أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ أي ما يوحى إلي في أمر الإله إلا وحدانيته (فَهَلْ أَنْتُمْ مُّشْرِكُونَ) منقادون لما يوحى إلي من وحدانية الإله والاستفهام بمعنى الأمر

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ مَاذُنْبُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِن أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٩]

١٠٩ - (فَإِن تَوَلَّوْاْ) عن ذلك (فَقُلْ أذُنْبُكُمْ) أعلنتكم بالحرب (عَلَى سَوَاءٍ) حال من الفاعل والمفعول أي مستويين في علمه لا أستبد به دونكم لتأهبوا (وَإِن) ما (أَذْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ) من العذاب أو القيامة المشتملة عليه وإنما يعلمه الله

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٠]

١١٠ - (إِنَّهُ) تعالى (يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ) والفعل منكم ومن غيركم (وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ) أنتم وغيركم من السر

﴿وَإِن أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لِّكُمْ وَمَسِّعٌ إِلَىٰ جَبِينٍ﴾

(ثُمَّ) نمركم (لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ) أي الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة (وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى) يموت قبل بلوغ الأشد (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَزْدَلِ الْعُمُرِ) أخسه من الهرم والخرف (لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً) يابسة (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ) تحركت (وَرَبَّتْ) ارتفعت وزادت (وَأَنْبَتَتْ مِنْ زَائِدَةٍ) (كُلُّ رَوْحٍ) صنف (بهيج) حسن

﴿ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ هُوَ الْمَلُوقُ وَأَنْتُمْ يُعْنَى الْمَوْتُ وَأَنْتُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦]

٦ - (ذَلِكَ) المذكور من بدء خلق الإنسان الى آخر إحياء الأرض (يَأْنِ) بسبب أن (اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ) الثابت الدائم (وَأَنْتُمْ يُعْنَى الْمَوْتَى) وَأَنْتُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]

٧ - (وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا) شك (فيها) وَأَنَّ اللَّهُ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ) ونزل في أبي جهل ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الحج: ٨]

٨ - (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى) معه (وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ) له نور معه

﴿ثَانِي عَطْفِهِ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٩]

٩ - (ثَانِي عَطْفِهِ) حال أي لاوي عنقه تكبرا عن الإيمان والعطف الجانب عن يميني أو شمال (لِيُضِلُّ) بفتح الباء وضما (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أي دينه (لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) عذاب فقتل يوم بدر (وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ) أي الإحراق بالنار ويقال له

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾

١٠ - (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ) أي قدمته عبر عنه بهما دون غيرهما لأن أكثر الأفعال تراول بهما (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ) أي بذئ ظلم (لِلْعَبِيدِ) فيعذبهم بغير ذنب

شدة الخوف (وَمَا هُمْ بِشَكَارَى) من الشراب (وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) فهم يخافونه

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ [الحج: ٣]

٣ - ونزل في النضر بن الحارث وجماعته (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) قالوا الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين وأنكروا البعث وإحياء من صار ترابا (وَتَتَّبِعُ) في جداله (كُلُّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ) أي متمرد

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنْتَهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤]

٤ - (كُتِبَ عَلَيْهِ) قضى على الشيطان (أَنْتَهُ مَنْ تَوَلَّاهُ) أي اتبعه (فَأَنْتَهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ) يدعوه (إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) أي النار

﴿يَتَّيَّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّفَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّفَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَزْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ﴾

٥ - (يَتَّيَّهَا النَّاسُ) أي أهل مكة (إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ) شك (مِنَ الْبَعْثِ) فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ) أي أصلكم آدم (مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ) (مِنْ نُطْفَةٍ) (مِنْ عَلَقَةٍ) (مِنْ مُضْغَةٍ) وهي لحمه قدر ما يبيض (مُخَلَّفَةٍ) مصورة تامة الخلق (وَغَيْرِ مُخَلَّفَةٍ) أي غير تامة الخلقة (لِنُبَيِّنَ لَكُمْ) كمال قدرتنا لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته (وَنُقَرُّ) مستأنف (فِي الْأَرْحَامِ) مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) وقت خروجه (ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ) من بطون أمهاتكم (طِفْلًا) بمعنى أطفالا

٢٢ - سورة الحج

(١) أسباب نزول الآية ٣: أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك في قوله: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ». قال: نزلت في النضر بن الحارث.

يطيعه وإهانة من يعصيه

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥]

١٥ - (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَصُرَهُ اللَّهُ) أي محمدا نبيه (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ) بحبل (إِلَى السَّمَاءِ) أي سقف بيته يشده فيه وفي عنقه (ثُمَّ لِيَقْطَعْ) أي ليختنق به بأن يقطع نفسه من الأرض كما في الصحاح (فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ) في عدم نصرة النبي (مَا يَغِيظُ) ه منها المعنى فليختنق غيظا منها فلا بد منها

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يُبَيِّنُهَا وَإِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٦]

١٦ - (وَكَذَلِكَ) أي مثل إنزالنا الآية السابقة (أَنْزَلْنَاهُ) أي القرآن الباقي (آيَاتٍ يُبَيِّنُهَا) ظاهرات حال (وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ) هداه معطوف على هاء أنزلناه

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

١٧ - (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا) هم اليهود (وَالصَّابِغِينَ) طائفة منهم (وَالصَّدِيقِينَ) وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بإدخال المؤمنين الجنة وإدخال غيرهم النار (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) من عملهم (شَهِيدٌ) عالم به علم مشاهدة

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعِقَابُ وَمَنْ يَمُنْ بِاللَّهِ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]

١٨ - (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ) أن يخضع له بما يراد منه (وَكثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ) وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة (وَكثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرٌ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾

١١ - (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) أي شك في عبادته شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته (فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ) صحة وسلامة في نفسه وماله (اطْمَأَنَّ بِهِ) وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ) محنة وسقم في نفسه وماله (انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ) أي رجع إلى الكفر (خَيْرٌ الدُّنْيَا) بفوات ما أمله منها (وَالْآخِرَةِ) بالكفر (ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) البين (١)

﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [الحج: ١٢]

١٢ - (يَدْعُوا) يعبد (مِن دُونِ اللَّهِ) من الصنم (مَا لَا يَنْفَعُهُمْ) إن لم يعبدوه (وَمَا لَا يَضُرُّهُمْ) إن عبده (ذَلِكَ) الدعاء (هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ) عن الحق

﴿يَدْعُوا لِمَنْ صَرَفَهُمْ قَرْبٌ مِنْ نَفْعِهِمْ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَكَذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [الحج: ١٣]

١٣ - (يَدْعُوا لِمَنْ) اللام زائدة (صَرَفَهُ) بعبادته (قَرْبٌ مِنْ نَفْعِهِ) إن نفع بتخيله (لَيْسَ الْمَوْلَىٰ) هو أي الناصر (وَلَيْسَ الْعَشِيرُ) الصاحب هو وعقب ذكر الشاك بالخسران بذكر المؤمنين بالثواب في

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤]

١٤ - (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الفروض والنوافل (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) من إكرام من

(١) أسباب نزول الآية ١١: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: كان الرجل يقدم المدينة (فيسلم) فإن ولدت امرأته غلاما وتنجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولدا ذكرا ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء، فأنزل الله: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ» الآية.

* وأخرج ابن مردويه من طريق عطية عن ابن مسعود قال: أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده، فتشاهم بالإسلام، فقال: لم أصب من ديني هذا خيرا، ذهب بصري ومالي ومات ولدي، فنزلت: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ» الآية.

بالمقامع وقيل لهم (ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) أي البالغ نهاية الإحراق

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾

٢٣ - وقال في المؤمنين (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا) بالجر أي منهما بأن يرصع الذهب باللؤلؤ وبالنصب عطفًا على محل من أساور (وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) هو المحرم لبسه على الرجال في الدنيا

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤]

٢٤ - (وَهُدُوا) في الدنيا (إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ) وهو لا إله إلا الله (وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ) أي طريق الله المحمودة ودينه

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكْمِ يُظَلِّمْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]

٢٥ - (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) طاعته (و) عن (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ) منسكا ومتعبدا (لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ) المقيم (فيه) (وَالْبَادِ) الطاريء (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكْمِ) بالباطل (يُظَلِّمْ) أي بسببه بأن ارتكب منها ولو شتم الخادم (نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) مؤلم أي بعضه ومن هذا يؤخر خير إن أي نذيقهم من عذاب أليم^(١).

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]

٢٦ - (و) اذكر (إِذْ بَوَّأْنَا) بينا (لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ

الْعَذَابِ) وهم الكافرون لأنهم أبو السجود المتوقف على الإيمان (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ) يشقه (فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ) مسعد (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) من الإهانة والإكرام

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩]

١٩ - (هَذَانِ خَصْمَانِ) أي المؤمنون خصم والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة (اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) أي في دينه (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ) يلبسونها يعني أحيطت بهم النار (يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ) الماء البالغ نهاية الحرارة^(١).

﴿يُضَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الحج: ٢٠]

٢٠ - (يُضَهَّرُ) يذاب (بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ) من شحوم وغيرها ، وتشوى به (الْجُلُودُ)

﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حديدٍ﴾ [الحج: ٢١]

٢١ - (وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حديدٍ) لضرب رؤوسهم

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢]

٢٢ - (كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا) أي النار (مِنْ غَيْرِ) يلحقهم بها (أُعِيدُوا فِيهَا) ردوا إليها

(١) أسباب نزول الآية ١٩ : أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي ذر قال: نزلت هذه الآية: «هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ» في حمزة وعبيدة والحارث وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة.

* وأخرج الحاكم عن علي قال: فينا نزلت هذه الآية في مبارزتنا يوم بدر «هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ» إلى قوله: «الْحَرِيقِ».

* وأخرج من وجه آخر عنه قال: نزلت في الذين بارزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة والحارث وعتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد بن عتبة.

* وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس: أنها نزلت في أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله منكم وأقدم كتابًا، وبينا قبل نبيكم، فقال المؤمنون: نحن أحق بالله أمنا بحمد وأمانا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة مثله.

(١) أسباب نزول الآية ٢٥ : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: بعث النبي ﷺ عبد الله بن أنيس مع رجلين أحدهما مهاجري والآخر من الأنصار، فافتخروا في الأنساب، فغضب عبد الله بن أنيس فقتل الأنصاري ثم ارتد عن الإسلام وهرب إلى مكة، فنزلت فيه: «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكْمِ يُظَلِّمْ» الآية.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يَتَلَنُّ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]

٣٠ - (ذَلِكَ) خبر مبتدأ مقدر أي الأمر أو الشأن ذلك مذكور (وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ) هي ما لا يحل انتهاكه (فَهُوَ) أي تعظيمها (خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) في الآخرة (وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَامَ) أكلا بعد الذبح (إِلَّا مَا يَتَلَنُّ عَلَيْكُمْ) تحريمه في حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا والتحريم لما عرض من الموت ونحوه (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) من للبيان أي الذي هو الأوثان (وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) أي الشرك بالله في تليبتكم أو شهادة الزور

﴿حُفْنَاءَ اللَّهِ عِبْرٌ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفُهَا الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]

٣١ - (حُفْنَاءَ لِلَّهِ) مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه (عِبْرٌ مُشْرِكِينَ بِهِ) تأكيد لما قبله وهما حالان من الواو (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ) سقط (مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفُهَا الطَّيْرُ) أي تأخذه بسرعة (أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ) أي تسقطه (فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) بعيد أي فهو لا يرجى خلاصه

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا تَهْوَى الْقُلُوبَ﴾ [الحج: ٣٢]

٣٢ - (ذَلِكَ) يقدر قبله الأمر مبتدأ (وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا) أي فإن تعظيمها وهي البدن التي تهدي للحرم بأن تستحسن وتستسمن (مِنَ تَهْوَى الْقُلُوبَ) منهم وسميت شعائر لإشعارها بما تعرف به أنها هدي كقطعن حديدة بسنامها

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلُهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٣٣]

٣٣ - (لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ) كركوبها والحمل عليها ما لا يضرها (إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) وقت نحرها (ثُمَّ مَحْلُهَا) أي مكان حل نحرها (إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) أي عنده والمراد الحرم جميعه

الْبَيْتِ لِبَيْنِهِ وَكَانَ قَدْ رَفَعَ مِنْ زَمَنِ الطُّوفَانِ وَأَمْرَانَهُ (أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْقًا وَطَهْرًا بَيْنِي) مِنَ الْأَوْثَانِ (لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ) الْمُقِيمِينَ بِهِ (وَالرُّكْعِ الشُّجُودِ) جمع راعع وساجد المصلين

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]

٢٧ - (وَأَذِّنْ) ناد (فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) فنادى على جبل أبي قبيس يا أيها الناس إن ربكم بنى بيتا وأوجب عليكم الحج إليه فأجيبوا ربكم والتفت بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرجام الأمهات لبيك اللهم لبيك وجواب الأمر (يَأْتُوكَ رِجَالًا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام (و) ركبانا (عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ) أي بعير مهزول وهو يطلق على الذكر والأنثى (يَأْتِينَ) أي الضوامر حملا على المعنى (مِنَ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ) طريد بعيد^(١).

﴿لَيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْهَمَةٍ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾ [الحج: ٢٨]

٢٨ - (لَيَشْهَدُوا) أن يحضروا (مَنَافِعَ لَهُمْ) في الدنيا بالتجارة أو في الآخرة أو فيهما أقوال (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ) أي عشر ذي الحجة أو يوم عرفة أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق أقوال (عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْهَمَةِ الْأَنْعَامِ) الإبل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا (فَكُلُوا مِنْهَا) إذا كانت مستحبة (وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ) أي شديد الفقر

﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]

٢٩ - (ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ) أي يزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الظفر (وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ) بالتخفيف والتشديد (نُذُورَهُمْ) من الهدايا والضحايا (وَلْيَطَّوَّفُوا) طواف الإفاضة (بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) أي القديم لأنه أول بيت وضع للناس

(١) أسباب نزول الآية ٢٧: أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كانوا لا يركبون، فأنزل الله: «يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ فَأَمْرُهُم بِالزَّادِ وَرُخْصَ لَهُمْ فِي الرُّكُوبِ وَالتَّجْرِ.

﴿سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَذَاكُمْ﴾ أُرْسِدَكُمْ لِمَعَالِمِ دِينِهِ وَمَنَاسِكِ حَجِّهِ (وَيُبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) أَيِ الْمُؤْمِنِينَ (١).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]

٣٨ - (إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) غَوَّالٍ الْمُشْرِكِينَ (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ) فِي أَمَانَتِهِ (كُفُورٍ) لِنِعْمَتِهِ وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ الْمَعْنَى أَنَّهُ يُعَاقِبُهُمْ

﴿أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]

٣٩ - (أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ) أَيِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُقَاتِلُوا وَهَذِهِ آيَةُ نَزَلَتْ فِي الْجِهَادِ (بِأَنَّهُمْ) أَيِ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ (ظَلَمُوا) ظَلَمَ الْكَافِرِينَ إِيَاهُمْ (وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) (٢).

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَيَلْمِزْنَ اللَّهَ مِنْ بَصُرَةٍ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]

٤٠ - هُمُ (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ) فِي الْإِخْرَاجِ مَا أُخْرِجُوا (إِلَّا أَنْ يَقُولُوا) أَيِ بِقَوْلِهِمْ (رَبُّنَا اللَّهُ) وَحَدَهُ وَهَذَا الْقَوْلُ حَقٌّ فَالْإِخْرَاجُ بِهِ إِخْرَاجٌ بِغَيْرِ حَقٍّ (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ) بِدَلِّ بَعْضُ مِنَ النَّاسِ (بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ) بِالتَّشْدِيدِ لِلتَّكْثِيرِ وَبِالتَّخْفِيفِ (صَوَامِعُ) لِلرَّهْبَانِ (وَبِيَعٌ) كِنَائِسٌ لِلنَّصَارَى (وَصَلَوَاتٌ) كِنَائِسٌ لِلْيَهُودِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ (وَمَسَاجِدُ) لِلْمُسْلِمِينَ (يُذَكَّرُ فِيهَا) أَيِ الْمَوَاضِعِ الْمَذْكُورَةِ (اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) وَتَقَطَّعَ الْعِبَادَاتُ بِخَرَابِهَا

(١) أسباب نزول الآية ٣٧: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج قال: كان أهل الجاهلية يضمنون البيت بلحوم الإبل ودمائها، فقال أصحاب النبي ﷺ: فنحن أحق أن نضمن، فأنزل الله: «لن ينال الله لحومها» الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ٣٩: أخرج أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: «خرج النبي ﷺ من مكة، فقال أبو بكر: أخرجوا بينهم ليهلكن، فأنزل الله: «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير»، قال أبو بكر: لقد علمت أنه سيكون قتال».

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيُذَكَّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَتِهِ الْأَتَّعِيرِ فَإِذْ هُكِرُوا إِلَهُهُ وَحَدُّ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَيُبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]

٣٤ - (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ) أَيِ جَمَاعَةِ مُؤْمِنَةٍ سَلَفَتْ قَبْلَكُمْ (جَعَلْنَا مَنْسَكًا) بِفَتْحِ السِّينِ مُصَدِّرٌ وَبِكْسَرِهَا اسْمُ مَكَانٍ أَيِ ذَبْحِهَا قَرْبَانًا أَوْ مَكَانَهُ (لِيُذَكَّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَتِهِ الْأَتَّعَامِ) عِنْدَ ذَبْحِهَا (فَإِذْ هُكِرُوا إِلَهُهُ وَحَدُّ فَلَهُ أَسْلِمُوا) اتَّقَادُوا (وَيُبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) الْمُطِيعِينَ الْمُتَوَاضِعِينَ

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾

٣٥ - (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت) خَافَتْ (قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ) مِنَ الْبَلَايَا (وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ) فِي أَوْقَاتِهَا (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) يَتَصَدَّقُونَ

﴿وَالَّذِينَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِئْتُمْ جُؤْبَاهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦]

٣٦ - (وَالَّذِينَ) جَمَعَ بَدَنَهُ وَهِيَ الْإِبِلُ (جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) أَعْلَامَ دِينِهِ (لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ) نَفْعٌ فِي الدُّنْيَا كَمَا تَقْدِمُ وَأَجْرٌ فِي الْعَاقِبَةِ (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا) عِنْدَ نَحْرِهَا (صَوَافٍ) قَائِمَةٌ عَلَى ثَلَاثِ مَعْقُولَةِ الْيَدِ الْيَسْرَى (فَإِذَا وَجِئْتُمْ جُؤْبَاهَا) سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ بَعْدَ النَّجْرِ وَهُوَ وَقْتُ الْأَكْلِ مِنْهَا (فَكُلُوا مِنْهَا) إِنْ شِئْتُمْ (وَأَطِعُوا الْقَانِعَ) الَّذِي يَقْنَعُ بِمَا يُعْطَى وَلَا يَسْأَلُ وَلَا يَعْتَرِضُ (وَالْمَعْتَرَّ) السَّائِلَ أَوْ الْمَعْتَرِضَ (كَذَلِكَ) أَيِ مِثْلَ ذَلِكَ التَّسْخِيرِ (سَخَّرْنَا لَكُمْ) بِأَنْ تَنْحَرُوا وَتَرْكَبُوا وَلَا لَمْ تَطِقُوا لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) إِنْغَامِي عَلَيْكُمْ

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَتْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَيُبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٧]

٣٧ - (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها) أَيِ لَا يَرْفَعَانِ إِلَيْهِ (وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَتْوَىٰ مِنْكُمْ) أَيِ يَرْفَعُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ الْعَمَلُ الصَّالِحُ الْخَالِصُ لَهُ مَعَ الْإِيمَانِ

٤٦ - (أَقْلَمَ يَسِيرُوا) أي كفار مكة (في الأرض فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) ما نزل بالمكذبين قبلهم (أو آذَانَ يَسْمَعُونَ بِهَا) إخبارهم بالإهلاك وخراب الديار فيعتبروا (فَأَنبَأَهَا) أي القصة (لا تَغْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَغْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) تأكيد

﴿وَسَتَعْلَمُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]

٤٧ - (وَسَتَعْلَمُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) بإنزال العذاب فأنجزه يوم بدر (وإن يوما عند ربك) من أيام الآخرة بسبب العذاب (كألف سنة مِّمَّا تَعُدُّونَ) بالتاء والياء في الدنيا

﴿وَكَايُنَ مِنْ قَرِينَةٍ أَملَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِنَّ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨]

٤٨ - (وَكَايُنَ مِنْ قَرِينَةٍ أَملَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا) المراد أهلها (وَالْيَوْمِ الْمَصِيرِ) المرجع ﴿قُلْ يَتَّبِعُنَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

٤٩ - (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أي أهل مكة (إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الإنذار وأنا بشير للمؤمنين ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج: ٥٠]

٥٠ - (فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) من الذنوب (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) هو الجنة ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحج: ٥١]

٥١ - (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا) القرآن بإبطالها (مُعْجِزِينَ) من اتبع النبي أي ينسبونهم إلى العجز ويشطونهم عن الإيمان أو مقدرين عجزنا عنهم وفي قراءة معاجزين مسابقين لنا أي يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) النار

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَخَّرَ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْفَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَيِّمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

٥٢ - (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ) هو

(وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ) أي ينصر دينه (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ) على خلقه (عَزِيزٌ) منيع في سلطانه وقدرته . ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]

٤١ - (الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ) بنصرهم على عدوهم (أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ) جواب الشرط وهو جوابه صلة الموصول ويقدر قبله هم مبتدأ (وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) أي إليه مرجعها في الآخرة ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ [الحج: ٤٢]

٤٢ - (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ) فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ تَانِيثٌ قَوْمٌ بِاعْتِبَارِ الْمَعْنَى (وَءَادٌ) قَوْمُ هُودٍ (وَثَمُودٌ) قَوْمُ صَالِحٍ. (وَءَادٌ) قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ [الحج: ٤٣]

٤٣ - (وَءَادٌ) قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿وَإِصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤]

٤٤ - (وَإِصْحَابُ مَدْيَنَ) قوم شعيب (وَكَذَّبَ مُوسَىٰ) كذبه القبط لا قومه بنو إسرائيل أي كذب هؤلاء رسلهم فلك أسوة بهم (فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ) أمهلتهم بتأخير العقاب لهم (ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ) بالعذاب (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) أي إنكاري عليهم بتكذيبهم بإهلاكهم والاستفهام للتقرير أي هو واقع موقعه ﴿فَكَأَيُنَ مِنْ قَرِينَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبُرُّ مُعْطَلَةٌ وَقَصِرَ مَشِيدِ﴾

٤٥ - (فَكَأَيُنَ) أي كم (مِنْ قَرِينَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) وفي قراءة أهلكتناها (وَهِيَ ظَالِمَةٌ) أي أهلها بكفرهم (فَهِيَ خَاوِيَةٌ) ساقطة (عَلَىٰ عُرُوشِهَا) سقوفها وكم من (وَيَبُرُّ مُعْطَلَةٌ) متروكة بموت أهلها (وَقَصِرَ مَشِيدِ) رفيع خالي بموت أهله

﴿فَأَنزَلْنَا سَيْرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانَ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّمَا لَا تَغْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَغْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]

قُلُوبُهُمْ) أي المشركين عن قبول الحق (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) خلاف طويل مع النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم أبطل ذلك

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤]

٥٤ - (وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) التوحيد والقرآن (أَنَّهُ) أي القرآن (الْحَقُّ) مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ) تطمئن (لَهُ قُلُوبُهُمْ) وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) أي دين الإسلام ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيضَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾

٥٥ - (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيضَةٍ) شك (مِنْهُ) أي القرآن بما ألقاه الشيطان على لسان النبي ثم أبطل (حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً) أي ساعة موتهم أو القيامة فجأة (أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) هو يوم بدر لا خير فيه للكفار كالريح العقيم التي لا تأتي بخير أو هو يوم القيامة لا ليل بعده

﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾

٥٦ - (الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ) أي يوم القيامة (لِلَّهِ) وحده وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظرف (يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) بين المؤمنين والكافرين بما بين بعد (فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) فضلا من الله

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الحج: ٥٧]

٥٧ - (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) شديد بسبب كفرهم

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَبِيرٌ الرَّزْقِينَ﴾ [الحج: ٥٨]

٥٨ - (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أي

نبي أمر بالتبليغ (وَلَا نَبِيَّ) أي لم يؤمر بالتبليغ (إِلَّا إِذَا تَمَتَّى) قرأ (أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمَّيْبَتِيهِ) قراءته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في سورة النجم بمجلس من قريش بعد أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بالقاء الشيطان على لسانه من غير علمه صلى الله عليه وسلم به : تلك الغرائق العلاء وإن شفاعتهن لترتجى ففرحوا بذلك ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان علي لسانه من ذلك فحزن فسلي بهذه الآية (فَيَسْخُ اللَّهُ) يبطل (مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ) يثبتها (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بالقاء الشيطان ما ذكر (حَكِيمٌ) في تمكنه منه يفعل ما يشاء^(١).

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٣]

٥٣ - (لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً) محنة (لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) شك ونفاق (وَالْقَاسِيَةَ

(١) أسباب نزول الآية ٥٢ : أخرج ابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن المنذر، من طريق بسند صحيح عن سعيد بن جبیر قال: «قرأ النبي ﷺ بمكة: «والنجم» فلما بلغ: «أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى» ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرائق العلاء، وإن شفاعتهن لترتجى، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم ففسدوا وسجدوا، فنزلت: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي» الآية.

* وأخرجه البزار وابن مردويه من وجه آخر عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس فيما أحسبه، وقال: لا يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد. وتفرّد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور.
* وأخرجه البخاري عن ابن عباس بسند فيه الواقدي.
* وابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

* وابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس.
* وأورده ابن إسحاق في السيرة عن محمد بن كعب.
* وموسى بن عقبة عن ابن شهاب.
* وابن جرير عن محمد بن قيس.
* وابن أبي حاتم عن الشدي، كلهم بمعنى واحد.
* وكلها إما ضعيفة أو منقطعة سوى طريق ابن جبیر

الأولى. قال الحافظ ابن حجر: «لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً، مع أن لها طريقين صحيحين يرسلين أخرجهما ابن جرير: أحدهما من طريق الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. والآخر من طريق داود بن هند عن أبي العالية. ولا عبرة بقول ابن العربي وعياض أن هذه الروايات باطلة لا أصل لها» انتهى.

دُونِهِ) وَهُوَ الْأَصْنَامُ (هُوَ الْبَاطِلُ) الرَّائِلُ (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) أَي الْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ (الْكَبِيرُ) الَّذِي يَصْغُرُ كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾

٦٣ - (أَلَمْ تَرَ) تَعْلَمُ (أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مَطْرًا (فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً) بِالنَّبَاتِ وَهَذَا مِنْ أَثَرِ قُدْرَتِهِ (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ) بِعِبَادِهِ فِي إِخْرَاجِ النَّبَاتِ بِالْمَاءِ (خَبِيرٌ) بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ عِنْدَ تَأْخِيرِ الْمَطْرِ

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحج: ٦٤]

٦٤ - (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) عَلَى جِهَةِ الْمَلِكِ (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) (الْحَكِيمُ) لِأَوْلِيَائِهِ

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءً فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾

٦٥ - (أَلَمْ تَرَ) تَعْلَمُ (أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءً فِي الْأَرْضِ) مِنَ الْبِهَائِمِ (وَالْفَلَكَ) السَّفِينِ (تَجْرِي فِي الْبَحْرِ) لِلرُّكُوبِ وَالْحَمَلِ (بِأَمْرِهِ) بِإِذْنِهِ (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ) مِنْ (أَنْ) أَوْ لَعَلَّا (تَقَعَ) عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ (فَتَهْلَكُوا) (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ) فِي التَّسْخِيرِ وَالْإِمْسَاكِ

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَنْهَارٌ مُجَارٍ﴾ [الحج: ٦٦]

٦٦ - (وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ) بِالْإِنشَاءِ (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) عِنْدَ انْتِهَاءِ أَجَالِكُمْ (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) عِنْدَ الْبَعْثِ (إِنَّ الْإِنسَانَ) أَي الْمَشْرِكَ (لَكَفُورٌ) لَنَعْمِ اللَّهِ بِرُكُوحِهِ

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحج: ٦٧]

٦٧ - (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا) بِفَتْحِ السِّينِ وَكسرها شريعة (هُم نَاسِكُوهُ) عَامِلُونَ بِهِ (فَلَا

طَاعَتَهُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ (ثُمَّ قِيلُوا أَوْ مَا تَأْتُوا لِيُزَوِّقَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا) هُوَ رِزْقُ الْجَنَّةِ (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أَفْضَلُ الْمَعْطِينَ

٥٩ - (لِيُذْخِلَهُمْ مُدْخَلَ رِزْوَانِهِمْ) وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ (حَلِيمٌ) [الحج: ٥٩]

﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾

٦٠ - (ذَلِكَ) الَّذِي قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ (وَمَنْ عَاقَبَ) جَازَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ) ظُلْمًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَي قَاتَلَهُمْ كَمَا قَاتَلُوهُ فِي الشَّهْرِ الْمَحْرَمِ (ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ) مِنْهُمْ أَي ظَلَمَ بِإِخْرَاجِهِ مِنْ مَنْزِلِهِ (لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ) عَنِ الْمُؤْمِنِينَ (غَفُورٌ) لَهُمْ عَنِ قِتَالِهِمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ^(١)

﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

٦١ - (ذَلِكَ) النَّصْرُ (بِأَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) أَي يَدْخُلُ كِلَا مِنْهُمَا فِي الْآخِرِ بِأَنْ يَزِيدَ بِهِ وَذَلِكَ مِنْ أَثَرِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى الَّتِي بِهَا النَّصْرُ (وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) دَعَاءَ الْمُؤْمِنِينَ (بَصِيرٌ) بِهِمْ حَيْثُ جَعَلَ فِيهِمُ الْإِيمَانَ فَأَجَابَ دَعَاءَهُمْ

﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْبَأَ مَا يَكْفُرُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

٦٢ - (ذَلِكَ) النَّصْرُ أَيْضًا (بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) الثَّابِتُ (وَإِنَّ مَا يَدْعُونَ) بِالْبَيَاءِ وَالتَّاءِ يَعْبُدُونَ (مِنْ

(١) أسباب نزول الآية ٦٠: أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل: أنها نزلت في سرية بعثها النبي ﷺ فلقوا المشركين لليلتين بقيتا من المحرم، فقال المشركون بعضهم لبعض: قاتلوا أصحاب محمد فإنهم يحرمون القتال في الشهر الحرام وإن أصحاب محمد ناشدوهم وذكروهم بالله أن لا يعرضوا لقتالهم، فإنهم لا يستحلون القتال في الشهر الحرام، إلا من بادأهم، وإن المشركين بدأوا وقاتلهم فاستحل الصحابة قتالهم عند ذلك فقاتلهم ونصرهم الله عليهم، فنزلت هذه الآية.

مَنْ ذَلِكُمْ) أي بأكره إليكم من القرآن المتلو عليكم هو (النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بأن مصيرهم إليها (وَيَسِّرُ الْمُصِيبَ) هي

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضُمُكِ الطَّلَبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [الحج: ٧٣]

٧٣ - (يَأْتِيهَا النَّاسُ) أي أهل مكة (ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ) وهو (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره وهم الأصنام (لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا) اسم جنس واحده ذبابة يقع على المذكر والمؤنث (وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ) لخلقه (وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا) مما عليهم من الطيب والزعفران الملطخين به (لَا يَسْتَنْقِذُوهُ) لا يستردوه (مِنْهُ) لعجزهم فكيف يعبدون شركاء الله تعالى هذا أمر مستغرب عبر عنه بضرب المثل (ضُمُكِ الطَّلَبِ) العابد (وَالْمَطْلُوبِ) المعبود

﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

٧٤ - (مَا قَدَرُوا اللَّهَ) عظموه (حَقَّ قَدْرِهِ) عظمته إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) غالب

﴿اللَّهُ يَضْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]

٧٥ - (اللَّهُ يَضْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا) وَمِنَ النَّاسِ) رسلا ونزل لما قال المشركون أنزل عليه الذكر من بيننا (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لمقاتلهم (بَصِيرٌ) بمن يتخذة رسولا كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم صلى الله عليهم وسلم

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الحج: ٧٦]

٧٦ - (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أي ما قدموا وما خلفوا وما عملوا وما هم عاملون بعد (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ)

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا آرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

يُنَازِعُنَّكَ) يراد به لا تنازعهم (فِي الْأَمْرِ) أي أمر الذبيحة إذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم (وَإِذْ عَلِمْنَا إِلَى رَبِّكَ) أي إلى دينه (إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى) دين (مُشْتَقِيمٌ)

﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

٦٨ - (وَإِنْ جَادَلُوكَ) في أمر الدين (فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) فيجازيكم عليه وهذا قبل الأمر بالقتال

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٩]

٦٩ - (اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) أيها المؤمنون والكافرون (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) بأن يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

٧٠ - (أَلَمْ تَعْلَمْ) الإستفهام فيه للتقرير (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) إِنَّ ذَلِكَ) أي ما ذكر (فِي كِتَابٍ) هو اللوح المحفوظ (إِنَّ ذَلِكَ) علم ما ذكر (عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) سهل

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾

٧١ - (وَيَعْبُدُونَ) أي المشركون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ) هو الأصنام (سُلْطَانًا) حجة (وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ) أنها آلهة (وَمَا لِلظَّالِمِينَ) بالإشراك (مِنْ نَصِيرٍ) يمنع عنهم عذاب الله

﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيَّنَّتْ تَعْرِفَ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادِرُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا قُلِ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَمُ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسِّرُ الْمُصِيبَ﴾ [الحج: ٧٢]

٧٢ - (وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا) من القرآن (بَيَّنَّتْ) ظاهرات حال (تَعْرِفَ) فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ) أي الإنكار لها أي أثره من الكراهة والعبوس (يَكَادِرُونَ يَسْطُونَ) بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا) أي يقعون فيهم بالبطش (قُلِ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ

٧٧ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٧﴾
 أي صلوا (واعبُدوا ربكم) وحدوه (واذْكُرُوا مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ)
 كصلة الرحم ومكارم الأخلاق (لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ)
 تفوزون بالبقاء في الجنة

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ مِثْلِ آبَائِكُمْ إِذْ بَدَأَ فِي هَذَا لَمَنِ الْوَسْطُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]

٧٨ - (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ) لإقامة دينه (حَقَّ) جِهَادِهِ) باستفراغ الطاقة فيه ونصب حق علي المصدر (هُوَ اجْتَبَاكُمْ) اختاركم لدينه (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) أي ضيق بأن سهله عند الضرورات كالتقصير والتيمم وأكل الميتة والفطر للمرض والسفر (مِثْلَ مِثْلِ آبَائِكُمْ) منسوب بنزع الخافض الكاف (إِذْ بَدَأَ فِي هَذَا) أي قبل هذا الكتاب (وَفِي هَذَا) أي القرآن (لَمَنِ الْوَسْطُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ) يوم القيامة أنه بلغكم (وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) أنتم (شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) أن رسلهم بلغوهم (فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) داوموا عليها (وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ) ثقوا به (هُوَ مَوْلَاكُمْ) ناصركم ومتولي أموركم (فَنِعْمَ الْمَوْلَى) هو (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) أي الناصر لكم

٢٣- سورة المؤمنون

مكية وآياتها (١١٨) مائة وثمانية عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]

١ - (قَدْ) للتحقيق (أَفْلَحَ) فاز (المؤمنون)

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]

٢ - (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) متواضعون^(١).

٢٣- سورة المؤمنون

(١) أسباب نزول الآية ٢: أخرج الحاكم عن أبي هريرة: أن

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]

٣ - (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ) من الكلام وغيره (مُعْرِضُونَ)

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]

٤ - (وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) مؤدون

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥]

٥ - (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ) عن الحرام

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٦]

٦ - (إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ) أي من زوجاتهم (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) أي السراري (فَأِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) في إيتائهن

﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾

٧ - (فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ) من الزوجات والسراري كالاستمناء بيده (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾

٨ - (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ) جمعا ومفردا (وَعَهْدِهِمْ) فيما بينهم أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها (رَاعُونَ) حافظون

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩]

٩ - (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ) جمعا ومفردا (يُحَافِظُونَ) يقيمونها في أوقاتها

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾

[المؤمنون: ١٠]

١٠ - (أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) لا غيرهم

رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزلت: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ فطأطأ رأسه.

* وأخرجه ابن مردويه بلفظ: كان يلتفت في الصلاة.
 * وأخرجه سعيد بن منصور عن ابن سيرين مرسلًا بلفظ: كان يقلب بصره، فنزلت.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن سيرين مرسلًا: كان الصحابة يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة، فنزلت.

١٧ - (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ) أي سموات جمع طريقة لأنها طرق الملائكة (وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ) التي تحتها (عَاقِلِينَ) أن تسقط عليهم فتهلكهم بل نمسكها كآية ويمسك السماء أن تقع على الأرض

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨]

١٨ - (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) من كفايتهم (فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ) وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) فيموتون مع دوابهم عطشا

﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٩]

١٩ - (فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ) هما أكثر فواكه العرب (لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) صيفا وشتاء

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلْأَكْلِيينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]

٢٠ - وأنشأنا (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ) جبل بكسر السين وفتحها ومنع الصرف للعلمية والتأنيث للبقعة (تَنْبُتُ) من الرباعي والثلاثي (بِالذَّهْنِ) الباء زائدة على الأول ومعنية على الثاني وهي شجرة الزيتون (وَصَبِغٍ لِلْأَكْلِيينَ) عطف على الدهن أي إدام يصبغ اللقمة بغمسها فيه وهو الزيت

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١]

٢١ - (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ) الإبل والبقر والغنم (لَعِبْرَةً) عظة تعتبرون بها (تَشْكُرُونَ) بفتح النون وضمها (مِمَّا فِي بُطُونِهَا) أي اللبن (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ) مِنَ الْأَصْوَابِ وَالْأَوْبَارِ وَالْأَشْعَارِ وغير ذلك (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٢]

٢٢ - (وَعَلَيْهَا) الإبل (وَعَلَى الْفُلْكِ) السفن (تُحْمَلُونَ)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْقَوْنَ﴾ [المؤمنون: ٢٣]

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١]

١١ - (الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ) هو جنة أعلى الجنان (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) في ذلك إشارة إلى المعاد ويناسبه ذكر المبدأ بعده

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾

١٢ - والله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) آدم (مِنْ سُلَالَةٍ) هي من سللت الشيء من الشيء أي استخرجته منه وهو خلاصته (مِّن طِينٍ) متعلق بسلالة

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣]

١٣ - (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ) أي الإنسان نسل آدم (نُطْفَةً) منيا (فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ) هو الرحم

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

١٤ - (ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً) دما جامدا (فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً) لحمه قدر ما يمضغ (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا) فكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) وفي قراءة عظمها في الموضوعين وخلقنا في المواضع الثلاث بمعنى صيرنا (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) بفتح الروح فيه (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) أي المقدرين ومميز أحسن محذوف للعلم به أي خلقا (١).

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥]

١٥ - (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ)

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُنْفِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦]

١٦ - (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُنْفِثُونَ) للحساب والجزاء

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]

(١) أسباب نزول الآية ١٤: أخرج ابن أبي حاتم عن عمر قال: وافقت ربي في أربع نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ الآية، فلما نزلت قلت أنا: وَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.

نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما في السفينة وفي قراءة كل بالتونين فزوجين مفعول واثنين تأكيد له (وأهلك زوجته وأولاده (إلا من سبق عليه القول منهم) بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافت فحملهم وزوجاتهم الثلاثة وفي سورة هود ومن آمن وما آمن معه إلا قليل قيل كانوا ستة رجال ونساؤهم وقيل جميع من كان في السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) كفروا بترك إهلاكهم (أنهم مفرقون)

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الصَّلَاةُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨]

٢٨ - (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ) اعتدلت (أنتَ) ومن معك على الفلك فقل الصلوة لله الذي نجانا من القوم الظالمين) الكافرين وإهلاكهم

﴿وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾

[المؤمنون: ٢٩]

٢٩ - (وقل) عند نزولك من الفلك (رب) أنزلي منزلاً بضم الميم وفتح الزاي مصدر أو اسم مكان ويفتح الميم وكسر الزاي مكان النزول (مباركاً) ذلك الإنزال أو المكان (وأنت خير المنزّلين) ما ذكر

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾

[المؤمنون: ٣٠]

٣٠ - (إن في ذلك) المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار (آيات) دلالات على قدرة الله تعالى (وإن) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن (كنّا لمبتلين) مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه

﴿فَرَأَوْهُمُ اتَّخَذُوا آلِهَتَهُمْ آلِهَةً دُونِ اللَّهِ فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [المؤمنون: ٣١]

٣١ - (ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) هم عاد

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٢]

٣٢ - (فأرسلنا فيهم رسولاً منهم) هوداً (أن)

٢٣ - (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله) أطيعوا الله ووحده (ما لكم من إله غيرة) وهو اسم ما قبله الخبر ومن زائدة (أفلا تتقون) تخافون عقوبته بعبادتكم غيره

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى﴾

[المؤمنون: ٢٤]

٢٤ - (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) لأتباعهم (ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل) يتشرف (عليكم) بأن يكون متبوعاً وأنتم أتباعه (ولو شاء الله) أن لا يعبد غيره (لأنزل ملائكة) بذلك لابشراً (ما سمعنا بهذا) الذي دعا إليه نوح من التوحيد (في آبائنا الأولين) أي الأمم الماضية

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهٖ حِجَّةٌ فترضوا به حتى جبن﴾

[المؤمنون: ٢٥]

٢٥ - (إن هو) ما نوح (إلا رجل به حجة) حالة جنون (فترضوا به) انتظروه (حتى جبن) إلى زمن موته

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي﴾ [المؤمنون: ٢٦]

٢٦ - (قال) نوح (رب انصُرني) عليهم (بما كذبتني) بسبب تكذيبهم إياي بأن تهلكهم قال تعالى مجيباً دعاه

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَکَ بِأَعْيُنِنَا ووَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧]

٢٧ - (فأوحينا إليه أن اصنع الفلك) السفينة (بأعيننا) برأى منا وحفظنا (ووحينا) أمرنا (فإذا جاء أمرنا) بإهلاكهم (وفار التنور) للخيزار بالماء وكان ذلك علامة لنوح (فاصلك فيها) أي أدخل في السفينة (من كل زوجين اثنين) ذكر وأنثى أي من كل أنواعهما (اثنتين) ذكراً وأنثى وهو مفعول ومن متعلقة باصلك وفي القصة أن الله تعالى حشر لنوح السباع والطيور وغيرهما فجعل يضرب بيديه في كل

أَي بَانَ (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) عَقَابَهُ فَتَوَمَّنُوا

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآخِرَةِ وَاتَّرفَنَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾

[المؤمنون: ٣٣]

٣٣- (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآخِرَةِ) أَي بِالصِّيرَةِ إِلَيْهَا (وَاتَّرفَنَّهُمْ) نَعْمَانَهُمْ (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ)

﴿وَلَيْنَ أَطْعَمَهُ بَشَرًا مِثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾

[المؤمنون: ٣٤]

٣٤- وَاللَّهُ (وَلَيْنَ أَطْعَمَهُ بَشَرًا مِثْلُكُمْ) فِيهِ قَسْمٌ وَشَرْطٌ وَالْجَوَابُ لِأَوْلَهُمَا وَهُوَ مَغْنٍ عَنِ جَوَابِ الثَّانِي (إِنَّكُمْ إِذَا) أَي إِذَا أَطْعَمْتُمُوهُ (لَخَسِرُونَ) أَي مَغْبُونُونَ

﴿أَيَعِدُّكُمْ أَنْتُمْ إِذَا يَمُوتُ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ

مُخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥]

٣٥- (أَيَعِدُّكُمْ أَنْتُمْ إِذَا يَمُوتُ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ) هُوَ خَيْرُ أَنْكُمْ الْأُولَى وَأَنْتُمْ الثَّانِيَّةُ تَأْكِيدٌ لَهَا لِمَا طَالَ الْفَصْلُ

﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]

٣٦- (هَيَّاتَ هَيَّاتَ) اسْمُ فِعْلِ مَاضٍ بِمَعْنَى مَصْدَرٍ أَي بَعْدَ بَعْدٍ (لِمَا تُوعَدُونَ) مِنَ الْإِخْرَاجِ مِنَ الْقُبُورِ وَالْإِلَامِ زَائِدَةٌ لِلْبَيَانِ

﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ

بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧]

٣٧- (إِنَّ هِيَ) مَا الْحَيَاةُ (إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا) بِحَيَاةِ آبَائِنَا (وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ

بِمُؤْمِنِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٨]

٣٨- (إِنَّ هُوَ) أَي مَا الرَّسُولُ (إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ) أَي مُصَدِّقِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ .

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٩]

٣٩- (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ)

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]

٤٠- (قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ) مِنَ الزَّمَانِ وَمَا زَائِدَةٌ

(لَيُصْبِحُنَّ) لِيَصِيرُونَ (نَادِمِينَ) عَلَى كَفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ

﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَعَجَلْنَاهُمْ عُثَاءً فَبَعَدًا

لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤١]

٤١- (فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ) صِيْحَةُ الْعَذَابِ

وَالْهَلَاكِ كَائِنَةً (بِالْحَقِّ) فَمَاتُوا (فَعَجَلْنَاهُمْ عُثَاءً) وَهُوَ

نَبْتٌ يَبْسُ أَي صِيرْنَاهُمْ مِثْلَهُ فِي الْبَيْسِ (فَبَعْدًا) مِنَ

الرَّحْمَةِ (لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) الْمَكْذِبِينَ

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ﴾

[المؤمنون: ٤٢]

٤٢- (ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ)

(آخَرِينَ)

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾

[المؤمنون: ٤٣]

٤٣- (مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا) بَانَ تَمُوتُ

قَبْلَهُ (وَمَا يَسْتَخِرُونَ) عَنْهُ ذِكْرُ الضَّمِيرِ بَعْدَ تَأْنِيثِهِ

رِعَايَةً لِلْمَعْنَى

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا

بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

[المؤمنون: ٤٤]

٤٤- (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا) بِالتَّوْبِينِ وَعَدَمِهِ

مُتَتَابِعِينَ بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ زَمَانٌ طَوِيلٌ (كُلُّ مَا جَاءَ

أُمَّةً) بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَيْنِ وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ

الْوَاوِ (رُسُولًا) كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ

فِي الْهَلَاكِ (وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ

(لَا يُؤْمِنُونَ)

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾

[المؤمنون: ٤٥]

٤٥- (ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ) بِآيَاتِنَا

وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ) حُجَّةٌ بَيْنَهُ وَهِيَ الْيَدُ وَالْعَصَا وَغَيْرُهُمَا

مِنَ الْآيَاتِ

تكونوا عليها (أُمَّةً وَاحِدَةً) حال لازمة وفي قراءة بتخفيف النون وفي أخرى بكسرهما مشددة استئنافا (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) فاحذرون

﴿فَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]

٥٣ - (فَقَطَّعُوا) أي الأتباع (أَمْرَهُمْ) دينهم (بَيْنَهُمْ زُبُرًا) حال من فاعل تقطعوا أي أحزابا متخالفين كاليهود والنصارى وغيرهم (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ) عندهم من الدين (فَرِحُونَ) مسرورون
﴿فَدَرَرُوا فِي غَرَّتِهِمْ حَتَّى جِئِنِ﴾ [المؤمنون: ٥٤]

٥٤ - (فَدَرَرُوا) أي اترك كفار مكة (في غَرَّتِهِمْ) ضلالتهم (حَتَّى جِئِنِ) أي حين موتهم
﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ
﴿فَدَرَرُوا فِي غَرَّتِهِمْ حَتَّى جِئِنِ﴾ [المؤمنون: ٥٤]

٥٥ - (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ) نعطيهم (من مَالٍ وَبَنِينَ) في الدنيا
﴿تُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٦]

٥٦ - (تُسَارِعُ) نعجل (لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ) لا (بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) أن ذلك استدراج لهم
﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧]

٥٧ - (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ) خوفهم منه (مُشْفِقُونَ) خائفون من عذابه
﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَتَابَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٨]

٥٨ - (وَالَّذِينَ هُمْ يَتَابَتِ رَبِّهِمْ) أي القرآن (يُؤْمِنُونَ) يصدقون
﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩]

٥٩ - (وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ) معه غيره
﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ إِلَى رَبِّهِمْ
رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]

٦٠ - (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ) يعطون (مَا آتَاوْا) أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة (وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ) خائفة أن لا تقبل منهم (أَنَّهُمْ) يقدر قبله لام الجر

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٦]

٤٦ - (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا) عن الإيمان بها والله (وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ) قاهرين بني إسرائيل بالظلم

﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِنَشْرِينِ وَإِنَّا لَنَأْمُرُهُمْ لَنَا عَائِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧]

٤٧ - (فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِنَشْرِينِ) مطيعون خاضعون

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٨]

٤٨ - (فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٩]

٤٩ - (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (لَعَلَّهُمْ) أي قومه بني إسرائيل (يَتَذَكَّرُونَ) به من الضلالة وأوتيتها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠]

٥٠ - (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ) عيسى (وَأُمَّهُ آيَةً) لم يقل آيتين لأن الآية فيها واحدة ولادته من غير فعل (وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ) مكان مرتفع وهو البيت المقدس أو دمشق أو فلسطين أقوال (ذَاتِ قَرَارٍ) أي مستوية يستقر عليها ساكنوها (وَمَعِينٍ) ماء جار ظاهر تراه العيون

﴿يَتَأْتِيَ الرُّسُلَ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]

٥١ - (يَتَأْتِيَ الرُّسُلَ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ) الحلالات (وَاعْمَلُوا صَالِحًا) من فرض ونفل (إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) فأجازيكم عليه

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]

٥٢ - (وَإِنَّ هَذِهِ) أي ملة الإسلام (أُمَّتُكُمْ) دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن

(إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)

﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾

[المؤمنون: ٦١]

٦١ - (أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا

سَابِقُونَ) في علم الله

﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كَنْبٌ يَبْطِئُ بِالْحَقِّ

وَهُمْ لَا يَظُنُّونَ﴾ [المؤمنون: ٦٢]

٦٢ - (وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) أي طاقتها

فمن لم يستطع أن يصلي قائما فليصلي جالسا ومن

لم يستطع أن يصوم فليأكل (وَلَدَيْنَا) أي عندنا

(كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ) بما عملته وهو اللوح

المحفوظ تسطر فيه الأعمال (وَهُمْ) أي النفوس

العاملة (لَا يَظُنُّونَ) شيئا منها فلا ينقص من ثواب

أعمال الخيرات ولا يزداد في السيئات

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ

هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣]

٦٣ - (بَلْ قُلُوبُهُمْ) أي الكفار (فِي غَمْرَةٍ)

جهالة (مِّنْ هَٰذَا) القرآن (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ

ذَٰلِكَ) المذكور للمؤمنين (هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ) فيعبدون

عليها

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَخْتَصِرُونَ﴾

[المؤمنون: ٦٤]

٦٤ - (حَتَّىٰ) ابتدائية (إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم)

أغنياءهم ورؤساءهم (بِالْعَذَابِ) أي السيف يوم بدر

(إِذَا هُمْ يَخْتَصِرُونَ) يضحجون يقال لهم

﴿لَا تَخْتَرُوا الْيَوْمَ إِنكُرْنَا لَا تَنْصُرُونَ﴾

[المؤمنون: ٦٥]

٦٥ - (لَا تَخْتَرُوا الْيَوْمَ إِنكُرْنَا لَا تَنْصُرُونَ)

لا تمنعون

﴿فَدَكَانَتْ ءَايَاتِي نَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَيَّ أَعْقَابِكُمْ

نَنْكُصُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٦]

٦٦ - (قد كانت آياتي) من القرآن (نتلى

عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) ترجعون

الفهري

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧]

٦٧ - (مُسْتَكْبِرِينَ) عن الإيمان (به) أي

بالبيت أو بالحرم بأنهم أهله في أمن بخلاف سائر

الناس في مواطنهم (سَامِرًا) حال أي جماعة

يتحدثون بالليل حول البيت (تَهْجُرُونَ) من الثلاثي

تتركون القرآن ومن الرباعي أي تقولون غير الحق

في النبي والقرآن (١)

﴿أَفَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ

الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]

٦٨ - (أَفَلَمْ يَذَّبُوا) أصله يتدبروا فأدغمت

التاء في الدال (الْقَوْلَ) أي القرآن الدال على صدق

النبي (أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ)

(أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ مُنكِرُونَ﴾

[المؤمنون: ٦٩]

٦٩ - (أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ مُنكِرُونَ)

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكثَرُهُمُ

لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠]

٧٠ - (أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ) الاستفهام فيه

للتقرير بالحق من صدق النبي ومجيء الرسل للأمم

الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا

جنون به (بَلْ) للانتقال (جَاءَهُم بِالْحَقِّ) أي القرآن

المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام (وَأَكثَرُهُمُ

لِلْحَقِّ كَارِهُونَ)

﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ

وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَلَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ

مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١]

٧١ - (وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ) أي القرآن (أَهْوَاءَهُمْ)

بأن جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله تعالى

الله عن ذلك (لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ

فِيهِنَّ) أي خرجت عن نظامها المشاهد لوجود

التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم (بَلْ

أَلَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ) القرآن الذي فيه ذكروهم وشرفهم

(١) أسباب نزول الآية ٦٧: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد

ابن جبير قال: كانت قريش تسمر حول البيت ولا تطوف به،

ويفتخرون به فأنزل الله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾.

(فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ).

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رِبْكَ خَيْرٌ لِّالرَّزِيقِينَ﴾

[المؤمنون: ٧٢]

٧٢ - (أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا) أجرا على ما جئتهم به من الإيمان (فَخَرَجَ رِبْكَ) أجره وثوابه ورزقه (خَيْرٌ) وفي قراءة خراجا في الموضوعين وفي قراءة أخرى خراجا فيهما (وَهُوَ خَيْرٌ الرَّازِقِينَ) أفضل من أعطى وأجر

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧٣]

٧٣ - (وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُستقيم) دين الإسلام

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَابِتُونَ﴾

[المؤمنون: ٧٤]

٧٤ - (وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) بالبعث والثواب والعقاب (عَنِ الصِّرَاطِ) الطريق (لَنُكَابِتُونَ) عادلون

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْحَوَىٰ فِي

طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٥]

٧٥ - (وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ) أي جوع أصابهم بمكة سبع سنين (لَلْحَوَىٰ) تمادوا (فِي طُغْيَانِهِمْ) ضلالتهم (يَعْمَهُونَ) يترددون

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا

يَنْصُرُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٧٦]

٧٦ - (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ) الجوع (فَمَا اسْتَكَانُوا) تواضعوا (لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْصُرُهُمْ) يرغبون إلى الله بالدعاء^(١).

(١) أسباب نزول الآية ٧٦: وأخرج الثسائي، والحاكم عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك بالله والرحم قد أكلنا العلهز - يعني الوبر بالدم - فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْصُرُهُمْ﴾.

* وأخرج البيهقي في الدلائل بلفظ: أَنَّ ثَمَامَةَ بْنَ أَنَالِ الحنفي لما أتني به للنبي ﷺ وهو أسير خلى سبيله وأسلم فلحق بمكة ثم رجع إلى اليمامة فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة، حتى أكلت قريش العلهز، فجاء أبو سفيان إلى النبي

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ

مُبْلِسُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٧]

٧٧ - (حَتَّىٰ) ابتدائية (إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا)

صاحب (عَذَابٍ شَدِيدٍ) هو يوم بدر بالقتل (إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) آيسون من كل خير

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا

تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨]

٧٨ - (وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ) خلق (لَكُمُ السَّمْعَ)

بمعنى الأسماع (وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) تأكيد للقلّة (تَشْكُرُونَ)

﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

[المؤمنون: ٧٩]

٧٩ - (وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ) خلقكم (فِي الْأَرْضِ

وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) تبعون

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٠]

٨٠ - (وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي) ينفخ الروح في

المضغة (وَيُمِيتُ) وله اختلاف الليل والنهار بالسواد والبياض والزيادة والنقصان (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) صنعه تعالى فتعتبروا

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨١]

٨١ - (بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ)

﴿قَالُوا أَيْدَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾

[المؤمنون: ٨٢]

٨٢ - (قَالُوا) أي الأولون (أَيْدَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا

وَعِظَامًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ) لا وفي الهمزتين في الموضوعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف

بينهما على الوجهين

﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَوَأَبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا

أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٨٣]

٨٣ - (لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَوَأَبَاؤُنَا هَذَا) أي البعث

بعد الموت (مِنْ قَبْلُ إِنْ) ما (هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ)

قال: قال: أَلَسْتُ تَزْعُمُ أَنَّكَ بَعِثْتَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ قَتَلْتَ الْأَبَاءَ بِالسِّيفِ وَالْأَبْنََاءَ بِالْجُوعِ، فَنَزَلَتْ.

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿المؤمنون: ٩١﴾

٩١ - (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا) أي لو كان معه إله (لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ) أي انفرده به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه (وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) مغالبة كفعل ملوك الدنيا (سُبْحَانَ اللَّهِ) تنزيها له (عَمَّا يُصِفُونَ) به به مما ذكر

﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[المؤمنون: ٩٢]

٩٢ - (عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ما غاب وما شوهد بالجر صفة والرفع خبر هو مقدر (فَتَعَالَى) تعظم (عَمَّا يُشْرِكُونَ) به معه

﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا نُرِيئُكَ مَا يُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٣]

٩٣ - (قُلْ رَبِّ إِنَّمَا) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة (نُرِيئُكَ مَا يُوعَدُونَ) هـ من العذاب هو صادق بالقتل بيد

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

[المؤمنون: ٩٤]

٩٤ - (رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فأهلك بإهلاكهم

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ﴾

[المؤمنون: ٩٥]

٩٥ - (وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ)

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا

يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]

٩٦ - (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي الخلة من الصفح والإعراض عنهم (السَّيِّئَةِ) أذاهم إياك وهذا قبل الأمر بالقتال (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) أي يكذبون ويقولون فنجازيهم عليه

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾

[المؤمنون: ٩٧]

٩٧ - (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ) اعتصم (بِكَ مِنْ

هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ) نزعانهم بما يوسوسون به

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٨]

أكاذيب (الأوليين) كالأصاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[المؤمنون: ٨٤]

٨٤ - (قُلْ) لهم (لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا) من الخلق (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) خالقها ومالكها

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٥]

٨٥ - (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ) لهم (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بإدغام التاء الثانية في الذال تتعظون فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الإحياء بعد الموت

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

[المؤمنون: ٨٦]

٨٦ - (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) الكرسي

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِئُكَ﴾ [المؤمنون: ٨٧]

٨٧ - (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) تحذرون عبادة غيره

﴿قُلْ مَنْ يُبَدِّلُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨]

٨٨ - (قُلْ مَنْ يَبَدِّلُ مَلَكُوتَ) ملك (كُلِّ شَيْءٍ) والتاء للمبالغة (وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ) يحمي ولا يحمى عليه (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩]

٨٩ - (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ) وفي قراءة لله بلام الجر في الموضعين نظرا إلى أن المعنى من له ما ذكر (قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) تتخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده أي كيف تخيل لكم أنه باطل

﴿بَلْ آتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

[المؤمنون: ٩٠]

٩٠ - (بَلْ آتَيْنَهُم بِالْحَقِّ) بالصدق (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) في نفيه وهو

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا

لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ

١٠٤ - تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ تَحْرِقُهَا وَهُمْ فِيهَا كَالْيَحُونِ شمرت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم ويقال لهم

﴿أَلَمْ تَكُنْ مِائِي تَتَلَّى عَلَيْنَا فُكْتُمُ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾
[المؤمنون: ١٠٥]

١٠٥ - (أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي) مِنَ الْقُرْآنِ (تَتَلَّى عَلَيْنَا) تَخْفُونَ بِهَا (فُكْتُمُ بِهَا تُكْذِبُونَ)

﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْنَا شِقْوَتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦]

١٠٦ - (قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْنَا شِقْوَتَنَا) وفي قراءة شقاوتنا بفتح أوله وألف وهما مصدران بمعنى (وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ) عن الهدية

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾
[المؤمنون: ١٠٧]

١٠٧ - (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) إلى المخالفة (فَإِنَّا ظَالِمُونَ)

﴿قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]

١٠٨ - (قَالَ) لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين (اخْسَرُوا فِيهَا) ابعثوا في النار اذلاء (وَلَا تُكَلِّمُونِ) في رفع العذاب عنكم فيقطع رجاؤهم

﴿إِنَّهُ كَانَ قَرِيبٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾

١٠٩ - (إِنَّهُ كَانَ قَرِيبٌ مِّنْ عِبَادِي) هم المهاجرون (يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ)

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٠]

١١٠ - (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا) بضم السين وكسرهما مصدر بمعنى الهزاء منهم بلال وصهيب وعمار وسلمان (حَتَّى أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي) فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم فهم سبب الإنساء فنسب إليهم (وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ)

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَاعِلُونَ﴾
[المؤمنون: ١١١]

٩٨ - (وَأَعْوَدُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ) في أموري لأنهم إنما يحضرون بسوء

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾
[المؤمنون: ٩٩]

٩٩ - (حَتَّىٰ) ابتدائية (إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ) ورأى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن (قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) الجمع للتعظيم

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن رَّوَابِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾
[المؤمنون: ١٠٠]

١٠٠ - (لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا) بأن أشهد أن لا إله إلا الله يكون (فِيمَا تَرَكْتُ) ضيعت من عمري أي في مقابلته قال تعالى (كَلَّا) أي لا رجوع (إِنَّهَا) أي رب ارجعون (كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا) ولا فائدة له فيها (وَمِن رَّوَابِهِمْ) أمامهم (بَرْزَخٌ) حاجز يصددهم عن الرجوع (إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) ولا رجوع بعده

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]

١٠١ - (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ) القرن النفخة الأولى أو الثانية (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ) يتفاحرون بها (وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) عنها خلاف حالهم في الدنيا لما يشغلهم من عظم الأمر عند ذلك في بعض مواطن القيامة وفي بعضها يفيقون وفي آية فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

١٠٢ - (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) بالحسنات (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣]

١٠٣ - (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) بالسيئات (فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ) فهم (فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ)

﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالْيَحُونِ﴾

[المؤمنون: ١٠٤]

١١٧ - (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ) صفة كاشفة لا مفهوم لها (فَأِنَّمَا حِسَابُهُ جَزَاؤُهُ) (عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) لا يسعدون ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعْرِضْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨]

١١٨ - (وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ) المؤمنين في الرحمة زيادة عن المغفرة (وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) أفضل راحم.

* * *

٢٤ - سورة النور

محذية وآياتها أربع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَضْحَاهَا الدَّلَالَاتِ (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)﴾ [النور: ١]

١ - هذه (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا) مخففة ومشددة لكثرة المفروض فيها (وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) واضحات الدلالات (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يادغام التاء الثانية في الدال تعظون

﴿الرَّازِيَةُ وَالرَّازِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]

٢ - (الرَّازِيَةُ وَالرَّازِي) أي غير المحصنين لرحمتها بالسنة وأل فيما ذكر موصولة وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) ضربة يقال جلده ضرب جلده ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام والبريق على النصف مما ذكر (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) حكمه بأن تتركوا شيئاً من حدهما (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أي يوم البعث في هذا تحريض على ما قبل الشرط وهو جوابه أو دال على جوابه (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا) أي الجلد (طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) قيل ثلاثة وقيل أربعة عدد شهود الزنا.

١١١ - (لَأَنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ) النعيم المقيم (بِمَا صَبَرُوا) على استهزائكم بهم وأذاكم إياهم (أَنْتَهُمْ) بكسر الهمزة استئناف وبتفتحها مفعول ثان لجزيتهم (هُمُ الْفَاطِرُونَ) بمطلوبهم

﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾

[المؤمنون: ١١٢]

١١٢ - (قَالَ) تعالى لهم بلسان مالك وفي قراءة قل (كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ) في الدنيا وفي قبوركم (عَدَدَ سِنِينَ) تمييز

﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ﴾

[المؤمنون: ١١٣]

١١٣ - (قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) شكوا في ذلك واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب (فَأَسْأَلُ الْعَادِينَ) الملائكة المحصنين أعمال الخلق ﴿قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٤]

١١٤ - (قَالَ) تعالى بلسان مالك وفي قراءة أيضاً قل (إِنْ) ما (لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) مقدار لبئكم من الطول كان قليلاً بالنسبة إلى لبئكم في النار

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِيَّانَا لَا تَرْجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]

١١٥ - (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) لا لحكمة (وَأَنْتُمْ إِيَّانَا لَا تَرْجِعُونَ) بالبناء للفاعل وللمفعول لا بل لتبعيدكم بالأمر والنهي وترجعوا إلينا ونجازي على ذلك وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون

﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ

الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]

١١٦ - (فَتَعَلَى اللَّهِ) عن العبث وغيره مما لا يليق به (الْمَلِكُ الْحَقُّ) لا إله إلا هو ربُّ العرش الكريم (الكرسي الحسن).

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾

[المؤمنون: ١١٧]

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

[النور: ٣]

٣ - (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ) يتزوج (الزَّانِيَةُ أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) أي المناسب لكل منهما ما ذكر (وَحُرْمٌ ذَلِكَ) أي نكاح الزواني (عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) الأختيار نزل ذلك لما هم فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم فقيل التحريم خاص بهن وقيل عام ونسخ بقوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم.

﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمَحْضَنَاتِ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةٍ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤]

٤ - (وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمَحْضَنَاتِ) العفيفات بالزنا (ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةٍ) على زناهن برؤيتهن (فَاجْلِدُوهُمْ) أي كل واحد منهم (ثَمَانِينَ جَلْدَةً) ولا تقبلوا لهم شهادة (أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) لإتيانهم كبيرة

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٥]

٢٤ - سورة النور

(١) أسباب نزول الآية ٣: أخرج النسائي عن عبد الله بن عمرو قال: كانت امرأة يقال لها أم مهزول، وكانت تسافح، فأراد رجل من أصحاب النبي ﷺ أن يتزوجها، فأنزل الله: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

* وأخرج أبو داود، والترمذي، والنسائي، والحاكم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له مزيد يحمل من الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، وكانت امرأة بمكة صديقه له يقال لها عناق، فاستأذن النبي ﷺ أن ينكحها، فلم يرد عليه شيئاً حتى نزلت: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، فقال رسول الله ﷺ: يا مرتد: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، فلا تنكحها.

* وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد قال: لما حرم الله الزنا، فكان زوانٍ عندهن جمال، فقال الناس: ليطلقن فليزوجن، فنزلت.

٥ - (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا) عملهم (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لهم قذفهم (رَحِيمٌ) بهم بإلهامهم التوبة فيها ينتهي فسقهم وتقبل شهادتهم وقيل لا تقبل رجوعاً بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة

﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٦]

٦ - (وَالَّذِينَ يَزُمُونَ أَرْوَاجَهُمْ) بالزنا (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ) عليه (إِلَّا أَنْفُسُهُمْ) وقع ذلك لجماعة من الصحابة (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ) مبتدأ (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ) نصب على المصدر (بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) فيما رمى به زوجته من الزنى (١).

﴿وَالْحَامِسَةُ أَنْ لَعَنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النور: ٧]

٧ - (وَالْحَامِسَةُ أَنْ لَعَنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) في ذلك وخبر المبتدأ تدفع عنه حد القذف

﴿وَيَذَرُهَا عَنِ الْعَذَابِ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النور: ٨]

٨ - (وَيَذَرُهَا) يدفع (عَنْهَا الْعَذَابِ) أي حد الزنا الذي ثبت بشهادته (أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ) فيما رماها به من الزنا

(١) أسباب نزول الآيات ٦ - ٧ - ٨: أخرج البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس: أَنَّ هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ، بشريك ابن سحماء، فقال له النبي ﷺ: البيئَةُ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ، فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً ينطق بيلمس البيئَةَ؟ فجعل النبي ﷺ يقول: البيئَةُ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ.

* فقال هلال: والذي بعثك بالحق إنني لصادق ولشركي الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل، فأنزل الله عليه: ﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ أَرْوَاجَهُمْ﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

* وأخرجه أحمد بلفظ لما نزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمَحْضَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةٍ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾. قال سعد بن عبادة وهو سيد الأنصار: أهكذا نزلت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟ قالوا: يا رسول الله لا تعلم فإنه رجل غيور، والله ما تزوج امرأة قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيظه، فقال سعد: والله يا رسول الله إنني

﴿وَلَقَدْ نَسَا أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

[النور: ٩]

٩ - (وَالْحَامِسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ

لأعلم أنها حق وأنها من الله ولكني تعجبت أنني لو وجدت لكاعاً قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أنحيه ولا أحره حتى أتى بأربعة شهداء، فوالله لا أتى بهم حتى يقضي حاجته. قال: فما لبثوا إلا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلاً فرأى بعينه وسمع بأذنه فلم يهجه حتى أصبح فعدا إلى رسول الله ﷺ، وقال له: إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلاً فرأيت بعيني وسمعت بأذني، ففكر رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد عليه واجتمعت الأنصار فقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد بن عباد، الآن يضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية ويطل شهادته في الناس.

* فقال هلال: والله إنني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً، فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه، فأنزل الله عليه الوحي فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي، فنزلت: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ الآية.

* وأخرج أبو يعلى مثله من حديث أنس.

* وأخرج الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد قال: جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال: أسأل لبي رسول الله ﷺ، رأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فقتله، أقتل به؟ أم كيف يصنع؟ فسأل عاصم رسول الله ﷺ، فعاب رسول الله ﷺ السائل فلقبه عويمر فقال: ما صنعت؟ قال: ما صنعت، إنك لم تأتني بخير سألت رسول الله ﷺ فعاب السائل، فقال عويمر: فوالله لأتيت رسول الله ﷺ فلا سأله، فسأله فقال: إنهُ أنزل فيك وفي صاحبك الآيات، الحديث.

* قال الحافظ ابن حجر: اختلفت الأمة في هذه المواضع، فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضاً، فنزلت في شأنهما معاً، وإلى هذا جنح النووي وتبعه الخطيب فقال: لعلهما أتفق لهما ذلك في وقت واحد.

* قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال، فلما جاء عويمر ولم يكن له علم بما وقع لهلال أعلمه النبي ﷺ بالحكم، ولهذا قال في قصة هلال، فنزل جبريل، وفي قصة عويمر: قد أنزل الله فيك، فيؤول قوله قد أنزل الله فيك، أي فيمن وقع له مثل ما وقع لك، وبهذا أجاب ابن الصباغ في الشامل، وجح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين.

* وأخرج الزبير من طريق زيد بن مطيع عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: لو رأيت مع أم رومان رجلاً ما كنت فاعلاً به؟ قال: كنت فاعلاً به شراً، قال: وأنت يا عمر؟ قال: كنت أقول لمن الله الأعجز وإنه لخيث، فنزلت.

* قال الحافظ ابن حجر: لا مانع من تعدد الأسباب.

مِنَ الصَّادِقِينَ) فِي ذَلِكَ

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾

حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠]

١٠ - (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) بِالْسُّتْرِ فِي ذَلِكَ (وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ) بِقَبُولِهِ التَّوْبَةَ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ (حَكِيمٌ) فِيمَا حَكَمَ بِهِ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ لِيُبَيِّنَ الْحَقَّ فِي ذَلِكَ وَعَاجِلَ الْعُقُوبَةِ مِنْ يَسْتَحِقُّهَا

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرًا مِنْهُمْ لَمْ يُعَذِّبْهُ عَظِيمٌ﴾

[النور: ١١]

١١ - (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ) أَسْوَأَ الْكُذْبِ

عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ بِقَذْفِهَا (عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ) جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَمُسْطَحٌ وَحَمْنَةُ بِنْتُ جِحْشٍ (لَا تَحْسَبُوهُ) أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ غَيْرِ الْعُصْبَةِ (شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) يَأْجُرْكُمْ اللَّهُ بِهِ وَيُظْهِرُ بَرَاءَةَ

عَائِشَةَ وَمَنْ جَاءَ مَعَهَا مِنْهُ وَهُوَ صَفْوَانُ فَإِنَّهَا قَالَتْ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ بَعْدَمَا أَنْزَلَ الْحِجَابَ فَفَرَّغَ مِنْهَا وَرَجَعَ وَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَذَنَ بِالرَّحِيلِ لَيْلَةَ فَمَشَيْتُ وَقَضَيْتُ شَأْنِي وَأَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحِيلِ فَإِذَا عَقْدِي انْقَطَعَ - وَهُوَ بِكُسْرِ الْمَهْمَلَةِ : الْقَلَادَةُ -

فَرَجَعْتَ التَّمَسَةَ وَحَمَلُوا هُودَجِي - وَهُوَ مَا يَرْكَبُ فِيهِ . عَلَى بَعِيرِي يَحْسَبُونَنِي فِيهِ وَكَانَتِ النِّسَاءُ خُفَافًا إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعَلَقَةَ وَهُوَ بَضْمُ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونُ اللَّامِ مِنَ الطَّعَامِ أَيِ الْقَلِيلِ وَوَجَدْتُ عَقْدِي وَجِئْتُ بَعْدَ مَا سَارُوا فَجَلَسْتُ فِي النَّزْلِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ فَعَلَبْتَنِي

عَيْنَايَ فَنَمْتُ وَكَانَ صَفْوَانٌ قَدْ عَرَسَ مِنْ وِرَاءِ الْجَيْشِ فَادْلَجَ - هُمَا بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَالِدَالِ - أَيِ نَزَلَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لِلِاسْتِرَاحَةِ فَسَارَ مِنْهُ فَأُصْبِحُ فِي مَنْزِلِهِ

فَرَأَى سُودًا إِنْسَانًا نَائِمًا أَيِ شَخْصِهِ فَعَرَفْتَنِي حِينَ رَأَيْتِي وَكَانَ يِرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ فَاسْتَيْقِظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفْتَنِي أَيِ قَوْلِهِ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

رَاجِعُونَ فَخَمَرْتُ وَجِهِي بِجَلْبَابِي أَيِ غَطَيْتُهُ بِالْمَلَاءَةِ وَاللَّهُ مَا كَلَمَنِي بِكَلِمَةٍ وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنْأَخَ رَاحِلَتَهُ وَوُطِئَ عَلَى يَدَيْهَا فَرَكِبْتُهَا فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْتُ الْجَيْشَ

فَرَكِبْتُهَا فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْتُ الْجَيْشَ

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا
وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢]

أبوي، قلت لأمي: يا أمه ما يتحدث الناس؟ قالت: أي بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيفة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها. قلت: سبحان الله أو قد تحدثت الناس بهذا أفبكت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي.

* ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، حين استلبت الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأثأ أسامة فأشأر عليه بالذي يعلم من براءة أهله، فقال: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيرا، وأثأ علي فقال: لم يضيئ الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك. فدعا بريرة فقال: «أي بريرة هل رأيت من شيء يريك من عائشة؟» قالت: والذي يعنك بالحق إن رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فنأني الداجن فتأكله، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبي، فقال: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا.

* قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع، ثم بكيت تلك الليلة لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، وأبوي يظنان أن البكاء فائق كبدي، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، استأذنت علي امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي، ثم دخل رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس... وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء، فتشهد ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريرة فسيرئك الله، وإن كنت قد ألمت بذنب فاستغفري الله ثم توبى إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه، فلما قضى مقالته... قلت لأبي: أجبر عني رسول الله ﷺ فقال: والله ما أدري ما أقول، قلت لأمي: أجيبني رسول الله ﷺ فقالت: والله ما أدري ما أقول، قلت وأنا جارية حديثة السن... والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، ولكن قلت لكم: إني بريرة والله يعلم أنني بريرة لا تصدقوني، وفي رواية: ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنني منه بريرة لتصدقني، وإني والله لا أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف: «فصبر جميل والله المشتمعان على ما تصفون» ثم تحولت فاضطجعت على فراشي.

* فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، فلما سرى عنه كان أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك، فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله، هو الذي أنزل براءتي، وأنزل الله: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ» عشر آيات... فقال أبو بكر: وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره، والله لا أنفق عليه شيئا بعد الذي قال لعائشة، فأنزل

بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهرية أي من أوغر واقفين في مكان وغر من شدة الحر فهلك من هلك في وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي بن سلول أهد قولها رواه الشيخان قال تعالى (لكل امرئٍ مثمّم) أي عليه (مما اكتسب من الإثم) في ذلك (والذي تولى كبرته مثمّم) أي تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو عبد الله بن أبي (له عذاب عظيم) هو النار في الآخرة (١).

(١) أسباب نزول الآية ١١: أخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأبتهن خرج سهمها خرج بها معه فأقرع بيننا في غزوة غزاهي، فخرج سهمي فخرجت وذلك بعد ما أنزل الحجاب. فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل ودنونا من المدينة أذن ليلة بالرحيل فقامت حين أذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرّحل فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرّهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه.

* قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافا لم يُهَبَّلْنَ ولم يغشن اللحم إنما يأكلن العلقمة من الطعام فلا يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعهو فبعثوا الجمال وساروا، ووجدت عقدي عند ما سار الجيش، فبحث منازلهم وليس بها منهم دأع ولا مجيب، فتيتمت منزلي الذي كنت فيه فظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فتمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش فأدلى فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فعرضني حين رأني، وكان يراني قبل أن يضرب علي الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرضني فخرمت وجهي بجلبابي، فوالله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حين أناخ راحلته، فوطيء على يدها فركبها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهرية فهلك من هلك في شأني.

* وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول، فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمنا شهرا، والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك، حتى خرجت بعد ما نفقت وخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزا، فغثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا؟ قالت: أي هنتاه ألم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضا إلى مرضي.

* فلما دخل علي رسول الله ﷺ قلت: أتأذن لي أن أتى أبوي؟ وأنا أريد أن أتقن الخبر من قبلهما فأذن لي، فبحث

١٨ - (وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بما يأمر به وينهى عنه (حكيم) فيه

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]

١٩ - (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ) باللسان (في الذين آمنوا) بنسبتها إليهم وهم العصابة (لهم عذاب أليم في الدنيا) بحد القذف (والآخرة) بالنار لحق الله (والله يعلم) انتفاءها عنهم (وأنتم) أيها العصابة بما قلتم من الإفك (لا تعلمون) وجودها فيهم

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠]

٢٠ - (ولولا فضل الله عليكم) أيها العصابة (ورحمته وأن الله زعوف رحيم) بكم لعاجلكم بالمعوية

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَةِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[النور: ٢١]

٢١ - (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوب الشيطان) أي طرق تزيينه (ومن يتبع خطوب الشيطان فإنه يأمُر بالفحشاء) أي الفسح (والمُنكر) شرعا باتباعها (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم) أيها العصابة بما قلتم من الإفك (من أحد أبدا) أي ما صلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة منه (ولكن الله يزكي) يطهر (من يشاء) من الذنب بقبول توبته منه (والله سميع عليم) بما قلتم) بما قصدتم

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

٢٢ - (ولا يأتل) يحلف (أولو الفضل) أي أصحاب الغنى (منكم والسعة) أي لا يؤثروا أُولَى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) نزلت

١٢ - (لولا) هلا (إذ) حين (سمِعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) أي ظن بعضهم ببعض (خبروا وقالوا هذا إفك مبين) كذب بين فيه التفات عن الخطاب أي ظنتم أيها العصابة وقلتم ﴿لَوْلَا جَاءَهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٣]

١٣ - (لولا) هلا (جاءوا) أي العصابة (عليه) بأربعة شهداء) شاهده (فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله) أي في حكمه (هم الكاذبون) فيه ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسَكَتَ فِي مَا أَقْسَمْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤]

١٤ - (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكت في ما أقسمتم في أيها العصابة أي خضتم (فيه عذاب عظيم) في الآخرة

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّتْرِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]

١٥ - (إذ تلقونه بالسيتر) أي يرويه بعضهم عن بعض وحذف من الفعل إحدى التاءين (إذ منصوب) يمسكم أو بأفصتكم (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) وتحسبونه هينا (لا إثم فيه) وهو عند الله عظيم) في الإثم

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]

١٦ - (ولولا) هلا (إذ) حين (سمِعتموه قُلتم ما يكون) ما ينبغي (لنا أن نتكلم بهذا سبحانك) هو للتعجب هنا (هذا بهتان) كذب (عظيم)

﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧]

١٧ - (يعظم الله) ينهاكم (أن تعودوا لِمِثْلِهِ أبدا) إن كنتم مؤمنين) تتعظون بذلك

﴿وَيَسِّرُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

الله: ولا يأتل أُولَى الفضل منكم والسعة إلى: وألا تحيون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم.

وهو يوم القيامة

﴿يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]

٢٥ - (يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ) يجازيهم جزاءه الواجب عليهم (وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشكون فيه ومنهم عبد الله بن أبي والمحصنات هنا أزواج النبي ﷺ يذكر في قذفهن توبة ومن ذكر في قذفهن أول سورة التوبة غيرهن

﴿الْحَيْثُ الثُّ لِحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ لِلْحَيْثَاتِ وَالطَّيْبَاتُ
لِلطَّيْبِينَ وَالطَّيْبُونَ لِلطَّيْبَاتِ أُولَئِكَ مَرَّةً مِمَّا
يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦]

٢٦ - (الْحَيْثَاتُ) من النساء ومن الكلمات (لِلْحَيْثِيِّينَ) من الناس (وَالْحَيْثُونَ) من الناس (لِلطَّيْبَاتِ) مما ذكر (وَالطَّيْبَاتُ) مما ذكر (لِلطَّيْبِينَ) من الناس (وَالطَّيْبُونَ) منهم (لِلطَّيْبَاتِ) مما ذكر أي اللاتق بالخبيث مثله وبالطيب مثله (أُولَئِكَ) الطيبون من الرجال والطيبات من النساء ومنهم عائشة وصفوان (مُبْرَأُونَ) مِمَّا يَقُولُونَ أي الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء فيهم (لَهُمْ) للطيبين والطيبات من النساء (مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) من الجنة وقد افتخرت عائشة بأشياء منها أنها خلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما (١).

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بيوتًا عَرَّ يَوْمَكُمْ
حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧]

(١) أسباب نزول الآية ٢٦: وأخرج الطبراني بسند رجاله ثقافت عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: «الْحَيْثَاتُ لِلْحَيْثِيِّينَ» الآية. قال: نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية فبرأها الله من ذلك.

* وأخرج الطبراني بسنتين فيهما ضعف عن ابن عباس قال: نزلت «الْحَيْثَاتُ لِلْحَيْثِيِّينَ» الآية، للذين قالوا في زوج النبي ﷺ ما قالوا من البهتان.

* وأخرج الطبراني عن الحكم بن عتبة. قال: لما خاض الناس في أمر عائشة أرسل رسول الله ﷺ إلى عائشة، فقال: يا عائشة ما يقول الناس؟ فقالت: لا أعتذر بشيء حتى ينزل عذري من السماء، فأنزل الله فيها خمس عشرة آية من سورة التور، ثم قرأ حتى بلغ: «الْحَيْثَاتُ لِلْحَيْثِيِّينَ» الآية، مرسل صحيح الإسناد.

في أبي بكر حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدري لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا) عنهم في ذلك (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) للمؤمنين قال أبو بكر بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه (١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]

٢٣ - (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ) بالزنا (الْمُحْصَنَاتِ) العفاف (الْفَاضِلَاتِ) عن الفواحش بأن لا يقع في قلوبهن فعلها (الْمُؤْمِنَاتِ) بالله ورسوله (لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (٢).

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]

٢٤ - (يَوْمَ) ناصبه الاستقرار الذي تعلق به لهم (تَشْهَدُ) بالفوقانية والتحتانية (عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من قول وفعل

(١) أسباب نزول الآية ٢٢: قال أبو بكر: والله إنني لأحِبُّ أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح ما كان ينفق عليه.

* وفي الباب عن ابن عباس وابن عمر عند الطبراني.
* وأبي هريرة عند البيهقي.
* وأبي اليسر عند ابن مردويه.

(٢) أسباب نزول الآية ٢٣: وأخرج الطبراني عن خصيف قلت لسعيد بن جبير: أيما أشد، الرُّنَا أو القذف؟ قال: الرُّنَا، قلت: إن الله يقول: «إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ» قال: إنما أنزل هذا في شأن عائشة خاصة، في إسناده يحيى الحماني ضعيف.

* وأخرج أيضًا عن الضحاك بن مزاحم قال: نزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ خاصة: «إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ» الآية.

* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عائشة خاصة.

* وأخرج ابن جرير عن عائشة قالت: رُميت بما رميت وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك فينا رسول الله ﷺ عندي إذ أوحى إلي... ثم استوى جالسا فمسح وجهه وقال: يا عائشة أبشري فقلت: بحمد الله لا بحمدك، فقرا: «إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ» حتى بلغ: «أُولَئِكَ مُبْرَأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ».

فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾
[النور: ٣٠]

٣٠- (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) عما لا يحل لهم نظره ومن زائدة (وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) عما لا يحل لهم فعله بها (ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ) أي خير (لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) بالأبصار والفروج فيجازيهم عليه

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُرُوجِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخْوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]

٣١- (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) عما لا يحل لهن نظره (وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) عما لا يحل لهن فعله بها (ولا يُبْدِينَ) يظهرن (زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين والثاني يحرم لأنه مظنة الفتنة ورجح حسما للباب (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُرُوجِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) أي يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع (ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) الخفية وهي ما عدا الوجه والكفين (إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) جمع بعول أي زوج (أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخْوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) فيجوز لهم نظره إلا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الأزواج وخرج بنسائهن الكافرات فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن وشمل ما ملكت أيمانهن العبيد (أَوِ التَّابِعِينَ) في فضول الطعام (غَيْرِ) بالجر صفة والنصب استثناء (أَوِ الْإِرْبَةِ) أصحاب الحاجة إلى النساء (مِنَ الرِّجَالِ) بأن لم ينتشر ذكر كل (أَوِ الطِّفْلِ) بمعنى الأطفال

٢٧- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا) أي تستأذنوا (وَتَسَلَّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا) فيقول الواحد السلام عليكم أدخل كما ورد في الحديث (ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ) من الدخول بغير استئذان (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يادغام التاء الثانية في الدال خيريته فعملوا به (١).

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢٨]

٢٨- (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا) يأذن لكم (فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ) وإن قيل لكم بعد الاستئذان (ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ) أي الرجوع (أَزْكَىٰ) أي خير (لَكُمْ) من القعود على الباب (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) من الدخول بإذن وغير إذن (عَلِيمٌ) فيجازيكم عليه

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النور: ٢٩]

٢٩- (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ) أي منفعة (لَكُمْ) باستئذان وغيره كبيوت الربط والخانات المسبلة (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ) تظهرون (وَمَا تَكْتُمُونَ) تخفون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره وسيأتي أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا

(١) أسباب نزول الآية ٢٧: أخرج القرطبي وابن جرير عن عدي بن ثابت قال: جاءت امرأة من الأنصار، فقالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف صنع؟ فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: لما نزلت آية الاستئذان في البيوت، قال أبو بكر، يا رسول الله، فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة، والمدينة، والشام، ولهم بيوت معلومة على الطريق فكيف يستأذنون ويسلمون وليس فيها سكان؟ فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾.

لأداء مال الكتابة وصيغتها مثلا كاتبك على ألفين في شهرين كل شهر ألف فإذا أدبتهما فأنت حر فيقول قبلت (وأثوهم) أمر للسادة (مَنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم (ولا تُكْرَهُوا قِيَاتِكُمْ) إماءكم (عَلَى الْبِغَاءِ) أي الزنا (وإنْ أَرَدْتُمْ تَحَصَّنَا) تعفوا عنه وهذه الإرادة محل الإكراه فلا مفهوم للشرط (لَتَبْتَغُوا) بالإكراه (عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) نزلت في عبد الله بن أبي كان يكره جواربه على الكسب بالزنا (وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ) لهم (رَّحِيمٌ) بهم (١).

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور: ٣٤]

٣٤ - (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ) بفتح الياء وكسرهما في هذه السورة بين فيها ما ذكر أو تبينه (وَمَثَلًا) خبرا عجيبا وهو خبر عائشة (مَنْ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ) أي من جنس أمثالهم أي

(١) أسباب نزول الآية ٣٣: أخرج ابن السكن في معرفة الصحابة عن عبد الله بن صبيح عن أبيه قال: كنت مملوكا لحويطب بن عبد العزى فسألته الكتاب فأبى فنزلت: «وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ» الآية.

* قوله تعالى: «ولا تكروها قياتكم على البغاء» الآية.
* أخرج مسلم من طريق أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: كان عبد الله بن أبي يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئا، فأنزل الله: «ولا تكروها قياتكم على البغاء» الآية.

* وأخرج أيضا من هذا الطريق أن جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة، وأخرى يقال لها أميمة، فكان يكرههما على الزنا فشكنا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله: «ولا تكروها قياتكم على البغاء» الآية.

* وأخرج الحاكم من طريق أبي الزبير عن جابر قال: جاءت مسيكة لبعض الأنصار، فقالت: إن سيدي يكرهني على البغاء فنزلت: «ولا تكروها قياتكم على البغاء» الآية.

* وأخرج البزار والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: كانت لعبد الله بن أبي جارية تزني في الجاهلية فلما حُرِّمَ الزَّنا قالت: لا والله لا أزني أبدا، فنزلت: «ولا تكروها قياتكم على البغاء».

* وأخرج البزار بسند ضعيف عن أنس نحوه وسمى الجارية معاذة.

* وأخرج سعيد بن منصور عن شعبان عن عمرو بن دينار عن عكرمة أن عبد الله بن أبي كانت له أمتان: مسيكة، ومعاذة، فكان يكرههما على الزنا، فقالت إحداهما: إن كان خيرا فقد استكثرت منه، وإن كان غير ذلك فإنه ينبغي أن أدعه، فأنزل الله: «ولا تكروها قياتكم على البغاء» الآية.

(الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا) يطلعوا (عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) للجماع فيجوز أن يبدين لهم ما عدا بين السرة والركبة (ولا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ) من خلخال يتقعقع (وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ) مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره (لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ) تنجون من ذلك لقبول التوبة منه وفي الآية تغليب الذكور على الإناث

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَانَ مِنكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ﴾ [النور: ٣٢]

٣٢ - (وَأَنكِحُوا الْأَيْمَانَ مِنكُمُ) جمع أيم وهي من ليس لها زوج بكرا كانت أو ثيبا ومن ليس له زوج وهذا في الأحرار والحرائر (وَالصَّالِحِينَ) أي المؤمنين (مِن عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ) وعباد من جموع عبد (إِنْ يَكُونُوا) أي الأحرار (فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ) بالتزوج (مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِعُ) لخلقهم (عَلِيمٌ) بهم

﴿وَلِيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكَلْبَةَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَا كُتِبَ لَهُمْ مِنْ عِلْمٍ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَثْوَاهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا قِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ حَصَّنَا لِيَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣]

٣٣ - (وَلِيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا) أي ما ينكحون به من مهر ونفقة عن الزنا (حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ) يوسع عليهم (مِن فَضْلِهِ) فينكحوا (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ) بمعنى المكاتب (مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من العبيد والإماء (فَمَا كُتِبَ لَهُمْ مِنْ عِلْمٍ فِيهِمْ خَيْرًا) أي أمانة وقدرة على الكسب

(١) أسباب نزول الآية ٣١: وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: بلغنا أن جابر بن عبد الله، حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في نخل لها، فجعل النساء يدخلن عليها غير متأذرات فيبدوا ما في أرجلهن، يعني: الخلال. وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا! فأنزل الله في ذلك: «وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ» الآية.

* وأخرج ابن جرير عن حزمي: أن امرأة اتخذت بُرْتِينِ من فضة واتخذت جزعا، فمرت على قوم، فضربت برجلها، فوقع الخلال على الخرج فصوت، فأنزل الله: «وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ» الآية.

﴿رَجَالٌ لَا تُلِهِم مَّخْرَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ
الصَّلَاةِ وَإِبَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧]

٣٧ - (رَجَالٌ) فاعل يسبح بكسر الباء وعلى
فتحةا نائب الفاعل له ورجال فاعل فعل مقدر
جواب سؤال مقدر كأنه قيل من يسبحه (لا تُلِهِم
بِعَازَةِ) أي شراء (ولا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ
الصَّلَاةِ) حذف هاء إقامة تخفيف (وَإِبَاءِ الزَّكَاةِ
يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ) تضطرب (فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ) من الخوف القلوب بين النجاة والهلاك
والأبصار بين ناحيتي اليمين والشمال هو يوم القيامة
﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَزَيِّدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ
بِزُرْقٍ مِنْ يَشَاءٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٨]

٣٨ - (لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا) أي
ثوابه وأحسن بمعنى حسن (وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ
وَاللَّهُ يَزُرُقُ مِنْ يَشَاءٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ) يقال فلان ينفق
بغير حساب أي يوسع كأنه لا يحسب ما ينفقه
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ
الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ
عِنْدَهُ فَوْقَهُ جِسَابًا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾
[النور: ٣٩]

٣٩ - (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ)
جمع قاع أي فلاة وهي شعاع يرى فيها نصف
النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري (يَحْسَبُهُ)
يظنه (الظَّمْآنُ) أي العطشان (مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ
يَجِدْهُ شَيْئًا) مما حسبه كذلك الكافر يحسب أن
عمله كصدقة ينفقه حتى إذا مات وقدم على ربه
لم يجد عمله أي لم ينفقه (وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ) أي
عند عمله (فَوْقَهُ جِسَابًا) أي جازاه عليه في الدنيا
(وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) أي المجازاة

﴿أَوْ كَطُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ
مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ طُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا
أَخْرَجَ يَكْفُؤُا لَمْ يَكَدْ يَرِيهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ
مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]

٤٠ - (أَوْ كَطُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ) عميق (يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ
فَوْقِهِ) عميق (يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ

أخبارهم العجيبة كخبر يوسف ومريم (وَمَوْعِظَةً
لِلْمُتَّقِينَ) في قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في
دين الله لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون الخ ولولا
إذ سمعتموه الخ يعظكم الله أن تعودوا الخ
وتخصيصها بالمتقين لأنهم المتفعلون بها

﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا
يُضَاءُ النُّجُومُ وَالنَّجْمَاتُ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ
يُقَدِّمُ مِنَ الشَّجَرِ مَثْرَكَةً زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ
يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ
يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَبَضْرِبِ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥]

٣٥ - (اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي
منورهما بالشمس والقمر (مِثْلُ نُورِهِ) أي صفته في
قلب المؤمن (كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِضْبَاخُ الْمِضْبَاخِ فِي
زُجَاجَةٍ) هي القنديل والمصباح السراج أي الفتيلة
الموقودة والمشكاة الطاقية غير النافذة أي الأنبوبة
في القنديل (الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهُ) والنور فيها (كَوْكَبٌ
دُرِّيٌّ) أي مضيء بكسر الدال وضمها من الدرء
بمعنى الدفع لدفعها الظلام وضمها وتشديد الباء
منسوب إلى الدر اللؤلؤ (يُقَدِّمُ) (يُقَدِّمُ) المصباح بالماضي
وفي قراءة بمضارع أوقد مبنيا للمفعول بالتحسانية
وفي أخرى توقد بالفوقانية أي الزجاجية (مِنْ زَيْتٍ
(شَجَرَةٌ مَثْرَكَةٌ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) بل
بينهما فلا يتمكن منها حر ولا برد مضرين (يَكَادُ
زَيْتُهَا يُضِيءُ) وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ لصفاته (نُورٌ) به
(عَلَى نُورٍ) بالنار ونور الله أي هداه للمؤمن نور
على نور الإيمان (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ) أي لدين
الإسلام (مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ) يبين (اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ) تقريبا لأفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنه ضرب الأمثال

﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ
لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦]

٣٦ - (فِي بُيُوتٍ) متعلق بيسبح الآتي (أُذِنَ
اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ) تعظم (وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ) بتوحيده
(يُسَبِّحُ) بفتح الموحدة وكسرهما أي يصلي (لَهُ) فيها
بِالْغُدُوِّ مصدر بمعنى الغدوات أي البكر (وَالْآصَالِ)
العشايا من بعد الزوال

دلالة (لأُولِي الْأَبْصَارِ) لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
[النور: ٤٥]

٤٥ - (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ) أي حيوان (مِنْ مَاءٍ) أي نطفة (فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ) كالحيات والهوام (وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ) كالإنسان والطيور (وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ) كالبهائم والأنعام (يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦]

٤٦ - (لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ) أي بينات هي القرآن (وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) أي دين الإسلام

﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَكَّلُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾
[النور: ٤٧]

٤٧ - (وَيَقُولُونَ) أي المنافقون (أَمَّا) صدقنا (بِاللَّهِ) بتوحيده (وَبِالرَّسُولِ) محمد (وَأَطَعْنَا) هما فيما حكما به (ثُمَّ يَتَوَكَّلُ) يعرض (فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) عنه (وَمَا أُولَئِكَ) المعرضون (بِالْمُؤْمِنِينَ) المجهودين الموافق قلوبهم لأستهم

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٨]

٤٨ - (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ) المبلغ عنهم (لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) إذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ) عن المعجى إليه (١).

(١) أسباب نزول الآية ٤٨: أخرج ابن أبي حاتم من مرسل الحسن قال: كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل خصومة أو منازعة فدعي إلى النبي ﷺ وهو محق أذعن، وعلم أن النبي ﷺ سيقضي له بالحق، وإذا أراد أن يظلم فدعي إلى النبي ﷺ أعرض فقال: انطلق إلى فلان، فأنزل الله: «وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» الآية.

فَوْقَهُ) أي الموج (مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ) أي الموج الثاني (سَحَابٌ) أي غيم هذه (ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) ظلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الثاني وظلمة السحاب (إِذَا أُخْرِجَ) الناظر (بِدَهُ) في هذه الظلمات (لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا) أي لم يقرب من رؤيتها (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) أي من لم يهده الله لم يهتد

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخُجُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَقَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١]

٤١ - (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخُجُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ومن التسبيح صلاة (وَالطَّيْرِ) جمع طائر بين السماء والأرض (صَفَقَاتٍ) حال باسطات أجنحتهم (كُلِّ قَدْ عَلِمَ) الله (صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) واللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) فيه تغليب العاقل

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾
[النور: ٤٢]

٤٢ - (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خزائن المطر والرزق والنبات (وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) المرجع

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [النور: ٤٣]

٤٣ - (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا) يسوقه برفق (ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ) يضم بعضه إلى بعض فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة (ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا) بعضه فوق بعض (فَتَرَى الْوَدْقَ) المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) مخارجه (وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ زَائِدَةٍ) (جِبَالٍ فِيهَا) في السماء بدل باعادة الجار (مِنْ بَرَدٍ) أي بعضه (فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ) يقرب (يَكَادُ سَنَا) لمعانه (بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) الناظرة له أي أنه يخطفها

﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٤]

٤٤ - (يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) أي يأتي بكل منهما بدل الآخر (إِنَّ فِي ذَلِكَ) التقلب (لَعِبْرَةً)

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٩]

٤٩ - (وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ) مسرعين طائعين

﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: ٥٠]

٥٠ - (أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) كفر (أَمْ ارْتَابُوا) أي شكوا في نبوته (أَمْ يَخَافُونَ) أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ) فِي الْحُكْمِ أَي يَظْلِمُوا فِيهِ لَا (بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُ

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]

٥١ - (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) أَي فَالْقَوْلُ اللَّائِقُ بِهِمْ (أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) بِالْإِجَابَةِ (وَأُولَئِكَ) حِينَئِذٍ (هُمُ الْمُفْلِحُونَ) النَّاجُونَ

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَبَقِيَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]

٥٢ - (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ) وَيَخْشَى اللَّهَ) بِخَافِهِ (وَبَقِيَ) بِسُكُونِ الْهَاءِ وَكسرها بِأَنْ يَطِيعَهُ (فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) بِالْجَنَّةِ

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٥٣]

٥٣ - (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) غَايَتَهَا (لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ) بِالْجِهَادِ (لَيَخْرُجُنَّ قُلْ) لَهُمْ (لَا تُفْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ) لِلنَّبِيِّ خَيْرٍ مِنْ قِسْمِكُمُ الَّذِي لَا تَصَدُقُونَ فِيهِ (إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) مِنْ طَاعَتِكُمْ بِالْقَوْلِ وَمَخَالَفَتِكُمْ بِالْفِعْلِ

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]

٥٤ - (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) فَإِنْ تَوَلَّوْا) عَنْ طَاعَتِهِ بِحَدْفِ إِحْدَى التَّاءِ فِي خُطَابِ لَهُمْ (فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ) مِنَ التَّبْلِيغِ (وَعَلَيْكُمْ مَا

حُمِّلْتُمْ) مِنْ طَاعَتِهِ (وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا) وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ) أَي التَّبْلِيغُ الْبَيْنَ

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]

٥٥ - (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ) بِدَلَا مِنْ الْكُفَّارِ (كَمَا اسْتَخْلَفَ) بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ (الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِدَلَا مِنْ الْجَبَابِرَةِ (وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ) وَهُوَ الْإِسْلَامُ بِأَنْ يَظْهَرَهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ وَيُوسِعَ لَهُمْ فِي الْبِلَادِ فَيَمْلِكُونَهَا (وَلَيُبَدِّلَنَّهُم) بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ (مَنْ بَعْدَ خَوْفِهِمْ) مِنَ الْكُفَّارِ (أَمْنًا) وَقَدْ أَنْجَرَ اللَّهُ وَعَدَهُ لَهُمْ بِمَا ذَكَرَ وَأَتْنَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ (يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) هُوَ مُسْتَأْنَفٌ فِي حُكْمِ التَّلْعِيلِ (وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ) الْإِنْعَامُ مِنْهُمْ بِهِ (فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) وَأَوَّلُ مَنْ كَفَرَ بِهِ قَتْلَةُ عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَصَارُوا يَقْتُلُونَ بَعْدَ أَنْ كَانُوا إِخْوَانًا .

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]

٥٦ - (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أَي رَجَاءِ الرَّحْمَةِ

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَاؤْتَهُمُ النَّارَ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ [النور: ٥٧]

٥٧ - (لَا تَحْسَبَنَّ) بِالْفَوْقَانِيَةِ وَالتَّحْتَانِيَةِ وَالْفَاعِلُ الرَّسُولُ (الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ) لَنَا (فِي

(١) أسباب نزول الآية ٥٥: أخرج الحاكم وصححه، والطبراني عن أبي بن كعب قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وأوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يُصبحون إلا فيه فقالوا: ترون أننا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله، فنزلت: ﴿وَعَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ الآية . * وأخرج ابن أبي حاتم عن البراء قال: فينا نزلت هذه الآية ونحن في خوف شديد.

عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعُوا يَدَيْهِمْ غَيْرَ مُتَبَرِّحِينَ
بِرِيئَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾
[النور: ٦٠]

٦٠ - (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ) قعدن عن الحيض
والولد لكبرهن (اللائي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا) لذلك
(فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ يَدَيْهِنَّ) من الجلباب
والرداء والقناع فوق الخمار (غَيْرَ مُتَبَرِّحَاتٍ)
مظهرات (بِرِيئَةٍ) خفية كقلادة وسوار وخلخال (وَأَنْ
يَسْتَعْفِفْنَ) بأن لا يضعنها (خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
لِقَوْلِكُمْ (عَلِيمٌ) بما في قلوبكم

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا
عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ
بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالَكُمْ أَوْ
بُيُوتِ حَمَلَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَفَاتِحُهُ أَوْ
صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا
جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى
أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً
كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ [النور: ٦١]

٦١ - (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى
الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) في مؤاكلة
مقابلتهم (ولا) حرج (على) أنفسكم أن تأكلوا من
بيوتكم) بيوت أولادكم (أو بيوت آبائكم أو بيوت
أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بِيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بِيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أَخْوَالَكُمْ
أَوْ بِيُوتِ حَمَلَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَفَاتِحُهُ) خزنتموه
لغيركم (أو صديقكم) وهو من صدقكم في مودته
المعنى يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم
يُحْضِرُوا أي إذا علم رضاهم به (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا) مجتمعين (أو أَشْتَاتًا) متفرقين
جمع شت فمن تخرج أن يأكل وحده وإذا لم
يجد من يؤاكلة يترك الأكل (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا) لكم
لا أهل بها (فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) قولوا السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة ترد
عليكم وإن كان بها أهل فسلموا عليهم (تَحِيَّةً)

الْأَرْضِ) بأن يفوتونا (وَمَا أَوْأَاهُمْ) مرجعهم (النَّارُ
وَلَيْسَ الْمَصِيئُ الْمَرْجِعُ هِيَ

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَسْتَنْدِئُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ
وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ
العِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ
جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُوتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ
كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾
[النور: ٥٨]

٥٨ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من العبيد والإماء (وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا
الْحُلُمَ مِنْكُمْ) من الأحرار وعرفوا أمر النساء (ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ) في ثلاثة أوقات (مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ
تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ) أي وقت الظهر (وَمِنْ
بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ) بالرفع خبر
مبتدأ مقدر بعده مضاف وقام المضاف إليه مقامه :
أي هي أوقات أو بالنصب بتقدير أوقات منصوبا
بدلا من محل ما قبله قام المضاف إليه مقامه وهي
لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات (لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا
عَلَيْهِمْ) أي المماليك والصبيان (جُنَاحٌ) في الدخول
عليكم بغير استئذان (تَعْدَهُنَّ) أي بعد الأوقات
الثلاثة هم (طَوَافُوتٌ عَلَيْكُمْ) للخدمة (بَعْضُكُمْ)
طائف (عَلَى بَعْضٍ) والجملة مؤكدة لما قبلها
(كَذَلِكَ) كما بين ما ذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ)
أي الأحكام (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بأمر خلقه (حَكِيمٌ) بما
دبره لهم وآية الاستئذان قيل منسوخة وقيل لا
ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا
اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾

[النور: ٥٩]

٥٩ - (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ) أيها الأحرار
(الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا) في جميع الأوقات (كَمَا اسْتَأْذَنَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أي الأحرار الكبار (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِيَبْعَثَ شَأْنِيهِمْ قَالُوا لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[النور: ٦٢]

٦٢ - (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ) الرسول (عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ) كخطبة الجمعة (لَّمْ يَذْهَبُوا) لعروض عذر لهم (حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ) إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِيَبْعَثَ شَأْنِيهِمْ) أمرهم (فَأَذْنُ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ) بالانصراف (وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (١)

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لِيُؤَادُوا فَيُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]

٦٣ - (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) بأن تقولوا يا محمد بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع وتخفيض صوت (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لِيُؤَادُوا) أي يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء وقد للتحقيق (فَلْيُخَالِفُوا الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) أي الله أو الرسول (أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) بلاء (أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) في الآخرة (٢)

(١) أسباب نزول الآية ٦٢: أخرج ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل عن عروة ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما قالوا: لما أقبلت قريش عام الأحزاب نزلوا بجميع الأسيال من رومة بئر المدينة، قائدها أبو سفيان وأقبلت غطفان حتى نزلوا بنعمي إلى جانب أحد، وجاء رسول الله ﷺ الخبير، فضرب الخندق على المدينة، وعمل فيه، وعمل المسلمون فيه، وأبطأ رجال من المنافقين، وجعلوا يأتون بالضعيف من العمل، فيتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابه النائية من الحاجة التي لا بد منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ويستأذنه في اللحوق لحاجته فيأذن له، وإذا قضى حاجته رجع، فأنزل الله في أولئك المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(٢) أسباب نزول الآية ٦٣: أخرج أبو نعيم في الدلائل من

مصدر حيا (مَنْ عِنْدَ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ) يثاب عليها (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ) أي يفصل لكم معالم دينكم (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) لكي تفهموا ذلك (١).

(١) أسباب نزول الآية ٦١: قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: كان الرجل يذهب بالأعمى والأعرج والمريض إلى بيت أبيه أو بيت أخيه أو بيت أخته أو بيت عمته، فكانت الزمنى يتحرجون من ذلك يقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم، فنزلت هذه الآية رخصة لهم: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾ الآية.

* وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: لما أنزل الله: ﴿وَمَا آتَا إِلَٰهِي الْذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾، فقال المسلمون: إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام من أفضل الأموال فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فكف الناس عن ذلك، فنزل: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ﴾ الآية.

* وأخرج عن الضحاك قال: كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبي ﷺ لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا مريض ولا أعرج لأن الأعمى لا يصير طيب الطعام، والمريض لا يستوفي الطعام كما يستوفي الصحيح، والأعرج لا يستطيع المزاحمة على الطعام، فنزلت رخصة في مؤاكلتهم.

* وأخرج عن مقسم قال: «كانوا يتقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج» فنزلت.

* وأخرج الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس قال: خرج الحارث غازياً مع رسول الله ﷺ فخلف على أهله خالد بن زيد فخرج أن يأكل من طعامهم وكان مجهوداً فنزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ الآية.

* أخرج البزار بسند صحيح عن عائشة قالت: كان المسلمون يرغبون في الثفر مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى زفاتهم ويقولون لهم: قد أحللتنا لكم أن نأكلوا مما أحببتهم، وكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا إثمهم أذنوا عن غير طيب نفس، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ﴾.

* وأخرج ابن جرير عن الزهري أنه يشئل عن قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾ ما بال الأعمى والأعرج والمريض ذكروا هنا؟ فقال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله قال: إن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زفاتهم، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون: قد أحللتنا لكم أن نأكلوا مما في بيوتنا، وكانوا يتحرجون من ذلك، ويقولون لا ندخلها وهم غيب، فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم.

* وأخرج عن قتادة قال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ في حي من العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده، وكان يحملها بعض يوم حتى يجد من يأكله معه.

* وأخرج عن عكرمة وأبي صالح قالوا: كانت الأنصار إذا نزل بهم الضيف لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم، فنزلت رخصة لهم.

أَي غَيْرِهِ (الْهَمَّةُ) هِيَ الْأَصْنَامُ (لَا يُخْلَقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا) أَي دَفَعَهُ (وَلَا نَفْعًا) أَي جَرَهُ (وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً) أَي إِمَانَةً لِأَحَدٍ وَلَا إِحْيَاءَ لِأَحَدٍ (وَلَا تُشَوِّرُوا) أَي بَعَثْنَا لِلْأَمْوَاتِ

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَفْكٌ أَقْرَبُهُ وَأَعَانُهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾
[الفرقان: ٤]

٤ - (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا) مَا الْقُرْآنُ (إِلَّا) أَفْكٌ (كُذِبَ) (أَفْتَرَاهُ) مُحَمَّدٌ (وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ قَالَ تَعَالَى (فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا) كَفَرُوا وَكَذَبُوا بِهَا

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبْتَهَا فِيهِ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]

٥ - (وَقَالُوا) أَيْضًا هُوَ (أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أَكَاذِبُهُمْ جَمْعُ أُسْطُورَةٍ بِالضَّمِّ (أَكْتَبْتَهَا) انْتَسَخَهَا مِنْ ذَلِكَ الْقَوْمِ بِغَيْرِهِ (فِيهِ تُمَلَّى) تَقْرَأُ (عَلَيْهِ) لِيَحْفَظَهَا (بُكْرَةً وَأَصِيلًا) غَدُوَّةٌ وَعَشِيَّةٌ قَالَ تَعَالَى رَدًا عَلَيْهِمْ

﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦]

٦ - (قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ) الْغَيْبِ (فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا (رَحِيمًا) لِلْمُؤْمِنِينَ

﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَبْسِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧]

٧ - (وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ) يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَبْسِي فِي الْأَسْوَاقِ (لَوْلَا) هَلَا (أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ) فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا يَصَدِّقُهُ

﴿أَوْ يُنْفِقْ إِلَيْهِ كَثْرًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨]

٨ - (أَوْ يُنْفِقْ إِلَيْهِ كَثْرًا) مِنْ السَّمَاءِ يَنْفِقُهُ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْمَشِيِّ فِي الْأَسْوَاقِ لَطَلَبِ الْمَعَاشِ (أَوْ

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٤]

٦٤ - (أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مَلَكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ) أَيِهَا الْمَكْلُفُونَ (عَلَيْهِ) مِنَ الْإِيمَانِ وَالنَّفَاقِ وَيَعْلَمُ (وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ) فِيهِ التَّفَاتُ عَنِ الْخَطَابِ أَيِ مَتَى يَكُونُ (فَيُنَبِّئُهُمْ) فِيهِ (بِمَا عَمِلُوا) مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ) مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَغَيْرِهِمْ (عَلِيمٌ)

٢٥ - سورة الفرقان

مكية إلا الآيات ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ فمجدية وآياتها ٧٧ سبحة وسبحون آية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]

١ - (تَبَارَكَ) تَعَالَى (الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ) الْقُرْآنَ لِأَنَّهُ فَرَقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ (وَعَلَى عَبْدِهِ) مُحَمَّدٍ (لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ) أَيِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ دُونَ الْمَلَائِكَةِ (نَذِيرًا) مَخُوفًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]

٢ - (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ) وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ (مِنْ شَأْنِهِ) أَنْ يَخْلُقَ (فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا) سِوَاهُ تَسْوِيَةٍ

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يُخْلَقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا تُشَوِّرُوا﴾ [الفرقان: ٣]

٣ - (وَاتَّخَذُوا) أَيِ الْكُفَّارِ (مِنْ دُونِهِ) أَيِ اللَّهِ

طريق الضحك عن ابن عباس قال: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فأنزل الله: «لا تتجملوا دعاء الرسول يتنكم كدعاء تغضكم بغضا». فقالوا: يا نبي الله، يا رسول الله.

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ تَبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]

١٣ - (وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا) بالتشديد والتخفيف بأن يضيق عليهم ومنها حال من مكانا لأنه في الأصل صفة له (مُقَرَّبِينَ) مصفدين قد قرنت أي جمعت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال والتشديد للتكثير (دَعَوْا هُنَالِكَ تَبُورًا) هلاكا فيقال لهم

﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤]

١٤ - (لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) كعذابكم

﴿قُلْ أَذَلِكُمْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَصِيرًا﴾ [الفرقان: ١٥]

١٥ - (قُلْ أَذَلِكُمْ) المذكور من الوعيد وصفة النار (خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ) ها (الْمُتَّقُونَ) كَانَتْ لَهُمْ) في علمه تعالى (جزاء) ثوابا (ومصيرا) مرجعا

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ [الفرقان: ١٦]

١٦ - (لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ) حال لازمة (كَانَ) وعدهم ما ذكر (عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا) يسأله من وعد به ربنا وأتانا ما وعدتنا على رسلك أو تسأله لهم الملائكة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَبْدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [الفرقان: ١٧]

١٧ - (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ) بالنون والتحتانية (وما يَبْدُونَ) من دُونِ اللَّهِ) أي غيره من الملائكة وعيسى وعزيز والجن (فَيَقُولُ) تعالَى بالتحتانية والنون للمعبودين إثباتا للحجة على العابدين (أَأَنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ) أوقعتموهم في الضلال بأمركم إياهم بعبادتكم (أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ) طريق الحق بأنفسهم.

تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ) بستان (يَأْكُلُ مِنْهَا) أي من أثمارها فيكتفي بها وفي قراءة نأكل بالنون أي نحن فيكون له مزية علينا بها (وَقَالَ الظَّالِمُونَ) أي الكافرون للمؤمنين (إِنْ) ما (تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُشْحُورًا) مخدوعا مغلوبا على عقله

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٩]

٩ - (انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ) بالمسحور والمحتاج إلى ما ينفقه وإلى ملك يقوم معه بالأمر (فَضَلُّوا) بذلك عن الهدى (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) طريقا إليه

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: ١٠]

١٠ - (تَبَارَكَ) تكاثر خير الله (الَّذِي إِنْ شَاءَ) جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ) الذي قالوه من الكنز والبستان (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أي في الدنيا لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة (وَيَجْعَلُ) بالحزم وفي قراءة بالرفع استئنافا (لَكَ قُصُورًا) أيضا

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١١]

١١ - (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ) القيامة (وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ) نارا مسعرة أي مشتدة

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢]

١٢ - (إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا) غليانا كالغضب ان اذا غلى صدره من الغضب (وَزَفِيرًا) صوتا شديدا وسماع التغيطظ رؤيته وعلمه.

٢٥ - سورة الفرقان

(١) أسباب نزول الآية ١٠: أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن عبيدة قال: «قبل للنبي ﷺ: إن شئت أعطيتك مفاتيح الأرض وخزائنها، لا ينقصك ذلك عندنا شيئا في الآخرة، وإن شئت جمعتهما لك في الآخرة قال: بل اجعما لي في الآخرة فنزلت: «تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ» الآية.»

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ
أَوْ نُنزِلَ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا
كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١]

٢١ - (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) لا يخافون البعث (لَوْلَا) هلا (أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ) فكانوا رسلا إلينا (أَوْ نُنزِلَ رَبَّنَا) فنخبر بأن محمدا رسوله قال تعالى (لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا) تكبروا (فِي) شأن (أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا) طغوا (عُتُوًّا كَبِيرًا) بطلهم رؤية الله تعالى في الدنيا وعتوا بالواو على أصله بخلاف عتي بالإبدال في مريم

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢]

٢٢ - (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ) في جملة الخلائق هو يوم القيامة ونصبه ب اذكر مقدرًا (لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ) أي الكافرين بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا) على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة أي عودا معاذا يستعيذون من الملائكة

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً
مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]

٢٣ - (وَقَدِمْنَا) عمدنا (إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ) من الخير كصدقة وصلة رحم وقرى ضيف وإغاثة ملهوف في الدنيا (فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا) هو ما يرى في الكوى التي عليها الشمس كالغبار المفرق أي مثله في عدم النفع به إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه ويجازون عليه في الدنيا

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ
مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]

٢٤ - (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ) يوم القيامة (خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا) من الكافرين في الدنيا (وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) منهم أي موضع قائلة فيها وهي الاستراحة نصف النهار في الحر وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار كما ورد في الحديث

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ
مِن أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا
الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٨]

١٨ - (قَالُوا سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عما لا يليق بك (مَا كَانَ يَنْبَغِي) يستقيم (لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ) أي غيرك (مِن أَوْلِيَاءَ) مفعول أول ومن زائدة لتأكيد النفي وما قبله الثاني فكيف نأمر بعبادتنا (وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ) من قبلهم بإطالة العسر وسعة الرزق (حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ) تركوا الموعدة والإيمان بالقرآن (وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) هلكى

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا
وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ نَفْسًا عَذَابًا
كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩]

١٩ - (فَقَدْ كَذَّبْتُمْ) أي كذب المعبدون العابدين (بِمَا تَقُولُونَ) بالفوقانية أنهم آلهة (فَمَا تَسْتَطِيعُونَ) بالتحتانية والفوقانية أي لاهم ولا أنتم (صَرْفًا) دفعا للعذاب عنكم (وَلَا نَصْرًا) منعا لكم منه (وَمَنْ يَظْلِمِ) يشرك (نَفْسًا عَذَابًا كَبِيرًا) شديدا في الآخرة

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ
لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا
بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ
بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠]

٢٠ - (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ) فأنت مثلهم في ذلك وقد قيل لهم مثل ما قيل لك (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) بلية ابتلي الغنى بالفقير والصحيح بالمرريض والشريف بالوضع يقول الثاني في كل مالي لا أكون كالأول في كل (أَتَصْبِرُونَ) على ما تسمعون ممن ابتليتكم بهم استفهام بمعنى الأمر أي اصبروا (وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) بمن يصبر وبمن يجزع (١).

(١) أسباب نزول الآية ٢٠: وأخرج الواحدي من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال: لما عثر المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة، وقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ حزن رسول الله ﷺ، فنزلت: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي

الأسواق﴾ الآية.

* وأخرج ابن جرير نحوه من طريق سعيد وعكرمة عن ابن عباس:

﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمْ وَنُزُلِ الْمَلَائِكَةِ تَنْزِيلًا﴾
[الفرقان: ٢٥]

٢٥ - (وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ) أي كل سماء (بِالْغَمِّمْ) أي معه وهو غيم أبيض (وَنُزُلِ الْمَلَائِكَةِ) من كل سماء (تَنْزِيلًا) هو يوم القيامة ونصبه بـ اذكر مقدرًا وفي قراءة بتشديد شين تشقق بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها وفي أخرى ننزل بنونين الثانية ساكنة وضم اللام ونصب الملائكة

﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]

٢٦ - (الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ) لا يشركه فيه أحد (وَكَانَ) اليوم (يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا) بخلاف المؤمنين

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَنبِئْتَنِي أَنَّهُ
مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧]

٢٧ - (وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ) المشرك عقبة بن أبي معيط كان نطق بالشهادتين ثم رجع لإرضاء لأبي بن خلف (عَلَى يَدَيْهِ) ندما وتحسرا في يوم القيامة (يَقُولُ يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي) أَنَّهُدْتُ مَعَ الرَّسُولِ) محمد (سَبِيلًا) طريقا إلى الهدى

﴿يَوَيْلٌ لَّيْتَنِي لَرَأَيْتُ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨]

٢٨ - (يَا وَيْلَتِي) ألفه عوض عن ياء الإضافة أي ويلتي ومعناه هلكتي (لَيْتَنِي لَمَ) أَنَّهُدْتُ فُلَانًا) أي أبا (خَلِيلًا)

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ
الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩]

٢٩ - (لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ) أي القرآن (بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي) بأن ردني عن الإيمان به قال تعالى (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ) الكافر (خَدُولًا) بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَذَرَبُ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ
مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]

٣٠ - (وَقَالَ الرَّسُولُ) محمد (يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي) قريشا (اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) متروكا ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكُنْفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]

٣١ - (وَكَذَلِكَ) كما جعلنا عدوا من مشركي قومك (جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ) قبلك (عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) المشركين فاصبر كما صبروا (وَكُنْفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا) لك (وَنَصِيرًا) ناصرًا لك على أعدائك

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً
كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾
[الفرقان: ٣٢]

٣٢ - (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا) هلا (نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) كالتوراة والإنجيل والزرور قال تعالى نزلناه (كَذَلِكَ) أي متفرقا (لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) نقوي قلبك (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) أتينا به شيئا فشيئا بتمهل وتؤدة لتيسير فهمه وحفظه

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ
تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]

٣٣ - (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ) في إبطال أمرك (إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ) الدافع له (وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) بيانا لهم ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ سَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤]

٣٤ - (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ) أي يساقون (إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ سَرُّ مَكَانًا) هو جهنم (وَأَضَلُّ سَبِيلًا) أخطأ طريقا من غيرهم وهو كفرهم ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥]

(١) أسباب نزول الآية ٣٢: وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم، وضححه، والضياء في المختارة، عن ابن عباس قال: قال المشركون: إن كان محمد كما يزعم نبيا فليجعه ربه؟ ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة، ينزل عليه الآية والآيتين، فأنزل الله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾.

(١) أسباب نزول الآية ٢٧: وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان أبي بن خلف يحضّر النبي ﷺ فيزجره عقبة بن أبي معيط، فنزل: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿خَدُولًا﴾.

* وأخرج مثله عن الشعبي ومقسم.

٣٥ - (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا) معينا ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبًا إِلَى الْغَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَذَمَرْنَاهُمْ تَذْمِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٦]

٣٦ - (فَقُلْنَا أَذْهَبًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) أي القبط فرعون وقومه فذهباً إليهم بالرسالة فكذبوهم (فَذَمَرْنَاهُمْ تَذْمِيرًا) أهلكناهم إهلاكاً (وَقَوْمٌ نُوْحٌ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً) وَاَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: ٣٧]

٣٧ - واذكر (وَقَوْمٌ نُوْحٌ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ) بتكذيبهم نوحاً لطول لبثه فيهم فكانه رسل أو لأن تكذيبه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد (أَغْرَقْنَاهُمْ) جواب لما (وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ) بعدهم (آيَةً) عبرة (وَأَعْتَدْنَا) في الآخرة (لِلظَّالِمِينَ) الكافرين (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلماً سوى ما يحل بهم في الدنيا

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]

٣٨ - واذكر (وَعَادًا) قوم هود (وَتَمُودَ) قوم صالح (وَأَصْحَابَ الرِّسِّ) اسم بئر ونبههم قيل شعيب وقيل غيره كانوا قعوداً حولها فانهارت بهم وبمنزلهم (وَقُرُونًا) أقواماً (بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا) أي بين عاد وأصحاب الرس ﴿وَكَلًّا صَرِينًا لَهُ الْأَمْتَلُ وَكَلًّا تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٩]

٣٩ - (وَكَلًّا صَرِينًا لَهُ الْأَمْتَلُ) في إقامة الحججة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار (وَكَلًّا تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا) أهلكننا إهلاكاً بتكذيبهم أنبياءهم ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا السَّوَةَ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ نُسُورًا﴾ [الفرقان: ٤٠]

٤٠ - (وَلَقَدْ آتَيْنَا) أي مر كفار مكة (عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا السَّوَةَ) مصدر ساء أي بالحجارة وهي عظمى قرى قوم لوط فأهلك الله

أهلها لفعالهم الفاحشة (أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا) في سفرهم إلى الشام فيعتبروا والاستفهام للتقرير (بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ) يخافون (نُسُورًا) بعثاً فلا يؤمنون ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْذًا الَّذِي بِعَثَّ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]

٤١ - (وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا) مهزؤاً به يقولون (أَهْذًا الَّذِي بِعَثَّ اللَّهُ رَسُولًا) في دعواه محقرين له عن الرسالة ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٢]

٤٢ - (إِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه (كَادَ لَيُضِلَّنَا) يصرفنا (عَنْ آلِهَتِنَا) لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا) لصرفنا عنها قال تعالى (وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ) عياناً في الآخرة (مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا) أخطأ طريقاً أهم أم المؤمنين

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]

٤٣ - (أَرَأَيْتَ) أخبرني (مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ) أي مهويه قدم المفعول الثاني لأنه أهم وجملة من اتخذ مفعول أول لرأيت والثاني (أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) حافظاً تحفظه عن اتباع هواه لا

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]

٤٤ - (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ) سماع تفهيم (أَوْ يَعْقِلُونَ) ما تقول لهم (إِنْ) ما (هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) أخطأ طريقاً منها لأنها تنقاد لمن يتبعها وهم لا يطيعون مولاها المنعم عليهم

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٥]

٤٥ - (أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى) فعل (رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس (وَلَوْ شَاءَ) ربك (لَجَعَلَهُ سَاكِنًا) مقيماً لا

٥١ - (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا) يخوف أهلها ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيرا ليعظم أجره

﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِمْ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]

٥٢ - (فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ) في هواهم (وجاهدوهم به) أي القرآن (جهادًا كبيرًا)

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فَهَذَا مِلْحٌ﴾ (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فهاذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخًا وججرًا متحجورًا) [الفرقان: ٥٣]

٥٣ - (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) أرسلهما متجاورين (هذا عذب فهاذا ملح) شديد العذوبة (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة (وجعل بينهما برزخًا) حاجزا لا يختلط أحدهما بالآخر (وججرًا متحجورًا) أي سترًا ممنوعًا به اختلاطهما

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ (وهو الذي خلق من الماء بشرًا) [الفرقان: ٥٤]

٥٤ - (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا) من المني إنسانا (فجعل له نسبا) ذا نسب (وصهرًا) ذا صهر بأن يتزوج ذكرا كان أو أنثى طلبا للتناسل (وكان ربك قديرا) قادرا على ما يشاء

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ (ويعبدون من دونه ما لا ينفعهم ولا يضرهم) [الفرقان: ٥٥]

٥٥ - (ويعبدون) أي الكفار (من دونه) ما لا ينفعهم ولا يضرهم) بعبادته (ولا يضرهم) بتركها وهو الأصنام (وكان الكافر على ربه ظهيرا) معينا للشيطان بطاعته

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٦]

٥٦ - (وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا) مخوفا من النار

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلًا رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٧]

٥٧ - (قل ما أسألكم عليه) أي على تبليغ ما أرسلت به (من أجر إلا) لكن (من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) طريقا يوافق ماله في مرضاته تعالى

يزول بطلوع الشمس (ثم جعلنا الشمس على) أي الظل (ذليلا) فلولا الشمس ما عرف الظل ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِتْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٦]

٤٦ - (ثم قبضناه) أي الظل الممدود (إتينا قبضًا يسيرا) خفيا بطلوع الشمس

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلًا لِيَأْسًا وَنَوْمًا سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧]

٤٧ - (وهو الذي جعل لكم الليل لياسا) ساترا كاللباس (والنوم سباتا) راحة للأبدان بقطع الأعمال (وجعل النهار نشورا) منشورا فيه لا ابتغاء الرزق وغيره

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]

٤٨ - (وهو الذي أرسل الرياح) وفي قراءة الريح (بشرا بين يدي رحمته) أي متفرقة قدام المطر وفي قراءة بسكون الشين تخفيفا وفي أخرى بسكونها ونون مفتوحة مصدر وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أي مبشرات ومفرد الأولى نشور كرسول والأخيرة بشير (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) مطهرا

﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُنْقِضُهَا مِمَّا خَلَقْنَا أَنْفَمَا وَأَنَاسٍ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٩]

٤٩ - (لنحيي به بلدة ميتا) بالتخفيف يستوي فيه المذكر والمؤنث ذكره باعتبار المكان (وننقيتها) أي الماء (مما خلقنا أنعاما) إبلًا وبقرا وغنما (وأناسي كثيرا) جمع إنسان وأصله أناسين فأبدلت النون ياء وأدغمت فيها الياء أو جمع أنسي

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان: ٥٠]

٥٠ - (ولقد صرفناه) أي الماء (بينهم ليدذكروا) أصله يذكروا أدغمت التاء في الدال وفي قراءة ليدذكروا بسكون الدال وضم الكاف أي نعمة الله به (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) جحودا للنعمة حيث قالوا مطرنا بنوء كذا

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾

فلا أمنعه من ذلك

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ آلِهِي الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَحْيِي بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]

٥٨ - (وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَحْيِي) متلبسا (بِحَمْدِهِ) أي قل سبحان الله والحمد لله (وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا) عالما تعلق به بذنوب

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَشَكَلْ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]

٥٩ - هو (الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) من أيام الدنيا أي قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء لخلقهن في لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه الثابت (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) هو في اللغة سرير الملك (الرَّحْمَنُ) بدل من ضمير استوى أي استواء يليق به (فَأَشَقَلْ) أيها الإنسان (بِهِ) بالرحمن (خَيْرًا) يخبرك بصفاته

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠]

٦٠ - (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) لكفار مكة (اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا) (وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا) بالفوقانية والتحتانية والأمر محمد ولا نعرفه لا (وزادهم) هذا القول (نُفُورًا) عن الإيمان

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]

٦١ - (تَبَارَكَ) تعظيم (الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) إثني عشر الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهي منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الأسد والمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدي والدلو (وَجَعَلَ فِيهَا) أيضا (سِرَاجًا) هو الشمس (وَقَمَرًا مُنِيرًا) وفي قراءة سرجا بالجمع أي نيرات وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلته

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]

٦٢ - (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) أي يخلف كل منهما الآخر (لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ) بالتشديد والتخفيف كما تقدم ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر (أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) أي شكرا لنعمة ربه عليه فيهما

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]

٦٣ - (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ) مبتدأ وما بعده صفات له إلى «أولئك يجزون» غير المعترض فيه (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) أي بسكينة وتواضع (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ) بما يكرهونه (قَالُوا سَلَامًا) أي قولاً يسلمون فيه من الإثم

﴿وَالَّذِينَ يَسْتُرُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤]

٦٤ - (وَالَّذِينَ يَسْتُرُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا) جمع ساجد (وَقِيَامًا) بمعنى قائمين أي يصلون الليل ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]

٦٥ - (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ) إن عذابها كان غراماً) لازماً

﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦]

٦٦ - (إِنَّهَا سَاءَتْ) بست (مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) هي أي موضع استقرار وإقامة

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]

٦٧ - (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا) على عيالهم (لَمْ يُسْرِفُوا) ولم يفتروا) بفتح أوله وضمه أي يضيقوا (وَكَانَ) إنفاقهم (بَيْنَ ذَلِكَ) الإسراف والإقتار (قَوَامًا) وسطاً

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]

صُمَّا وَعُمَيَّانَا ﴿ [الفرقان: ٧٣]

٧٣ - (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا) وعظوا (بآياتِ رَبِّهِمْ) أي القرآن (لَمْ يَخْرُوا) يسقطوا (عَلَيْهَا صُمَّا وَعُمَيَّانَا) بل خروا سامعين ناظرين منتفعين

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

[الفرقان: ٧٤]

٧٤ - (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا) بالجمع والإفراد (قُرَّةَ أَعْيُنٍ) لنا بأن نراهم مطيعين لك (واجعلنا للمتقين إمامًا) في الخير

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مِنْ حَيْثُ سَأَلُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥]

٧٥ - (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ) الدرجة العليا في الجنة (بِمَا صَبَرُوا) على طاعة الله (وَيُلَقَّوْنَ) بالتشديد والتخفيف مع فتح الباء (فيها) في الغرفة (تَحِيَّةً وَسَلَامًا) من الملائكة

﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾

[الفرقان: ٧٦]

٧٦ - (خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) موضع إقامة لهم وأولئك وما بعده خبر «عباد الرحمن» المبتدأ

﴿قُلْ مَا يَعْبَرُوكُمْ بِذُنُوبِكُمْ لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧]

٧٧ - (قُلْ) يا محمد لأهل مكة (مَا) نافية (يَعْبَرُ) يكثرث (بِكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ) إياه في الشدائد فيكشفها (فَقَدْ) أي فكيف يعاب بكم وقد (كَذَّبْتُمْ) الرسول والقرآن (فَسَوْفَ يَكُونُ) العذاب (لِزَامًا) ملازما لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا فقتل منهم يوم بدر سبعون وجواب لولا دل عليه ما قبلها.

(١) أسباب نزول الآية ٧٠: وأخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: لما أنزلت في الفرقان: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» قَدْ قَتَلْنَا النَّفْسَ بِغَيْرِ حَقِّ وَدَعَوْنَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَأَتَيْنَا الْفَوَاحِشَ، فنزلت: «إِلَّا مَنْ تَابَ» الآية.

* * *

٦٨ - (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) قتلها (إِلَّا بِالْحَقِّ) وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) أي واحدا من الثلاثة (يَلْقُ أَثَامًا) أي عقوبة (١).

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾

٦٩ - (يُضَاعَفْ) وفي قراءة يضعف بالتشديد (لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ) بجزم الفعلين بدلا ويرفعهما استئنافا (مُهَانًا) حال

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]

٧٠ - (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) منهم (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ) المذكورة (حَسَنَاتٍ) في الآخرة (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) أي لم يزل متصفا بذلك

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ

مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٧١]

٧١ - (وَمَنْ تَابَ) من ذنوبه من غير من ذكر (وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا) يرجع إليه رجوعا فيجازيه خيرا

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]

٧٢ - (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) أي الكذب والباطل (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ) من الكلام القبيح وغيره (مَرُّوا كِرَامًا) معرضين عنه

﴿وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا

(١) أسباب نزول الآية ٦٨: وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ: أَيُّ الذُّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًا وَهُوَ خَلْقُكَ، قُلْتَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يُطْعَمَ مَعَكَ، قُلْتَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تُرَانِي حَلِيلَةَ جَارِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَهَا: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ». * وأخرج الشيخان عن ابن عباس: أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ قَتَلُوا فَأَكْرَأُوا، وَزَنُوا فَأَكْرَأُوا، ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لِحَسَنِ لَوْ تَخْبِرُنَا أَنَّ لَنَا عَمَلْنَا كُفْرًا، فَنَزَلَتْ: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» إِلَى قَوْلِهِ: «غَفُورًا رَحِيمًا» وَنَزَلَ: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا» الآية.

٢٦- سورة الشعراء

مكية إلا آية ١٩٧ ومن آية ٢٢٤ إلى آخر السورة
فمدنية وآياتها ٢٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طسّر﴾ [الشعراء: ١]

١ - (طسم) الله أعلم بمراده بذلك

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي﴾ [الشعراء: ٢]

٢ - (تلك) أي هذه الآيات (آيات الكتاب)
القرآن والإضافة بمعنى من (المبين) المظهر الحق
من الباطل

﴿لَمَّا كَذَبَتْ فَذَعَبٌ فَسَكَ آيَاتُ يُكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]

٣ - (لعلك) يا محمد (بأخضع نفسك) قاتلها
غما من أجل (الآيات) أي أهل مكة (مؤمنين)
ولعل هنا للاشفاق أي أشفق عليها بتخفيف هذا
الغم

﴿إِنْ تَشَاءُ نُنزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا
خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]

٤ - (إن تشاء) ننزل عليهم من السماء آية
فظلت بمعنى المضارع أي تظل أي تدوم (أعناقهم)
لها خاضعين) فيؤمنون ولما وصفت الأعناق
بالخضوع الذي هو لأربابها جمعت الصفة منه
جمع العقلاء

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَدَّبٌ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ
مُغْرِبِينَ﴾ [الشعراء: ٥]

٥ - (وما يأتيهم من ذكر) قرآن (من الرحمن)
مخدب) صفة كاشفة (إلا كانوا عنه مغربين)

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾
[الشعراء: ٦]

٦ - (فقد كذبوا) به (فسيأتيهم أنباء) عواقب
(ما كانوا به يستهزئون)

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرِهْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾
[الشعراء: ٧]

٧ - (أولم يروا إلي) ينظروا (الأرض) كمن أنبتنا
فيها من) أي كثيرا (كل زوج كريم) نوع حسن
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
[الشعراء: ٨]

٨ - (إن في ذلك آية) دلالة على كمال
قدرته تعالى (وما كان أكثرهم مؤمنين) في علم الله
وكان قال سبويه زائدة

﴿وَلَنْ رَيْكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩]

٩ - (ولان ربك لهو العزيز) ذو العزة ينتقم من
الكافرين (الرحيم) يرحم المؤمنين

﴿وَلَا تَدْعُ رَيْكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
[الشعراء: ١٠]

١٠ - (و) اذكر يا محمد لقبوك (إذ نادى
ربك موسى) ليلة رأى النار والشجرة (إن) أي بأن
(أنت القوم الظالمين) رسولا

﴿قَوْمٌ فَرَعُونَ آيَاتُ يُنْفِقُونَ﴾ [الشعراء: ١١]

١١ - (قوم فرعون) معه ظلموا أنفسهم بالكفر
بالله وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم (آي) الهمزة
للاستفهام الإنكاري (ينفقون) الله بطاعته فيوحده

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [الشعراء: ١٢]

١٢ - (قال) موسى (رب) أي أخاف أن يكذبون
﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ لِي
هَازِلُونَ﴾ [الشعراء: ١٣]

١٣ - (ويضيق صدري) من تكذيبهم لي (ولا
ينطلق لساني) بأداء الرسالة للعقدة التي فيه (هازيل)
إلى) أخي (هزون) معي

﴿وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [الشعراء: ١٤]

١٤ - (ولهم علي ذنب) بقتل القبطي منهم
(فأخاف أن يقتلون) به

﴿قَالَ كَلَّا فَادْهَابًا بِأَيْدِينَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَعِينُونَ﴾
[الشعراء: ١٥]

١٥ - (قال) تعالى (كلا) لا يقتلونك (فادهبا)
أنت وأخوك ففيه تغليب الحاضر على الغائب

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]

٢٣ - (قَالَ فِرْعَوْنُ) لموسى (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) الذي قلت إنك رسوله أي أي شيء هو ولما لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته تعالى وإنما يعرفونه بصفاته أجابه موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها

﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤]

٢٤ - (قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أي خالق ذلك (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) بأنه تعالى خلقه فأمنوا به وحده

﴿قَالَ لِمَنْ حَوَالَهُ أَلَّا تَسْمَعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٥]

٢٥ - (قَالَ) فرعون (لِمَنْ حَوَالَهُ) من أشراف قومه (أَلَّا تَسْمَعُونَ) جوابه الذي لم يطابق السؤال

﴿قَالَ رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦]

٢٦ - (قَالَ) موسى (رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ) وهذا وإن كان داخلا فيما قبله يغيب فرعون ولذلك

﴿قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾

[الشعراء: ٢٧]

٢٧ - (قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ)

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨]

[الشعراء: ٢٨]

٢٨ - (قَالَ) موسى (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) أنه كذلك فأمنوا به وحده

﴿قَالَ لَيْنَ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾

[الشعراء: ٢٩]

٢٩ - (قَالَ) فرعون لموسى (لَيْنَ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ) كان سجنه شديدا يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده لا يبصر ولا يسمع فيه أحدا

﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مِّمَّنْ﴾ [الشعراء: ٣٠]

٣٠ - (قَالَ) له موسى (أَوْ لَوْ) أي أتفعل ذلك

(بِأَيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ) ما تقولون وما يقال لكم أجريا مجرى الجماعة

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[الشعراء: ١٦]

١٦ - (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا) أي كلا منا (رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إليك

﴿أَنْ أُرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٧]

١٧ - (أَنْ) أي بأن (أُرْسِلَ مَعَنَا) إلى الشام (بَنِي إِسْرَائِيلَ) فأتياه فقالا له ما ذكر

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾

[الشعراء: ١٨]

١٨ - (قَالَ) فرعون لموسى (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا) في منزلنا (وَلِيدًا) صغيرا قريبا من الولادة بعد فطامه

(وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ) ثلاثين سنة يلبس من ملابس فرعون ويركب من مراكبه وكان يسمى ابنه

﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْنَاكَ الْقَتْلَ الَّذِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

[الشعراء: ١٩]

١٩ - (وَفَعَلْتَ فَعَلْنَاكَ الْقَتْلَ الَّذِي فَعَلْتَ) هي قتله القبطي (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد

﴿قَالَ فَعَلْنَاهَا إِيذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠]

٢٠ - (قَالَ) موسى (فَعَلْنَاهَا إِذًا) حينئذ (وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) عما آتاني الله من بعدها من العلم والرسالة

﴿فَقَرَّرْتُ بِكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَجَبَّ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١]

٢١ - (فَقَرَّرْتُ بِكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَجَبَّ لِي رَبِّي حُكْمًا) وعلما (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ)

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّا عَلَيْ أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

٢٢ - (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّا عَلَيْ) أصله تمن بها علي (أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بيان لتلك أي اتخذتهم عبيدا ولم تستعبدني لا نعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم وقدر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للانكار.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾
[الشعراء: ٤٠]

٤٠ - ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾
الغالبين الاستفهام للحث على الاجتماع والترجي على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم فلا يتبعوا موسى

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْكُلُ لَحْمَ الْغَالِبِينَ﴾
نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١]

٤١ - ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْكُلُ لَحْمَ الْغَالِبِينَ﴾
بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين)

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢]

٤٢ - ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾
الْمُقَرَّبِينَ

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ [الشعراء: ٤٣]

٤٣ - ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ بعد ما قالوا له إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين (ألقوا ما أنتم ملقون) فالأمر فيه للإذن بتقديم إلقائهم توسلاً به إلى إظهار الحق

﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ رَبِّنَا إِنَّنَا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]

٤٤ - ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ رَبِّنَا إِنَّنَا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾

﴿فَأَلْفَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥]

٤٥ - ﴿فَأَلْفَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾
بحذف إحدى التاءين في الأصل تبتلع (ما يَأْفِكُونَ) يقلبونه بتحويلهم فيخيلون حبالهم وعصيتهم أنها حيات تسعى

﴿فَأَلْفَى السَّحْرَةُ سَاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٤٦]

٤٦ - ﴿فَأَلْفَى السَّحْرَةُ سَاجِدِينَ﴾

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٧]

٤٧ - ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الشعراء: ٤٨]

ولو (جئتكَ بشيءٍ مبين) برهان بين على رسالتي
﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾
[الشعراء: ٣١]

٣١ - ﴿قَالَ﴾ فرعون له (فأتِ به إن كنت من الصادقين) فيه

﴿فَأَلْفَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٢]

٣٢ - ﴿فَأَلْفَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ حية عظيمة

﴿وَوَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٣]

٣٣ - ﴿وَوَرَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه (فإذا هي بَيْضَاءُ) ذات شعاع (للنَّظِيرِينَ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة

﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾
[الشعراء: ٣٤]

٣٤ - ﴿قَالَ﴾ فرعون (للملأ حولَهُ) إن هذا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ فائق في علم السحر
﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء: ٣٥]

٣٥ - ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾

﴿قَالُوا أَرْجَاهُ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾
[الشعراء: ٣٦]

٣٦ - ﴿قَالُوا أَرْجَاهُ وَأَخَاهُ﴾ أخر أمرهما (وابعث في المدائن حاشرين) جامعين

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٣٧]

٣٧ - ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ بفضل موسى في عالم السحر

﴿فَجُمِعَ السَّحْرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾
[الشعراء: ٣٨]

٣٨ - ﴿فَجُمِعَ السَّحْرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ وهو وقت الضحى من يوم الزينة

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ٣٩]

٣٩ - ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾

﴿وَرَأَيْتُمْ لَنَا لِنَاطِئُونَ﴾ [الشعراء: ٥٥]

٥٥ - (وَأَنْتُمْ لَنَا لِنَاطِئُونَ) فاعلون ما يغيظنا

﴿وَأَنَا لَجَمِيعٍ حَذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٥٦]

٥٦ - (وَأَنَا لَجَمِيعٍ حَذِرُونَ) مستعدون وفي

قراءة حذرون متيقظون

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ٥٧]

٥٧ - (فَأَخْرَجْنَاهُمْ) أي فرعون وجنوده من

مصر ليلحقوا موسى وقومه (مِنْ جَنَّاتٍ) بساتين كانت على جانبي النيل (وعُيُونٍ) أنهار جارية في الدور من النيل

﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَابِرِ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٥٨]

٥٨ - (وَكُنُوزٍ) أموال ظاهرة من الذهب

والفضة وسميت كنوزا لأنه لم يغط حق الله تعالى منها (وَمَقَابِرِ كَرِيمٍ) مجلس حسن للأمرء والوزراء يحفه أتباعهم

﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩]

٥٩ - (كَذَلِكَ) أي إخراجنا كما وصفنا

(وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) بعد إغراق فرعون وقومه

﴿فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ [الشعراء: ٦٠]

٦٠ - (فَأَتَّبَعُوهُمْ) لحقوهم (مُشْرِقِينَ) وقت

شروق الشمس

﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾

٦١ - (فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ) أي رأى كل

منهما الآخر (قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ) يدركننا جمع فرعون ولا طاقة لنا به

﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]

٦٢ - (قَالَ) موسى (كَلَّا) أي لن يدركونا (إِنَّ

مَعِيَ رَبِّي) بنصره (سَيَهْدِينِ) طريق النجاة

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ

فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]

٦٣ - قال تعالى (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ

أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ) فضربه (فَانفَلَقَ) فانشق اثني عشر فرقا (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) الجبل

٤٨ - (رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) لعلمهم بأن ما

شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر

﴿قَالَ أَمْسِنْتُمْ لَمْ قَبُلْ أَنْ آدَانَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي

عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قَطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ

خِلَافٍ وَلَا صُلْبَتَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ٤٩]

٤٩ - (قَالَ) فرعون (أَمْسِنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين

وإبدال الثانية ألفا (لَهُ) لموسى (قَبُلْ أَنْ آدَانَ) أنا

(لَكُمْ) إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ) فعلمكم

شيئا منه وغلبكم بأخر (فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ما ينالكم

مني (لَا قَطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) أي يد

كل واحد اليمنى ورجله اليسرى (وَلَا صُلْبَتَكُمْ أَجْمَعِينَ)

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا إِنَّكَ إِنَّا رَبَّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٥٠]

٥٠ - (قَالُوا لَا ضَيْرَ) لا ضرر علينا في ذلك

(إِنَّا إِلَى رَبِّنَا) بعد موتنا بأي وجه كان (مُنْقَلِبُونَ)

راجعون في الآخرة

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٥١]

٥١ - (إِنَّا نَطْمَعُ) نرجو (أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا

خَطَايَانَا أَنْ) أي بأن (كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ) في زماننا

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾

٥٢ - (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى) بعد سنين أقامها

بينهم يدعوهم بآيات الله إلى الحق فلم يزدوا إلا

عنوا (أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي) بني إسرائيل وفي قراءة بكسر

النون ووصل همزة أسرى من سرى لغة في أسرى سر

بهم ليلا إلى البحر (إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ) يتبعكم فرعون

وجنوده فيلجون وراءكم البحر فانجيكهم وأغرقهم

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَلَأَيْنِ خَشِيرَتَيْنِ﴾ [الشعراء: ٥٣]

٥٣ - (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ) حين أخبر بسيرهم (فِي

الْمَلَأَيْنِ) قيل كان له ألف مدينة واثنان عشر ألف

قرية (خاشيرتين) جامعين الجيش قائلا

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [الشعراء: ٥٤]

٥٤ - (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ) طائفة (قَلِيلُونَ) قيل

كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا ومقدمة جيشه

سبعمائة ألف فقللهم بالنظر إلى كثرة جيشه

- ٧٢ - (قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ) حين (تَدْعُونَ)
﴿أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: ٧٣]
- ٧٣ - (أَوْ يَنْفَعُونَكَ) إن عبدتموهم (أَوْ يَضُرُّونَ) كم إن لم تعبدوهم
﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤]
- ٧٤ - (قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ)
مثل فعلنا
﴿قَالَ أَوْرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٧٥]
- ٧٥ - (قَالَ أَوْرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ)
﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ [الشعراء: ٧٦]
- ٧٦ - (أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ)
﴿فَأَنَّهُمْ عُدُوِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧]
- ٧٧ - (فَأَنَّهُمْ عُدُوِّيَ) أي لا أعبدهم (إِلَّا)
لكن (رَبَّ الْعَالَمِينَ) فإني أعبده
﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]
- ٧٨ - (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ) إلى الدين
﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩]
- ٧٩ - (وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ)
﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]
- ٨٠ - (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)
﴿وَالَّذِي يُسَيِّئُ ثُمَّ يُجِيبِي﴾ [الشعراء: ٨١]
- ٨١ - (وَالَّذِي يُسَيِّئُ ثُمَّ يُجِيبِي)
﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾
[الشعراء: ٨٢]
- ٨٢ - (وَالَّذِي أَطْمَعُ) أرجو (أَنْ يَغْفِرَ لِي)
خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) الجزاء
﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقِ بِالصَّالِحِينَ﴾
[الشعراء: ٨٣]
- ٨٣ - (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا) علما (وَالْحَقِّقِ)
بِالصَّالِحِينَ) النبيين
﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]

- الضخم بينها مسالك سلكوها لم يتتل منها سرج
الراكب ولا لبدته
﴿وَأَرْزُقْنَا نَمَّ الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٤]
- ٦٤ - (وَأَرْزُقْنَا) قربنا (نَمَّ) هناك (الْآخِرِينَ)
فرعون وقومه حتى سلكو مسالكهم
﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ٦٥]
- ٦٥ - (وَأَنجَيْنَا) موسى (وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ)
ياخراجهم من البحر على هيئته المذكورة
﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٦]
- ٦٦ - (ثُمَّ أَعْرَفْنَا) فرعون وقومه
بإطباق البحر عليهم لما تم دخولهم في البحر
وخرج بني إسرائيل منه
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
[الشعراء: ٦٧]
- ٦٧ - (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أي إغراق فرعون وقومه
(لَآيَةً) عمرة لمن كان بعدهم (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ) بالله لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون
وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت ناموسى التي
دلت على عظام يوسف عليه السلام
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٦٨]
- ٦٨ - (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) فانتقم من
الكافرين ياغراقهم (الرَّحِيمُ) بالمؤمنين فأنجاهم من
الفرق
﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الْإِبْرَاهِيمَ﴾ [الشعراء: ٦٩]
- ٦٩ - (وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ) أي كفار مكة (نَبَأَ) خبر
(إِبْرَاهِيمَ) ويبدل منه
﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٧٠]
- ٧٠ - (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) ما تعبدون
﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْزِلُ لَهَا عَظِيمِينَ﴾
[الشعراء: ٧١]
- ٧١ - (قَالُوا نَعْبُدُ) أصناما) صرحوا بالفعل
ليعطفوا عليه (فَنَنْزِلُ) لها عظيمين) أي نقيم نهارا
على عبادتها زادوه في الجواب افتخارا به
﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ﴾ [الشعراء: ٧٢]

- ٨٤ - (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ ثَنَاءً حَسَنًا
(فِي الْآخِرِينَ) الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّبِيِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٥]
- ٨٥ - (وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّبِيِّينَ) أَي مِمَّنْ
يعطاها
- ﴿وَاعْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦]
- ٨٦ - (وَاعْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ) بَأَن
تتوب عليه فتغفر له وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو
لله كما ذكر في سورة براءة
- ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧]
- ٨٧ - (وَلَا تُخْزِنِي) تفضحني (يَوْمَ يُبْعَثُونَ) أَي
الناس
- ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء: ٨٨]
- ٨٨ - (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ) أحدا
- ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]
- ٨٩ - (إِلَّا) لَكِن (مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)
من الشرك والنفاق وهو قلب المؤمن فإنه ينفعه
ذلك
- ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠]
- ٩٠ - (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ) قَرِيبَ (لِلْمُتَّقِينَ) فَيرونها
- ﴿وَبُرُزَّتِ الْجَنَّةُ لِلْعَاقِبِينَ﴾ [الشعراء: ٩١]
- ٩١ - (وَبُرُزَّتِ الْجَنَّةُ) أَظْهَرَتْ (لِلْعَاقِبِينَ)
الكافرين
- ﴿وَقِيلَ لِمَنْ أَتَى مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٩٢]
- ٩٢ - (وَقِيلَ لِمَنْ أَتَى مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ)
﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَصْرِفُهُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ﴾
[الشعراء: ٩٣]
- ٩٣ - (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أَي غَيْرِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ
(هَلْ يَصْرِفُونَكُمْ) بِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ (أَوْ يَنْصُرُونَ)
بِدَفْعِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ لَا
- ﴿فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْقَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤]
- ٩٤ - (فَكَبِّكُوا) أَلْقُوا (فِيهَا هُمْ وَالْقَاوُونَ)
- ﴿وَجُنُودٌ إِيلَيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء: ٩٥]
- ٩٥ - (وَجُنُودٌ إِيلَيسَ) أَتْبَاعُهُ وَمِمَّنْ أَطَاعَهُ مِنَ
الجن والإنس (أَجْمَعُونَ)
- ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ [الشعراء: ٩٦]
- ٩٦ - (قَالُوا) أَي الْغَاوُونَ (وَهُمْ فِيهَا
يَخْتَصِمُونَ) مَعَ مَعْبُودِهِمْ
- ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ٩٧]
- ٩٧ - (تَاللَّهِ إِنْ) مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهَا
مَحذُوفٌ أَي إِنَّهُ (كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بَيْنَ
- ﴿إِذْ تُسَوِّدُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٨]
- ٩٨ - (إِذْ) حَيْثُ (تُسَوِّدُكُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ) فِي
العبادة
- ﴿وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا الْمُشْرِكِينَ﴾ [الشعراء: ٩٩]
- ٩٩ - (وَمَا أَصَلْنَا) عَنِ الْهُدَى (إِلَّا الْمُشْرِكِينَ)
أَي الشياطين أو أولونا الذين اقتدينا بهم
- ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠]
- ١٠٠ - (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ) كَمَا لِلْمُؤْمِنِينَ
من الملائكة والنبين والمؤمنين
- ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠١]
- ١٠١ - (وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) أَي يَهْمُهُ أَمْرُنَا
- ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢]
- ١٠٢ - (فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً) رَجْعَةٌ إِلَى الدُّنْيَا
(فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لَوْ هُنَا لِلتَّمَنِّي وَنَكُونُ جَوَابَهُ
- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
[الشعراء: ١٠٣]
- ١٠٣ - (إِنَّ فِي ذَلِكَ) الْمَذْكُورِ مِنَ الْقِصَّةِ
إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمَهُ (لَآيَةً) وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ
- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٠٤]
- ١٠٤ - (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)
- ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]
- ١٠٥ - (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) بِتَكْذِيبِهِمْ

- ٨٤ - (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ ثَنَاءً حَسَنًا
(فِي الْآخِرِينَ) الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّبِيِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٥]
- ٨٥ - (وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّبِيِّينَ) أَي مِمَّنْ
يعطاها
- ﴿وَاعْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦]
- ٨٦ - (وَاعْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ) بَأَن
تتوب عليه فتغفر له وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو
لله كما ذكر في سورة براءة
- ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧]
- ٨٧ - (وَلَا تُخْزِنِي) تفضحني (يَوْمَ يُبْعَثُونَ) أَي
الناس
- ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء: ٨٨]
- ٨٨ - (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ) أحدا
- ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]
- ٨٩ - (إِلَّا) لَكِن (مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)
من الشرك والنفاق وهو قلب المؤمن فإنه ينفعه
ذلك
- ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠]
- ٩٠ - (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ) قَرِيبَ (لِلْمُتَّقِينَ) فَيرونها
- ﴿وَبُرُزَّتِ الْجَنَّةُ لِلْعَاقِبِينَ﴾ [الشعراء: ٩١]
- ٩١ - (وَبُرُزَّتِ الْجَنَّةُ) أَظْهَرَتْ (لِلْعَاقِبِينَ)
الكافرين
- ﴿وَقِيلَ لِمَنْ أَتَى مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٩٢]
- ٩٢ - (وَقِيلَ لِمَنْ أَتَى مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ)
﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَصْرِفُهُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ﴾
[الشعراء: ٩٣]
- ٩٣ - (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أَي غَيْرِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ
(هَلْ يَصْرِفُونَكُمْ) بِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ (أَوْ يَنْصُرُونَ)
بِدَفْعِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ لَا
- ﴿فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْقَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤]
- ٩٤ - (فَكَبِّكُوا) أَلْقُوا (فِيهَا هُمْ وَالْقَاوُونَ)

- ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ١١٥]
- ١١٥ - (إِن) مَا (أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) بَيْنَ الْإِنذَارِ
﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَنْزُحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾
[الشعراء: ١١٦]
- ١١٦ - (قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ) عَمَا تَقُولُ
لَنَا (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) بِالْحِجَارَةِ أَوْ بِالشَّمَمِ
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ [الشعراء: ١١٧]
- ١١٧ - (قَالَ) نُوحُ (رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ)
﴿فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجَّيْتَنِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
[الشعراء: ١١٨]
- ١١٨ - (فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا) أَي أَحْكَمُ
(وَنَجَّيْتَنِي وَمَنِ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)
﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ﴾
[الشعراء: ١١٩]
- ١١٩ - (فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنِ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ
الْمَشْحُونِ) الْمَمْلُوءِ مِنَ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَ وَالطَّيْرِ
﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٠]
- ١٢٠ - (ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدُ) أَي بَعْدَ إِنْجَائِهِمْ
(الْبَاقِينَ) مِنْ قَوْمِهِ
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
[الشعراء: ١٢١]
- ١٢١ - (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ)
- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٢٢]
- ١٢٢ - (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمِ)
﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]
- ١٢٣ - (كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ)
﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نَنْفُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٤]
- ١٢٤ - (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَنْفُونَ)
﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٢٥]
- ١٢٥ - (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)

- له لاشتركاكهم في المجيء بالتوحيد أو لأنه لطول
لبثه فيهم كأنه رسل وتأنيت قوم باعتبار معناه
وتذكيره باعتبار لفظه
- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نَنْفُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٦]
- ١٠٦ - (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ) نَسَبًا (نُوحٌ) أَلَا
تَنْفُونَ) اللَّهُ
- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧]
- ١٠٧ - (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) عَلَى تَبْلِيغِ مَا
أُرْسَلْتُ بِهِ
- ﴿فَأَنْفَقُوا اللَّهُ وَأَطِيعُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٨]
- ١٠٨ - (فَأَنْفَقُوا اللَّهُ وَأَطِيعُونَ) فِيمَا أَمَرَكَ بِهِ
مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِطَاعَتِهِ
- ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩]
- ١٠٩ - (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) عَلَى تَبْلِيغِهِ (مِنْ
أَجْرٍ) إِنْ) مَا (أَجْرِي) أَي ثَوَابِي (إِلَّا عَلَى رَبِّ
الْعَالَمِينَ)
- ﴿فَأَنْفَقُوا اللَّهُ وَأَطِيعُونَ﴾ [الشعراء: ١١٠]
- ١١٠ - (فَأَنْفَقُوا اللَّهُ وَأَطِيعُونَ) كَرَّرَهُ تَأْكِيدًا
﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾
[الشعراء: ١١١]
- ١١١ - (قَالُوا أَتُؤْمِنُ) نَصَدَقَ (لَكَ) لِقَوْلِكَ
(وَاتَّبَعَكَ) وَفِي قِرَاءَةِ وَاتَّبَاعِكَ جَمْعُ تَابِعٍ مُبْتَدَأُ
(الْأَرْذُلُونَ) السَّفَلَةُ كَالْحَاكَةِ وَالْأَسَاكِفَةِ
- ﴿قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١٢]
- ١١٢ - (قَالَ وَمَا عَلَيَّ) أَي عَلَيَّ أَي عِلْمِي (بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ)
- ﴿إِن حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾
[الشعراء: ١١٣]
- ١١٣ - (إِن) مَا (حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي)
فِيحَاذِرُهُمْ (لَوْ تَشْعُرُونَ) تَعْلَمُونَ ذَلِكَ مَا عِبَدْتُمُوهُمْ
- ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٤]
- ١١٤ - (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ)

١٣٦ - ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا مَشِيتُ مَسِيرًا﴾ (الشعراء: ١٢٦)
 (أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ) أصلاً أي لا
 نرعو ي لوعظك

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولَى﴾ (الشعراء: ١٣٧)
 ١٣٧ - (إِنْ) ما (هَذَا) الذي خوفنا به (إِلَّا)
 خُلُقُ الْأُولَى (اختلاقهم وكذبهم وفي قراءة بضم
 الحاء واللام أي ما هنا الذي نحن عليه من إنكار
 البعث إلا خلق الأولين أي طبيعتهم وعاداتهم

﴿وَمَا تَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ (الشعراء: ١٣٨)
 ١٣٨ - (وَمَا تَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ) (وَمَا تَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ)
 ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
 مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ١٣٩)

١٣٩ - (فَكَذَّبُوهُ) بالعذاب (فَأَهْلَكْنَاهُمْ) في
 الدنيا بالريح (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
 مُؤْمِنِينَ)

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٌ رَحِيمٌ﴾ (الشعراء: ١٤٠)
 ١٤٠ - (وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٌ رَحِيمٌ)

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: ١٤١)
 ١٤١ - (كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ)
 ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾
 (الشعراء: ١٤٢)

١٤٢ - (إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ)
 ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: ١٤٣)
 ١٤٣ - (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (الشعراء: ١٤٤)
 ١٤٤ - (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا)

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
 ١٤٥ - (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ) ما
 (أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)

﴿أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آيَاتِنَا﴾ (الشعراء: ١٤٦)
 ١٤٦ - (أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا) من الخيرات
 (أَمِينِينَ).

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (الشعراء: ١٢٦)

١٢٦ - (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا)

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ
 الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٢٧)

١٢٧ - (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ) ما
 (أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)

﴿أَتَيْتُونَا بِكُلِّ رِيحٍ مَائَةٍ تَقْبُوتُونَ﴾ (الشعراء: ١٢٨)

١٢٨ - (أَتَيْتُونَا بِكُلِّ رِيحٍ) مكان مرتفع (آيَةً)
 بناء علماً للمارة (تَقْبُوتُونَ) بمن يمر بكم وتسخرون
 منهم والجملة حال من ضمير تبتون

﴿وَتَمَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾

(الشعراء: ١٢٩)

١٢٩ - (وَتَمَّخِذُونَ مَصَانِعَ) للماء تحت
 الأرض (لَعَلَّكُمْ) كأنكم (تَخْلُدُونَ) فيها لا تموتون

﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ (الشعراء: ١٣٠)

١٣٠ - (وَإِذَا بَطِشْتُمْ) بضرب أو قتل (بَطِشْتُمْ
 جَبَّارِينَ) من غير رافة

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (الشعراء: ١٣١)

١٣١ - (فَاتَّقُوا اللَّهَ) في ذلك (وَأَطِيعُوا) فيما
 أمرتكم به

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ (الشعراء: ١٣٢)

١٣٢ - (وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ) أنعم عليكم
 (بِمَا تَعْلَمُونَ)

﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ﴾ (الشعراء: ١٣٣)

١٣٣ - (أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ)

﴿وَحَتَّتِ وَعِيُونِ﴾ (الشعراء: ١٣٤)

١٣٤ - (وَحَتَّتِ) بساتين (وَعِيُونِ) أنهار

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

١٣٥ - (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)
 في الدنيا والآخرة إن عصيتموني

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾

(الشعراء: ١٣٦)

﴿ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشعراء: ١٤٧]

١٤٧- (في جناتٍ وعيون)

﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ [الشعراء: ١٤٨]

١٤٨- (وزروعٍ ونخلٍ طلغها هضيم) لطيف

لين

﴿ وَتَنجِثُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُبُوتًا فَرِهِينَ ﴾

[الشعراء: ١٤٩]

١٤٩- (وتنجثون من الجبال يبتوتا فرهين)

بطرين وفي قراءه فارهين حاذقين

﴿ فَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ ﴾ [الشعراء: ١٥٠]

١٥٠- (فانقوا الله وأطيعون) فيما أمرتكم به

﴿ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥١]

١٥١- (ولا تطيعوا أمر المشركين)

﴿ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾

[الشعراء: ١٥٢]

١٥٢- (الذين يفسدون في الأرض)

بالمعاصي (ولا يصلحون) بطاعة الله

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٣]

١٥٣- (قالوا إنما أنت من المسحرين) الذين

سحروا كثيرا حتى غلب على عقلمهم

﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصدّيقين ﴾ [الشعراء: ١٥٤]

١٥٤- (ما أنت) أيضا (إلا بشرٌ مثلنا فأتِ

بآيةٍ إن كنت من الصادقين) في رسالتك

﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴾

[الشعراء: ١٥٥]

١٥٥- (قال هذه ناقه لها شرب) نصيب من

الماء (ولكم شرب يوم معلوم)

﴿ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴾

[الشعراء: ١٥٦]

١٥٦- (ولا تمسوها بسوءٍ فياخذكم عذاب

يومٍ عظيم) بعظم العذاب

﴿ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٧]

١٥٧- (فعاقروها) أي عقرها بعضهم برضاهم

(فاصبحوا نادمين) على عقرها

﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ

أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٨]

١٥٨- (فأخذهم العذاب) الموعود به فهلكوا

(إن في ذلك لآيةٍ وما كان أكثرهم مؤمنين)

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ١٥٩]

١٥٩- (وإن ربك لهو العزيز الرحيم)

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٠]

١٦٠- (كذبت قوم لوط المرسلين)

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦١]

١٦١- (إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون)

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الشعراء: ١٦٢]

١٦٢- (إني لكم رسول أمين)

﴿ فَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦٣]

١٦٣- (فانقوا الله وأطيعون)

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٤]

١٦٤- (وما أسألكم عليه من أجرٍ إن ما

أجري إلا على رب العالمين)

﴿ أَنَا تَوَكَّلْ عَلَى الذُّكْرَانِ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٥]

١٦٥- (أنا توكّل الذكران من العالمين) أي من

الناس

﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ

عَادُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦٦]

١٦٦- (وتذرون ما خلق لكم ربكم من

أرواحكم) أقبالهن (بل أنتم قوم عادون) متجاوزون

الحلال إلى الحرام

﴿ قَالُوا لَيْن لَمْ نَنْتَه يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾

[الشعراء: ١٦٧]

١٦٧- (قالوا لين لم تنته يا لوط) عن إنكارك

- ١٧٩ - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا)
 ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٠]
- ١٨٠ - ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ مَا (أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)﴾
 ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾
- ١٨١ - ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ أَمْوَهُ (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ)﴾ [الشعراء: ١٨٢]
- ١٨٢ - ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء: ١٨٢]
- السوي
 ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٣]
- ١٨٣ - ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئاً (ولا تعتوا في الأرض مفسدين) بالقتل وغيره من عشي بكسر المثلة أفسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها
- ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ﴾
- ١٨٤ - ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ﴾ الخليفة (الأوليين)
- ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٥]
- ١٨٥ - ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾
- ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّنُكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾
- ١٨٦ - ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه (نطنتك لمن الكاذبين)
- ﴿فَأَسِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾
- ١٨٧ - ﴿فَأَسِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ بسكون السين وفتحها قطعة (من السماء إن كنت من الصادقين) في رسالتك
- ﴿قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٨٨]
- ١٨٨ - ﴿قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ بَوِيرٌ أَظْلَمَ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ

- علينا (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ) من بلدتنا
 ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨]
- ١٦٨ - ﴿قَالَ لَوْ (إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ)﴾ المبغضين
 ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩]
- ١٦٩ - ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي من عذابه
 ﴿فَنَجِّنَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٠]
- ١٧٠ - ﴿فَنَجِّنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾
 ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧١]
- ١٧١ - ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ امرأته (في الغابرين) الباقيين أهلكتها
 ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٢]
- ١٧٢ - ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ أهلكتناهم
 ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ﴾
- ١٧٣ - ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ حجارة من جملة الإهلاك (فساء مطر المنذرين) مطرهم
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
- ١٧٤ - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
 ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٧٥]
- ١٧٥ - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾
- ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦]
- ١٧٦ - ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ وفي قراءة بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وفتح الهاء وهي غيضة شجر قرب مدين (المؤسليين)
- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٧]
- ١٧٧ - ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم (ألا تتقون)
- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٧٨]
- ١٧٨ - ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾
- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء: ١٧٩]

يَوْمِ عَظِيمٍ ﴿ الشعراء: ١٨٩ ﴾

١٨٩ - (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلُمَةِ) هي سحابة أظلمتهم بعد حر شديد أصابهم فأمرت عليهم نارا فاحترقوا (وَإِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

١٩٠ - (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ)

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ١٩١]

١٩١ - (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)

﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢]

١٩٢ - (وَإِنَّهُ) أي القرآن (لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣]

١٩٣ - (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) جبريل

﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٤]

١٩٤ - (عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ)

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥]

١٩٥ - (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) بين وفي قراءة

بتشديد نزل ونصب الروح والفاعل الله

﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٦]

١٩٦ - (وَإِنَّهُ) أي ذكر القرآن المنزل على

محمد (لَفِي زُبُرِ) كتب (الأُولِينَ) كالطورا والإنجيل

﴿ أَوَّلَ مَنْ كَلَّمَ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتَانَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

١٩٧ - (أَوَّلَ مَنْ كَلَّمَ لَهُمْ) لكفار مكة (آية)

على ذلك (أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) كعبد الله

بن سلام وأصحابه ممن آمنوا فإنهم يخبرون بذلك

ويكن بالتحثانية ونصب آية وبالرفعية ورفع آية

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٨]

١٩٨ - (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ)

جمع أعجم

﴿ فَفَرَّاهُمْ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾

١٩٩ - (فَفَرَّاهُمْ عَلَيْهِمْ) أي كفار مكة (مَا

كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ) أنفة من أتباعه

﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾

٢٠٠ - (كَذَلِكَ) أي مثل إدخالنا التكذيب به

بقراءة الأعجمي (سَلَكْنَاهُ) أدخلنا التكذيب به (في

قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) أي كفار مكة بقراءة النبي

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾

٢٠١ - (لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ

الْأَلِيمَ)

﴿ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

٢٠٢ - (فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)

﴿ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٣]

٢٠٣ - (فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ) لنؤمن

فيقال لهم لا قالوا متى هذا العذاب

﴿ أَفَعَدَّيْنَا بِسَمْعِهِمْ ﴾ [الشعراء: ٢٠٤]

٢٠٤ - (أَفَعَدَّيْنَا بِسَمْعِهِمْ)

﴿ أَفَرَبَّيْتِ إِنْ مَعَنَّهُمْ سِينِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٥]

٢٠٥ - (أَفَرَبَّيْتِ) أخبرني (إِنْ مَعَنَّهُمْ سِينِينَ) ^(١)

﴿ نَزَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٦]

٢٠٦ - (نَزَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ) من

العذاب

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٧]

٢٠٧ - (مَا) استفهامية بمعنى أي شيء (أَغْنَىٰ

عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ) في دفع العذاب أو تخفيفه

أي لم يغن

﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴾

٢٠٨ - (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ)

رسل تنذر أهلها

﴿ ذَكَرْنِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٩]

٢٦ - سورة الشعراء

(١) أسباب نزول الآية ٢٠٥: أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جهضم قال: رُئي النبي ﷺ كأنه متحيزٌ فسأله عن ذلك، فقال: ولم؟ ورأيت عدوي يكون من أمي بعدي، فنزلت: «أفرايت إن متعاهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون» فطابت نفسه.

٢١٩ - (وَتَقَلَّبَكَ) في أركان الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا (في الشَّاجِدِينَ) المصلين ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢٢٠]

٢٢٠ - (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾

٢٢١ - (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ) أي كفار مكة (عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ) بحذف إحدى التاءين من الأصل ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٢]

٢٢٢ - (تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) كذاب (أَثِيمٍ) فاجر مثل مسيلمة وغيره من الكهنة ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتُرُهُمْ كَذِبًا﴾

٢٢٣ - (يُلْقُونَ) أي الشياطين (السَّمْعَ) أي ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة (وَأَكْتُرُهُمْ كَذِبًا) يضمنون إلى المسموع كذبا كثيرا وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]

٢٢٤ - (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) في شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم فهم مذمومون^(١).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾

٢٢٥ - (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ) من أودية الكلام وفنونه (يَهِيمُونَ) يمشون فيجازون الحد مدحا وهجاء

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦]

(١) أسباب نزول الآية ٢٢٤: وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «كان رجلا على عهد رسول الله ﷺ: أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم الشفهاء؛ فأنزل الله: «وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ» الآيات. * وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة نحوه.

* وأخرج عن عروة قال: لما نزلت: «وَالشُّعْرَاءُ» إلى قوله تعالى: «وَمَا لَا يَفْعَلُونَ». قال عبد الله بن رواحة: قد علم الله أني منهم، فأنزل الله: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا» إلى آخر الشورة.

* وأخرج ابن جرير والحاكم عن أبي حسن البراء قال: لما نزلت: «وَالشُّعْرَاءُ» الآية جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت، فقالوا: يا رسول الله، والله لقد أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أننا شعراء، هلكتنا، فأنزل الله: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا» الآية، فدعاهم رسول الله ﷺ ففلاها عليهم.

٢٠٩ - (ذُكِرَى) عظة لهم (وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) في إهلاكهم بعد إنذارهم ونزل ردا لقول المشركين ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ [الشعراء: ٢١٠]

٢١٠ - (وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ) بالقرآن (الشَّيَاطِينُ)

﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الشعراء: ٢١١]

٢١١ - (وَمَا يَنْبَغِي) يصلح (لَهُمْ) أن ينزلوا به (وَمَا يَسْتَطِيعُونَ) ذلك

﴿لَا تَهْرَعْنِ السَّمْعَ لَمَعَزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢]

٢١٢ - (لَا تَهْرَعْنِ السَّمْعَ) لكلام الملائكة (لَمَعَزُولُونَ) محجوبون بالشهب ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

٢١٣ - (فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) إن فعلت ذلك الذي دعوك إليه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]

٢١٤ - (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وهم بنو هاشم وبنو المطلب وقد أنذرهم جهارا رواه البخاري ومسلم^(١).

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

٢١٥ - (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ) لمن جانبك (لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) الموحدين ﴿فَإِنِ عَصَاكَ فُلٌّ إِلَىٰ بَرِيٍّ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾

٢١٦ - (فَإِنِ عَصَاكَ) أي عشيرتك (فَقُلْ) لهم (إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ) من عبادة غير الله ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧]

٢١٧ - (وَتَوَكَّلْ) بالواو والفاء (عَلَىٰ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) الله أي فوض إليه جميع أمورك ﴿الَّذِي يَرِنَاكَ مِن قَوْمٍ﴾ [الشعراء: ٢١٨]

٢١٨ - (الَّذِي يَرِنَاكَ مِن قَوْمٍ) إلى الصلاة

﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩]

(١) أسباب نزول الآية ٢١٤: أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: لما نزلت: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ». بدأ بأهل بيته وفصيلته، فشق ذلك علي المسلمين، فأنزل الله: «وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

أَعْمَالَهُمْ) القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة
فَهُمْ يَغْمَهُونَ) يتعبرون فيها لقبحها عندنا

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ
الْأَخْسَرُونَ﴾ [النمل: ٥]

٥ - (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ) أشده في
الدنيا القتل والأسر (وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ)
لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم

﴿وَإِنَّكَ لَلتَّلَقَى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾

٦ - (وَإِنَّكَ) خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم (لَتَلَقَى الْقُرْآنَ) يلقي عليك بشدة (مِن لَّدُنْ)
من عند (حَكِيمٍ عَلِيمٍ) في ذلك

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنستُ نَارًا سَاتِيكُمْ مِنهَا بِخَبْرٍ
أَوْ آيَاتِكُمْ بِشَهَابٍ مِّنَ السَّمَاءِ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٧]

٧ - اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ) زوجته عند
مسيره من مدين إلى مصر (إِنِّي آنستُ) أبصرت من
بعيد (نَارًا سَاتِيكُمْ مِنهَا بِخَبْرٍ) عن حال الطريق
وكان قد ضلها (أَوْ آيَاتِكُمْ بِشَهَابٍ مِّنَ السَّمَاءِ)
للبيان وتركها أي شعلة نار في رأس فتيلة أو عود
(لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) تستدفئون من البرد والطاء بدل
تاء الافتعال من صلي النار بكسر اللام وفتحها

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا
وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٨]

٨ - (فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا)
أي بارك الله (مَنْ فِي النَّارِ) أي موسى (وَمَنْ
حَوْلَهَا) أي الملائكة أو العكس وبارك يتعدى بنفسه
وبالحرف ويقدر بعد في مكان (وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ) من جملة ما نودي ومعناه تنزيه الله من
السوء

﴿يَمْسُكُ إِلَيْهِ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩]

٩ - (يَا مُوسَى إِنَّهُ) الشأن (أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى
يَعْقَبُ يَمْسُكُ لَا تَحْفَ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدُنِّي الْمُرْسَلُونَ﴾

١٠ - (وَأَلْقِ عَصَاكَ) فألقاها (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ)
تتحرك (كَأَنَّهَا جَانٌّ) حية خفيفة (وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى
يَعْقَبُ) يرجع قال تعالى (يَا مُوسَى لَا تَحْفَ) منها

٢٢٦ - (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ) فعلنا (مَا لَا يَفْعَلُونَ)

أي يكذبون

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ
مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]

٢٢٧ - (إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

من الشعراء (وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) لم يشغلهم الشعر
عن الذكر (وَانْتَصَرُوا) بهجوم الكفار (مِنْ بَعْدِ مَا
ظَلَمُوا) بهجو الكفار لهم في جملة المؤمنين فليسوا
مذمومين قال الله تعالى (لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول إلا من ظلم) وقال تعالى (فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)
(وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) من الشعراء وغيرهم (أَيَّ
مُنْقَلَبٍ) مرجع (يَنْقَلِبُونَ) يرجعون بعد الموت.

٢٧- سورة النمل

مكية وآياتها ٩٣ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَّ نِآءَ ءَابِئَاتِ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ﴾

١ - (طَسَّ) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) أي
هذه الآيات (آبَاتِ الْقُرْآنِ) آيات منه (وَكِتَابِ مُبِينٍ)
مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة

﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ٢]

٢ - هو (هُدًى) أي هاد من الضلالة (وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ) المصدقين به بالجنة

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٣]

٣ - (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) يأتون بها على
وجهها (وَيُؤْتُونَ) يعطون (الزَّكَاةَ) وهم بِالْآخِرَةِ هُمْ
يُوقِنُونَ) يعلمونها بالاستدلال وأعيد هم لما فصل
بينه وبين الخبر

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ
يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: ٤]

٤ - (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ

والملوك (إِنَّ هَذَا) الموتى (لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) البين
الظاهر

﴿وَحَيْثَ لَسَلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ
يُورَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]

١٧ - (وَحَيْثَ) جمع (لِسَلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ) في مسير له (فَهُمْ يُورَعُونَ)
يجمعون ثم يسافرون

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ
أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]

١٨ - (حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ) هو
بالطائف أو بالشام نمل صغار أو كبار (قَالَتْ نَمَلَةٌ)
هي ملكة النمل وقد رأت جند سليمان (يَأْتِيهَا
النَّمْلُ) اذخلوا مساكينكم لا يحطمنكم يكسرنكم
(سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) نزل النمل منزل
العقلاء في الخطاب بخطابهم

﴿فَنَسَسَ صَاحِبًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَرْزُقْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]

١٩ - (فَنَسَسَ) سليمان ابتداء (صَاحِبًا) انتهاء
(مِنْ قَوْلِهَا) وقد سمعه من ثلاثة أميال حملته إليه
الريح فحبس جنده حين أشرف على واديهم حتى
دخلوا بيوتهم وكان جنده ركبانا ومشاة في هذا
السير (وَقَالَ رَبِّ أَرْزُقْنِي) اللهمني (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ
الَّتِي أَنْعَمْتَ) بها (عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ) وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ) الأنبياء والأولياء

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ
كَانَ مِنَ الْفَاعِيينَ﴾ [النمل: ٢٠]

٢٠ - (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ) ليرى الهدهد الذي يرى
الماء تحت الأرض ويدل عليه بنقره فيها فتستخرجه
الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة فلم يره
(فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ) أي أعرض لي ما
منعني من رؤيته (أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاعِيينَ) فلم أره لغيبته
فلما تحققها

(أَنِّي لَا يَخَافُ لَدَيْ) عندي (الْمُرْسَلُونَ) من حية
وغيرها

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

١١ - (إِلَّا) لكن (مَنْ ظَلَمَ) نفسه (ثُمَّ بَدَّلَ
حُسْنًا) أتاه (بَعْدَ سُوءٍ) أي تاب (فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ)
أقبل التوبة وأغفر له

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجْ يَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي نِسْعٍ
مَأْتِيَةٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾

١٢ - (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) طوق قميصك
(تَخَرِّجْ) خلاف لونها من الأدمة (يَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ
سُوءٍ) برص لها شعاع يغشى البصر آية (فِي نِسْعٍ
مَأْتِيَةٍ) مرسلا بها (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ) كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾
١٣ - (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً) مضبئة
واضحة (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) بين ظاهر

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]

١٤ - (وَجَحَدُوا بِهَا) أي لم يقروا (و) قد
(اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ) تيقنوا أنها من عند الله (ظُلْمًا
وَعُلُوًّا) تكبرا عن الإيمان بما جاء به موسى راجع
إلى الجحد (فَانظُرْ) يا محمد (كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُفْسِدِينَ) التي علمتها من إهلاكهم

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥]

١٥ - (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) ابنه (عِلْمًا)
بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك (وَقَالَا)
شكرا لله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا) بالنبوة وتسخير
الجن والإنس والشياطين (عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ
الْمُؤْمِنِينَ)

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمَنَا مَنْطِقَ
الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾

١٦ - (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) النبوة والعلم دون
باقي أولاده (وَقَالَ يَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ)
أي فهم أصواته (وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) توتاه الأنبياء

فزيدت لا وأدغم فيها نون كما في قوله تعالى (فلا يعلم أهل الكتاب) والجملة في محل مفعول يهتدون بإسقاط إلى (الذي يُخْرِجُ الخَبَاءَ) مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات (في السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ) في القلوب (وما تُغْلِثُونَ) بألسنتهم

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

٢٦ - (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) استئناف جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس وبينهما بون عظيم

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

٢٧ - (قَالَ) سليمان للدهد (سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ) فيما أخبرتنا به (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) أي من هذا النوع فهو أبلغ من أم كذبت فيه ثم دلهم على الماء فاستخرج وارتووا وتوضوا وصلوا ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ثم قال للدهد

﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَيْتُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]

٢٨ - (أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَيْتُ إِلَيْهِمْ) أي بلقيس وقومها (ثُمَّ تَوَلَّى) انصرف (عَنْهُمْ) وقف قريبا منهم (فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) يرددون من الجواب فأخذه وأناها وحولها جندها وألقاه في حجرها فلما رآته ارتعدت وخضعت خوفا ثم وقفت على ما فيه

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّ إِلَهِي لِكَبِيرٍ كَرِيمٍ﴾

٢٩ - (قَالَتْ) لأشرف قومها (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ) أي بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا مكسورة (إِلَهِي لِكَبِيرٍ كَرِيمٍ) مختم

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
٣٠ - (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ) مضمونه (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١]

﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١]

٢١ - قال (لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا) تعذيبا (شَدِيدًا) بنتف رأسه وذنبه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوام (أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ) بقطع حلقومه (أَوْ لِيَأْتِيَنِّي) بنون مشددة مكسورة أو مفتوحة يليها نون مكسورة (بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) يبرهان بين ظاهر على عذره

﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ حُطُّ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا رَافِيَةً﴾ [النمل: ٢٢]

٢٢ - (فَمَكَتْ) بضم الكاف وفتحها (غَيْرَ بَعِيدٍ) يسيرا من الزمن وحضر لسليمان متواضعا برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه فغفا عنه وسأله عما لقي في غيبته (فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ حُطُّ بِهِ) اطلعت على ما لم تطلع عليه (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ) بالصرف وتركه قبيلة باليمن سميت باسم جد لهم باعتبارها صرف (بِنْتًا رَافِيَةً) خير (رافية)

﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَلِيكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَمَا عَرَّشَ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]

٢٣ - (إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَلِيكُهُمْ) أي هي ملكة لهم اسمها بلقيس (وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة (وَلَهَا عَرْشٌ) سرير (عَظِيمٌ) طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا مضروب من الذهب والفضة مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمررد وقوائمه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق

﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]

٢٤ - (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) طريق الحق (فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)

﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُغْلِثُونَ﴾ [النمل: ٢٥]

٢٥ - (أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ) أي أن يسجدوا له

٣١ - (أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ)

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ [النمل: ٣٢]

٣٢ - (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا أي أشيروا علي (في أمري ما كنت قاطعة أمرًا) قاضيته (حتى تشهدون) تحضرون

﴿قَالُوا مَن أَوْلَا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسِنَّةِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣]

٣٣ - (قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسِنَّةِ شَدِيدٍ) أي أصحاب شدة في الحرب (والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) نا نطلعك

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]

٣٤ - (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا) بالتخريب (وجعلوا أعزّة أهلها آذلةً وكذلك يفعلون) أي مرسلو الكتاب

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]

٣٥ - (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) من قبول الهدية أو ردها إن كان ملكا قبلها أو نيبا لم يقبلها فأرسلت خدما ذكورا وإناثا ألفا بالسوية وخمسائة لبنة من الذهب وتاجا مكللا بالجواهر ومسكا وعنبرا وغير ذلك مع رسول بكتاب فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ ميدانا وأن يبنوا حوله حائطا مشرفا من الذهب والفضة وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن عن يمين الميدان وشماله

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَسْمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَنِيَ اللَّهُ خَيْرًا مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾

٣٦ - (فَلَمَّا جَاءَ) الرسول بالهدية ومعه أتباعه (سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله) من النبوة والملك (خَيْرًا مِّمَّا آتَاكُمْ) من الدنيا (بل أنتم

بهديتكم تفرحون) لفرحكم بزخارف الدنيا

﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧]

٣٧ - (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ) بما أتيت به من الهدية (فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا) لا طاقة (لهم بها) ولنخرجهم منها) من بلدهم سبأ سميت باسم أبي قبيلتهم (أذلةً وهم صاغرون) أي إن لم يأتوني مسلمين فلما رجع إليها الرسول بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها وقصرها داخل سبعة قصور وغلقت الأبواب وجعلت عليها حرسا وتجهزت للمسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به فارتحلت في اثني عشر ألف فيل مع كل فيل ألوف كثيرة إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨]

٣٨ - (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ) في الهمزتين تقدم (يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) منقادين طائعين فلي أخذه قبل ذلك لا بعده

﴿قَالَ عِفْرِيثُ مَن آتَانِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٩]

٣٩ - (قَالَ عِفْرِيثُ مَن آتَانِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) منقادين طائعين فلي أخذه قبل ذلك لا بعده

﴿قَالَ عِفْرِيثُ مَن آتَانِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٩]

٣٩ - (قَالَ عِفْرِيثُ مَن آتَانِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) منقادين طائعين فلي أخذه قبل ذلك لا بعده

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾

٤٠ - (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ)

المنزل وهو آصف بن برخيا كان صديقا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب (أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) إذا نظرت به إلى شيء فقال له انظر إلى السماء فنظر إليها ثم رد بطرفه فوجده موضوعا بين يديه ففي نظره إلى السماء دعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتي الله به فحصل بأن

وقدمها كقدمي الحمار (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً) من الماء (وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا) لتخوضه وكان سليمان على سرير في صدر الصرح فرأى ساقها وقدمها حسانا (قَالَ) لها (إِنَّهُ صَوِّخٌ مُّتَمَرِّدٌ) مملس (مَنْ قَوَّارِينِ) أي من زجاج ودعاها إلى الإسلام (قَالَتْ رَبِّ لِمَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) بعبادة غيرك (وَأَسْلَمْتُ) كائنة (مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وأراد تزوجها فكره شعر ساقها فعملت له الشياطين النورة فأزالتها بها فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها وكان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان روي أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: ٤٥]

٤٥ - (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ) من القبيلة (صَالِحًا أَنْ) بأن (اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ) في الدين فريق مؤمنون من حين لإرساله إليهم وفريق كافرون

﴿قَالَ يَبْنَورُ لِمَ تَسْتَعِجِلُونَ بِالْحِسْبَةِ قِيلَ الْحَسْبَةُ لَوْلَا تَسْتَفِيرُونَ اللَّهُ لَمَلَكُمُ تَرْحُمُونَ﴾ [النمل: ٤٦]

٤٦ - (قَالَ) للمكذبين (يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعِجِلُونَ بِالْحِسْبَةِ قِيلَ الْحَسْبَةُ) أي بالعذاب قبل الرحمة حيث قلتم إن كان ما أتيتنا به حقا فأتنا بالعذاب (لَوْلَا) هلا (تَسْتَعِجِلُونَ اللَّهَ) من الشرك (لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ) فلا تعذبون

﴿قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِعَمَلِكَ قَالِ طَهِّرْ كُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَمْتُمْ قَوْمٌ فَتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧]

٤٧ - (قَالُوا أَطَّيَّرْنَا) أصله تطيرنا أدغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل أي تشاءمنا (بِكَ) وبمن شكك أي المؤمنین حيث قحطوا المطر وجاعوا (قَالَ طَائِفٌ مِّنْكُمْ) عند الله أناكم به (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ فَتَنُونَ) تختبرون بالخير والشر

﴿وَكَاثَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةً رِّهَاتٍ يُنْشِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨]

٤٨ - (وَكَاثَ فِي الْمَدِينَةِ) مدينة ثمود (تِسْعَةً

جری تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان (فَلَمَّا رَأَتْهُ مُسْتَقْبِرًا) ساكنا (عِنْدَهُ قَالَ هَذَا) أي الإتيان لي به (مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي) ليختبرني (أَلَشُّكْرُ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أَمْ أَكْفَرُ) النعمة (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) أي لأجلها لأن ثواب شكره له (وَمَنْ كَفَرَ) النعمة (فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ) عن شكره (كَرِيمٌ) بالافضال على من يكفرها

﴿قَالَ تَكْرُؤًا لَّمَّا عَرَشَهَا نَظَرَ أَنْتَهَىٰ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١]

٤١ - (قَالَ تَكْرُؤًا لَّمَّا عَرَشَهَا) أي غيروه إلى حال تنكره إذا رأته (نَظَرَ أَنْتَهَىٰ) إلى معرفته (أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) إلى معرفة ما يغير عليهم قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل له إن فيه شيئا فغيروه بزيادة أو نقص وغير ذلك

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢]

٤٢ - (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ) لها (أَهَكَذَا عَرْشُكَ) أي أمثل هذا عرشك (قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ) أي فعرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها إذ لم يقل أهذا عرشك ولو قيل هذا قالت نعم قال سليمان ولما رأى لها معرفة وعلمها (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ)

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: ٤٣]

٤٣ - (وَصَدَّهَا) عن عبادة الله (مَا كَانَتْ تَعْبُدُ) من دُونِ اللَّهِ أي غيره (إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ)

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّتَمَرِّدٌ مِّنْ قَوَّارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]

٤٤ - (قِيلَ لَهَا) أيضا (ادْخُلِي الصَّرْحَ) هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك اصطنعه سليمان لما قيل له إن ساقها

رَهْطٍ) أَي رَجَالٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بِالْمَعَاصِي،
مِنْهَا قَرْضُهُمُ الدَّنَائِرَ وَالدَّرَاهِمَ (وَلَا يُضْلِحُونَ) بِاطِّعَةِ
﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ
مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾

٤٩ - (قَالُوا) أَي قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ (تَقَاسَمُوا)
أَي احْلَفُوا (بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ) بِالنُّونِ وَالتَّاءِ وَضَمُّ التَّاءِ
الثَّانِيَةِ (وَأَهْلَهُ) أَي مِنْ أَمِنْ بِهِ أَي نَقْتَلُهُمْ لَيْلًا (ثُمَّ
لَنَقُولَنَّ) بِالنُّونِ وَالتَّاءِ وَضَمُّ اللَّامِ الثَّانِيَةِ (لِوَلِيِّهِ) لَوْلِي
دَمِهِ (مَا شَهِدْنَا) حَضَرْنَا (مَهْلِكَ أَهْلِهِ) بَضْمُ المِيمِ
وَفَتْحُهَا أَي إِهْلَاكِهِمْ أَوْ هَلَاكِهِمْ فَلَا نَدْرِي مِنْ
قَتْلِهِمْ (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ)

﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾
٥٠ - (وَمَكْرُوا) فِي ذَلِكَ (مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا)
أَي جَازَيْنَاهُمْ بِتَعْجِيلِ عِقَابِهِمْ (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ إِنَّا
دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥١]
٥١ - فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ إِنَّا
دَمَّرْنَاهُمْ) أَهْلَكْنَاهُمْ (وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ) بِصِيحَةِ
جَبْرِيلِ أَوْ بِرَمِيِ الْمَلَائِكَةِ بِحِجَارَةٍ يَرُونَهَا وَلَا يَرُونَهُمْ

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢]

٥٢ - (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً) خَالِيَةً وَنَصَبَهُ عَلَى
الْحَالِ وَالْعَامِلُ فِيهَا مَعْنَى الْإِشَارَةِ (بِمَا ظَلَمُوا) بِمَا ظَلَمُوا
بِظُلْمِهِمْ أَي كَفَرَهُمْ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) لَعِبْرَةٌ (لِّقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ) قَدَرْنَا فَيَتَعَلَّقُونَ.

﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَشْكُرُونَ﴾
٥٣ - (وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) بِصَالِحٍ وَهُمْ أَرْبَعَةٌ
آلَافٍ (وَكَانُوا يَشْكُرُونَ) الشُّكْرَ.

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ
وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: ٥٤]

٥٤ - (وَلَوْطًا) مَنْصُوبٌ بِـ «اذْكُرْ» مَقْدَرًا قَبْلَهُ
وَيُبَدَلُ مِنْهُ (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) اللُّوَاطُ
(وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) يَبْصُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا انْهَمَاكَا فِي
الْمَعْصِيَةِ

﴿أَيُنْذِرَكُمْ لِنَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ

قَوْمٌ يَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]

٥٥ - (أَيُنْذِرَكُمْ) بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَيْنِ وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ
وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الرَّجُلَيْنِ (لِنَأْتُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ) بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) عَاقِبَةُ
فَعْلِكُمْ

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ
لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطِئُونَ﴾

٥٦ - (فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا
أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ) أَهْلَهُ (مِنْ قَرْيَتِكُمْ) إِنَّهُمْ أَنَاسٌ
يَبْطِئُونَ) مِنْ أَدْبَارِ الرِّجَالِ

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنْ

الْعَذَابِ﴾ [النمل: ٥٧]

٥٧ - (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا)
جَعَلْنَاهَا بِتَقْدِيرِنَا (مِنْ الْعَذَابِ) (مِنْ الْعَابِرِينَ) الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾

٥٨ - (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) هُوَ حِجَارَةٌ
السَّجِيلِ فَأَهْلَكْتَهُمْ (فَسَاءَ) بِسِ (مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ)
بِالْعَذَابِ مَطْرَهُمْ

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ءَاللَّهُ
خَبِيرٌ أَمَا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]

٥٩ - (قُلِ) يَا مُحَمَّدُ (الْحَمْدُ لِلَّهِ) عَلَى هَلَاكِ
الْكَفَّارِ مِنَ الْأُمَّةِ الْخَالِيَةِ (وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ
اصْطَفَى) هُمْ (ءَاللَّهُ) بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَيْنِ وَإِدْخَالِ الثَّانِيَةِ
أَلْفًا وَتَسْهِيلِهَا وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَ الْمَسْهَلَةِ وَالْأُخْرَى
وَتَرْكِهِ (خَبِيرٌ) لِمَنْ يَعْبُدُهُ (أَمَا يُشْرِكُونَ) بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ
أَي أَهْلَ مَكَّةَ بِهِ ءَالِ الْإِلَهَةِ خَيْرٌ لِعَابِدِيهَا

﴿أَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا
كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ءَأَللَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ
قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]

٦٠ - (أَمَنْ) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا) فِيهِ النَّفَاتِ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكْلِمِ
(بِهِ حَدَائِقَ) جَمْعُ حَدِيقَةٍ وَهُوَ الْبَسْتَانُ الْمَحْوَطُ (ذَاتَ
بَهْجَةٍ) حَسَنٌ (مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا) لَعَدِمَ
قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ (ءَاللَّهُ) بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَيْنِ وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ

بُرْهَانِكُمْ) حججتكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أَنْ مَعِيَ إِلَهَا
فَعَلْ شَيْئًا مِمَّا ذَكَرَ وَسَأَلُوهُ عَن وَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ
فَنَزَلَ

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ
وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]

٦٥ - (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)
مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ (الْغَيْبِ) أَي مَا غَاب عَنْهُمْ
(إِلَّا) لَكِن (اللَّهُ) يَعْلَمُهُ (وَمَا يَشْعُرُونَ) أَي كِفَارِ
مَكَّةَ كَغَيْرِهِمْ (أَيَّانَ) وَقْتِ (يُبْعَثُونَ)

﴿بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ
هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦]

٦٦ - (بَلْ) بِمَعْنَى هَل (أَدْرَكَ) أَي بَلَغَ وَلِحَقِ
أَوْ تَتَابَعَ وَتَلَاحَقَ وَفِي قِرَاءَةِ (أَدْرَكَ) بِتَشْدِيدِ الدَّالِ
وَأَصْلُهُ تَدَارَكَ أَدْبَلْتَ النَّاءَ دَالًا وَأَدْعَمْتَ فِي الدَّالِ
وَاجْتَلَبْتَ هَمْزَةَ الْوَصْلِ (عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ) أَي بِهَا
حَتَّى سَأَلُوا عَنْ وَقْتِ مَجِيئِهَا لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ (بَلْ)
هُم فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) مِنْ عَمَى
الْقَلْبِ وَهُوَ أَوْلَعٌ مِمَّا قَبْلَهُ وَالْأَصْلُ عَمِيونَ اسْتَثْقَلَتْ
الضَّمَّةُ عَلَى الْيَاءِ فَنَقَلَتْ إِلَى الْمِيمِ بَعْدَ حَذْفِ
كَسْرَتِهَا

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَيُّذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُونا أَيْنًا
لْمُخْرَجُونَ﴾ [النمل: ٦٧]

٦٧ - (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أَيضًا فِي إِنْكَارِ
الْبَعْثِ (أَيُّذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُونا أَيْنًا لِمُخْرَجُونَ) مِنْ
الْقُبُورِ

﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاءُونا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النمل: ٦٨]

٦٨ - (لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاءُونا مِنْ قَبْلُ)
إِنْ مَا (هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) جَمَعَ اسْطُورَةٌ
بِالضَّمِّ مَا سَطَرَ مِنَ الْكُذْبِ

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: ٦٩]

٦٩ - (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) بَيَّنَّكَارَهُمْ وَهِيَ هَلَاكُهُمْ
بِالْعَذَابِ

وَادْخَالَ أَلْفَ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهِينِ فِي مَوَاضِعِهِ السَّبْعَةِ
(مَعَ اللَّهِ) أَعَانَهُ عَلَى ذَلِكَ أَي لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ (بَلْ هُمْ قَوْمٌ
يَعْدِلُونَ) يَشْرِكُونَ بِاللَّهِ غَيْرُهُ

﴿أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ
لَهَا رِوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ
اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٦١]

٦١ - (أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا) لَا تَمِيدُ بِأَهْلِهَا
(وَجَعَلَ خِلَالَهَا) فِيمَا بَيْنَهَا (أَنْهَارًا) وَجَعَلَ لَهَا
رِوَاسِيَ) جِبَالًا أَثْبَتَ بِهَا الْأَرْضَ (وَجَعَلَ بَيْنَ
الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) بَيْنَ الْعَذْبِ وَالْمَلْحِ لَا يَخْتَلِطُ
أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ (أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)
تَوْحِيدُهُ .

﴿أَمْنَ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ
خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾

٦٢ - (أَمْنَ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ) الْمَكْرُوبَ الَّذِي
مَسَّهُ الضَّرُّ (إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) عَنْهُ وَعَنْ
غَيْرِهِ (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ) الْإِضَافَةُ بِمَعْنَى فِي
أَي يَخْلُفُ كُلَّ قَرْنٍ الْقَرْنَ الَّذِي قَبْلَهُ (أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) تَتَعَطَّوْنَ بِالْفَوْقَانِيَةِ وَالتَّحْتَانِيَةِ وَفِيهِ
إِدْغَامُ النَّاءِ فِي الذَّالِ وَمَا زَائِدَةٌ لِتَقْلِيلِ الْقَلِيلِ

﴿أَمْنَ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ
الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعْلَى
اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣]

٦٣ - (أَمْنَ يَهْدِيكُمْ) يَرشُدُكُمْ إِلَى مَقَاصِدِكُمْ
(فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ) بِالنُّجُومِ لَيْلًا وَبِالْعَلَامَاتِ
الْأَرْضِ نَهَارًا (وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ
رَحْمَتِهِ) أَي قَدَامَ الْمَطَرِ (أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ) بِهِ غَيْرُهُ

﴿أَمْنَ يَدْعُوا مَلَأَقَ نَزَّ يُعِيدُهُمْ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلٌّ هَاكِنًا بُرْهَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]

٦٤ - (أَمْنَ يَدْعُوا مَلَأَقَ) فِي الْأَرْحَامِ مِنْ نَطْفَةٍ
(نُزَّ يُعِيدُهُمْ) بَعْدَ الْمَوْتِ وَإِنْ لَمْ تَعْتَرَفُوا بِالْإِعَادَةِ لِقِيَامِ
الْبِرَاهِمِينَ عَلَيْهَا (وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ) بِالْمَطَرِ
(وَالْأَرْضِ) بِالنَّبَاتِ (أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ) أَي لَا يَفْعَلُ شَيْئًا
مِمَّا ذَكَرَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا إِلَهَ مَعَهُ (قُلْ) يَا مُحَمَّدَ (هَاتُوا

لِلْمُؤْمِنِينَ) من العذاب

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾
 ٧٨ - (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ) كغيرهم يوم
 القيامة (بِحُكْمِهِ) أي عدله (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الغالب
 (الْعَلِيمُ) بما يحكم به فلا يمكن أحدا مخالفته كما
 خالف الكفار في الدنيا أنبياءه

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾

٧٩ - (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) ثق به (إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ
 الْمُبِينِ) الدين بين فالعاقبة لك بالنصر على الكفار ثم
 ضرب أمثالا لهم بالموتى وبالصم وبالعمي

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا
 مَدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]

٨٠ - (إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ
 الدُّعَاءَ إِذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية
 بينها وبين الباء (وَلُوا مَدْبِرِينَ)

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ صَلَاتَيْهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا
 مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمِعُونَ﴾

[النمل: ٨١]

٨١ - (وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ صَلَاتَيْهِمْ
 (إِنْ) ما (تَسْمِعُ) سماع إفهام وقبول (إِلَّا مَنْ
 يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (فَهُمْ مُسْمِعُونَ) مخلصون
 بتوحيد الله

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ
 تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾

٨٢ - (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ) حق العذاب أن
 ينزل بهم في جملة الكفار (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ
 الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) أي تكلم الموجودين حين
 خروجها بالعربية تقول لهم من جملة كلامها عنا
 (أَنَّ النَّاسَ) أي كفار مكة وعلى قراءة فتح همزة إن
 نقدر الباء بعد تكلمهم (كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) لا
 يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب
 والعقاب وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي
 عن المنكر ولا يؤمن كافر كما أوحى الله إلى نوح
 أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن

﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مَّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا

﴿وَلَا تَخْزَنَ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾
 ٧٠ - (وَلَا تَخْزَنَ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ
 مِّمَّا يَمْكُرُونَ) تسلية للنبي ﷺ أي لا تهتم بمكرهم
 عليك فإننا ناصرهم عليهم

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

٧١ - (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بالعذاب (إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه

﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾
 ٧٢ - (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ) قرب (لَكُمْ
 بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) فحصل لهم القتل بيدر
 وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

لَا يَشْكُرُونَ﴾ [النمل: ٧٣]

٧٣ - (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) ومنه
 تأخير العذاب عن الكفار (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
 لَا يَشْكُرُونَ) فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب
 لإنكارهم وقوعه

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾

٧٤ - (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ)
 تخفيه (وَمَا يُعْلِنُونَ) بألسنتهم

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾
 ٧٥ - (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)
 الهاء للمبالغة أي شيء في غاية الخفاء على الناس
 (إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) بين هو اللوح المحفوظ
 ومكنون علمه تعالى ومنه تعذيب الكفار

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي
 هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

[النمل: ٧٦]

٧٦ - (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ)
 الموجودين في زمان نبينا (أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ
 يَخْتَلِفُونَ) أي ببيان ما ذكر على وجهه الرفع
 للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا

﴿وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ لَهْدَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ٧٧]

٧٧ - (وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ) من الضلالة (وَرَحْمَةً

بالماضي لتحقق وقوعه

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

٨٨ - (وتَرَى الْجِبَالَ) تبصرها وقت النفخة (تَحْسَبُهَا) تظنها (جَامِدَةً) واقفة مكانها لعظمتها (وهي تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) المطر إذا ضربته أي الريح تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها ميسوسة ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورا (صُنِعَ اللَّهُ) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله صنع أي الله ذلك صنعا (الَّذِي أَنْفَنَ) أحكم (كُلَّ شَيْءٍ) صنعه (إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) بالياء والتاء أي أعداؤه من المعصية وأوليأؤه من الطاعة

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِثُونَ﴾

٨٩ - (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ) أي لا إله إلا الله يوم القيامة (فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) أي بسببها وليس للتفضيل إذ لا فعل خير منها وفي آية أخرى عشر أمثالها (وَهُمْ) أي الذين جاءوا بها (مَنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ) بالإضافة وكسر الميم وفتحها وفتح منونا (وَفَتَحَ المِيمِ) (آمِثُونَ)

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتٌ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[النمل: ٩٠]

٩٠ - (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) أي الشرك (فَكَيْتٌ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) بأن وليتها وذكرت الوجوه لأنها موضع الشرف من الحواس غيرها من باب أولى ويقال لهم تبكىتا (هل) أي ما (تُجْزَوْنَ إِلَّا) جزاء (مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من الشرك والمعاصي قل لهم

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَكَذَا بَلَدَهُ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ

الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١]

٩١ - (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَكَذَا بَلَدَهُ) أي مكة (الَّذِي حَرَّمَهَا) أي جعلها حرما آمنا لا يسفك فيها دم الإنسان ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها وذلك من النعم

فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ٨٣]

٨٣ - (و) اذكر (يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا) جماعة (مُؤَنَّنٌ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا) وهم رؤساؤهم المتبعون (فَهُمْ يُوزَعُونَ) يجمعون يرد آخرهم إلى أولهم ثم يساقون

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَآذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[النمل: ٨٤]

٨٤ - (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا) مكان الحساب (قَالَ) تعالى لهم (أَكُذَّبْتُمْ) أنبيائي (بِآيَاتِي) ولم تُحِطُوا) من جهة تكذيبكم (بِهَا عِلْمًا أَمْ) فيه إدغام ما الاستفهامية (ذَا) موصول أي ما الذي (كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) مما أمرتم به

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾

٨٥ - (وَوَقَعَ الْقَوْلُ) حق العذاب (عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا) أي أشركوا (فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ) إذ لا حجة لهم

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

٨٦ - (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ) كغيرهم (وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) بمعنى يبصر فيه ليتصرفوا فيه (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) دلالات على قدرته تعالى (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾

٨٧ - (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) القرن النفخة الأولى من إسرافيل (فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) أي خافوا الخوف المفضي إلى الموت كما في آية أخرى فصعق والتعبير فيه بالماضي لتحقق وقوعه (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) أي جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وعن ابن عباس هم الشهداء إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون (وكل) تنوينه عوض عن المضاف إليه أي وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة (أَتَوْهُ) بصيغة الفعل واسم الفاعل (دَاخِرِينَ) صاغرين والتعبير في الإتيان

٢٨- سورة القصص

مكية إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥
ممدنية وآية ٨٥ فبالجدة أثناء الهجرة
وآياتها ٨٨ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طس﴾

[القصص: ١]

١ - (طسم) الله أعلم بما راده بذلك

﴿تَكَ ءَايَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾

[القصص: ٢]

٢ - (تلك) أي هذه الآيات (آيات الكتاب)
الإضافة بمعنى من (المبين) المظهر الحق من
الباطل

﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مِثْلِ بَدِيعِ قَوْمٍ لَقِوهُ
يُؤْمِنُونَ﴾

[القصص: ٣]

٣ - (تتلون) نقص (عليك من نبأ) خير (موسى
وفرعون بالحق) الصدق (لقوم يؤمنون) لأجلهم
لأنهم المنتفعون به

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا
يَسْتَضِيعُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَاسْتَحْيَى
نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾

[القصص: ٤]

٤ - (إن فرعون علا) تعظم (في الأرض) أرض
مصر (وجعل أهلها شيعا) فرقا في خدمته
(يستضيع طائفة منهم) وهم بنو إسرائيل (يذبح
أبناءهم) المولودين (ويستحيي نساءهم) يستبقيهن
أحياء لقول بعض الكهنة له إن مولودا يولد في بني
إسرائيل يكون سبب زوال ملكه (إنه كان من
المفسدين) بالقتل وغيره

على قريش أهلها في رفع الله عن بلدهم العذاب
والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب (ولي) تعالي
(كل شيء) فهو ربه وخالقه ومالكة (وأمرت أن
أكون من المسلمين) لله بتوحيده

﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ
وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢]

٩٢ - (وأن أتلو القرآن) عليكم تلاوة الدعوة
إلى الإيمان (فمن اهتدى) له (فإنما يهتدي لنفسه)
لأجلها فإن ثواب اهتدائه له (ومن ضل) عن
الإيمان وأخطأ طريق الهدى (فقل) له (إنما أنا من
المنذرين) المخوفين فليس علي إلا التبليغ وهذا قبل
الأمر بالقتال

﴿وَقُلْ لِحُكْمِ اللَّهِ سَبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مَا تَدْرُسُونَ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[النمل: ٩٣]

٩٣ - (وقل الحمد لله سبِّحوا بحمد الله ما تدرسون)
فأراهم الله يوم بدر القتل والسي وضرب الملائكة
وجوههم وأدبارهم وعجلهم الله إلى النار (وما ربك
بغافل عما تعملون) بالياء والتاء وإنما يمهلهم
لوقتهم.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْخَرُونَ﴾
[القصص: ٩]

٩ - (وقالت امرأة فرعون) وقد هم مع أعوانه بقتله هو (قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً) فأطاعوها (وهم لا يسخرون) بعاقبة أمرهم معه

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَدَرَبًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
[القصص: ١٠]

١٠ - (وأصبح فؤاد أم موسى) لما علمت بالتقاطه (فأرعاً) مما سواه (إن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنها (كادت لتبدي به) بأنه ابنها (لولا أن ربنا على قلبها) بالصبر أي سكنائه (لتكون من المؤمنين) المصدقين بوعد الله وجواب لولا دل عليه ما قبله

﴿وَقَالَتِ لِأُخْتَيْهِ فَصِيحَةٌ بُصِّرْتُ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَسْخَرُونَ﴾ [القصص: ١١]

١١ - (وقالت لأختيه) مريم (فصية) أي اتبعت أثره حتى تعلمي خبره (فبصرت به) أبصرته (عن جنب) من مكان بعيد احتلاسا (وهم لا يسخرون) أنها أخته وأنها ترقبه

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾
[القصص: ١٢]

١٢ - (وحرمنا عليه المراضع من قبل) قبل رده إلى أمه أي منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له (فقالت) أخته (هل أدلكم على أهل بيت) لما رأت حنوهم عليه (يكفلونه لكم) بالإرضاع وغيره (وهم له ناصحون) وفسرت ضمير له بالملك جوابا لهم فأجيب فجاءت بأمه فقيل ثديها وأجابتهم عن قوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن فأذن لها في إرضاعه في بيتها فرجعت به

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آتِيهِ كَمَا نَفَرْنَا عَلَيْهِمْ وَلَا تَحْزَنْ وَتَعَلَّمَ آدَمَ وَعَادَ اللَّهُ حَقًّا وَنَكِرًا أَكْثَرَهُمْ

﴿وَرَبُّهُ أَنْ تُنَمَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ آيَةً وَيَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]

٥ - (وربى أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض) ونجعلهم آية) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير (ونجعلهم الوارثين) ملك فرعون

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾
[القصص: ٦]

٦ - (ونمكن لهم في الأرض) أرض مصر والشام (ونرى فرعون وهامان وجنودهما) وفي قراءة ويرى بفتح التحتانية والراء ورفع الأسماء الثلاثة (ينهم ما كانوا يحذرون) يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ قَالِقِيهِ فِي الْبَيْتِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]

٧ - (وأوحينا) وحى الإلهام أو منام (إلى أم موسى) وهو المولود المذكور ولم يشعر بولادته غير أخته (أن أرضعيه فإذا خفت عليه فآلقيه في اليم) البحر أي النيل (ولا تخافي) غرقه (ولا تحزني) لفراقه (إننا رادوه إليك) وجاعلوه من المرسلين) فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي وخافت عليه فوضعت في تابوت مطلي بالقار من داخل ممد له فيه وأغلقتة وألقته في بحر النيل ليلا

﴿فَالْقَلْبَةُ مَاءٌ لِّفِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾
[القصص: ٨]

٨ - (فالقبطه) بالتابوت صبيحة الليل (أل) أعوان (فرعون) فوضعه بين يديه وفتح وأخرج منه موسى وهو يمص من إبهامه لبنا (ليكون لهم) في عاقبة الأمر (عدواً) يقتل رجالهم (وحزناً) يستعبد نساءهم وفي قراءة بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كآحزنه (إن فرعون وهامان) وزيره (وجنودهما) كانوا خاطئين) من الخطيئة أي عاصين فعوقبوا على يديه

لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [القصص: ١٣]

١٣ - (فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بلقائه (ولا تحزن) حينئذ (وليتعلم أن وعد الله) برده إليها (حق ولكن أكثرهم) أي الناس (لا يعلمون) بهذا الوعد ولا بأن هذه أخته وهذه أمه فمكث عندها إلى أن فطمته وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار وأخذتها لأنها مال حربي فأتت به فرعون فتربى عنده كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء (ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك ستين) .
﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَأَيْنَتْهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤]

١٤ - (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) وهو ثلاثون سنة أو ثلاث (واستوى) بلغ أربعين سنة (آتيناهُ حُكْمًا) حكمة (وعلمًا) فقها في الدين قبل أن يبعث نبيا (وكذلك) كما جزيناه (نجزى المحسنين) لأنفسهم
﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا وَمِنَ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاذَ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ وَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالًا هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥]

١٥ - (وَدَخَلَ) موسى (المدينة) مدينة فرعون وهي منف بعد أن غاب عنها مدة (على حين غفلة من أهلها) وقت القيلولة (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته) إسرائيلي (وهذا من عدوه) قبطي يسخر الإسرائيلي ليحمل حطبا إلى مطبخ فرعون (فاستعاذه الذي من شيعته على الذي من عدوه) فقال له موسى خل سبيله فقبل إنه قال لموسى لقد هممت أن أحمله عليك (فوكزه موسى) ضربه بجمع كفه وكان شديد القوة والبطش (فقضى عليه) أي قتله ولم يكن يقصد قتله ودفنه في الرمل (قال هذا) أي قتله (من عمل الشيطان) المهيج غضبي (إنه عدو) لابن آدم (مضلل) له (مبين) بين الإضلال.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]

١٦ - (قَالَ) نادما (ربّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) بقتله (فاغفر لي فغفر له) إنه هو العفور الرحيم) أي المتصف بهما أزلا وأبدا
﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]

١٧ - (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ) بحق إنعامك (عليّ) بالمغفرة اعصمني (فلن أكون ظاهرا) عونا (للمجرمين) الكافرين بعد هذه إن عصمتني
﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَصْرَفَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَعَوِيُّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٨]

١٨ - (فأصبح في المدينة خائفا يترقب) ينتظر ما يناله من جهة القتل (فإذا الذي استصرفه بالأمس يستصريحه) يستغيث به على قبطي آخر (قال له موسى إنك لعوي مبين) بين الغواية لما فعلته الأمس واليوم
﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوسَىٰ أَتَرِيدُ أَنْ نَقْتُلَكَ كَمَا قَتَلْت نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٩]

١٩ - (فلما أن) زائدة (أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما) لموسى والمستغيث به (قال) المستغيث ظانا أنه يبطش به لما قال له (يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن) ما (تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين) فسمع القبطي ذلك فعلم أن القاتل موسى فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى فأخذوا في الطريق إليه
﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ يَاتَمِرُونَ بِكَ لَيُقْتَلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠]

٢٠ - (وجاء رجل) هو مؤمن آل فرعون (من أقصا المدينة) آخرها (يسعى) يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم (قال يا موسى إن الملاء من قوم فرعون ياتامرون بك) يتشاورون فيك (ليقتلوك فآخرج) من المدينة (إنني لك من

﴿لَمَّا نَسُوا مَا وَعِدْنَاهُمْ عَلَىٰ اسْتِخْيَارِكَ قَالَ رَبُّنَا لِلَّذِينَ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ إِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٢١]

﴿لَمَّا نَسُوا مَا وَعِدْنَاهُمْ عَلَىٰ اسْتِخْيَارِكَ قَالَ رَبُّنَا لِلَّذِينَ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ إِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٢٥]

٢٥ - قال تعالى: (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِخْيَارِ) أي واضعة كم درعها علي وجهها حياء منه (قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ مَا سَقَيْتَ لَنَا) فأجابها منكرًا في نفسه أخذ الأجرة كأنها قصدت المكافأة إن كان مما يريد ما فمشت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق ففعلت إلى أن جاء أباه وهو شعيب عليه السلام وعنده عشاء فقال له اجلس فتعش قال أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما وأنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضا قال: لا ، عادتني وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فأكل وأخبره بحاله قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ) مصدر بمعنى المقصود من قتله القبطي وقصدهم قتله وخوفه من فرعون (قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُمِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) إذ لا سلطان لفرعون على مدين

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتُمِنَ الْقَوْمِ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]

٢٦ - (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا) وهي المرسله الكبرى أو الصغرى (يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ) اتخذه أجيروا پرعى غنمنا بدلنا (إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتُمِنَ الْقَوْمِ الْأَمِينُ) أي استأجره لقوته وأمانته فسألها عنهما فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر ومن قوله لها امشي خلفي وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها ضوب رأسه فلم يرفعه فرغب في إنكاحه

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نَعْبُدُ رَبَّنَا وَلِيَتَّخِذَنَا أُمَّةً مِّنْهُنَّ مَذْهَبًا وَهِيَ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّبَعَهَا مِنَ الْغَيْبِ مَا ظَهَرَ لَهَا﴾ [القصص: ٢٧]

٢٧ - (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نَعْبُدُ رَبَّنَا) وهي الكبرى أو الصغرى (عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي) تكون أجيروا لي في رعي غنمي (لَمَّا نَبِي جَجَج) أي

التأصحين) في الأمر بالخروج ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ قَالَ رَبِّي مِّنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿[القصص: ٢١]

٢١ - (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) لحوق طالب أو غوث الله إياه (قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قوم فرعون ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]

٢٢ - (وَلَمَّا تَوَجَّهَ) قصد بوجهه (تَلْقَاءَ مَدْيَنَ) جهتها وهي قرية شعيب على مسيرة ثمانية أيام من مصر سميت بمدين بن إبراهيم ولم يكن يعرف طريقها (قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) أي قصد الطريق أي الطريق الوسط إليها فأرسل الله ملكا يده عنزة فانطلق به إليها

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِّرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]

٢٣ - (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) بئر فيها أي وصل إليها (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً) جماعة (مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) مواشيههم (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ) أي سواهم (امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) تمنعان أغنامهما عن الماء (قَالَ) موسى لهما (مَا خَطْبُكُمَا) أي ما شأنكما لا تسقيان (قَالَتَا) لا نسقي حَتَّىٰ يُصَدِّرَ الرِّعَاءَ) جمع راع أي يرجعون من سقيهم خوف الزحام فنسقي وفي قراءة يصدر من الرباعي أي يصرفون مواشيههم من الماء (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) لا يقدر أن يسقي

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]

٢٤ - (فَسَقَىٰ لَهُمَا) من بئر أخرى بقربها رفع حجرا عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس (ثُمَّ تَوَلَّى) انصرف (إِلَى الظِّلِّ) لسمره من شدة الشمس وهو جائع (فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ طَعَامٌ فَقِيرٌ) محتاج فرجعنا إلى أبيهما في زمن أقل مما كنا ترجعنا فيه فسألهما عن ذلك فأخبرتهما بمن سقى لهما فقال لإحدهما: ادعبه لي.

مُدِيرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يَمْوَسَىٰ أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِن
الْأَمِينِ ﴿ [القصص: ٣١]

٣١ - (وَأَنْ أَلَىٰ عَصَاكَ) فآلقاها (فَلَمَّا رَأَاهَا
تَهَيَّأَتْ) تحرك (كَأَنَّهَا جَانٌّ) وهي الحية الصغيرة من
سرعة حركتها (وَلَىٰ مُدِيرًا) هاربا منها (وَلَمْ يَعْقِبْ)
أى يرجع فنودي (يَا مُوسَىٰ أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِن
الْأَمِينِ)

﴿أَسْأَلُكَ بِذَلِكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ
وَاضْمَمْتُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ
مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ﴾ [القصص: ٣٢]

٣٢ - (اسْأَلُكَ) أدخل (بِذَلِكَ) اليمنى بمعنى
الكف (فِي جَيْبِكَ) وهو طوق القميص وأخرجها
(تَخْرُجُ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (بَيْضَاءَ)
مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أى برص فأدخلها وأخرجها تضيء
كشعاع الشمس تغشي البصر (وَاضْمَمْتُ إِلَيْكَ
جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) بفتح الحرفين وسكون الثاني
مع فتح الأول وضمه أى الخوف الحاصل من
إضاءة اليد بأن تدخلها في جيبك فتعود إلى حالتها
الأولى وعبر عنها بالجنح لأنها للإنسان كالجنح
للطائر (فَذَانِكَ) بالتشديد والتخفيف أى العصا واليد
وهما مؤنثان وإنما ذكر المشار به إليهما المبتدأ
لتذكير خبره (بُورْهَانَانِ) مرسلان (مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾
٣٣ - (قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا) هو
القبطي السابق (فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) به

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ
رِدَاءَ يَصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾

٣٤ - (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) أين
(فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدَاءً) معنا وفي قراءة بفتح الدال بلا
همزة (يُصَدِّقُنِي) بالجزم جواب الدعاء وفي قراءة
بالرفع وجملة صفة رداء (لَأَنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ)

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَجَعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَننَا وَمَنْ أَتَّبَعْنَا أَفْعَالُونَ﴾
٣٥ - (قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ) نقويك (بِأَخِيكَ

سَنِينَ (فَإِنْ أَتَمَمْتُمْ عَشْرًا) رعي عشر سنين (فَمِنْ
عِنْدِكَ) التمام (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْسُقَ عَلَيْكَ) باشرط
العشر (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ) للتبرك (مِنْ
الصَّالِحِينَ) الوافين بالعهد

﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتَ
فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا نَعْمَلُ وَكَيْلٌ﴾

٢٨ - (قَالَ) موسى (ذَلِكَ) الذي قلته (بَيْنِي
وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ) الثمان أو العشر وما زائدة أى
رعيه (قَضَيْتَ) به أى : فرغت منه (فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ)
بطلب الريادة عليه (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا نَعْمَلُ) أنا وأنت
(وَكَيْلٌ) حفيظ أو شهيد فتم العقد بذلك وأمر شعيب
ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه
وكانت عصا الأنبياء عنده فوقع في يدها عصا آدم من
آس الجنة فأخذها موسى بعلم شعيب

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ
جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ
لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩]

٢٩ - (فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ) أى رعيه
وهو ثمان أو عشر سنين وهو المظنون به (وَسَارَ
بِأَهْلِهِ) زوجته ياذن أيها نحو مصر (آنَسَ) أبصر من
بعيد (مِنْ جَانِبِ الطُّورِ) اسم جبل (نَارًا) قَالَ لِأَهْلِهِ
امْكُثُوا هنا (لَأَنِّي آنَسْتُ نَارًا) لعلِّي آتاكم منها بخبري
عن الطريق وكان قد أخطأها (أَوْ جَذْوَةٍ) بتثليث
الجيم قطعة وشعلة (مِّنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ)
تستدفئون والطاء بدل من تاء الافتعال من صلى
بالنار بكسر اللام وفتحها

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ
الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]

٣٠ - (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ) جانب
(الْوَادِ الْأَيْمَنِ) لموسى (فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ) لموسى
بسماعه كلام الله فيها (مِنَ الشَّجَرَةِ) بدل من
شاطيء بإعادة الجار لنباتها فيه وهي شجرة عناب
أو عليق أو عوسج (أَنْ) مفسرة لا مخففة (يَا مُوسَىٰ
إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

﴿وَأَنْ أَلَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهَيَّأَتْ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ

وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا غَلِيَةً (فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا) بسوء اذها (بآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنْ أَتَيْتَكُمَا الْغَالِبُونَ) لهم

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى﴾
٣٦ - (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ) واضحات حال (قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى) مختلق (وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا) كائنا (في) أيام (آبَائِنَا الْأُولَى)

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَهُ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِيهِ. وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

٣٧ - (وَقَالَ) بواو وبدونها (مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ) أي عالم (بِمَنْ جَاءَهُ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِيهِ) الضمير للرب (وَمَنْ) عطف على من قبلها (تَكُونُ) بالفوقانية والتحتانية (لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة أي وهو أنا في الشقين فأنا محق فيما جئت به (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) الكافرون

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرٍ فَأَوْقِدْ لِي يَهْتَمِنَنَّ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾

٣٨ - (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرٍ) فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ) فاطيخ لي الأجر (فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا) قصرًا عاليًا (لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى) أنظر إليه وأقف عليه (وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) في ادعائه إليها آخر وأنه رسول

﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩]

٣٩ - (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (بِغَيْرِ الْحَقِّ) وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون) بالبناء للفاعل وللمفعول

﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠]

٤٠ - (فَأَخَذْنَا هُوَ وَجُودَهُ فَتَنَبَذْنَاهُمْ) طرحناهم (في اليَمِّ) البحر المالح فغرقوا (فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) حين صاروا إلى الهلاك

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْفُرُونَ إِلَى الْفُتُورِ وَيَوْمَ

الْفَيْصَمَةِ لَا يُبْصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١]

٤١ - (وَجَعَلْنَاهُمْ) في الدنيا (أَيْمَةً) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء رؤساء في الشرك (يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) بدعائهم إلى الشرك (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُبْصَرُونَ) بدفع العذاب عنهم

﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٢]

٤٢ - (وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً) خزياً (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) المبعدين

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣]

٤٣ - (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى) قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (بَصَائِرَ لِلنَّاسِ) حال من الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب أي أنواراً للقلوب (وَهُدًى) من الضلالة لمن عمل به (وَرَحْمَةً) لمن آمن به (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون بما فيه من المواعظ .

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرِّقِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤]

٤٤ - (وَمَا كُنْتَ) يا محمد (بِجَانِبِ) الجبل أو الوادي أو المكان (الْفَرِّقِ) من موسى حين المناجاة (إِذْ قَضَيْنَا) أوحينا (إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ) بالرسالة إلى فرعون وقومه (وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ) لذلك فتعلمه فتخبر به

﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: ٤٥]

٤٥ - (وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا) أمما من بعد موسى (فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) أي : طالت أعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحي فجئنا بك رسولا وأوحينا إليك خبر موسى وغيره (وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا) مقيما (في أهل مَدْيَنَ) تتلو عليهم آياتنا) خبر ثان فتعرف قصتهم فتخبر بها (وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) لك وإليك بأخبار المتقدمين

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

٥٠ - (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ) دعاءك بالإتيان بكتاب (فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتْلَعُونَ أَحْوَاءَهُمْ) في كفرهم (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ) أي لا أضل منه (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الكافرين

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

٥١ - (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا) بينا (لَهُمُ الْقَوْلَ) القرآن (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون فيؤمنوا.

﴿الَّذِينَ آمَنَّا بِهِمْ لَوْلَا أَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ لَكُنَّا مِن قِبَلِهِمْ يَأْتُونَ﴾

٥٢ - (الَّذِينَ آمَنَّا بِهِمْ) الذين آمنوا بهم (لَوْلَا أَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ) القرآن (لَكُنَّا مِن قِبَلِهِمْ) أي الكفار (يَأْتُونَ) أي أسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ومن النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام

﴿وَإِذَا يَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بِمِثْلِ هَذِهِ الْقُرْآنِ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قِبَلِهِمْ مُّسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٣]

٥٣ - (وَإِذَا يَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ) القرآن (بِأَيِّ آيَاتِنَا) أي أنه الحق من ربنا (إِنَّا كُنَّا مِن قِبَلِهِمْ مُّسْلِمِينَ) موحدون

﴿أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ

بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾

٥٤ - (أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ) بالكتابين (بِمَا صَبَرُوا) بصبرهم على العمل بهما (وَيَدْرَءُونَ) يدفعون (بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) منهم (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) يتصدقون

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا

وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبَغِي الْجَاهِلِينَ﴾

٥٥ - (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ) الشتم والأذى من الكفار (أَعْرَضُوا عَنْهُ) قالوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ (سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ) سلام متاركة أي: سلمتم منا من الشتم وغيره (لَا نَبَغِي الْجَاهِلِينَ) لا نصحبهم

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ

يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]

٥٦ - (وَنَزَلَ فِي حَرْصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على إيمان عمه أبي طالب (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٦]

٤٦ - (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ) الجبل (إِذْ) حين (نَادَيْنَا) موسى أن خذ الكتاب بقوة (وَلَكِنْ) أرسلناك (رَحِمَةً مِّن رَّبِّكَ) لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ (وَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ) لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون

﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧]

٤٧ - (وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ) عقوبة (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) من الكفر وغيره (فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا هَلَا (أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا) فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ) المرسل بها (وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) وجواب لولا محذوف وما بعدها مبتدأ والمعنى لولا الإصابة المسبب عنها قولهم أو لولا قولهم المسبب عنها أي لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولا

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِن عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾

٤٨ - (فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ) بمحمد (مِن عِنْدِنَا) قالوا لَوْلَا (أُوتِيَ) مثل ما أُوتِيَ مُوسَى (أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ) من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما أو الكتاب جملة واحدة؟ قال تعالى (أَو لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ) حيث (قَالُوا) فيه وفي محمد (سِحْرَانِ) و في قراءة (ساحران) أي القرآن والتوراة (تَظَاهَرَا) تعاونا (وقالوا إنا بكل من النبيين والكتابين (كافرون)

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّن عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا

أَتَّبِعُهُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [القصص: ٤٩]

٤٩ - (قُلْ) لهم (فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّن عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا) من الكتابين (أَتَّبِعُهُ) إن كنتم صَادِقِينَ) في قولكم

﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَحْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٧٤]

٧٤ - اذكر (يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) ذكر ثانيا ليبنى عليه

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

٧٥ - (وَنَزَعْنَا) أخرجنا (من كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا (فَقُلْنَا) لهم (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) على ما قلتم من الإشراك (فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ) في الإلهية (لِلَّهِ) لا يشاركه فيه أحد (وَضَلَّ) غاب (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) في الدنيا من أن معه شريكا - تعالى عن ذلك - .

﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمْ ذُرِّيَّةً مِنْ الْكَنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]

٧٦ - (إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ) ابن عمه وابن خالته وأمن به (فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمْ) بالكبر والعلو وكثرة المال (وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكَنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ) تنقل (بِالْعُصْبَةِ) الجماعة (أُولَىٰ) أصحاب (الْقُوَّةِ) أي تتفلقهم فالباء للتعدي وعتدهم قيل سبعون وقيل عددهم: أربعون وقيل: عشرة وقيل: غير ذلك. واذكر (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ) المؤمنون من بني إسرائيل (لَا تَفْرَحْ) بكثرة المال فرح بطر (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) بذلك

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]

٧٧ - (وَابْتَغِ) اطلب (فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ) من المال (الدَّارَ الْآخِرَةَ) بأن تنفقه في طاعة الله (ولا تَنْسَ) تترك (نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) أي أن تعمل فيها للأخرة (وأحسِن) للناس بالصدقة (كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) ولا تَبْغِ) تطلب (الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ) بعمل المعاصي (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) بمعنى أنه يعاقبهم

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً

٦٨ - (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) ما يشاء (مَا كَانَ لَهُمْ) للمشركين (الْخِيَرَةُ) الاختيار في شيء (سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) عن إشراكهم

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾

٦٩ - (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ) تسر قلوبهم من الكفر وغيره (وَمَا يُعْلِنُونَ) بالسنتهم من ذلك

﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[القصص: ٧٠]

٧٠ - (وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ) الدنيا (وَالْآخِرَةِ) الجنة (وَلَهُ الْحُكْمُ) القضاء (النافذ في كل شيء) (وَالِيهِ تُرْجَعُونَ) بالنشور ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلٍ أَوْ كَافٍ﴾ [القصص: ٧١]

٧١ - (قُلْ) لأهل مكة (أَرَأَيْتُمْ) أي أخبروني (إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا) دائما (إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ) بزعمكم (بِأْتِيكُم بِضِيَاءٍ) نهار تطلبون فيه المعيشة (أَوْ لَيْلٍ أَوْ كَافٍ) ذلك سماع تفهم فرجعون عن الإشراك

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ أَوْ كَافٍ﴾ [القصص: ٧٢]

٧٢ - (قُلْ) لهم (أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ) بزعمكم (بِأْتِيكُم بِلَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ أَوْ كَافٍ) تستريحون (فِيهِ) من التعب (أَوْ لَيْلٍ أَوْ كَافٍ) ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فرجعوا عنه؟

﴿وَمِنْ رَحْمَتِي جَعَلْتُ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

٧٣ - (وَمِنْ رَحْمَتِي) تعالى (جَعَلْتُ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ) في الليل (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) في النهار للكسب (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) النعمة فيهما

بمعنى اللام (لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا) بالبناء للفاعل والمفعول (وَيُكَاثِبُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) لنعمة الله ك «قارون» .

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]

٨٣ - (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ) أى الجنة (نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ) بالبغي (وَلَا فَسَادًا) بعمل المعاصي (وَالْعَاقِبَةُ) المحمودة (لِلْمُتَّقِينَ) عقاب الله بعمل الطاعات

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

٨٤ - (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) ثواب بسببها وهو عشر أمثالها (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا) جزاء (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى مثله

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

٨٥ - (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) أنزله (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) إلى مكة وكان قد اشتاقها (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) نزل جوابا لقول كفار مكة له : إنك في ضلال أي فهو الجائي بالهدى وهم في ضلال (وَأَعْلَمُ) بمعنى عالم.

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُفْلِحَ إِلَيْكَ الْكُتُبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾

٨٦ - (وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُفْلِحَ إِلَيْكَ الْكُتُبُ) (إِلَّا) لكن ألقى إليك (رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا) معنا (لِلْكَافِرِينَ) على دينهم الذي دعوك إليه

﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

٨٧ - (وَلَا يَصُدُّكَ) أصله يصدونك حذف نون الرفع للجازم والواو للفاعل لانتقائها مع النون الساكنة (عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ) أي لا ترجع إليهم في ذلك (وَادْعُ) الناس (إِلَىٰ رَبِّكَ) بتوحيده وعبادته (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ﴾

٧٨ - (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ) أي المال (عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي) أي في مقابلته وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهرون قال تعالى (أَوْ لَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ) الأمم (مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا) للمال أي هو عالم بذلك ويهلكهم الله (وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ) لعلمه تعالى بها فيدخلون النار بلا حساب

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِيتٌ لَّنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَدْ رُونَ إِنَّهُمْ لَدُوٌّ حَظِيٌّ عَظِيمٌ﴾ [القصص: ٧٩]

٧٩ - (فَخَرَجَ) قارون (عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) بأتباعه الكثيرين ركبانا متحلين بملابس الذهب والحريير على خيول وبغال متحلية (قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا) للتنبيه (لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ) في الدنيا (إِنَّهُ لَدُوٌّ حَظِيٌّ عَظِيمٌ) واف فيها

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّنَآ ءَامَرَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلِحُهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾

٨٠ - (وَقَالَ) لهم (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) بما وعد الله في الآخرة (وَيَلَكُمْ) كلمة زجر (ثَوَابُ اللَّهِ) في الآخرة بالجنة (خَيْرٌ لَّنَآ ءَامَرَ وَعَمِلَ صَالِحًا) مما أوتي قارون في الدنيا (وَلَا يُفْلِحُهَا) الجنة المثاب بها (إِلَّا الصَّابِرُونَ) على الطاعة وعن المعصية

﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾

٨١ - (فَحَسَفْنَا بِهِ) بقارون (وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره بأن يمنعوا عنه الهلاك (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ) منه

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابِتُ اللَّهُ بِيَسْطُ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾

٨٢ - (وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ) أي من قريب (يَقُولُونَ وَيَكَابِتُ اللَّهُ بِيَسْطُ) يوسع (الرِّزْقِ) لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ) يضيق على من يشاء (وَوِي) اسم فعل بمعنى أعجب أي أنا والكاف

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣]

٣ - (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا) فِي إِيمَانِهِمْ عِلْمَ مَشَاهِدَةٍ (وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) فِيهِ

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤]

٤ - (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) الشَّرْكَ وَالْمَعَاصِيَ (أَنْ يَسْبِقُونَا) يَفُوتُونَا فَلَا نَنْتَقِمُ مِنْهُمْ؟ (سَاءَ) بِس (مَا) الَّذِي (يَحْكُمُونَ) هُ حُكْمُهُمْ هَذَا

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥]

٥ - (مَنْ كَانَ يَرْجُوا) يَخَافُ (لِقَاءَ اللَّهِ) فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ) بِهِ (لَآتٍ) فَلَيْسَتْ لَهُ (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) لِأَقْوَالِ الْعِبَادِ (الْعَلِيمُ) بِأَفْعَالِهِمْ

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]

٦ - (وَمَنْ جَاهَدَ) جِهَادَ حَرْبٍ أَوْ نَفْسٍ (فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ) فَإِنَّ مَنَفْعَةَ جِهَادِهِ لَهُ لَا لِلَّهِ (إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَعَنِ عِبَادَتِهِمْ

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

٧ - (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ) بِمَعْنَى حَسَنٍ وَنَصَبَهُ بِنَزْعِ الْخَافِضِ الْبَاءِ (الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) وَهُوَ الصَّالِحَاتِ

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنْتَبَهُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨]

٨ - (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) أَيِ إِبْصَاءِ ذَا حَسَنٍ بِأَنْ يَرِيَهُمَا (وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ) بِإِشْرَاكِهِ (عِلْمٌ) مُوَافَقَةٌ لِلْوَاقِعِ فَلَا مَفْهُومَ لَهُ (فَلَا تُطِعْهُمَا) فِي الْإِشْرَاكِ (إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ) فَأُنْتَبَهُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

بِإِعَانَتِهِمْ وَلَمْ يُوَثِّرِ الْجَازِمَ فِي الْفِعْلِ لِبِنَائِهِ
﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْخُكْرُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

٨٨ - (وَلَا تَدْعُ) تَعْبُدُ (مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ (إِلَّا إِيَّاهُ) اللَّهُ (الْحُكْمُ) الْقَضَاءُ النَّافِذُ (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بِالنَّشُورِ مِنْ قُبُورِكُمْ.

٢٩ - سورة العنكبوت

مكية الآية ١ لغاية ١١ فمكية و آياتها ٦٩
تسح و ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْعَنَكِبُوتِ﴾ [١: العنكبوت]

١ - (الم) الله أعلم بمراده بذلك

﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾

٢ - (أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا) أَيِ بِقَوْلِهِمْ (ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) يَحْتَبِرُونَ بِمَا يَتَّبِعُونَ بِهِ حَقِيقَةَ إِيمَانِهِمْ؟ نَزَلَ فِي جَمَاعَةٍ آمَنُوا فَأَذَاهُمُ الْمُشْرِكُونَ.

٢٩ - سورة العنكبوت

(١) أسباب نزول الآيتين ١ - ٢: أخرج ابن أبي جاتم عن الشعبي في قوله: «الم أحسب الناس أن يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ». قال: أنزلت في أناس كانوا بمكة قد أوثقوا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة أنه لا يقبل منكم إقرار ولا إسلام حتى تهجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة، فتبعهم المشركون فردوهم، فنزلت هذه الآية، فكتبوا إليهم: أنه قد نزل فيكم كذا وكذا، فقالوا: نخرج، فإن اتبعنا أحد قاتلناه، فخرجوا، فاتبعهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم من قُتل، ومنهم من نجا، فأنزل الله فيهم: «ثم إن ربك للذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَّا...» الآية.

* وأخرج عن قتادة قال: أنزلت «الم أحسب الناس» في أناس من أهل مكة خرجوا يريدون النبي ﷺ، فعرض لهم المشركون فرجعوا، فكتب إليهم إخوانهم بما نزل فيهم من القرآن، فخرجوا، فقتل من قتل، وخلص من خُص، فنزل القرآن: «والذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...» الآية.

فأجازيكم به (١).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي

الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٩]

٩ - (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ

فِي الصَّالِحِينَ) الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ بَأَن نَحْشُرَهُمْ مَعَهُمْ

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ

جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَدَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن

رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا

فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠]

١٠ - (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا

أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) أَي أَذَاهُمْ لَهُ

(كَعَدَابِ اللَّهِ) فِي الْخَوْفِ مِنْهُ فَيَطِيعُهُمْ فَيَنَافِقُ

(وَلَئِن لَّمْ يَقسَمْ (جَاءَ نَصْرٌ) لِلْمُؤْمِنِينَ (مَنْ رَبُّكَ)

فَنَعْمُوا (لَيَقُولُنَّ) حَذَفَتْ مِنْهُ نُونُ الرَّفْعِ لِتَوَالِي

النُّونَاتِ وَالْوَاوِ ضَمِيرُ الْجَمْعِ لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ (إِنَّا

كُنَّا مَعَكُمْ) فِي الْإِيمَانِ فَأَشْرَكُونَا فِي الْغَنِيْمَةِ قَالَ

تَعَالَى (أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ) أَي بِعَالِمِ (بِمَا فِي صُدُورِ

الْعَالَمِينَ) قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالنَّفَاقِ؟ بَلَى.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾

١١ - (وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) بِقُلُوبِهِمْ

(وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) فَيَجَازِي الْفَرِيقَيْنِ وَاللَّامُ فِي

الْفَعْلَيْنِ لَامُ قَسَمٍ

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا

وَلْنَحْمِلَ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَكِيمِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ

شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢]

١٢ - (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا

سَبِيلَنَا) دِينَنَا (وَلْنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ) فِي اتِّبَاعِنَا إِنْ كَانَتْ

وَالْأَمْرُ بِمَعْنَى الْخَيْرِ قَالَ تَعَالَى (وَمَا هُمْ بِحَكِيمِينَ مِنْ

خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فِي ذَلِكَ.

(١) أسباب نزول الآية ٨: أخرجه مسلم والترمذي وغيرهما

عن سعد بن أبي وقاص قال: قالت أم سعد: أليس قد أمر الله

بالبر، والله لا أظعم طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى أموت أو

تكفر، فنزلت: «وَوَضَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِيَدَيْهِ حُشْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ

إِشْرَكَ بِي» الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ١٠: تقدم سبب نزولها في سورة

النساء.

﴿وَيَحْمِلُونَ أَثْقَالَهُمْ وَاتَّقَالُوا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣]

١٣ - (وَيَحْمِلُونَ أَثْقَالَهُمْ) أوزارهم (وَاتَّقَالُوا مَعَ

أَثْقَالِهِمْ) بقولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا وإضلالهم

مقلديهم (وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ)

يكذبون على الله سؤال توبيخ واللام في الفعلين لام

قسم وحذف فاعلها الواو ونون الرفع

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ

إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾

١٤ - (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) وعمره

أربعون سنة أو أكثر (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا

خَمْسِينَ عَامًا) يدعوهم إلى توحيد الله فكذبوه

(فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ) الماء الكثير طاف بهم وعلاهم

فغرقوا (وَهُمْ ظَالِمُونَ) مشركون

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً

لِّلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٥]

١٥ - (فَأَنْجَيْنَاهُ) نوحاً (وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ)

الذين كانوا معه فيها (وَجَعَلْنَاهَا آيَةً) عبرة (لِّلْعَالَمِينَ)

لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم وعاش نوح

بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر حتى كثر الناس

﴿وَإِذْ هَبْنَا دَاوُدَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ

خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦]

١٦ - واذكر (إِذْ هَبْنَا دَاوُدَ) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ

وَاتَّقُوهُ) خافوا عقابه (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ) مما أنتم عليه

من عبادة الأصنام (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) الخير من غيره

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا

إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ

رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ

إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]

١٧ - (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) أي غيره

(أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) تقولون كذباً إن الأوثان

شركاء الله (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا

يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا) لا يقدرن أن يرزقوك (فَابْتَغُوا

عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ) اطلبوه منه (وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ

إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم
﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُتْلَوْهُ أَوْ
حَرْفُوهُ فَأَنجَحَهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٤]

٢٤ - قال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام
﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُتْلَوْهُ أَوْ حَرْفُوهُ
فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ التي قذفوه فيها بأن جعلها
عليه (بردا وسلاما) (إن في ذلك) أى فى إنجائه
منها (لآيات) هي عدم تأثيرها فيه مع عظمها
وإخمادها وإنشاء روض مكانها فى زمن يسير (لقوم
يؤمنون) يصدقون بتوحيد الله وقدرته لأنهم
المتفهمون بها

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَعُكُمْ النَّارُ وَمَا
لَكُمْ مِنْ تَصْرِيحٍ﴾ [العنكبوت: ٢٥]

٢٥ - (وقال) إبراهيم (إنما اتخذتم من دُونِ
اللَّهِ أَوْثَانًا) تعبدونها و«ما» مصدرية (مودة بينكم)
خبر إن وعلى قراءة النصب مفعول له وما كافة
المعنى تواددتهم على عبادتها (في الحياة الدنيا ثم
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ) يتبرأ القادة من
الأتباع (ويلعن بعضكم بعضا) يلعن الأتباع القادة
(وما أوعكم) مصيركم جميعا (النار وما لكم من
تصريح) منها

﴿فَمَنْ لَمْ يُطِئْهُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَيْكَ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦]

٢٦ - (فأمن له) صدق بإبراهيم (لوط) وهو
ابن أخيه هاران (وقال) إبراهيم (إني مهاجر من
قومي (إلى ربِّي) أى إلى حيث أمرني ربي وهجر
قومه وهاجر من سواد العراق إلى الشام (إنه هو
العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ
النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَوَعَّيْنَاهُ عِجْرًا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي
الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]

٢٧ - (ووهبنا له) بعد إسماعيل (إسحاق
ويعقوب) بعد إسحق (وجعلنا في ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ) فكل

﴿وَأَنْ تُكذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى
الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨]

١٨ - (وإن تكذبوا) أي تكذبوني يا أهل مكة
(فقد كذب أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) من قبلي (وما على
الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) إلا البلاغ البين. وفي
هاتين القصتين تسلية للنبي ﷺ وقال تعالى في
قومه:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩]

١٩ - (أولم يروا) بالياء والتاء ينظروا (كيف
يُبدئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ) هو بضم أوله وقرىء بفتح
من بدأ وأبدأ بمعنى أي يخلقهم ابتداء (ثم) هو
(يُعِيدُهُ) أى الخلق كما بدأهم (إن ذلك) المذكور
من الخلق الأول والثاني (على الله يسير) فكيف
ينكرون الثاني؟

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ
ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠]

٢٠ - (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ
الخلق) لمن كان قبلكم وأماهم (ثم الله ينشئ
النشأة الآخرة) مدا وقصرا مع سكون الشين (إن
الله على كل شيء قدير) ومنه البدء والإعادة
﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾

٢١ - (يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تعذيبه (ويرحم من
يَشَاءُ) رحمته (وإليه تَقْلَبُونَ) تردون

﴿وَمَا أَنْشَأَ بِمُعْجِزَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا
لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

٢٢ - (وما أنشأ بمُعْجِزَةٍ) ربكم عن إدراككم
(في الأرض ولا في السماء) لو كنتم فيها أي
لاتفتوتونه (وما لكم من دُونِ اللَّهِ) أى غيره (من
ولي) يمنعكم منه (ولا نصير) ينصركم من عذابه

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابَتِ اللَّهُ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ
يَسُؤُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

٢٣ - (والذين كفروا يتابتن الله ولقائه) أى
القرآن والبعث (أولئك يسؤوا من رحمتي) أى جنتي

الرسول (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ) بالتخفيف والتشديد (وأهلُهُ إِلاَ امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) الباقيين في العذاب

﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَافَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تُحْمَزْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلاَ امْرَأَتِكَ كَانَتْ مِنْ الْغَابِرِينَ﴾

٣٣ - (ولمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ) حزن بسببهم (وضَافَ بِهِمْ ذُرْعًا) صدرا لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه فأعلموه أنهم رسل ربه (وقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تُحْمَزْ إِنَّا مُنْجُونَكَ) بالتشديد والتخفيف (وأَهْلَكَ إِلاَ امْرَأَتِكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) ونصب أهلك عطفاً على محل الكاف

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٤]

٣٤ - (إِنَّا مُنْزِلُونَ) بالتخفيف والتشديد (عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا) عذابا (مِنَ السَّمَاءِ بِمَا) بالفعل الذي (كَانُوا يَفْسُقُونَ) به أي بسبب فسقهم ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

٣٥ - (وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً) ظاهرة هي آثار خرابها (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون

﴿وَالِلَّيْلِ مَدِينٌ أَحَاهُمْ شَعِيْبًا فَقَالَ يَنْقَوِرِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجِعُوا الْيَوْمَ الْأَخِيرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

٣٦ - (وَأرسلنا (إلى مَدِينٍ أَحَاهُمْ شَعِيْبًا) فقال يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجِعُوا الْيَوْمَ الْأَخِيرَ) اخشوه، هو يوم القيامة (ولا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) حال مؤكدة لعاملها من عشي بكسر المثناة أفسد

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينًا﴾ [العنكبوت: ٣٧]

٣٧ - (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينًا) باركين على الركب ميتين

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَلِكِهِمْ وَزُجْرَتِ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨]

الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته (وَالْكِتَابِ) بمعنى الكتب أي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان (وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان (وَأَنَّهُ فِي الْأَجْرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ) الذين لهم الدرجات العلى

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتَوْنَ الْفَاحِشَةُ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾

٢٨ - (و) اذكر (لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضوعين (لَأَنْتَوْنَ الْفَاحِشَةُ) أي أذبار الرجال (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) الإنس والجن

﴿إِنِّي كُنْتُ لَأَنْتَوْنَ الرِّجَالَ وَتَقَطُّونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَ أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]

٢٩ - (إِنِّي كُنْتُ لَأَنْتَوْنَ الرِّجَالَ وَتَقَطُّونَ السَّبِيلَ) طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم فترك الناس الممر بكم (وتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ) أي: متحدثكم (الْمُنْكَرَ) فعل الفاحشة بعضكم ببعض (فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَ أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) في استقباح ذلك وأن العذاب نازل بفاعليه

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾

٣٠ - (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي) بتحقيق قولني في إنزال العذاب (عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ) العاصين بإتيان الرجال فاستجاب الله دعاءه

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾

٣١ - (ولمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى) بإسحاق ويعقوب بعده (قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ) أي قرية لوط (إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) كافرين

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَ امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾

٣٢ - (قَالَ) إبراهيم (إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا)

يعبدون بالياء والياء (من دُونِهِ) غيره (من شَيْءٍ) وهو العزيز في ملكه (الحَكِيم) في صنعه
﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]

٤٣ - (وتلك الأمثال) في القرآن (نضربها) نجعلها (للناس وما يعقلها) أي يفهمها (إلا العالمون) المتديرون

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٤٤]

٤٤ - (خلق الله السموات والأرض بالحق) أي محققاً (إن في ذلك لآية) دلالة على قدرته تعالى (للمؤمنين) خصوصاً بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين

﴿أَنْتَلِمَا أَوْجِي إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾

٤٥ - (أنتل ما أوجي إليك من الكتاب) القرآن (واقم الصلاة) إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (شرعاً) أي من شأنها ذلك ما دام المرء فيها (ولذكر الله أكبر) من غيره من الطاعات (والله يعلم ما تصنعون) فيجازيكم به

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

٤٦ - (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) أي المجادلة التي (هي أحسن) كالدعاء إلى الله بآياته والتنبية على حججه (إلا الذين ظلموا منهم) بأن حاربوا وأبوا أن يقرروا بالجزية فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية (وقولوا) لمن قبل الإقرار بالجزية إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم (أمتنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك (واللهنا واللهكم واحد) ونحن له مسلمون) مطيعون

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَايَنْتَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٧]

٣٨ - (و) أهلنا (غاداً وثمود) بصرف ثمود وتركه بمعنى الحي والقبيلة (وقد تبين لكم) إهلاكهم (من مساكينهم) بالحجر واليمن (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والمعاصي (فصدّهم عن السبيل) سبيل الحق (وكانوا مشتبحين) ذوي بصائر

﴿وَقَدْ رُوعِقُوا لِقَاءَهُمْ وَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيْنَ﴾ [العنكبوت: ٣٩]

٣٩ - (و) أهلنا (قارون وفرعون وهامان) ولقد جاءهم) من قبل (موسى بالبينات) الحجج الظاهرات (فاستكبروا في الأرض) وما كانوا ساقين) فاتبين عذابنا

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

٤٠ - (فكللاً) من المذكورين (أخذنا بذنبيه) فمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا) ربحاً عاصفة فيها حصباء كقوم لوط (ومِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) كشمود (ومِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ) كقارون (ومِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) فيعذبهم بغير ذنب (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بارتكاب الذنب

﴿مِثْلَ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمِثْلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ يَتِيماً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

٤١ - (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أي أصناماً يرجون نفعها (كمثل العنكبوت) اتخذت يتيماً لنفسها تأوي إليه (وإن أوهن البيوت) بيت العنكبوت) لا يدفع عنها حراً ولا برداً كذلك الأصنام لا تنفع عابديها (لو كانوا يعلمون) ذلك ما عبدوها

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٤٢]

٤٢ - (إن الله يعلم ما يدعون من دونه) الذي (يدعون)

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۗ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوْا بِاللّٰهِ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ﴾

٥٢ - ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾
بصدقني (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ) ومنه حالي وحالكم (وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا بِالْبَاطِلِ) وهو ما يعبد من دون الله (وَكَفَرُوْا بِاللّٰهِ) منكم (أُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ) في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان

﴿وَسَتَجِدُوْنَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا اَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ﴾ [العنكبوت: ٥٣]

٥٣ - ﴿وَيَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا اَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ له (لَجَاءَهُ الْعَذَابُ) عاجلا (وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ) بوقت إتيانه

﴿يَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيْطَةٌ بِالْكَافِرِيْنَ﴾

٥٤ - ﴿يَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالْعَذَابِ﴾ في الدنيا (وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيْطَةٌ بِالْكَافِرِيْنَ)

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ اَرْجُلِهِمْ وَيَقُوْلُ دُوْقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ﴾ [العنكبوت: ٥٥]

٥٥ - ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ اَرْجُلِهِمْ وَيَقُوْلُ﴾ فيه بالنون أي: نأمر بالقول وبالبياء يقول الموكل بالعذاب (دُوْقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ) أي جزاءه فلا تفوتونا

﴿يَعْبَادِي الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اِنَّ اَرْضِيْ وَاسِعَةٌ فَاِنْتِيْ فَاعْبُدُوْنَ﴾ [العنكبوت: ٥٦]

٥٦ - ﴿يَا عِبَادِي الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اِنَّ اَرْضِيْ وَاسِعَةٌ فَاِنْتِيْ فَاعْبُدُوْنَ﴾ في أي أرض تيسرت فيها العبادة بأن تهاجروا إليها من أرض لم تيسر فيها. نزل في ضعفاء مسلمي مكة كانوا في ضيق من إظهار الإسلام بها

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذٰٓئِقَةٌ لِّلْمَوْتِ ۗ ثُمَّ اِلَيْنَا تُرْجَعُوْنَ﴾

٤٧ - ﴿وَكَذٰلِكَ اَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الْكِتٰبَ الْقُرْآنَ﴾ كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها (فَالَّذِيْنَ اٰتَيْنَاهُمُ الْكِتٰبَ) التوراة كعبد الله بن سلام وغيره (يُؤْمِنُوْنَ بِهِ) بالقرآن (وَمِنْ هٰؤُلَاءِ) أي أهل مكة (مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ) وما يَجْحَدُ بِآيٰتِنَا بعد ظهورها (إِلَّا الْكَافِرُوْنَ) اليهود وظهر لهم أن القرآن حق والجائي به محق ووجدوا ذلك

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوْا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتٰبٍ وَلَا تَحْطٰهُ بِيَمِيْنِكَ اِذَا لَازَتْكَ الْمُبْتَلُوْنَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]

٤٨ - ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوْا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي القرآن (مِنْ كِتٰبٍ وَلَا تَحْطٰهُ بِيَمِيْنِكَ) إذا) أي لو كنت قارئاً كاتباً (لَازَتْكَ) شك (الْمُبْتَلُوْنَ) اليهود فيك وقالوا الذي في التوراة أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ﴿بَلْ هُوَ ءَايٰتٌ يِّننٰتٌ فِيْ صُدُوْرِ الَّذِيْنَ اُوْتُوْا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيٰتِنَا اِلَّا الظٰلِمُوْنَ﴾

٤٩ - ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي القرآن الذي جئت به (آيٰتٌ يِّننٰتٌ فِيْ صُدُوْرِ الَّذِيْنَ اُوْتُوْا الْعِلْمَ) أي المؤمنون يحفظونه (وَمَا يَجْحَدُ بِآيٰتِنَا اِلَّا الظٰلِمُوْنَ) أي اليهود ووجدوها بعد ظهورها لهم ﴿وَقَالُوْا لَوْلَا اَنْزَلَ عَلَيْنَا ءَايٰتٌ مِّنْ رَبِّنَا قُلْ اِنَّمَا الْاٰيٰتُ عِنْدَ اللّٰهِ وَاِنَّمَا اَنَا نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌ﴾

٥٠ - ﴿وَقَالُوْا﴾ أي كفار مكة (لَوْلَا) هلا (أُنزِلَ عَلَيْنَا) أي محمد (آيٰتٌ مِّنْ رَبِّي) وفي قراءة آيات كناقاة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى (قُلْ) لهم (إِنَّمَا الْآيٰتُ عِنْدَ اللّٰهِ) ينزلها كيف يشاء (وَأِنَّمَا اَنَا نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌ) مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية

﴿اَوَلَمْ يَكْفِيْهِمْ اَنَّا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتٰبَ يَتْلُوْنَ عَلَيْهِمْ اٰيٰتِهٖ فِيْ ذٰلِكَ لَرَحْمَةٌ وَّذِكْرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ﴾

٥١ - ﴿اَوْ لَمْ يَكْفِيْهِمْ﴾ فيما طلبوا (أَنَّا) أنزلنا عَلَيْكَ الْكِتٰبَ) القرآن (يَتْلُوْنَ عَلَيْهِمْ) فهو آية مستمرة لا انقضاء لها بخلاف ما ذكر من الآيات (إِنَّ فِي ذٰلِكَ) الكتاب (لَرَحْمَةً وَّذِكْرًا) عظة (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ) ^(١)

ما سعه من اليهود، فقال النبي ﷺ: كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عمًا جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى قوم غيرهم، فنزلت: «أَوْ لَمْ يَكْفِيْهِمْ اَنَّا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتٰبَ يَتْلُوْنَ عَلَيْهِمْ».

(١) أسباب نزول الآية ٥١: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والدارمي في مسنده من طريق عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال: جاء أناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض

إقرارهم بذلك

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٦٢]

٦٢ - (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيّق (لَهُ) بعد البسط أي لمن يشاء ابتلاء (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنه محل البسط والضيّق

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣]

٦٣ - (وَلَمَّا) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ) من نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فكيف يشركون به؟ (قُلِ) لهم (الْحَمْدُ لِلَّهِ) على ثبوت الحجة عليكم (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) تناقضهم في ذلك

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُمْ وَلِئِبَّ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِمُ الْحَيَاةِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

٦٤ - (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُمْ وَلِئِبَّ) وأما القرب فمن أمور الآخرة لظهور ثمرتها فيها (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِمُ الْحَيَاةِ) بمعنى الحياة (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ذلك ما آثروا الدنيا عليها

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاُ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَئَا يَجْتَنِبُهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]

٦٥ - (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ) دَعَاُ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَئَا غيره لأنهم في شدة لا يكشفها إلا هو (فَلَئَا نَجَاهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) به

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْتَهُمْ وَلِيَسْتَعْمُوا فَسُوفَ يَعْلَمُونَ﴾

٦٦ - (لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْتَهُمْ) من النعمة (وَلِيَسْتَعْمُوا) باجتماعهم على عبادة الأصنام وفي قراءة بسكون اللام أمر تهديد (فَسُوفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة ذلك

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَنَحْنُطُفُ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾

٦٧ - (أَوَلَمْ يَرَوْا) يعلموا (أَنَّا جَعَلْنَا) بلدتهم

٥٧ - (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ) بالثناء والياء بعد البعث (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) [العنكبوت: ٥٨]

٥٨ - (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم) ننزلهم وفي قراءة بالمثلثة بعد النون من الشواء الإقامة وتعديته إلى غرfa بحذف في (مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ) مقدرين الخلود (فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) هذا الأجر (الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [العنكبوت: ٥٩]

٥٩ - هم (الَّذِينَ صَبَرُوا) على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فيرزقهم من حيث لا يحتسبون

﴿وَكَايُنَ مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠]

٦٠ - (وَكَايُنَ) كم (مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا) لضعفها (اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ) أيها المهاجرون وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) لأقوالكم (بِضْمَائِكُمْ) (١)

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

٦١ - (وَلَمَّا) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ) أي الكفار (مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن توحيده بعد

(١) أسباب نزول الآية ٦٠: أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم والبيهقي وابن عساکر بسند ضعيف عن ابن عمر قال: خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال لي: يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟ قلت: لا أشتهيه، قال: لكني أشتهيه وهذا صبح رابعة منذ لم أذق طعاماً ولم أجد، ولو شئت لدعوت ربي فأعطيني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا لقيت قوماً يحبون رزق سنهم ويضعف اليقين؟ قال: فوالله ما برحنا ولا رمتنا حتى نزلت: ﴿وَكَايُنَ مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

فقال رسول الله ﷺ: إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات، ألا وائي لا أكثر ديناراً ولا درهماً ولا أحبها رزقاً لعد.

﴿ فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾

٣ - (في أذى الأرض) أى أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة التقى فيها الجيشان والبادي بالغزو الفرس (وهم) الروم (من بعد غلبتهم) أضيف المصدر إلى المفعول أى غلبة فارس إياهم (سَيَغْلِبُونَ) فارس

﴿ فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴾ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ [الروم : ٤]

٤ - (في بضع سنين) هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول وغلبت الروم فارس (لله الأمر) من قبله ومن بعده (من قبل) أى من قبل غلب الروم والمعنى أن غلبة فارس أولاً وغلبة الروم ثانياً بأمر الله أي إرادته (ويومئذ) يوم تغلب الروم (يفرح المؤمنون)

﴿ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

٥ - (ينصر الله) إياهم على فارس وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل بذلك فيه مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه (ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) الغالب (الرحيم) بالمؤمنين

﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٦]

٦ - (وعده الله) مصدر بدل من اللفظ بفعله

* وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود نحوه.
* وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب قال: بلغنا أن المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكة قبل أن يخرج رسول الله ﷺ، فيقولون: الزوم يشهدون أنهم أهل كتاب، وقد غلبتهم الجوس، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل على نبيكم، فكيف غلب الجوس الروم وهم أهل كتاب؟ فسئلكم كما غلب فارس الروم، فأنزل الله: «ألم غلبت الروم».

* وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة ويحيى بن يعمر وقادة.

* فالرواية الأولى على قراءة: غلبت - بالفتح - لأنها نزلت يوم غلبهم يوم بدر.
* والثانية: على قراءة الضم، فيكون معناه: وهم من بعد غلبهم فارس سيغلبهم المسلمون، حتى يصح معنى الكلام، وإلا لم يكن له كبير معنى.

مكة (حرماً أميناً ويخطف الناس من حولهم) قتلاً وسيباً دونهم (أفبالباطل) الصنم (يؤمنون) وينعمة الله (يكفرون) يشاركهم؟ (١)

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾

٦٨ - (ومن) أى لا أحد (أظلم) ممن افترى على الله (كذباً) بأن أشرك به (أو كذب بالحق) النبي أو الكتاب (لما جاءه أليس في جهنم مثوى) مأوى (للكافرين)؟ أى فيها ذلك وهو منهم

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩]

٦٩ - (والذين جاهدوا فينا) في حقنا (لنهديهم سبلنا) أى طريق السير إلينا (وإن الله لمع المحسنين) المؤمنين بالنصر والعون

٣٠ - سورة الروم مكية

إلى آية ١٧ مجتبية و آياتها ٦٠ ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ التَّوْحِيدِ ﴾ [الروم : ١]

١ - (الم) الله أعلم بمراده في ذلك

﴿ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴾ [الروم : ٢]

٢ - (غلبت الروم) وهم أهل الكتاب غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان ففرح كفار مكة بذلك وقالوا للمسلمين نحن تغلبكم كما غلبت فارس الروم (٢)

(١) أسباب نزول الآية ٦٧: أخرج جويرير عن الضحاک عن ابن عباس أنهم قالوا: يا محمد، ما يمنعنا أن ندخل في دينك إلا مخافة أن يتخطفنا الناس لقتلتنا والأعراب أكثر مئاً، فمضى بلغهم أننا قد دخلنا في دينك احتطفتنا فكثرت أكلة رأس، فأنزل الله: «أولم يروا أننا جعلنا حرماتنا».

٣٠ - سورة الروم

(٢) أسباب نزول الآيتين ١ - ٢: أخرج الترمذي عن أبي سعيد قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت: «ألم غلبت الروم». إلى قوله: «ينصبر الله» يعني: بفتح العين.

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
 ١١ - (الله يبدأ الخلق) أي ينشئ خلق الناس
 (ثم يعيده) أي: خلقهم بعد موتهم (ثم إليه
 ترجعون) بالثناء والياء

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم: ١٢]
 ١٢ - (ويوم تقوم الساعة يبليس المجرمون)
 يسكت المشركون لانقطاع حاجتهم

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا
 بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الروم: ١٣]
 ١٣ - (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاؤا وكانوا
 ليشفعوا لهم (شفعاؤا وكانوا) أي يكونون
 (بشركائهم كافرين) أي متبرئين منهم

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ﴾ [الروم: ١٤]
 ١٤ - (ويوم تقوم الساعة ينفرون) تأكيد
 (ينفرون) المؤمنون والكافرون

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي
 رَوْحَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥]
 ١٥ - (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم
 في روضة) جنة (يُحْبَرُونَ) يسرون

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ
 الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٦]
 ١٦ - (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا القرآن
 (ولقاء الآخرة) البعث وغيره (فأولئك في العذاب
 مُحْضَرُونَ)

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾
 ١٧ - (فَسُبْحَانَ اللَّهِ) أي سبحوا الله بمعنى
 صلوا (حين تُمسُونَ) تدخلون في المساء وفيه
 صلاتان المغرب والعشاء (وحين تُصْبِحُونَ)
 تدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾
 ١٨ - (ولهُ الحمد في السموات والأرض)
 اعتراض ومعناه يحمده أهلها (وعشيًا) عطف على
 حين وفيه صلاة العصر (وحين تُظْهِرُونَ) تدخلون

والأصل وعدهم الله النصر (لا يخلف الله وعده)
 به (ولكن أكثر الناس) أي كفار مكة (لا يعلمون)
 وعده تعالى بنصرهم

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ
 غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧]

٧ - (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) معاشها
 من التجارة والزراعة والبناء والغرس أي وغير ذلك
 (وهم عن الآخرة هم غافلون) إعادة هم تأكيد

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ
 النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ﴾ [الروم: ٨]

٨ - (أو لم يتفكروا في أنفسهم) ليرجعوا عن
 غفلتهم (ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما
 إلا بالحق وأجل مسمى) لذلك تفنى عند انتهائه
 وبعده البعث (وإن كثيرا من الناس) أي كفار مكة
 (يلقيا ربهم لكافرون) أي لا يؤمنون بالبعث بعد
 الموت

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
 مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْآرْضَ
 وَعَمَّرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَّرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا
 أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩]

٩ - (أو لم يسروا في الأرض فينظروا كيف
 كان عاقبة الذين من قبلهم) من الأمم وهي
 إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم (كانوا أشد منهم قوة)
 كعاد وتمود (وأناروا الأرض) حرثوها وقلبوها للزرع
 والغرس (وعمروها أكثر مما عمروها) أي كفار مكة
 (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالحجج الظاهرات (فما
 كان الله ليظلمهم) بإهلاكهم بغير جرم (ولكن
 كانوا أنفسهم يظلمون) بتكذيبهم رسلهم

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا الشُّوَايَ أَن كَذَّبُوا
 بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الروم: ١٠]

١٠ - (ثم كان عاقبة الذين استواوا الشواي) تأنيث
 الأسوأ الأفيح خبر كان على رفع عاقبة واسم كان على
 نصب عاقبة والمراد بها جهنم وإساءتهم (أن) أي بأن
 (كذبوا بآيات الله) القرآن (وكانوا بها يستهزئون).

الَّذِينَ لِقَوْمِهِمْ يَعْظُمُونَ ﴿ [الروم: ٢٨]

٢٨ - (ضربت) جعل (لكم) أيها المشركون (مثلاً) كما كنا (من أنفسكم) وهو (هل لكم من ما ملكت أيما نكم) أي من ممالئكم (من شركاء) لكم (في ما رزقناكم) من الأموال وغيرها (فأنتم) وهم (فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أي أمثالكم من الأحرار والاستفهام بمعنى النفي المعنى ليس ممالئكم شركاء لكم إلى آخره عندكم فكيف تجعلون بعض ممالئكم الله شركاء له؟ (كذلك نفضل الآيات) نبينها مثل ذلك التفصيل (لقوم يعظون) يتدبرون^(١).

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾

٢٩ - (بل اتبع الذين ظلموا) بالإشراك (أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله) أي لا هادي له (وما لهم من ناصرين) مانعين من عذاب الله

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَائِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٣٠ - (أقيم) يا محمد (وجهك للدين حنيفاً) مائلاً إليه أي أخلص دينك لله أنت ومن تبعك (فطرت الله) خلقته (التي فطر الناس عليها) وهي دينه أي الرموها (لا تبدل لخلق الله) لدينه أي لا تبدلوه بأن تشركوا (ذلك الدين القيم) المستقيم توحيد الله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) توحيد الله

﴿مُتَّبِعِينَ لِيهِ وَأَقْوَمُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١]

٣١ - (متتبعين) راجعون (إليه) تعالى فيما أمر به ونهى عنه حال من فاعل أقم وما أريد به أي

(١) أسباب نزول الآية ٢٨: وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: كان يلقى أهل الشرك: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فأنزل الله: وهل لكم من ما ملكت أيما نكم من شركاء في ما رزقناكم الآية. * وأخرج جوير بنه عن داود بن أبي هند عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه .

أَقِيمُوا (وَأَقْوَمُ) خافوه (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]

٣٢ - (من الذين) بدل بإعادة الجار (فرقوا) دينهم باختلافهم فيما يعبدونه (وكانوا شيعاً) فرقا في ذلك (كل حزب) منهم (بما لديهم) عندهم (فرحون) مسرورون وفي قراءة فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾

٣٣ - (وإذا مس الناس) أي كفار مكة (ضراً) شدة (دعوا ربهم منيبين) راجعين (إليه) دون غيره (ثم إذا آذاهم منه رحمة) بالمطر (إذا فريق منهم يربهم يشركون)

﴿يَكْفُرُوا بِمَا ءَاءَلْنَاهُمْ فَتَمَتُّوا وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

٣٤ - (ليكفروا بما آتيناكم) أريد به التهديد (فتتمتوا فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم فيه التفات عن الغيبة

﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥]

٣٥ - (أم) بمعنى همزة الإنكار (أنزلنا عليهم سلطاناً) حجة وكتاباً (فهو يتكلم) تكلم دلالة (بما كانوا به يشركون) أي يأمرهم بالإشراك؟ لا

﴿وَإِذَا آذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَّا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]

٣٦ - (وإذا آذنا الناس) كفار مكة وغيرهم (رحمة) نعمة (فرحوا بها) فرح بطر (وإن تصيبهم سيئة) شدة (بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) يأسون من الرحمة ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٣٧]

٣٧ - (أولم يروا) يعلموا (أن الله يبسط الرزق) يوسع (لمن يشاء) امتحاناً (ويقدر) يضيقه لمن يشاء

ابتلاء (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بها.

﴿فَأَتَىٰ ذَا الْقَرْيَةِ حَقَّهُ وَالْمَشِيكِينَ وَأَنَّ السَّبِيلَ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

٣٨ - (فَأَتَىٰ ذَا الْقَرْيَةِ) القرابة (حَقَّهُ) من البر والصلة (وَالْمَشِيكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) المسافر من الصدقة وأُمَّة النبي تبع له في ذلك (ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ) أى ثوابه بما يعملون (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيئُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]

٣٩ - (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا) بأن يعطي شيئاً هبة أو هدية ليطلب أكثر منه فسمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة (لَيَرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) المعطين أي يزيد (فَلَا يَرِيئُونَ) يزكو (عِنْدَ اللَّهِ) أي لا ثواب فيه للمعطين (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ) صدقة (تُرِيدُونَ) بها (وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) ثوابهم بما أراوه فيه التفات عن الخطاب

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيذُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠]

٤٠ - (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيذُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ) ممن أشركتم بالله (مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ) لا (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) به

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

٤١ - (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) أي القفار بقحط المطر وقلة النبات (وَالْبَحْرِ) أي البلاد التي على الأنهار بقلة مائها (بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) من المعاصي (لِيُذِيقَهُمْ) بالياء والنون (بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا) أي عقوبته (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يتوبون

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٤٢]

٤٢ - (قُلْ) لكفار مكة (سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَانظُرُوا) كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ) فأهلكوا بإشراكهم ومساكنهم ومنازلهم خاوية

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]

٤٣ - (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ) دين الإسلام (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) هو يوم القيامة (يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ) فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد يتفرون بعد الحساب إلى الجنة والنار ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَتَّهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤]

٤٤ - (مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) وبال كفره وهو النار (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَتَّهَدُونَ) يوطنون منازلهم في الجنة

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [الروم: ٤٥]

٤٥ - (لِيَجْزِيَ) متعلق بيصدقون (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) مِنْ فَضْلِهِ) يثيبهم (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) أي يعاقبهم

﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِيَجْزِيَ الْفُلُكَ بِأَمْرِهِ وَلِيُنْفِئَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦]

٤٦ - (وَمِنَ آيَاتِهِ) تعالى (أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ) بمعنى لتبشركم بالمطر (وَلِيَذِيقَكُمْ) بها (مِنْ رَحْمَتِهِ) المطر والخصب (وَلِيَجْزِيَ الْفُلُكَ) السفن بها (بِأَمْرِهِ) بإرادته (وَلِيُنْفِئَكُمْ) تطلبوا (مِنْ فَضْلِهِ) الرزق بالتجارة في البحر (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) هذه النعم يا أهل مكة فتوحدهن

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَآمَنُوا بِآيَاتِنَا فَآتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَاتِنَا كَمَاتٍ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرًا لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]

٤٧ - (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَآمَنُوا بِآيَاتِنَا) بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم فكذبوهم (فَأَتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَاتِنَا كَمَاتٍ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرًا لِّلْمُؤْمِنِينَ) أهلكتنا الذين كذبوهم (وَكَانَ حَقًّا

يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ [الروم: ٥٣]

٥٣ - (وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيِّ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ مَا تُسْمِعُ) سماع إفهام وقبول (إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) مخلصون بتوحيد الله
 ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]

٥٤ - (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ) ماء مهين (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ) آخر وهو ضعف الطفولية (قُوَّةً) أى قوة الشباب (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً) ضعف الكبر وشيب الهرم والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحها (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) من القوة و الضعف والشباب والشيبة (وَهُوَ الْعَلِيمُ) بتدبير خلقه (الْقَدِيرُ) على ما يشاء
 ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثْرُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: ٥٥]

٥٥ - (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ) يحلف (الْمُجْرِمُونَ) الكافرون (مَا لِيُثْرُوا) في القبور (غَيْرَ سَاعَةٍ) قال تعالى (كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن الحق (البعث) كما صرفوا عن الحق: الصدق في مدة اللبث
 ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٦]

٥٦ - (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ) من الملائكة وغيرهم (لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ) فيما كتبه في سابق علمه (إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ) فهذا يَوْمُ الْبَعْثِ الذي أنكرتموه (وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) وقوعه
 ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٧]

٥٧ - (فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ) بالياء والتاء (الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ) في إنكارهم له (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) لا يطلب منهم العتبي أى الرجوع إلى ما يرضي الله
 ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ

عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِسُ سَحَابًا فَيَسْطُفُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ جِلْدِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ﴾ [الروم: ٤٨]

٤٨ - (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِسُ سَحَابًا) تزعجه (فَيَسْطُفُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ) من قلة وكثرة (وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا) بفتح السين وسكونها قطعاً متفرقة (فَرَى الْوَدْقَ) المطر (يَخْرُجُ مِنْ جِلْدِهِ) أى وسطه (فَإِذَا أَصَابَ بِهِ) بالودق (مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ) إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ) يفرحون بالمطر
 ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْسِلِينَ﴾ [الروم: ٤٩]

٤٩ - (وَإِنْ) وقد (كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ) تأكيد (لَمُبْسِلِينَ) آيسين من إنزاله
 ﴿فَإَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّجُ الْآرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُنَى الْمُؤْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠]

٥٠ - (فَإَنْظُرْ إِلَى آثَارِ) وفي قراءة أثار (رَحْمَتِ اللَّهِ) أى نعمته بالمطر (كَيْفَ يُخَيِّجُ الْآرْضَ) بَعْدَ مَوْتِهَا) يبسها بأن تنبت (إِنَّ ذَلِكَ لَمُنَى الْمُحْيِي) المحيي الأرض (الْمَوْتَى) وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
 ﴿وَلَيْنِ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم: ٥١]

٥١ - (وَلَيْنِ) لام قسم (أَرْسَلْنَا رِيحًا) مضرة على نبات (فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا) صاروا جواب القسم (مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد اصفاره (يَكْفُرُونَ) يجحدون النعمة عليهم بالمطر
 ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الضُّمَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْرِينٌ﴾ [الروم: ٥٢]

٥٢ - (فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى) - وَلَا تُسْمِعُ الضُّمَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء (وَلَوْأ مَدْرِينٌ)
 ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيِّ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ
يُوقِنُونَ﴾ [لقمان: ٤]

٤ - (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) بيان للمحسنين
(وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) هم الثاني
تأكيد

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
٥ - (أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ) الفائزون

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن
سَبِيلِ اللَّهِ بَعِيرٌ عَلَيْهِ وَيَحْذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦]

٦ - (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) أي
ما يلهي منه عما يعني (لِيُضِلَّ) بفتح الباء وضمها
(عَن سَبِيلِ اللَّهِ) طريق الإسلام (بَعِيرٌ عَلَيْهِ وَيَحْذَهَا)
بالنصب عطفا على يضل وبالرفع عطفا على يشتري
(هُزُواً) مهزوءا بها (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) ذو
إهانة (١).

﴿وَإِذَا نُتِلِّيٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَمْ تُسْمِعْهُ كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا
كَأَن فِي أذُنِهِ وَقْرًا فَنَسَوهُ فَعَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧]

٧ - (وَإِذَا نُتِلِّيٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا) أي القرآن (وَلَمْ
تُسْمِعْهُ) متكبيرا (كَأَن لَمْ يَسْمَعْهَا) كأن في أذنيه
(وَقْرًا) صمما وجملتنا التشبيه حالان من ضمير «ولم»
أو الثانية بيان للأولى (فَنَسَوَهُ) أعلمه (بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)
مؤلم وذكر البشارة تهكم به وهو النظر بن الحارث
كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الأعاجم
ويحدث بها أهل مكة ويقول إن محمدا يحدثكم
أحاديث عاد وثمود وأنا أحدثكم أحاديث فارس
والروم فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن.

٣١- سورة لقمان

(١) أسباب نزول الآية ٦: أخرج ابن جرير من طريق العوفي
عن ابن عباس في قوله: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ»
قال: نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية.

* وأخرج جوير عن ابن عباس قال: نزلت في النظر بن
الحارث اشترى قينة ، وكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا
انطلق به إلى قينته فيقول: أطعميه، واسقيه، وغنيه، هذا خير مما
يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام، وأن تقاتل بين يديه،
فنزلت.

وَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُ لِقَائِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِإِنْ أَنْتُمْ
إِلَّا مُّطَّلَبُونَ﴾ [الروم: ٥٨]

٥٨ - (وَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُ لِقَائِ الَّذِينَ كَفَرُوا) جعلنا (للناس في هذا
القرآن من كل مثل) تنبيها لهم (وَلَمَّا) لام قسم
(جَاءَتْهُمْ) يا محمد (بِآيَاتِ) مثل العصا واليد لموسى
(لِيَقُولُوا) حذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواو
ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (الَّذِينَ كَفَرُوا) منهم
(إِنْ) ما (أَنْتُمْ) أي محمد وأصحابه (إِلَّا مُّطَّلَبُونَ)
أصحاب أباطل

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾
٥٩ - (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ) التوحيد كما طبع على قلوب هؤلاء

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا
يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]

٦٠ - (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بنصرك عليهم
(حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ) بالبعث
لا يحملك على الخفة والطيش بترك الصبر أي
لا تتركه.

* * *

٣١- سورة لقمان

مكية إلا (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام)
(٢٧ - ٢٨) الآيتين فمجتبتان و آياتها أربعة
وثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿المر﴾ [لقمان: ١]

١ - (الم) الله أعلم بمراده به

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ٢]

٢ - (تِلْكَ) أي هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ)
القرآن (الْحَكِيمِ) ذي الحكمة والإضافة بمعنى من

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: ٣]

٣ - هو (هُدًى وَرَحْمَةً) بالرفع (لِّلْمُحْسِنِينَ)
وفي قراءة العامة بالنصب حالا من الآيات العامل
فيها ما في تلك من معنى الإشارة

ما أعطاك من الحكمة (وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) لأن ثواب شكره له (وَمَنْ كَفَرَ النعمة فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ) عن خلقه (حبيد) محمود في صنعه

﴿وَلِذَلِكَ قَالَ لِقَمَانَ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]

١٣ - (و) اذكر (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني) تصغير إشفاق (لا تشرك بالله إن الشرك بالله) (ظلم عظيم) فرجع إليه وأسلم

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُ الْإِنْسَانِ فِي عَمَرَيْنِ أَنْ أَشْكُرْ لِي وَوَالِدَيْكَ إِلَى الصَّبْرِ﴾

١٤ - (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفضل في عامين أن أشكر لي ووالديك إلى الصبر) بيرهما (حملته أمه) فوهنت (وهنا على وهن) أي ضعفت للحمل وضعفت للطلق وضعفت للولادة (وفضاله) أي فطامه (في عامين) وقلنا له (أن أشكر لي ووالديك إلى المصيرين) أي المرجع

﴿وَلِإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥]

١٥ - (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبتهما في الدنيا معروفًا) أي بالمعروف البر والصلة (وأتبع سبيل) طريق (من أناب) رجع (إلي) بالطاعة (ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) فأجازيكم عليه وجملة الوصية وما بعدها اعتراض

﴿يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْقَالٍ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]

١٦ - (يا بني إنها) أي الخصلة السيئة (إن تَكُ مِنْقَالٍ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ) أي في أخفى مكان من ذلك (يأت بها الله) فيحاسب عليها (إن الله لطيف خبير) باستخراجها (خبير) بمكانها

﴿يَبْنِي أَفَرَأَى الضَّلَاطَةَ وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الشُّكْرِ وَأَصْبَرَ عَلَى مَا آصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾
٨ - (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم)

﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

٩ - (خالدين فيها) حال مقدرة أي مقدرًا خلودهم فيها إذا دخلوها (وعد الله حقًا) أي وعدهم الله بذلك وحقه حقًا (وهو العزيز الحكيم) الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيده (الحكيم) الذي لا يضع شيئًا إلا في محله

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضِ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ يَقِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾

١٠ - (خلق السموات بغير عمد ترونها) أي العمد جمع عماد وهو الأسطوانة وهو صادق بأنه لا عمد أصلاً (والأرض في الأرض رواسي) جبالا مرتفعة ل (أن) لا (تيمد) تتحرك (بكم) وبث فيها من كل دابة وأنزلنا فيه التفات عن الغيبة (من) السماء ماء فأنبطنا فيها من كل زوج كريم) صنف حسن

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: ١١]

١١ - (هذا خلق الله) أي مخلوقه (فأروني) أخبروني يا أهل مكة (ماذا خلق الذين من دونه) غيره ، أي آلهتكم ؟ أي حتى أشركتموها به تعالى؟ وما استفهام إنكار مبتدأ وذا بمعنى الذي يصلته خبره وأروني معلق عن العمل لفظًا وما بعده سد مسد المفعولين (بل) للانتقال (الظالمون في ضلال مبين) بين بإشراكهم وأنتم منهم

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لِقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

١٢ - (ولقد آتينا لقمان الحكمة) منها العلم والديانة والإصابة في القول وحكمه كثيرة مأثورة كان يفتي قبل بعثة داود وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا وقال في ذلك ألا أكتفي إذا كفيت؟ وقيل له أي الناس شر؟ قال الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيًا (إن) أي وقلنا له أن (اشكروا لله)

٢٢ - (وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ) يقبل على طاعته (وَهُوَ مُحْسِنٌ) موحد (فَقَدِ اسْتَفْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه (وَالَى اللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) مرجعها

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِنَّ لَنَا مَنْجَعَهُمْ فَتِنَتَهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [لقمان: ٢٣]

٢٣ - (وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ) يا محمد (كُفْرُهُ) لا تهتم بكفره (إِنَّا مَنْجَعُهُمْ فَتِنَتَهُمْ بِمَا عَمِلُوا) إن الله عليهم بذات الصدور) أى: بما فيها كغيره فمجاز عليه

﴿تُنَجِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾
٢٤ - (تُنَجِّعُهُمْ) في الدنيا (قَلِيلًا) أيام حياتهم (ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ) في الآخرة (إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ) وهو عذاب النار لا يجدون عنه محيصا

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٢٥ - (وَلَيْنَ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) ليقولن الله (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) وجوبه عليهم

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦]

٢٦ - (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا فلا يستحق العبادة فيهما غيره (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ) عن خلقه (الْحَمِيدُ) المحمود في صنعه

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِيهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]

٢٧ - (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ) والبخير عطف على اسم أن (يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِيهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) مدادا (مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) المعبر بها عن معلوماته بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد ولا بأكثر من ذلك لأن معلوماته تعالى غير متناهية (إِنَّ

١٧ - (يَا بُنَيَّ أقيم الصلوة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واضبر على ما أصابك) بسبب الأمر والنهي (إِنَّ ذَلِكَ) المذكور (مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أى: معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]

١٨ - (وَلَا تُصَعِّرْ) وفي قراءة تصاعر (خَدَّكَ لِلنَّاسِ) لا تمل وجهك عنهم تكبرا (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) أى خيلاء (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) متبختر في مثيه (فَخُورٍ) على الناس

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]

١٩ - (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) توسط فيه بين الدبيب والإسراع وعليك السكينة والوقار (وَاغْضُضْ) اخفض (مِنْ صَوْتِكَ) أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ) أقبحها (لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) أوله زفير وآخره شهيق

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْعَىٰ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾

٢٠ - (أَلَمْ تَرَ) تعلموا يا مخاطبين (أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ) من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها (وَمَا فِي الْأَرْضِ) من الثمار والأنهار والدواب (وَأَسْعَىٰ) أوسع وأتم (عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً) وهي حسن الصورة وتسوية الأعضاء وغير ذلك (وَبَاطِنَةً) هي المعرفة وغيرها (وَمِنَ النَّاسِ) أى: أهل مكة (مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى) من رسول (وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) أنزله الله بل بالتقليد

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا جَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١]

٢١ - (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا) بَلْ نَنبَغُ مَا جَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) قال تعالى: (أ) يتبعونه (وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ) أى موجباته؟ لا

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾

الثابت (وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ) بالياء والتاء يعبدون (من) دُونِهِ الْبَاطِلِ الزَّائِلِ (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ) على خلقه بالقهر (الكبير) العظيم

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾

٣١ - (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ) السفن (تَجْرِي فِي) البحر بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ) يا مخاطبين بذلك (مِنْ) آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) عبرا (لِكُلِّ صَبَّارٍ) عن معاصي الله (شَكُورٍ) لنعمته

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ قَالُوا يَا مَعْجُزَاتُ اللَّهِ إِنَّا رَبُّكُمْ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢]

٣٢ - (وَإِذَا غَشِيَهُمْ) أي علا الكفار (مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ) كالجبال التي تظل من تحتها (دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ) يدعون معه غيره (قَالُوا يَا مَعْجُزَاتُ اللَّهِ إِنَّا رَبُّكُمْ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) عن الكفر والإيمان ومنهم باق على كفره (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا) ومنها الإنجاء من الموج (إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) نعم الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْرِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]

٣٣ - (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أهل مكة (اتَّقُوا رَبَّكُمُ) واخشَوْا يَوْمًا لَا يَجْرِي) يعني (والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ) فيه شيئا (وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ) فيه (شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) بالبعث (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) عن الإسلام (وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ) في حلمه وإمهاله (الْغُرُورُ) الشيطان

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَسِيرٌ﴾

٣٤ - (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) متى تقوم (وَيُرْسِلُ) بالتخفيف والتشديد (الْغَيْثَ) بوقت يعلمه (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) أذكر أم أنثى ولا يعلم واحدا من الثلاثة غير الله تعالى (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ

اللَّهُ عَزِيزٌ لَا يَعْجَزُ شَيْءٌ (حَكِيمٌ) لا يخرج شيء عن علمه وحكمته (١)

﴿مَا خَلَقْكُمْ وَلَا يَعْبُثْكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاجِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَبِيحٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨]

٢٨ - (مَا خَلَقْكُمْ وَلَا يَعْبُثْكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاجِدَةٍ) خلقا وبعثا لأنه بكلمة (كن) فيكون (إِنَّ اللَّهَ سَبِيحٌ) يسمع كل مسموع (بَصِيرٌ) يبصر كل مبصر لا يشغله شيء عن شيء

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٩]

٢٩ - (أَلَمْ تَرَ) تعلم يا مخاطب (أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ) يدخل (اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ) يدخله (فِي) اللَّيْلِ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ) منهما (يَجْرِي) في فلكه (إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) هو يوم القيامة (وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَإِنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]

٣٠ - (ذَلِكَ) المذكور (بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ)

(١) أسباب نزول الآية ٢٧: وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: سأل أهل الكتاب رسول الله ﷺ عن الروح، فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فقالوا: تزعم أننا لم نوت من العلم إلا قليلا، وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة، ومن يؤث الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، فنزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ الآية.

* وأخرج ابن إسحاق عن عطاء بن يسار قال: نزلت بمكة: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فلما هاجر إلى المدينة أتاه أحرار اليهود فقالوا: ألم يبلغنا عنك أنك تقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إيانا تريد أم قومك؟ فقال: كلا غيبت، قالوا: فإنك تتلو أننا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ: هي في علم الله قليل، فأنزل الله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾

* وأخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس .
* وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظيمة وابن جرير عن قتادة قال: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفذ، فنزل: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية.

تؤمنوا

﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾

٥ - (يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) مدة الدنيا (ثُمَّ يَعْرُجُ) يرجع الأمر والتدبير (إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ) كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) في الدنيا وفي سورة سأل (خمسين ألف سنة) (٤٠:٧٠) وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلحها في الدنيا كما جاء في الحديث

﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

٦ - (ذَلِكَ) الخالق المدبر (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أي ما غاب عن الخلق وما حضر (الْعَزِيزُ) المنيع في ملكه (الرَّحِيمُ) بأهل طاعته ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]

٧ - (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) بفتح اللام فعلا ماضيا صفة ل (شئ) وبسكونها بدل اشتمال (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ) آدم (من طين)

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾

٨ - (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ) ذريته (مِنْ سُلَالَةٍ) علقه (مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) ضعيف هو النطفة

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩]

٩ - (ثُمَّ سَوَّاهُ) أي خلق آدم (وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) أي جعله حيا حساسا بعد أن كان جمادا (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ) أي: لذريته (السَّمْعَ) بمعنى الأسماع (وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) ما زائدة مؤكدة للقلعة

﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ [السجدة: ١٠]

١٠ - (وَقَالُوا) أي منكرو البعث (أَيُّذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) غبنا فيها بأن صرنا ترابا مختلطا بترابها (أَيُّذَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ)؟ استفهام إنكار، بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على

ثُمَّ إِذَا تَكْسِبُ غَدًا) من خير أو شر ويعلمه الله تعالى (وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) ويعلمه الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بكل شيء (خَبِيرٌ) بباطنه كظاهره . روى البخاري عن ابن عمر حديث مفاتيح الغيب خمسة إن الله عنده علم الساعة.... إلى آخر السورة (١).

* * *

٣٢- سورة السجدة

وآياتها ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿المر﴾ [السجدة: ١]

١ - (الم) الله أعلم بمراده به

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

٢ - (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن مبتدأ (لا رَيْبَ) شك (فيه) خير أول (مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) خير ثان

﴿أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْ بِمَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾

٣ - (أَمْ) بل (يَقُولُونَ اقْرَأْ) محمدا؟ لا (بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ) به (قَوْمًا مَّا) نافية (أَتَتْهُمْ) مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) وإنذارك

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤]

٤ - (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أولها الأحد وآخرها الجمعة (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) هو في اللغة سرير الملك استواء يليق به (مَا لَكُمْ) يا كفار مكة (مِنْ دُونِهِ) أي غيره (مِنْ وَلِيٍّ) اسم (ما) بزيادة من أي ناصر (وَلَا شَفِيعٍ) يدفع عذابه عنكم (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) هذا

(١) أسباب نزول الآية ٣٤: وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: جاء رجل من أهل البادية فقال: إن امرأتي حبلى فأخبرني بما تلد؟ وبلادنا مجذبة فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى ويلدث، فأخبرني متى أموت؟ فأقر الله «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» الآية.

١٦ - (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ) ترتفع (عَنِ الْمَضَاجِعِ) مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم بالليل تهجدا (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا) من عقابه (وَطَمَعًا) في رحمته (وَمَا زَرَقْنَا لَهُمْ يُنْفِقُونَ) يتصدقون (١).

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]

١٧ - (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ) خبيء (لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) ما تفر به أعينهم وفي قراءة بسكون الياء مضارع (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾
١٨ - (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ) أي المؤمنون والفاسيقون (٢).

﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٩]

١٩ (أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا) هو ما يعد للضيف (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

٣٢- سورة السجدة

(١) أسباب نزول الآية ١٦: أخرج البزار عن بلال قال: كنا مجلس في المسجد وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب إلى العشاء فنزلت هذه الآية: وتتجافى جنوبهم عن المضاجع، في إسناده عبد الله بن شبيب ضعيف.

* وأخرج الترمذي وصححه عن أنس أن هذه الآية: وتتجافى جنوبهم عن المضاجع، نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة.

(٢) أسباب نزول الآية ١٨: وأخرج الواحدي وابن عساكر من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب أنا أخذ منك سنانا، وأبسط منك لسانا، وأملأ للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت فإنما أنت فاسق، فنزلت: وأفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون.

* وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار مثله.
* وأخرج ابن عدي والخطيب في تاريخه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله.

* وأخرج الخطيب وابن عساكر من طريق ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط وذلك في سباب كان بينهما. كذا في هذه الرواية أنها نزلت في عقبة بن الوليد لا الوليد.

الوجهين في الموضوعين قال تعالى (بَلْ هُمْ يَلْقَاءُ رَبَّهُمْ) بالبعث (كَافِرُونَ)

﴿قُلْ يَتُوفَنكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]

١١ - (قُلْ) لهم (يَتُوفَاكُمْ) مثلك الموت الذي وُكِّلَ بِكُمْ أي يقبض أرواحكم (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) أحياء فيجازيكم بأعمالكم

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾

١٢ - (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ) الكافرون (نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ) مطأطؤها حياء يقولون (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا) ما أنكرنا من البعث (وَسَمِعْنَا) منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه (فَارْجِعْنَا) إلى الدنيا (نَعْمَلْ صَالِحًا) فيها (إِنَّا مُوقِنُونَ) الآن فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون، وجواب لو: لرأيت أمرا فظيما

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

١٣ - (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ) نفس هديها (وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي) فتهتدي بالإيمان والطاعة باختيار منها (وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي) وهو (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ) الجن (وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَكُمُ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

١٤ - (فَذُوقُوا) العذاب (بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا) أي بترككم الإيمان به (إِنَّا نَسِينَاكُمْ) تركناكم في العذاب (وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ) الدائم (بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) من الكفر والتكذيب

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

١٥ - (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا) وعظوا (بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا) متلبسين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أي قالوا: سبحان الله وبحمده (وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) عن الإيمان والطاعة

﴿تَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠]

٢٠ - (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا) بالكفر والتكذيب (فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكَذِّبُونَ)

﴿وَلَنذيقنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الَّذِي دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَأَلَّهْمُ بِرَجْعَتِهِمْ﴾ [السجدة: ٢١]

٢١ - (وَلَنذيقنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الَّذِي دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) الدنيا بالقتل والأسر والجذب سنين والأمراض (دُونَ) قبل (الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) عذاب الآخرة (لَأَلَّهْمُ) أي من بقي منهم (يَرْجِعُونَ) إلى الإيمان

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]

٢٢ - (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ) القرآن (ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا) أي: لا أحد أظلم منه (إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) أي المشركين (مُنْتَقِمُونَ)

﴿وَلَقَدْ مَآنَا مَوْسَى الْكَذَّابَ فَلَا تُكِنُّ فِي مَرْيَتِهِ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

٢٣ - (وَلَقَدْ مَآنَا مَوْسَى الْكَذَّابَ) التوراة (فَلَا تُكِنُّ فِي مَرْيَتِهِ) شك (مِّنْ لِّقَائِهِ) وقد التقيا ليلة الإسراء (وَجَعَلْنَاهُ) أي موسى أو الكتاب (هُدًى) هاديا (لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ)

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]

٢٤ - (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: قادة (يَهْدُونَ) الناس (بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا) على دينهم وعلى البلاء من عدوهم وفي قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم (وَكَانُوا بِآيَاتِنَا) الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا (يُوقِنُونَ)

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة: ٢٥]

٢٥ - (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾

٢٦ - (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم) أي يتبين لكفار مكة إهلاكنا كثيرا (مِّنَ الْقُرُونِ) الأمم بكفرهم (يَمْشُونَ) حال من ضمير لهم (فِي مَسْجِدِهِمْ) في أسفارهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) دلالات على قدرتنا (أَفَلَا يَسْمَعُونَ) سماع تدبر واتعاظ؟

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾

٢٧ - (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ) اليابسة التي لا نبات فيها (فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا) تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) هذا فيعلموا أنا نقدر على إعادتهم؟

﴿وَيُقْرَأُونَ مَعَىٰ هَذَا الْفَتْحِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

٢٨ - (وَيُقْرَأُونَ) للمؤمنين (مَعَىٰ هَذَا الْفَتْحِ) بيننا وبينكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (١).

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾

٢٩ - (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ) بإنزال العذاب بهم (لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) يمهلون لتوبة أو معذرة

﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَأَنْظَرَ إِنَّهُمْ مَّتَّظِرُونَ﴾

٣٠ - (فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ) وانتظر إنزال العذاب بهم (إِنَّهُمْ مَّتَّظِرُونَ) بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك ، وهذا قبل الأمر بقتالهم .

٣٣- سورة الأحزاب

وآياتها ثلاث وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتِّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّكَ

(١) أسباب نزول الآية ٢٨ : وأخرج ابن جرير عن قتادة قال الصحابة: إن لنا يوما يوشك أن نستريح فيه وننعم فيه، فقال المشركون: «ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين» فنزلت.

قالوا تزوج محمد امرأة ابنه فأكذبهم الله تعالى في ذلك (والله يَقُولُ الْحَقَّ) في ذلك (وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) سبيل الحق (١).

﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥]

٥ - لكن (ادعوههم لأبائهم هو أقسط) أعدل (عند الله) فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) بنو عمكم (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) في ذلك (ولكن) في (ما تعمدت قلوبكم) فيه هو بعد النهي (وكان الله غفوراً) لما كان من قولكم قبل النهي (رحيماً) بكم في ذلك (٢).

﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾

٦ - (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه (وأزواجه أمهاتهم) في حرمة نكاحهن (وأولوا الأرحام) ذوو القربى (بعضهم أولى ببعض) في الإرث (في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) أي من الإرث

(١) أسباب نزول الآية ٤: أخرج الترمذي وحسنه عن ابن عباس قال: قام النبي ﷺ يوماً يصلي فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترى أن له قلبين: قلباً معكم وقلباً معه؟ فأنزل الله: «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه».

* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق خصيف عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة قالوا: كان رجل يدعى ذا القلبين فنزلت.

* وأخرج ابن جرير من طريق قتادة عن الحسن مثله، وزاد: وكان يقول لي نفس تأمرني ونفس تنهاني.

* وأخرج من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: نزلت في رجل من بني فهر قال: إن في جوفي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن الشدي أنها نزلت في رجل من قريش من بني جمح يقال له: جميل بن معمر.

(٢) أسباب نزول الآية ٥: أخرج البخاري عن ابن عمر قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل في القرآن «ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله».

اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

١ - (يا أيها النبي اتق الله) دم على تقواه (ولا تطع الكافرين والمنافقين) فيما يخالف شريعتك (إن الله كان عليماً) بما يكون من قبل كونه (حكيماً) فيما يخلقه (١).

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢]

٢ - (واتبع ما يوحى إليك من ربك) أي القرآن (إن الله كان بما تعملون خبيراً) وفي قراءة «يعملون» بالتحتمانية .

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

٣ - (وتوكل على الله) في أمرك (وكفى بالله وكيلاً) حافظاً لك وأتمته تبع له في ذلك كله

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]

٤ - (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) رداً على من قال من الكفار إن له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد (وما جعل أزواجكم اللاتي يهمة وياء وبلا ياء (تظاهرون) بلا ألف قبل الهاء وبها والتاء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء (منهن) يقول الواحد مثلاً لزوجته أنت علي كظهر أمي (أمهاتكم) أي كالأمهات في تحريمها بذلك المعد في الجاهلية طلاقاً وإنما تجب به الكفارة بشرطه كما ذكر في سورة المجادلة (وما جعل أدعياءكم) جمع دعي وهو من يدعى لغير أبيه ابناً له (أبناءكم) حقيقة (ذليكم قولكم بأفواهكم) أي اليهود والمنافقين قالوا لما تزوج النبي صلي الله عليه وسلم زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي صلي الله عليه وسلم

٣٣- سورة الأحزاب

(١) أسباب نزول الآية ١: أخرج جزير عن الضحاک عن ابن عباس قال: إن أهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعاوا النبي ﷺ أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم وخوفه المنافقون واليهود بالمدنية إن لم يرجع قتلوه فأنزل الله: «يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين».

﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ
الظُّنُونًا﴾ [الاحزاب: ١٠]

١٠ - (إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب (وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ) مالت عن كل شيء إلى عدوها من كل جانب (وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم من شدة الخوف (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا) المختلفة بالنصر واليأس

﴿هُنَالِكَ آتَتْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَنْزَلْنَا سَيْدِيًّا﴾

١١ - (هُنَالِكَ آتَتْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ) اختبروا ليتبين المخلص من غيره (وَأَنْزَلْنَا) حركوا (زَلْزَالًا شَدِيدًا) من شدة الخوف و الفزع

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الاحزاب: ١٢]

١٢ - (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ضعف اعتقاد (مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ) بالنصر (إِلَّا غُرُورًا) باطلاً^(١)

الريح تضربهم بها وهم يقولون: الرحيل الرحيل، فجئت فأخبرته خبير القوم أني تركتهم يرتحلون وأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود» الآية.

أسباب نزول الآية ١٢: وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو الزني عن أبيه عن جده قال: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب فأخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة فأخذ رسول الله ﷺ المعول فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضواء ما بين لابتي المدينة فكثير وكبر المسلمون ثم ضرب الثانية فصدعها وبرق منها برق أضواء ما بين لابتيها فكثير وكبر المسلمون ثم ضربها الثالثة فكسرهما وبرق منها برق أضواء ما بين لابتيها فكثير وكبر المسلمون فستل عن ذلك فقال: «ضربت الأولى فأضاعت لي قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثانية فأضاعت لي قصور الحمر من أرض الروم وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فأضاعت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها» فقال المنافقون: ألا تعجبون يحدثكم وعينكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزل القرآن: «وَإِذْ

بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فنسخ (إِلَّا) لكن (أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أُولِيائِكُمْ مَثْرُوفًا) بوصية فجائز (كَأَنَّ ذَلِكَ) أي نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يرث ذوي الأرحام (فِي الْكِتَابِ مَشْطُورًا) وأريد بالكتاب في الموضوعين اللوح المحفوظ

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾

٧ - (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ) حين أخرجوا من صلب آدم كالذر جمع ذرة وهي أصغر النمل (وَمِنْكَ) ومن نُوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى ابن مريمَ بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام (وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) شديدا بالوفاء بما حملوه وهو اليمين بالله تعالى ثم أخذ الميثاق

﴿يَسْتَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الاحزاب: ٨]

٨ - (يَسْتَلِ) (يَسْتَأَلِ) الله (الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ) في تبليغ الرسالة تبيكتنا للكافرين بهم (وَأَعَدَّ) تعالى (لِلْكَافِرِينَ) بهم (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما هو عطف على أخذنا

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الاحزاب: ٩]

٩ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ) من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) من الملائكة (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) بالثاء من حفر الخندق و «يعملون» بالياء من تحزيب المشركين (بَصِيرًا)^(١)

(١) أسباب نزول الآية ٩: أخرج البيهقي في الدلائل عن حذيفة قال: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعودا، وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقرظة أسفل منا، نخافهم على ذراريها، وما أتت قط علينا ليلة أشد ظلمة ولا أشد ريحا منها فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ يقولون: إن بيوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذن أحد منهم إلا أذن له فيتسللون إذا استقبلنا النبي ﷺ رجلاً رجلاً حتى أتى علي، فقال: اثني بخبر القوم. فجئت فإذا الريح في عسكريهم ما تجاوز عسكريهم شبرا فوالله إنني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشتهم

١٦ - ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا) إِنْ فَرَرْتُمْ (لَا تَنْتَعُونَ) فِي الدُّنْيَا بَعْدَ فِرَارِكُمْ (إِلَّا قَلِيلًا) بَقِيَةِ أَجَالِكُمْ

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكَ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٧]

١٧ - ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ) يَجْبِرُكُمْ (مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا) هَلَاكًا وَهَرِيمَةً (أَوْ) يَصِيبُكُمْ بِسُوءٍ إِنْ (أَرَادَ) اللَّهُ (بِكُمْ رَحْمَةً) خَيْرًا (وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أَي: غَيْرِهِ (وَلِيًّا) يَنْفَعُهُمْ (وَلَا نَصِيرًا) يَدْفَعُ الضَّرَّ عَنْهُمْ

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨]

١٨ - ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ) الْمُشْطَبِينَ (مِنْكُمْ) وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ) تَعَالَوْا إِلَيْنَا (وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ) الْقِتَالَ (إِلَّا قَلِيلًا) رِيَاءً وَسَمْعَةً

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللَّيْسَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَغْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩]

١٩ - ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) بِالْمَعَاوَنَةِ جَمَعَ شَحِيحٌ وَهُوَ حَالٌ مِنْ ضَمِيرٍ يَأْتُونَ (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ) يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي كُنْظَرُ أَوْ كدوران الذي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) أَي سَكَرَاتِهِ (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ) وَحِيْزَتِ الْغَنَائِمَ (سَلَقُوكُمْ) آذَوْكُمْ أَوْ ضَرَبُوكُمْ (بِاللَّيْسَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) أَي الْغَنِيمَةِ يَطْلُبُونَهَا (أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا) حَقِيقَةً (فَأَغْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ) الْإِحْبَاطَ (عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) بِإِرَادَتِهِ

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُوتُ عَنْهُمُ أَنْبِيَائُهُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾

٢٠ - ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ) مِنَ الْكُفَّارِ (لَمْ يَذْهَبُوا) إِلَى مَكَّةَ لِخَوْفِهِمْ مِنْهُمْ (وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ) كَرَّةٌ أُخْرَى (يَوَدُّوا) يَتَمَنَّوْنَ (لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَاسْتَعْتَدْنَا فَرِيقًا مِنْهُمْ النَّبِيُّ يَقُولُونَ إِنْ أُيُوتَنَا عَوْزَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْزَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾

١٣ - ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ) أَي الْمَنَافِقِينَ (يَا أَهْلَ يَثْرِبَ) هِيَ أَرْضُ الْمَدِينَةِ وَلَمْ تَتَصَرَّفْ لِلْعِلْمِيَّةِ وَوِزْنُ الْفِعْلِ (لَا مُقَامَ لَكُمْ) بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا أَي لَا إِقَامَةَ وَلَا مَكَانَةَ (فَارْجِعُوا) إِلَى مَنَازِلِكُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ وَكَانُوا خَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَلْعِ جَبَلٍ خَارِجِ الْمَدِينَةِ لِلْقِتَالِ (وَاسْتَعْتَدْنَا فَرِيقًا مِنْهُمْ النَّبِيُّ) فِي الرَّجُوعِ (يَقُولُونَ إِنْ أُيُوتَنَا عَوْزَةٌ) غَيْرَ حَصِينَةٍ يَخْشَى عَلَيْهَا قَالَ تَعَالَى (وَمَا هِيَ بِعَوْزَةٍ إِنْ) مَا (يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا) مِنَ الْقِتَالِ ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ آفْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنزَلْنَاهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا بَيِّنًا﴾ [الأحزاب: ١٤]

١٤ - ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ) أَي: الْمَدِينَةَ (عَلَيْهِمْ مِنْ آفْطَارِهَا) نَوَاحِيهَا (ثُمَّ سَأَلُوا) أَي: سَأَلَهُمُ الدَّاخِلُونَ (الْفِتْنَةَ) الشَّرْكَ (لَأَنزَلْنَاهَا) بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ أَي: أَعْطَوَاهَا وَفَعَلُوهَا (وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا بَيِّنًا) ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْآذِنَةَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ [الأحزاب: ١٥]

١٥ - ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْآذِنَةَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا) عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَنْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٦]

يَقُولُ الْمُتَأَيِّقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا.

* وَأَخْرَجَ جَوَيْرٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةٌ فِي مَعْتَبِ بْنِ قَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ وَهُوَ صَاحِبُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ.

* وَأَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَابِيهَيْقِي أَيْضًا عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ وَغَيْرِهِمَا قَالَ: قَالَ مَعْتَبُ بْنُ قَشِيرٍ: كَانَ مُحَمَّدٌ بَعْدَنَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْ كَنْزِ كَسْرَى وَيَقْصِرُ وَأَحَدُنَا لَا يَأْمَنُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ.

* وَقَالَ أَوْسُ بْنُ قِيْظِي فِي مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ: إِنْ أُيُوتَنَا عَوْزَةٌ وَهِيَ خَارِجَةٌ مِنَ الْمَدِينَةِ أَتَدُنُّ لَنَا فَنَرْجِعُ إِلَى نِسَائِنَا وَأَبْنَاتِنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ حِينَ فَرَّغَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ يَذْكُرُهُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ وَكَفَايَتِهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ سُوءِ الظَّنِّ مِنْهُمْ وَمَقَالَةَ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودُهُ الْآيَةَ.

يُثْرَبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا) لمن تاب (رُجِيمًا) به

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾

٢٥ - (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى الأحزاب (بَغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) مرادهم من الظفر بالمؤمنين (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) بالريح والملائكة (وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا) على إيجاد ما يريد (عَزِيمًا) غالباً على أمره

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَلَهُرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: ٢٦]

٢٦ - (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَلَهُرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) أى قريظة (مِنْ صَيَاصِيهِمْ) حصونهم جمع صيصية وهو ما يتحصن به (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) الخوف (فَرِيقًا تَقْتُلُونَ) منهم وهم المقاتلة (وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا) منهم أى الذراري

﴿وَأَوْزَقَكُمْ أَرْضَهُمْ وَاَرْضَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧]

٢٧ - (وَأَوْزَقَكُمْ أَرْضَهُمْ وَاَرْضَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا) وأرضاً لَمْ تَطَّوُّهَا) بعد وهي خيبر أخذت بعد قريظة (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَمَتَّعْتُكُمْ بِهَا فَتَمَتَّعْتُمْ فِيهَا وَأَسْرَحْتُمْ بِهَا سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]

٢٨ - (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ) وهن نساء وطلبن منه من زينة الدنيا ما ليس عنده (إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَمَتَّعْتُكُمْ بِهَا فَتَمَتَّعْتُمْ فِيهَا) أى متعة الطلاق (وَأَسْرَحْتُمْ بِهَا سَرَاحًا جَمِيلًا) أطلقكن من غير ضرار .

﴿وَلَنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

٢٩ - (وَلَنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ) (فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) بإرادة الآخرة (أَجْرًا عَظِيمًا) أى الجنة فاخترن الآخرة على الدنيا

فِي الْأَعْرَابِ) أى كائنون في البادية (يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ) أخباركم مع الكفار (وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ) هذه الكرة (مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا) رياء وخوفا من التعبير

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾

٢١ - (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ) بكسر الهمزة وضمها (حَسَنَةٌ) اقتداء به في القتال والثبات في موطنه (لِمَنْ) بدل من لكم (كَانَ يَرْجُو اللَّهَ) يخافه (وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) وذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) بخلاف من ليس كذلك

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]

٢٢ - (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ) من الكفار (قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ) من الابتلاء والنصر (وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) في الوعد (وَمَا زَادَهُمْ) ذلك (إِلَّا إِيمَانًا) تصديقاً بوعد الله (وتسليماً) لأمره

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَ فَتَاتُكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَاصْبِرُوا لَهُمْ سَبْعَ نَجْمَاتٍ أُولَئِكَ سِوَاهُ الْبِغْيَانِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]

٢٣ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَ فَتَاتُكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) من الثبات مع النبي ﷺ (فَاصْبِرُوا لَهُمْ سَبْعَ نَجْمَاتٍ) مات أو قتل في سبيل الله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَقِظُ) ذلك (وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا) في العهد وهم بخلاف حال المنافقين (١) .

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

٢٤ - (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ) بأن يميتهم على نفاقهم (أَوْ

(١) أسباب نزول الآية ٢٣: أخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن أنس قال: غاب عمي أنس بن النضر عن بدر فكير عليه فقال أول مشهد قد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع فشهد يوم أحد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية، ونزلت هذه الآية: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، إلى آخرها.

﴿وَأَذَكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾

٣٤ - (وَأَذَكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (وَالْحِكْمَةِ) السنة (إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا) بأوليائه (خَبِيرًا) بجميع خلقه

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِعِينَ وَالصَّانِعَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]

٣٥ - (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ) المطيعات (وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ) في الإيمان (وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ) على الطاعات (وَالْخَاشِعِينَ) المتواضعين (وَالْحَاشِعَاتِ) والمتصدقين (وَالْمُتَصَدِّقَاتِ) والصائمين (وَالصَّائِمَاتِ) والحافظين (وَالْحَافِظَاتِ) عن الحرام (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا) والذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً) للمعاصي (وَأَجْرًا عَظِيمًا) على الطاعات (١).

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]

٣٦ - (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) أي الاختيار (مِنْ أَمْرِهِمْ) خلاف أمر الله ورسوله نزلت في عبد الله بن جحش وأخته زينب خطبها النبي ﷺ لزيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما

(١) أسباب نزول الآية ٣٥: أخرج الترمذي وحسنه من طريق عكرمة عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ» الآية. وأخرج الطبراني بسند لا بأس به عن ابن عباس قال: قالت النساء: يا رسول الله ما باله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات فنزلت: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ» الآية.

* وتقدم حديث أم سلمة في آخر سورة آل عمران.

* وأخرج ابن سعد عن قتادة قال: لما ذكر أزواج النبي ﷺ قال النساء: لو كان فينا خير لذكرنا فأنزل الله: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ» الآية.

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفَنَّ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾

٣٠ - (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ) بفتح الياء وكسرها أي بُيِّنَتْ أو هي بينة (يُضَاعَفَنَّ) وفي قراءة يضعف بالتشديد وفي أخرى نضعف بالنون معه ونصب العذاب (لَهَا الْعَذَابُ) ضِعْفَيْنِ) ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه (وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا)

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾

٣١ - (وَمَنْ يَفْعَلْ) يطع (مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) وتعمل صالحًا نُؤْتِيهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ) أي مثلي ثواب غيرهن من النساء وفي قراءة بالتحثانية في تعمل ونوتها (وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) في الجنة زيادة

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسَأَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَاتُ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]

٣٢ - (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسَأَنَّ كَأَحَدٍ) كجماعة (مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَاتُ) الله فإنكن أعظم (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) للرجال (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) نفاق (وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) من غير خضوع

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]

٣٣ - (وَقَرْنَ) بكسر الكاف وفتحها (في بُيُوتِكُنَّ) من القرار وأصله أقرن بكسر الراء وفتحها من قررت بفتح الراء وكسرها نقلت حركة الراء إلى القاف وحذفت مع همزة الوصل (وَلَا تَبَرَّجْنَ) بترك إحدى التاءين من أصله (تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ) أي ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية (وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) (وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ) وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ) الإثم يا (أَهْلَ الْبَيْتِ) أي نساء النبي ﷺ (وَيُطَهِّرَكُمْ) منه (تَطْهِيرًا)

(مفعولاً) (١) .

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾
 ٣٨ - (مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فَرَضَ) أحل (الله له سنة الله) أي كسنة الله فنصب بنوع الخافض (في الذين خلوا من قبل) من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح (وكان أمر الله) فعله (قدراً مقدوراً) مقضياً

﴿الَّذِينَ يُلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشُونَ وَلَا يَخْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]
 ٣٩ - (الذين) نعت للذين قبله (يبلغون) رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله) فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم (وكفى بالله حسيباً) حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾
 ٤٠ - (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) فليس أباً زيد أي والده فلا يحرم عليه التزوج بزوجه زينب (ولكن) كان (رسول الله وخاتم النبيين) فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبياً وفي قراءة بفتح التاء كآلة الختم أي به ختموا (وكان

(١) أسباب نزول الآية ٣٧: أخرج البخاري عن أنس أن هذه الآية «وتخفي في نفسك ما الله مبديه» نزلت في زينب بنت جحش وزيد بن حارثة.
 * وأخرج الحاكم عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو إلى رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش فقال النبي ﷺ: «أمسك عليك أهلك» فنزلت: «وتخفي في نفسك ما الله مبديه».

* وأخرج مسلم وأحمد والنسائي قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ: «لزيد: اذهب فاذكرها علي» فانطلق فأخبرها فقالت: «ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدنا ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن، قال: ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله ﷺ أطعمنا عليها الحبز واللحم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه ثم أخبرته أن القوم قد خرجوا فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقي الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به «لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم» الآية.

لظنهما قبل أن النبي ﷺ خطبها لنفسه ثم رضياً للآية (ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) بينا فزوجها النبي ﷺ لزيد ثم وقع بصره عليها بعد حين فوقع في نفسه حبها وفي نفس زيد كراهتها ثم قال للنبي ﷺ أريد فراقها فقال أمسك عليك زوجك كما قال تعالى (١) .

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ نِكَاحَ وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]

٣٧ - (وإذ) منصوب باذکر (تقول للذي أنعم الله عليه) بالإسلام (وأنعمت عليه) بالإعتاق وهو زيد بن حارثة كان من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبناه (أمسك عليك زوجك واتق الله) في أمر طلاقها (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) مظهره من محبتها وأن لو فارقتها زيد تزوجها (وتخشى الناس) أن يقولوا تزوج زوجة ابنه (والله أحق أن تخشاه) في كل شيء وتزوجها ولا عليك من قول الناس ثم طلقها زيد وانقضت عدتها قال تعالى (فلما قضى زيد منها وطراً) حجة (زوّجناكها) فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن وأشبع المسلمين خبزاً ولحمًا (لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهنّ وطراً) وكان أمر الله مقضيه

(١) أسباب نزول الآية ٣٦: أخرج الطبراني بسند صحيح عن قتادة قال: خطب النبي ﷺ زينب وهو يريد بها لزيد فظنت أنه يريد بها لنفسه فلما علمت أنه يريد بها لزيد أبت فأنزل الله: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة» الآية. فرضيت وسلمت. وأخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منه وقالت: «أنا خير منه حسباً فأنزل الله: «وما كان لمؤمن» الآية كلها.

* وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس مثله.
 * وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد قال: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت أول امرأة هاجرت من النساء فوهبت نفسها للنبي ﷺ فزوجها زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها قالوا: «إنا أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده، فنزلت.

﴿وَلَا تُطِيعُ الْكٰفِرِيْنَ وَالْمُنٰفِقِيْنَ وَدَعَّ اٰذَنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ وَكَفَى بِاللّٰهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٨]

٤٨ - (ولا تطيع الكافرين والمنافقين) فيما يخالف شريعتك (ودع) اترك (أذاهم) لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر (وتوكل على الله) فهو كافيك (وكفى بالله وكيلاً) مفوضاً إليه

﴿يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنٰتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَمْسُوْهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْنَهُنَّ مِنْ عِدْوَةٍ تَعْتَدُوْنَهَا فَمَتَّعُوْهُنَّ وَسِرَّحُوْهُنَّ سَرَاحًا جَمِيْلًا﴾

٤٩ - (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) وفي قراءة تماسوهن أي تجمعهن (فما لكم عليهن من عداة تعتدونها) تحصونها بالأقراء وغيرها (فمتعهن) أعطوهن ما يستمتعن به أي إن لم يسم لهن أصدقة وإلا فلهن نصف المسمى فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعي (وسرحوهن سراحاً جميلاً) خلوا سيبلهن من غير إضرار

﴿يٰٓاَيُّهَا النَّبِيُّ اِنَّا اَحْلَلْنَا لَكَ اَزْوَاجَكَ الَّتِيْ ءَاتَيْتَ اُجُوْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِيْنُكَ مِمَّا اَفَاءَ اللّٰهُ عَلَيْكَ وَبَنٰتِ عَمِيْكَ وَبَنٰتِ عَمَّتِكَ وَبَنٰتِ خَالَكَ وَبَنٰتِ خَالَتِكَ الَّتِيْ هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَاةٌ مُّؤْمِنَةٌ اِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ اِنْ اَرَادَ النَّبِيُّ اَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيْ اَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ اَيْمٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُوْنَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَّكَانَ اللّٰهُ عَفُوْرًا رَّحِيْمًا﴾

٥٠ - (يا أيها النبي إنا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) مهورهن (وما ملكت يمينك) مما أفاء الله عليك) من الكفار بالسبي كصفيه

الله بكل شيء عليم) منه بأن لا نبي بعده وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته (١).

﴿يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اذْكُرُوْا اللّٰهَ ذِكْرًا كَثِيْرًا﴾

٤١ - (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً)

﴿وَسَبِّحُوْهُ بُكْرَةً وَّاٰصِيْلًا﴾ [الأحزاب: ٤٢]

٤٢ - (وسبحوه بكرة وأصيلاً) أول النهار وآخره ﴿هُوَ الَّذِيْ يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهٗ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ وَّكَانَ بِالْمُؤْمِنِيْنَ رَحِيْمًا﴾

٤٣ - (هو الذي يصلي عليكم) أي يرحمكم (وملائكته) أي يستغفرون لكم (ليخرجكم) ليديم إخراجهم إياكم (من الظلمات) أي الكفر (إلى النور) أي الإيمان (وكان بالمؤمنين رحيماً) (٢).

﴿يَجِيْتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلٰمٌ وَّاعَدَّ لَهُمْ اَجْرًا كَرِيْمًا﴾

٤٤ - (تجيئهم) منه تعالى (يوم يلقونه سلام) بلسان الملائكة (وعدّ لهم أجراً كريماً)

﴿يٰٓاَيُّهَا النَّبِيُّ اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَّمُبَشِّرًا وَّنَذِيْرًا﴾

٤٥ - (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً) على من أرسلت إليهم (ومبشراً) من صدقك بالجنة (ونذيراً) منذراً من كذبك بالنار

﴿وَدَاعِيًا اِلَى اللّٰهِ بِاِذْنِهِ وَّسِرًّا مُّبِيْرًا﴾

٤٦ - (وداعياً إلى الله) إلى طاعته (بإذنه) بأمره (وسراً مبيراً) أي مثله في الاهتداء به

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ بِاَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللّٰهِ فَضْلًا كَثِيْرًا﴾

٤٧ - (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كثيراً) هو الجنة (٣).

ذنبك وما تأخره) قال رجال من المؤمنين: هنيئاً لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله: «ليدخل المؤمن والمؤمنات جنات» الآية وأنزل في سورة الأحزاب: «وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً».

* وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن الربيع بن أنس قال: لما نزلت: «وما أدري ما يفعل بي ولا بكم» نزل بعدها: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» فقالوا: يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك فما يفعل بنا؟ فنزل: «وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً». قال الفضل الكبير: الجنة.

(١) أسباب نزول الآية ٤٠: وأخرج الترمذي عن عائشة قالت: لما تزوج النبي ﷺ زينب قالوا: تزوج حليلة ابنه، فأنزل الله: «ما كان محمد أباً أحد من رجالكم» الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ٤٣: أخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال: لما نزلت «إن الله وملائكته يصلون على النبي» قال أبو بكر: يا رسول الله ما أنزل الله عليك خيراً إلا أشركنا فيه فنزلت: «هو الذي يصلي عليكم وملائكته».

(٣) أسباب نزول الآية ٤٧: أخرج ابن جرير عن عكرمة والحسن البصري قالوا: لما نزلت: «ليغفر لك الله ما تقدم من

طلبها وضمها إليك خير في ذلك بعد أن كان القسم واجبا عليه (ذَلِكَ) التخيير (أَذْنِي) أقرب إلى (أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنُهُمْ وَلَا يَخْرُجَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ) مما ذكر المخير فيه (كُلُّهُنَّ) تأكيد للفاعل في يرضين (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) من أمر النساء والميل إلى بعضهن وإنما خيرناك فيهن تيسيرا عليك في كل ما أردت (وَكَانَ اللَّهُ غَلِيماً) بخلقه (حَلِيماً) عن عقابهم (١).

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الاحزاب: ٥٢]

٥٢ - (لا يحل) بالبياء والتاء (لك النساء) من بعد) بعد التسع التي اخترتك (ولا أن تبدل) بترك إحدى النساء في الأصل (بهن من أزواج) بأن تطلقهن أو بعضهن وتنكح بدل من طلقتهن (ولو أعجبتك حسنتهن) إلا ما ملكت يمينك) من الإماء فتحل لك وقد ملك صلى الله عليه وسلم بعدهن مارية وولدت له إبراهيم ومات في حياته (وكان الله على كل شيء رقيباً) حفيظاً (٢).

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَبْرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِينِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْغَنِيِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زَوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أُولَٰئِكَ لَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزِيزًا حَلِيمًا﴾

(١) أسباب نزول الآية ٥١: أخرج الشيخان عن عائشة أنها كانت تقول: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها؟ فأنزل الله: (ترجي من تشاء) الآية. فقالت عائشة: أرى ربك يسارع لك في هواك.

* وأخرج ابن سعد عن أبي رزين قال: هم رسول الله ﷺ أن يطلق من نسائه فلما رأى ذلك جعله في حل من أنفسهن يؤثر من يشاء على من يشاء فأنزل الله: (إنا أحلنا لك أزواجك) إلى قوله: (ترجي من تشاء) الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ٥٢: أخرج ابن سعد عن عكرمة قال: خير رسول الله ﷺ أزواجه فاخترن الله ورسوله فأنزل الله: (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج).

وجورية (وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ) بخلاف من لم يهاجرن (وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَنْتَكِحَهَا) يطلب نكاحها بغير صداق (خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) النكاح بلفظ الهبة من غير صداق (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ) أي المؤمنين (فِي أَزْوَاجِهِمْ) من الأحكام بأن لا يزيدوا على أربع نسوة ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر (وَفِي) (مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) من الإماء بشراء وغيره بأن تكون الأمة ممن تحل لمالكها كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنية وأن تستبرئ قبل الوطء (لِكَيْلَا) متعلق بما قبل ذلك (يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ) ضيق في النكاح (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) فيما يعسر التحرز عنه (رُحِيمًا) بالتوسعة في ذلك (١).

﴿تُرْجَىٰ مِنْ نِسَاءِ مَنْهِنَّ وَقَوِيَّ إِلَيْكَ مِنْ نِسَاءِ مَنْ أَبْنَيْتَ مِنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْفًا أَنْ تَقْرَأَ آيَاتَهُنَّ وَلَا يَخْرُجَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَلِيماً حَلِيمًا﴾

٥١ - (ترجي) بالهمزة والياء بدله تؤخر (من نساء منهن) أي أزواجك عن نوبتها (وتؤوي) تضم (إليك من نساء) منهن فتأتيها (ومن ابتغيت) طلبت (ممن عزلت) من القسمة (فلا جناح عليك) في

(١) أسباب نزول الآية ٥٠: أخرج الترمذي وحسنه والحاكم وضححه من طريق الشدي عن أبي صالح عن ابن عباس عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني فأنزل الله: (إنا أحلنا لك) إلى قوله: (اللاتي هاجرن معك) فلم أكن أحل له لأنني لم أهاجر. * وأخرج ابن أبي حاتم من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عن أم هانئ قالت: نزلت في هذه الآية «وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك» أراد النبي ﷺ أن يتزوجني فنهى عني إذ لم أهاجر.

* قوله تعالى: «وامرأة مؤمنة» الآية. أخرج ابن سعد عن عكرمة في قوله: «وامرأة مؤمنة» الآية. قال: نزلت في أم شريك الدوسية.

* وأخرج ابن سعد عن منير بن عبد الله الدؤلي أن أم شريك غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية عرضت نفسها على النبي ﷺ وكانت جميلة فقبلها فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك: فأنا تلك، فسامها الله مؤمنة فقال: «وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي» فلما نزلت الآية قالت عائشة: إن الله يسرع لك في هواك.

﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٤]

٥٤ - (إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ) مِنْ نِكَاحِهِنَّ بَعْدَهُ (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) فَيَجْازِيكُمْ عَلَيْهِ
﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَيْنَ اللَّهُ إِلَيْكَ كَلِمَاتٍ عَلَى كُلِّ مَقْصِدٍ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: ٥٥]

٥٥ - (لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) مِنْ الْأُمَّةِ وَالْعَبِيدِ أَنْ يَرُوهُنَّ وَيَكْلُمُوهُنَّ مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ (وَآتَيْنَ اللَّهُ) فِيمَا أَمَرْتَنَ بِهِ (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

يعرف ذلك في وجه رسول الله ﷺ ولا يبسط يده إلى الطعام استحياء منهم فعوتبوا في ذلك فأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ﷺ الآية.

* قوله تعالى: «وَمَا كَانَ لَكُمْ» الآية.
* أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: بلغ النبي ﷺ أن رجلاً يقول: لو قد توفي النبي ﷺ تزوجت فلانة من بعده فنزلت: «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ﷺ الآية.
* وأخرج عن ابن عباس قال: نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي ﷺ بعده، قال سفيان: ذكروا أنها عائشة.
* وأخرج عن الشدي قال: بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أيجبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا لمن حدث به حدث لتزوجن نساءه من بعده فأنزلت هذه الآية.

* وأخرج ابن سعد عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: نزلت في طلحة بن عبيد الله لأنه قال: إذا توفي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة.

* وأخرج جوير عن ابن عباس أن رجلاً أتى بعض أزواج النبي ﷺ فكلما وهو ابن عمها فقال النبي ﷺ: «لا تقومن هذا المقام بعد يومك هذا» فقال: يا رسول الله إنها ابنة عمي والله ما قلت لها منكرًا ولا قالت لي قال النبي ﷺ: «قد عرفت ذلك أنه ليس أحد أغبر من الله وأنه ليس أحد أغبر مني» فمضى ثم قال: بمنعني من كلام ابنة عمي لأتزوجها من بعده، فأنزل الله هذه الآية قال ابن عباس: فاعتق ذلك الرجل رقبة وحمل على عشرة أبعرة في سبيل الله وحج ماشياً توبة من كلمته.

٥٣ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) فِي الدَّخُولِ بِالدَّعَاءِ (إِلَى طَعَامٍ) فَتَدْخُلُوا (عَزِيزٌ نَاطِرِينَ) مُنْتَظِرِينَ (إِنَاءً) نَضِجَةً مُصَدَّرَةً أَنِّي يَأْتِي (وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا) تَمَكِّثُوا (مُسْتَنْبِسِينَ لِحَدِيثٍ) مِنْ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ (إِنَّ ذَلِكَ) الْمَكْثُ (كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ) أَنْ يَخْرُجَكُمْ (وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) أَنْ يَخْرُجَكُمْ أَيْ لَا يَتْرِكُ بَيَانَهُ وَقُرَىءَ يَسْتَحْيِي بِيَاءٍ وَاحِدَةً (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا) أَيْ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ (فَأَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) سِتْرٍ (ذَلِكَمُ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) مِنَ الْخَوَاطِرِ الْمَرِيئَةِ (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ) بِشَيْءٍ (وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا) إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ ذَنْبًا عَظِيمًا^(١).

(١) أسباب نزول الآية ٥٣: تقدم حديث عمر في سورة البقرة. وأخرج الشيخان عن أنس قال: لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام وقعد ثلاثة ثم انطلقوا فجمحت فأخبرت النبي ﷺ أنهم انطلقوا فجاء حتى دخل وذمبت أدخل فآلقي الحجاب بيني وبينه وأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ﷺ إلى قوله: «إن ذلكم كان عند الله عظيماً».

* وأخرج الترمذي وحسنه عن أنس قال: كنت مع رسول الله ﷺ فأتى باب امرأة عرس بها فإذا عندها قوم فانطلق ثم رجع وقد خرجوا فدخل فأرخص بيني وبينه سترًا فذكرته لأبي طلحة فقال: لمن كان كما تقول لينزل في هذا شيء فنزلت آية الحجاب.

* وأخرج الطبراني بسند صحيح عن عائشة قالت: كنت أكل مع النبي ﷺ في قعبٍ فمرَّ عمر فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعي فقال: أوه لو أطاع فيكن ما رآك عينا فنزلت آية الحجاب.

* وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: دخل رجل على النبي ﷺ فأطال الجلوس فخرج النبي ﷺ ثلاث مرات ليخرج فلم يفعل فدخل عمر فرأى الكراهية في وجهه فقال للرجل: لعلك أذيت النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «لقد قمت ثلاثاً لكي يتبعني فلم يفعل» فقال له عمر: يا رسول الله، لو اتخذت حجاباً فإن نساءك لسن كسائر النساء وذلك أظهر لقلوبهن فنزلت آية الحجاب.

* قال الحافظ ابن حجر: يمكن الجمع بأن ذلك وقع قبل قصة زينب فلقره منها أطلق نزول آية الحجاب بهذا السبب ولا مانع من تعدد الأسباب.

* وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا نهض إلى بيته بادروه فأخذوا المجالس فلا

﴿لَيْنَ لَم يَنْتَهِ الْمُتَنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَعُغْرَتِكَ بِهِمْ يُنَزَّلُ لَمْ يَجَاوِرُونَكَ
فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠]

٦٠ - (لَيْن) لام قسم (لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَنَافِقُونَ) عن
نفاقهم (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) بالزنا
(وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) المؤمنين بقولهم قد أتاكم
العدو وسراياكم قتلوا أو هزموا (لنعغرتك بهم)
لنسلطنك عليهم (لَمْ يَجَاوِرُونَكَ) يساكنونك
(فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا)

﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَفْتَنُوا آخِذُوا وَتَوَلَّوْا تَقْبِيلًا﴾

٦١ - ثم يخرجون (مَلْعُونِينَ) مبعدين عن
الرحمة (أَيْنَمَا تَفْتَنُوا) وجدوا (آخِذُوا وَتَوَلَّوْا تَقْبِيلًا)
أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَدَ
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]

٦٢ - (سُنَّةَ اللَّهِ) أي سن الله ذلك (فِي الَّذِينَ
خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) من الأمم الماضية في منافقهم
المرجفين المؤمنين (وَلَنْ يَجْعَدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) منه

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا
يُبْدِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]

٦٣ - (يَسْأَلُكَ النَّاسُ) أي أهل مكة (عَنِ
السَّاعَةِ) متى تكون (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ)
وما يُبْدِيكَ) يعلمك بها؟ أي أنت لا تعلمها (لَعَلَّ
السَّاعَةَ تَكُونُ) توجد (قَرِيبًا) .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾

قال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين
قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي وانه ليعتشى
وفي يده عرق فدخلت فقالت: يا رسول الله إني خرجت
لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا قالت: فأوحى الله إليه
ثم رُفِعَ عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال: إنه قد أذن لكُ
أن تخرجي لحاجتكُ.

* وأخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي مالك قال: كان
نساء النبي ﷺ يخرجن بالليل لحاجتهن وكان أناس من
المنافقين يتعرضون لهن فيؤذنين، فشكوا ذلك فقيل ذلك
للمنافقين فقالوا: إنما فعله بالإماء فنزلت هذه الآية: «يا أيها
النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من
جلايبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذنين».

* ثم أخرج نحوه عن الحسن ومحمد بن كعب القرظي.

٥٦ - (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ)
محمد ﷺ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا) أي قولوا اللهم صل على محمد وسلم

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]

٥٧ - (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) وهم
الكفار يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد
والشريك ويكذبون رسوله (لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ) أبعدهم (وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) ذا إهانة
وهو النار (١).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ

مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾

٥٨ - (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ
مَا اكْتَسَبُوا) يرمونهم بغير ما عملوا (فَقَدِ احْتَمَلُوا
بُهْتَانًا) تحملوا كذبا (وَإِثْمًا مُّبِينًا) بينا

﴿بَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ

يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ آدَقُّ أَنْ يَعْزِفَنَّ فَلَ
يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]

٥٩ - (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ
وِنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ) جمع
جلايب وهي الملاعة التي تشتمل بها المرأة أي
يرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن إلا
عينا واحدة (ذَلِكَ آدَقُّ) أقرب إلى (أَنْ يَعْزِفَنَّ)
بأنهن حرائر (فَلَ يُؤْذِنَنَّ) بالتعرض لهن بخلاف
الإماء فلا يغطين وجوههن فكان المنافقون
يتعرضون لهن (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لما سلف منهن
من ترك الستر (رَحِيمًا) بهن إذ سترهن (٢) .

(١) أسباب نزول الآية ٥٧: أخرج ابن أبي حاتم من طريق
العوفي عن ابن عباس في قوله: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»
الآية قال: نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ حين اتخذ
صفية بنت حيي.

* وقال جوير عن الضحاك عن ابن عباس: أنزلت في
عبد الله بن أبيي وأناس معه قذفوا عائشة فخطب النبي ﷺ
وقال: من يعذرني من رجل يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني
فنزلت.

(٢) أسباب نزول الآية ٥٩: وأخرج البخاري عن عائشة
قالت: خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها -
وكانت امرأة جسيمة لا تخفي على من يعرفها - فرأها عمر

٦٤- (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ) أبعدهم (وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) نارا شديدة يدخلونها
﴿خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾

٦٥- (خَالِدِينَ) مقدرًا خلودهم (فيها أبداً) لا يجدون ولياً يحفظهم عنها (ولا نصيراً) يدفعهم عنهم.

﴿يَوْمَ تَقُفُّ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: ٦٦]

٦٦- (يَوْمَ تَقُفُّ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَلنتيبه (لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَصَلْنَا سَبِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٧]

٦٧- (وقالوا) أي الأتباع منهم (ربنا) إنا أطعنا ساداتنا) وفي قراءة ساداتنا جمع الجمع (وكبراءنا) فاضلونا السبيلاً) طريق الهدى
﴿رَبَّنَا آتِنَاهُمْ مِمَّا ضَعُفْتَنَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَمَ لَنَا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٨]

٦٨- (رَبَّنَا آتِنَاهُمْ مِمَّا ضَعُفْتَنَ مِنَ الْعَذَابِ) أي مثلى عذابنا (والعنة) عذبهم (لعنا كبيراً) عدده (وفي) كبيراً) قراءة بالموحدة أي عظيماً
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾

٦٩- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا) مع نبيكم (كالذين آذوا موسى) يقولهم مثلاً ما يمنعه أن يغتسل إلا أنه آدر (فبراهه الله) مما قالوا) بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل ففر الحجر به حتى وقف بين ملاً من بني إسرائيل فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به فأروه ولا أدرة به وهي نفخة في الخصية (وكان عند الله وجيهاً) ذا جاه ومما أودي به نبينا ﷺ أنه قسم قسماً فقال رجل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى فغضب النبي ﷺ من ذلك وقال يرحم الله موسى لقد أودي بأكثر من هذا

فصبر رواه البخاري

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾
٧٠- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا

سديداً) صواباً.

﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]

٧١- (يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) يتقبلها (ويغفر) لكم ذنوبكم (ومن يطيع الله) ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) نال غاية مطلوبة

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]

٧٢- (إنا عرضنا الأمانة) الصلوات وغيرها (مما في فعلها) من الثواب وتركها من العقاب (على السموات والأرض والجبال) بأن خلق فيها فهما ونطقاً (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) خفن (منها) وحملها الإنسان) آدم بعد عرضها عليه (إنه كان ظلوماً) لنفسه بما حمله (جهولاً) به

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٣]

٧٣- (ليعذب الله) اللام متعلقة بعرضنا المترتب عليه حمل آدم (المنافقين والمنافقات) والمشركين والمشركات) المضيعين الأمانة (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) المؤدين الأمانة (وكان الله غفوراً) للمؤمنين (رحيماً) بهم

٣٤ سورة سبا مكية

إلا آية ﴿ويرى الذين أتوا العلم﴾ الآية [٦]
فمدنية،

وآياتها ٥٤ أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ
الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبا: ١]

١ (الْحَمْدُ لِلَّهِ) حمد تعالى نفسه بذلك والمراد به الثناء بضمونه من ثبوت الحمد وهو الوصف بالجميل لله تعالى (الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقا (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ) كالدينيا يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة (وَهُوَ الْحَكِيمُ) في فعله (الْخَبِيرُ) بخلقه

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ
السَّمَاءِ وَمَا يَرْسُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾

٢ (يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ) يدخل (فِي الْأَرْضِ) كماء وغيره (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) كنبات وغيره (وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) من رزق وغيره (وَمَا يَرْسُجُ) يصعد (فِيهَا) من عمل وغيره (وَهُوَ الرَّحِيمُ) بأوليائه (الْغَفُورُ) لهم

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي
لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلَّةٌ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي
السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا
أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبا: ٣]

٣ (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ) القيامة (قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلَّةٌ الْغَيْبِ) بالجر صفة والرفع خبر مبتدأ «وعلام» بالجر (لَا يَعْزُبُ) يغيب (عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ) وزن (ذَرَّةٌ) أصغر نملة (فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) بين هو اللوح المحفوظ.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ
لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سبا: ٤]

٤ (لِيَجْزِيَ) فيها (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) حسن في الجنة.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مِن رَّجْزِ أَلِيمٍ﴾ [سبا: ٥]

٥ (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي) إبطال (آيَاتِنَا) القرآن (مُعْجِزِينَ) وفي قراءة هنا وفيما يأتي (معاجزين) أي مقدرين عجزنا أو مسابقين لنا فيفوتونا لظنهم أن لا بعث ولا عقاب (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ) سيء العذاب (الْأَلِيمِ) مؤلم بالجر والرفع صفة لرجز أو عذاب

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَرْشِ الْحَمِيدِ﴾

٦ (وَيَرَى) يعلم (الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ) مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أي القرآن (هُوَ) فصل (الْحَقُّ) ويهدي إلى صراط) طريق (الْعَرْشِ الْحَمِيدِ) أي الله ذي العزة المحمود.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُّرُ عَلَى رَجُلٍ يَبْتَئِثُكُمْ إِذَا
مُرَّفَعْتُمْ كُلُّ مِرْفَقٍ إِنَّكُمْ لَبِئَ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبا: ٧]

٧ (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي قال بعضهم على جهة التعجب لبعض (هَلْ نَدُكُّرُ عَلَى رَجُلٍ) هو محمد (يَبْتَئِثُكُمْ) يخبركم أنكم (إِذَا مُرَّفَعْتُمْ) قطعتم (كُلُّ مِرْفَقٍ) بمعنى تمزيق (إِنَّكُمْ لَبِئَ خَلْقٍ جَدِيدٍ)

﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [سبا: ٨]

٨ (أَفَتَرَى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل (عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) في ذلك (أَمْ بِهِ جِنَّةٌ) جنون تخيل به ذلك قال تعالى (بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) المشتملة على البعث والعذاب (فِي الْعَذَابِ) فيها (وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ) عن الحق في الدنيا

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نُغَيِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمُ
كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ

مُنِيبٍ﴾ [سبا: ٩]

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ
كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا
وَقِيلَ مِنْ عِبَادِيَ الشُّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]

١٣ ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ﴾ أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج (وَتَمَثِيلٍ) جمع تمثال وهو كل شيء مثلته بشيء أي صور من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن اتخاذ الصور حراما في شريعته (وَجَفَانٍ) جمع جفنة (كَالْجَوَابِ) جمع جابية وهو حوض كبير يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها (وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ) ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلام وقلنا (اعْمَلُوا) يا (آلِ) دَاوُدَ) بطاعة الله (شُكْرًا) له على ما آتاكم (وَقِيلَ) مِنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ) العامل بطاعتي شكرا لنعمتي.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ
أَلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ
كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾

١٤ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ على سليمان (الْمَوْتَ) أي مات ومكث قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة على عاداتها لا تشعر بموته حتى أكلت الأرضه عصاه فخر ميتا (مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ) مصدر أَرْضَتِ الخشبة بالبناء للمفعول أكلتها الأرضه (تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ) بالهمز وتركه بألف عصاه لأنها ينسأ يطرد ويزجر بها (فَلَمَّا خَرَّ) ميتا (تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ) انكشف لهم (أَنْ) مخففة أي أنهم (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ) ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان (مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) العمل الشاق لهم لظنهم حياته خلاف ظنهم علم الغيب وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته الأرضه من العصا بعد موته يوما وليلة مثلا.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ
وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُم بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ
وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]

١٥ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ بالصرف وعدمه قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب (فِي مَسْكِنِهِمْ)

٩ ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا (إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) ما فوقهم وما تحتهم (مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) إن تَشَأْ نُخِيفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمُ كِسَفًا) بسكون السين وفتحها قطعة (مِنْ السَّمَاءِ) وفي قراءة فِي الْأَفْعَالِ الثَّلَاثَةُ بِالْيَاءِ (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المرئي (لآيَةً لِكُلِّ عَبِيدٍ مُنِيبٍ) راجع إلى ربه تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُولَى مَعَهُ وَالطَّيْرُ
وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]

١٠ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ نبوة وكتابا وقلنا (يَا جِبَالُ أُولَى) رجعي (مَعَهُ) بالتسبيح (وَالطَّيْرُ) بالنصب عطفا على محل الجبال أي ودعوها تسبح معه (وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ) فكان في يده كالعجين.

﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِيحَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَلِيحًا
إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١١]

١١ وقلنا (أَنْ أَعْمَلَ) منه (سَابِغَاتٍ) دروعا كوامل يجرها لابسها على الأرض (وَقَدَّرَ) فِي السَّرْدِ) أي نسج الدرود قيل لصانعها سراد أي: اجعله بحيث تناسب حلقه (وَأَعْمَلُوا) أي آل داود معه (صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فأجازيكم به ﴿وَلِسَلِيمَانَ الرِّيحَ عُدُّوهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحَهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمَنْ آتَيْنَا مِنْ يَمِينٍ يَدِيهِ يَأْذِنُ رَيْبَهُ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢]

١٢ (و) سخرنا (لِسَلِيمَانَ الرِّيحَ) وقراءة الرفع بتقدير تسخير (عُدُّوَهَا) مسيرها من الغدوة بمعنى الصباح إلى الزوال (شَهْرٌ وَرَوَّاحَهَا) سيرها من الزوال إلى الغروب (شَهْرٌ) أي مسيرته (وَأَسَلْنَا) أذنا (لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) أي النحاس فأجريت ثلاثة أيام لباليهن كجري الماء وعمل الناس إلى اليوم مما أعطي سليمان (وَمَنْ آتَيْنَا مِنْ يَمِينٍ يَدِيهِ يَأْذِنُ) بأمر (رَيْبَهُ وَمَنْ يَزِغْ) يعدل (مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا) له بطاعته (نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) النار في الآخرة وقيل في الدنيا بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه.

متواصلة من اليمن إلى الشام (وَقَدَّرْنَا فِيهَا الشَّيْرَ) بحيث يقبلون في واحدة ويبيتون في أخرى إلى انتهاء سفرهم ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء أي وقلنا (سَيُورُوا فِيهَا لَيَالِيًا وَأَيَّامًا آمِنِينَ) لا تخافون في ليل ولا في نهار.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْزِقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩]

١٩ (فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ) وفي قراءة بُعد (بَيْنَ أَسْفَارِنَا) إلى الشام اجعلها مفاوز ليتناولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء فبطروا النعمة (وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالكفر (فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) لمن بعدهم في ذلك (وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْزِقٍ) فرقناهم في البلاد بكل التفريق (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لآيَاتٍ) عبرا (لِكُلِّ صَبَّارٍ) عن المعاصي (شَكُورٍ) على النعم

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠]

٢٠ (وَلَقَدْ صَدَّقَ) بالتخفيف والتشديد (عَلَيْهِمْ) أي الكفار منهم سبأ (إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) أنهم بإغوائه يتبعونه (فَاتَّبَعُوهُ) فصدق بالتخفيف في ظنه أي وجده صادقا (إِلَّا) بمعنى لكن (فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) للبيان أي هم المؤمنون لم يتبعوه

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢١]

٢١ (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ) تسليط منا (إِلَّا لِنَعْلَمَ) علم ظهور (مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ) فنجازي كلا منهما (وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) رقيب

﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنهُمْ مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]

٢٢ (قُلْ) يا محمد لكفار مكة (ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ) أي زعمتموهم آلهة (مِّن دُونِ اللَّهِ) أي غيره

باليمن (آيَةً) دالة على قدرة الله تعالى (جَتَّتَانِ) بدل (عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالِ) عن يمين واديهم وشماله، قيل لهم: (كُلُّوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ) على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ (بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ) ليس فيها سبأخ ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ولا قملة وإن مرَّ الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها (وَ) الله (رَبُّ) غَفُورٌ^(١).

﴿فَاعْرَضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَمِشْوَعٍ مِّن سِندْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦]

١٦ (فَاعْرَضُوا) عن شكره وكفروا (فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) جمع عرمة وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته أي سيل واديهم الممسوك بما ذكر فأغرق جنتيهم وأموالهم (وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي) تشية ذوات مفرد على الأصل (أَكْلِ خَمْطٍ) مر بشع بإضافة أكل بمعنى مأكول وتركها ويعطف عليه (وَأَثَلٍ وَمِشْوَعٍ) مِّن سِندْرٍ قَلِيلٍ

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾

١٧ (ذَلِكَ) التبديل (جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا) بكفرهم (وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ) بالياء والنون مع كسر الزاي ونصب الكفور أي ما يناقش إلا هو

﴿وَرَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَىٰ ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]

١٨ (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ) بين سبأ وهم باليمن (وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) بالماء والشجر وهي قري الشام التي يسيرون إليها للتجارة (قُرَىٰ ظَاهِرَةً)

٣٤- سورة سبا

(١) أسباب نزول الآية ١٥: أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن رباح قال: حدثني فلان أن فروة بن مسيك الغطفاني قدم على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله إن سبأ قوم كان لهم في الجاهلية عز، وإنني أخشى أن يردوا عن الإسلام أفأقاتلهم؟ فقال: «ما أمرت فيهم بشيء بعد» فأنزلت هذه الآية: «لقد كان لسبأ في مسكنهم» الآيات.

شريك له (بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ
(الْحَكِيمُ) فِي تَدْبِيرِهِ لَخَلْقِهِ فَلَا يَكُونُ لَهُ شَرِيكٌ فِي
مُلْكِهِ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]

٢٨ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً﴾ حال من الناس
قدم للاهتمام (اللَّاسِ بَشِيرًا) مبشرا للمؤمنين بالجنة
(وَنَذِيرًا) منذرا للكافرين بالعذاب (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ) أي كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
٢٩ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب (إِن
كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه ؟

﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَجِزُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا
تَسْتَفِيدُونَ﴾ [سبأ: ٣٠]

٣٠ ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْجِرُونَ عَنْهُ
سَاعَةً وَلَا تَسْتَفِيدُونَ﴾ عليه وهو يوم القيامة

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ
وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُوقُونَ
عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ
الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا
مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١]

٣١ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة (لَنْ
نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) أي تقدمه
كالتوراة والإنجيل الدالين على البعث لإنكارهم له
قال تعالى فيهم (وَلَوْ تَرَىٰ) يا محمد (إِذِ الظَّالِمُونَ)
الكافرون (مَوْفُوقُونَ) عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ
بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا الْإِتْبَاعَ (لِلَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا) الرُّؤَسَاءَ (لَوْلَا أَنْتُمْ) صددمونا عن
الإيمان (لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) بالنبي

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْخُنْ صَدَدْنَاكُمْ
عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾

٣٢ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا
أَنْخُنْ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾ ؟ لا
(بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ) فِي أَنْفُسِكُمْ.

لِيَنْفَعُوكُمْ بِزَعْمِكُمْ قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ (لَا يَغْلِبُوكُونَ
مِثْقَالَ) وَزَن (ذَرَّةً) مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ (فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ) شَرِكَةٌ
(وَمَا لَهُ) تَعَالَى (مِنْهُمْ) مِنَ الْإِلَهَةِ (مَنْ ظَهَرَ) مَعِينٌ
﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَدْرَكَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا
فُزِعَ عَنِ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]

٢٣ ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾ تعالى ردا لقولهم
إِن أَلْهَتَهُمْ تَشْفَعُ عِنْدَهُ (إِلَّا لِمَنْ أَدْرَكَ) بفتح الهمزة
وَضَمِّهَا (لَهُ) فِيهَا (حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ) بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ
وَالْمَفْعُولِ (عَنِ قُلُوبِهِمْ) كَشَفَ عَنْهَا الْفَرْعَ بِالْإِذْنَ
فِيهَا ؟ (قَالُوا) قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ اسْتِشَارًا (مَاذَا قَالَ
رَبُّكُمْ) فِيهَا (قَالُوا) الْقَوْلَ (الْحَقُّ) أَي قَدْ أَدْرَكَ فِيهَا
(وَهُوَ الْعَلِيُّ) فَوْقَ خَلْقِهِ بِالْقَهْرِ (الْكَبِيرُ) الْعَظِيمُ

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ
وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

٢٤ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ﴾ المطر
(وَالْأَرْضِ) النَّبَاتِ (قُلْ اللَّهُ) إِنْ لَمْ يَقُولُوهُ لَا جَوَابَ
غَيْرِهِ (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ) أَي أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ (لَعَلَىٰ هُدًى
أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بَيْنَ ، فِي الْإِبْهَامِ تَلَطَّفَ بِهِمْ
دَاعِيًا إِلَى الْإِيمَانِ إِذَا وَقَفُوا لَهُ

﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا
تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٥]

٢٥ ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ أذنبنا
(وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) لَأَنَا بَرِيهون مِنْكُمْ
﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ
الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦]

٢٦ ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ثُمَّ يَفْتَحُ)
يَحْكُمُ (بَيْنَنَا بِالْحَقِّ) فَيَدْخُلُ الْمُحَقِّقِينَ الْجَنَّةَ
وَالْمِطْلِينَ النَّارِ (وَهُوَ الْفَتْاحُ) الْحَاكِمُ (الْعَلِيمُ) بِمَا
يَحْكُمُ بِهِ

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحْفَتُّ بِهِمْ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ
اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سبأ: ٢٧]

٢٧ ﴿قُلْ أَرُونِي﴾ أَعْلَمُونِي (الَّذِينَ أَحْفَتُّ بِهِمْ
شُرَكَاءَ) فِي الْعِبَادَةِ (كَلَّا) رَدَعَ لَهُمْ عَنِ اعْتِقَادِ

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ يَوْسَعَهُ﴾ (لَمَنْ يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ) أي كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعِيفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]

٣٧ ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ﴾ قربي أي تقريبا (إلا) لكن (مَنْ آمَنَ) وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعِيفُ بِمَا عَمِلُوا أي جزاء العمل: الحسنة مثلا بعشر فأكثر (وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ) من الجنة (ءَامِنُونَ) من الموت وغيره وفي قراءة «الغرفة» بمعنى الجمع.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ﴾ [سبأ: ٣٨]

٣٨ ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بالإبطال (مُعْجِزِينَ) لنا مقدرين عجزنا وأنهم يفوتونا (أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ)

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَبِيرُ الرِّزْقِ﴾ [سبأ: ٣٩]

٣٩ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ يَوْسَعَهُ﴾ (لَمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه (لَهُ) بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاءه (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ) في الخير (فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَبِيرُ الرِّزْقِ) يقال كل إنسان يرزق عائلته أي يرزق الله.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِي إِنَّا كَرِهْنَا أَنْ يَسْبُطُوا إِلَهُكُمْ﴾ [سبأ: ٤٠]

٤٠ - (و) اذكر ﴿يَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي المشركين (ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِي إِنَّا كَرِهْنَا) بتحقيق الهمزتين وإبدال الأولى ياء وإسقاطها (كَانُوا يُعْبَدُونَ)

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبَدُونَ إِلَٰهَيْنَ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مَتُوتُونَ﴾ [سبأ: ٤١]

٤١ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عن الشريك

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣٣]

٣٣ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي مكر فيهما منكم بنا (إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا) شركاء (وَأَسْرُوا) أي الفريقان (النَّدَامَةَ) على ترك الإيمان به (لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) أي أخفاها كل عن رفيقه مخافة التعبير (وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا) في النار (هَلْ) ما (يُجْزَوْنَ إِلَّا) جزاء (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) في الدنيا

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤]

٣٤ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ رؤساؤها المتنعمون (إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) ^(١)

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥]

٣٥ ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ ممن آمن (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٣٦]

(١) أسباب نزول الآية ٣٤: وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق سفيان عن عاصم عن ابن رزين قال: كان رجلاً شريكاً خرج أحدهما إلى الشام وبقي الآخر فلما بعث النبي ﷺ كتب إلى صاحبه يسأله ما عمل؟ فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش إلا رذالة الناس ومساكينهم فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال: دلي عليه وكان يقرأ بعض الكتب فأتى النبي ﷺ فقال: إلام تدعو؟ فقال: «إلى كذا وكذا» فقال: أشهد أنك رسول الله فقال: «وما علمك بذلك؟» قال: إنه لم يعث نبي إلا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم فنزلت هذه الآية: «وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون» فأرسل إليه النبي ﷺ إن الله قد أنزل تصديق ما قلت.

٤٦ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ هي (أَنْ تَقْرُمُوا لله) أي لأجله (مَثْنِي) أي اثنين اثنين (وَفَرَادِي) واحدا واحدا (ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا) فتعلموا (مَا بِصَاحِبِكُمْ) محمد (مَنْ جِنَّةٍ) جنون (إِنْ) ما (هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ) أي قبل (عَذَابٍ شَدِيدٍ) في الآخرة إن عصيتموه

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ: ٤٧]

٤٧ ﴿قُلْ لِيهِمْ (مَا سَأَلْتُكُمْ) على الإنذار والتبليغ (مَنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ) أي لا أسألكم عليه أجرا (إِنْ أَجْرِيَ) ما ثوابي (إِلَّا عَلَى اللَّهِ) وهو على كل شيء شهيد﴾ مطلع يعلم صدقي

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَغْفِرْ بِالْحَقِّ عِلْمَ الْعُيُوبِ﴾ [سبأ: ٤٨]

٤٨ ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَغْفِرْ بِالْحَقِّ﴾ يلقيه إلى أنبيائه (عِلْمَ الْعُيُوبِ) ما غاب عن خلفه في السموات والأرض

﴿قُلْ جَاءَ الْمَلِكُ وَمَا يُدْعَى الْبَاطِلُ وَمَا يُعْبَدُ﴾

٤٩ ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ الْإِسْلَامَ (وَمَا يُجِدُّ الْبَاطِلُ) الكفر (وَمَا يُعْبَدُ) أي لم يبق له أثر

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّيَ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠]

٥٠ ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ عن الحق (فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي) أي إثم ضلالي عليها (وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّيَ) من القرآن والحكمة (إِنَّهُ سَمِيعٌ) للدعاء (قَرِيبٌ)

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١]

٥١ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد (إِذْ فَرَغُوا) عند البعث لرأيت أمرا عظيما (فَلَا قُوَّةَ) لهم منا أي لا يفوتونا (وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) أي القبور

﴿وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ وَأَنْتَ لَهُمُ الشَّاوِشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٢]

٥٢ ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ بمحمد أو القرآن (وَأَنْتَ لَهُمُ الشَّاوِشُ) بواو وبالهمزة بدلها أي تناول الإيمان

(أَنْتَ وَلِيَّتْنَا مِنْ دُونِهِمْ) أي لا مولاة بيننا وبينهم من جهتنا (بَلْ) للانتقال (كَأَنَّا يُعْبَدُونَ الْجِنَّ) الشياطين أي يطبعونهم في عبادتهم إيانا (أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ) مصدقون فيما يقولون لهم

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمَلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ﴾

٤٢ - قال تعالى (فَالْيَوْمَ لَا يَمَلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا) أي بعض المعبودين لبعض العابدين (نَفَعًا) شفاعة (وَلَا ضَرًّا) تعديبا (وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ)

﴿وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ مَائِثَاتٌ يَنْتَهِ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُ يَعْبُدُ ءَأَبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [سبأ: ٤٣]

٤٣ ﴿وَإِذَا نُفِّلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ القرآن (بَيِّنَاتٍ) واضحات بلسان نبينا محمد ﷺ (قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُ يَعْبُدُ ءَأَبَاؤُكُمْ) من الأصنام (قَالُوا مَا هَذَا) القرآن (إِلَّا إِفْكٌ) كذب (مُفْتَرَىٰ) على الله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ) القرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ) ما (هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) بين

﴿وَمَا ءَأَيِّنُّهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]

٤٤ - قال تعالى: (وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ) فمن أين كذبوك.

﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا وَعْشَارَ مَا ءَأَيِّنُّهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلًا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبأ: ٤٥]

٤٥ ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا﴾ أي هؤلاء (وَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ) من القوة وطول العمر وكثرة المال (فَكَذَّبُوا رُسُلِي) إليهم (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك؟ أي هو واقع موقعه.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقْرُمُوا لِلَّهِ مَثْنِي وَفَرَادِي ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦]

على أمره (الحكيم) في فعله

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نَعَمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣]

٣ (يَأْتِيهَا النَّاسُ) أي أهل مكة (أذْكَرُوا نَعَمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) بإسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم (هَلْ مِنْ خَلْقٍ) من زائدة وخالق مبتدأ (غَيْرِ اللَّهِ) بالرفع والجر نعت لخالق لفظاً ومحلاً وخبر المبتدأ (يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ) المطر (و) (من (الْأَرْضِ)) النبات ؟ والاستفهام للتقرير أي لا خالق رازق غيره (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ) من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق

﴿وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [فاطر: ٤]

٤ (وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ) يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب (فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ) في ذلك فاصبر كما صبروا (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) في الآخرة فيجازي المكذبين وينصر المرسلين

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَنُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَتُكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُودُ﴾ [فاطر: ٥]

٥ (يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا) بالبعث وغيره (حَقًّا فَلَا تَعْرَنُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) عن الإيمان بذلك (وَلَا يَفْرَتُكُمْ بِاللَّهِ) في حلمه وإمهاله (الْعُرُودُ) الشيطان

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]

٦ (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) بطاعة الله ولا تطيعوه (إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ) أتباعه في الكفر (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) النار الشديدة

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [فاطر: ٧]

٧ (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) هذا بيان لمواقفي الشيطان وما لمخالفيه

(مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) عن محله إذ هم في الآخرة ومحله الدنيا

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٣]

٥٣ (وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ) في الدنيا (وَيَقْدُونَ) يرمون (بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) أي بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث قالوا في النبي ساحر شاعر كاهن وفي القرآن سحر شعر كهانة

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِيْتِهِمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥٤]

٥٤ (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) من الإيمان أي قوله (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ) أشباههم في الكفر (مِنْ قَبْلِ) أي قبلهم (إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ) موقع في الريبة لهم فيما آمنوا به الآن ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا.

٣٥ سورة فاطر مكة

وآياتها ٤٥ خمس أو ست وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ زَبَدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنْ أَلَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١]

١ (الْحَمْدُ لِلَّهِ) حمد الله تعالى نفسه بذلك كما بين في أول سبأ (فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خالقهما على غير مثال سبق (جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ رُسُلًا) إلى الأنبياء (أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ زَبَدٍ) في الخلق (مَا يَشَاءُ إِنْ أَلَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

٢ (مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ) كرزق ومطر (فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ) من ذلك (فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) أي بعد إمساكه (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الغالب

إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ [فاطر: ١١]

١١ (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) بخلق أبيكم آدم منه (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) أي مني بخلق ذريته منها، (ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) ذكورا وإناثا (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِي) حال أي معلومة له (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ) أي ما يزداد في عمر طويل العمر (وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ) أي ذلك المعمر أو معمر آخر (إِلَّا فِي كِتَابٍ) هو اللوح المحفوظ (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) هين

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَهُ تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢]

١٢ (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ) شديد العذوبة (سَائِغٌ شْرَابُهُ) شرابه (وهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) شديد الملوحة (وَمِنْ كُلِّ) منهما (تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) هو السمك (وَتَسْتَخْرِجُونَ) من الملح وقيل منهما (حَبْلَهُ تَلْبَسُونَهَا) هي اللؤلؤ والمرجان (وَتَرَى الْفُلْكَ) السفن (فِيهِ) في كل منهما (مَوَازِرَ) تمخر الماء أي تشقه بجريها مقبله ومدبرة بريح واحدة (لِيَتَّبِعُوا) تطلبوا (مِنْ فَضْلِهِ) تعالى (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) الله على ذلك

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾

١٣ (يُولِجُ) يدخل الله (اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ) فيزيد (وَيُولِجُ النَّهَارَ) يدخله (فِي اللَّيْلِ) فيزيد (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا) منهما (يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) يوم القيامة (ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ) والذين (تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِهِ) أي غيره وهم الأصنام (مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) لفافة النواة

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَكُمْ وَلَا يُرِيبُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يَبْنِتُكَ مِثْلَ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبَ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]

٨ ونزل في أبي جهل وغيره (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) بالتمويه (فَرَآهُ حَسَنًا) من مبتدأ خبره كمن هداه الله ؟ لا، دل عليه (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) فلا تذهب نفسك عليهم (عليهم) المزين لهم (حَسْرَتٍ) باغتمامك أن لا يؤمنوا (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) فيجازيهم عليه (١).

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾

٩ (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ) وفي قراءة الريح (فَتُبِيرُ سَحَابًا) المضارع لحكاية الحال الماضية أي تزعجه (فُسْقَنَهُ) فيه التفات عن الغيبة (إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ) بالتشديد والتخفيف لا نبات بها (فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ) من البلد (بَعْدَ مَوْتِهَا) يبسها أبتنا به الزرع والكلأ (كَذَلِكَ النُّشُورُ) البعث والإحياء

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾

١٠ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ) فإله العزوة (جَمِيعًا) أي في الدنيا والآخرة فلا تنال منه إلا بطاعته فليطمعه (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) يعلمه وهو لا إله إلا الله ونحوها (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) يقبله (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ) المكرات (السَّيِّئَاتِ) بالنبي في دار الندوة من تقيده أو قتله أو إخراجة كما ذكر في الأنفال (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) ومكر أولئك هو يتور يهلك

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِي وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾

٣٥- سورة الملائكة (فاطر)

(١) أسباب نزول الآية ٨: أخرج جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية: حيث قال النبي ﷺ: واللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام، فهدى الله عمر وأضل أبا جهل فقيهما أنزلت.

﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الخُرُوءُ﴾ [فاطر: ٢١]

٢١ (ولا الظُّلُّ ولا الخُرُوءُ) الجنة والنار

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَاءُ وَلَا الْأُمْرَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ

وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]

٢٢ (وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَاءُ وَلَا الْأُمْرَاتُ)

المؤمنون والكافرون وزيادة «لا» في الثلاثة تأكيد (إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ) هدايته فيجيبه بالإيمان (وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ) أي الكفار شبههم بالموتى فلا يجيبون

﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣]

٢٣ (إِنَّ) ما (أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ) منذر لهم

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا

فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]

٢٤ (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ) بالهدى (بَشِيرًا) من

أجاب إليه (وَنَذِيرًا) من لم يجب إليه (وَإِن) ما (مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) سلف (فِيهَا نَذِيرٌ) نبي ينذرنا

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ

رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾

٢٥ (وَإِن يُكَذِّبُوكَ) أي أهل مكة (فَقَدْ كَذَّبَ

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات (وَبِالزُّبُرِ) كصحف إبراهيم (وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) هو التوراة والإنجيل فاصبر كما صبروا

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرٌ﴾

٢٦ (ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بتكذيبهم

(فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرٌ) إنكارى عليهم بالعقوبة (وَالْإِهْلَاكُ؟) أي هو واقع موقعه

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ

شَرَارَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيٌّ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧]

٢٧ (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَخْرَجْنَا) فيه التفات عن الغيبة (بِهِ شَرَارَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا) جمع جدة طريق في الجبل وغيرها (بَيضٌ

١٤ (إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْتَجِيبُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ

سَجَعُوا) فرضا (مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) ما أجابوكم (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ) بإشراككم إياهم مع الله أي يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياهم (وَلَا يُبْطِلُكَ) بأحوال الدارين (وَمِثْلَ خَبِيرٍ) عالم وهو الله تعالى

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ

الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]

١٥ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ) بكل

حال (وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) عن خلقه (الْحَمِيدُ) المحمود في صنعه بهم

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾

١٦ (إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ)

بدلكم

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: ١٧]

١٧ (وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) شديد

﴿وَلَا تَرَى وازِرَةً وَزِدْ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِيلِهَا

لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا نُذِرُ الَّذِينَ

يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَفَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ

فَأِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٨]

١٨ (وَلَا تَرَى وازِرَةً) نفس (وازرَةً) أمة أي لا تحمل

(وَزِدْ) نفس (أُخْرَى) وإن تَدْعُ (مُثْقَلَةٌ) نفس (مُثْقَلَةٌ) بالوزر

(إِلَىٰ جَمِيلِهَا) منه أحداً ليحمل بعضه (لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ) ولو كان (ذَا قُرْبَىٰ) قرابة كالأب

والأبن وعدم الحمل في الشقين حكم من الله (إِنَّمَا نُذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ) أي يخافونه وما

رأوه لأنهم المنتفعون بالإنذار (وَأَفَامُوا الصَّلَاةَ) أداموها (وَمَن تَزَكَّىٰ) تطهر من الشرك وغيره (فَأِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ) فصلاحه مختص به (وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) المرجع فيجازى بالعمل في الآخرة

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٩]

١٩ (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ) الكافر

والمؤمن

﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ [فاطر: ٢٠]

٢٠ (وَلَا الظُّلُمَاتُ) الكفر (وَلَا النُّورُ) الإيمان

بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾

٣٢ (ثُمَّ أَوْزَنَّا) أعطينا (الْكِتَابَ) القرآن (الَّذِينَ) اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) وهم أمتك (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) بالتقصير في العمل به (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) يعمل به أغلب الأوقات (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) يضم إلي العلم به التعليم والإرشاد إلى العمل به (بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته (ذَلِكَ) أي إبرائهم الكتاب (هُوَ) الْفَضْلُ الْكَبِيرُ

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣]

٣٣ (جَنَّاتٌ عَدْنٍ) إقامة (يَدْخُلُونَهَا) الثلاثة بالبناء للفاعل وللمفعول خير جنات المبتدأ (يُحَلَوْنَ) خير ثاب (فيها من) بعض (أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا) مرصع بالذهب (وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ)

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤]

٣٤. (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) جميعه (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ) للذنوب (شَكُورٌ) للطاعة

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥]

٣٥ (الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ) أي الإقامة (من) فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ) تعب (وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) إعياء من التعب لعدم التكليف فيها وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفيه (١).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [فاطر: ٣٦]

٣٦ (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ

(١) أسباب نزول الآية ٣٥: وأخرج البيهقي في البعث، وابن أبي حاتم من طريق نعيم بن الحارث عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله إن النوم مما يفر الله به أعيننا في الدنيا فهل في الجنة من نوم؟ قال: ألا إن النوم شريك الموت وليس في الجنة موتا قال: فما راحتهم؟ فأعظم ذلك رسول الله ﷺ وقال: «ليس فيها لغوب كل أمرهم راحة» فنزلت «لا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ».

وَحُنُوقٌ) وصف (مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا) بالشدة والضعف (وَعَرَابِيْبٌ شُوْدٌ) عطف على جدد أي سخور شديدة السواد يقال كثيرا أسود غريب وقليلا غريب أسود

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]

٢٨ (وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ) كاختلاف الشمار والجبال (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) بخلاف الجهال ككفار مكة (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ فِي مَلِكِهِ) (غَفُورٌ) لذنوب عباده المؤمنين

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]

٢٩ (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ) يقرأون (كِتَابَ اللَّهِ) وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) أداموها (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) زكاة وغيرها (يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ) تهلك

﴿لِيُؤْتِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠]

٣٠ (لِيُؤْتِيَهُمْ أُجُورَهُمْ) ثواب أعمالهم المذكورة (وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ) لذنوبهم (شَكُورٌ) لطاعتهم

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾

٣١ (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ) القرآن (هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) تقدمه من الكتب (إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) عالم بالباطن والظاهر

﴿ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ

(١) أسباب نزول الآية ٢٩: أخرج عبد الغني بن سعيد الثقفني في تفسيره عن ابن عباس أن حصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي نزلت فيه: «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ».

بَيِّنَةٍ حِجَّةٌ (مُنْتَهَى) بِأَنَّ لَهُمْ مَعِيَ شُرَكَاءَ؟ لَا شَيْءَ مِنْ ذَلِكَ (بَلْ إِنْ) مَا (يَعْبُدُ الظَّالِمُونَ) الْكَافِرُونَ (بِعِصْيَانِهِمْ بَعْضًا إِلَّا عُزُورًا) بَاطِلًا بِقَوْلِهِمْ الْأَصْنَامُ تَشْفَعُ لَهُمْ
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾

٤١ (إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ

تَزُولَا) يَمْنَعُهُمَا مِنَ الزُّوَالِ (وَلَئِنْ) لَمْ يَمْسُكْهُمَا (زَالَتَا) (إِنْ) مَا (أَمْسَكَهُمَا) يَمْسُكُهُمَا (مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) أَي سِوَاهُ (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) فِي تَأْخِيرِ عِقَابِ الْكَافِرِ

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾

٤٢ (وَأَقْسَمُوا) أَي كَفَرُوا مَكَّةَ (بِاللَّهِ) جَهْدَ

أَيْمَانِهِمْ) غَايَةَ اجْتِهَادِهِمْ فِيهَا (لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) رَسُولٌ (لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ) الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ أَي: أَي وَاحِدَةٍ مِنْهَا لَمَّا رَأَوْا مِنْ تَكْذِيبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا إِذْ (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ) وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ (عَلَى شَيْءٍ) (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) مُحَمَّدٌ ﷺ (مَا زَادَهُمْ) مَجِيئِهِ (إِلَّا نُفُورًا) تَبَاعُدًا عَنِ الْهُدَى

﴿اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَحْدِلَ أُنسُتِ اللَّهُ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾

٤٣ (اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ) عَنِ الْإِيمَانِ مَفْعُولٌ

لَهُ (وَمَكْرَ) الْعَمَلِ (السَّيِّئِ) مِنَ الشَّرِكِ وَغَيْرِهِ (وَلَا يَحِيقُ) يَحِيطُ (الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) وَهُوَ الْمَاكِرُ وَصِفَ الْمَكْرُ بِالسَّيِّئِ أَصْلٌ وَإِضَافَتُهُ إِلَيْهِ قَبْلَ اسْتِعْمَالِ آخِرِ قَدْرِ فِيهِ مِضَافٌ حَذْرًا مِنَ الْإِضَافَةِ إِلَى

(١) أسباب نزول الآية ٤٢: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن

أبي هلال أنه بلغه أن قريشاً كانت تقول: لو أن الله بعث منا نبياً ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالفها ولا أسمع لنبينا ولا أشد تمسكاً بكتابتها منا فانزل الله: «وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين» ولو أنا أنزل علينا الكتاب لكتبا أهدى منهم «وأقسموا بالله جهداً أيمانهم لئن جاءهم نذير ل يكونن أهدى من إحدى الأمم» وكانت اليهود تستفتح به على النصارى فيقولون: إنا نجد نبياً يخرج.

عَلَيْهِمْ) بِالْمَوْتِ (فَيَمُوتُونَ) يَسْتَرِيحُونَ (وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا) طَرَفَةٌ عَيْنٌ (كَذَلِكَ) كَمَا جَزَيْنَاهُمْ (نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ كَافِرًا بِالْبَيَاءِ وَالنُّونِ مَفْتُوحَةً مَعَ كَسْرِ الرَّيِّ وَنَسْبِ كُلِّ

﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقَاتٍ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾

٣٧ (وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا) يَسْتَعِيشُونَ بِشِدَّةِ وَعُوبِلٍ يَقُولُونَ (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا) مِنْهَا (نَعْمَلْ صَدَقَاتٍ) غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) فِيَقَالُ لَهُمْ (أَو لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا) وَقْتًا (يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ) وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ) الرَّسُولُ؟ فَمَا أَحْبَبْتُمْ (فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ) الْكَافِرِينَ (مِنْ نَصِيرٍ) يَدْفَعُ الْعَذَابَ عَنْهُمْ

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨]

٣٨ (إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بِمَا فِي الْقُلُوبِ فَعَلِمَهُ بِغَيْرِهِ أَوْلَى بِالنَّظَرِ إِلَى حَالِ النَّاسِ

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ فَتَنْ كَفَرَ فَمَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩]

٣٩ (هُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ)

جَمَعَ خَلِيفَةَ يَخْلُفُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا (فَمَنْ كَفَرَ) مِنْكُمْ (فَمَلَيْهِ كُفْرُهُ) أَي وَبِالْ كُفْرِهِ (وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا) غَضَبًا (وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا) لِلآخِرَةِ

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مَتَى بَلَّ إِِنْ يَدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠]

٤٠ (قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ)

تَعْبُدُونَ (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أَي غَيْرِهِ وَهُمْ الْأَصْنَامُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ اللَّهِ تَعَالَى (أَرُونِي) أَخْبِرُونِي (مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ) شَرِكَةٌ مَعَ اللَّهِ (فِي) خَلْقِ (السَّمَوَاتِ) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى

وبدع المعاني (١).

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٣]

٣ (إِنَّكَ) يا محمد (لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)

﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يس: ٤]

٤ (عَلَىٰ) متعلق بما قبله (صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) أي طريق الأنبياء قبلك التوحيد والهدى والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار له: (لست مرسلًا)

﴿تَنْزِيلَ الْغُرُورِ الرَّحِيمِ﴾ [يس: ٥]

٥ (تَنْزِيلَ الْغُرُورِ) في ملكه (الرَّحِيمِ) بخلقه خبر مبتدأ مقدر أي القرآن

﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاءَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾

٦ (لِنُنذِرَ) به (قَوْمًا) متعلق بتنزيل (مَّا أُنذِرَ آبَاءَهُمْ) أي لم يندروا في زمن الفترة (فَهُمْ) القوم (غَافِلُونَ) عن الإيمان والرشد

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَٰٓئِكَ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

٧ (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ) وجب (عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ) بالعذاب (فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) أي الأكثر

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ [يس: ٨]

٨ (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا) بأن تضم إليها الأيدي لأن الغل يجمع اليد إلى العنق (فَهِيَ) أي: الأيدي مجموعة (إِلَى الْأَذْقَانِ) جمع ذقن وهي مجتمع اللحيين (فَهُمْ مُّقْمَحُونَ) رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها وهذا تمثيل والمراد أنهم لا يدعون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له (٢).

٣٦- سورة يس

(١) أسباب نزول الآيات ١ - ٢: أخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في السجدة فيجهر بالقراءة حتى تأذي به ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم وإذا بهم عمي لا ييرون فجاجوا إلى النبي ﷺ فقالوا: نشدك الله والرحم يا محمد فدعا حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت: «يس والقرآن الحكيم» إلى قوله: «أم لم تنذروهم لا يؤمنون» قال: فلم يؤمن من ذلك نفر أحد.

(٢) أسباب نزول الآية ٨: وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن فأنزل

الصفة (فَهَلْ يَنْظُرُونَ) ينتظرون (إِلَّا سُنَّتَ الْأُولِينَ) سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) أي لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾

٤٤ (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) فاهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ) يسبقه ويفوته (مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا) بالأشياء كلها (قَدِيرًا) عليها

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾

٤٥ (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا) من المعاصي (مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا) أي الأرض (مِن دَابَّةٍ) نسمة تدب عليها (وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) أي: يوم القيامة (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا) فيجازيهم على أعمالهم بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين

٣٦ - سورة يس مكية

إِلَّا آيَةً ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا﴾ [يس: ٤٧] الآية إلى آخرها فمدنية،

وآياتها ٨٣ ثلاثة وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَس﴾ [يس: ١]

١ (يس) الله أعلم بمراده به

﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ [يس: ٢]

٢ (وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ) المحكم بعجيب النظم

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِشَاكٍ فَقَالُوا
إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤]

١٤ (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا) إلى آخره
بدل من إذ الأولى (فَعَزَّزْنَا) بالتخفيف والتشديد
قوينا الاثنين (بِشَاكٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ)

﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَمَا أَنْزَلْنَا الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ
إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا أَكْذَابُونَ﴾ [يس: ١٥]

١٥ (قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَمَا أَنْزَلْنَا
الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ) ما (أَنْتُمْ إِلَّا أَكْذَابُونَ)

﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦]

١٦ (قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ) جار مجرى القسم وزيد
التأكيد به وباللام على ما قبله لزيادة الإنكار في (إِنَّا
إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ)

﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ [يس: ١٧]

١٧ (وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ) التبليغ الظاهر
بالأدلة الواضحة وهي إبراء الأكمه والأبرص
والمرضى وإحياء الميت

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ نَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ
وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يس: ١٨]

١٨ (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) تشاءمنا (بِكُمْ) لانقطاع
المطر عنا بسببكم (لَئِن لَّمْ نَنتَهُوا) لم تنتهوا
لَنَرْجُمَنَّكُمْ) بالحجارة (وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)
مؤلم

﴿قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ دُكْرُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ
مُشْرِقُونَ﴾ [يس: ١٩]

١٩ (قَالُوا طَائِفُكُمْ) شؤمكم (مَعَكُمْ) بكفركم
(أَيْنَ) همزة استفهام دخلت على أن الشرطية وفي
همزتها التحقيق والتسهيل وإدخال ألف بينها
بوجهيها وبين الأخرى (دُكْرُكُمْ) وعظمت وخوفتم ؟
وجواب الشرط محذوف أي تطيرتم وكفرتم وهو
محل الاستفهام والمراد به التوبيخ (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ
مُشْرِقُونَ) متجاوزون الحد بشركم

﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَاكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ﴾ [يس: ٢٠]

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا
فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]

٩ (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ
سَدًّا) بفتح السين وضمها في الموضوعين
(فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) تمثيل أيضا لسد
طريق الإيمان عليهم
﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

١٠ (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ) بتحقيق الهمزتين
وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين
المسهلة والأخرى وتركه (أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)
﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ
فَتَبَّرَهُ يَمَغْفِرْهُ وَاجْرِ كَرِيمٌ﴾ [يس: ١١]

١١ (إِنَّمَا تُنذِرُ) ينفع إنذارك (مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ)
القرآن (وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ) خافه ولم يره
(فَتَبَّرَهُ يَمَغْفِرْهُ وَاجْرِ كَرِيمٌ) هو الجنة

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ
وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]

١٢ (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى) للبعث (وَنَكْتُبُ)
في اللوح المحفوظ (مَا قَدَّمُوا) في حياتهم من خير
وشر ليجازوا عليه (وَآثَرَهُمْ) ما استن به بعدهم
(وَكُلُّ شَيْءٍ) نصبه بفعل يفسره (أَحْصَيْنَاهُ) ضبطناه
(فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) كتاب بين هو اللوح المحفوظ (١)
﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾

١٣ (وَاضْرِبْ) اجعل (لَهُمْ مَّثَلًا) مفعول
أول (أَصْحَابَ) مفعول ثان (الْقَرْيَةِ) أنطاكية (إِذْ)
جاءها إلى آخره بدل اشتمال من أصحاب القرية
(الْمُرْسَلُونَ) أي رسل عيسى

الله: «إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا» إلى قوله: «لا يبصرون»
فكانوا يقولون: هذا محمد فيقول: أين هو؟ أين هو؟ ولا
يبصرون.

(١) أسباب نزول الآية ١٢: وأخرج الترمذي وحسنه
والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري قال: كانت بنو
سلمة في ناحية المدينة فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد فنزلت
هذه الآية: «إنا نحن نحى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم»
فقال النبي ﷺ: «إن آثاركم تكتب فلا تتفلأوا».

* وأخرج الطبراني عن ابن عباس مثله.

﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ [يس: ٢٨]

٢٨ (وما) نافية (أُنزِلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ) أي قوم حبيب (من بَعْدِهِ) بعد موته (من جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ) أي ملائكة لإهلاكهم (وما كُنَّا مُنْزِلِينَ) ملائكة لإهلاك أحد

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [٢٩]
٢٩ (إن) ما (كَانَتْ) عقوبتهم (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) صاح بهم جبريل (فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) ساكنون ميتون

﴿يَحْشُرَةٌ عَلَىٰ الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس: ٣٠]

٣٠ (يا حَشْرَةٌ عَلَىٰ الْعِبَادِ) هؤلاء ونحوهم ممن كذب الرسل فأهلكوا وهي شدة التألم ونداؤها مجاز أي هذا أوانك فاحضري (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) مسوق لبيان سببها لاشتماله على استهزائهم المؤدي إلى إهلاكهم المسبب عنه الحسرة

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١]

٣١ (أَلَمْ يَرَوْا) أهل مكة القائلون للنبي «لست مرسلًا» والاستفهام للتقرير أي اعلموا (كَمْ) خبرية بمعنى كثيرا معمولة لما بعدها معلقة لما قبلها عن العمل والمعنى إنا (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ) كثيرا (مَنْ الْقُرُونِ) الأمم (أَتَهُمْ) المهلكين (إِلَيْهِمْ) أي المكذبين (لَا يَرْجِعُونَ) أفلا يعتبرون بهم؟ «وأنهم» إلخ بدل مما قبله برعاية المذكور

﴿وَلَنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢]

٣٢ (وإن) نافية أو مخففة (كُلُّ) أي الخلائق مبتدأ (لَمَّا) بالتشديد بمعنى إلا أو بالتخفيف فاللام فارقة وما مزيدة (جَمِيعٌ) خبر المبتدأ أي مجموعون (لَدَيْنَا) عندنا في الموقف بعد بعثهم (مُحْضَرُونَ) للحساب خير ثان

﴿وَأَيُّهُمْ لَمْ يَأْكُلُوا مِنَ الثَّمَرِ الْأَخْضَرِ الَّتِي أَحْبَبْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣]

٢٠ (وجاء من أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ) هو حبيب النجار كان قد آمن بالرسول ومنزله بأقصى البلد (يَسْقَى) يشد عدوا لما سمع بتكذيب القوم للرسول (قَالَ يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُزْسِلِينَ)

﴿أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

٢١ (اتَّبِعُوا) تأكيد للأول (مَنْ لَا يَسْتَلْكُكُمْ أَجْرًا) على رسالته (وَهُمْ مُهْتَدُونَ) فليل له أنت على دينهم؟

﴿وَمَا لِي لَّا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

٢٢ فقال (وما لي لَّا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي)؟ خلقتني أي ما مانع لي من عبادته الموجود مقتضيهما وأنتم كذلك (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بعد الموت فيجازيكم كغيركم.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ مِنْ دُونِهِ آيَاتٍ لِيُبْذَرَ الرَّحْمَنُ يَضُرَّ
لَا تَعْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُفِيدُونِ﴾

٢٣ (أَلَمْ نَجْعَلْ) في الهمزتين منه ما تقدم في (أَنْذَرْتَهُمْ) وهو استفهام بمعنى النفي (مِنْ دُونِهِ) أي غيره (الآيَاتُ) أصناما؟ (لِيُبْذَرَ الرَّحْمَنُ يَضُرَّ) لَا تُعْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ) التي زعمتموها (شَيْئًا وَلَا يُفِيدُونَ) صفة آلهة

﴿إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ٢٤]

٢٤ (إِنِّي إِذَا) إن عبت غير الله (لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين

﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾ [يس: ٢٥]

٢٥ (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ) أي اسمعوا قولي فرجموه فمات

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾

٢٦ (قِيلَ) له عند موته (ادْخُلِ الْجَنَّةَ) وقيل دخلها حيا (قَالَ يَا) حرف تنبيه (لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ)

﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ﴾ [يس: ٢٧]

٢٧ (بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي) بغفرانه (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ)

من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً وليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً (حَتَّىٰ عَادَ) في آخر منازلها في رأي العين (كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) كعود الشمراخ إذا عتق فإنه يرق ويتفوس ويصفر

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آيِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]

٤٠ (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار) فلا يأتي قبل انقضائه (وكل) تنويه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر والنجوم (في فلک) مستدير (يسبحون) يسرون نزلوا منزلة العقلاء

﴿وَأَيُّهُم مَّمَّنَ آتَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾

٤١ (وآية لهم) على قدرتنا (أنا حملنا ذريتهم) وفي قراءة ذرياتهم أي آباءهم الأصول (في الفلك) أي سفينة نوح (المشحون) المملوء

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤٢]

٤٢ (وخلقنا لهم من مثله) أي مثل فلك نوح وهو ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى (ما يركبون) فيه

﴿وَلَيْكُنَّا نُعْرِفُهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْفَذُونَ﴾ [يس: ٤٣]

٤٣ (وان نشأ نعرفهم) مع إيجاد السفن (فلا صريح) مغيب (لهم) ولا هم يُنْفَذُونَ ينجون

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يس: ٤٤]

٤٤ (إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين) أي لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم وتمتعنا إياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [يس: ٤٥]

٤٥ (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) من عذاب الدنيا كغيركم (وما خلفكم) من عذاب الآخرة (لعلكم ترحمون) أعرضوا

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس: ٤٦]

٣٣ (وآية لهم) على البعث خير مقدم (الأرض الميتة) بالتحفيف والتشديد (أحييناهما) بالماء مبتدأ (وأخرجنا منها حيا) كالحنطة (فمنه يأكلون)

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ [يس: ٣٤]

٣٤ (وجعلنا فيها جنات) بساتين (من نجيل) وأعناب وفجرتنا فيها من العيون) أي بعضها

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٥]

٣٥ (ليأكلوا من ثمره) بفتحيتين وضميتين أي ثمر المذكور من النجيل وغيره (وما عملته أيديهم) أي لم تعمل الثمر (أفلا يشكرون) أنعمه تعالى عليهم ؟

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]

٣٦ (سبحان الذي خلق الأزواج كلها) الأصناف (كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ) من الحبوب وغيرها (ومن أنفسهم) من الذكور والإناث (ومِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) من مخلوقات العجبية الغريبة

﴿وَأَيُّهُم لَّهُمْ آيِلٌ نَّسَلُخَ مِنْهُ النَّهَارَ إِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧]

٣٧ (وآية لهم) على القدرة العظيمة (الليل نسلخ) نفصل (منه النهار إذا هم مظلمون) داخلون في الظلام

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]

٣٨ (والشمس تجري) إلى آخره من جملة الآية لهم أو آية أخرى والقمر كذلك (لمستقر لها) أي إليه لا تتجاوز (ذلك) أي جريها (تقدير العزيز) في ملكه (العليم) بخلقه

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾

٣٩ (والقمر بالرفع والنصب وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده (قدرته منازل حتى عاد كالعرجون القدير) من حيث مسيره (منازل) ثمانية وعشرين منزلا في ثمان وعشرين ليلة

٤٦ ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعِمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ٤٧]

٤٧ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا عَلَيْنَا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الأموال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ استهزاء بهم ﴿أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعِمَهُ﴾ في معتقدهم هذا (إن) ما (أنتم) في قولكم لنا ذلك مع معتقدهم هذا ؟ (إلا) في ضلالٍ مُبِينٍ بين وللتصريح بكفرهم موقع عظيم

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
٤٨ - قال تعالى (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بالبعث (إن كنتم صادقين) فيه

﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ

يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩]

٤٩ ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ أي ينتظرون (إلا صَيْحَةً واحدة) وهي نفخة إسرافيل الأولى (تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) بالتشديد أصله يختصمون نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد أي وهم في غفلة عنها بتخاصم وتبايع وأكل وشرب وغير ذلك وفي قراءة «يخصمون» كيضربون أي يخصم بعضهم بعضا

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾
٥٠ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي أن يوصوا (ولا إلى أهليهم يَرْجِعُونَ) من أسواقهم وأشغالهم بل يموتون فيها

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]

٥١ (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) هو قرن النفخة الثانية للبعث وبين النفختين أربعون سنة (فَإِذَا هُمْ) أي المقبورون (مِنَ الْأَجْدَاثِ) القبور (إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) يخرجون بسرعة

﴿قَالُوا يَا بُولَلَتَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ

الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]

٥٢ ﴿قَالُوا﴾ أي الكفار منهم (يا) للتنبية (ويُلْنَا) هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه (مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا (هَذَا) أي البعث (مَا) أي الذي (وَعَدَ) به (الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ) فيه (الْمُرْسَلُونَ) أقرؤا حين لا يفهمهم الإقرار وقيل يقال لهم ذلك

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣]

٥٣ (إن) ما (كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً واحدة) فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا عندنا (مُحْضَرُونَ)

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]

٥٤ ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزء (مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَتَاهُونَ﴾

٥٥ (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ) بسكون الغين وضمها عما فيه أهل النار مما يتلذذون به كافتضاض الأبقار لا شغل يتعبون فيه لأن الجنة لا نصب فيها (فَإِكْفَاهُونَ) ناعمون خبر ثان لإن والأول في شغل

﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ مُتَّكِفُونَ﴾

٥٦ (هُمْ) مبتدأ (وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ) جمع ظلة أو ظل خبر أي لا تصيبهم الشمس (عَلَىٰ الْأَرَائِكِ) جمع أريكة وهو السرير في الحجلة أو الفرش فيها (مُتَّكِفُونَ) خبر ثان متعلق على

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ [يس: ٥٧]

٥٧ ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ﴾ فيها (مَا يَدْعُونَ) يتمنون

﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]

٥٨ (سَلَامٌ) مبتدأ (قَوْلًا) أي بالقول خبره (مَنْ رَبِّ رَجِيمٍ) بهم أي يقول لهم سلام عليكم

﴿وَأَمَّنُوا الْيَوْمَ أَنبَأَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]

٥٩ (و) يقول (امتازوا اليوم أيها المجرمون) أي انفردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم

﴿أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بِنَبِيِّ ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠]

٦٠ (ألم أعهد إليكم) أمركم (يا بني آدم) علي لسان رسلي (أن لا تعبدوا الشيطان) لا تطيعوه (إنه لكم عدو مبين) بين العداوة ؟

﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦١]

٦١ (وأن اعبدوني) وحدوني وأطيعوني (هذا صراط) طريق (مستقيم) ؟

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾

٦٢ (ولقد أضل منكم جبيل) خلقا جمع جبيل كقديم وفي قراءة بضم الباء (كثيرا) أفلم تكونوا تعقلون) عداوته وإضلاله وما حل بهم من العذاب فتؤمنون ؟ ويقال لهم في الآخرة

﴿هَلْذِهِ جَهَنَّمَ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [يس: ٦٣]

٦٣ (هذه جهنم التي كنتم توعدون) بها

﴿أَضَلُّوهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [يس: ٦٤]

٦٤ (اضلوهما اليوم بما كنتم تكفرون)

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]

٦٥ (اليوم نختم على أفواههم) أي الكفار لقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) (ونكلمنا أيديهم ونشهد أرجلهم) وغيرها (بما كانوا يكسبون) فكل عضو ينطق بما صدر منه

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنْزَلُنَاهُمْ﴾ [يس: ٦٦]

٦٦ (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) لأعيناهم طمسا (فاستبقوا) ابتدروا (الصراط) الطريق ذاهبين كعادتهم (فأنزلناهم) فكيف (يُصبرون) حينئذ ؟ أي لا يصبرون

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٦٧]

٦٧ (ولو نشاء لمسخناهم) قردة وخنازير أو حجارة (على مكاناتهم) وفي قراءة «مكاناتهم» جمع مكانة بمعنى مكان أي في منازلهم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾

٦٨ (ومن نعلمه) بإطالة أجله (ننكسه) وفي قراءة بالتشديد من التنكيس (في الخلق) أي خلقه فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفا وهرا (أفلا يعقلون) أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث فيؤمنون ؟ وفي قراءة بالناء

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]

٦٩ (وما علمناه) أي النبي (الشعر) رد لقولهم إن ما أتى به من القرآن شعر (وما ينبغي) يسهل (له) الشعر (إن هو) ليس الذي أتى به (إلا ذكر) عظة (وقرآن مبين) مظهر للأحكام وغيرها

﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

٧٠ (لينذر) بالياء والناء به (من كان حيا) يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون (ويحق القول) بالعذاب (على الكافرين) وهم كالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَانَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكَةٌ﴾ [يس: ٧١]

٧١ (أولم يروا) يعلموا والاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف (أنا خلقنا لهم) في جملة الناس (مما عملت أيدينا) عملناه بلا شريك ولا معين (أنعاما) هي الإبل والبقر والغنم (فهم لها مَلَائِكَةٌ) ؟ ضابطون

﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾

٧٢ (ودللناها) سخرناها (لهم) فمنها ركوبهم) مركوبهم (ومنها يأكلون)

﴿وَهُلْمْ فِيهَا مَنْفَعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾

٧٣ (ولهم فيها منافع) كأصوافها وأوبارها

لأنه اسم لا صفة وروي أنه أخذ عظما رميما ففتته وقال للنبي ﷺ أتري بحبيي الله هذا بعد ما بلي ورم فقال ﷺ نعم ويدخلك النار

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]

٧٩ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ مخلوق (عليه) مجملا ومفصلا قبل خلقه وبعد خلقه

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ [يس: ٨٠]

٨٠ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم﴾ في جملة الناس (مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ) المرخ والعفرار أو كل شجر إلا العناب (نَارًا) فإذا أنتم منه تُوقَدُونَ) تقدون وهذا دال على القدرة على البعث فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب فلا الماء يطفئ النار ولا النار تحرق الخشب

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]

٨١ ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ﴾ مع عظمها (عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ) أي الأناسي في الصغر (وهو) أي هو قادر على ذلك أجاب نفسه (الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) الكثير الخلق (إنما) بكل شيء

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]

٨٢ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ شأنه (إِذَا أَرَادَ شَيْئًا) خلق شيء (أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطا على يقول

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينُ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣]

٨٣ ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينُ مَلَكَوْتُ﴾ ملك زيدت الواو والتاء للمبالغة أي القدرة على (كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) تردون في الآخرة

وأشعارها (وَمَشَارِبُ) من لبنها جمع مشرب بمعنى الشرب أو موضعه (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) المنعم عليهم بها فيؤمنون؟ أي ما فعلوا ذلك

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُم يُبْصَرُونَ﴾

٧٤ ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره (الْهَةَ) أصناما يعبدونها (لَعَلَّهُم يُبْصَرُونَ) يمنعون من عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم بزعمهم

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ﴾

٧٥ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي آلهتهم نزلوا منزلة العقلاء (نَصْرَهُمْ وَهُمْ) أي آلهتهم من الأصنام (لَهُمْ جُنْدٌ) بزعمهم نصرهم (مُحْضَرُونَ) في النار معهم

﴿فَلَا يَخْزِنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦]

٧٦ ﴿فَلَا يَخْزِنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك لست مرسلا وغير ذلك (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) من ذلك وغيره فنجازيهم عليه

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧]

٧٧ ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ﴾ يعلم وهو العاصي ابن وائل (أَنَّا خَلَقْتَهُ مِن نُّطْفَةٍ) مني إلى أن صيرناه شديدا قويا (فَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ) شديد الخصومة لنا (مُبِينٌ) بينها في نفي البعث (١)؟

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]

٧٨ ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذلك (وَنَسِيَ خَلْقَهُ) من المنى وهو أغرب من مثله (قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) أي بالية ولم يقل رميمة بالتاء

(١) أسباب نزول الآية ٧٧: وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففتته فقال: يا محمد أبعث هذا بعد ما أرم؟ قال: نعم يبعث الله هذا ثم يبيتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم فنزلت الآيات: «أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة» إلى آخر السورة.

* وأخرج ابن أبي حاتم من طرق عن مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والشدي نحوه «وسموا الإنسان: أي بن خلف».

سورة الصافات ٣٧

مكية وآياتها ١٨٢ مائة واثنان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١]

١ (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا) الملائكة تصف نفوسها في العبادة أو أجنحتها في الهواء تنتظر ما تؤمر به

﴿فَالرَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ [الصافات: ٢]

٢ (فَالرَّاجِرَاتِ زَجْرًا) الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ٣]

٣ (فَالتَّالِيَاتِ) أي جماعة قراء القرآن أي تتلونه (ذِكْرًا) مصدر من معنى التاليات

﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصافات: ٤]

٤ (إِنَّ إِلَهَكُمْ) يا أهل مكة (لَوَاحِدٌ)

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾

٥ (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشَارِقِ) أي والمغرب للشمس لها كل يوم مشرق ومغرب

﴿إِنَّا زَيْنًا أَلْمَاءَ أَذْنَابًا زِينَةُ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]

٦ (إِنَّا زَيْنًا أَلْمَاءَ أَذْنَابًا زِينَةُ الْكَوَاكِبِ) بظوئها أو بها والإضافة للبيان كقراءة تنوين زينة المينة بالكواكب

﴿وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات: ٧]

٧ (وَحِفْظًا) منصوب بفعل مقدر أي حفظناها بالشهب (مِّنْ كُلِّ) متعلق بالمقدر (شَيْطَانٍ مَّارِدٍ) عات خارج عن الطاعة

﴿لَّا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِهَا الْأَعْلَىٰ وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾

٨ (لَّا يَسْمَعُونَ) أي الشياطين وسماعهم مستأنف هو في المعنى المحفوظ عنه (إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى) الملائكة في السماء وعدي السماع يالئ لتضمنه معنى الإصغاء وفي قراءة بتشديد الميم والسين أصله يتسمعون وأدغمت التاء في السين

(وَيُقَدِّفُونَ) الشياطين بالشهب (مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) من آفاق السماء

﴿دُحُورًا وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مَّوَدَّةَ بَيْنٍ﴾ [الصافات: ٩]

٩ (دُحُورًا) مصدر دحره أي طرده وأبعده وهو مفعول له (وَلَهُمْ) في الآخرة (عَدَابٌ وَاصِبٌ) دائم

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾

١٠ (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) مصدر أي المرة والاستثناء من ضمير يسمعون أي لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ) كوكب مضيء (ثَاقِبٌ) يتقبه أو يحرقه أو يخبله

﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ

مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]

١١ (فَأَسْتَفْتِيهِمْ) استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً (أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا) من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما؟ وفي الإتيان بمن تغليب العقلاء (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ) أي أصلهم آدم (مَنْ) طين لآزب) لازم يلصق باليد المعنى أن خلقهم ضعيف فلا يتكبروا بإنكار النبي والقرآن المؤدي إلى إهلاكهم اليسير

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢]

١٢ (بَلْ) للانتقال من غرض إلى آخر وهو الإخبار بحاله وبحالهم (عَجِبْتَ) بفتح التاء خطاباً للنبي ﷺ أي: من تكذيبهم إياك (و) هم (يَسْخَرُونَ) من تعجبك

﴿وَإِنَّا ذَكَّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ [الصافات: ١٣]

١٣ (وَإِنَّا ذَكَّرُوا) وعظوا بالقرآن (لَا يَذْكُرُونَ) لا يتعظون

﴿وَإِنَّا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٤]

١٤ (وَإِنَّا رَأَوْا آيَةً) كانشقاق القمر (يَسْتَسْخَرُونَ) يستهزئون بها

﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصافات: ١٥]

١٥ (وَقَالُوا) فيها (إِنْ) ما (هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) بين وقالوا منكرين للبعث

تويخا

﴿أَيَّدَا يَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَيَّنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾

١٦ (أَيَّدَا يَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَيَّنَّا لَمَبْعُوثُونَ)
في الهمزتين في الموضوعين التحقيق وتسهيل الثانية
وإدخال ألف بينهما على الوجيهين

﴿أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الصفات: ١٧]

١٧ (أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) بسكون الواو عطفًا بأو
وبفتحةا والهمزة للاستفهام والعطف بالواو
والمعطوف عليه محل إن واسمها أو الضمير في
لمبعوثون والفاصل همزة الاستفهام

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ [الصفات: ١٨]

١٨ (قُلْ نَعَمْ) تبعثون (وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ) صاغرون

﴿فَأَيُّهَا هِيَ زَجْرَةٌ وَجِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾

١٩ (فَأَيُّهَا هِيَ) ضمير مبهم يفسره (زَجْرَةٌ) أي
صيحة (وَاجِدَةٌ فَإِذَا هُمْ) أي الخلائق أحياء
(يَنْظُرُونَ) ما يفعل بهم

﴿وَقَالُوا يَا بُولَاقًا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الصفات: ٢٠]

٢٠ (وَقَالُوا) أي: الكفار (يَا) للتنبيه (وَيُلَاقًا)
هلا كنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه وتقول لهم
الملائكة (هَذَا يَوْمَ الدِّينِ) يوم الحساب والجزاء

﴿هَذَا يَوْمَ الْفَضْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾

٢١ (هَذَا يَوْمَ الْفَضْلِ) بين الخلائق (الَّذِي)
كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) ويقال للملائكة

﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْجَاهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾

٢٢ (أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بالشرك
(وَأَزْجَاهُمْ) قرناءهم من الشياطين (وَمَا كَانُوا)
يَعْبُدُونَ)

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾

٢٣ (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره من الأوثان
(فَأَهْدُوهُمْ) دلوهم وسوقوهم (إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ)
طريق النار

﴿وَقَفُّوهُمْ لِحَيْبِهِمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٢٤]

٢٤ (وَقَفُّوهُمْ) احبسوهم عند الصراط (لِحَيْبِهِمْ)
مَسْئُولُونَ) عن جميع أقوالهم وأفعالهم ويقال لهم

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ﴾ [الصفات: ٢٥]

٢٥ (مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ) لا ينصر بعضهم
بعضًا كحالكم في الدنيا؟ ويقال لهم

﴿بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُسْتَسْمِعُونَ﴾ [الصفات: ٢٦]

٢٦ (بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُسْتَسْمِعُونَ) منقادون أذلاء

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصفات: ٢٧]

٢٧ (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ)
يتلامون ويتخاصمون

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ [الصفات: ٢٨]

٢٨ (قَالُوا) أي الأتباع منهم للمتبعين (إِنَّكُمْ)
كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) عن الجهة التي كنا نأمنكم
منها لحلفكم أنكم على الحق فصدقناكم واتبعناكم
المعنى أنكم أضللناكم

﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الصفات: ٢٩]

٢٩ (قَالُوا) أي المتبعون لهم (بَلْ لَمْ تَكُونُوا)
مُؤْمِنِينَ) وإنما يصدق الإضلال منا أن لو كنتم
مؤمنين فرجعتم عن الإيمان إلينا

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾

٣٠ (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) قوة
وقدرة نفهركم على متابعتنا (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ)
ضالين مثلنا

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ [الصفات: ٣١]

٣١ (فَحَقَّ) وجب (عَلَيْنَا) جميعًا (قَوْلُ رَبِّنَا)
بالعذاب أي قوله (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ)
أجمعين (إِنَّا) جميعًا (لَذَائِقُونَ) العذاب بذلك
القول ونشأ عنه قولهم

﴿فَأَعْوَبْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ [الصفات: ٣٢]

٣٢ (فَأَعْوَبْتَكُمْ) المعلن بقوله (إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ)

﴿فَأَيُّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الصفات: ٣٣]

٣٣ (فَأَيُّهُمْ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (فِي الْعَذَابِ)
مُشْتَرِكُونَ) أي لا اشتراكهم في الغواية

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ [الصفات: ٣٤]
 ٣٤ ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ ﴾ كما نعمل بهؤلاء (نُفَعَلُ
 بِالْمُجْرِمِينَ) غير هؤلاء أي نعذبهم التابع منهم
 والمتبع

﴿ إِنْتُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾
 [الصفات: ٣٥]

٣٥ ﴿ أَنْتُمْ ﴾ أي هؤلاء بقريته ما بعده (كَانُوا إِذَا
 قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ)

﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّمَا نَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مِثْنُونٍ ﴾
 ٣٦ ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّمَا ﴾ في همزته ما تقدم (لَتَارِكُوا
 آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مِثْنُونٍ) أي لأجل قول محمد ؟ قال
 تعالى

﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصفات: ٣٧]
 ٣٧ (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) الجائين
 به وهو أن لا إله إلا الله

﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾ [الصفات: ٣٨]
 ٣٨ ﴿ إِنَّكُمْ ﴾ فيه التفات (لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ)

﴿ وَمَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الصفات: ٣٩]
 ٣٩ ﴿ وَمَا يُجْزَوْنَ إِلَّا ﴾ جزاء (مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾ [الصفات: ٤٠]
 ٤٠ ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾ أي المؤمنين
 استثناء منقطع ذكر جزاؤهم في قوله

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴾ [الصفات: ٤١]
 ٤١ ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ ﴾ في الجنة (رِزْقٌ مَعْلُومٌ) بكرة
 وعشيا

﴿ فَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَأُونَ ﴾ [الصفات: ٤٢]
 ٤٢ ﴿ فَوَاكِهَ ﴾ بدل، أو بيان للرزق وهو ما يؤكل
 لتلذذا لا لحفظ صحة لأن أهل الجنة مستغنون عن
 حفظها بخلق أجسامهم للأبد (وهم مُكْبَرُتُونَ)
 بشواب الله سبحانه وتعالى

﴿ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [الصفات: ٤٣]

٤٣ ﴿ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي ﴾

﴿ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [الصفات: ٤٤]

٤٤ ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ لا يرى بعضهم قفا
 بعض

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ فَيْحٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴾ [الصفات: ٤٥]

٤٥ ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ ﴾ على كل منهم (بِكُلِّ فَيْحٍ)
 هو الإناء بشرابه (مِّنْ مَّعِينٍ) من خمر يجري على
 وجه الأرض كأنهار الماء

﴿ بِيضَاءَ لَدَوٍّ لُّسْدِيرِينَ ﴾ [الصفات: ٤٦]

٤٦ ﴿ بِيضَاءَ ﴾ أشد بياضا من اللبن (لَدَوٍّ) لذيدة
 (لِلشَّارِبِينَ) بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند
 الشرب

﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُذَفَّرُونَ ﴾

٤٧ ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ ما يغتال عقولهم (وَلَا هُمْ
 عَنْهَا يُذَفَّرُونَ) بفتح الزاي وكسرهما من نزع الشارب
 وأنزف أي يسكرون بخلاف خمر الدنيا

﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ عِينٌ ﴾ [الصفات: ٤٨]

٤٨ ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ ﴾ حابسات
 الأعين على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم لحسنهم
 عندهن (عِينٌ) ضخام الأعين حسانها

﴿ كَانَتْ بَيْضَ مَكْنُونٍ ﴾ [الصفات: ٤٩]

٤٩ ﴿ كَانَتْ ﴾ في اللون الأبيض (بَيْضٌ) للنعام
 (مَكْنُونٌ) مستور بريشه لا يصل إليه غبار ولونه وهو
 البياض في صفة أحسن ألوان النساء

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾

٥٠ ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ ﴾ بعض أهل الجنة (عَلَى
 بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) عما مر بهم في الدنيا

﴿ قَالَ قَائِلٌ لِّمَنْ هَؤُلَاءِ ﴾ [الصفات: ٥١]

٥١ ﴿ قَالَ قَائِلٌ لِّمَنْ هَؤُلَاءِ ﴾ أي قائل
 صاحب ينكر البعث

﴿ يَقُولُ أَوَلَيْكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ﴾ [الصفات: ٥٢]

٥٢ ﴿ يَقُولُ ﴾ لي تبكيئا (أَتَيْتُكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ)
 بالبعث ؟

المعدة لأهل النار؟ وهي من أحبت الشجر المر
بتهامه يبتها الله في الجحيم كما سيأتي

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ٦٣]

٦٣ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا﴾ بذلك (فِتْنَةً لِلْعَالَمِينَ) أي
الكافرين من أهل مكة إذ قالوا النار تحرق الشجر
فكيف تنبت؟

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾

٦٤ ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي
قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها^(١).

﴿طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصفات: ٦٥]

٦٥ ﴿طَلَعُهَا﴾ المشبه بطلع النخل (كَأَنَّهُ رُؤُوسُ
الشَّيَاطِينِ) الحيات القبيحة المنظر

﴿فَأَنزَلْنَا لَهَا لَكُورًا مِنهَا فَالِقُونَ مِنهَا الْبُطُونَ﴾

٦٦ ﴿فَأَنزَلْنَا لَهَا لَكُورًا﴾ أي الكفار (لَا يَكُونُونَ مِنهَا) مع
قبحها لشدة جوعهم (فَمَا لِقُونَ مِنهَا الْبُطُونَ)

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهَا مِن عَالَمِهَا لَشَوْبًا مِّن حَمِيمٍ﴾

٦٧ ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهَا مِن عَالَمِهَا لَشَوْبًا مِّن حَمِيمٍ﴾ أي
ماء حار يشربونه فيختلط بالماكول منها فيصير
شوبا له

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٦٨]

٦٨ ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ يفيد أنهم
يخرجون منها لشراب الحميم وأنه خارجها

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَاؤُا بآبَاءَهُمْ صَالِينَ﴾ [الصفات: ٦٩]

٦٩ ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَاؤُا﴾ وجدوا (آبَاءَهُمْ صَالِينَ)

﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْرَعُونَ﴾ [الصفات: ٧٠]

٧٠ ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْرَعُونَ﴾ يزعجون إلى
اتباعهم فيسرعون إليه

٣٧- سورة الصفات

(١) أسباب نزول الآية ٦٤: أخرج ابن جرير عن قتادة قال:
قال أبو جهل: زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار
تأكل الشجر، وإنما والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد فأنزل
الله حين عجبوا أن يكون في النار شجرة: ﴿إنها شجرة تخرج
في أصل الجحيم﴾ الآية. * وأخرج نحوه عن الشدي.

﴿أَيَّدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيَّدَا لَمَدِينُونَ﴾

٥٣ ﴿أَيَّدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيَّدَا﴾ في
الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم (لَمَدِينُونَ)
مجزيون ومحاسبون؟ أنكر ذلك أيضا

﴿قَالَ هَلْ أَسْتُرُ مَطْلِعُونَ﴾ [الصفات: ٥٤]

٥٤ ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه (هَلْ أَسْتُرُ
مَطْلِعُونَ) معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا.

﴿فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٥٥]

٥٥ ﴿فَاطَّلَعَ﴾ ذلك القائل من بعض كوى الجنة
(فَرَأَاهُ) أي رأى قريبه (فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) في وسط
النار

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ﴾ [الصفات: ٥٦]

٥٦ ﴿قَالَ﴾ له شماعة (تَاللَّهِ إِنْ) إن مخففة من
الثقيلة (كِدَتْ) قاربت (لَتُرْدِينَ) لتهلكني يا غواثك

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ﴾

٥٧ ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ علي بالإيمان (لَكُنْتُ
مِنَ الْمُخْضَرِّينَ) معك في النار ويقول أهل الجنة

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ﴾ [الصفات: ٥٨]

٥٨ ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ﴾

﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾

٥٩ ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ﴾ التي في الدنيا (وَمَا
نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) هو استفهام تلذذ وتحديث بنعمة الله
تعالى من تأييد الحياة وعدم التعذيب

﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْ أَلْفَوْزُ الْعَظِيمِ﴾ [الصفات: ٦٠]

٦٠ ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي ذكرت لأهل الجنة (لَهُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

﴿لِيُبْلِ لِهَذَا فَلْيَعْمَلَ الْعَامِلُونَ﴾ [الصفات: ٦١]

٦١ ﴿لِيُبْلِ لِهَذَا فَلْيَعْمَلَ الْعَامِلُونَ﴾ قيل يقال لهم
ذلك وقيل هم يقولونه

﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ [الصفات: ٦٢]

٦٢ ﴿أَذَلِكْ﴾ المذكور لهم (خَيْرٌ نُزُلًا) وهو ما
يعد للنازل من ضيف وغيره (أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ)

٨٠ ﴿إِنَّا كَذَلِكُمْ﴾ كما جزيناهم (نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ)

﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ٨١]

٨١ ﴿لَهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ﴾ [الصافات: ٨٢]

٨٢ ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ﴾ كفار قومه

﴿وَأَن تَمُنَّ مِنْ شَيْعِنِي لِإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ٨٣]

٨٣ ﴿وَأَن تَمُنَّ مِنْ شَيْعِنِي﴾ أي ممن تابعه في أصل الدين (لإبراهيم) وإن طال الزمن بينهما وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة وكان بينهما هود وصالح

﴿إِذْ جَاءَ رَبِّي بِقَلْبِ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤]

٨٤ ﴿إِذْ جَاءَ رَبِّي﴾ أي تابعه وقت مجيئه (بِقَلْبِ سَلِيمٍ) من الشك وغيره

﴿إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾

٨٥ ﴿إِذْ قَالَ﴾ في هذه الحالة المستمرة له (لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ) موبخا (مَاذَا) ما الذي (تَعْبُدُونَ)

﴿أَبْفِكَ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: ٨٦]

٨٦ ﴿أَبْفِكَ﴾ في همزته ما تقدم (إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) وإفكاً مفعول له وآلهة مفعول به لتريدون والإفك أسوأ الكذب أي أتعبدون غير الله ؟

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٧]

٨٧ ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إذ عبدتم غيره أنه يترككم بلا عقاب ؟ لا، وكانوا نجامين فخرجوا إلى عيد لهم وتركوا طعامهم عند أصنامهم زعموا التبرك عليه فإذا رجعوا أكلوه وقالوا لسيدنا إبراهيم اخرج معنا

﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ [الصافات: ٨٨]

٨٨ ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ إيهاماً لهم أنه يعتمد عليها ليعتمده

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]

٨٩ ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ عليل أي ساقم

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ [الصافات: ٩٠]

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ﴾

٧١ ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ﴾ من الأمم الماضية

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ﴾ [الصافات: ٧٢]

٧٢ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ﴾ من الرسل مخوفين

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾

٧٣ ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ الكافرين أي عاقبتهم العذاب

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الصافات: ٧٤]

٧٤ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة أو لأن الله أخلصهم لها على قراءة فتح اللام

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾

٧٥ ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ بقوله (رب إنني مغلوب فانتصر) (فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ) له نحن أي دعانا على قومه فأهلكناهم بالغرق

﴿وَيَمِينُهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾

٧٦ ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي الغرق

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا أَبَايْنَ﴾ [الصافات: ٧٧]

٧٧ ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا أَبَايْنَ﴾ فالناس كلهم من نسله عليه السلام وكان له ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب والفرس والروم وحام وهو أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصافات: ٧٨]

٧٨ ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا (عَلَيْهِ) ثناء حسناً (فِي الْآخِرِينَ) من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة

﴿سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩]

٧٩ ﴿سَلَّمَ﴾ منا (عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ)

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ٨٠]

٩٠ ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ إِلَىٰ عِيْدِهِمْ (مُذْبِرِينَ)

﴿فَرَاغَ إِلَيْكَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات: ٩١]

٩١ ﴿فَرَاغَ﴾ مال في خفية (إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ) وهي الأصنام وعندها طعام (فَقَالَ) استهزاء (أَلَا تَأْكُلُونَ) فلم ينطقوا

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ [الصافات: ٩٢]

٩٢ فقال (مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ) فلم تجب

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا يَأْتِينَ﴾ [الصافات: ٩٣]

٩٣ ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا يَأْتِينَ﴾ بالقوة فكسرهما فبلغ قومه ممن رآه

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُُونَ﴾ [الصافات: ٩٤]

٩٤ ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُُونَ﴾ أي يسرعون المشي فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها؟

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥]

٩٥ ﴿قَالَ﴾ لهم موبخا (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ) من الحجارة وغيرها أصنامًا

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]

٩٦ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ من نحتكم ومنحوتكم فاعبدوه وحده وما مصدرية وقيل موصولة وقيل موصوفة

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفَوْهُ فِي الْجَحِيمِ﴾

٩٧ ﴿قَالُوا﴾ بينهم (ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا) فاملأوه حطبًا وأضرموه بالنار فإذا التهب (فَأَلْفَوْهُ فِي الْجَحِيمِ) النار الشديدة

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾

٩٨ ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ بإلقائه في النار لتهلكه (فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ) المقهورين فخرج من النار سالما

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَيْ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [الصافات: ٩٩]

٩٩ ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَيْ رَبِّي﴾ مهاجر إليه من دار الكفر (سَيِّدِينَ) إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه وهو الشام فلما وصل إلى الأرض المقدسة

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]

١٠٠ - قال: (رَبِّ هَبْ لِي) ولدا (مِنَ الصَّالِحِينَ)

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]

١٠١ ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ أي ذي حلم كثير

﴿فَمَا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ فَكَالَ يَبُئِيٰ إِنِّيَ أَرَىٰ فِي الْمَنَآءِ آيَاتٍ آذِيحًا فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَتَأْتٍ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

١٠٢ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ﴾ أي أن يسعى معه

ويعينه قيل بلغ سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة (قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي آرَىٰ) أي رأيت (فِي الْمَنَآءِ آيَاتٍ آذِيحًا) ورؤيا الأنبياء حق وأفعالهم بأمر الله تعالى (فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ) من الرأي شاوره ليأنس بالذبح وينقاد للأمر به (قَالَ يَا أَبَتِ) التاء عوض عن ياء الإضافة (أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ) به (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) على ذلك

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّمَ لِلْحَبِيبِ﴾ [الصافات: ١٠٣]

١٠٣ ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ خضعا وانقادا لأمر الله تعالى (وَتَلَّمَ لِلْحَبِيبِ) صرعه عليه ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة وكان ذلك بمنى وأمر السكين على حلقه فلم تعمل شيئا بمانع من القدرة الإلهية

﴿وَتَدَبَّرْتَهُ أَنْ يُبَاهِرَهُمْ﴾ [الصافات: ١٠٤]

١٠٤ (وَتَدَبَّرْتَهُ أَنْ يُبَاهِرَهُمْ)

﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

١٠٥ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح أي يكفيك ذلك فجملة ناديناها جواب لما بزيادة الواو (إِنَّا كَذَلِكَ) كما جزيناك (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم بامتثال الأمر بإفراج الشدة عنهم

﴿إِن كُنْ هَذَا كَلِمَةً يُؤْتَىٰ بِهَا فَمَا يَصْبِرُ عَلَيْهَا إِلَّا صَاحِبُهَا﴾ [الصافات: ١٠٦]

١٠٦ (إِن كُنْ هَذَا) الذبح المأمور به (لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُشِينُ) الاختبار الظاهر

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَدِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧]

﴿وَأَنبَأْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصفات: ١١٧]

١١٧ (وَأَنبَأْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ) البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرها وهو التوراة

﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصفات: ١١٨]

١١٨ (وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) الطريق (المستقيم)

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصفات: ١١٩]

١١٩ (وَتَرَكْنَا) أبقينا (عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ) ثناء حسنا

﴿سَلَّمْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الصفات: ١٢٠]

١٢٠ (سَلَّمْنَا) منا (عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ)

﴿إِنَّا كَذَّلْنَا نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصفات: ١٢١]

١٢١ (إِنَّا كَذَّلْنَا) كما جزيناها (نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ)

﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصفات: ١٢٢]

١٢٢ (إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ)

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: ١٢٣]

١٢٣ (وَإِنَّ إِلْيَاسَ) بالهمزة أوله وتركه (لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) قيل هو ابن هارون أخي موسى وقيل غيره أرسل إلى قوم يعيلك ونواحيها

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الصفات: ١٢٤]

١٢٤ (إِذْ) منصوب باذكر مقدرا (قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ) الله

﴿وَأَنذَرْتَهُمْ بَلَاءًا وَتَذَرْتَهُمْ أَحْسَنَ الْحَالِقِينَ﴾

١٢٥ (أَنذَرْتَهُمْ بَلَاءًا) اسم صنم لهم من ذهب وبه سمي البلد أيضا مضافا إلى بك أي تعبدونه (وَتَذَرْتَهُمْ) تتركون (أَحْسَنَ الْحَالِقِينَ) فلا تعبدونه

﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى﴾

١٢٦ (اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى) برفع الثلاثة على إضمار هو وينصبها على البدل من أحسن

١٠٧ (وَقَدَيْنَاهُ) أي المأمور بذبحه وهو إسماعيل أو اسحاق قولان (يذبح) بكبش (عظيم) من الجنة وهو الذي قربه. هابيل جاء به جبريل عليه السلام فذبحه السيد إبراهيم مكبرا

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصفات: ١٠٨]

١٠٨ (وَتَرَكْنَا) أبقينا (عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) ثناء حسنا

﴿سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصفات: ١٠٩]

١٠٩ (سَلَّمَ) منا (عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ)

﴿كَذَلِكَ نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصفات: ١١٠]

١١٠ (كَذَلِكَ) كما جزيناه (نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم

﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصفات: ١١١]

١١١ (إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ)

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

١١٢ (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ) استدل بذلك على أن الذبيح غيره (نَبِيًّا) حال مقدرة أي يوجد مقدرا نبوته (مِنَ الصَّالِحِينَ)

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنَ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصفات: ١١٣]

١١٣ (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ) بتكثير ذريته (وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ) ولده بجعلنا أكثر الأنبياء من نسله (وَمِنَ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ) مؤمن (وَمِنَ ذُرِّيَّتِهِمَا مُبِينٌ) كافر (مُبِينٌ) بين الكفر

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾

١١٤ (وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ) بالنبوة

﴿وَجَعَلْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾

١١٥ (وَجَعَلْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا) بني إسرائيل (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أي استعباد فرعون إياهم

﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْفَرُوا هُمْ أَتَقْلِبُونَ﴾ [الصفات: ١١٦]

١١٦ (وَنَصَرْنَاهُمْ) على القبط (فَاكْفَرُوا هُمْ) الغالبيين

١٣٨ ﴿وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به

﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩]

١٣٩ ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: ١٤٠]

١٤٠ ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ هرب (إلى الفلك المشحون) السفينة المملوءة حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به فركب السفينة فوقفت في لجة البحر فقال الملاحون هنا عبد أبق من سيده تظهره القرعة

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٤١]

١٤١ ﴿فَسَاهَمَ﴾ قارع أهل السفينة (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة فألقوه في البحر

﴿فَالْتَمَعَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٢]

١٤٢ ﴿فَالْتَمَعَهُ الْحَوْتُ﴾ ابتلعه (وهو ملِيم) أي آت بما يلام من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣]

١٤٣ ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ الذاكرين بقوله كثيرا في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

﴿لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٤]

١٤٤ ﴿لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ لصار بطن الحوت قبرا له إلى يوم القيامة

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥]

١٤٥ ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾ أي ألقيناه من بطن الحوت (بالعراء) بوجه الأرض أي بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوما (وهو سقيم) عليل كالفرخ المعطط

﴿وَأَلْبَسْنَا عَلَيْهِ سِجْرَةً مِّنَ يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦]

١٤٦ ﴿وَأَلْبَسْنَا عَلَيْهِ سِجْرَةً مِّنَ يَقْطِينٍ﴾ وهي القرع تظله بساق على خلاف العادة في القرع معجزة له وكانت تأتيه وعلة صباحا ومساء يشرب

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأْتَاهُمَ لَمُخْضَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢٧]

١٢٧ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأْتَاهُمَ لَمُخْضَرُونَ﴾ في النار

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ١٢٨]

١٢٨ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي المؤمنين منهم فإنهم نجوا منها

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصافات: ١٢٩]

١٢٩ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء حسنا

﴿سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ١٣٠]

١٣٠ ﴿سَلَّمَ﴾ منا (على إِبْرَاهِيمَ) هو إلياس المتقدم ذكره وقيل هو ومن آمن معه فجمعوا معه تغليا كقولهم للمهلب وقومه المهلبون وعلى قراءة آل ياسين بالمد أي أهله المراد به إلياس أيضا

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٣١]

١٣١ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما جزيناه (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)

﴿إِنَّمَا مِنَّا عِبَادُنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٣٢]

١٣٢ ﴿إِنَّمَا مِنَّا عِبَادُنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿وَإِنَّ لَوْطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٣]

١٣٣ ﴿وَإِنَّ لَوْطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [الصافات: ١٣٤]

١٣٤ اذكر ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٣٥]

١٣٥ ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ أي الباقيين في العذاب

﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الصافات: ١٣٦]

١٣٦ ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا﴾ أهلكنا (الآخرين) كفار قومه

﴿وَإِنَّا لَنَرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصِيبِينَ﴾ [الصافات: ١٣٧]

١٣٧ ﴿وَإِنَّا لَنَرُّونَ عَلَيْهِمْ﴾ على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم (مُصِيبِينَ) أي وقت الصباح يعني بالنهار

﴿وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٨]

من لبنها حتى قوي

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ زَبَدُونَ﴾

١٤٧ (وَأَرْسَلْنَاهُ) بعد ذلك كقبلة إلى قومه بني نوى من أرض الموصل (إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ بِلْ زَبَدُونَ) عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفاً

﴿فَقَامُوا فَمَعَنَهُمْ إِلَى جِئِنِ﴾ [الصافات: ١٤٨]

١٤٨ (فَقَامُوا) عند معاينة العذاب الموعودين به (فَمَعَنَهُمْ) أي أبقيناهم ممتعين بما لهم (إِلَى جِئِنِ) تنقضي آجالهم فيه

﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ آرَائِكُمُ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُتُونَ﴾

١٤٩ (فَأَسْتَفْتِيهِمْ) استخبر كفار مكة توبيخاً لهم (الْبُتُونَ الْبَنَاتُ) بزعمهم أن الملائكة بنات الله (وَلَهُمُ الْبُتُونَ) فيختصون بالأسنى

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾

١٥٠ (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ) خلقنا فيقولون ذلك

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِنْكَهَمُ لَيَقُولُونَ﴾

١٥١ (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِنْكَهَمُ) كذبهم (لَيَقُولُونَ)

﴿وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ [الصافات: ١٥٢]

١٥٢ (وَلَدَ اللَّهُ) بقولهم الملائكة بنات الله (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فيه

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [الصافات: ١٥٣]

١٥٣ (أَصْطَفَى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغني بها عن همزة الوصل فحذفت أي اختار (الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ)

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥٤]

١٥٤ (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هذا الحكم الفاسد

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الصافات: ١٥٥]

١٥٥ (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بإدغام التاء في الذال أنه سبحانه وتعالى منزه عن الولد

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١٥٦]

١٥٦ (أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ) حجة واضحة أن لله ولداً

﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الصافات: ١٥٧]

١٥٧ (فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ) التوراة فأروني ذلك فيه (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في قولكم ذلك

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ

لَمُخْضَرُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨]

١٥٨ (وَجَعَلُوا) أي المشركون (بَيْنَهُ) تعالى (وَبَيْنَ الْجَنَّةِ) أي الملائكة لاجتنانهم عن الأبصار (نَسَبًا) بقولهم إنها بنات الله (وَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ) أي قائلتي ذلك (لَمُخْضَرُونَ) للنار يعذبون فيها^(١).

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٥٩]

١٥٩ (سُبْحَانَ اللَّهِ) تنزيها له (عَمَّا يُصِفُونَ) بأن لله ولداً

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ١٦٠]

١٦٠ (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أي المؤمنين استثناء منقطع أي فإنهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء

﴿فَأَنذَرْنَا وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: ١٦١]

١٦١ (فَأَنذَرْنَا وَمَا تَعْبُدُونَ) من الأصنام

﴿مَا أَشْرَ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ﴾ [الصافات: ١٦٢]

١٦٢ (مَا أَشْرَ عَلَيْهِ) أي على معبودكم وعليه متعلق بقوله (بِفَتْنَيْنِ) أحداً

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٣]

١٦٣ (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ) في علم الله تعالى

(١) أسباب نزول الآية ١٥٨: وأخرج جوير عن الضحاک عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية في ثلاثة أحياء من قريش: سليم وخزاعة وجهينة ووجعلوا بينه وبين الجنة نساء الآية. * وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد قال: قال كبار قريش: الملائكة بنات الله، فقال لهم أبو بكر الصديق: فمن أمهاتهم؟ قالوا: بنات سراة الجن، فأنزله الله ولقد علمت الجنة إنهم محضرون. »

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصفات: ١٦٤]
 ١٦٤ قال جبريل للنبي ﷺ (وما مِنَّا) معشر
 الملائكة أحد (إلا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) في السموات
 يعبد الله فيه لا يتجاوزه

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ [الصفات: ١٦٥]
 ١٦٥ (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ) أقدامنا في
 الصلاة (١).

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصفات: ١٦٦]
 ١٦٦ (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) المنزهون الله
 عما لا يليق به

﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ [الصفات: ١٦٧]
 ١٦٧ (وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ) (وَإِن كَانُوا) أي
 كفار مكة (لَيَقُولُونَ)

﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأُولِينَ﴾ [الصفات: ١٦٨]
 ١٦٨ (لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا) كتابا (مِّنَ الْأُولِينَ)
 أي من كتب الأمم الماضية

﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الصفات: ١٦٩]
 ١٦٩ (لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) العبادة له

﴿فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الصفات: ١٧٠]
 ١٧٠ - قال تعالى: (فَكَفَرُوا بِهِ) أي بالكتاب
 الذي جاءهم وهو القرآن الأشرف من تلك الكتب
 (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة كفرهم

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِإِِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾
 ١٧١ (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا) بالنصر (لِإِِبَادِنَا)
 المؤمنين وهي لأغلبنا أنا ورسلي

﴿إِنَّمِ لَهُمْ أَلْمُصُورُونَ﴾ [الصفات: ١٧٢]
 ١٧٢ أو هي قوله (إِنَّمِ لَهُمْ أَلْمُصُورُونَ)

﴿وَإِن جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفات: ١٧٣]
 ١٧٣ (وَإِن جُنَدَنَا) أي المؤمنين (لَهُمُ الْغَالِبُونَ)
 الكفار بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا وإن لم
 ينتصر بعض منهم في الدنيا ففي الآخرة

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى جِينَ﴾ [الصفات: ١٧٤]
 ١٧٤ (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) أي أعرض عن كفر مكة
 (حَتَّى جِينَ) تؤمر فيه بقتالهم

﴿وَأَنْصِرْتُمْ فَسَوْفَ يُصِيرُونَ﴾ [الصفات: ١٧٥]
 ١٧٥ (وَأَنْصِرْتُمْ) إذ انزل بهم العذاب (فَسَوْفَ
 يُصِيرُونَ) عاقبة كفرهم

﴿أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الصفات: ١٧٦]
 ١٧٦ فقالوا استهزاء: متى نزول هذا العذاب ؟
 قال تعالى تهديدا لهم (أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ) (١) ؟

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِصَاحِبِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ﴾
 ١٧٧ (فَإِذَا نَزَلَ بِصَاحِبِهِمْ) بفنائهم قال الفراء
 العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم (فَسَاءَ) بس
 صباحا (صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ) فيه إقامة الظاهر مقام
 المضمّر

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى جِينَ﴾ [الصفات: ١٧٨]
 ١٧٨ (وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى جِينَ)

﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُصِيرُونَ﴾ [الصفات: ١٧٩]
 ١٧٩ (وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُصِيرُونَ) كرر تأكيدا
 لتهديدهم وتسلية له ﷺ

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾
 ١٨٠ (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ) الغلبة (عَمَّا
 يَصِفُونَ) بأن له ولدا

﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: ١٨١]
 ١٨١ (وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) المبلغين عن الله

التوحيد والشرائع

(١) أسباب نزول الآية ١٧٦: وأخرج جوير عن ابن عباس
 قال: قالوا: يا محمد أرنا العذاب الذي تخوفنا به عجلة لنا
 فنزلت: «أفعدابنا يستعجلون» الآية صحيح على شرط
 الشيخين.

(١) أسباب نزول الآية ١٦٥: وأخرج ابن أبي حاتم عن
 يزيد بن أبي مالك قال: كان الناس يصلون متبدين فأنزل الله:
 «وإننا لنحن الصافون» الآية فأمرهم أن يصفوا.
 * وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: حدثت ... فذكر
 نحوه.

واحد (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ) أي عجيب (١).

﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آيَةِ الْهَيْكَلِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦]

٦ (وانطلق الملاء منهم) من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي ﷺ قولوا لا إله إلا الله (أن امشوا) أي يقول بعضهم لبعض امشوا واضبروا على آييتكم) اثبتوا على عبادتها (إِنَّ هَذَا) المذكور من التوحيد (لَشَيْءٌ يُرَادُ) منا

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾
٧ (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) أي ملة عيسى (إِنَّ) ما (هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ) كذب

﴿أَمْ نَزَلُ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ عَذَابٌ﴾ [ص: ٨]

٨ (أَنْزَلَ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه (عَلَيْهِ) على محمد (الذِّكْرُ) القرآن (مِنْ بَيْنِنَا) وليس بأكبرنا ولا أشرفنا أي لم ينزل عليه قال تعالى (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي) وحبي القرآن حيث كذبوا الجائي به (بَلْ لَمَّا) لم (يَدْعُوا عَذَابٌ) ولو ذاقوا لصدقوا النبي ﷺ فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾

٩ (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ) الغالب (الْوَهَّابِ) من النبوة وغيرها فيعطونها من شأوا

﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ [ص: ١٠]

١٠ (أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) إن زعموا ذلك (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ)

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ١٨٢]

١٨٢ (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) على نصرهم وهلاك الكافرين .

٣٨ سورة ص

مكية وآياتها ٨٨ ثمان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١]

١ (ص) الله أعلم بمراده به (وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) أي البيان أو الشرف وجواب هذا القسم محذوف أي ما الأمر كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي﴾ [ص: ٢]

٢ (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فِي عِزِّهِمْ) حمية وتكبر عن الإيمان (وَشِقَاقِي) خلاف وعداوة للنبي ﷺ

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَجِئْ بِنَبِيٍّ كَمِثْلِكُمْ﴾

٣ (كَمْ) أي كثيرا (أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ) أي أمة من الأمم الماضية (فَنَادَوا) حين نزول العذاب بهم (وَلَا تَجِئْ بِنَبِيٍّ) أي ليس الحين حين فرار والتاء زائدة والجملة حال من فاعل نادوا أي استغاثوا والحال أن لا مهرب ولا منجى وما اعتبر بهم كفار مكة

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾

٤ (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ) رسول من أنفسهم ينذرهم ويخوفهم النار بعد البعث وهو النبي ﷺ (وَقَالَ الْكَاذِبُونَ) فيه وضع الظاهر موضع المضمرة (هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ)

﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾

٥ (أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا) حيث قال لهم قولوا لا إله إلا الله أي كيف يسع الخلق كلهم إله

٣٨- سورة ص أخرج أحمد والترمذي (١) أسباب نزول الآيات ٥: أخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاءه النبي ﷺ فشكوه إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخي؟ ما تريد من قومك؟ قال: أريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم العجم الجزية كلمة واحدة؟ قال: نعم، قال: ما هي؟ قال: «لا إله إلا الله» فقالوا: إنها واحدة؟ إن هذا لشيء عجاب فنزل فيهم: «ص والقرآن» إلى قوله: «بل لما يدعوا عذاب» الآية.

ويقوم سدسه (إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجاء إلى مرضاة الله

﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾

١٨ (إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ) بتسبيحه (بِالْعُشِيِّ) وقت صلاة العشاء (وَالْإِشْرَاقِ) وقت صلاة الضحى وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٩]

١٩ (و) سَخَرْنَا (الطَّيْرَ مَحْشُورَةً) مجموعة إليه تسبح معه (كُلٌّ) من الجبال والطيور (لَهُ أَوَّابٌ) رجاء إلى طاعته بالتسبيح

﴿وَسَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَايَتْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾

٢٠ (وَسَدَدْنَا مُلْكَهُ) قويناه بالحرس والجنود وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل (وَأَيَّتْنَاهُ الْحِكْمَةَ) النبوة والإصابة في الأمور (وَفَصَّلَ الْخُطَابِ) البيان الشافي في كل قصد

﴿وَهَلْ أُنْتِكَ نَبُؤًا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾

٢١ (وَهَلْ) معنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق إلى استماع ما بعده (أُنْتِكَ) يا محمد (نَبُؤًا) الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) محراب داود؟ أي مسجده حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة أي خبرهم وقصتهم.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَرَّجَ مِنْهُمْ فُلُوقَهُمْ فَمِنْ أُولَئِكَ أَرْسَلْنَا دَاوُدَ إِلَى مَلِكِهِمْ وَجِبَالَيْهَا إِذْ يَسُوطُ﴾

﴿وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [ص: ٢٢]

٢٢ (إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَرَّجَ مِنْهُمْ فُلُوقَهُمْ) نحن (خَصْمَانِ) قيل فريقان ليطلب ما قبله من ضمير الجمع وقيل اثنان والضمير بمعناهما والخصم يطلق على الواحد وأكثر وهما ملكان جاءا في صورة خصمين وقع لهما ما ذكر على سبيل الفرض لتنبية داود عليه السلام على ما وقع منه وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها (بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاخْتُمْنَا بِالنَّحْوِ وَلَا تُسْطِطُ) تجر (واهدينا) أرشدنا (إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) وسط الطريق الصواب

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِيَّ نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ﴾

الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شأوا وأم في الموضوعين بمعنى همزة الإنكار.

﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ [ص: ١١]

١١ (جُنْدٌ مَا) أي جندهم جند حقير (هُنَالِكَ) في تكذيبهم لك (مَهْزُومٌ) صفة جند (مِّنَ الْأَحْزَابِ) صفة جند أيضا كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك وأولئك قد قهروا وأهلكوا فكذلك نهلك هؤلاء

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾

١٢ (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) تأتيث قوم باعتبار المعنى (وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ) كان يتد لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه

﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْأَخْرَابِ﴾

١٣ (وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) أي الفيضة وهم قوم شعيب عليه السلام (أُولَئِكَ الْأَخْرَابِ)

﴿إِنْ كُلُّ لُؤْلُؤٍ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ﴾

١٤ (إِنْ) ما (كُلُّ) من الأحزاب (إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ) لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم لأن دعوتهم واحدة وهي دعوة التوحيد (فَحَقَّ) وجب (عِقَابُ)

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾

١٥ (وَمَا يَنْظُرُ) ينتظر (هَؤُلَاءِ) أي كفار مكة (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) وهي نفخة القيامة تحل بهم العذاب (مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) بفتح الفاء وضمها رجوع

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾

١٦ (وَقَالُوا) لما نزل (فَأَمَّا مِنْ أَوْتِي كِتَابِهِ بِيَمِينِهِ) [١٩: ٦٩] (رَبَّنَا عَجَلْنَا لَنَا قِطْنًا) أي: كتاب أعمالنا (قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) قالوا ذلك استهزاء

﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾

١٧ - قال تعالى: (أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ) أي القوة في العبادة كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل وينام ثلثه

فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿ص: ٢٣﴾

٢٣ (إِنَّ هَذَا أُخِي) أي على ديني (لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْعَةً) يعبر بها عن المرأة (وَلِي نَجْعَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا) أي اجعلني كافلها (وَعَزَّنِي) غلبني (فِي الْخِطَابِ) أي الجدل وأقره الآخر على ذلك

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْتَغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿ص: ٢٤﴾﴾

٢٤ (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ) ليضمها (إِلَىٰ نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ) الشركاء (لَيَبْتَغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) ما لتأكيد القلة فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء قضي الرجل على نفسه فتنبه داود قال تعالى (وَظَنَّ) أي يقن (دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) أوقعناه في فتنة أي بلية بمحبته تلك المرأة (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا) ساجدا (وَأَنَابَ)

﴿فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿ص: ٢٥﴾﴾

٢٥ (فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ) أي زيادة خير في الدنيا (وَحُسْنَ مَّآبٍ) مرجع في الآخرة

﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿ص: ٢٦﴾﴾

٢٦ (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) تدبر أمر الناس (فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ) أي هوى النفس (فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) أي عن الدلائل الدالة على توحيدهِ (إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) أي عن الإيمان بالله (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا) بنسيانهم (يَوْمَ الْحِسَابِ) المرتب عليه تركهم الإيمان ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿ص: ٢٧﴾﴾

٢٧ (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا) أي عبثاً (ذَلِكَ) أي خلق ما ذكر لا لشيء (ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فَوَيْلٌ) واد (لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ)

﴿أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿ص: ٢٨﴾﴾

٢٨ (أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين إنا نعطي في الآخرة مثل ما تعطون وأم بمعنى همزة الإنكار

﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مِيزَانًا لِّدَبْرُورٍ ءَاتَيْنَاهُ وَإِن تَدَّكَّرَ أَوَّلًا ﴿ص: ٢٩﴾﴾

٢٩ (كَتَبْنَا) خير مبتدأ محذوف أي هذا (أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مِيزَانًا لِّدَبْرُورٍ) أصله يتدبروا أدغمت التاء في الدال (أَاتَيْنَاهُ) ينظروا في معانيها فيؤمنوا (وَلِيَتَذَكَّرَ) يتعظ (أَوَّلًا) أصحاب العقول

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿ص: ٣٠﴾﴾

٣٠ (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ) ابنه (نِعَمَ الْعَبْدِ) أي سليمان (إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجاع في التسيب والذكر في جميع الأوقات

﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْغِيَادُ ﴿ص: ٣١﴾﴾

٣١ (إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ) هو ما بعد الزوال (الصَّافِنَاتُ) الخيل جمع صافنة وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر وهو من صفن يصفن صفونا (الغِيَادُ) جمع جواد وهو السابق المعنى أنها إذا استوقفت سكنت وإن ركضت سبقت وكانت ألف فرس عرضت عليه بعد أن صلى الظهر لإرادته الجهاد عليها لعدو فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاغتم

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿ص: ٣٢﴾﴾

﴿وَأَخْرَيْنَ مُفْرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٨]

٣٨ (وَأَخْرَيْنَ) منهم (مُفْرِنِينَ) مشدودين (في الأصْفَادِ) القيود بجمع أيديهم إلى أعناقهم

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ امْكُتْ بِعَبْرٍ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩]

٣٩ وقلنا له (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ) أعط منه من شئت (أَوْ امْكُتْ) عن العطاء (بِعَبْرٍ حِسَابٍ) أي لا حساب عليك في ذلك

﴿وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لُزْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٤٠]

٤٠ (وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لُزْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ) تقدم مثله

﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ

بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]

٤١ (وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي) أي بأني (مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ) بضر (وَعَذَابٍ) ألم ونسب ذلك إلى الشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله تأديبا معه تعالى

﴿أَرَاكَ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدًا وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٤٢]

٤٢ وقيل له (أَرَاكَ بِرِجْلِكَ) اضرب (بِرِجْلِكَ) الأرض فضرب فنبعت عين ماء فليل (هَذَا مُغْتَسَلٌ) ماء تغتسل فيه (بَارِدًا وَشَرَابًا) تشرب منه فاعتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِأُولَىٰ

الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٤٣]

٤٣ (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) أي أحيا الله من مات من أولاده ورزقه مثلهم (رَحْمَةً) نعمة (مِنَّا وَذِكْرًا) عظة (لِأُولَىٰ الْأَلْبَابِ) لأصحاب العقول

﴿وَوَحَّدَ بِبِيدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ

صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]

٤٤ (وَوَحَّدَ بِبِيدِكَ ضِعْفًا) هو حزمة من حشيش أو قضبان (فَأَضْرِبْ بِهِ) زوجتك وكان قد حلف ليضربها مائة ضربة لإبائها عليه يوما (وَلَا تَحْنُتْ) بترك ضربها فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره فضربها به ضربة واحدة (وَأَنَا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ) أيوب (لِأَنَّ أَوَّابًا) رجاع إلى الله تعالى

٣٢ (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ) أي أردت (حُبَّ الْخَيْرِ) أي الخيل (عَنْ ذِكْرِ رَبِّي) أي صلاة العصر (حَتَّىٰ تَوَارَتْ) أي الشمس (بِالْحِجَابِ) أي استترت بما يحجبها عن الأبصار

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسًّا بِالشُّوقِ وَالْأَغْتَابِ﴾

٣٣ (رُدُّوهَا عَلَيَّ) أي الخيل المعروضة فردوها (فَطَفِقَ مَسًّا) بالسيف (بِالشُّوقِ) جمع ساق (وَالْأَغْتَابِ) أي ذبحها وقطع أرجلها تقربا إلى الله تعالى حيث اشغل بها عن الصلاة وتصدق بلحمها فعوضه الله خيرا منها وأسرع وهي الرياح تجري بأمره كيف شاء

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾

٣٤ (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) ابتليناه بسلب ملكه وذلك لتزوجه بامرأة عشقها وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه وكان ملكه في خاتمه فتزعه مرة عند إرادة الخلاء ووضعها عند امرأته المسماة بالأمنية على عادته فجاءها جن في صورة سليمان فأخذه منها (وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) هو ذلك الجن وهو صخر أو غيره جلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير وغيرها فخرج سليمان في غير هيئته فراه على كرسيه وقال للناس أنا سليمان فأنكروه (ثُمَّ أَنَابَ) رجع إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْئُتُنِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]

٣٥ (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْئُتُنِي) لا يكون (لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) أي سواي نحو (فمن يهديه من بعد الله) [٢٣: ٤٥] أي سوى الله (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾

٣٦ (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً) لينة (حَيْثُ أَصَابَ) أراد

﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧]

٣٧ (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ) يبني الأبنية العجيبة (وَعَوَّاصٍ) في البحر يستخرج اللؤلؤ

٥٣ (هَذَا) المذكور (مَا تُوعَدُونَ) بالغيبة
والخطاب التفاتاً (لِيُؤْمِرَ الْحِسَابَ) أي لأجله

﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]

٥٤ (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) أي انقطاع
والجملة حال من رزقنا أو خبر ثان لأن أي دائماً أو
دائم

﴿هَذَا وَابْتَغِ الْوَعْدَ لِلسَّاعَةِ﴾ [ص: ٥٥]

٥٥ (هَذَا) المذكور للمؤمنين (وَإِنَّ لِلطَّاغِيَتِينَ)
مستأنف (لَشَرَّ مَأْبٍ)

﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَمِنْ آلِهَا﴾ [ص: ٥٦]

٥٦ - هو (جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا) يدخلونها (فَيُفَسِّنَ)
المهَادُ الفِراش

﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ [ص: ٥٧]

٥٧ (هَذَا) أي العذاب المفهوم مما بعده
(فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ) أي ماء حار محرق (وَعَسَاقٌ)
بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار

﴿وَأَخْرَجُوا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾ [ص: ٥٨]

٥٨ (وَأَخْرَجُوا) بالجمع والإفراد (مِنْ شَكْلِهِ) أي:
مثل المذكور من الحميم والعساق (أَزْوَاجًا) أصناف
أي عذابهم من أنواع مختلفة

﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَدِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾

٥٩ ويقال لهم عند دخولهم النار باتباعهم (هَذَا)
فَوْجٌ جمع (مُقْتَدِمٌ) داخل (مَعَكُمْ) النار بشدة
فيقول المتبعون (لَا مَرْحَبًا بِهِمْ) أي لا سعة عليهم
(إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ)

﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمُرْجَأٌ بَكْرًا أَنْتُمْ قَدَمْتُمُوهُ لَنَا فَيَسِّرْ لَنَا أَمْزَاجًا﴾

٦٠ (قَالُوا) أي: الأتباع (بَلْ أَنْتُمْ لَمُرْجَأٌ بَكْرًا أَنْتُمْ قَدَمْتُمُوهُ لَنَا) فَيَسِّرْ لَنَا أَمْزَاجًا

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَهُ عَلَيْنَا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾

٦١ (قَالُوا) أيضاً (رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَهُ)
عَدَابًا ضِعْفًا) مثل عذابه على كفره (فِي النَّارِ)

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِثْلَ الْقُرَى﴾

[ص: ٦٢]

﴿وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي
وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥]

٤٥ (وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ)
أُولَى الْأَيْدِي) أصحاب القوى في العبادة (وَالْأَبْصَارِ)
البصائر في الدين وفي قراءة عبدنا وإبراهيم بيان له
وما بعده عطف على عبدنا

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: ٤٦]

٤٦ (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ) هي (ذِكْرَى)
الدَّارِ) الآخرة أي ذكرها والعمل لها وفي قراءة
بالإضافة وهي للبيان

﴿وَأَيُّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٧]

٤٧ (وَأَيُّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ) المختارين
(الْأَخْيَارِ) جمع خير بالتشديد

﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾

٤٨ (وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ) هو نبي واللام
زائدة (وَذَا الْكِفْلِ) اختلف في نبوته قيل كفل مائة
نبي فروا إليه من القتل (وَكُلٌّ) أي كلهم (مِّنْ)
الْأَخْيَارِ) جمع خير بالتثنية

﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَّآبٍ﴾ [ص: ٤٩]

٤٩ (هَذَا ذِكْرٌ) لهم بالثناء الجميل هنا (وَإِنَّ)
لِلْمُتَّقِينَ) الشاملين لهم (لِحُسْنِ مَّآبٍ) مرجع في
الآخرة

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مِّنْهُنَّ لَهُمُ الْأَنْبُوبُ﴾ [ص: ٥٠]

٥٠ (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) بدل أو عطف بيان لحسن
مآب (مِّنْهُنَّ لَهُمُ الْأَنْبُوبُ) منها

﴿مُنْتَكِبِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾

٥١ (مُنْتَكِبِينَ فِيهَا) على الأرائك (يُدْعَوْنَ فِيهَا)
بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ (وَشَرَابٍ)

﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مَّرْمَرٌ الْأَنْبُوبُ﴾ [ص: ٥٢]

٥٢ (وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مَّرْمَرٌ) حابسات العين
على أزواجهن (الْأَنْبُوبُ) أسنانهن واحدة وهي بنات
ثلاث وثلاثين سنة

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٥٣]

- ٧١ اذكر (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ
بَشَرًا مِّن طِينٍ) هو آدم ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُم سَاجِدِينَ﴾
- ٧٢ (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ) أتممته (وَنَفَخْتُ) أجريت (فيه
مِن رُّوحِي) فصار حيا وإضافة الروح إليه تشریف
لآدم والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوزه
فيه (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) سجدوا تحية بالانحناء
﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [ص: ٧٣]
- ٧٣ (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) فيه
تأكيدان
- ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: ٧٤]
- ٧٤ (إِلَّا إِبْلِيسَ) هو أبو الجن كان بين
الملائكة (اسْتَكْبَرَ) وكان مِنَ الْكَافِرِينَ) في علم الله
تعالى
﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّ
اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]
- ٧٥ (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا
خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّ) أي توليت خلقه وهذا تشریف لآدم
فإن كل مخلوق تولى الله خلقه (اسْتَكْبَرْتَ) الآن
عن السجود استهفام توبيخ (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ)
المتكبرين فتكبرت عن السجود لكونك منهم
﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ
مِن طِينٍ﴾
- ٧٦ (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ
مِن طِينٍ)
- ﴿قَالَ فَأَخْرِجْهَا فَإِنَّكَ رَاجِمٌ﴾ [ص: ٧٧]
- ٧٧ (قَالَ فَأَخْرِجْهَا) أي من الجنة وقيل من
السموات (فَأَنَّكَ رَاجِمٌ) مطرود
﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: ٧٨]
- ٧٨ (وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) الجزاء
﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: ٧٩]
- ٧٩ (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أي
الناس
﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [ص: ٨٠]

- ٦٢ (وَقَالُوا) أي كفار مكة وهم في النار (مَا
لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ) في الدنيا (مِنَ
الْأَشْرَارِ)
﴿أَتَخَذْتَهُمْ سِخْرِيًا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْبَصَرُ﴾ [ص: ٦٣]
- ٦٣ (أَتَخَذْتَهُمْ سِخْرِيًا) بضم السين وكسرهما
أي كنا نسخر بهم في الدنيا والياء للنسب أي:
أمفقودون هم ؟ (أَمْ زَاغَتْ) مالت (عَنْهُمْ الْبَصَارُ)
فلم نرهم ؟ وهم فقراء المسلمين كعمار وبلال
وصهيب وسلمان
﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: ٦٤]
- ٦٤ (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ) واجب وقوعه وهو
(تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) كما تقدم
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي أَلْفَهَارُ﴾
- ٦٥ (قُلْ) يا محمد لكفار مكة (إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ)
مخوف بالنار (وما مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)
لخلقه
﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾
- ٦٦ (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ)
الغالب على أمره (الْعَفَّارُ) لأوليائه
﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص: ٦٧]
- ٦٧ (قُلْ) لهم (هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ)
﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٨]
- ٦٨ (أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) أي القرآن الذي
أنبأتكم به وجنتكم فيه بما لا يعلم إلا بوحى وهو
قوله
﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلِكِ الْأَخْلَاقِ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾
- ٦٩ (مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلِكِ الْأَخْلَاقِ) أي
الملائكة (إِذْ يَخْتَصِمُونَ) في شأن آدم حين قال الله
لاني جاعل في الأرض خليفة الخ
﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَهٍ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [ص: ٧٠]
- ٧٠ (إِنْ) ما (يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا) أي لاني
(نَذِيرٌ مُّبِينٌ) بين الإنذار
﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾

٣٩ - سورة الزمر مكية

إِلَّا قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴿٥٣﴾
الآية فمحدنية وآياتها ٧٥ خمس وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾

١ (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن مبتدأ (مِنَ اللَّهِ) خيره (الْعَزِيزِ) في ملكه (الْحَكِيمِ) في صنعه .
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ
الذِّينَ﴾ [الزمر: ٢]

٢ (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) يا محمد (الْكِتَابَ بِالْحَقِّ)
متعلق بأنزل (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الذِّينَ) من
الشرك أي موحد له

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ
أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فِي مَآئِهِمْ فِي مَآئِهِمْ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا
يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]

٣ (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) لا يستحقه غيره
(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ) الأصنام (أَوْلِيَاءَ) وهم
كفار مكة قالوا (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ
زُلْفَىٰ) قربي مصدر بمعنى تقريبا (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ) وبين المسلمين (فِي مَآئِهِمْ فِي مَآئِهِمْ يَخْتَلِفُونَ) من
أمر الدين فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار (إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ) في نسبة الولد إليه
(كَفَّارٌ) بعبادته غير الله (١)

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا
يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾

٤ (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) كما قالوا (اتخذ
الرحمن ولدا) [١٩: ٨٨، ٢٦: ٢١] (لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) واتخذها ولدا غير من قالوا إن

٨٠ (قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ)

﴿إِنَّ يَوْمَ الْوَعْدِ الْمَعْلُومِ﴾ [ص: ٨١]

٨١ (أَلَىٰ يَوْمِ الْوَعْدِ الْمَعْلُومِ) وقت النفخة
الأولى

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]

٨٢ (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٣]

٨٣ (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) المؤمنين

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ [ص: ٨٤]

٨٤ (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ) بنصبهما ورفع
الأول ونصب الثاني فنصبه بالفعل بعده ونصب
الأول قيل بالفعل المذكور وقيل على المصدر أي
أحق الحق وقيل على نزع حرف القسم ورفع على
أنه مبتدأ محذوف الخبر أي فالحق مني وقيل
فالحق قسمي وجواب القسم

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

٨٥ (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ) بذريتك (وَمِمَّن
تَبِعَكَ مِنْهُمْ) الناس (أَجْمَعِينَ)

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾

٨٦ (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) علي تبليغ الرسالة
(مِنْ أَجْرٍ) لجعل (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ) المتقولين
القرآن من تلقاء نفسي

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧]

٨٧ (إِنَّ هُوَ) أي ما القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) عظة
(لِلْعَالَمِينَ) للإنس والجن والعقلاء دون الملائكة

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [ص: ٨٨]

٨٨ (وَلَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) يا كفار مكة (نَبَأَهُ) خبر صدقه
(تَتَّقُونَ) أي يوم القيامة وعلم بمعنى عرف واللام
لام قسم مقدر أي والله .

٣٩ - سورة الزمر

(١) أسباب نزول الآية ٣: أخرج جوير عن ابن عباس في
هذه الآية قال: أنزلت في ثلاثة أحياء عامر، وكنانة، وبني
سلمة، كانوا يعبدون الأوثان ويقولون: الملائكة بناته فقالوا: «ما
نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى».

تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما في القلوب
 ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا
 حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًّا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ
 وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ
 قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨]

٨ (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ) أي الكافر (ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ) يتضرع (مُنِيبًا) راجعاً (إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً) أعطاه إنعاماً (مُنْهُ نَسِيَ) ترك (مَا كَانَ يَدْعُوًّا) يتضرع (إِلَيْهِ) من قَبْلُ) وهو الله فيما في موضع من (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا) شركاء (لِّيُضِلَّ) بفتح الهمزة وضمها (عَنْ سَبِيلِهِ) دين الإسلام (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا) بقية أجلك (إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)

﴿أَمَّنْ هُوَ قَدِيتُ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ
 الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ
 وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

٩ (أَمَّنْ) بتخفيف الميم (هُوَ قَائِمٌ) قائم بوظائف الطاعات (أَنَاءَ اللَّيْلِ) ساعاته (سَاجِدًا وَقَائِمًا) للصلاة (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) أي يخاف عذابها (وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ) كمن هو عاص بالكفر أو غيره ؟ وفي قراءة «أَم من» فأم بمعنى بل والهمزة (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أي لا يستويان كما لا يستوي العالم والجاهل (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ) يتعظ (أُولُو الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (١).

﴿قُلْ يٰٓعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي
 هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى
 الصَّالِحُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]

١٠ (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ) أي عذابه بأن تطيعوه (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا)

(١) أسباب نزول الآية ٩: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر في قوله تعالى: «أمن هو قانت» الآية: قال: نزلت في عثمان بن عفان.

* وأخرج ابن سعد من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت في عمار بن ياسر.
 * وأخرج جوير عن ابن عباس قال: نزلت في ابن مسعود وعمار بن ياسر وسالم مولى أبي حذيفة.
 * وأخرج جوير عن عكرمة قال: نزلت في عمار بن ياسر.

الملائكة بنات الله و(عزير ابن الله) و(المسيح ابن الله) (شبحاته) تنزيها له عن اتخاذ الولد (هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) لخالقه

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥]

٥ (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) متعلق بخلق (يُكَوِّرُ) يدخل (اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ) فيزيد (وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ) يدخله (عَلَى اللَّيْلِ) فيزيد (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي) في فلكه (لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) ليوم القيامة (أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ) الغالب على أمره المنتقم من أعدائه (الغفار) لأوليائه

﴿خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَجِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَخَّرْنَا بِهَا لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الزمر: ٦]

٦ (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ) أي آدم (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) حواء (وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) والبقرة والغنم والضأن والمعز (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) من كل زوجين ذكرا وأنثى كما بين في سورة «الأنعام» [٦: ١٤٣] (يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ) أي نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) عن عبادته إلى عبادة غيره ؟

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الزمر: ٧]

٧ (إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا) الله فتؤمنوا (يَرْضَهُ) يسكون الهاء وضمها مع إشباع ودونه أي: الشكر (لَكُمْ وَلَا تَزِرُ) نفس (وَازِرَةٌ وَزْرًا) نفس (أُخْرَى) أي لا تحمله (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ

بالطاعة (حَسَنَةً) هي الجنة (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ) فهاجروا إليها من بين الكفار ومشاهدة المنكرات (إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ) على الطاعة وما يتبلون به (أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) بغير مكيال ولا ميزان .

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾

١١ ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ١٢]

١٢ ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

١٣ ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]

١٤ ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ من الشرك

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾

١٥ ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ غيره فيه تهديد لهم وإيدان بأنهم لا يعبدون الله تعالى (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بتخليد الأنفس في النار وبدعم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا (أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) البين

﴿لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَكْفُرُونَ﴾ [الزمر: ١٦]

١٦ ﴿لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ﴾ طباق (مَنْ النَّارِ) ومن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ من النار (ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ) أي المؤمنين ليتقوه يدل عليه (يَا عِبَادِ فَاتَّقُوا)

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧]

١٧ ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الأوثان (أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا) أقبلوا (إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى) بالجنة

(فَبَشِّرْ عِبَادِ) (١)

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

١٨ ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ وهو ما فيه فلاحهم (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾

١٩ ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي (لأملأن جهنم) الآية [١١: ١١٩] (أَفَأَنْتَ تُنقِذُ) تخرج (مَنْ فِي النَّارِ) جواب الشرط وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر والهمزة للإنكار والمعنى لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَنُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ قَوْفِهَا غَرُوفٌ مَبِينَةٌ تُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ﴾

٢٠ ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ بأن أطاعوه (لَهُمْ عَذَابٌ غَرُوفٌ مِنْ قَوْفِهَا غَرُوفٌ مَبِينَةٌ تُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أي من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية (وَعَدَّ اللَّهُ) منصوب بفعله المقدر (لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ) وعده

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مَصْفُورًا ثُمَّ يُجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١]

٢١ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ﴾ أدخله أمكنة نبع (في الأرض) ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ بعد الخضرة مثلا (مُضْفَرًا ثُمَّ يُجْعَلُهُ حُطَامًا) فنانا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ)

(١) أسباب نزول الآية ١٧: أخرج جوهر بسنده عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت: «لها سبعة أبواب» الآية. أتى رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي سبعة ممالك وإني قد أعتقت لكل باب منها مملوكاً فنزلت فيه هذه الآية: «فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه».

* أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أن هذه الآية نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي.

﴿ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٦]

٢٦ (فَأَذَانُهُمُ اللَّهُ الْخِزْيِيُّ) الذل والهوان من المسخ والقتل وغيره (في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا المكذبون (يعلمون) عذابها ما كذبوا

﴿ وَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧]

٢٧ (وَلَقَدْ صَرَبْنَا) جعلنا (للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) يتعظون

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

٢٨ (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) حال مؤكدة (غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) أي: بس واختلاف (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الكفر

﴿ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّمُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

٢٩ (صَرَبَ اللَّهُ) للمشرك والموحد (مَثَلًا رَجُلًا) بدل من مثلاً (فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّمُونَ) متنازعون سيفة أخلاقهم (وَرَجُلًا سَلَمًا) خالصا (لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) تمييز أي لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد فإن الأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تحير فيمن يخدمه منهم وهذا مثل للمشرك والثاني مثل للموحد (الْحَمْدُ لِلَّهِ) وحده (بَلْ أَكْثَرُهُمْ) أي: أهل مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]

٣٠ (إِنَّكَ) خطاب للنبي ﷺ (مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) ستموت ويموتون فلا شماعة بالموت نزلت لما استبطئوا موته ﷺ

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾

٣١ (ثُمَّ إِنَّكُمْ) أيها الناس فيما بينكم من المظالم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ)

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾

٣٢ (فَمَنْ) أي لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ) بنسبة الشريك له والولد إليه (وَكَذَبَ

يتذكرون به للدلالة على وحدانية الله تعالى وقدرته

﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر: ٢٢]

٢٢ (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ) فاهتدى (فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ) كمن طبع على قلبه ؟ دل على هذا (فَوَيْلٌ) كلمة عذاب (لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ) أي عن قبول القرآن (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بين

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَتَانًا نَفَّسَهُ مِنهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى لِلَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَسَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فََمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣]

٢٣ (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا) بدل من أحسن أي قرآنا (مُتَشَابِهًا) أي يشبه بعضه بعضا في النظم وغيره (مَتَانًا) (يَشْنِي فِيهِ الْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ وَغَيْرَهُمَا تَقْسِمُهُ مِنْهُ) ترتعد عند ذكر وعيده (جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ) يخافون (رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ) تطمئن (جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) عند ذكر وعده (ذَلِكَ) أي الكتاب (هُدًى لِلَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَسَاءُ) وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فََمَا لَهُ مِن هَادٍ (١).

﴿ أَفَمَن يَتَّبِعِ بَوَّجَهُ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٢٤]

٢٤ (أَفَمَن يَتَّبِعِ) يلقى (بَوَّجَهُ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أي: أشده بأن يلقى في النار مغلولة يداه إلى عنقه كمن أمن منه بدخول الجنة (وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ) كفار مكة (ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) أي جزاءه

﴿ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاذْتَهُمُ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الزمر: ٢٥]

٢٥ (كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) رسلهم في إتيان العذاب (فَاذْتَهُمُ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) من جهة لا تخطر ببالهم

﴿ فَأَذَانُهُمُ اللَّهُ الْخِزْيِيُّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ

(١) أسباب نزول الآية ٢٣: تقدم سببها في سورة يوسف.

الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿الزمر: ٣٨﴾

٣٨ (وَلَيْسَ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُوا اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) الأصنام (إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ) لا (أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِيهِ) لا وفي قراءة بالإضافة فيهما (قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) يتقن الواقفون

﴿قُلْ يَتَقَوَّمُوا عَمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٣٩]

٣٩ (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) حالكم (إِنِّي عَامِلٌ) على حالتي (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِبُهُ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ٤٠ (مَنْ) موصولة مفعول العلم (يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِبُهُ وَيَجْعَلُ) ينزل (عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) دائم هو عذاب النار وقد أخزاهم الله بيدر

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَيْتَ فَلِنَنصِبِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١]

٤١ (إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ) متعلق بأنزل (فَمَنِ اهْتَكَيْتَ فَلِنَنصِبِهِ) اهتداؤه (وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا) وما أنت عليهم بوكيل (فَتَجِيرُهُمْ) على هدى

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَابِعِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢]

٤٢ (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) يتوفى (الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَابِعِهَا) أي يتوفاهما وقت النوم (فَيُمسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) أي وقت موتها والمرسلة نفس التمييز تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لآيَاتٍ) دلالات (لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث وقرينش لم يتفكروا في ذلك

بِالصِّدْقِ بِالْقُرْآنِ (إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى) مأوى (لِلْكَافِرِينَ) بلى .

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]

٣٣ (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) هو النبي ﷺ (وَصَدَّقَ بِهِ) هم المؤمنون فالذي بمعنى الذين (أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) الشرك

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٣٤ (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ) لأنفسهم بإيمانهم

﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٥]

٣٥ (لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) أسوأ وأحسن بمعنى السيء والحسن

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

٣٦ (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) أي النبي ؟ بلى (وَيُخَوِّفُونَكَ) الخطاب له (بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) أي الأصنام أن تقتله أو تخبله (وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (١)

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ [الزمر: ٣٧]

٣٧ (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ) أليس الله يعزيزين غالب على أمره (ذِي انْتِقَامٍ) من أعدائه ؟ بلى

﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُوا اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِيهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ

(١) أسباب نزول الآية ٣٦: أخرج عبد الرزاق عن معمر قال لي رجل قالوا للنبي ﷺ لتكفن عن شتم ألهتنا أو لتأمرنا فلتخبلنك فنزلت: (ويخوفونك بالذين من دونه) الآية.

وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَبَدَأَ ظَهَرَ (لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ)
يظنون.

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزمر: ٤٨]

٤٨ ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ نَزَلَ
(بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أي العذاب

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نَمَّ إِذَا حَوْلَتْهُ نِعْمَةٌ
مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّا
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩]

٤٩ ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الْجِنْسَ (ضُرٌّ) دَعَا نَمَّ
إِذَا حَوْلَتْهُ) أعطيتاه (نعمة) إنعاماً (مُتًا) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ
عَلَىٰ عِلْمٍ) من الله بأنني له أهل (بَلْ هِيَ) أي القولة
(فِتْنَةٌ) بَلِيَّةٌ يبتلى بها العبد (وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ) أن التحويل استدراج وامتحان

﴿فَقَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٥٠]

٥٠ ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم
كفارون وقومه الراضين بها (فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ)

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَتُولَاءِ
سَيِّبِيهِمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾

٥١ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أي جزاؤها
(وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَتُولَاءِ) أي قريش (سَيِّبِيهِمْ
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) بفاتنتين عذابنا
فقطحوا سبع سنين ثم وسع عليهم

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزمر: ٥٢]

٥٢ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه
(لِمَنْ يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء
(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) به

﴿قُلْ يَجْعَلِي الَّذِينَ آسَرُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ
رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]

﴿أَرَأَيْتُمْ أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلُو كَانُوا
لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَخْفَىٰ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٤٣]

٤٣ ﴿أَرَأَيْتُمْ أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي الأصنام
الهة (شُفَعَاءَ) عند الله بزعمهم ؟ (قُلْ) لهم (أ)
يشفعون (وَأَوْلُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا) من الشفاعة
وغيرها (وَلَا يَخْفَىٰ لَكُمْ) أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟
لا

﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
تُمْ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤]

٤٤ ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا) أي هو مختص
بها فلا يشفع أحد إلا بإذنه (لَمْ يَكُنْ لَكُمْ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ تُمْ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا
هُمْ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]

٤٥ ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ) أي دون آلهتهم
(اشْمَأَزَّتْ) نفرت وانتبضت (قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ) وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) أي الأصنام (إِذَا
هُمْ يَسْتَهْزِئُونَ) (١)

﴿قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ
وَالشَّهِدَةَ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦]

٤٦ ﴿قُلْ اللَّهُمَّ) بمعنى يا الله (فَاطِرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ) مبدعهما (عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهِدَةَ) ما غاب
وما شوهد (أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين اهدني لما اختلفوا فيه من
الحق

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ
مَعَهُ لَافْتَدُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِسْمَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ
مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]

٤٧ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

(١) أسباب نزول الآية ٤٥: أخرج ابن المنذر عن مجاهد
أنها نزلت في قراءة النبي ﷺ النجم عند الكعبة وفرحهم عند
ذكر الآلهة.

كِرَّةً) رجعة إلى الدنيا (فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)
المؤمنين فيقال له من قبل الله

﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ
مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٩]

٥٩ ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ القرآن وهو سبب
الهداية (فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ) تكبرت عن
الإيمان بها (وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ)

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم
مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾

٦٠ (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ)
بنسبة الشريك والولد إليه (وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ
فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى) مأوى (لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) عن الإيمان؟
بلى

﴿وَسِجِّ اللَّهِ الَّذِينَ اتَّقَوْا يَمَعَارِظَهُمْ لَا يَمَسُّهُمْ
الشُّؤْمُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١]

٦١ (وَيُنَجِّي اللَّهُ) من جهنم (الَّذِينَ اتَّقَوْا)
الشرك (بِمَعَارِظِهِمْ) أي بمكان فوزهم من الجنة بأن
يجعلوا فيه (لَا يَمَسُّهُمْ الشُّؤْمُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾
٦٢ (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
وَكِيلٌ) متصرف فيه كيف يشاء

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
بِعَآيٰتِ اللَّهِ أَولٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾ [الزمر: ٦٣]

٦٣ (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ) أي مفاتيح
خزائنها من المطر والنبات وغيرها (وَالَّذِينَ كَفَرُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن (أولٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ) متصل

٥٣ ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ
لَا تَقْنَطُوا) بكسر النون وفتحها وقرىء بضمها
تياسوا (مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا)
لمن تاب من الشرك (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (١).

﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]

٥٤ (وَأَنِيبُوا) ارجعوا (إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا)
أخلصوا العمل (لَهُ) من قبل أن يأتيتكم العذاب ثم لا
تُنصَرُونَ) بمنعه إن لم تتوبوا

﴿وَأَسْبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

٥٥ (وَأَسْبِعُوا أَحْسَنَ) مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ
هو القرآن (مُن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا
تَشْعُرُونَ) قبل إتيانه بوقته

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ
وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦]

٥٦ فبادروا قبل (أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي)
أصله يا حسرتي، أي ندامتي (عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي
جَنبِ اللَّهِ) أي طاعته (وَإِن) مخففة من الثقيلة أي
واني (كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ) بدنيه وكتابه

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾
٥٧ (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي) بالطاعة
فاهتديت (لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) عذابه

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كِرَّةً
فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٨]

٥٨ (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي

(١) أسباب نزول الآية ٥٣: تقدم حديث الشيخين في
سورة الفرقان.

* وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس قال:
أنزلت هذه الآية في مشركي أهل مكة.

* وأخرج الحاكم والطبراني عن ابن عمر قال: كنا نقول ما
لمفتن توبة إذا ترك دينه بعد إسلامه ومعرفته فلما قدم
رسول الله ﷺ المدينة أنزل فيهم: «يا عبادي الذين أسرفوا» الآية.

* وأخرج الطبراني بسند فيه ضعف عن ابن عباس قال:
بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى

الإسلام فأرسل إليه: كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو
زنى أو أشرك بلى أتأما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد
فيه مهاناً، وأنا صنعت ذلك فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل
الله: «إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً» الآية. فقال
وحشي: هذا شرط شديد: «إلا من تاب وآمن وعمل عملاً
صالحاً» فلعلي لا أقدر على هذا فأنزل الله: «إن الله لا يغير أن
يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء» فقال وحشي: هذا أرى
بعده مشيئة فلا أدري أغير لي أم لا؟ فهل غير هذا؟ فأنزل
الله: «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله» الآية. قال وحشي: هذا نعم، فأسلم.

وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ) مجموعات (بِيَمِينِهِ) بقدرته (شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) معه (١).

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ بِنَامٍ يُنظَرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]

٦٨ (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) النفخة الأولى (فَصَعِقَ) مات (مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) من الحور والولدان وغيرهما (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ) أي جميع الخلائق الموتى (بِنَامٍ يُنظَرُونَ) ينتظرون ما يفعل بهم

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالرَّيِّتِ وَالشُّهَدَاءُ وَوُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

٦٩ (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ) أضاءت (بِنُورِ رَبِّهَا) حين يتجلى الله لفصل القضاء (وَوُضِعَ الْكِتَابُ) كتاب الأعمال للحساب (وَجِئَتْ بِالرَّيِّتِ وَالشُّهَدَاءُ) أي بمحمد ﷺ وأمنته يشهدون للرسول بالبلاغ (وَوُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ) أي العدل (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) شيئاً

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾

٧٠ (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ) أي جزاءه (وَهُوَ أَعْلَمُ) أي عالم (بِمَا يَفْعَلُونَ) فلا يحتاج إلى شاهد

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا ۚ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]

٧١ (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بعنف (إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا) جماعات متفرقة (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) جواب إذا (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ) القرآن وغيره (وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) [الزمر: ٧١]

«وسع كرسية السماوات والأرض» قالوا: يا رسول الله هذا الكرسي هكذا فكيف العرش؟ فأُنزل الله: «وما قدروا الله حق قدره» الآية.

بقوله (وينجي الله الذين اتقوا) إلخ وما بينهما اعتراض

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾

٦٤ (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ؟) غير منصوب بأعبد المعمول لتأمروني بنون واحدة وبنونين بإدغام وفك بتقدير أن (١).

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]

٦٥ (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ) والله (لَئِن أَشْرَكْتَ) يا محمد فرضاً (لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

﴿بَلِ اللَّهِ فَاغْبُذْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦]

٦٦ (بَلِ اللَّهِ) وحده (فَاغْبُذْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ) إنعامه عليك

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]

٦٧ (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) ما عرفوه حق معرفته أو ما عظموه حق عظيمته حين أشركوا به غيره (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا) حال أي السبع (قَبْضَتُهُ) أي مقبوضة له أي: في ملكه وتصرفه (يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

(١) أسباب نزول الآية ٦٤: سيأتي سبب نزولها في سورة الكافرون. وأخرج البيهقي في الدلائل عن الحسن البصري قال: قال المشركون للنبي ﷺ: أتضلل أبناءك وأجدادك يا محمد؟ فأُنزل الله: «قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون» إلى قوله: «من الشاكرين».

(٢) أسباب نزول الآية ٦٧: وأخرج الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: مر يهودي بالنبي ﷺ فقال: كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السماوات على ذه والأرضين على ذه والماء على ذه والجبال على ذه، فأُنزل الله: «وما قدروا الله حق قدره» الآية.

* والحديث في الصحيح بلفظ «فتلا» دون فأُنزل.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: غدت اليهود فنظروا في خلق السماوات والأرض والملائكة فلما فرغوا أخذوا يقدرونه فأُنزل الله: «وما قدروا الله حق قدره».

* وأخرج عن سعيد بن جبيرة قال: تكلمت اليهود في صفة الرب فقالوا بما لم يعلموا ولم يروا، فأُنزل الله الآية.

* وأخرج ابن المنذر عن الربيع بن أنس قال: لما نزلت:

٤٠ - سورة غافر مكية

إِلَّا آتِي (إِنْ الذِّينِ يَجَاطُلُونَ) [٥٦ ، ٥٧]

فَمَدِينَتَانِ، وآياتها ٨٥ خمس وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم﴾ [غافر: ١]

١ (حم) الله أعلم بمراده به

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢]

٢ (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن مبتدأ (مِنَ اللَّهِ) خبر (الْعَزِيزِ) في ملكه (الْعَلِيمِ) بخلقه

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ﴾
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ الْمَصِيدُ﴾ [غافر: ٣]

٣ (غَافِرِ الذَّنْبِ) للمؤمنين (وقَابِلِ التَّوْبِ) لهم مصدر (شَدِيدِ الْعِقَابِ) للكافرين أي مشددة (ذِي الطُّوْلِ) أي الإِنعام الواسع وهو موصوف على الدوام بكل هذه الصفات بإضافة المشتق منها للتعريف كالأخيرة (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ الْمَصِيدُ) المرجع

﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزِرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْيَدِ﴾

[غافر: ٤]

٤ (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فَلَا يَغْزِرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) للمعاش سالمين فإن عاقبتهم النار^(١)

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

٥ (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ) كعاد وثمود وغيرها (مِنَ بَعْدِهِمْ) وهمت كل أُمَّة

٤٠ - سورة غافر

(١) أسباب نزول الآية ٤: أخرج ابن أبي حاتم عن الشدي عن أبي مالك في قوله: «وما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا» قال: نزلت في الحارث بن قيس السهمي.

كَلِمَةُ الْعَذَابِ) أي (لأملأن جهنم) الآية (عَلَى الْكَافِرِينَ).

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَوْىِ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾

٧٢ (قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) مقدرين الخلود (فَبئسَ مَوْىِ) مأوى (الْمُتَكَبِّرِينَ) جهنم

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]

٧٣ (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) يُلطف (إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) الواو فيه للحال بتقدير قد (وقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ) حال (فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) مقدرين الخلود فيها وجواب إذا مقدر أي دخلوها وسوقهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تكريم لهم وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرما إليهم إهانة لهم

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾

٧٤ (وقَالُوا) عطف على دخولها المقدر (الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) بالجنة (وأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ) أي أرض الجنة (نتَّبِعُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) لأننا كلما لا يختار فيها مكان على مكان (فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) الجنة

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]

٧٥ (وتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ) حال (مِنَ حَوْلِ الْعَرْشِ) من كل جانب منه (يُسَبِّحُونَ) حال من ضمير حافين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أي ملاسبن للحمد يقولون سبحان الله وبحمده (وقُضِيَ بَيْنَهُمْ) بين جميع الخلائق (بِالْحَقِّ) أي العدل فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار (وقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة.

١٠ (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَادَوْنَ) من قبل الملائكة وهم يمقتون أنفسهم عند دخولهم النار (لَمَقْتُ اللَّهُ) إياكم (أَكْبَرُ مِنْ مُقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ) في الدنيا (إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ)

﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنِي وَأَحْيَيْتَنَا آتَيْنِي فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١]

١١ (قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنِي) إمامتين (وَأَحْيَيْتَنَا) آتيتن (إِحْيَاءَتَيْنِ) لأنهم نطف أموات فأحيوا ثم أميتوا ثم أحيوا للبعث (فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا) بكفرنا بالبعث (فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ) من النار والرجوع إلى الدنيا لنطيع ربنا (مَنْ سَبِيلٍ) طريق؟ وجوابهم: لا

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾

١٢ (ذَلِكُمْ) أي العذاب الذي أنتم فيه (بِأَنَّهُ) أي بسبب أنه في الدنيا (إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ) كَفَرْتُمْ) بتوحيده (وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ) يجعل له شريك (تُؤْمِنُوا) تصدقوا بالإشراك (فَالْحُكْمُ) في تعذيبكم (لِلَّهِ الْعَلِيِّ) على خلقه (الْكَبِيرِ) العظيم

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُرْسِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣]

١٣ (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ) دلائل توحيدِهِ (وَيُرْسِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا) بالمطر (وَمَا يَتَذَكَّرُ) يتعظ (إِلَّا مَنْ يُنِيبُ) يرجع عن الشرك

﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

١٤ (فَادْعُوا اللَّهَ) اعبدوه (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) إخلاصكم منه.

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾

١٥ (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) أي الله عظيم الصفات أو رافع درجات المؤمنين في الجنة (ذُو الْعَرْشِ) خالقه (يُلْقِي الرُّوحَ) الوحي (مِنْ أَمْرِهِ) أي قوله (عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ) يخوف الملقى عليه الناس (يَوْمَ التَّلَاقِ) بحذف الياء وإبانتها يوم القيامة لتلاقي لأهل السماء والأرض والعابد والمعبود والظالم والمظلوم فيه

بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) يقتلوه (وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا) يزيلوا (بِهِ الْحَقَّ فَآخَذْتُهُمْ) بالعقاب (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) لهم؟ أي هو واقع موقعه ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ لِمَنِكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر: ٦]

٦ (وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) أي (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ) (عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) بدل من كلمة

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]

٧ (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ) مبتدأ (وَمَنْ حَوْلَهُ) عطف عليه (يُسَبِّحُونَ) خبره (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) ملابسين الحمد أي يقولون سبحان الله وبحمده (وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) تعالى أي ببصائرهم أي يصدقون بوحدانيته (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا) يقولون (رَبَّنَا) وسعت كل شيء رَحْمَةً وَعِلْمًا أي وسعت رحمتك كل شيء ووسع علمك كل شيء (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا) من الشرك (وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) دين الإسلام (وقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) النار

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٨]

٨ (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ) إقامة (الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ) عطف (مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) في وأدخلهم أنت العزيز الحكيم في صنعه

﴿وقِهِمُ السَّعَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّعَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

٩ (وقِهِمُ السَّعَاتِ) أي عذابها (وَمَنْ تَقِ السَّعَاتِ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (فَقَدْ رَحِمْتُمْ) وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾

﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]

١٦ (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ) خارجون من قبورهم (لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ)؟ يقوله تعالى ويجب نفسه (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) أي لخالقه

﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]

١٧ (الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾

١٨ (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ) يوم القيامة من أرف الرحيل قرب (إِذِ الْقُلُوبُ) ترتفع خوفا (لَدَى) عند (الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ) متثلين غما حال من القلوب عوملت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ) محب (وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) تقبل شفاعته لا مفهوم للوصف إذ لا شفيع لهم أصلا «فما لنا من شافعين» أو: له مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعاء أي لو شفعوا فرضا لم يقبلوا

﴿يَعْلَمُ حَاطَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾

١٩ (يَعْلَمُ) أي الله (حَاطَةَ الْأَعْيُنِ) بمسارقتها النظر إلى محرم (وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) القلوب

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

٢٠ (وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ) يعبدون أي كفار مكة بالياء والتاء (مِنْ دُونِهِ) وهم الأصنام (لَا يَقْضُونَ شَيْئًا) فكيف يكونون شركاء؟ (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) بأفعالهم

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يُذَوِّبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [غافر: ٢١]

٢١ (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ) وفي قراءة منكم (قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ) من مصانع وقصور (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ) أهلكتهم (يُذَوِّبُهُمْ) وما كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ عذابه

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

٢٢ (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾

٢٣ (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ) برهان بين ظاهر

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقُرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ

كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٤]

٢٤ (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا) هو (سِحْرٌ كَذَّابٌ)

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ

الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ

الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٢٥]

٢٥ (فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ) بالصدق (مِنْ عِنْدِنَا) قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) هلاك

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي

أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ

الْفِلسَافَ﴾ [غافر: ٢٦]

٢٦ (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ) لأنهم كانوا يكفونه عن قتله (وَلْيَدْعُ رَبَّهُ) ليمنعه مني (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ) من عبادتكم إياي فتتبعونه (أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفِلسَافَ) من قتل وغيره وفي قراءة وأن وفي أخرى بفتح الباء والهاء وضم الدال

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ

مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧]

﴿وَيَقَوْمٍ إِتَىٰ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢]

٣٢ (ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد) بحذف الباء وإثباتها أي يوم القيامة يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس والنداء بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لأهلها وغير ذلك

﴿يَوْمَ تُؤَلَوْنَ مَذْرِبِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣]

٣٣ (يَوْمَ تُؤَلَوْنَ مَذْرِبِينَ) عن موقف الحساب إلى النار (مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ) أي عذابه (مِنْ عَاصِمٍ) مانع (وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بَابِلَيْنَتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي سَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤]

٣٤ (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ) أي قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب في قول عمر إلى زمن موسى أو يوسف بن إبراهيم أي ابن يعقوب في قول (بَابِلَيْنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (فَمَا زِلْتُمْ) في شكٍ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ) من غير برهان (لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا) أي فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره (كَذَلِكَ) أي مثل إضلالكم (يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) مشرك (مُرْتَابٌ) شك فيما شهدت به البينات

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]

٣٥ (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ) معجزاته مبتدأ (بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) برهان (أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا) مبتدأ (عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ) مثل إضلالهم (يَطْبَعُ) يختم (اللَّهُ) بالضلال (عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) بتنونين «قلب» ودونه ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس وكل على القراءتين لعموم الضلال جميع القلوب لا لعموم القلب

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَيْنَ لِي صَرَخًا لَعَلِّي آتِيَهُ الْآسَمْتِ﴾

٣٦ (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْخًا) بناء

٢٧ (وَقَالَ مُوسَى) لقومه وقد سمع ذلك (إني) عذتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ)

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]

٢٨ (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) قيل هو ابن عمه (يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا) أي لأن (يَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (مِنْ رَبِّكُمْ) وإن يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ) أي ضرر كذبه (وإن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ) به من العذاب عاجلا (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) مشرك (كَذَّابٌ) مفر

﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَهَرْنَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾

٢٩ (يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَهَرْنَ) غالبين جال (فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ) عذابه إن قتلتم أوليائه (إِنْ جَاءَنَا) أي لا ناصر لنا (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ) أي أشير عليكم إلا بما أشير به علي نفسي وهو قتل موسى (وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) طريق الصواب

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ بِقَوْمِ إِتَىٰ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ [غافر: ٣٠]

٣٠ (وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ) يا قوم إني أخاف عليكم (مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ) أي يوم حزب بعد حزب

﴿مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١]

٣١ (مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) مثل بدل من مثل قبله أي مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ)

عاليا (لَعَلِّي أُنَبِّئُكَ الْأَشْيَابَ)

﴿أَسْتَبَدَّ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى اللَّهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾

٣٧ (أَشْيَابَ السَّمَوَاتِ) طرقها الموصلة إليها (فَأَطَّلَعَ) بالرفع عطفًا على أبلغ وبالنصب جوابًا لـ «ابن» (إِلَى اللَّهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ) أي موسى (كَأَذْبًا) في أن له إليها غيري قال فرعون ذلك تمويها (وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) طريق الهدى بفتح الصاد وضمها (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) خسار

﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَنْقُورُ أَنَجَبُونَ أَهْدِكُمْ

سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨]

٣٨ (وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَا قَوْمِ أَتَيْتُمُونِ) باثبات الياء وحذفها (أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) تقدم

﴿يَنْقُورُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]

٣٩ (يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ) تمتع يزول (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ)

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ سَلِيمًا بَيْنَ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

٤٠ (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ سَلِيمًا بَيْنَ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) بضم الياء وفتح الخاء وبالعكس (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) رزقا واسعا بغير تبعة

﴿وَيَنْقُورُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَيَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾

٤١ (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ) إلى النجاة وتدعونني إلى النار

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَفْوَ﴾ [غافر: ٤٢]

٤٢ (تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ) الغالب على أمره (الْعَفْوَ) لمن تاب

﴿لَا جِرْمَ أَمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لِي دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٣]

٤٣ (لَا جِرْمَ) حقا (أَمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) لأعبده (لَيْسَ لِي دَعْوَةٌ) أي استجابة دعوة (فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا) مرجعنا (إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ) الكافرين (هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ)

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُصُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]

٤٤ (فَسَتَذْكُرُونَ) إذا عاينتم العذاب (مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُصُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) قال ذلك لما توعده بمخالفة دينهم

﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥]

٤٥ (فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا) به من القتل (وَحَاقَ) نزل (بِآلِ فِرْعَوْنَ) قومه معه (سُوءُ الْعَذَابِ) الغرق

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾

٤٦ (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) يحرقون بها (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) صباحا ومساء (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) يقال (أَدْخِلُوا) يا (آلَ فِرْعَوْنَ) وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الخاء أمر للملائكة (أَشَدَّ الْعَذَابِ) عذاب جهنم

﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيْبًا مِنَ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧]

٤٧ (وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ) يتخاصمون (الضُّعَفَاءُ) الكفار (فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) جمع تابع (فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ) دافعون (عَنَّا نَصِيْبًا) جزءا (مِنَ النَّارِ)

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدَّ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٨]

﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]

٥٥ (فأصبر) يا محمد (إنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بنصر أوليائه (حقٌّ) وأنت ومن تبعك منهم (واستغفر لِذَنْبِكَ) ليستن بك (وسبِّحْ) صل متلبسا (بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ) وهو من بعد الزوال (والإبكار) الصلوات الخمس

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَعْبِرِ سُلْطَانِ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ هُمُ السَّكِينُ الْبَصِيرُ﴾
٥٦ (إنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ) يعبر سُلْطَانِ (بغير سلطان) برهان (أتاهم إن) ما (في صُدُورِهِمْ) إلا كِبْرٌ (مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ) فاستعذ بالله (إنَّهُ هُمُ السَّكِينُ الْبَصِيرُ) (بالبصير) بأحوالهم (١).

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٥٧ (نزل في منكري البعث (لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ابتداء (أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) مرة ثانية وهي الإعادة (ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أي كفار مكة (لا يَعْلَمُونَ) ذلك فهو كالأعمى ومن يعلمه كالبصير

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُنَافِقُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾
٥٨ (وما يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) والَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُنَافِقُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (ولا

(١) أسباب نزول الآية ٥٦: «إنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بغير سلطان أتاهم إن في صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ هُمُ السَّكِينُ الْبَصِيرُ».

• وأخرج عن أبي العالية قال: جاءت اليهود إلى رسول الله ﷺ فذكروا الدجال فقالوا: يكون منا في آخر الزمان فعضوا أمره وقالوا: يصنع كذا فأنزل الله: «إنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بغير سلطان أتاهم إن في صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» فأمر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال. قال: خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس قال: من خلق الدجال.

• وأخرج عن كعب الأحبار في قوله: «إنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بغير سلطان» قال: هم اليهود نزلت فيما ينتظرونه من أمر الدجال.

٤٨ ﴿قَالَ الَّذِينَ اشْتَكَيْتُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ) فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩]

٤٩ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا) أي قدر يوم (مِّنَ الْعَذَابِ)

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَاذْعُوا وَمَا دُعَاتُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾
٥٠ (قَالُوا) أي الخزنة تهكما (أو لم تكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (قَالُوا بلى) أي فكفروا بهم (قَالُوا فَاذْعُوا) أنتم فإننا لا نشفع للكافرين قال تعالى (وما دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) انعدام

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]

٥١ (إنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسول بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢]

٥٢ (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ) أي البعد من الرحمة (ولَهُمُ سُوءُ الدَّارِ) الآخرة أي شدة عذابها

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ [غافر: ٥٣]

٥٣ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ) التوراة والمعجزات (وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) من بعد موسى (الكِتَابَ) التوراة

﴿هُدَىٰ وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [غافر: ٥٤]

٥٤ (هُدَىٰ) هاديا (وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) تذكرة لأصحاب العقول

بِنَاءٍ سَقْفًا (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ
الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥]

٦٥ (هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ) اعبدوه
(مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ) من الشرك (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ)

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٦]

٦٦ (قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تُعبدون
(مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ) دلائل
التوحيد (مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (١).

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَفْطَةٍ ثُمَّ مِنْ
عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ
لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا
أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧]

٦٧ (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَفْطَةٍ) بخلق أبيض
آدم منه (ثُمَّ مِنْ نَفْطَةٍ) مني (ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) دم غليظ
(ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا) بمعنى أطفالاً (ثُمَّ) يبعثكم
(لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) تكامل قوتكم من الثلاثين سنة إلى
الأربعين (ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا) بضم الشين وكسرهما
(وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ) قبل الأشد والشيخوخة
فعل ذلك بكم لتعيشوا (وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى) وقتنا
محدوداً (وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) دلائل التوحيد فتؤمنون.

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر: ٦٨]

٦٨ (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا) أراد إيجاد شيء (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) بضم
النون وفتحها بتقدير أن أي يوجد عقب الإرادة التي
هي معنى القول المذكور

أسباب نزول الآية ٦٦ : وأخرج جوير عن ابن عباس أن
الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة قالوا: يا محمد ارجع عما تقول
وعليك بدين آبائك وأجدادك فأنزل الله: ﴿قل إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ
أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية.

(الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وهو المحسن (ولا
المسيء) فيه زيادة لا (قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ) يتعظون
بالياء والتاء أي تذكرهم قليل جدا

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: ٥٩]

٥٩ (إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمَةٌ لَا رَيْبَ) شك (فِيهَا)
ولكن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) بها

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾

٦٠ (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) أي
اعبدوني أتبعكم بقرينة ما بعده (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ)
عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ) بفتح الياء وضم الخاء
وبالعكس (جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) صاغرين

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ
وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]

٦١ (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ
وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) إسناد الإبصار إليه مجازي لأنه يبصر
فيه (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) ولكن أَكْثَرَ النَّاسِ
لا يَشْكُرُونَ) الله فلا يؤمنون

﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تَوْفِكُونَ﴾ [غافر: ٦٢]

٦٢ (ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) لا إله إلا
هُوَ فَاتَىٰ تَوْفِكُونَ) فكيف تصرفون عن الإيمان مع
قيام البرهان ؟

﴿كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾

٦٣ (كَذَلِكَ يُؤْفِكُ) أي مثل إفك هؤلاء إفك
(الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) معجزاته (يَجْحَدُونَ)

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَكَّرًا وَالسَّمَاءَ
يَنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ

رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤]

٦٤ (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ مُصْرَفُونَ﴾
٦٩ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾
القرآن (أَنَّى) كيف (يُصْرَفُونَ) عن الإيمان.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٧٠]

٧٠ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ القرآن (وبِمَا أَرْسَلْنَا
بِهِ رُسُلَنَا) من التوحيد والبعث وهم كفار مكة
(فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عقوبة تكذيبهم.

﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾

٧١ ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ إذ بمعنى إذا
(والسلاسل) عطف على الأغلال فتكون في
الأعناق أو مبتدأ خبره محذوف أي في أرجلهم أو
خبره (يُسْحَبُونَ) يجرون بها

﴿فِي الْحَمِيمِ ثَرَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧٢]

٧٢ ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ أي جهنم (ثَرَّ فِي النَّارِ)
يُسْجَرُونَ) يوقدون

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [غافر: ٧٣]

٧٣ ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ تبكيتم (أَيْنَ مَا كُنْتُمْ
تُشْرِكُونَ)

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ
قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ [غافر: ٧٤]

٧٤ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ معه ؟ وهي الأصنام (قَالُوا)
ضَلُّوا) غابوا (عَنَّا) فلا نراهم (بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ
قَبْلُ شَيْئًا) أنكروا عبادتهم إياها ثم أحضرت قال
تعالى: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم) أي وقودها (كَذَلِكَ) أي مثل إضلال هؤلاء
المكذبين (يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ)

﴿ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]

٧٥ ويقال لهم أيضا (ذَلِكَ) العذاب (بِمَا كُنْتُمْ
تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) من الإشراك وإنكار
البعث (وبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ) تتوسعون في الفرح

﴿أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَمَا فِيهَا مَوْتَى

الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٦]

٧٦ ﴿أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَمَا فِيهَا مَوْتَى﴾
مَوْتَى) ماوى (الْمُتَكَبِّرِينَ)

﴿فَأَصْبَرَ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَكَيْفَ نُزِيَّتَكَ بَعْضَ
الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَوَفِّيكَ فَإِنَّا يَرْجِعُونَ﴾ [غافر: ٧٧]

٧٧ ﴿فَأَصْبَرَ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ﴾ بعدايبهم (حَقًّا فَكَيْفَ)
نُزِيَّتَكَ) فيه إن الشرطية مدغمة وما زائدة تؤكد
معنى الشرط أول الفعل والنون تؤكد آخره (بَعْضَ
الَّذِي نَعِدُهُمْ) به من العذاب في حياتك وجواب
الشرط محذوف أي فذاك (أَوْ نَوَفِّيْتُكَ) قبل
تعذيبهم (فَإِنَّا يَرْجِعُونَ) فنعدبهم أشد العذاب
فالجواب المذكور للمعطوف فقط

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا
عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ
أَنْ يَأْتِيَ بِنَايَةٍ إِلَّا يَأْتِيَنَّ اللَّهُ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ
بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨]

٧٨ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ
قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ روي
أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف نبي من
بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس (وما كان
لِرَسُولٍ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ) (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) بنزول العذاب
على الكفار (فُضِيَ) بين الرسل ومكذبيهم (بِالْحَقِّ)
وخسر هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) أي ظهر القضاء والخسران
للناس وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ﴾ [غافر: ٧٩]

٧٩ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ﴾ قيل الإبل
خاصة هنا والظاهر البقر والغنم (لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ)

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مِنْهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي

صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾

٨٠ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من الدر والنسل والوبر
والصوف (ولِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ) هي
حمل الأثقال إلى البلاد (وعَلَيْهَا) في البر (وعلى

الْفُلْكِ السَّفِينِ فِي الْبَحْرِ (تُحْمَلُونَ)

﴿وَرَبِّكُمْ ءَايَاتِهِ فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾

٨١ (وَرَبِّكُمْ ءَايَاتِهِ فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ) الدالة على وحدانيته (تُنْكِرُونَ) استفهام توبيخ وتذكير أي أشهر من تأنيسه

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاتَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

٨٢ (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاتَارًا فِي الْأَرْضِ) من مصانع وقصور (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

٨٣ (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات الظاهرات (فَرِحُوا) أي الكفار (بِمَا عِنْدَهُمْ) أي الرسل (مَنْ الْعِلْمِ) فرح استهزاء وضحك متنكرين له (وَحَافَ) نزل (بِهِمْ) ما كانوا به يستهزئون أي العذاب

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [عافر: ٨٤]

٨٤ (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أي شدة عذابنا (قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ)

﴿فَلَمَّا يَكُ يَنْفَعُهُمْ يُعْمِنُكُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَبَّ اللَّهُ الَّذِي قَدْ حَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾

٨٥ (فَلَمَّا يَكُ يَنْفَعُهُمْ يُعْمِنُكُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) سَبَّ اللَّهُ (اللَّهُ) نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه (الَّذِي قَدْ حَلَّتْ فِي عِبَادِهِ) في الأمم أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب (وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) تبين خسارتهم لكل واحد وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك .

٤١ - سورة فصلت أو «حم السجدة»

مكية وآياتها ٥٤ أو ٥٣ ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَدِّ﴾ [فصلت: ١]

١ (حم) الله أعلم بمراده به

﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]

٢ (تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) مبتدأ

﴿كِنْتَبٌ فَصِلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

٣ (كِتَابٌ) خبره (فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) بينت بالأحكام والقصص والمواعظ (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) حال من كتاب بصفته (لِقَوْمٍ) متعلق بفصلت (يَعْلَمُونَ) يفهمون ذلك وهم العرب

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾

٤ (بَشِيرًا) صفة قرآنا (وَنَذِيرًا) فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون (سَمَاعٌ) قبول

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيءِ ءَادَانِنَا وَقُرْءَانٍ مِّنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا عَمَلُونَ﴾

٥ (وَقَالُوا) للنبي (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ) أعطية (مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ) وفي آذاننا (وَقُرْءَانٍ) (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) خلاف في الدين (فَأَعْمَلْنَا) على دينك (إِنَّا) عاملون على ديننا

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَرَبُّ الْمُشْرِكِينَ﴾

٦ (قُلْ) (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُِّثْلُكُمْ) يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد (فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ) بالإيمان والطاعة (وَاسْتَغْفِرُوهُ) كلمة عذاب (لِلْمُشْرِكِينَ)

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزُّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفِرُونَ﴾

٧ (الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزُّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ) تأكيد (كَافِرُونَ)

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ

مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨]

في ستة أيام (وأوحى في كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) الذي أمر به من فيها من الطاعة والعبادة (وَرَبَّانَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ) بنجوم (وحفظًا) منصوب بفعله المقدر أي حفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) في ملكه (العليم) بخلقه

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]

١٣ (فَإِنْ أَعْرَضُوا) أي كفار مكة عن الإيمان بعد هذا البيان (فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ) خوفتكم (صَاعِقَةً) مثل صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ أي عذابا يهلككم مثل الذي أهللكهم

﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَائِدَةَ فَأِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ١٤]

١٤ (إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) أي مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتي والإهلاك في زمنه فقط (أ) ن أي بأن (لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلْنَا عَلَيْنَا مَلَائِكَةً فَأِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) على زعمكم (كافرون)

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥]

١٥ (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) وقالوا لما خوفوا بالعداب (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) أي لا أحد كان أحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث يشاء (أَوْ لَمْ يَرَوْا) يعلموا (أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) وكانوا بآياتنا المعجزات (يَحْحَدُونَ)

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُدِّيقَهُمْ عَذَابَ الْجَزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [فصلت: ١٦]

١٦ (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) باردة شديدة الصوت بلا مطر (فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ) بكسر الحاء وسكونها مشغومات عليهم (لِنُدِّيقَهُمْ عَذَابَ الْجَزْيِ) الذل (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ولَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى أَشَدُّ

٨ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) مقطوع

﴿قُلْ أَيْتَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَتَخَلَّفُونَ لَهُمْ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ٩]

٩ (قُلْ أَيْتَكُمْ) بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإدخال ألف بينهما بوجهيها وبين الأولى (لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) الأحد والاثنتين (وتتخلفون له أندادا) شركاء (ذَلِكَ رَبُّ) مالك (الْعَالَمِينَ) جمع عالم وهو ما سوى الله وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليبا للعقلاء

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا مِنْ قَوْفَهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠]

١٠ (وجعل) مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة الذي للفواصل الأجنبية (فيها رِوْسًا) جبالا ثوابت (من قَوْفَهَا) وبارك فيها بكثرة المياه والزرور والضرور (وقدّر) قسم (فيها أَقْوَاتًا) للناس والبهائم (في) تمام (أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) أي الجعل وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء (سَوَاءً) منصوب على المصدر أي استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص (لِلسَّائِلِينَ) عن خلق الأرض بما فيها

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَنْتِنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]

١١ (ثُمَّ اسْتَوَىٰ) قصد (إلى السَّمَاءِ) وهي دُخَانٌ) بخار مرتفع (فَقَالَ لَهَا) وللأرض (أَنْتِنَا) إلى مرادي منكما (طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) في موضع الحال أي طائعتين أو مكرهتين (قَالَتَا أَنْتِنَا) بمن فينا (طَائِعِينَ) فيه تغليب المذكر العاقل أو نزلنا لخطابهما منزلته

﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّانَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢]

١٢ (فَقَضَّاهُنَّ) الضمير يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجمع الأيلة إليه أي صيرها (سَبْعَ سَمَوَاتٍ) فِي يَوْمَيْنِ) الخميس والجمعة فرغ منها في آخر ساعة منه وفيها خلق آدم ولذلك لم يقل هنا سواء ووافق ما هنا آيات خلق السموات والأرض

(وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) بمنعه عنهم

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ
فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

١٧ (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) بينا لهم طريق الهدى (فَاسْتَحَبُوا الْعَمَىٰ) اختاروا الكفر (عَلَى الْهُدَىٰ) فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ) المهين (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

﴿وَجَعَلْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَقَانُوا يَفْقَهُونَ﴾

١٨ (وَجَعَلْنَا) منها (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَقَانُوا يَفْقَهُونَ)

الله.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾

١٩ (و) اذكر (يَوْمَ يُحْشَرُ) بالياء والنون المفتوحة وضم الشين وفتح الهمزة (أَعْدَاءُ اللَّهِ) إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) يساقون

﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ

وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠]

٢٠ (حَتَّىٰ إِذَا مَا) زائدة (جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ) بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

﴿وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢١]

٢١ (وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا) قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) أي أراد نطقه (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) قيل هو من كلام الجلود وقيل هو من كلام الله تعالى كالذي بعده وموقعه قريب مما قبله بأن القادر على إنشائكم ابتداء وإعادةكم بعد الموت أحياء قادر على إنطاق جلودكم وأعضائكم

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْشِدُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا

أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ

كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢]

٢٢ (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْشِدُونَ) عن ارتكابكم الفواحش من (أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) لأنكم لم توقنوا بالبعث

(وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ) عند استاركم (أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ) (١).

﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ
مِنْ أَخْسَرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣]

٢٣ (وَذَلِكُمْ) مبتدأ (ظَنُّكُمْ) بدل منه (الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ) نعت والبدل والخير (أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنْ أَخْسَرِينَ)

﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا
هُمُ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤]

٢٤ (فَإِنْ يَصْبِرُوا) على العذاب (فَالنَّارُ مَثْوًى) منزل (لَهُمْ) (وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا) يطلبوا العتبي أي الرضا (فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ) المرضيين

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلِهِمْ مِنَ الْكِتَابِ وَإِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾

٢٥ (وَقَيَّضْنَا) سببنا (لَهُمْ قُرَنَاءَ) من الشياطين (فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمر الدنيا واتباع الشهوات (وَمَا خَلْفَهُمْ) من أمر الآخرة بقولهم لا بعث ولا حساب (وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) بالعذاب وهو (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ) الآية (فِي) جملة (أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ) هلك (مِنْ الْقَبْلِ) مِنَ الْكِتَابِ وَإِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]

٢٦ (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) عند قراءة النبي ﷺ (لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ) إئتوا باللغظ ونحوه وصيحوا في زمن قراءته (لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ) فيسكت عن القراءة

﴿فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرًا

٤١ - سورة فصلت

(١) أسباب نزول الآية ٢٢: أخرج الشيخان والترمذي وأحمد وغيرهم عن ابن مسعود قال: اختصم عند البيت ثلاثة نفر: قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول: فقال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا فأنزل الله: «وما كنتم تستترون» الآية.

٣٢ ﴿تُزَلُّوا﴾ رزقا مهيبا منصوب بجعل مقدرها
(مَنْ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أي الله

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا
وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]

٣٣ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي لا أحد أحسن قولاً
(مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) بالتحديد (وَعَمِلَ صَالِحًا) وَقَالَ
إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

٣٤ ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ في
جزئتهما لأن بعضهما فوق بعض (ادْفَعْ) السيئة
(بِالَّتِي) أي بالخصلة التي (هِيَ أَحْسَنُ) كالغضب
بالصبر والجهل بالحلم والإساءة بالعفو (فَإِذَا الَّذِي
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) أي فيصير
عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك
فالذي مبتدأ وكأنه الخير وإذا ظرف لمعنى التشبيه

﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو
حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]

٣٥ ﴿وَمَا يُلْقِيهَا﴾ يؤتي الخصلة التي هي أحسن
(إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا) وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ (ثواب
عَظِيمٍ)

﴿وَمَا يَزَعْنِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]

٣٦ ﴿وَمَا يَزَعْنِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما
الزائدة (يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ) أي يصرفك عن
الخصلة وغيرها من الخير صارف (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ)
جواب الشرط وجواب الأمر محذوف أي يدفعه
عك (أَنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) بالفعل

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ آتِلُ وَالنَّهَارُ وَاللَّيْلُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا
تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

٣٧ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا
تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَهُنَّ﴾ أي الآيات الأربع (إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)

الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٧]

٢٧ قال تعالى فيهم ﴿فَلَنُذِيقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَءَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
أي أفصح جزاء عملهم

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ
بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٨]

٢٨ ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الشديد وأسرأ الجزاء (جَزَاءُ
أَعْدَاءِ اللَّهِ) بتحقيق الهمزة الثانية وإبدالها واوا (النَّارُ)
عطف بيان لـ «الجزاء» المخبر به عن ذلك (لَهُمْ)
فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ) أي إقامة لا انتقال منها (جَزَاءُ)
منصوب على المصدر بفعله المقدر (بِمَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ) القرآن (يَجْحَدُونَ)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّوْنَا مِنَ الْغَيْبِ
وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾

٢٩ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار (رَبَّنَا أَرْنَا
الَّذِينَ ضَلَّوْنَا مِنَ الْغَيْبِ وَالْإِنْسِ) أي إبليس وقابيل
سنا الكفر والقتل (نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا) في النار
(لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) أي أشد عذابا منا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا تَنْزِيلَ
عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا
بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]

٣٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾ على
التوحيد وغيره مما وجب عليهم (تَنْزِيلَ) عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةَ) عند الموت (أ) بأن (لَا تَخَافُوا) من
الموت وما بعده (وَلَا تَحْزَنُوا) على ما خلفتم من
أهل وولد فنحن نخلفكم فيه (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي
كُنتُمْ تُوعَدُونَ)

﴿تَحْنُ أُولِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾

٣١ ﴿تَحْنُ أُولِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي
نحفظكم فيها (وَفِي الْآخِرَةِ) أي نكون معكم فيها
حتى تدخلوا الجنة (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ) تطلبون

﴿تُزَلُّوا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢]

قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَغْفِرَةٌ
لِلْمُؤْمِنِينَ (وَدُوٌّ عِقَابٌ أَلِيمٌ) للكافرين
﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ

أَعْجَمِيًّا وَعَرَبِيًّا قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى
وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ
عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾

٤٤ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ أَي الذِّكْرُ (قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا
لَوْلَا) هلا (فُصِّلَتْ) بينت (آيَاتُهُ) حتى ؟ نفهمها (أ)
قرآن (أَعْجَمِيًّا) ونبي (وَعَرَبِيًّا) ؟ استفهام إنكار
منهم بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألف بإشباع
ودونه ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة
(وَشِفَاءٌ) من الجهل (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ
وَقْرٌ) ثقل فلا يسمعون (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) فلا
يفهمونه (أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) أي هم
كالمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما
ينادى به (١)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ
لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [فصلت: ٤٥]

٤٥ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة
(فَاخْتَلَفَ فِيهِ) بالتصديق والتكذيب كالقرآن (ولولا
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير الحساب والجزاء
للخلائق إلى يوم القيامة (لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ) في الدنيا
فيما اختلفوا فيه (وَإِنَّهُمْ) المكذبين به (لَفِي شَكٍّ
مِنْهُ مُرِيبٍ) موقع في الريبة
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ
بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]

٤٦ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل (وَمَنْ أَسَاءَ
فَعَلَيْهَا) أي فضرر لإساءته على نفسه (وَمَا رَبُّكَ
بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ) أي بذي ظلم لقوله تعالى (إن الله لا
يظلم مثقال ذرة)

(١) أسباب نزول الآية ٤٤: وأخرج ابن جرير عن سعيد بن
جبير قال: قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً
فأنزل الله: ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ وأنزل الله بعد هذه
الآية: فيه بكل لسان قال ابن جرير: والقراءة على هذا
(أَعْجَمِيًّا) بلا استفهام.

﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُمْ
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]

٣٨ ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن السجود لله وحده
(فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) الملائكة (يُسَبِّحُونَ) يصلون (لَهُ)
بالليل والنهار وهم لا يسمعون) لا يملون
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا
الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِي الْمَوْتِ إِنَّهُمْ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]

٣٩ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ يابسة
لا نبات فيها (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ)
تحركت (وَرَبَّتْ) انتفخت وعلت (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا
لَمُجِي الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرِينَ)
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَنْ يُلْقَى
فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمَنُوا مَا
شِئْتُمْ إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]

٤٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من ألحد ولحد (في)
آيَاتِنَا) القرآن بالتكذيب (لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) فنجازيهم
(أَفَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
اغْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرِينَ) تهديدا لهم (١)

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾
٤١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ القرآن (لَمَّا
جَاءَهُمْ) نجازيهم (وَإِنَّهُ لِكِتَابٌ عَزِيزٌ) منيع
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ
حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]

٤٢ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِ﴾ أي ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده (تَنْزِيلٌ
مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) الله المحمود في أمره
﴿مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ
لَدُوٌّ مَغْفِرٌ وَدُوٌّ عِقَابٌ أَلِيمٌ﴾ [فصلت: ٤٣]

٤٣ ﴿مَا يَقَالُ لَكَ﴾ من التكذيب (إِلَّا) مثل (مَا)

(١) أسباب نزول الآية ٤٠: وأخرج ابن المنذر عن بشير بن
فتح قال: نزلت هذه الآية في أبي جهل وعمار بن ياسر: ﴿أَفَنْ
يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية.

٥١ ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ الْجَنَسِ﴾ (أعرض)
عن الشكر (وتأى بجانيه) ننى عطفه متبخترا وفي
قراءة بتقديم الهمزة (وإذا مسه الشر فذو دعاء
عريض) كثير

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ
بِهِ مِنْ أَمَلٍ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾

٥٢ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ أَى الْقُرْآنِ (مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ) كَمَا قَالَ النَّبِيُّ (ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ) لَا أَحَدٌ
(أَصْلٌ مِثْنُ هُوَ فِي شِقَاقٍ) خِلاف (بَعِيدٍ) عَنِ الْحَقِّ
؟ أَوْعَ هَذَا مَوْعٍ مِنْكُمْ بَيَانًا لِحَالِهِمْ

﴿سَتْرِيهِمْ أَيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ
لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ وَأَنْتُمْ يَكْفِرُونَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]

٥٣ ﴿سَتْرِيهِمْ أَيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ مِنَ النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ (وَفِي
أَنْفُسِهِمْ) مِنَ لَطِيفِ الصَّنْعَةِ وَبَدِيعِ الْحِكْمَةِ (حَتَّى
يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ) الْقُرْآنُ (الْحَقُّ) الْمَنْزِلُ مِنَ اللَّهِ بِالْبَيْتِ
وَالْحِسَابِ وَالْعِقَابِ فَيَعَاقِبُونَ عَلَى كُفْرِهِمْ بِهِ
وَبِالْجَائِئِ بِهِ (أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ) فَاعِلٌ يَكْفِ (أَنَّهُ)
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) بَدَلُ مَنْه أَى أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ
فِي صَدَقَتِكَ أَنْ رَبِّكَ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ مَا ؟

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ
شَيْءٍ مُحِيطُونَ﴾ [فصلت: ٥٤]

٥٤ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شَكٌّ (مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ)
لِإِنْكَارِهِمُ الْبَيْتَ (أَلَا إِنَّهُ) تَعَالَى (بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ)
عِلْمًا وَقُدْرَةً فَيَجَازِيهِمْ بِكُفْرِهِمْ .

﴿إِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ تَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا
تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ
شُرَكَائِي قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مَتْنَا مِنْ شَهِيدٍ﴾

٤٧ ﴿إِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ مَتَى تَكُونُ لَا يَعْلَمُهَا
غَيْرُهُ (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ تَمَرَاتٍ) وَفِي قِرَاءَةِ «تَمَرَةٍ» (مِنْ
أَكْمَامِهَا) أَوْعِيَّتِهَا جَمْعُ كَمْ بِكَسْرِ الْكَافِ إِلَّا يَعْلَمُهُ
(وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى) وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ
يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا أَدْنَاكَ (أَعْلَمْنَاكَ الْآنَ) مَا
مَتْنَا مِنْ شَهِيدٍ) أَى شَاهِدُ بَانَ لَكَ شَرِيكَا

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَنَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ
مِنْ نَجِيصٍ﴾ [فصلت: ٤٨]

٤٨ ﴿وَضَلَّ﴾ غَابَ (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ)
يَعْبُدُونَ (مِنْ قَبْلُ) فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَصْنَامِ (وَظَنُوا)
أَيَقْنُوا (مَا لَهُمْ مِنْ مُجِيصٍ) مَهْرَبٌ مِنَ الْعَذَابِ
وَالنَّفْيِ فِي الْمَوْضِعِينَ مَعْلُقٌ عَنِ الْعَمَلِ وَجَمَلَةُ النَّفْيِ
سَدَّتْ مَسَدَ الْمَفْعُولِينَ

﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ
فَيَتُوسَّ قَنُوطًا﴾ [فصلت: ٤٩]

٤٩ ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ أَى لَا
يُرَالُ يَسْأَلُ رَبَّهُ الْمَالَ وَالصَّحَّةَ وَغَيْرَهُمَا (وَإِنْ مَسَّهُ
الشَّرُّ) الْفَقْرُ وَالشَّدَّةُ (فَيَتُوسَّ قَنُوطًا) مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ
وَهَذَا وَمَا بَعْدَهُ فِي الْكَافِرِ

﴿وَلَيْنَ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ
هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَيَّ رَافِعًا
إِنِّي لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى فَلْيُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
وَلْيَذِيقْنَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت: ٥٠]

٥٠ ﴿وَلَيْنَ﴾ لَامٌ قَسَمٌ (أَذَقْتَهُ) آتَيْنَاهُ (رَحْمَةً)
غَنِيًّا وَصَحَّةً (مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ) شِدَّةً وَبِلَاءً (مَسَّتَهُ)
لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي) أَى بَعْمَلِي (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً)
وَلَيْنَ) لَامٌ قَسَمٌ (رُجِعْتُ إِلَيَّ رَبِّي) إِنْ لِي عِنْدَهُ
لِلْحُسْنَى) أَى الْجَنَّةِ (فَلْيُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
وَلْيَذِيقْنَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) شَدِيدٍ وَاللَّامُ فِي
الْفَعْلَيْنِ لَامٌ قَسَمٌ

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا
مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١]

٤٢ - سورة الشورى مكية

إِلَّا الْآيَاتِ (قُلْ لَا إِسْأَلُكُمْ) [٢٣: ٢٦] فمِجْنِيَّة
وآياتها ٥٣ ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ﴾ [الشورى: ١]

١ (حم) الله أعلم بمراده به .

﴿عَسَقٌ﴾ [الشورى: ٢]

٢ (عسق) الله أعلم بمراده به

﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

٣ ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الإيحاء (يُوحَىٰ إِلَيْكَ و) أوحى (إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ) فاعل الإيحاء (الْعَزِيزُ) في ملكه (الْحَكِيمُ) في صنعه

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

٤ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا (وَهُوَ الْعَلِيُّ) على خلقه (الْعَظِيمُ) الكبير

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ

يَسْبُحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥]

٥ ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء والياء (السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُرْنَ) بالنون وفي قراءة بالتاء والتشديد (مِنْ فَوْقِهِنَّ) أي تنشق كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالى (وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أي ملايسين للحمد (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ) من المؤمنين (أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ) لأوليائه (الرَّحِيمُ) بهم

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ

وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الشورى: ٦]

٦ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ أي الأصنام (أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ) مُخَصَّصٌ (عَلَيْهِمْ) ليجازيهم (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) تحصل المطلوب منهم فإنما عليك البلاغ.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ

وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ

وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]

٧ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الإيحاء (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ) تخوف (أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا) أهل مكة وسائر الناس (وَنُنذِرَ) الناس (يَوْمَ الْجُمُعِ) أي يوم القيامة تجمع فيه الخلائق (لَا رَبَّ) لا شك (فِيهِ فَرِيقٌ) منهم (فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) النار

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ

يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

٨ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي على دين واحد وهو الإسلام (وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ) الكافرون (مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يدفع عنهم العذاب.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي

الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٩]

٩ ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ أي الأصنام (أَوْلِيَاءَ) أم منقطعة بمعنى بل التي للانتقال والهمزة للإنكار أي ليس المتخذون أولياء (فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ) أي الناصر للمؤمنين والفاء لمجرد العطف (وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ) وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ

اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

١٠ ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ﴾ مع الكفار (فِيهِ مِنْ شَيْءٍ) من الدين وغيره (فَحُكْمُهُ) مردود (إِلَى اللَّهِ) يوم القيامة يفصل بينكم قل لهم (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) ارجع

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ

أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ

كَيْفِيَّةً شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

١١ ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) حيث خلق حواء من ضلع آدم (وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا) ذكورا وإناثا (يَذُرُّكُمْ) بالمعجزة يخلقكم (فِيهِ) في الجعل المذكور أي يكثركم بسببه بالتوالد والضمير

وَأَمْرٌ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا
وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ
بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿الشورى: ١٥﴾

١٥ (فَلِذَلِكَ) التوحيد (فَادْعُ) يا محمد الناس
(وَاسْتَقِمَّ) عليه (كَمَا أَمَرْتُ) وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) في
تركه (وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ
لِأَعْدِلَ) أي بآن أعدل (بَيْنَكُمْ) في الحكم (اللَّهُ رَبُّنَا
وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) فكل يجازى
بعمله (لَا حِجَّةَ) خصومة (بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) هذا قبل أن
يؤمر بالجهاد (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا) في المعاد لفصل
القضاء (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) المرجع

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ
حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ١٦]

١٦ (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي) دين (اللَّهُ) نبيه (مِنْ
بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ) بالإيمان لظهور معجزاته وهم
اليهود (حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ) باطلة (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ
غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) (١).

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]

١٧ (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ) القرآن (بِالْحَقِّ)
متعلق بأنزل (وَالْمِيزَانَ) العدل (وَمَا يُدْرِيكَ) يعلمك
(لَعَلَّ السَّاعَةَ) أي إتيانها (قَرِيبٌ) ولعل معلق للفعل
عن العمل وما بعده سد مسد مفعولين

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ
آمَنُوا مُسْفِقُونَ مَنَّا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ
يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾

٤٢ - سورة الشورى

(١) أسباب نزول الآية ١٦: أخرج ابن المنذر عن عكرمة
قال: لما نزلت: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» قال المشركون بمكة
لمن بين أظهرهم من المؤمنين قد دخل الناس في دين الله أفواجاً
فاخرجوا من بين أظهرنا، فعلام تقيمون بين أظهرنا فنزلت:
«وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ» الآية.

* وأخرج عبد الرزاق عن قتادة في قوله: «وَالَّذِينَ
يُحَاجُّونَهُ» الآية. قال: هم اليهود والنصارى قالوا: كتابنا قبل
كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم.

للأناسي والأنعام بالتغليب (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) الكاف
زائدة لأنه تعالى لا مثل له (وَهُوَ الشَّمِيعُ) لما يقال (البصير) لما يفعل

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١٢]

١٢ (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي مفاتيح
خزائنها من المطر والنبات وغيرهما (يَنْسُطُ الرِّزْقَ)
يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن
يشاء ابتلاء (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ
يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾

١٣ (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا)
هو أول أنبياء الشريعة (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) هذا هو المشروع الموصى به
والموحى إلى محمد ﷺ وهو التوحيد (كَبُرَ) عظيم
(عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) من التوحيد (اللَّهُ
يَجْتَبِي إِلَيْهِ) إلى التوحيد (مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ
يُنِيبُ) يقبل إلى طاعته

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّ
بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ
مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [الشورى: ١٤]

١٤ (وَمَا تَفَرَّقُوا) أي أهل الأديان في الدين بأن
وحد بعض وكفر بعض (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
الْعِلْمُ) بالتوحيد (بَغْيًا) من الكافرين (بَيْنَهُمْ) ولولا
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير الجزاء (إِلَى أَجَلٍ
مُّسَمًّى) يوم القيامة (لَفُضِّ بَيْنَهُمْ) بتعذيب الكافرين
في الدنيا (وَأَنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ)
وهم اليهود والنصارى (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ) من محمد
ﷺ (مُرِيبٍ) موقع في الريبة

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ

يوم القيامة لا محالة (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) أنزهها بالنسبة إلى من دونهم (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَتْلُوكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزَدْنَا لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾

٢٣ (ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ) من البشارة مخففا ومثقلا (اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَتْلُوكُمْ عَلَيْهِ) أي على تبليغ الرسالة (أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) استثناء منقطع أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم أيضا فإن له في كل بطن من قریش قرابة (وَمَن يَقْرَفْ) يكتسب (حَسَنَةً) طاعة (نَزَدْنَا لَهُ فِيهَا حَسَنًا) بتضعيفها (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) للذنوب (شَكُورٌ) للقليل فيضاعفه. (١١)

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْأَبْطُلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الشورى ٢٤]

٢٤ (أَمْ) بل (يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بنسبة القرآن إلى الله تعالى (فَإِن يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ) يربط (عَلَى قَلْبِكَ) بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره وقد فعل (وَيَمْحُ اللَّهُ الْأَبْطُلَ) الذي قالوه (وَيُحِقُّ الْحَقَّ) يثبت (بِكَلِمَاتِهِ) المنزلة على نبيه (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما في القلوب

﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى ٢٥]

٢٥ (هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) منهم (وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ) المتاب عنها (وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) بالياء والتاء

١٨ (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا) يقولون متى تأتي ظنا منهم أنها غير آتية (وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ) خائفون (مِنْهَا) وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُعَارِضُونَ) يجادلون (فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ)

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى ١٩]

١٩ (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) برهم وفاجرهم حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم (يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ) من كل منهم ما يشاء (وَهُوَ الْقَوِيُّ) على مراده (الْعَزِيزُ) الغالب على أمره

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدْ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدْ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى ٢٠]

٢٠ (مَنْ كَانَ يُرِيدْ) بعمله (حَرْثَ الْآخِرَةِ) أي كسبها وهو الثواب (نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) بالتضعيف فيه الحسنة إلى العشرة وأكثر (وَمَنْ كَانَ يُرِيدْ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) بلا تضعيف ما قسم له (وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ)

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى ٢١]

٢١ (أَمْ) بل (لَهُمْ) لكفار مكة (شُرَكَاءُ) هم شياطينهم (شَرَعُوا) أي الشركاء (لَهُمْ) للكفار (مَنْ الدِّينِ) الفاسد (مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ) كالشرك وإنكار البعث (وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ) أي القضاء السابق بأن الجزء في يوم القيامة (لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ) وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الشورى ٢٢]

٢٢ (تَرَى الظَّالِمِينَ) يوم القيامة (مُشْفِقِينَ) خائفين (مِمَّا كَسَبُوا) في الدنيا من السيئات أن يجازوا عليها (وَهُوَ) أي الجزء عليها (وَاقِعٌ بِهِمْ)

(١) أسباب نزول الآية ٢٣: وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس قال: قالت الأنصار: لو جمعنا لرسول الله ﷺ مالا فأنزل الله: «قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى» فقال بعضهم: إنما قال هذا ليقاتل عن أهل بيته وينصرهم فأنزل الله: «أم يقولون افتري على الله كذبا» إلى قوله: «وهو الذي يقبل التوبة عن عباده» فغرض لهم التوبة إلى قوله: «ويزيدهم من فضله»

بها (وَيَغْفُرُ عَنْ كَثِيرٍ) منها فلا يجازي عليه وهو تعالى أكرم من أن ينشي الجزاء في الآخرة وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٣١]

٣١ (وَمَا أَنْتُمْ) يا مشركون (بِمُعْجِزِينَ) الله هرباً (فِي الْأَرْضِ) فتفتوتونه (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) غيره (مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يدفع عذابه عنكم

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾

٣٢ (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ) السفن (فِي الْبَحْرِ) كالأعلام (كَالْأَعْلَامِ) كالجبال في العظم

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٣]

٣٣ (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ) فيظلمن (رَوَاكِدَ) بصرن (رَوَاكِدَ) ثوابت لا تجري (عَلَى ظَهْرِهِ) إن في ذلك لآيات لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ هو المؤمن يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء

﴿أَوْ يُوقِعَهُنَّ يَمًا كَسُوفًا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾

٣٤ (أَوْ يُوقِعَهُنَّ) عطف على يسكن أي يفرقهن بعصف الرياح بأهلهن (يَمًا كَسُوفًا) أي أهلهن من الذنوب (وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ) منها فلا يفرق أهله

﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾

٣٥ (وَيَعْلَمُ) بالرفع مستأنف وبالنصب معطوف على تعليل مقدر أي يفرقهم لينتقم منهم ويعلم (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) مهرب من العذاب وجملة النفي سدت مسد مفعولي يعلم والنفي معلق عن العمل

﴿فَمَا أُرِيَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمُنِعْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

٣٦ (فَمَا أُرِيَهُمْ) خطاب للمؤمنين وغيرهم (مِنْ شَيْءٍ) من أثاث الدنيا (فَمُنِعْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) يتمتع به فيها ثم يزول (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب (خَيْرٌ وَأَبْقَى) للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ويعطف عليه

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ٢٦]

٢٦ (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يجيبهم إلى ما يسألون (وَيَزِيدُهُمْ) الله (مِنْ فَضْلِهِ) والكافرون لهم عذاب شديد

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾

٢٧ (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ) جميعهم (لَبَغَوْا) جميعهم أي طغوا (فِي الْأَرْضِ) ولكن ينزل بالتخفيف وضده من الأرزاق (بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ) فيبسطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغي (إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) (١)

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨]

٢٨ (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ) المطر (مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا) ما قنطوا يفسوا من نزوله (وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ) يبسط مطره (وَهُوَ الْوَلِيُّ) المحسن للمؤمنين (الْحَمِيدُ) المحمود عندهم

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَاكَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾

٢٩ (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خلق (مَا بَيْنَهُمَا) فرق ونشر (فِيهِمَا مِنْ دَاكَّةٍ) هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم (وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ) للحشر (إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) في الضمير تغليب العاقل على غيره

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]

٣٠ (وَمَا أَصَابَكُمْ) خطاب للمؤمنين (مِنْ مُصِيبَةٍ) بلية وشدة (فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) كسبتم من الذنوب وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول

(١) أسباب نزول الآية ٢٧ - وأخرج الحاكم وصححه عن علي قال: تزلت هذه الآية في أصحاب الصفة ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا فتمنوا الدنيا.

* وأخرج الطبراني عن عمرو بن حريث مثله

﴿وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كَثِيرَ الْإِنَّمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]

٣٧ (وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كَثِيرَ الْإِنَّمِ وَالْفَوَاحِشِ) موجبات الحدود من عطف البعض على الكل (وإذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) يتجاوزون

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]

٣٨ (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) أحابوه إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) أداموها (وَأَمْرُهُمْ) الذي يبدو لهم (شُورَى بَيْنَهُمْ) يتشاورون فيه ولا يعجلون (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) أعطيناهم (يُنفِقُونَ) من طاعة الله ومن ذكر صنف

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩]

٣٩ (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ) الظلم (هُمْ يَنْتَصِرُونَ) صنف أي ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه كما قال تعالى

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]

٤٠ (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) سميت الثانية سيفة لمشابهتها للأولى في الصورة وهذا ظاهر فيما يقتضيه من الجراحات قال بعضهم وإذا قال له أخزك الله فيجيبه أخزك الله (فَمَنْ عَفَا) عن ظلمه (وَأَصْلَحَ) الود بينه وبين المعفو عنه (فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) أي إن الله يأجره لا محالة (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) أي البادئين بالظلم فيرتب عليهم عقابه

﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١]

٤١ (وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ) أي ظلم الظالم إياه. (فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) مواخذه

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَعْمُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

٤٢ (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَعْمُونَ) يعملون (فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) بالمعاصي (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

٤٣ (وَلَمَنْ صَبَرَ) فلم ينتصر (وَعَفَرَ) تجاوز (إِنَّ ذَلِكَ) الصبر والتجاوز (لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعا

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٤]

٤٤ (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ) أي أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه (وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ) إلى الدنيا (مِنْ سَبِيلٍ) طريق ؟

﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَةً مِنَ الذَّلِيلِ يَتَطَرُونَ

مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَشِيعَةَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَّا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٥]

٤٥ (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) أي النار (خَشِيعَةً) خائفين متواضعين (مِنْ الذَّلِيلِ يَتَطَرُونَ) إليها (مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ) ضعيف النظر مسارقة ومن ابتدائية أو بمعنى الباء (وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَشِيعَةَ) الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بتخليدهم في النار وعدم وصولهم إلى الحور المعده لهم في الجنة لو آمنوا والموصول خبر (إِنَّ) (أَلَّا إِنَّ) (الظَّالِمِينَ) الكافرين (فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ) دائم هو من مقول الله تعالى

﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٦]

٤٦ (وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره يدفع عذابه عنهم (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ) طريق إلى الحق في الدنيا وإلى الجنة في الآخرة

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ

مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّكَيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧]

٤٧ (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ) أجبوه بالتوحيد والعبادة

يكلمه (يأذنيه) أي الله (ما يشاء) الله (إنه علي) عن صفات المحدثين (حكيم) في صنعه

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

٥٢ (وكذلك) مثل إباحتنا إلى غيرك من الرسل (أوحينا إليك) يا محمد (روحاً) هو القرآن به تحيا القلوب (من أمرنا) الذي نوحيه إليك (ما كنت تدري) تعرف قبل الوحي إليك (ما الكتاب) (ما كنت ولا الإيمان) أي شرائعه ومعالمه والنفي معلق للفاعل عن العمل وما بعده سد مسد المفعولين (ولكن جعلناه) أي الروح أو الكتاب (نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى) تدعو بالوحي إليك (إلى صراط) طريق (مستقيم) دين الإسلام

﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣]

٥٣ (صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض) ملكا وخلقا وعبدا (ألا إلى الله تصير الأمور) ترجع.

٤٣ سورة الزخرف

مكية وقيل: إلا آية وأسأل من أرسلنا [٤٥] فمجدنية وآياتها ٨٩ تسج وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم﴾ [الزخرف: ١]

١ (حم) الله أعلم بمراده به

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف: ٢]

٢ (والكتاب) القرآن (المبين) المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه من الشريعة

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

[الزخرف: ٣]

٣ (إننا جعلناه) أوجدنا الكتاب (قرآناً عربياً) بلغة

(من قيل أن يأتي يوم) هو يوم القيامة (لا مرد له من الله) أي أنه إذا أتى به لا يرده (ما لكم من ملجأ) تلجئون إليه (تؤمئذ وما لكم من نكير) إنكار للذنوبكم

﴿فَإِن أَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَاكَ حَفِظًا إِن عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: ٤٨]

٤٨ (فإن أعرضوا) عن الإجابة (فما أرسلناك عليهم حفظاً) تحفظ أعمالهم بأن توافق المطلوب منهم (إن) ما (عليك إلا البلاغ) وهذا قبل الأمر بالجهد (وإننا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة) نعمة كالغنى والصحة (فرح بها وإن تصيبهم) الضمير للإنسان باعتبار الجنس (سيئة) بلاء (بما قدمت أيديهم) أي قدموه وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تراول بها (فإن الإنسان كفور) للنعمة

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنْتَا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]

٤٩ (لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء) من الأولاد (إناتا ويهب لمن يشاء الذكور)

﴿أَوْ يُرْزِقُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٥٠]

٥٠ (أو يرزقهم) أي يجعلهم (ذكراً وإنثا) ويجعل من يشاء عاقباً فلا يلد ولا يولد له (إنه عليهم) بما يخلق (قدير) على ما يشاء

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]

٥١ (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا من وراء حجاب) في المنام أو بالهام (أن) إلا (من وراء حجاب) بأن يسمعه كلامه ولا يراه كما وقع لموسى عليه السلام (أن) إلا (أن) يرسل رسولا ملكا كجبريل (فيوحى) الرسول إلى المرسل إليه أي

العرب (لَعَلَّكُمْ) يا أهل مكة (تَعْقِلُونَ) تفهمون
معانيه

﴿وَلَئِنَّ فِي أُولَئِكَ لَدِينَآ لَعَلِّ حَكِيمٌ﴾

٤ (وإنه) مثبت (في أم الكتاب) أصل الكتب
أي اللوح المحفوظ (لَدِينَا) بدل عندنا (لَعَلِّي) على
الكتب قبله (حَكِيمٌ) ذو حكمة بالغة

﴿أَفَضْرِبَ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا
مُّشْرِكِينَ﴾ [الزخرف: ٥]

٥ (أَفَضْرِبُ) نمسك (عَنْكُمُ الذِّكْرَ) القرآن
(صَفْحًا) إمساكاً فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل (أَن)
كنتم قوماً مُشْرِكِينَ) شركين ؟ لا .

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٦]

٦ (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ)

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

[الزخرف: ٧]

٧ (وَمَا يَأْتِيهِمْ) أتاهم (مِن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ) كاستهزاء قومك بك وهذا تسليه له ﷺ

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بِطُشًا وَمَضَىٰ مِثْلَ الْأَوَّلِينَ﴾

٨ (فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم) من قومك (بِطُشًا) قوة
(وَمَضَىٰ) سبق إثبات (مِثْلَ الْأَوَّلِينَ) صفتهم في
الإهلاك فعاية قومك كذلك

﴿وَالَّذِينَ سَأَلْنَاهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ

خَلَقْنَاهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]

٩ (وَالَّذِينَ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالي
النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين (خَلَقْنَاهُنَّ)
العَزِيزُ الْعَلِيمُ) آخر جوابهم أي الله ذو العزة والعلم

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا
سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ١٠]

١٠ - زاد تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا) فرشاً كالمهد للصبى (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا)
طرقاً (لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) إلى مقاصدكم في أسفاركم

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً

مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوهُ﴾ [الزخرف: ١١]

١١ (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَاءً يَقْدَرُ) بقدر
حاجتكم إليه ولم ينزل طوفانا (فَأَنْشَرْنَا) أحيينا (به)
بَلْدَةً مَّيِّتًا كَذَلِكَ) أي مثل هذا الإحياء (نُخْرِجُوهُ)
من قبوركم أحياء

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ

وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢]

١٢ (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ) الأصناف (كُلَّهَا)
وجعل لكم من الفلك السفن (وَالْأَنْعَامِ) كالإبل
(مَا تَرْكَبُونَ) حذف العائد اختصاراً وهو مجرور في
الأول أي فيه منصوب في الثاني

﴿لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا
اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا
كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]

١٣ (لِيَسْتَوُوا) لتستقروا (عَلَىٰ ظُهُورِهِ) ذكر
الضمير وجمع الظهر نظراً للفظ ما ومعناها (ثُمَّ)
تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ
الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) مطيقين

﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٤]

١٤ (وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) لمنصرفون

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ
مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ١٥]

١٥ (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) حيث قالوا
الملائكة بنات الله لأن الولد جزء من الوالد
والملائكة من عباد الله تعالى (إِنَّ الْإِنسَانَ) القائل
ما تقدم (لَكَفُورٌ مُّبِينٌ) بين ظاهر الكفر

﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَخَذَ مِنَّا مِيثَاقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنكُم بِالْبَنِينَ﴾

١٦ (أَم) بمعنى همزة الإنكار والقول مقدر أي
أتقولون (أَتَّخَذَ مِنَّا مِيثَاقُ بَنَاتٍ) لنفسه (وَأَصْفَاكُمْ)
أخلصكم (بِالْبَنِينَ) ؟ اللازم من قولكم السابق فهو
من جملة المنكر

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ

وَجْهَهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَاطِمٌ﴾ [الزخرف: ١٧]

﴿وَأَنَا مَاشُونَ عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ وكانوا يعبدون غير الله

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَوْمٍ مِنْ تَدْبِيرٍ إِلَّا قَالُوا مَرْفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]

٢٣ ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَوْمٍ مِنْ تَدْبِيرٍ إِلَّا قَالُوا مَرْفُوهَا﴾ متعموها مثل قول قومك ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ ملة ﴿وَأَنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ متبعون

﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٤]

٢٤ ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ (أ) تتبعون ذلك ﴿وَ لَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ أنت ومن قبلك ﴿كَافِرُونَ﴾

﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾

٢٥ - قال تعالى تخويفا ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي من المكذبين للرسول قبلك ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦]

٢٦ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ أي بريء ﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي﴾ [الزخرف: ٢٧]

٢٧ ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني ﴿فَأِنَّهُ سَيِّدِي﴾ يرشدني لدينه.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

٢٨ ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي كلمة التوحيد المفهومة من قوله ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِي﴾ ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَيَاتٍ مَلُوفًا لِحَقِّ مَا هُمْ بِرَسُولٍ﴾ [الزخرف: ٢٩]

١٧ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ جعل له شبهة بنسبة البنات إليه لأن الولد يشبه الوالد المعنى إذا أخبر أحدهم بالبت تولد له ﴿ظَلَّلَ﴾ صار ﴿وَجْهَهُ مُسْوَدًّا﴾ متغير تغير مغمتم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غما فكيف ينسب البنات إليه ؟ تعالى عن ذلك

﴿وَأَمَنْ يُنَشِّئُوا فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾

١٨ ﴿أَوْ﴾ همزة الإنكار وواو العطف بجمله أي يجعلون لله ﴿مَنْ يُنَشِّئُ فِي الْجَنَّةِ﴾ الزينة ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ مظهر الحججة لضعفه عنها بالأنوثة ؟

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْتَاءً أَشْهَادًا خَلَقَهُمْ سَتَكُنَّ شُهَدَائِهِمْ وَيَسْتَلُونَ﴾

١٩ ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْتَاءً أَشْهَادًا﴾ حضروا ﴿خَلَقَهُمْ سَتَكُنَّ شُهَدَائِهِمْ﴾ بأنهم إناث ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عنها في الآخرة فيرتب عليها العقاب ^(١)

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠]

٢٠ ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاكُمْ﴾ أي الملائكة فعبادتنا إياهم بمشيئته فهو راض بها قال تعالى ﴿مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ المقول من الرضا بعبادتها ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُم إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون فيه فيرتب عليهم العقاب به

﴿أَمْ ءَأَنْتُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾

٢١ ﴿أَمْ﴾ أتيناكم كتابا من قبليه أي القرآن بعبادة غير الله ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ أي لم يقع ذلك

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]

٢٢ ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ ملة

٤٣ - سورة الزخرف

(١) أسباب نزول الآية ١٩ : أخرج ابن المنذر عن قتادة قال: قال ناس من المنافقين: إن الله صاهر الجن فخرجت من بينهم الملائكة فنزل فيهم: وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً.

﴿وَلِيُبَيِّنَهُمْ آيَاتِنَا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾

٣٤ ﴿وَلِيُبَيِّنَهُمْ آيَاتِنَا﴾ من فضة (و) جعلنا لهم (سُرُرًا) من فضة جمع سرير (عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ) ﴿وَرُزُقُوا وَإِنْ كُنْتُمْ كَافِرِينَ﴾ كَلِّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿[الزخرف: ٣٥]﴾

٣٥ ﴿وَرُزُقُوا﴾ ذهباً لمعنى لولا خوف الكفر على المؤمنين من إعطاء الكافر ما ذكر لأعطيناه ذلك لقله خطر الدنيا عندنا وعدم حظه في الآخرة في النعيم (وإن) مخففة من الثقيلة (كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا) بالتخفيف فما زائدة بالتشديد بمعنى إلا فإن نافية (مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتمتع به فيها ثم يزول (وَالْآخِرَةُ الْجَنَّةُ) (عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ عَمَلًا شَرًّا لَنَنصُرَنَّكَ لَمْ يَكُنْ لَكَ شَيْطَانًا فَهُوَ لَمْ يُرَ﴾ ﴿[الزخرف: ٣٦]﴾

٣٦ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ عَمَلًا شَرًّا لَنَنصُرَنَّكَ لَمْ يَكُنْ لَكَ شَيْطَانًا فَهُوَ لَمْ يُرَ﴾ لا يفارقه. (١)

﴿وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿[الزخرف: ٣٧]﴾

٣٧ ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي الشياطين (لِيَصُدُّوهُمْ) أي العاشقين (عَنِ السَّبِيلِ) أي طريق الهدى (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) في الجمع رعاية معنى «من». ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ يَا لَيْتَ بَنِيَّ وَبَنِيكَ بَعْدَ الْمَسْرِفِينَ﴾ ﴿[الزخرف: ٣٨]﴾

(١) أسباب نزول الآية ٣٦: وأخرج ابن المنذر عن قتادة قال: قال الوليد بن المغيرة: لو كان ما يقول محمد حقاً أنزل عليّ هذا القرآن أو على ابن مسعود الثقفي فنزلت.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن عثمان الخزمي أن قريشاً قالت: قبيصوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلاً يأخذه قبيصوا لأبي بكر طلحة فأتاه وهو في القوم فقال أبو بكر: إلام تدعونني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى، قال أبو بكر: وما اللات؟ قال: ربنا قال: وما العزى؟ قال: بنات الله قال: فمن أمهم؟ فسكت طلحة فلم يجبه فقال طلحة لأصحابه: أجبوا الرجل فسكت القوم فقال طلحة: قم يا أبا بكر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فأنزل الله: «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً الآية»

٢٩ ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ﴾ المشركين (وآبَاءَهُمْ) ولم أعاجلهم العقوبة (حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ) القرآن (وَرَسُولٌ مُّبِينٌ) مظهر لهم الأحكام الشرعية وهو محمد ﷺ

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ)

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِثِيِّينَ عَظِيمٍ﴾ ﴿[الزخرف: ٣١]﴾

٣١ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ هلا (نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ أَهْلِ الْفَرِثِيِّينَ) من أية منهما (عَظِيمٍ) أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف. (١)

﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم مَّصَاحِبَ سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿[الزخرف: ٣٢]﴾

٣٢ ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ النبوة (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فجعلنا بعضهم غنيا وبعضهم فقيراً (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ) بالغنى (فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمُ الْغَنِيَّ) (بَعْضًا) الفقير (سُخْرِيًّا) مسخراً في العمل له بالأجرة والياء للنسب وقرىء بكسر السين (وَرَحِمْتُ رَبِّكَ) أي الجنة (خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) في الدنيا.

﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوبِتَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ ﴿[الزخرف: ٣٣]﴾

٣٣ ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الكفر (لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوبِتَهُمْ) بدل من لمن (سُقْفًا) بفتح السين وسكون القاف وبضمها جمعا (مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ) كالدرج من فضة (عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) يعلون إلى السطح.

(١) أسباب نزول الآية ٣١: وتقدم في سورة يونس سبب قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ الآية.

أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ) أي غيره (إِلَهَةً يُعْبُدُونَ) قيل هو على ظاهره بأن جمع له الرسل ليلة الإسراء وقيل المراد أمم من أهل الكتابين ولم يسأل على واحد من القولين لأن المراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ﴾

فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الزخرف: ٤٦]﴾

٤٦ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ﴾ (القطب) ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾

٤٧ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ)

﴿وَمَا نُرِيدُهُمْ مِنْ عَائِيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٤٨]

٤٨ ﴿وَمَا نُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ﴾ من آيات العذاب كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلي حلقو الجالسين سبعة أيام والجراد (إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) قريتها التي قبلها (وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن الكفر

﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٩]

٤٩ ﴿وَقَالُوا﴾ لموسى لما رأوا العذاب (يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ) أي العالم الكامل لأن السحر عندهم علم عظيم (أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ) من كشف العذاب عنا إن آما (إِنَّا لَمُهْتَدُونَ) أي مؤمنون

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَسْتَكْبِرُونَ﴾

٥٠ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى (عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَسْتَكْبِرُونَ) ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

٥١ ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ افتخارا (فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ) من النيل

٣٨ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ العاشي بقرينه يوم القيامة (قَالَ) له (يَا) للتنبية (يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ) أي مثل بعد ما بين المشرق والمغرب (فَبِمَسِّ الْقُرْيُوتِ) أنت لي

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩]

٣٩ ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ﴾ أي العاشين تمنيتكم وندمكم (الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ) أي تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا وإذ بدل من اليوم (أَنْتُمْ) مع قرائكم بتقدير لام العلة (فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) لعدم النفع

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَتْ فِي صُلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [الزخرف: ٤٠]

٤٠ ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَتْ فِي صُلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ بين أي فهم لا يؤمنون ﴿فَأَمَّا نَذَهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾

٤١ ﴿فَأَمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة (نَذَهَبَنَّ بِكَ) بأن نعيمك قبل تعذيبهم (فَأَمَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) في الآخرة

﴿أَوْ نُرِيدَنَّ أَلَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾

٤٢ ﴿أَوْ نُرِيدَنَّ﴾ في حياتك (الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ) به من العذاب (فَأَمَّا عَلَيْهِمْ) على عذابهم (مُّّقْتَدِرُونَ) قادرون

﴿فَأَسْتَسْمِعُ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]

٤٣ ﴿فَأَسْتَسْمِعُ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن (إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ) طريق (مُّسْتَقِيمٍ)

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾

٤٤ ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ لشرف (لَّكَ) ولِقَوْمِكَ) لنزوله بلغتهم (وسوف تُسألون) عن القيام بحقه

﴿وَسْئَلٌ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُّسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]

٤٥ ﴿وَإِسْأَلٌ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُّسُلِنَا﴾

المشركون (منه) من المثل (يَصِدُّونَ) يضحكون
فرحا بما سمعوا .
﴿ وَقَالُوا أَلَهْتْنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا
بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨]

٥٨ ﴿ وَقَالُوا أَلَهْتْنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾ أي عيسى
فنرضى أن تكون آلهتنا معه (ما ضَرَبُوهُ) أي المثل
(لَكَ إِلَّا جَدَلًا) خصومة بالباطل لعلهم أن ما لغير
العاقل فلا يتناول عيسى عليه السلام (بَلْ هُمْ قَوْمٌ
خَصِمُونَ) شديدا الخصومة
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي
إِسْرَائِيلَ ﴾ [الزخرف: ٥٩]

٥٩ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾
بالنبوة (وَجَعَلْنَاهُ) بوجوده من غير أب (مَثَلًا لِّبَنِي
إِسْرَائِيلَ) أي كالمثل لغرابته يستدل بها على قدرة
الله تعالى على ما يشاء
﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ
فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴾ بأن نهلككم
﴿ وَإِنَّهُمْ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا
صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٦١]

٦١ ﴿ وَإِنَّهُمْ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ تعلم بنزوله
(فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا) تشكن فيها حذف منه نون الرفع
للجزم وواو الضمير لالتقاء الساكنين (و) قل لهم
(اتَّبِعُونِ) على التوحيد (هَذَا) الذي أمركم به
(صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ)
﴿ وَلَا يَصِدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُرٌّ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

٦٢ ﴿ وَلَا يَصِدُّكُمْ ﴾ يصرفنكم عن دين الله
(الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) بين العداوة
﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ

(تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) تحت قصوري ؟ (أَفَلَا تُبْصِرُونَ)
عظمتي
﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ بَيْنَ
[الزخرف: ٥٢]

٥٢ (أَمْ) تبصرون ؟ وحينئذ (أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا)
أي موسى (الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) ضعيف حقير (وَلَا
يَكَادُ بَيْنَ) يظهر كلامه للثغته بالجمرة التي تناولها
في صفه
﴿ فَلَوْلَا أَلْفَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ
الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٣]

٥٣ ﴿ فَلَوْلَا ﴾ هلا (أَلْفَى عَلَيْهِ) إن كان صادقا
(آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) جمع أسورة كأغربة جمع سوار
كعادتهم فيمن يسودونه أن يلبسوه أسورة ذهب
ويطوقونه طوق ذهب (أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ
مُقَرَّرِينَ) متابعين يشهدون بصدقه
﴿ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾
[الزخرف: ٥٤]

٥٤ ﴿ فَاسْتَحَفَّ ﴾ استغفر فرعون (قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ)
فيما يريد من تكذيب موسى (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ)
﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٥]

٥٥ ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ﴾ أغضبونا (انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ
فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ)
﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٦]

٥٦ ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا ﴾ جمع سالف كخادم
وخدم أي سابقين عبرة (وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ) بعدهم
يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل أفعالهم
﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ
يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧]

٥٧ ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ﴾ جعل (ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا) حين
نزل قوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم) فقال المشركون رضينا أن تكون
آلهتنا مع عيسى لأنه عبد من دون الله (إِذَا قَوْمُكَ)

(١) أسباب نزول الآية ٥٧: وأخرج أحمد بسند صحيح
والطبراني عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لقريش: «إنه
ليس أحد بعد من دون الله فيه خيره» فقالوا: ألسنت تزعم أن
عيسى كان نبيا وعبدًا صالحًا وقد عبد من دون الله فنزل الله:
«ولما ضرب ابن مريم مثلاً» الآية.

(وكانوا مسلمين).

﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحببوت﴾

٧٠ (ادخلوا الجنة أنتم) مبتدأ (وأزواجكم) زوجاتكم (تُحِبُّوْنَ) تسرون وتكرمون خير المبتدأ

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١]

٧١ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ﴾ بقصاع (مَنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ) جمع كوب وهو إناء لا عروة له ليشرب الشارب من حيث شاء (وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ) تلذذا (وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ) نظرا (وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

٧٢ (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾

٧٣ (لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا) أي بعضها (تَأْكُلُونَ) وكل ما يؤكل يخلف بدله

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾

٧٤ (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ)

﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥]

٧٥ (لَا يُفْتَرُ) يخفف (عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ) ساكنون سكوت بأس

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾

٧٦ (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ)

﴿وَأَدَاؤُا بِمَالِكَ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنِكُوتٌ﴾

٧٧ (وَأَدَاؤُا يَا مَالِكُ) هو خازن النار (لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ) ليمتنا (قَالَ) بعد ألف سنة (إِنَّكُمْ مَنِكُوتٌ) مقيمون في العذاب دائما

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرْتُمُ الْبَاطِلَ كَرِهُونَ﴾

٧٨ قال تعالى (لَقَدْ جِئْتُمْ) أي أهل مكة (بِالْحَقِّ) على لسان الرسول (وَلَكِنْ أَكْثَرْتُمْ بِالْحَقِّ كَارِهُونَ)

وَلَا يَتَّبِعُنَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

رَبَّكُمْ [الزخرف: ٦٣]

٦٣ (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات والشرائع (قَالَ قَدْ جِئْتُمْ بِالْحِكْمَةِ) بالنبوة وشرائع الإنجيل (وَلَا يَتَّبِعُنَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره فبين لهم أمر الدين (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا)

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ

مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦٤]

٦٤ (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ)

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلْيَاسَ﴾ [الزخرف: ٦٥]

٦٥ (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) في عيسى أمر الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة ؟ (فَوَيْلٌ) كلمة عذاب (لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا بما قالوه في عيسى (مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلْيَاسَ) مؤلم

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزخرف: ٦٦]

٦٦ (هَلْ يَنْظُرُونَ) أي كفار مكة أي ما ينتظرون (إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ) بدل من السلعة (بَغْتَةً) فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بوقت مجيئها قبله

﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا

الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]

٦٧ (الْأَخْلَاءُ) على المعصية في الدنيا (يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة متعلق بقوله (بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) المتحابين في الله على طاعته فإنهم أصدقاء، ويقال لهم:

﴿يَعْبَادِ لَا حَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾

٦٨ (يَا عِبَادِ لَا حَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ)

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾

٦٩ (الَّذِينَ آمَنُوا) نعت لعبادي (بِآيَاتِنَا) القرآن

﴿أَمْ أُنزِمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ [الزخرف: ٧٩]
 ٧٩ ﴿أَمْ أُنزِمُوا﴾ أي كفار مكة أحكموا (أمراً) في كيد محمد النبي (فإننا مُبْرِمُونَ) محكمون كيدنا في إهلاكهم.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]

٨٠ ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما يسرون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم (بلى) نسمع ذلك (ورسُلْنَا) الحفظة (لَدَيْهِمْ) عندهم (يَكْتُبُونَ) ذلك (١)

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ﴾
 ٨١ ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ فرضاً (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ) للولد لكن ثبت أن لا ولد له تعالى فانتفت عبادته

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف: ٨٢]

٨٢ ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾ الكرسي (عَمَّا يَصِفُونَ) يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه

﴿فَذَرَهُمْ خَبْؤُهُمْ وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣]

٨٣ ﴿فَذَرَهُمْ خَبْؤُهُمْ﴾ في باطلهم (ويَلْعَبُوا) في دنياهم (حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ) فيه العذاب وهو يوم القيامة

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤]

٨٤ ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾ هو (فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ) بتحقيق الهمزتين وإسقاط الأولى وتسهيلها كالياء أي معبود (وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ) وكل من الطرفين متعلق بما بعده

(١) أسباب نزول الآية ٨٠: وأخرج ابن جرير عن محمد ابن كعب القرظي قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي فقال واحد منهم: أنزول الله يسمع كلامنا فقال آخر: إذا جهرتم سمع وإذا أسررتم لم يسمع فأنزلت: وأم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم الآية.

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه (العليم) بمصالحهم ﴿وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

٨٥ ﴿وَبَارَكَ﴾ تعظم (الذي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) متى تقوم؟ (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالياء والتاء

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]

٨٦ ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون أي الكفار (مِن دُونِهِ) أي من دون الله (الشَّفَاعَةَ) لأحد (إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ) أي قال لا إله إلا الله (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وهم عيسى وعزيز والملائكة فإنهم يشفعون للمؤمنين.

﴿وَلَكِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

٨٧ ﴿وَلَكِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ لام قسم (سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) حذف منه نون الرفع وواو الضمير (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن عبادة الله؟

﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

٨٨ ﴿وَقِيلِهِ﴾ أي قول محمد النبي ﷺ ونصبه على المصدر بفعله المقدر أي وقال (يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ)

﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾

٨٩ ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ أعرض (عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ) منكم وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) بالياء والتاء تهديد لهم.

٤٤ سورة الدخان

مكية إلا (إنا كاشفوا العذاب الآية ١٥).

وآياتها تسع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمَّ﴾ [الدخان: ١]

١ (حم) الله أعلم بمراده به

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الدخان: ٢]

٢ (والكتاب) القرآن (المبين) المظهر الحلال من الحرام

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾

٣ (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) هي ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان نزل فيها من أم الكتاب أي: اللوح المحفوظ من السماء السابعة إلى سماء الدنيا (إنا كنا منذرين) مخوفين به

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]

٤ (فيها) أي في ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان (يُفْرَقُ) يفصل (كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) محكم من الأرزاق والآجال وغيرها التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة

﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ٥]

٥ (أمرًا) فرقا (مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) الرسل محمداً ومن قبله.

﴿رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

٦ (رَحْمَةً) رافة بالمرسل إليهم (مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (العليم) بأفعالهم.

٤٤ - سورة الدخان

(١) أسباب نزول الآية ١٥: أخرج البخاري عن ابن مسعود قال: إن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهية الدخان من الجهد فأنزل الله: «فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين» فأتى رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله استسق الله لخصر فإنها قد هلكت فاستسقى فسقوا، فنزلت.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ

مُوقِنِينَ﴾ [الدخان: ٧]

٧ (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) برفع رب خير ثالث وبجره بدل من ربك (إِن كُنْتُمْ) يا أهل مكة (مُوقِنِينَ) بأنه تعالى رب السموات والأرض فأيقنوا بأن محمداً رسوله

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ

الْأُولَى﴾ [الدخان: ٨]

٨ (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى)

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ [الدخان: ٩]

٩ (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ) من البعث (يَلْعَبُونَ) استهزاء بك يا محمد فقال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾

١٠ - قال تعالى: (فَارْتَقِبْ) لهم (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ) فأجذبت الأرض واشتد بهم الجوع إلى أن رأوا من شدته كهية الدخان بين السماء والأرض.

﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١١]

١١ (يَغْشَى النَّاسَ) فقالوا (هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾

١٢ (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) مصدقون نبيك.

﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾

١٣ (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى) أي لا ينفعهم الإيمان عند نزول العذاب (وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ) بين الرسالة.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْلُ نَحْنُونَ﴾ [الدخان: ١٤]

١٤ (ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ) أي يعلمه القرآن بشر (مِّثْلُ نَحْنُونَ).

﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾

(يعبادي) بني إسرائيل (لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ) يتبعكم فرعون وقومه.

﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾

٢٤ (وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ) إذا قطعتة أنت وأصحابك (رَهْوًا) ساكنا منفرجا حتى يدخله القبط (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ) فاطمأن بذلك فأغرقوا

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٢٥]

٢٥ (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ) بساتين (وعُيُونٍ) تجري

﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٦]

٢٦ (وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) مجلس حسن

﴿وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فَكَيِّهِن﴾ [الدخان: ٢٧]

٢٧ (وَنَعْمَ) متعة (كَانُوا فِيهَا فَكَيِّهِن) ناعمين

﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٨]

٢٨ (كَذَلِكَ) خبر مبتدأ أي الأمر (وَأَوْرَثْنَاهَا) أي أموالهم (قَوْمًا آخَرِينَ) أي بني إسرائيل

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾

٢٩ (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء (وما كانوا منظرين) مؤخرين للتوبة

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾

٣٠ (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) قتل الأبناء واستخدام النساء

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

٣١ (مِنْ فِرْعَوْنَ) قيل بدل من العذاب بتقدير مضاف أي عذاب وقيل حال من العذاب (إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ)

﴿وَلَقَدْ أَخْرَجْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَيَّ الْعَالَمِينَ﴾

٣٢ (وَلَقَدْ أَخْرَجْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَيَّ الْعَالَمِينَ) أي بني إسرائيل (عَلَيَّ) علم) منا بحالهم (عَلَيَّ الْعَالَمِينَ) أي عالمي زمانهم أي العقلاء

١٥ (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ) أي الجوع عنكم زنا (قَلِيلًا) فكشف عنهم (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) إلى كفركم فعادوا إليه (١).

﴿يَوْمَ نَبِّطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾

١٦ اذكر (يَوْمَ نَبِّطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ) هو يوم بدر (إِنَّا مُنْقِمُونَ) منهم والبطش الأخذ بالقوة.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ

كَرِيمٌ﴾ [الدخان: ١٧]

١٧ (وَلَقَدْ فَتَنَّا) بلونا (قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ) معه (وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ) هو موسى عليه السلام (كَرِيمٌ) على الله تعالى

﴿أَن أَدُّوْا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكَرُّمٌ أَمِينٌ﴾

١٨ (أَن) أي بأن (أَدُّوْا إِلَيَّ) ما أَدْعُوكم إليه من الإيمان أي أظهروا إيمانكم بالطاعة لي يا (عِبَادَ اللَّهِ) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) على ما أرسلت به

﴿وَأَن لَّا تَقْلُوبُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ﴾

١٩ (وَأَن لَّا تَقْلُوبُوا) تتجبروا (وَعَلَى اللَّهِ) بترك طاعته (إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطٰنٍ) برهان (مُبِينٍ) بين على رسالتي فتوعده بالرجم

﴿وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُون﴾ [الدخان: ٢٠]

٢٠ فقال (وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُون) بالحجارة

﴿وَإِن لَّرُؤُسُنَا لِي فَاغْرُلُون﴾ [الدخان: ٢١]

٢١ (وَإِن لَّرُؤُسُنَا لِي) تصدقوني (فَاغْرُلُون) فاتركوا أذاي فلم يتركوه

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ [الدخان: ٢٢]

٢٢ (فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ) أي بأن (هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ) مشركون.

﴿فَأَنسَرِ يٰعَادَىٰ لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ [الدخان: ٢٣]

٢٣ فقال تعالى (فَأَنسَرِ) بقطع الهمزة ووصلها

(١) أسباب نزول الآيتين ١٥ - ١٦: فنزل قوله تعالى: «إنكم عائدون» فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزل الله: «يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون» يعني يوم بدر.

﴿وَأَيَّتَنَّهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتْوَأُ مُبِيتٌ﴾
 ٣٣ (وَأَيَّتَنَّهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ) نعمة ظاهرة من فلق البحر والمن والسلوى وغيرها
 ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾ [الدخان: ٣٤]
 ٣٤ (إِنَّ هَؤُلَاءِ) أي كفار مكة (لَيَقُولُونَ)
 ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾
 ٣٥ (إِنَّ هِيَ) ما الموتة التي بعدها الحياة (إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ) أي وهم نطف (وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ) بمبعوثين أحياء بعد الثانية
 ﴿فَأَتُوا يَا أَبَانَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الدخان: ٣٦]
 ٣٦ (فَأَتُوا يَا أَبَانَا) أحياء (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أنا نبعت بعد موتنا أي نحيا
 ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [الدخان: ٣٧]
 ٣٧ قال تعالى (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ) ؟ هو نبي أو رجل صالح (وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم (أَهْلَكْنَاهُمْ) بكفرهم والمعنى ليسوا أقوى منهم وأهلكوا (إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ)
 ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَئِبْعَتٍ﴾
 ٣٨ (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَئِبْعَتٍ) لآييين) بخلق ذلك الحال
 ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
 ٣٩ (مَا خَلَقْنَاهُمَا) وما بينهما (إِلَّا بِالْحَقِّ) أي محقين في ذلك ليستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ) أي كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ).
 ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾
 ٤٠ (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ) يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد (مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) للعذاب الدائم
 ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾
 ٤١ (يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ) بقرابة أو صداقة أي لا يدفع عنه (شَيْئًا) من العذاب (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) يمنعون منه ويوم بدل من يوم الفصل

(١) أسباب نزول الآية ٤٣: وأخرج سعيد بن منصور عن أبي مالك قال: إن أبا جهل كان يأتي بالتمر والزبد فيقول: تزقموا فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد فنزلت: «إن شجرة الزقوم مطام الأئيم».

(٢) أسباب نزول الآية ٤٩: وأخرج الأموي في مغازبه عن عكرمة قال: لقي رسول الله ﷺ أبا جهل فقال: «إن الله

﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾
 ٤٢ (إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ) وهم المؤمنون فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ) الغالب في انتقامه من الكفار (الرَّحِيمُ) بالمؤمنين
 ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ﴾ [الدخان: ٤٣]
 ٤٣ (إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ) هي من أخبث الشجر المر بتهامه ينتها الله تعالى في الجحيم^(١)
 ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٤]
 ٤٤ (طَعَامُ الْأَثِيمِ) أبي جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير
 ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ [الدخان: ٤٥]
 ٤٥ (كَالْمُهْلِ) أي كدردي الزيت الأسود خبر ثاب (يَغْلِي فِي الْبُطُونِ) بالفوقانية خبر ثالث وبالتحتانية حال من المهل
 ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٦]
 ٤٦ (كَغَلِي الْحَمِيمِ) الماء الشديد الحرارة
 ﴿خُدُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٤٧]
 ٤٧ (خُدُوهُ) يقال للزبانية خذوا الأئيم (فَأَعْتَلُوهُ) بكسر التاء وضمها جروه بغلظة وشدة (إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ) وسط النار
 ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾
 ٤٨ (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ) أي من الحميم الذي لا يفارقه العذاب فهو أبلغ مما في آية (يصب من فوق رؤوسهم).
 ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾
 ٤٩ ويقال له (ذُقْ) أي العذاب (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) بزعمك وقولك: ما بين جبلها أعر وأكرم مني^(٢).

﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُ يَلْسَانُكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

٥٨ ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُ﴾ أي سهلنا القرآن (يَلْسَانُكَ) بلغتك لتفهمه العرب عنك (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون فيؤمنون بك لكنهم لا يؤمنون

﴿فَأَرْزَقْتَهُمُ مَرْزُقًا وَمِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الذخات: ٥٩]

٥٩ ﴿فَأَرْزَقْتَهُمُ﴾ انتظر هلاكهم (لَهُمْ مَرْزُقًا) هلاكك وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

* * *

٤٥ سورة الجاثية

مكية إلى آية (قل للذين آمنوا) الآية (١٤) فمدنية، وآياتها ٢٧ ست أو سبع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمِّ﴾ [الجاثية: ١]

١ (حم) الله أعلم بمراده به

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ٢]

٢ ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن مبتدأ (مِنَ اللَّهِ) خبره (الْعَزِيزِ) في ملكه (الْحَكِيمِ) في صنعه

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣]

٣ ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي في خلقهما (لَآيَاتٍ) دالة على قدرة الله ووحدانيته تعالى (لِّمُؤْمِنِينَ)

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

٤ ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ أي في خلق كل منكم من نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن صار إنسانا (و) خلق (مَا يَبُتُّ) يفرق في الأرض (مِنَ دَابَّةٍ) هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم (آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) بالعبث

﴿وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَنَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

٥ (و) في (اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) ذهابهما ومجيئهما (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ) مطر لأنه سبب الرزق (فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ [الذخات: ٥٠]

٥٠ ويقال لهم ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي ترون من العذاب (مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ) فيه تشكون

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الذخات: ٥١]

٥١ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ مجلس (أَمِينٍ) يؤمن فيه من الخوف.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذخات: ٥٢]

٥٢ (فِي جَنَّاتٍ) بساتين (وَعُيُونٍ)

﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَمَلِّئِينَ﴾

٥٣ ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي ما رُق من الديباج وما غلظ منه (مُتَمَلِّئِينَ) حال أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم

﴿كَذَلِكَ وَرَوَّجْتَهُمْ بِيحُورٍ عَيْنٍ﴾ [الذخات: ٥٤]

٥٤ ﴿كَذَلِكَ﴾ يقدر قبله الأمر (وَرَوَّجْتَهُمْ) التزوج أو قرانهم (بِيحُورٍ عَيْنٍ) بنساء بيض واسعات الأعين حسانها

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾

٥٥ ﴿يَدْعُونَ﴾ يطلبون من الخدم (فِيهَا) أي الجنة أن يأتوا (بِكُلِّ فَاكِهَةٍ) منها (آمِنِينَ) من انقطاعها ومضرتها ومن كل مخوف حال

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾

﴿وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الذخات: ٥٦]

٥٦ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ أي التي في الدنيا بعد حياتهم فيها قال بعضهم إلا بمعنى بعد (وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)

﴿فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

٥٧ ﴿فَضَلًا﴾ مصدر بمعنى تفضلا منصوب تفضل مقدرا (مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

أمرني أن أقول لك: «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى» قال: فنزع ثوبه من يده فقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء لقد علمت أنني أمنع أهل بطحاء وأنا العزيز الكريم فقتله الله يوم بدر وأذله وغيره بكلمته ونزل فيه: «ذق إنك أنت العزيز الكريم».

* وأخرج ابن جرير عن قتادة نحوه.

وَلْيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ [الجاثية: ١٢]

١٢ (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِيَجْزِيَ الْفُلُكُ) السفن (فِيهِ بِأَمْرِهِ) بِإِذْنِهِ (وَلْيَتَّبِعُوا) تَطَلَّبُوا بِالتَّجَارَةِ (مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٣]

١٣ (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ) مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ وَنُجُومٍ وَمَاءٍ وَغَيْرِهِ (وَمَا فِي الْأَرْضِ) مِنْ دَابَّةٍ وَشَجَرٍ وَنَبَاتٍ وَأَنْهَارٍ وَغَيْرِهَا أَيْ خَلَقَ ذَلِكَ لِمَنَافِعِكُمْ (جَمِيعًا) تَأْكِيدٌ (مِنْهُ) حَالٌ أَيْ سَخَّرَهَا كَائِنَةً مِنْهُ تَعَالَى (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ) فِيهَا فَيُؤْمِنُونَ

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الجاثية: ١٤]

١٤ (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ) يَخَافُونَ (أَيَّامَ اللَّهِ) وَقَائِعَهُ أَيْ اغْفِرُوا لِلْكَفَّارِ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنَ الْأَذَى لَكُمْ وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِجِهَادِهِمْ (لِيَجْزِيَ) أَيْ اللَّهُ فِي قِرَاءَةِ النَّوْنِ (قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) مِنَ الْغَفْرِ لِلْكَفَّارِ أَذَاهُمْ

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [الجاثية: ١٥]

١٥ (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) عَمَلٌ (وَمَنْ أَسَاءَ) فَعَلَيْهَا (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) تَصْصِيرُونَ فَيَجْزِي الْمَصْلُحَ وَالْمُسِيءَ ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۗ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ طَائِفَاتِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي خَلَقْنَا ۗ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾

١٦ (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ) التَّوْرَةَ (وَالْحُكْمَ) بِهِ بَيْنَ النَّاسِ (وَالنُّبُوَّةَ) لِمُوسَىٰ وَهَارُونَ مِنْهُمْ (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) الْحَلَالَاتِ كَالْمَنِّ وَالسَّلْوَى (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ) عَالَمِي زَمَانِهِم الْعُقَلَاءَ

﴿ وَمَا آتَيْنَاهُمْ بِنِعْمَتِنَا مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الجاثية: ١٧]

وَتَضْرِيْفِ الرِّيحِ) تَقْلِيْبِهَا مَرَّةً جَنُوبًا وَمَرَّةً شَمَالًا وَبَارِدَةً وَحَارَةً (آيَاتٌ لَقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ) الدَّلِيلُ فَيُؤْمِنُونَ ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ قِيَاسًا حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٦]

٦ (تِلْكَ) الْآيَاتُ الْمَذْكُورَةُ (آيَاتُ اللَّهِ) حُجْجُهُ الدَّالَّةُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ (تَتْلُوهَا) نَقْصِهَا (عَلَيْكَ بِالْحَقِّ) مُتَعَلِّقٌ بِتَتْلُو (قِيَاسًا) حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ أَيْ حَدِيثُهُ وَهُوَ الْقُرْآنُ (وَآيَاتِهِ) حُجْجُهُ (يُؤْمِنُونَ) ؟ أَيْ كُفَّارِ مَكَّةِ أَيْ لَا يُؤْمِنُونَ وَفِي قِرَاءَةِ الْبَاءِ

﴿ وَيَلِكُلُ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الجاثية: ٧]

٧ (وَيَلِكُلُ) كَلِمَةُ عَذَابٍ (لِكُلِّ أَفَّاكٍ) كَذَابٍ (أَثِيمٍ) كَثِيرِ الْإِثْمِ ﴿ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرُهُ يَغْدَابُ الْإِيمَ ﴾ [الجاثية: ٨]

٨ (يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ) تُنَلَّىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ (يَصِرُ) مُسْتَكْبِرًا (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا) فَبَشْرُهُ (يَغْدَابُ الْإِيمَ) مُؤَلِّمٌ ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوعًا وَمَا أُولَٰئِكَ لَمَّا عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [الجاثية: ٩]

٩ (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا) أَيْ الْقُرْآنَ (شَيْئًا) اتَّخَذَهَا (هُزُوعًا) أَيْ مَهْزُوعًا بِهَا (أُولَٰئِكَ) أَيْ الْأَفَّاكُونَ (لَهُمْ) عَذَابٌ مُهِينٌ ذُو إِهَانَةٍ

﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۗ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

١٠ (مِنْ وَرَائِهِمْ) أَيْ أَمَامَهُمْ لِأَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا (جَهَنَّمُ) وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا مِنَ الْمَالِ وَالْفِعَالِ (شَيْئًا) وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيْ الْأَصْنَامِ (أَوْلِيَاءَ) وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

﴿ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ زَجْرٍ أَلِيمٌ ﴾ [الجاثية: ١١]

١١ (هَذَا) أَيْ الْقُرْآنَ (هُدًى) مِنَ الضَّلَالَةِ (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ) حَظٌّ (مِنْ زَجْرٍ) أَيْ عَذَابٍ (أَلِيمٍ) مُوجَعٌ ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِيَجْزِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ

وما مصدرية أي بئس حكما حكمهم هذا.

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢]

٢٢ (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَ) خلق (الأرض بِالْحَقِّ) متعلق بخلق ليدل على قدرته ووحدانته (ولِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) من المعاصي والطاعات فلا يساوي الكافر المؤمن (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عَشْنَوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]

٢٣ (أَفَرَأَيْتَ) أخبرني (مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) ما يهواه من حجر بعد حجر يراه أحسن (وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) منه تعالى أي عالما بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه (وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ) فلم يسمع الهدى ولم يعقله (وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عَشْنَوَةً) ظلمة فلم يبصر الهدى ويقدر هنا المفعول الثاني لرأيت أيتهدي (فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ) أي بعد إضلاله إياه أي لا يهتدي (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) تتعظون فيه إدغام إحدى التاءين في الذال (١)

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾

٢٤ (وَقَالُوا) أي منكرو البعث (مَا هِيَ) أي الحياة (إِلَّا حَيَاتُنَا) التي في (الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا) أي يموت بعض ويحيا بعض بأن يولدوا (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) مرور الزمان قال تعالى (وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ) المقول (مِنْ عِلْمٍ) إن) ما (هُم إِلَّا يَظُنُّونَ). (١)

* * *

٤٥- سورة الجاثية

(١) أسباب نزول الآية ٢٣: أخرج ابن المنذر وابن جرير عن سعيد بن جبير قال: كانت قريش تعبد الحجر حينما من الدهر فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الآخر فأنزل الله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ٢٤: وأخرج عن أبي هريرة قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار فأنزل الله: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾.

١٧ (وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ) أمر الدين من الحلال والحرام وبعثه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام (فَمَا اخْتَلَفُوا) في بعثته (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) أي لبغي حدث بينهم حسدا له (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]

١٨ (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ) يا محمد (عَلَىٰ شَرِيعَةٍ) طريقة (مِّنَ الْأَمْرِ) أمر الدين (فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) في عبادة غير الله

﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾

١٩ (لَئِنْهُمْ لَنْ يُغْنُوا) يدفعوا (عَنْكَ مِنَ اللَّهِ) من عذابه (شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) المؤمنين

﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

٢٠ (هَذَا) القرآن (بَصَائِرٌ لِّلنَّاسِ) معالم يتصورون بها في الأحكام والحدود (وهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) بالبعث

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مِّمَّنْهُمْ وَمَآ لَهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]

٢١ (أَمْ) بمعنى همزة الإنكار (حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا) اكتسبوا (السَّيِّئَاتِ) الكفر والمعاصي (أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) خبر (مِّمَّنْهُمْ وَمَآ لَهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)؟ مبتدأ ومعطوف والجملة بدل من الكاف والضميران للكفار والمعنى أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير أي كالمؤمنين في رغد من العيش مساو لعيشهم في الدنيا حيث قالوا للمؤمنين لئن بعثنا لنعطى من الخير مثل ما تعطون؟ قال تعالى على وفق إنكاره بالهمزة (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) أي ليس الأمر كذلك فهم في الآخرة في العذاب على خلاف عيشهم في الدنيا والمؤمنون في الآخرة في الثواب بعملهم الصالحات في الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك

﴿فَأَسْتَكْبِرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ﴾ [الجاثية: ٣١]

٣١ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيقال لهم ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾ القرآن ﴿تُنشَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَسْتَكْبِرْتُمْ﴾ تكبيرتم ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ كافرين

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنظَرُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمَسْتَبِيقِينَ﴾

٣٢ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ أَيُّهَا الْكٰفِرَآءُ إِنَّا وَعَدَدُّ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ وَالسَّاعَةُ﴾ بالرفع والنصب ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ (إِنْ) مَا نُنظَرُ ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ قال المبرد أصله إِنْ نَحْنُ إِلَّا نَظَنُّ ظَنًّا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْتَبِيقِينَ﴾ أنها آتية

﴿وَيَذَآءُ لَهُمْ سَعِيَاتٌ مَّا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ﴾

﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الجاثية: ٣٣]

٣٣ ﴿وَبَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَعِيَاتٌ مَّا عَمِلُوا﴾ في الدنيا أي جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي العذاب

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكَ كَمَا نَسَفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾ [الجاثية: ٣٤]

٣٤ ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ﴾ نتركم في النار ﴿كَمَا نَسَفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي تركتم العمل للقاءه ﴿وَمَاوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾ مانعين منها

﴿ذٰلِكَ بِأَنكُم مَّآخِذٌ مِّنْ عِبَادَتِهِ فَمَا يُدْرِكُ الْيَوْمَ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَفُونَ﴾

٣٥ ﴿ذٰلِكُمْ بِأَنكُم مَّآخِذٌ مِّنْ عِبَادَتِهِ﴾ القرآن ﴿فَمَا يُدْرِكُ الْيَوْمَ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَفُونَ﴾ حساب للمفعول ﴿مِنْهَا﴾ النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْعَفُونَ﴾ لا يطلب منهم أن يرضوا بهم بالتوبة والطاعة لأنها لا تنفع يومئذ

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعٰلَمِينَ﴾

٣٦ ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ الوصف بالجميل على وفاء وعده في المكذبين ﴿رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ﴾ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿خَلَقَ مَا ذَكَرَ وَالْعَالَمَ مَا سِوَى اللَّهِ﴾

﴿وَإِذَا نُنشِئُ عَالَمًا نَّيِّنْ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ﴾ [الجاثية: ٢٥]

٢٥ ﴿وَإِذَا نُشِئُ عَالَمًا نَّيِّنْ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعُوا بِآبَائِنَا﴾ أحياء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ﴾ أنا نبعث

﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَحْمِلُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلٰكِنْ أَكْثَرُ النَّٰسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٦]

٢٦ ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ حين كنتم نطفًا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَحْمِلُكُمْ﴾ أحياء ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ﴾ لا رَيْبَ فِيهِ ﴿وَلٰكِنْ أَكْثَرُ النَّٰسِ﴾ وهم القائلون ما ذكر ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئِدُ بِخَسْرِ الْمُبْتَطِلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٧]

٢٧ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يدل منه ﴿يَوْمِئِدُ بِخَسْرِ الْمُبْتَطِلُونَ﴾ الكافرون أي يظهر خسرتهم بأن يصيروا إلى النار

﴿وَرَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَانِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ﴾ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨]

٢٨ ﴿وَرَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ أي أهل الدين ﴿جَانِيَةً﴾ على الركب أو مجتمعة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ كتاب أعمالها ويقال لهم ﴿الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ﴾ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿أَي جِزَاءَهُ﴾

﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يُطِيقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]

٢٩ ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا﴾ ديوان الحفظه ﴿يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نثبت ونحفظ ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الجاثية: ٣٠]

٣٠ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته ﴿ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ البين الظاهر

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايٰتِي تُنشِئُ عَلَيْكُمْ﴾

دعواكم في عبادة الأصنام أنها تقربكم إلى الله (إن كنتم صادقين) في دعواكم

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَٰهَ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾

٥ (ومن) استفهام بمعنى النفي أي لا أحد (أضلُّ ممن يدعوا) يعبد (من دُونِ اللَّهِ) أي غيره (من لا يستجيب له) إلى يوم القيامة وهم الأصنام لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبدا (وهم عن دعائهم) عبادتهم (غافلون) لأنهم جماد لا يعقلون

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦]

٦ (وإذا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا) أي الأصنام (لَهُمْ) لعابديهم (أعداء) وكانوا بعبادتهم (كافرين) جاحدين

﴿وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَتَّبِعُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٧]

٧ (وإذا نُزِّلَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) أي أهل مكة (آياتنا) القرآن (بينات) ظاهرات حال (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) منهم (بِالْحَقِّ) أي القرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) بين ظاهر

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف: ٨]

٨ (أم) بمعنى بل وهمزة الإنكار (يقولون افتراه) أي القرآن؟ (قل إن افتريته) فرضا (فلا تملكون لي من الله) أي من عذابه (شيئا) أي لا تقدرين على دفعه عني إذا عذبنى الله (هو أعلم بما تفيضون فيه) (كفى به شهيدا بيني وبينكم) وهو الغفور الرحيم (لمن تاب (الرحيم) بكم فلم يعاجلكم بالعقوبة

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا آدَرِي مَا يُنْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩]

٩ (قل ما كنت بدعا) (من الرُّسُلِ) أي

وجمع لاختلاف أنواعه ورب بدل

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجنانية: ٣٧]

٣٧ (وله الكبرياء) العظمة (في السموات والأرض) حال أي كائنة فيهما (وهو العزيز الحكيم) تقدم.

٤٦ سورة الأحقاف

مكية إلا الآية ١٠ - ١٥ - ٢٥ ، فمكية وآياتها ٢٥ خمس وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم﴾ [الأحقاف: ١]

١ (حم) الله أعلم بمراده به

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾

٢ (تنزيل الكتاب) القرآن مبتدا (من الله) خبره (العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾

٣ (ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا) خلقنا (بالحق) ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا (وأجل مُسمى) إلى فئتهما يوم القيامة (والذين كفروا عما أذروا) خوفوا به من العذاب (مُعْرِضُونَ)

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَنتُونِي يُكْتَبُ مِن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنتَرَوْا مِن عِندِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

٤ (قل أرايتم) أخبروني (ما تدعون) تعبدون (من دُونِ اللَّهِ) أي الأصنام مفعول أول (أروني) أخبروني ما تأكيد (ماذا خلقوا) مفعول ثان (من الأرض) بيان ما (أم لهم شرك) مشاركة (في خلق السموات) مع الله؟ (أم بمعنى همزة الإنكار) (أنتوني يكتب من قبل هذا أو أنتروا من عند الله) (من قبل هذا) القرآن (أو أنتروا) بقية (من علم) يؤثر عن الأولين بصحة

حقهم (لَوْ كَانَ) الإيمان (خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا) أي الفائلون (به) أي بالقرآن (فَسَبَقُونَا) هذا القرآن (إفك) كذب (قديم) (١١).

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢]

١٢ (ومن قبله) أي القرآن (كتب موسى إمامًا ورحمةً) التوراة (إمامًا ورحمةً) للمؤمنين به حالان (وهذا) القرآن (كتابٌ مُصَدِّقٌ) للكذب قبله (لسانًا عربيًا) حال من الضمير في مصدق (لليُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) مشركي مكة (و) هو (بُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ) المؤمنين

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]

١٣ (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على الطاعة (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٤]

١٤ (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها) حال (جزاءً) منصوب على المصدر بفعله المقدر أي (يجزون بما كانوا يعملون)

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي لِي نَبَتْ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]

(١) بأسباب نزول الآية ١١ : وأخرج أيضاً عن قتادة قال: قال أناس من المشركين: نحن أعز ونحن ونحن فلو كان خيراً ما سبقنا إليه فلان وفلان فنزل: «وقال الذين كفروا».

* وأخرج ابن المنذر عن عون بن أبي شداد قال: كانت لعمر بن الخطاب أمة أسلمت قبله يقال لها: زين فكان عمر يضرها على إسلامها حتى يفرغ وكان كفار قريش يقولون: لو كان خيراً ما سبقتنا إليه زين فأنزل الله في شأنها: «وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه...» الآية. وأخرج ابن سعد نحوه عن الضحاک والحسن.

أول مرسل قد سبق قبلي كثيرون منهم فكيف تكذبوني ؟ (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) في الدنيا أأخرج من بلدي أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي ؟ أو ترموني بالحجارة أو يخسف بكم كالمكذبين قبلكم (إن) ما (أتبع إلا ما يوحي إلي) أي القرآن ولا أبتدع من عندي شيئاً (وما أنا إلا نذير مبين) بين الإنذار

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠]

١٠ (قل أرايتهم) أخبروني ماذا حالكم (إن كان) أي القرآن (من عند الله وكفرتُم به) جملة حالية (وشهد شاهد من بني إسرائيل) هو عبد الله بن سلام (على مثله) عليه أنه من عند الله (فأمن) الشاهد (واستكبرتم) تكبرتم عن الإيمان وجواب الشرط بما عطف عليه أستم ظالمين ؟ دل عليه (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (١).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَبَقُونَا هَذَا إَفْكَ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١]

١١ (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) أي في

٤٦- سورة الأحقاف

(١) أسباب نزول الآية ١٠ : أخرج الطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعي قال: انطلق النبي ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم فكروها دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً منكم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه.» * فسكتوا فما أجابه منهم أحد، ثم انصرف فإذا رجل من خلفه فقال: كما أنت يا محمد فأقبل فقال: «أي رجل تعلموني منكم يا معشر اليهود؟» قالوا: والله ما نعلم فينا رجلاً كان أعلم بكتاب الله ولا أفه منك ولا من أهلك قبلك ولا من جدك قبل أهلك قال: «فإني أشهد أنه النبي الذي تجدون في التوراة» قالوا: كذبت ثم ردوا عليه وقالوا فيه شراً، فأنزل الله: «قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتُم به» الآية.

* وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال: في عبد الله بن سلام نزلت: «وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله».

* وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن سلام قال: في نزلت.

بمعنى هلكت (أمن) بالبعث (إن) وغد اللّه حقّ
فَقُولُ مَا هَذَا) أي القول بالبعث (إلا أساطيرُ
الأولين) أكاذيبهم^(١).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَنِيِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ﴾
[الاحقاف: ١٨]

١٨ (أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ) وجب (عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ)
بالعذاب (فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَنِيِّ
وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ)

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤَمِّمَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ
لَا يَظْلُمُونَ﴾ [الاحقاف: ١٩]

١٩ (وَلِكُلِّ) من جنس المؤمن والكافر
(دَرَجَاتٍ) فدرجات المؤمنين في الجنة عالية
ودرجات الكافرين في النار سافلة (مِمَّا عَمِلُوا) أي
المؤمنون من الطاعات والكافرون في المعاصي
(وَلِيُؤَمِّمَهُمْ) أي الله وفي قراءة بالنون (أَعْمَالَهُمْ) أي
جزاءها (وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ) شيئا ينقص للمؤمنين
ويزيد للكفار

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ لَكُمْ طَبَقٌ لِيَوْمِكُمْ فِي
حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَنْتَعْتُمْ بِهَا قَالِيَوْمَ نَجْزِيَنَّ عَذَابَ الْهَوْنِ
بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ
تَفْسُقُونَ﴾ [الاحقاف: ٢٠]

(١) أسباب نزول الآية ١٧: وأخرج ابن أبي حاتم عن
الشدي قال: نزلت هذه الآية: «والذي قال لوالديه أف لكما»
في عبد الرحمن بن أبي بكر قال لأبويه: وكانا قد أسلما وأبي
هو أن يُسلم فكانا يأمرانه بالإسلام فبرد عليهما ويكذبهما
ويقول: فأين فلان وأين فلان، يعني مشايخ قريش من قد
مات، ثم أسلم بعد فحسب إسلامه، فنزلت توبته في هذه الآية:
«ولكل درجات مما عملوا» الآية.

*وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس مثله.
*لكن أخرج البخاري من طريق يوسف بن ماهان قال:
قال مروان في عبد الرحمن بن أبي بكر أن هذا الذي أنزل الله
فيه: «والذي قال لوالديه أف لكما» فقالت عائشة من وراء
الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل
عذري وأخرج عبد الرزاق من طريق مكّي أنه سمع عائشة
تنكر أن تكون الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر وقالت:
إنما نزلت في فلان سمّت رجلا.
*قال الحافظ ابن حجر: ونفي عائشة أصح إسناداً وأولى
بالقبول.

١٥ (وَوَضِعْنَا الْإِنْسَانَ بُولَدِيهِ إِحْسَانًا) وفي قراءة
حُشِنًا أي أمرناه أن يحسن إليهما فنصب إحسانا على
المصدر بفعله المقدر ومثله حسنا (حَمَلَتْهُ أُمُّ كُرْهًا
وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) أي على مشقة (وَحَفَلَهُ) وفضالته من
الرضاع (ثَلَاثُونَ شَهْرًا) ستة أشهر أقل مدة الحمل
والباقي أكثر مدة الرضاع وقيل إن حملت به ستة أو
تسعة أرضعته الباقي (حَتَّى) غاية لجملة مقدره أي
وعاش حتى (إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) هو كمال قوته وعقله
ورأيه أقله ثلاث ثلاثون سنة أو ثلاثون (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ
سَنَةً) أي تمامها وهو أكثر الأشد (قَالَ رَبُّ) الخ نزل
في أبي بكر الصديق لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين
من مبعث النبي ﷺ آمن به ثم آمن أبواه ثم ابنه عبد
الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق (أَوْزَعْنِي) ألهمني
(أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ) بها (عَلَيَّ) وعلى
والديّ) وهي التوحيد (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ)
فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله (وَأَصْلِحْ لِي
فِي دِينِي) فكلهم مؤمنون (إِنِّي تَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ
المُشْلِكِينَ)

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ مَا عَوَّارًا وَنَجَّارًا عَنْ
سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصُّدُوقِ الَّذِي كَانُوا
يُوعَدُونَ﴾ [الاحقاف: ١٦]

١٦ (أُولَئِكَ) أي قائلو هذا القول أبو بكر وغيره
(الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ) بمعنى حسن (مَا عَمِلُوا)
وَنَجَّارًا عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ) حال أي
كائنين في جملتهم (وَعَدَّ الصُّدُوقِ الَّذِي كَانُوا
يُوعَدُونَ) في قوله تعالى (وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات).

﴿وَالَّذِي قَالَ لِيَوْلَادِهِ أَفِ لَكُمَا أَبْعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ
خَلَتْ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلْتَكُمَا مِنْ
إِنِّي وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾

١٧ (وَالَّذِي قَالَ لِيَوْلَادِهِ) بالإفراء وفي قراءة
بالإدغام أريد به الجنس (أَفِ) بكسر الفاء وفتحها
بمعنى مصدر أي تننا وبقحا (لَكُمَا) أتضجر منكما
(أَبْعَدَانِي) وفي قراءة بالإدغام (أَنْ أُخْرَجَ) من القبر
(وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ) الأمم (مِنْ قَبْلِي) ولم تخرج
من القبور (وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ) يسألانه الغوث
برجوعه ويقولان إن لم ترجع (وَيَلْتَكُمَا) أي هلاكك

﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا
مَسْكَنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾

٢٥ ﴿تُدْمِرُ تَهْلِكُ (كُلُّ شَيْءٍ) مرت عليه (بِأَمْرِ رَبِّهَا) بإرادته أي كل شيء أراد إهلاكه بها فأهلك رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقه وبقي هود ومن آمن معه (فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ) كما جزيناهم (نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) غيرهم.

﴿وَلَقَدْ مَكَنَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنْتُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ
سَمًا وَأَبْصَرًا وَأَفِيدَةً فَمَا أَعْنَىٰ عَنْهُمْ سَعُهُمْ وَلَا
أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفِيدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

٢٦ ﴿وَلَقَدْ مَكَنَاهُمْ فِيمَا فِي الَّذِي (إِنْ) نافية أو زائدة (مَكَنَاهُمْ) يا أهل مكة (فيه) من القوة والمال (وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمًا) بمعنى أسماعا (وَأَبْصَرًا) وأفيدة، قلبوا (فَمَا أَعْنَىٰ عَنْهُمْ سَعُهُمْ) ولا أبصارهم ولا أفيدتهم من شيء أي شيئا من الإغناء ومن زائدة (إِذْ) معمولة لأغني وأشربت معنى التعليل (كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) حججه البينة (وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ) ما كانوا به يستهزئون أي العذاب

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا آلِيَتِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٧]

٢٧ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ) أي من أهلها كشمود وعاد وقوم لوط (وَصَرَفْنَا آلِيَتِ) كررنا الحجج البينات (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً
بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾

٢٨ ﴿فَلَوْلَا هَلَا (نَصْرُهُمْ) بدفع العذاب عنهم (الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره (قُرْبَانًا) متقربا بهم إلى الله (الْهَةَ) معه وهم الأصنام ومفعول اتخذ الأول ضمير محذوف يعود على الموصول أي هم وقربانا الثاني وآلهة بدل منه (بَلْ ضَلُّوا) غابوا (عَنْهُمْ) عند نزول العذاب (وَذَلِكَ) أي اتخاذهم الأصنام آلهة قربانا (إِفْكُهُمْ) كذبهم (وَمَا كَانُوا

٢٠ (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) بأن تكشف لهم يقال لهم (أَذْهَبْتُمْ) بهمزة وهمزتين وبهمزة ومدة وبها وتسهيل الثانية (طَبَّيْتَكُمْ) باشتغالكم بلذاتكم (فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا) واشتغلتهم تمتعتم (بِهَا) فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) أي الهوان (بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) تتكبرون (فِي الْأَرْضِ) بِغَيْرِ الْحَقِّ وبِمَا كُنْتُمْ تُفْسِقُونَ) به وتعذبون بها

﴿وَأَذْكُرُ آخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ
الْتُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢١]

٢١ ﴿وَأَذْكُرُ آخَا عَادٍ) هو هود عليه السلام (إِذْ) الخ بدل اشتغال (أَنْذَرَ قَوْمَهُ) خوفهم (بِالْأَحْقَافِ) واد باليمن به منازلهم (وَقَدْ خَلَّتِ التُّذُرُ) مضت الرسل (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) أي من قبل هود ومن بعده إلى أقوامهم (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) وجملة قد خلت معترضة (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) إن عبدتم غير الله (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكُنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأَيْنَا يَمَا تَعْدُنَا إِنْ
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٢]

٢٢ ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكُنَا عَنْ آلِهَتِنَا) لتصرفنا عن عبادتها (فَأَيْنَا يَمَا تَعْدُنَا) من العذاب على عبادتها (إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) في أنه يأتينا

﴿قَالَ إِنَّمَا إِلَهُمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِن لَّيُفَكِّرُ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ
وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَعْبَهُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٣]

٢٣ ﴿قَالَ) هود (إِنَّمَا إِلَهُمُ عِنْدَ اللَّهِ) هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب (وَأَبْلَغَكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ) إليكم (وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَعْبَهُونَ) باستعجالكم العذاب

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ
مُنْطَرِفٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

٢٤ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ) أي ما هو العذاب (عَارِضًا) سحابا عرض في أفق السماء (مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ) قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْطَرِفٌ) أي مطر أتانا قال تعالى (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ) من العذاب (رِيحٌ) بدل من ما (فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم

لَهُ لِمَنْ لَا يَجِيبُ (مِنْ دُونِهِ) أَي اللّٰهُ (أَوْلِيَاءُ) أَنْصَارٌ يَدْفَعُونَ عَنْهُ الْعَذَابَ (أَوْلِيَاكَ) الَّذِينَ لَمْ يَجِيبُوا (فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بَيْنَ ظَاهِرِ

﴿أَوْلَىٰ بَرَاءًا أَنَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُن لِّخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَن يُخَيِّئَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الاحقاف: ٣٣]

٣٣ (أَوْ لَمْ يَرَوْا) يَعْلَمُوا أَي مَنِكُرُوا الْبَعثَ (أَنَّ اللّٰهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُن لِّخَلْقِهِنَّ) لَمْ يَعْجِزْ عَنْهُ (بِقَادِرٍ) خَبِرَ أَن وَزِيدَتِ الْبَاءُ فِيهِ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي قُوَّةِ أَلَيْسَ اللّٰهُ بِقَادِرٍ؟ (عَلَىٰ أَن يُخَيِّئَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ) هُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ (إِنَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الاحقاف: ٣٤]

٣٤ (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) بَأَن يَعذبوا بها يُقَالُ لَهَا لَهَا (أَلَيْسَ هَذَا) التّعذيب (بِالْحَقِّ) قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ

﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَوْ يَلْتَوُونَ إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَّهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يُهْلِكَ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾

٣٥ (فَأَصْبِرْ) عَلَىٰ أَدَىٰ قَوْمِكَ (كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ) ذُوو النَّبَاتِ وَالصَّبْرُ عَلَى الشَّدَائِدِ (مِنَ الرُّسُلِ) قَبْلَكَ فَتَكُونُ ذَا عَزْمٍ وَمِنَ اللَّبِيَانِ فَكُلُّهُمُ ذُوو عَزْمٍ وَقِيلَ لِلتَّبَعِيضِ فَلَيْسَ مِنْهُمْ أَدَمُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) وَلَا يُؤْنَسُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ) (وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) لِقَوْمِكَ نَزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ قِيلَ: كَأَنَّهُ ضَجْرٌ مِنْهُمْ فَأَحْبَبَ نَزُولَ الْعَذَابِ بِهِمْ فَأَمَرَ بِالصَّبْرِ وَتَرَكَ اسْتَعْجَالَ الْعَذَابِ فَإِنَّهُ نَازِلٌ بِهِمْ لَا مُحَالَةٌ (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ) مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ لَطَوْلُهُ (لَمْ يَلْتَوُوا) فِي الدُّنْيَا فِي ظَنِّهِمْ (إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَّهَارٍ) هَذَا الْقُرْآنُ (بِتِلَاغٍ) تَبْلِيغٍ مِنَ اللّٰهِ إِلَيْكُمْ (فَهَلْ) أَي لَا (يُهْلِكُ) عِنْدَ رُؤْيَا الْعَذَابِ (إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ) أَي الْكَافِرُونَ.

يُفْتَرُونَ) يَكْذِبُونَ وَمَا مَصْدَرِيَّةٌ أَوْ مَوْصُولَةٌ وَالْعَائِدُ مَحذُوفٌ أَي فِيهِ.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الاحقاف: ٢٩]

٢٩ (وَ) إِذْكَرَ (إِذْ صَرَفْنَا) أَمَلْنَا (إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ) جَنِّ نَصِيبِيْنَ بِالْيَمَنِ أَوْ جَنِّ نِينُوِي وَكَانُوا سَبْعَةً أَوْ تِسْعَةً وَكَانَ ﷺ بِبَطْنِ نَخْلَةَ يَصْلِي بِأَصْحَابِهِ الْفَجْرِ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ (يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَي قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ (أَنصِتُوا) أَصْغَوْا لِاسْتِمَاعِهِ (فَلَمَّا قُضِيَ) فَرُغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ (وَلَوْا) رَجَعُوا (إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) مَخُوفِينَ قَوْمَهُمُ الْعَذَابِ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا وَكَانُوا يَهُودًا وَقَدْ أَسْلَمُوا (١).

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الاحقاف: ٣٠]

٣٠ (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا) هُوَ الْقُرْآنُ (أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) أَي تَقَدَّمَ كَالْتوراة (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) الْإِسْلَامِ (وإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ) أَي طَرِيقَهُ

﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزَّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الاحقاف: ٣١]

٣١ (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ) مُحَمَّدًا ﷺ (إِلَى الْإِيمَانِ) (وَآمِنُوا بِهِ) يَغْفِرْ لَكُمْ (لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ) أَي بَعْضُهَا لِأَنَّ مِنْهَا الْمُظَالِمَ لَا تَغْفِرُ إِلَّا بِرِضَا أَرْبَابِهَا (وَيُجِزَّكُمْ مِّن عَذَابِ أَلِيمٍ) مَوْلَمٌ

﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنَ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

٣٢ (وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ) أَي لَا يَعْجِزُ اللّٰهُ بِالْهَرَبِ مِنْهُ فَيُفَوِّتُهُ (وَلَيْسَ

(١) أسباب نزول الآية ٢٩: وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال: إن الجن قبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا: أنصتوا وكانوا تسعة أحدهم زوبعة فأنزل الله: ﴿وإذا صرفنا إليك نفرًا من الجن﴾ إلى قوله: ﴿ضلال مبين﴾.

٤٧ سورة حمد أو القتال

مجنية إلا الآية ١٣ فمكية وآياتها تسع

وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾
 ١ (الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (وَصَدُوا) غيرهم (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أي الإيمان (أَضَلَّ) أحبط (أَعْمَالَهُمْ) كإطعام الطعام وصلة الأرحام فلا يرون لها في الآخرة ثوابا ويجزون بها في الدنيا من فضله تعالى (١).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢]

٢ (وَالَّذِينَ آمَنُوا) أي الأنصار وغيرهم (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ أي القرآن (وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ) غفر لهم (سَيِّئَاتِهِمْ) وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ أي حالهم فلا يعصونه

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾
 ٣ (ذَلِكَ) أي إضلال الأعمال وتكفير السيئات (بِأَنَّ) بسبب أن (الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ) الشيطان (وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ) القرآن (مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ) أي مثل ذلك البيان (يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) يبين أحوالهم أي فالكافر يحبط عمله والمؤمن يغفر زلله

﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَخْنَسْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الرِّقَابَ فَمَا بَعْدَ وَمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الرِّقَابَ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ

يَتَّقِي وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

٤ (فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ) مصدر بدل من اللفظ بفعله أي فاضربوا رقابهم أي اقتلوهم وعبر بضرب الرقاب لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة (حَتَّى إِذَا أَخْنَسْتُمُوهُمْ) أكثرتم فيهم القتل (فَشُدُّوا) فأمسكوا عنهم وأسروهم وشدوا (الرِّقَابَ) ما يوثق به الأسرى (فَمَا بَعْدَ) مصدر بدل من اللفظ بفعله أي تمنون عليهم بإطلاقهم من غير شيء (وَمَا فِدَاءٌ) فتفادونهم بمال أو أسرى مسلمين (حَتَّى تَضَعَ الرِّقَابَ) أي أهلها (أَوْزَارَهَا) أثقالها من السلاح وغيره بأن يسلم الكفار أو يدخلوا في العهد وهذه غاية للقتل والأسر (ذَلِكَ) خبر مبتدأ مقدر أي الأمر فيهم ما ذكر (وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ) بغير قتال (ولكن) أمركم به (لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ يَتَّقِي) منهم في القتال فيصير من قتل منكم إلى الجنة ومنهم إلى النار (وَالَّذِينَ قُتِلُوا) وفي قراءة قاتلوا الآية نزلت يوم أحد وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات (فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ) يحبط (أَعْمَالَهُمْ) (١).

﴿سَيِّئَاتِهِمْ وَيُضِلُّهُمُ بِالْمَمِّ﴾ [محمد: ٥]

٥ (سَيِّئَاتِهِمْ) في الدنيا والآخرة إلى ما ينفعهم (وَيُضِلُّهُمُ بِالْمَمِّ) حالهم فيهما وما في الدنيا لمن لم يقتل وادرجوا في «قتلوا» تغليبا

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هَمُّ﴾ [محمد: ٦]

٦ (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا) بينها (هَمُّ) لهُم فيهدتدون إلى مساكنهم منها وأزواجهم وخدمهم من غير استدلال.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُنِيَّتْ

أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]

(١) أسباب نزول الآية ٤: وأخرج عن قتادة في قوله: «والذين قتلوا في سبيل الله» قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد ورسول الله ﷺ في الشعب وقد نشبت فيهم الجراحات والقتل وقد نادى المشركون يومئذ: اغل هبل، ونادى المسلمون: الله أعلى وأجل، فقال المشركون: إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم، إن القتلى مختلفه، أما قتلانا فأحياء برزقون، وأما قتلاكم في النار يعذبون.

٤٧ - سورة محمد

(١) أسباب نزول الآية ١: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: «الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم» قال: هم أهل مكة نزلت فيهم «والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم» قال: هم الأنصار.

﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ﴾ قوة أهل مكة (التي أخرجتكَ) روعي لفظ قرية (أهلكتناهم) روعي معنى قرية الأولى (فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) من إهلاكنا^(١).

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَتَيْنِ مِنَ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤]

١٤ ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَتَيْنِ﴾ حجة وبرهان (مَنْ رَبُّهُ) وهم المؤمنون (كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) فراه حسنا وهم كفار مكة (وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) في عبادة الأوثان؟ أي لا مماثلة بينهما

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَرٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]

١٥ (مَثَلُ) صفة (الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ) المشتركة بين داخلها مبتدأ خبره (فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) بالمد والقصر كضارب وحذر أي غير متغير بخلاف ماء الدنيا فيتغير لعارض (وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ) بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع (وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ) بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب (وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) بخلاف عسل الدنيا فإنه بخروجه من بطون النحل يخالط الشمع وغيره (وَلَهُمْ فِيهَا) أصناف (مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) فهو راض عنهم مع إحسانه إليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد في الدنيا فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطا عليهم (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ) خير مبتدأ مقدر أي أمن هو في هذا النعيم (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا) أي شديد الحرارة (فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) أي مصارينهم وهو جمع معى بالقصر وألفه عن ياء لقولهم معين.

* * *

(١) أسباب نزول الآية ١٣: وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس قال: لما أخرج رسول الله ﷺ تلقاء الغار نظر إلى مكة فقال: أنت أحب بلاد الله إليّ ولولا أن أهلك أخرجوني منك لم أخرج منك فأنزل الله: ووكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك الآية.

٧ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾ دينه ورسوله (يَنْصُرْكُمْ) على عدوكم (وَيُبَيِّتْ أَقْدَامَكُمْ) يبتكم في المعترك

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَسَا لَهُمْ وَالصَّلَ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ٨]

٨ (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة مبتدأ خبره تعسوا يدل عليه (فَتَقَسَا لَهُمْ) أي هلاكا وخيبة من الله (وَأَصْلُ أَعْمَالُهُمْ) عطف على تعسوا

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩]

٩ (ذَلِكَ) أي التعس والإضلال (بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) من القرآن المشتمل على التكليف (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [محمد: ١٠]

١٠ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) أهلك أنفسهم وأولادهم وأمواهم (وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا) أي أمثال عاقبة ما قبلهم

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]

١١ (ذَلِكَ) نصر المؤمنين وقهر الكافرين (بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى) ولي وناصر (الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ)

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَغَمَلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢]

١٢ (إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَغَمَلُوا) الصَّالِحَاتِ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ) في الدنيا (وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ) أي ليس لهم هم إلا بطونهم وفروجهم ولا يلتفتون إلى الآخرة (وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) منزل ومقام ومصير

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ مِنْهَا فَأَمْكَنَّاكُمْ﴾ [محمد: ١٣]

١٣ (وَكَأَيِّن) وكم (مِّن قَرْيَةٍ) أريد بها أهلها

لا يخفى عليه شيء منها فاحذروه والخطاب للمؤمنين وغيرهم

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٠]

٢٠. (ويَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا) طلبا للجهاد (لَوْلَا) هلا (نُزِّلَتْ سُورَةٌ) فيها ذكر الجهاد (فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ) أي لم ينسخ منها شيء (وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ) أي طلبه (رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) شك وهم المنافقون (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ) المغشى من الموت) خوفا منه وكرهه له أي فهم يخافون من القتال ويكرهونه (فَأُولَئِكَ لَهُمْ) مبتدأ خيره

﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ حَيْزًا لَهُمْ ﴾ [محمد: ٢١]

٢١. (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) أي حسن لك (فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) أي فرض القتال (فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ) في الإيمان والطاعة (لَكَانَ حَيْزًا لَهُمْ) وجملة لو جواب إذا.

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢]

٢٢. (فَهَلْ عَسَيْتُمْ) بكسر السين وفتحها وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب أي لعلكم (إِنْ تَوَلَّيْتُمْ) أعرضتم عن الإيمان (أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ) أي تعودوا إلى أمر الجاهلية من البغي والقتال

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٣]

٢٣. (أُولَئِكَ) أي المفسدون (الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ) عن استماع الحق (وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ) عن طريق الهداية

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]

٢٤. (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ) فيعرفون الحق (أَمْ) بل (عَلَى قُلُوبِ) لهم (أَقْفَالِهَآ) فلا يفهمونه ؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴾

﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِن عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٦]

١٦. (ومِنْهُمْ) أي الكفار (مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) في خطبة الجمعة وهم المنافقون (حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِن عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) لعلماء الصحابة منهم ابن مسعود وابن عباس استهزاء وسخرية (مَاذَا قَالَ آنِفًا) بالمد والقصر أي الساعة أي لا نرجع إليه (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) بالكفر (وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) في النفاق (١).

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾

١٧. (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا) وهم المؤمنون (زَادَهُمْ) الله (هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) ألمهم ما يتقون به النار

﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴾ [محمد: ١٨]

١٨. (فَهَلْ يَنْظُرُونَ) ما ينتظرون أي كفار مكة (إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ) بدل اشتغال من الساعة أي ليس الأمر إلا أن تأتيتهم (بَغْتَةً) فجأة (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) علاماتها منها بعثة النبي ﷺ وانشقاق القمر والدخان (فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ) الساعة (ذِكْرُهُمْ) تذكروهم أي لا ينفعهم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ

١٩. (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أي دم يا محمد على علمك بذلك النافع في القيامة (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) لِذَنْبِكَ) لأجله قبل له ذلك مع عصمته لتستن به أمته وقد فعله قال ﷺ (إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ) (وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ) متصرفكم لأشغالكم في النهار (وَمَثْوَاكُمْ) مأواكم إلى مضاجعكم بالليل أي هو عالم بجميع أحوالكم

(١) أسباب نزول الآية ١٦: وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النبي ﷺ فيسمع المؤمنون منهم ما يقول ويعونه ويسمعه المنافقون فلا يعونه فإذا خرجوا سألوا المؤمنون: ماذا قال آنفًا؟ فنزلت: «ومِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِن عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا»

﴿وَلَتَبْلُوكُنَّمْ حَتَّى تَمَّارَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّادِرِينَ وَبَلَّوْا
أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]

٣١ (وَلَتَبْلُوكُنَّكُمْ) نخبركم بالجهاد وغيره (حَتَّى تَمَّارَ) علم ظهور (الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّادِرِينَ) في الجهاد وغيره (وَبَلَّوْا) نظهر (أَخْبَارَكُمْ) من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره بالبياء والنون في الأفعال الثلاثة

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يُصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا
وَسَيُخِطُّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٣٢]

٣٢ (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ) طريق الحق (وَشَاقُوا الرَّسُولَ) خالفوه (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ) هو معنى سبيل الله (لَن يُصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا) لا يبطلها من صدقة ونحوها فلا يرون لها في الآخرة ثوابا نزلت في المطمعين من أصحاب بدر أو في قريظة والنضير

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]

٣٣ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) ولا تبطلوا أعمالكم (بالمعاصي مثلا) (١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [محمد: ٣٤]

٣٤ (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ) طريقه وهو الهدى (ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ) نزلت في أصحاب القلب

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَِّ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ
وَلَن يَزِيْرَكُمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]

٣٥ (فَلَا تَهِنُوا) تضعفوا (وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَِّ) بفتح السين وكسرها أي الصلح مع الكفار إذ لقيتموهم (وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ) حذف منه واو لام الفعل

(١) أسباب نزول الآية ٣٣: أخرج ابن أبي حاتم ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن أبي العالية قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب كما لا ينع مع الشرك عمل فنزلت: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم»، فخافوا أن يبطل الذنب العمل.

٢٥ (إِنَّ الَّذِينَ اٰزْتَدُوا) بالنفاق (عَلَىٰ اٰذْبَارِهِمْ) من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سؤل أي زين لهم وأملى لهم) بضم أوله ويفتحه واللام والملي الشيطان بإرادته تعالى فهو المضل لهم

﴿ذٰلِكَ يَأْتِيَهُمْ قَالُوًا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَطِيْعًا فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾

٢٦ (ذٰلِكَ) أي إضلالهم (بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ) أي للمشركين (سَطِيْعًا) في بغض الأمر أي المعاونة على عداوة النبي ﷺ وتبسيط الناس عن الجهاد معه قالوا ذلك سرا فأظهره الله تعالى (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ) بفتح الهمزة جمع سر وبكسرهما مصدر

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَضْرِبَتْ وُجُوْهُهُمْ
وَأَذْبَرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧]

٢٧ (فَكَيْفَ) حالهم (إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَضْرِبَتْ وُجُوْهُهُمْ) حال من الملائكة (وَأَذْبَرَهُمْ) ظهورهم بمقامع من حديد ؟

﴿ذٰلِكَ يَأْتِيَهُمْ اٰتَّبَعُوا مَا اَسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا
رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ اَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]

٢٨ (ذٰلِكَ) أي التوفي على الحالة المذكورة (بِأَنَّهُمْ اٰتَّبَعُوا مَا اَسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ) أي العمل بما يرضيه (فَأَحْبَطَ اَعْمَالَهُمْ)

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ
أَصْفَتَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩]

٢٩ (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) أي يخرج الله أصفائهم (يظهر أفعالهم على النبي ﷺ والمؤمنين ؟

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ
فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠]

٣٠ (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ) عرفناكم وكررت اللام في (فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ) علامتهم (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ) الواو لقسم محذوف وما بعدها جوابه (فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) أي معناه إذا تكلموا عندك بأن يعرضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين (وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ)

٢ ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ بجهدك (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) منه لترغب أمتك في الجهاد وهو مؤول لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالدليل العقلي القاطع من الذنوب واللام للعللة الغائية فمدخولها مسبب لا سبب (وَيُتِمُّ) بالفتح المذكور (بِعَمَّتَهُ) إنعامه (عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ) به (صِرَاطًا) طريقاً (مُسْتَقِيمًا) يثبتك عليه وهو دين الإسلام^(١).

﴿وَيُصْرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا﴾ [الفتح: ٣]

٣ ﴿وَيُنْصِرُكَ اللَّهُ﴾ به (نَصْرًا عَزِيمًا) ذا عز لا ذل له ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤]

٤ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة (في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) بشرائع الدين كلما نزل واحدة منها آمنوا بها ومنها الجهاد (ولله جنود السموات والأرض) فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل (وكان الله عليماً) بخلقه (حكيماً) في صنعه أي لم يزل متصفاً بذلك

﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥]

٥ ﴿لِيُدْخِلَ﴾ متعلق بمحذوف أي أمر الجهاد (المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله قولاً عظيماً)

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَّفِقِينَ وَالْمُتَّفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾

٤٨ - سورة الفتح

(١) أسباب نزول الآية ٢: أخرج الحاكم وغيره عن المسور ابن مخزوم ومروان بن الحكم قالا: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها.

* وأخرج الشيخان والترمذي والحاكم عن أنس قال: أنزلت على النبي ﷺ ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ ما تقدم من ذنبك وما تأخر، مرجعه من الحديبية فقال النبي ﷺ ﴿لقد نزلت علي آية أحب إلي مما على الأرض﴾ ثم قرأها عليهم فقالوا: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله قد يرئ الله لك ماذا يفعل بك فماذا يفعل بنا؟ فنزلت: ﴿ليدخل المؤمن والمؤمنات﴾ حتى بلغ: ﴿فوزاً عظيماً﴾.

الأغلبون القاهرون (والله معكم) بالعون والنصر (ولن يزيك) ينقصكم (أعمالكم) أي ثوابها

﴿إِنَّمَا لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَهْوٌ وَلَهُوَ إِنْ تَوَمَّنَا وَتَنَفَّوْا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنُكُمْ﴾ [محمد: ٣٦]

٣٦ ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي الاشتغال فيها (لهو) ولهو وإن تومنا وتنفوا) الله وذلك من أمور الآخرة (يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم) جميعها بل الزكاة المفروضة فيها

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْرَجَ أَصْغَنَكُمْ﴾

٣٧ ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ يبالغ في طلبها (تبخلوا ويخرج) البخل (أصغانتكم) لدين الإسلام

﴿هَآئِنَةٌ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾

٣٨ ﴿هَا أَنْتُمْ﴾ يا هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله) ما فرض عليكم (فمنكم من يبخل) من يبخل فإنما يبخل عن نفسه) يقال بخل عليه وعنه (والله الغني) عن نفقتكم (وأنتم الفقراء) إليه (وإن تتولوا) عن طاعته (يستبدل قوماً غيركم) أي يجعلهم بدلکم (ثم لا يكونوا أمثالكم) في التولي عن طاعته بل مطيعين له عز وجل.

٤٨ سورة الفتح

مَدِينَةٍ وَأَيَاتُهَا تِسْعٌ وَعَشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]

١ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قضينا بفتح مكة وغيرها في المستقبل عنوة بجهدك (فتحاً مبيناً) بينا ظاهراً ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَسِّرَ لَكُمْ عَمَلَكُمْ﴾ [الفتح: ٢]

أَلطَّائِبِينَ بِاللَّهِ ظَنَّنَا السُّوءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾

٦ (وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ) بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة ظنوا أنه لا ينصر محمدا ﷺ والمؤمنين (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ) بالذلل والعذاب (وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ) أبعدهم (وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) أي مرجعا

﴿وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرًا حَكِيمًا﴾
٧ (وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرًا) في ملكه (حَكِيمًا) في صنعه أي لم يزل متصفا بذلك

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾

٨ (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا) على أمتك في القيامة (وَمُبَشِّرًا) لهم في الدنيا بالجنة (وَنَذِيرًا) منذرا مخوفا فيها من عمل سوءا بالنار

﴿لَتَتَوَسَّلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩]

٩ (لَتَتَوَسَّلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) بالياء والتاء فيه وفي الثلاثة بعده (وَتُعَزِّرُوهُ) تنصروه وقرىء بزايين مع الفوقانية (وَتُوَقِّرُوهُ) تعظموه وضميرهما لله أو لرسوله (وَتُسَبِّحُوهُ) أي الله (بُكْرَةً وَأَصِيلًا) بالغداة والعشي

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسْئُولِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]

١٠ (لأن الذين يُبَايِعُونَكَ) ببيعة الرضوان بالحديبية (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) هو نحو (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) التي بايعوا بها النبي أي هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها (فَمَنْ نَكَثَ) نقض البيعة (فَإِنَّمَا يَنْكُثُ) يرجع وبال نقصه (عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسْئُولِيهِ) بالياء والنون (أَجْرًا عَظِيمًا)

﴿قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

١١ (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ) حول المدينة أي الذين خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة خوفا من تعرض قريش لك عام الحديبية إذا رجعت منها (سَعَلْتُنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا) عن الخروج معك (فَاسْتَغْفِرُوا لَنَا) الله من ترك الخروج معك قال تعالى مكذبا لهم (يَقُولُونَ يَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) أي من طلب الاستغفار وما قبله (مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) فهم كاذبون في اعتذارهم (قُلْ فَمَنْ) استفهام بمعنى النفي أي لا أحد (يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا) بفتح الضاد وضمها (أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا) بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) أي لم يزل متصفا بذلك

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا أَلْسُوهُ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢]

١٢ (بَلْ) في الموضوعين للانتقال من غرض إلى آخر (ظَنَّتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ) أي أنهم يستأصلون بالقتل فلا يرجعون (وظَنَّتُمْ ظَنًّا السُّوءِ) هذا وغيره (وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) جمع بائر أي هالكين عند الله بهذا الظن

﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾

١٣ (وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا) نارا شديدة

﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

١٤ (وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) أي لم يزل متصفا بما ذكر

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرِكُمْ لِتَأْخُذُوا مَالَنَا وَنَحْنُ بِرِيدِكُمْ بَرِيدُكُمْ أَن يَسْأَلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَسْتَعْتِفَ لَنَا بِقَوْلِنَا بِاللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَعَلْتَنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِاللَّهِ مَا لَيْسَ فِي

وَأَنْ لَا يَفِرُوا، وَعَلَى الْمَوْتِ (تَعْلِمَ) اللَّهُ (مَا فِي قُلُوبِهِمْ) مِنَ الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ (فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) هُوَ فَتْحُ خَيْبَرَ بَعْدَ انصِرَافِهِمْ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ (١).

﴿وَمَعَانِهِ كَثِيرَةٌ يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾
١٩ ﴿وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ مِنَ خَيْبَرَ (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) أَي لَمْ يَزَلْ مُتَصِفًا بِذَلِكَ

﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢٠]

٢٠ ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ مِنَ الْفَتْوحَاتِ (فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ) غَنِيمَةَ خَيْبَرَ (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ) فِي عِيَالِكُمْ لَمَّا خَرَجْتُمْ وَهَمَّتْ بِهِمُ الْيَهُودُ فَغَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ (وَلِتَكُونَ) أَي الْمَعْجَلَةَ عَطَفَ عَلَى مُقَدِّرِ أَي لِتَشْكُرُوهُ- آيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) فِي نَصْرِهِمْ (وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) أَي طَرِيقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَتَفْوِضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ تَعَالَى

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: ٢١]

٢١ ﴿وَأُخْرَى﴾ صِفَةُ مَغَانِمٍ مُقَدَّرًا مَبْتَدَأً (لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) هِيَ مِنْ فَارِسٍ وَالرُّومِ (قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا) عَلِمَ أَنَّهَا سَتَكُونُ لَكُمْ (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) أَي لَمْ يَزَلْ مُتَصِفًا بِذَلِكَ

﴿وَلَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٢]

٢٢ ﴿وَلَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِالْحُدَيْبِيَّةِ (لَوَلَّوْا الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا) يَحْرَسُهُمْ (وَلَا نَصِيرًا)

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ مِنَ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣]

فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْشُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
١٥ ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الْمَذْكُورُونَ (إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَعَانِمَ) هِيَ مَغَانِمُ خَيْبَرَ (لِتَأْخُذُوهَا ذُرُوبًا) اتْرُكُونَا (تَتَّبِعْكُمْ) لِتَأْخُذَ مِنْهَا (يُرِيدُونَ) بِذَلِكَ (أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) وَفِي قِرَاءَةِ «كَلِمَ اللَّهُ» بِكسْرِ اللام أَي مَوَاعِيدِهِ بِغَنَائِمِ خَيْبَرَ أَهْلُ الْحُدَيْبِيَّةِ خَاصَّةً (قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ) أَي قَبْلَ عَوْدِنَا (فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْشُدُونَنَا) أَنْ نَنْصِيبَ مَعَكُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ فَقُلْتُمْ ذَلِكَ ؟ (بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ) مِنَ الدِّينِ (إِلَّا قَلِيلًا) مِنْهُ.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ آوَلَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُغْتَابِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦]

١٦ ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ الْمَذْكُورِينَ اخْتِيَارًا (سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ آوَلَى) أَصْحَابِ (بَأْسٍ شَدِيدٍ) قَبْلَ هُمْ بَنُو حَنِيفَةَ أَصْحَابِ الْيَمَامَةِ وَقَبِيلُ فَارِسٍ وَالرُّومِ (تُغْتَابِلُونَهُمْ) حَالُ مُقَدَّرَةٍ هِيَ الْمَدْعُوعُ إِلَيْهَا فِي الْمَعْنَى (أَوْ) هُمْ (يُسَلِّمُونَ) فَلَا تَقَاتِلُونَهُمْ (فَإِنْ تُطِيعُوا) إِلَيَّ قِتَالَهُمْ (يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا) وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مَوْلَمَا

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَؤْذِبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

١٧ ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ فِي تَرْكِ الْجِهَادِ (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ) بِالْبَيَاءِ وَالنُّونِ (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ بِالْبَيَاءِ وَالنُّونِ (عَذَابًا أَلِيمًا)

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]

١٨ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بِالْحُدَيْبِيَّةِ (تَحْتَ الشَّجَرَةِ) هِيَ سَمْرَةٌ وَهِيَ أَلْفٌ وَثَلَاثُمِائَةٌ وَأَكْثَرُ ثُمَّ بَايَعَهُمْ عَلَى أَنْ يَنْاجِرُوا قَرِيشًا،

(١) أسباب نزول الآية ١٨: وأخرج ابن أبي حاتم عن سلمة ابن الأكوع قال: بينما نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله ﷺ «يا أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس» فسرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه، فأنزل الله: «لقد رضي الله عن المؤمنين» الآية.

للصنفين بتغليب الذكور وجواب لولا محذوف أي لأذن لكم في الفتح لكن لم يؤذن فيه حينئذ (لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ) كالمؤمنين المذكورين (لَوْ تَزَيَّلُوا) تميزوا عن الكفار (لَعَدَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) من أهل مكة حينئذ بأن نأذن لكم في فتحها (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلماً (١).

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حِمِيَّةً لِّأَهْلِئِهِ فَانزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّاهِمَةَ كَلِمَةً الثَّقَوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦]

٢٦ (إذ جعل) متعلق بعذبنا (الذين كفروا) فاعل (في قلوبهم الحمية) الأنفة من الشيء (حمية الجاهلية) بدل من الحمية وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) فصالحوهم على أن يعودوا من قابل ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار حتى يقاتلوهم (والزاهمة) أي المؤمنين (كلمة الثقوى) لا إله إلا الله محمد رسول الله وأضيفت إلى الثقوى لأنها سببها (وكانوا أحق بها) بالكلمة من الكفار (وأهلها) عطف تفسيري (وكان الله بكل شيء عليماً) أي لم يزل متصفاً بذلك ومن معلوماته تعالى أنهم أهلها

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِينَ مَن مَّحْفِقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧]

٢٧ (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه ويحلقون ويقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت وقوله «بالحق» متعلق بصدق أو حال من الرؤيا وما بعدها تفسير لها

(١) أسباب نزول الآية ٢٥: وأخرج الطبراني وأبو يعلى عن أبي جمعة جنيد بن سبغ قال: قتلت النبي ﷺ أول النهار كافراً وقاتلت معه آخر النهار مسلماً وكنا ثلاثة رجال وسبغ نسوة وفينا نزلت: «ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات».

٢٣ (شئة الله) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين أي سن الله في ذلك سنة (التي قد خلقت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً) منه

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤]

٢٤ (وهو الذي كفف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة) بالحديبية (من بعد أن أظفركم عليهم) فإن ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم فأخذوا وأتى بهم إلى رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلق سبيلهم فكان ذلك سبب الصلح (وكان الله بما تعملون بصيراً) بالتاء والياء أي لم يزل متصفاً بذلك (١).

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَدْيَةِ مَعَكُوفًا أَنْ يُبَلِّغَهُمْ مَّجَلَّةٌ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّارْتَدَّتْ أَعْيُنُهُمْ عَنْ تَقَاتُلِهِمْ فَتَضَيَّبُوا مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

٢٥ (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والمدية) أي عن الوصول إليه (والمدية) معطوف على كم (معكوفاً) محبوساً حال (أن يبلغهم مجلة) أي مكانه الذي ينحرف فيه عادة وهو الحرم بدل اشتغال (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) موجودون بمكة مع الكفار (لم تغلظوهم) بصفة إيمان (أن تغلظوهم) أي تقتلوهم مع الكفار لو أذن لكم في الفتح بدل اشتغال من هم (فتضيبكم منهم معرة) أي إثم (بغير علم) منكم به وضمان الغيبة

(١) أسباب نزول الآية ٢٤: وأخرج مسلم والترمذي والنسائي عن أنس قال: لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلاً في السلاح من جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله ﷺ فأخذوا فأعتقهم فأنزل الله: «وهو الذي كفف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم» الآية.

* وأخرج مسلم نحوه من حديث سلمة بن الأكوع.
* وأحمد والنسائي نحوه من حديث عبد الله بن مغفل المزني.
* وابن إسحاق نحوه من حديث ابن عباس.

(فِي التَّوْرَةِ) خبره (وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ) مبتدأ خبره (كَرَزَعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ) بسكون الطاء وفتحها فرائحه (فَأَزْرَهُ) بالمد والقصر قواه وأعانه (فَأَسْتَغْلَطَ) غلظ (فَأَسْتَوَى) قوي واستقام (عَلَى سُوقِهِ) أصوله جمع ساق (يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ) أي زراعته لحسنه مثل الصحابة رضي الله عنهم بذلك لأنهم بدأوا في قلة وضعف فكثروا وقوا على أحسن الوجوه (لِيُنْفِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله أي شبهوا بذلك (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ) الصحابة ومن لبیان الجنس لا للتبعض لأنهم كلهم بالصفة المذكورة (مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) الجنة وهما لمن بعدهم أيضا في آيات.

* * *

٤٩ سورة الحجرات

محدية وآياتها ١٨ ثمان عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَأَقْرَبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]

١ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا) من قدم بمعنى تقدم أي لا تتقدموا بقول ولا فعل (بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) المبلغ عنه أي بغير إذنهما (وَأَقْرَبُوا اللَّهَ) إن الله سميعٌ لقولكم (غليظٌ) بقلكم نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند النبي ﷺ في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ (١).

٤٩- سورة الحجرات

(١) أسباب نزول الآية ١: أخرج البخاري وغيره من طريق ابن جريج عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبره أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي وقال عمر: ما أردت خلافتك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله» إلى قوله: «ولو أنهم صبروا».

* وأخرج ابن المنذر عن الحسن أن أناسا ذبحوا قبل رسول الله ﷺ يوم النحر فأمرهم أن يعيدوا ذبحا فأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله».

* وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الأضاحي بلفظ ذبح

﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِلتَّبَرُّكِ (أَمِينِينَ) مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ) أي جميع شعورها (وَمُقَصِّرِينَ) بعض شعورها وهما حالان مقدرتان (لا تَخَافُونَ) أبدا (فَعَلِمَ) في الصلح (مَا لَمْ تَعْلَمُوا) من الصلح (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ) أي الدخول (فَتْحًا قَرِيبًا) هو بفتح خبير وتحققت الرؤيا في العام القابل (١).

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

٢٨ (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ) أي دين الحق (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) على جميع باقي الأديان (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا) أنك مرسل بما ذكر كما قال الله تعالى

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكُوعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهم فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَطَ فَاسْتَوَىٰ عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]

٢٩ (مُحَمَّدٌ) مبتدأ (رَسُولُ اللَّهِ) خبره (وَالَّذِينَ مَعَهُ) أي أصحابه من المؤمنين مبتدأ خبره (أَشِدَّاءُ) غلاظ (عَلَى الْكُفَّارِ) لا يرحمونهم (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) خبر ثان أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد (تَرَاهُمْ) تبصرهم (رُكُوعًا سُجَّدًا) حالان (يَبْتَغُونَ) مستأنف يطلبون (فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ) علاماتهم مبتدأ (فِي وُجُوهِهِمْ) خبره وهو نور

وبياض يعرفون به بالأخرة أنهم سجدوا في الدنيا (مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) متعلق بما تعلق به الخبر أي كائنة وأعرب حالا من ضميره المنتقل إلى الخبر (ذَلِكَ) أي الوصف المذكور (مَثَلُهُمْ) صفتهم مبتدأ

(١) أسباب نزول الآية ٢٧: وأخرج الفريابي وعبد بن حميد والبيهقي في الدلائل عن مجاهد قال: أرى النبي ﷺ وهو بالحدبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقيين رعوسهم ومقصرين فلما نحر الهدى بالحدبية قال أصحابه: أين رؤياك يا رسول الله؟ قال: فنزلت: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا... الآية».

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢]

٤ (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ) حجرات نسائه ﷺ جمع حجرة وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه كان كل واحد منهم نادى خلف حجرة لأنهم لم يعلموه في أي حجرة مناداة الأعراب بغلظة وجفاء (أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) فيما فعلوه محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم. (١)

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٥]

٥ (وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا) أنهم في محل رفع بالابتداء وقيل فاعل لفعل مقدر أي ثبت (حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) لمن تاب منهم ونزل في الوليد بن عتبة وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق مصدقا فخافهم لثرة كانت بينه وبينهم في الجاهلية فرجع وقال إنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله فهم النبي ﷺ بغزوه فجاءوا منكربين ما قاله عنهم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجَالَتِهِمْ فَنُصِبُوا عَلَيْكُمْ إِثْمٌ عَظِيمٌ ﴾

٦ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ) خبر (فَتَبَيَّنُوا) صدقه من كذبه وفي قراءة «فتثبتوا»

(١) أسباب نزول الآية ٤: أخرج الطبراني وأبو يعلى بسند حسن عن زيد بن أرقم قال: جاء ناس من العرب إلى حجر النبي ﷺ فجعلوا ينادون: يا محمد يا محمد فأنزل الله: «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ» الآية.

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فناداه من وراء الحجر، فقال: يا محمد إن مدحي زين وإن شمتي شين فقال النبي ﷺ: «ويلك ذلك هو الله» فنزلت: «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ» الآية. مرسل له شواهد مرفوعة من حديث البراء وغيره عند الترمذي بدون نزول الآية.

* وأخرج ابن جرير نحوه عن الحسن.
* وأخرج أحمد بسند صحيح عن الأقرع بن حابس أنه نادى رسول الله ﷺ من وراء الحجرات فلم يجبه فقال: يا محمد إن حمدي لزين وإن ذمي لشين فقال: «ذلكم الله».
* وأخرج ابن جرير وغيره عن الأقرع أيضاً أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اخرج إلينا؛ فنزلت.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢]

٢ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ) إذا نطقتم (فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) إذا نطق (وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ) إذا ناجيتموه (كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) بل دون ذلك إجلالاً له (أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) أي خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ كأبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم. (١)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٣]

٣ (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) أي لتظهر منهم (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) الجنة ونزل في قوم جاءوا وقت الظهيرة والنبي ﷺ في منزله فناده. (٢)

* * *

رجل قبل الصلاة فنزلت .

* وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة أن ناشا كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبي ﷺ فأنزل الله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ».

* وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أن ناشا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا فأنزل الله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ».

(١) أسباب نزول الآية ٢: وأخرج عنه قال: كانوا يجهرون له بالكلام ويرفعون أصواتهم فأنزل الله: «لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ» الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ٣: وأخرج أيضاً عن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال: لما نزلت هذه الآية: «لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ» فقد ثابت بن قيس في الطريق يبكي فمرّ به عاصم بن عدي بن العجلان فقال: ما يبكيك؟ قال: هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في وأنا صيِّت رفيع الصوت فرفع عاصم ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا به فقال: «أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة» قال: رضيت ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله ﷺ فأنزل الله: «إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ» الآية.

الإِيمَانَ وَزَيَّنْتَهُ حَسَنَهُ (فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ) استدراك من حيث المعنى دون اللفظ لأن من حُب إليه الإيمان إلخ غايرت صفة صفة من تقدم ذكره (أُولَئِكَ هُمُ فِيهِمُ التَّفَاتُ عَنِ الْخُطَابِ (الرَّاشِدُونَ) الثَابِتُونَ عَلَى دِينِهِمُ

﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

٨ (فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ) مصدر منصوب بفعله المقدر أي أفضل (وَنِعْمَةً) منه (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بهم (حَكِيمٌ) في إناعامه عليهم

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9]

٩ (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) الآية نزلت في قضية هي أن النبي ﷺ ركب حمارا ومر على ابن أبي فبال الحمار فسد ابن أبي أنفه فقال ابن رواحة والله لبول حماره أطيب ريحا من مسكك فكان بين قوميها ضرب بالأيدي والنعال والسعف (اقْتَتَلُوا) جمع نظرا إلى المعنى لأن كل طائفة جماعة وقرىء اقتتلا (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) نني نظرا إلى اللفظ (فَإِن بَغَتْ) تعدت (إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ) ترجع (إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) الحق (فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ) بالإنصاف (وَأَقْسِطُوا) أعدلوا (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (١).

(١) أسباب نزول الآية ٩: وأخرج الشيخان عن أنس أن النبي ﷺ ركب حماراً وانطلق إلى عبد الله بن أبي فقال: «إليك عني فوالله لقد أذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحماره أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه وغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجرید والأيدي والنعال فنزلت فيهم: «وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا».

• وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير عن أبي مالك قال: تلاحي رجلان من المسلمين فغضب قوم هذا لهذا وهذا لهذا فاقتلوا بالأيدي والنعال وأنزل الله: «وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا».

• وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الشدي قال: كان رجل من الأنصار يقال له عمران تحته امرأة يقال لها: أم زيد وأن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها وجعلها في علية له وإن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قوما وأنزلوها لينطلقوا

من الثبات (أَن تُصِيبُوا قَوْمًا) مفعوله أي خشية ذلك (بِجَهَالَةٍ) حال من الفاعل أي جاهلين (فَتُصِيبُوا) تصيروا (وَعَلَى مَا فَعَلْتُمْ) من الخطأ بالقوم (نَادِيَيْنِ) وأرسل ﷺ إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالدا فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير فأخبر النبي ﷺ بذلك (١).

﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَنَعْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاكِبُونَ﴾ [الحجرات: 7]

٧ (وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ) فلا تقولوا الباطل فإن الله يخبره بالحال (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ) الذي تخبرون به على خلاف الواقع فيرتب على ذلك مقتضاه (لَنَعْتُمْ) لأنتم دونه إنم التسبب إلى المرتب (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ

(١) أسباب نزول الآية ٦: وأخرج أحمد وغيره بسند جيد عن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي، قال: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فأقررت به ودخلت فيه ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته فترسل إلي الإبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة وبلغ الإبان احتبس الرسول فلم يأتهم فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة فدعا سراوات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان قد وقت وقتا يرسل إلي رسول الله ﷺ ما عندي من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف ولا أدري حبس رسول الله ﷺ إلا من سخطة فانطلقوا فتأتي رسول الله ﷺ وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة ليقبض ما كان عنده فلما أن سار الوليد فرق فرجع فقال: إن الحارث منعتي الزكاة وأراد قتلي فغضب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث فقال لهم: إلى أين بعثتم؟ قالوا: إليك قال: ولم؟ قالوا إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعتي الزكاة وأردت قتله قال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأته ولا أتاني فلما دخل على رسول الله ﷺ قال: «منعت الزكاة وأردت قتل رسولي» قال: لا والذي بعثك بالحق فنزلت: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءك فاسق فاستق بنبأ» إلى قوله: «والله عليم حكيم» رجال إسناده ثقات.

• وروى الطبراني نحوه من حديث جابر بن عبد الله وعلقمة بن ناجية وأم سلمة.

• وروى ابن جرير نحوه من طريق العوفي عن ابن عباس ومن طرق أخرى مرسله.

الظَّنَّ إِنَّمَا وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبْتُ
أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿الْحَجَرَات: ١٢﴾

١٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ
إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ أَي مؤثم وهو كثير كظن السوء
بأهل الخير من المؤمنين وهم كثير بخلافه بالفساق
منهم فلا إثم فيه في نحو ما يظهر منهم (ولا
تَجَسَّسُوا) حذف منه إحدى التاءين لا تتبعوا
عورات المسلمين ومعاييبهم بالبحث عنها (ولا
يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) لا يذكره بشيء يكرهه وإن
كان فيه (أَيُّبْتُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا)
بالتخفيف والتشديد أي لا يحسن به (فَكَرِهْتُمُوهُ)
أي فاغتنباه في حياته كأكل لحمه بعد مماته وقد
عرض عليكم الثاني فكرهتموه فاكرهوا الأول
(وَاتَّقُوا اللَّهَ) عقابه في الاغتياب بأن تتوبوا منه (إِنَّ
اللَّهَ تَوَّابٌ) قابل توبة التائبين (رَحِيمٌ) بهم (١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ
اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿الْحَجَرَات: ١٣﴾

١٣ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
آدم وحواء (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا) جمع شعب بفتح
الشين هو أعلى طبقات النسب (وَقَبَائِلَ) هم دون
الشعوب وبعدها العماثر ثم البطون ثم الأفخاذ ثم
الفصائل آخرها مثاله خزيمة شعب كنانة قبيلة قريش
عمارة بكسر العين قصي بطن هاشم فخذ العباس
فصيلة (لِتَعَارَفُوا) حذف منه إحدى التاءين ليعرف
بعضهم بعضا لا تتفاخروا بعلو النسب وإنما الفخر

الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكرهه فنزلت:
﴿ولا تنازروا بالألقاب﴾ قال الترمذي: حسن.
* وأخرج الحاكم وغيره من حديثه أيضا قال: كانت
الألقاب في الجاهلية فدعا النبي ﷺ رجلا منهم بلقبه فقيل له:
يا رسول الله إنه يكرهه فأنزل الله: ﴿ولا تنازروا بالألقاب﴾.
* ولفظ أحمد عنه قال: فينا نزلت في بني سلمة
﴿ولا تنازروا بالألقاب﴾ قدم النبي ﷺ المدينة وليس فينا رجل
إلا وله اسمان أو ثلاثة فكان إذا دعا أحدا منهم باسم من تلك
الأسماء قالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا فنزلت.

(١) أسباب نزول الآية ١٢: أخرج ابن المنذر عن ابن جريج
قال: زعموا أنها نزلت في سلمان الفارسي، أكل ثم رقد فنفخ
فذكر رجل أكله وراقده فنزلت.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]

١٠ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) في الدين (فَأَصْلِحُوا
بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) إذا تنازعا وقرئ «إخوتكم» بالفوقانية
(وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا
خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءِكُمْ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ
وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ يَسَّرَ الْإِثْمُ
الْفُشُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ﴾

١١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَنَّ مِنْكُمْ
في وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين
كعمار وصهيب والسخرية: الازدراء والاحتقار
(قَوْمٍ) أي رجال منكم (مَنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا
خَيْرًا مِّنْهُمْ) عند الله (ولا نِسَاءً) منكم (مَنْ نِسَاءً
عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ) ولا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ) لا
تعييبوا فتعابوا، أي لا يعب بعضكم بعضا (ولا
تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ) لا يدع بعضكم بعضا بلقب
يكرهه ومنه يا فاسق ويا كافر (بِغَسِّ الْأَسْمَاءِ)
المذكور من السخرية واللمز والتنايز (الْفُشُوقُ) بَعْدَ
الْإِيمَانِ) بدل من الاسم لإفادته أنه فسق لتكرره
عادة (وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ) من ذلك (فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ) (١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ

بها وكان الرجل قد خرج فاستعان بأهله فجاه بنو عمه ليحولوا
بين المرأة وبين أهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم هذه
الآية: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتلوا﴾ فبعث إليهم رسول الله
ﷺ فأصلح بينهم وفاءوا إلى أمر الله.

* وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: كانت تكون
الخصومة بين الحيين فيدعون إلى الحكم فيأبون أن يجيبوا فأنزل
الله: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتلوا﴾ الآية.

* وأخرج عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في
رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما فقال
أحدهما للآخر: لآخذنه عتوة لكثرة عشيرته، وأن الآخر دعاه
ليحاكمه إلى النبي ﷺ فأبى فلم يزل الأمر حتى تدافعوا
وحتى تناول بعضهم بعضا بالأيدي والنعال ولم يكن قتال
بالسيوف.

(١) أسباب نزول الآية ١١: أخرج أصحاب السنن الأربعة
عن أبي جبير بن الضحاك قال: كان الرجل منا يكون له

بالتقوى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِكُمْ) (حَيِّينَ) بيواطنكم (١).

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

١٤ ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ نفر من بني أسد (أَمَّا) صدقنا بقلوبنا (قُلْ) لهم (لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا) أَسْلَمْنَا) انقدنا ظاهرا (ولمَّا) أي لم (يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) إلى الآن لكنه يتوقع منكم (وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) بالإيمان وغيره (لَا يَلِتْكُمْ) بالهمزة وتركه ويبداله ألفا لا ينقصكم (مِّنْ أَعْمَالِكُمْ) من ثوابها (شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) للمؤمنين (رَحِيمٌ) بهم

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّالِحُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]

١٥ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) أي الصادقون في إيمانهم كما صرح به بعد (الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) لم يشكوا في الإيمان (وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فجاهدهم يظهر بصدق إيمانهم (أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) في إيمانهم لا من قالوا آمنا ولم يوجد منهم غير الإسلام

﴿قُلْ أَتَمَلُّونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ﴾

١٦ ﴿قُلْ لَهُمْ (أَتَعَلَّمُونَ) اللَّهُ بِدِينِكُمْ) أي مضعف «علم» بمعنى شعر أي أتشعرونه بما أنتم عليه في قولكم آمنا؟ (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ)

﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ

(١) أسباب نزول الآية ١٣: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح رقي بلال على ظهر الكعبة فأذن، فقال بعض الناس: هذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة؟ فقال بعضهم: إن يسخط الله هذا يغيره فأنزل الله: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى» الآية.

* وقال ابن عساکر في مبهمات: وجدت بخط ابن بشكوال أن أبا بكر بن أبي داود أخرج في تفسير له أنها نزلت في أبي هند، أمر رسول الله ﷺ بني ياضة أن يزوجه امرأة منهم فقالوا: يا رسول الله نزوج بنتنا موالينا فنزلت الآية.

اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

١٧ ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتال منهم (قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامِكُمْ) منصوب بنزع الخافض الباء ويقدر قبل أن في الموضوعين (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في قولكم آمنا (١).

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِيمَا تَعْمَلُونَ﴾

١٨ (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي ما غاب فيهما (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِيمَا تَعْمَلُونَ) بالثناء والياء ولا يخفى عليه شيء منه.

* * *

٥٠ سورة ق

مكية إلا الآية ٢٨ فمجدية، وآياتها خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١]

١ (ق) الله أعلم بمراده به (وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ)

(١) أسباب نزول الآية ١٧: أخرج الطبراني بسند حسن عن عبد الله بن أبي أوفى أن ناسا من العرب قالوا: يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك وقاتلك بنو فلان فأنزل الله: «يؤمنون عليك أن أسلموا» الآية.

* وأخرج البزار من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس مثله.

* وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن الحسن وأن ذلك لما فتحت مكة.

* وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: قدم عشرة نفر من بني أسد على رسول الله ﷺ سنة تسع وفيهم طلحة بن خويلد ورسول الله ﷺ في المسجد مع أصحابه فسلموا وقال متكلمهم: يا رسول الله، إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت عبده ورسوله وجنتك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثا ونحن لمن وراءنا سلم فأنزل الله: «يؤمنون عليك أن أسلموا» الآية.

* وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن جبيرة قال: أتى قوم من الأعراب من بني أسد النبي ﷺ فقالوا: جنتك ولم نقاتلك فأنزل الله: «يؤمنون عليك أن أسلموا» الآية.

﴿وَرَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ
الْحَبِيدِ﴾ [ق: ٩]

٩ (وَرَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا) كثير البركة
(فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ) بساتين (وَحَبَّ) الزرع (الْحَبِيدِ)
المحصول

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلَعَ نَبِيدٌ﴾ [ق: ١٠]

١٠ (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) طولا حال مقدرة (لِهَا)
طَلَعَ نَبِيدٌ) متراكب بعضه فوق بعض

﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾

١١ (رِزْقًا لِلْعِبَادِ) مفعول له (وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً
مَّيْتًا) يستوي فيه المذكر والمؤنث (كَذَلِكَ) مثل
هذا الإحياء (الْخُرُوجُ) من القبور فكيف تنكرونه
والاستفهام للتقرير والمعنى أنهم نظروا وعلموا ما
ذكر

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾

١٢ (كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) تأنيث الفعل
لمعنى قوم (وَأَصْحَابُ الرَّسِّ) هي بئر كانوا مقيمين
عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام ونبههم قيل حنظلة
ابن صفوان وقيل غيره (وَتَمُودُ) قوم صالح

﴿جَلَدْنَا مَدْيَنَ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسٍ﴾ [ق: ١٣]

٢٣ (وَعَادَ) قوم هود (وَفِرْعَوْنَ وَإِخْوَانُ لُوطٍ)

﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ﴾

٢٤ (وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) أي الغيضة قوم شعيب
(وَقَوْمُ تُبَّعٍ) هو ملك كان باليمن أسلم ودعا قومه
إلى الإسلام فكذبوه (كُلٌّ) من المذكورين (كَذَّبَ)
الرُّسُلَ كقريش (فَحَقَّ وَعِيدُ) وجب نزول العذاب
على الجميع فلا يضيّق صدرك من كفر قریش بك

﴿أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقِهِ جَبِيدٌ﴾

١٥ (أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) أي لم نعي به فلا
نعيا بالإعادة (بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ) شك (مَنْ خَلَقِ)
جديد) وهو البعث

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَحْنُهُ مَا جُوسِي بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ

أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْأَرْبَعِ﴾ [ق: ١٦]

الكریم ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ
﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا
نَوْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ٢]

٢ (بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ) رسول من
أنفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث (فَقَالَ الْكٰفِرُونَ
هَذَا) الإنذار (شَيْءٌ عَجِيبٌ)

﴿أَوَلَمْ نَكُنَّا مَعَكُمْ وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣]

٣ (أَيْذًا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية
وإدخال ألف بينهما على الوجهين (مَعَكُمْ وَكُنَّا تُرَابًا؟)
نرجع (ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) في غاية البعد

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حٰفِظٌ﴾

٤ (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ) تأكل منهم
(مِنْهُمْ) وعِندَنَا كِتَابٌ حٰفِظٌ) هو اللوح المحفوظ فيه
جميع الأشياء المقدرة

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٌ﴾

٥ (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ) بالقرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ)
في شأن النسبي ﷺ والقرآن (في أمرٍ مَرِيجٍ)
مضطرب قالوا مرة ساحر وسحر ومرة شاعر وشعر
ومرة كاهن وكهانة

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَزَقْنَاهَا

وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]

٦ (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا) بعيونهم معتبرين بعقولهم حين
أنكروا البعث (إِلَى السَّمَاءِ) كائنة (فَوْقَهُمْ كَيْفَ
بَنَيْنَاهَا) بلا عمد (وَرَزَقْنَاهَا) بالكواكب (وَمَا لَهَا مِنْ
فُرُوجٍ) شقوق تعييبها

﴿وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ

رَوْحٍ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧]

٧ (وَالْأَرْضِ) معطوف على موضع إلى السماء
كيف (مَدَدْنَاهَا) دحوناها على وجه الماء (وَأَلْقَيْنَا
فِيهَا رَوَاسِيَ) جبالا تثبتها (وَأَبْنَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ)
صنف (بَهِيجٍ) يهيج به لحسنه

﴿تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٨]

٨ (تَبَصَّرَةٌ) مفعول له أي فعلنا ذلك تبصيرا منا
(وَذَكَرَى) تذكيرا (لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) رجاع إلى طاعتنا

الذي (لَدَيَّ عَيْنِدْ) حاضر فيقال لمالك

﴿أَلَيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَيْنِدْ﴾ [ق: ٢٤]

٢٤ (أَلَيَا فِي جَهَنَّمَ) ألقى ألقى أو ألقى وبه قرأ الحسن فأبدلت النون ألفاً (كُلُّ كَفَّارٍ عَيْنِدْ) معاند للحق.

﴿مَنَاعَ لِلْحَبْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيْبٍ﴾ [ق: ٢٥]

٢٥ (مَنَاعَ لِلْحَبْرِ) كالزكاة (مُعْتَدٍ) ظالم (مُرِيْبٍ) شك أي دينه

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفَيْاهُ فِي الْعَذَابِ

النَّدِيدِ﴾ [ق: ٢٦]

٢٦ (الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) مبتدأ ضمن معنى الشرط خبره (فَأَلْفَيْاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ) تفسيره مثل ما تقدم

﴿قَالَ فَوَيْلٌ لِّرَبِّنَا مَا أُطْفِئَتْهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾

٢٧ (قَالَ قَرِينُهُ) الشيطان (رَبِّنَا مَا أُطْفِئَتْهُ) أضللته (وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) فدعوته فاستجاب لي وقال هو أطفاني بدعائه له

﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾

٢٨ (قَالَ) تعالى (لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ) أي ما ينفخ الخصام هنا (وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ) في الدنيا (بِالْوَعِيدِ) بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا ولا بد منه

﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]

٢٩ (مَا يَبْدُلُ) يغير (الْقَوْلُ لَدَيَّ) في ذلك (وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِّلْعَبِيدِ) فأعذبهم بغير جرم وظلام بمعنى ذي ظلم لقوله لا ظلم اليوم

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِيَحْمَمَ هَلْ أَمْتَلَأْتِ وَقَوْلُ هَلْ مِنْ مَّرِيدٍ﴾

٣٠ (يَوْمَ) ناصبة ظلام (نَقُولُ) بالنون والياء (لِيَحْمَمَ هَلْ أَمْتَلَأْتِ) استفهام تحقيق لوعده بملئها (وَنَقُولُ) بصورة الاستفهام كالسؤال (هَلْ مِنْ مَّرِيدٍ) أي لا أسع غير ما امتلأت به أي قد امتلأت

﴿وَأَرْزَلْتِ الْجَنَّةَ لِلسُّعْيَةِ عَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١]

٣١ (وَأَرْزَلْتِ الْجَنَّةَ لِلسُّعْيَةِ) قربت (لِلْمُتَّقِينَ) مكانا

١٦ (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمُ) حال بتقدير

نحن (مَا) مصدرية (تُوسُّوسُ) تحدث (بِهِ) الباء زائدة أو للتعدية والضمير للإنسان (نَفْسُهُ) ونَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ) بالعلم (مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) الإضافة للبيان والوريدان عرقان بصفحتي العنق

﴿إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنَ الْيَمِينِ وَعَنَ الشَّمَالِ فَعِيدُ﴾

١٧ (إِذْ) منصوبة باذكر مقدرًا (يَتَلَقَّيَا) يأخذ ويثبت (الْمُتَلَقِّيَانِ) الملكان الموكلان بالإنسان ما يعمله (عَنَ الْيَمِينِ وَعَنَ الشَّمَالِ) منه (فَعِيدُ) قاعدان وهو مبتدأ خبره ما قبله

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنِدُ﴾ [ق: ١٨]

١٨ (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ) حافظ (عَيْنِدُ) حاضر وكل منهما بمعنى المثني

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾

١٩ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ) غمرته وشدته (بِالْحَقِّ) من أمر الآخرة حتى يراها المنكر لها عيانا وهو نفس الشدة (ذَلِكَ) أي الموت (مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) تهرب وتفرغ

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠]

٢٠ (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) للبعث (ذَلِكَ) أي يوم النفخ (يَوْمَ الْوَعِيدِ) للكفار بالعذاب

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]

٢١ (وَجَاءَتْ) فيه (كُلُّ نَفْسٍ) إلى المحشر (مَعَهَا سَائِقٌ) ملك يسوقها إليه (وَشَهِيدٌ) يشهد عليها بعملها وهو الأيدي والأرجل وغيرها ويقال للكافر

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ

فَصَرَكَ الْيَوْمَ حَرِيدُ﴾ [ق: ٢٢]

٢٢ (لَقَدْ كُنْتَ) في الدنيا (فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا) النازل بك اليوم (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم (فَصَرَكَ الْيَوْمَ حَرِيدُ) حاد تدرك به ما أنكرته في الدنيا

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَيْنِدُ﴾ [ق: ٢٣]

٢٣ (وَقَالَ قَرِينُهُ) الملك الموكل به (هَذَا مَا

وبين غيره إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.^(١)

﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]

٣٩ (فَاصْبِرِينَ) خطاب للنبي ﷺ (عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) أي اليهود وغيرهم من التشبيه والتكذيب (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) صل حامدا (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) أي صلاة الصبح (وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) أي صلاة الظهر والعصر

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ﴾ [ق: ٤٠]

٤٠ (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) أي صل العشاءين (وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ) بفتح الهمزة جمع دبر وكسرهما مصدر أدبر أي صل النوافل المسنونة عقب الفرائض وقيل المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات ملابسا للحمد

﴿وَأَسْتَجِبْ يَوْمَ تُنَادِي الْمُنَادُ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١]

٤١ (وَأَسْتَجِبْ) يا مخاطب مقولي (يَوْمَ تُنَادِي الْمُنَادُ) هو إسرافيل (مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ) من السماء وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول أيتها العظام البالية والأوصال المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾

٥٠- سورة ق

(١) أسباب نزول الآية ٣٨: أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس أن اليهود أتت رسول الله ﷺ فسألته عن خلق السماوات والأرض فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والاثني، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيها من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن وال عمران والخراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات يقين منه، فخلق في أول ساعة الأجل حتى يموت من مات، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة.

* قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرش قالوا: قد أصبت لو أتممت قالوا: ثم استراح، فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً فنزل: «ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون».

(عَجَزَ بَعِيدٍ) منهم فيرونها ويقال لهم

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ﴾ [ق: ٣٢]

٣٢ (هَٰذَا) المرئي (مَا تُوعَدُونَ) بالتاء والياء في الدنيا ويبدل من للمتقين قوله (لِكُلِّ أَوَّابٍ) رجاء إلى طاعة الله (حَفِيفٍ) حافظ لحدوده

﴿مَنْ حَسِبَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣]

٣٣ (مَنْ حَسِبَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ) خافه ولم يره (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ) مقبل على طاعته ويقال للمتقين أيضا

﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٤]

٣٤ (أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ) سالمين من كل خوف أو مع سلام أي سلموا وأدخلوا (ذَٰلِكَ) اليوم الذي حصل فيه الدخول (يَوْمُ الْخُلُودِ) الدخول في الجنة ﴿هُمَ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]

٣٥ (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) زيادة على ما عملوا وطلبوا

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [ق: ٣٦]

٣٦ (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ) أهلكتنا قبل كفار قريش قرونا كثيرة من الكفار (هُم أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا) قوة (فَنَقَّبُوا) فتشوا (فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ) لهم أو لغيرهم من الموت فلم يجدوا

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ سَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]

٣٧ (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَذِكْرٍ) لعظة (لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ) عقل (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ) استمع الوعظ (وَهُوَ سَهِيدٌ) حاضر بالقلب

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]

٣٨ (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أولها الأحد وأخرها الجمعة (وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ) تعب نزل ردا على اليهود في قولهم إن الله استراح يوم السبت وانتفاء التعب عنه بتنزعه تعالى عن صفات المخلوقين ولعدم المماساة بينه

- ٤٢ (يَوْمٌ) بدل من يوم قبله (يَسْمَعُونَ) أي الخلق كلهم (الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ) بالبعث وهي النفخة الثانية من إسرافيل ويحتمل أن تكون قبل ندائه وبعده (ذَلِكَ) أي يوم النداء والسماع (يَوْمَ الْخُرُوجِ) من القبور وناصب «يوم» ينادي مقدرا أي يعلمون عاقبة تكذيبهم
- ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣].
- ٤٣ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣].
- ٤٤ (يَوْمٌ) بدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض (تَسْتَفِقُ) بتخفيف الشين وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها (الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا) جمع سريع حال من مقدر أي فيخرجون مسرعين (ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها للاختصاص وهو لا يضر ذلك إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه وهو الإحياء بعد الفناء والجمع للعرض والحساب
- ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدٌ﴾ [ق: ٤٥].
- ٤٥ (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) أي كفار قريش (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) تجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالجهاد (فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدٌ) وهم المؤمنون.^(١)
- ***
- ٥١ سورة الذاريات
- مكية وآياتها ٦٠ ستون آية
- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
- ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ [الذاريات: ١].
- (١) أسباب نزول الآية ٤٥: وأخرج ابن جرير من طريق عمرو بن قيس الملائي عن ابن عباس قال: قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت «فذكر بالقرآن من يخاف وعيد» ثم أخرج عن عمرو مرسلًا مثله.

٤٢ (يَوْمٌ) بدل من يوم قبله (يَسْمَعُونَ) أي الخلق كلهم (الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ) بالبعث وهي النفخة الثانية من إسرافيل ويحتمل أن تكون قبل ندائه وبعده (ذَلِكَ) أي يوم النداء والسماع (يَوْمَ الْخُرُوجِ) من القبور وناصب «يوم» ينادي مقدرا أي يعلمون عاقبة تكذيبهم

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣].

٤٣ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣].

٤٤ (يَوْمٌ) بدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض (تَسْتَفِقُ) بتخفيف الشين وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها (الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا) جمع سريع حال من مقدر أي فيخرجون مسرعين (ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها للاختصاص وهو لا يضر ذلك إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه وهو الإحياء بعد الفناء والجمع للعرض والحساب

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدٌ﴾ [ق: ٤٥].

٤٥ (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) أي كفار قريش (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) تجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالجهاد (فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدٌ) وهم المؤمنون.^(١)

٥١ سورة الذاريات

مكية وآياتها ٦٠ ستون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ [الذاريات: ١].

١ (وَالذَّارِيَاتِ) الرياح تذررو التراب وغيره

(١) أسباب نزول الآية ٤٥: وأخرج ابن جرير من طريق عمرو بن قيس الملائي عن ابن عباس قال: قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت «فذكر بالقرآن من يخاف وعيد» ثم أخرج عن عمرو مرسلًا مثله.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَقِّينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]

٢٠ (وفي الأرض) من الجبال والأرض والبحار والأشجار والنبات وغيرها (آيات) دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته (للمتوقفين)

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]

٢١ (وفي أنفسكم) آيات أيضا من مبدأ خلقكم إلى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب (أفلا تبصرون) ذلك فتستدلوا به على صانعه وقدرته

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا تَوَعَّدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]

٢٢ (وفي السماء رزقكم) المطر المسبب عنه النبات الذي هو رزق (وما توعدون) من المآب والثواب والعقاب أي مكتوب ذلك في السماء

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾

٢٣ (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ) ما توعدون (لحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) برفع «مثل» صفة «وما» مزيدة وبفتح اللام مركبة مع ما المعنى مثل نطقكم في حقيقته أي معلوميته عندكم ضرورة صدورهم عنكم

﴿هَلْ أُنذِرَكَ حَدِيثٌ ضَلَفَ لِإِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾

٢٤ (هل أنذرك) خطاب للنبي ﷺ (حديث ضلَفَ لِإِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ) وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل

﴿وَإِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾

٢٥ (إِذْ) ظرف لحديث ضيف (دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا) أي هذا اللفظ (قَالَ سَلَامٌ) أي هذا اللفظ (قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) لا نعرفهم قال ذلك في نفسه وهو خبر مبتدأ مقدر أي هؤلاء

﴿فَرَأَى إِلَاتَ أَهْلِهِ فَمَلَّءَ بِعِجَلِ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦]

٢٦ (فَرَأَى) مال (إِلَى أَهْلِهِ) سرا (فَمَلَّءَ بِعِجَلِ سَمِينٍ) وفي سورة هود بعجل حينذ أي مشوي

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]

٢٧ (فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ) عرض عليهم الأكل فلم يجيبوا

١١ (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ) جهل يغمرهم (سَاهُونَ) غافلون عن أمر الآخرة

﴿يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الْيَوْمِ﴾ [الذاريات: ١٢]

١٢ (يَسْتَلُونَ) النبي استفهام استهزاء (أَيَّانَ يَوْمُ الْيَوْمِ) أي متى مجيئه وجوابهم يجيء

﴿يَوْمَ تَمُوتُ عَلَى النَّارِ يَنْفُتُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]

١٣ (يَوْمَ تَمُوتُ عَلَى النَّارِ يَنْفُتُونَ) أي يعذبون فيها ويقال لهم حين التعذيب

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْتَلُونَ﴾

١٤ (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) تعذيبكم (هَذَا) التعذيب (الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْتَلُونَ) في الدنيا استهزاء

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥]

١٥ (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ) بساتين (وعُيُونٍ) تجري فيها

﴿ءَابَائِهِمْ وَمَا بَيْنَهُمْ رَبُّهُمْ إِلَيْهِمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُجْسِمِينَ﴾

١٦ (أَبَائِهِمْ) حال من الضمير في خبر إن (مَا بَيْنَهُمْ) أعطاهم (رَبُّهُمْ) من الثواب (إِلَيْهِمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ) أي دخولهم الجنة (مُجْسِمِينَ) في الدنيا

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]

١٧ (كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) ينامون وما زائدة ويهجعون خبر كان وقليلًا ظرف أي ينامون في زمن يسير من الليل ويصلون أكثره

﴿وَيَا لَأَمْحَرٍ حَمِيمٍ﴾ [الذاريات: ١٨]

١٨ (وَيَا لَأَمْحَرٍ حَمِيمٍ) يستغفرون يقولون اللهم اغفر لنا

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]

١٩ (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) الذي لا يسأل لتعففه (١)

٥١- سورة الذاريات

(١) أسباب نزول الآية ١٩: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الحنفية أن رسول الله ﷺ بعث سرية فأصابوا وغنموا فجاء قوم يشهد من الغنيمة فنزلت: «وفي أموالهم حق للسائل والمحروم».

﴿فَأَرْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَنْخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِعَلِيمٍ عَلِيمٍ﴾

٢٨ (فَأَرْحَسَ) أضمر في نفسه (مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَنْخَفْ) إنا رسل ربك (وَبَشِّرُوهُ بِعَلَامٍ عَلِيمٍ) ذي علم كثير وهو إسحاق كما ذكر في هود

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ

عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩]

٢٩ (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ) سارة (فِي صَرَفٍ) صيحة حال أي جاءت صائحة (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) لطمته (وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) لم تلد قط وعمرها تسع وتسعون سنة وعمر إبراهيم مائة سنة أو عمره مائة وعشرون سنة وعمرها تسع وتسعون سنة

﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾

٣٠ (قَالُوا كَذَلِكَ) أي مثل قولنا في البشارة (قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ) في صنعه (الْعَلِيمُ) بخلقه

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الذاريات: ٣١]

٣١ (قَالَ مَا خَطْبُكُمْ) شأنكم (أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ)

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٢]

٣٢ (قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ) كافرين هم قوم لوط

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣]

٣٣ (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن طِينٍ) مطبوخ بالنار

﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات: ٣٤]

٣٤ (مُسَوَّمَةً) معلمة عليها اسم من يرمى بها (عِنْدَ رَبِّكَ) ظرف لها (لِلْمُسْرِفِينَ) يأتیانهم الذكور مع كفرهم

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

٣٥ (فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا) أي قرى قوم لوط (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لإهلاك الكافرين

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

٣٦ (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ) وهو لوط وابنتاه وصفوا بالإيمان والإسلام أي مصدقون بقلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعات

﴿وَتَرْكُنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾

٣٧ (وَتَرْكُنَا فِيهَا) بعد إهلاك الكافرين (آيَةً) علامة على إهلاكهم (لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) فلا يفعلون مثل فعلهم

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾

٣٨ (وَفِي مُوسَى) معطوف على «فيها» المعنى وجعلنا في قصة موسى آية (إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ) متلبسا (بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) بحجة واضحة

﴿فَنَوَلَّىٰ يَرْكُوبَهُ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٣٩]

٣٩ (فَنَوَلَّىٰ) أعرض عن الإيمان (يَرْكُوبَهُ) مع جنوده لأنهم له كالركن (وَقَالَ) لموسى هو (سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَرُءُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾

٤٠ (فَأَخَذْنَاهُ وَرُءُودَهُ) فَنَبَذْنَاهُمْ (فِي الْيَمِّ) البحر فغرقوا (وَهُوَ) أي فرعون (مُلِيمٌ) أت بما يلام عليه من تكذيب الرسل ودعوى الربوبية

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾

٤١ (وَفِي) إهلاك (عَادٍ) آية (إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) هي التي لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهي الدبور

﴿مَا تَذُرُّ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّيْرِ﴾

٤٢ (مَا تَذُرُّ مِن شَيْءٍ) نفس أو مال (أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّيْرِ) كالبالي المتفتت

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾

٤٣ (وَفِي) إهلاك (ثَمُودَ) آية (إِذْ قِيلَ لَهُمْ) بعد عقرهم الناقة (تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ) إلى انقضاء آجالكم كما في آية تمتعوا في داركم ثلاثة أيام

﴿فَمَتَّعْنَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾

٤٤ (فَمَتَّعْنَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) عن امتثاله (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) بعد مضي الثلاثة أيام أي الصيحة المهلكة (وَهُمْ يَنْظُرُونَ) أي بالنهار

﴿فَمَا اسْتَسْقَطُوا مِن قِوَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ﴾

٤٥ (فَمَا اسْتَسْقَطُوا مِن قِوَامٍ) ما قدروا على

قبلهم رسلهم بقولهم ذلك

﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾ [الذاريات: ٥٣]

٥٣ ﴿أَتَوَصَّوْا﴾ كلمهم (به) استفهام بمعنى النفي (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ) جمعهم على هذا القول طغيانهم

﴿فَقَوْلٌ عَنَّهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٤]

٥٤ ﴿فَقَوْلٌ﴾ أعرض (عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) لأنك بلغت الرسالة^(١)

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]

٥٥ ﴿وَذَكِّرْ﴾ عظ بالقرآن (فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) من علم الله تعالى أنه مؤمن.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

٥٦ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لأن الغاية لا يلزم وجودها كما في قولك بريت هذا القلم لأكتب به فإنك قد لا تكتب به

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾

٥٧ ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ لي ولأنفسهم وغيرهم (وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ) ولا أنفسهم ولا غيرهم

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾

٥٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الشديد

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا

يَسْتَعْمِلُونَ﴾ [الذاريات: ٥٩]

٥٩ ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بالكفر من أهل مكة وغيرهم (ذُنُوبًا) نصيبا من العذاب (مِثْلَ)

النهوض حين نزول العذاب (وما كانوا مُنتَصِرِينَ) على من أهلكتهم

﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾

٤٦ ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ﴾ بالجر عطف على ثمود أي وفي إهلاكهم بما في السماء والأرض آية وبالنصب أي وأهلكنا قوم نوح (مَنْ قَبْلُ) قبل إهلاك هؤلاء المذكورين (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدِي وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]

٤٧ ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدِي﴾ بقوة (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) قادرون يقال آد الرجل يبيد قوي وأوسع الرجل صار ذا سعة وقوة

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨]

٤٨ ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ مهدناها (فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ) نحن

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

٤٩ ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ متعلق بقوله خلقنا (خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) صنفين كالذكر والأنثى والسماء والأرض والشمس والقمر والسهل والجبل والصبيف والشتاء والحلو والحامض والنور والظلمة (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يحذف إحدى التاءين في الأصل فتعلموا أن خالق الأزواج فرد فتعبده

﴿فَقَرِّءُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرِمَةٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

٥٠ ﴿فَقَرِّءُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي إلى ثوابه من عقابه بأن تطيعوه ولا تعصوه (إِنِّي لَكَرِمَةٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الإنذار

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكَرِمَةٌ نَذِيرٌ

مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥١]

٥١ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكَرِمَةٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ يقدر قبل ففروا قل لهم

﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]

٥٢ ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا﴾ هو (سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) أي مثل تكذيبهم لك بقولهم إنك ساحر أو مجنون تكذيب الأمم

(١) أسباب نزول الآيات ٥٤ - ٥٥: وأخرج أيضًا ابن منيع وابن راهويه والهيثم بن كليب في مسانيدهم من طريق مجاهد عن علي قال: لما نزلت: ﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ لم يبق منا أحد إلا أيقن بالهلكة إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنا فنزلت: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فطابت أنفسنا.

* وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أنه لما نزلت: ﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ﴾ الآية. اشتد على أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا أن الوحي قد انقطع وأن العذاب قد حضر فأنزل الله: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَسَيُبْرَأُ الْجِبَالُ سَيْبًا﴾ [الطور: ١٠]

١٠ (وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) تصير هباء منثورا وذلك في يوم القيامة

﴿قَوْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الطور: ١١]

١١ (قَوْلٌ) شدة عذاب (يَوْمِيذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) للرسول

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ [الطور: ١٢]

١٢ (الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ) باطل (يَلْعَبُونَ) أي يتشاغلون بكفرهم

﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ [الطور: ١٣]

١٣ (يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا) يدفعون بعنف بدل من يوم تمور ويقال لهم تبيكتا

﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ﴾ [الطور: ١٤]

١٤ (هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ)

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥]

١٥ (أَفَسِحْرٌ هَذَا) العذاب الذي ترون كما كنتم تقولون في الوحي هذا سحر (أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ)

﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصِرُوا سَوَاءً عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُ

مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]

١٦ (أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا) عليها (أَوْ لَا تَصِرُوا) صبركم وجزعكم (سَوَاءً عَلَيْكُمْ) لأن صبركم لا ينفعكم (إِنَّمَا تُحْزَنُ) أي جزاؤه

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ [الطور: ١٧]

١٧ (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ)

﴿فَنَكِيهِينَ بِمَا ءَمَنَهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّعَهُمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ

الْبَحِيمِ﴾ [الطور: ١٨]

١٨ (فَأَكِيهِينَ) مثلذذين (بِمَا) مصدرية (آتَاهُمْ) أعطاهم (رَبُّهُمْ وَوَقَّعَهُمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْبَحِيمِ) عطا على آتاهم أي إلتانهم ووقعتهم ويقال لهم

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٩]

١٩ (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا) حال مهنتين (بِمَا) الباء سببية (كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

ذُنُوبٍ) نصيب (أَصْحَابِهِمْ) الهالكين قبلهم (فَلَا يَشْتَقِلُونَ) بالعذاب إن آخرتهم إلى يوم القيامة

﴿قَوْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾

٦٠ (قَوْلٌ) شدة عذاب (لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن) في (يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) أي يوم القيامة.

٥٢ سورة الطور

مكية وآياتها ٤٩ تسع وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ﴾ [الطور: ١]

١ (وَالطُّورِ) أي الجبل الذي كلم الله عليه موسى

﴿وَكُتُبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: ٢]

٢ (وَكُتَابٍ مَّسْطُورٍ)

﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ٣]

٣ (فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ) أي التوراة أو القرآن

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ٤]

٤ (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) هو في السماء الثالثة أو السادسة أو السابعة بحيال الكعبة يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة لا يعودون إليه أبدا

﴿وَالسَّمَاءِ الْمَرصُوعِ﴾ [الطور: ٥]

٥ (وَالسَّمَاءِ الْمَرصُوعِ) أي السماء

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦]

٦ (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) أي المملوء

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور: ٧]

٧ (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) لنازل بمستحقه

﴿مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٨]

٨ (مَا لَهُ مِن دَافِعٍ) عنه

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩]

٩ (يَوْمَ) معمول لواقع (تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) تتحرك وتدور

﴿مُتَكِبِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾
 ٢٠ (مُتَكِبِينَ) حال من الضمير المستكن في قوله تعالى في جنات (عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ) بعضها إلى جنب بعض (وَزَوَّجْنَاهُم) عطف على جنات أي قرانهم (بِحُورٍ عِينٍ) عظام الأعين حسانهن

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]

٢٧ ﴿فَمَنْ لَّهُ عَلَيْنَا بِالْمَغْفِرَةِ (وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) النار لدخولها في المسام وقالوا إيماء أيضا ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾

٢٨ ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ فِي الدُّنْيَا (نَدْعُوهُ) نعبده موحدين (إِنَّهُ) بالكسر استنفاذاً وإن كان تعليلاً معني وبالفتح تعليلاً لفظاً (هُوَ الْبَرُّ) المحسن الصادق في وعده (الرَّحِيمِ) العظيم الرحمة

٢١ (وَالَّذِينَ آمَنُوا) مبتدأ (وَاتَّبَعَتْهُمْ) معطوف على آمنوا (ذُرِّيَّتُهُمْ) وفي قراءة ذرياتهم الصغار والكبار (بِإِيمَانٍ) من الكبار ومن أولادهم الصغار والخبر (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) المذكورين في الجنة فيكونون في درجاتهم وإن لم يعملوا بعملهم تكرمة للأباء باجتماع الأولاد إليهم (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ) بفتح اللام وكسرهما نقصناهم (مَنْ عَمَلِهِمْ مِنْ) زائدة (شَيْءٍ) يزداد في عمل الأولاد (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ) من عمل خير أو شر (رَهِينٌ) مرهون يؤاخذ بالشر ويجازى بالخير

﴿فَذَكَّرْنَا مَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾
 ٢٩ ﴿فَذَكَّرْنَا دَمَ عَلَى تَذْكِيرِ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَرْجِعْ عَنْهُ لِقَوْلِهِمْ لَكَ كَاهِنٌ مَجْنُونٌ (فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ) بإنعامه عليك (بِكَاهِنٍ) خبر «ما» (وَلَا مَجْنُونٍ) معطوف عليه

﴿وَأَمَّا بَقُولُكَ فَإِنَّ رَبَّنَا لَكُلِّ شَيْءٍ خَالِقٌ﴾ [الطور: ٢٢]

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّنَا رَبِّبَ الْمُنُونِ﴾
 ٣٠ ﴿أَمْ﴾ بل (يَقُولُونَ) هو (شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّنَا رَبِّبَ الْمُنُونِ) حوادث الدهر فيهلك كغيره من الشعراء^(١)

٢٢ (وَأَمَّا بَقُولُهُمْ) زداناهم في وقت بعد وقت (بِقَائِهِمْ وَلَعْمَ مَعَا يَسْتَهْتُونَ) وإن لم يصرحوا بطلبه (يَسْتَرْعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَعَوْ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ)

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَرِبِينَ﴾
 ٣١ ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ هلاكي (فَأِنِّي مَعَكُمْ مَنْ الْمُتَرَبِّصِينَ) هلاككم فعذبوا بالسيف يوم بدر والتركيب الانتظار

٢٣ (يَتَنَزَّعُونَ) يتعاطون بينهم (فيها) الجنة (كَأَسَا) حمرا (لَا لَعَوْ فِيهَا) بسبب شربها يقع بينهم (وَلَا تَأْتِيهِمْ) به يلحقهم بخلاف خمر الدنيا

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾
 ٣٢ ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ عقولهم (بِهَذَا) قولهم له ساحر كاهن مجنون أي لا تأمرهم بذلك (أَمْ) بل (هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) بعنادهم.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُزُلٌ مَكُونٌ﴾
 ٢٤ (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ) للخدمة (وِلْدَانٌ) أرقاء (لَهُمْ كَأَنَّهُمْ) حسنا ولطافة (لُزُلٌ مَكُونٌ) مصون في الصدف لأنه فيها أحسن منها في غيرها
 ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الطور: ٢٥]

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ لَكَ لَآ يُؤْمِنُونَ﴾ [الطور: ٣٣]

٥٢- سورة الطور

(١) أسباب نزول الآية ٣٠: أخرج ابن جرير عن ابن عباس أن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائل منهم: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المتون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنايعة فإنما هو كأحدهم، فأنزله الله في ذلك: «أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّنَا رَبِّبَ الْمُنُونِ».

٢٥ (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) يسأل بعضهم بعضاً عما كانوا عليه وما وصلوا إليه تلذذا واعترافاً بالنعمة

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾

٣٣ ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ اختلق القرآن ؟ لم يخلقه (بل لا يؤمنون) استكبارا فإن قالوا اختلقه ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾

٣٤ ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ﴾ مختلق (مثله إن كانوا صادقين) في قولهم

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾

٣٥ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ من غير خالق (أم هم الخالقون) أنفسهم ؟ ولا يعقل مخلوق بغير خالق ولا معدوم يخلق فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد فلم لا يوحدونه ويؤمنون برسوله وكتابه ؟

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾

٣٦ ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق فلم لا يعبدونه ؟ (بل لا يؤقنون) به وإلا لآمنوا بنبيه

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُصَيَّبُونَ﴾

٣٧ ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما فيخسوا من شاءوا بما شاءوا (أم هم المستعيطون) المتسلطون الجبارون وفعله سيطر ومثله ييطر ويقر

﴿أَمْ لَهُمْ سُلُورٌ يَنْصَعِقُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَعْمِلُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [الطور: ٣٨]

٣٨ ﴿أَمْ لَهُمْ سُلُورٌ﴾ مرقى إلى السماء (يشتمعون فيه) أي عليه كلام الملائكة حتى يمكنهم منازعة النبي بزعمهم إن ادعوا ذلك (فليأت مستعجلهم) مدعي الاستماع عليه (بسلطان مبين) بحجة بينة واضحة ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩]

٣٩ ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ﴾ بزعمكم (ولكم البنون) تعالى الله عما زعمتموه

﴿أَمْ تَتَّخِذُهُمْ آجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠]

٤٠ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ آجْرًا﴾ علي ما جنتهم به من الدين (فهم من مغرم) غرم ذلك (مثقلون) فلا يسلمون

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ [الطور: ٤١]

٤١ ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ علمه (فهم يكتُمون) ذلك حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور الآخرة بزعمهم ؟

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾

٤٢ ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك ليهلكوك في دار الندوة (فالذين كفروا هم المكيدون) المغلوبون المهلكون فحفظه الله منهم ثم أهلكتهم بيد

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

٤٣ ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من الآلهة والاستفهام بأم في وضعها للتقبيح والتوبيخ

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾

٤٤ ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا﴾ بعضا (من السماء ساقطًا) عليهم كما قالوا فأسقط علينا كسفا من السماء أي تعذيبا لهم (يقولوا) هذا (سحاب مَرْكُومٌ) نروي به ولا يؤمنون

﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْتَفِتُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾

٤٥ ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْتَفِتُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يموتون

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

٤٦ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي﴾ بدل من يومهم (عندهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) يمنعون من العذاب في الآخرة

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٤٧ ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بكفرهم (عذابا دون ذلك) في الدنيا قبل موتهم فعذبوا بالجوع والقحط سبع سنين وبالقتل يوم بدر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن العذاب ينزل بهم

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨]

٤٨ ﴿واصبر لحكم ربك﴾ بامهالهم ولا يضيق صدرك (فإنك بأعيننا) بمرأى منا نراك وتحفظك

خلق عليها فواعده بحراء فنزل جبريل في صورة
الآدميين

﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدَّنَا﴾ [النجم: ٨]

٨ ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قرب منه (فَدَدَّنَا) زاد في القرب

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩]

٩ ﴿فَكَانَ﴾ منه (قَابَ) قدر (قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) من
ذلك حتى أفاق وسكن روعه

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]

١٠ ﴿فَأَوْحَى﴾ تعالى (إِلَى عَبْدِهِ) جبريل (مَا
أَوْحَى) جبريل إلى النبي ﷺ ولم يذكر الموحي
تفخيما لشأنه

﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]

١١ ﴿مَا كَذَّبَ﴾ بالتخفيف والتشديد أنكر
(الْفُؤَادُ) فؤاد النبي (مَا رَأَى) يبصره من صور جبريل

﴿أَفَتَسْمُرُونَهُ عَلَىٰ مَا بَرَأَ﴾ [النجم: ١٢]

١٢ ﴿أَفَتَسْمُرُونَهُ﴾ تجادلونه وتغلبونه (عَلَىٰ مَا
بَرَأَ) خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي ﷺ
لجبريل

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]

١٣ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ على صورته (نَزْلَةً) مرة (أُخْرَى)

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ١٤]

١٤ ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ لما أسري به في
السموات وهي شجرة نبت عن يمين العرش
لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم.

﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٥]

١٥ ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ تأوي إليها الملائكة
وأرواح الشهداء والمؤمنين

﴿إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٦]

١٦ ﴿إِذْ﴾ حين (يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى) من
طير وغيره وإذ معمولة لرأه

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧]

١٧ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ من النبي ﷺ (وَمَا طَغَى)

(وَسَبَّخَ) متلبسا (بِحَمْدِ رَبِّكَ) أي قل سبحان الله
وبحمده (حِينَ تَقُومُ) من منامك أو من مجلسك

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحُهُ وَإِذْ بَرَ التَّجْوَمُ﴾ [الطور: ٤٩]

٤٩ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحُهُ﴾ حقيقة أيضا (وَإِذْ بَرَ
التَّجْوَمُ) مصدر أي عقب غروبها سبحه أيضا أوصل
في الأول العشاءين وفي الثاني الفجر وقيل الصبح.

٥٣ سورة النجم

مكية وآياتها ٦٢ اثنتان وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: ١]

١ ﴿وَالنَّجْمِ﴾ الثريا (إِذَا هَوَى) غاب

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢]

٢ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ محمد عليه الصلاة
والسلام عن طريق الهداية (وَمَا غَوَى) ما لابس
الغي. وهو جهل من اعتقاد فاسد

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ٣]

٣ ﴿وَمَا يَنْطِقُ﴾ بما يأتيكم به (عَنِ الْهَوَى) هوى
نفسه.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤]

٤ ﴿إِنْ﴾ ما (هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) إليه

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥]

٥ ﴿عَلَّمَهُ﴾ إياه ملك (شَدِيدُ الْقُوَى)

﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: ٦]

٦ ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قوة وشدة أو منظر حسن أي
جبريل عليه السلام (فَاسْتَوَى) استقر

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ [النجم: ٧]

٧ ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ أفق الشمس أي عند
مطلعها على صورته التي خلق عليها فرآه النبي ﷺ
وكان بحراء قد سد الأفق إلى المغرب فخر مغشبا
عليه وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التي

٢٤ ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ أَيُّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَمَّا تَمُنَّى﴾ من أن الأصنام تشفع لهم ليس الأمر كذلك

﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ [النجم: ٢٥]

٢٥ ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ أي الدنيا فلا يقع فيهما إلا ما يريد تعالى

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضَى﴾ [النجم: ٢٦]

٢٦ ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ﴾ أي وكثير من الملائكة (في السموات) وما أكرمهم عند الله (لا تُغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لهم فيها (لِمَنْ يَشَاءُ) من عباده (وَيُرِضَى) عنه لقوله «ولا يشفعون إلا لمن ارتضى» ومعلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها «من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه»

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْئُرُونَ اللَّيْلَةَ سَيْئَةً﴾

﴿الأنبياء﴾ [النجم: ٢٧]

٢٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْئُرُونَ﴾ الملائكة تسمية الأنبياء حيث قالوا هم بنات الله

﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا

يُغْنِي مِنَ العَمَى شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨]

٢٨ ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾ بهذا القول (مِنْ عِلْمٍ إِنْ) ما (يَتَّبِعُونَ) فيه (إِلَّا الظَّنَّ) الذي تخيلوه (وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ العَمَى شَيْئًا) أي عن العلم فيما المطلوب فيه العلم

﴿فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَكَّلَ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩]

٢٩ ﴿فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَكَّلَى﴾ عن ذكرنا (وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) وهذا قبل الأمر بالجهاد

﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾ [النجم: ٣٠]

٣٠ ﴿ذَلِكَ﴾ أي طلب الدنيا (مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) نهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى) عالم بهما فيجازيها

أي ما مال بصره عن مرثيه المقصود له ولا جاوزه تلك الليلة

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨]

١٨ ﴿لَقَدْ رَأَى﴾ فيها (مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) العظام أي بعضها فرأى من عجائب الملكوت رفرفا أخضر سد أفق السماء وجبريل له ستمائة جناح

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ [النجم: ١٩]

١٩ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾

﴿وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَى﴾ [النجم: ٢٠]

٢٠ ﴿وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ﴾ للتين قبلها (الآخري) صفة ذم للثالثة وهي أصنام من حجارة كان المشركون يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله ومفعول أفرايتم الأول اللات وما عطف عليه والثاني محذوف والمعنى أخبروه ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما فتعبدوها دون الله القادر على ما تقدم ذكره؟ ولما زعموا أيضا أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزلت

﴿الْكُمْ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ [النجم: ٢١]

٢١ ﴿الْكُمْ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾

﴿بَلَّكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ [النجم: ٢٢]

٢٢ ﴿بَلَّكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ جائزة من ضازه يضيئه إذا ظلمه وجار عليه

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]

٢٣ ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي المذكورات (إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا) أي سميت بها (أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) أصناما تعبدونها (مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا) أي بعبادتها (مِنْ سُلْطَانٍ) حجة وبرهان (إِنْ) ما (يَتَّبِعُونَ) في عبادتها (إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ) مما زين لهم الشيطان من أنها تشفع لهم عند الله تعالى (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى) على لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع فلم يرجعوا عما هم عليه

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمُنَّى﴾ [النجم: ٢٤]

﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ [النجم: ٣٤]

٣٤ (وَأَعْطَى قَلِيلًا) من المال المسمى (وَأَكْدَى) منع الباقي مأخوذ من الكدية وهي أرض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر

﴿أَعْنَدُهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بَرِيءٌ﴾ [النجم: ٣٥]

٣٥ (أَعْنَدُهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بَرِيءٌ) يعلم من جملة أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة ؟ لا، وهو الوليد بن المغيرة أو غيره وجملة أعنده المفعول الثاني لرأيت بمعنى أخبرني

﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ [النجم: ٣٦]

٣٦ (أَمْ) بل (لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى) أسفار التوراة أو صحف قبلها

﴿وَاتَّبَعْتَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النجم: ٣٧]

٣٧ (وَ) صحف (وَاتَّبَعْتَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) تم ما أمر به نحو «وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن وبيان ماء

﴿أَلَا نَزَرُ نَزْرًا وَرَزَرًا﴾ [النجم: ٣٨]

٣٨ (أَلَا) ن (لَا نَزَرُ وَرَزَرًا) إلخ وأن مخففة من الثقيلة أي أنه لا تحمل نفس ذنب غيرها

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]

أن يحمل فلم يجد ما يخرج عليه فلقى صديقاً له فقال: أعطني شيئاً فقال: أعطيك بكرى هذا على أن تحمل ذنوبي فقال له: نعم فأنزل الله: «أفرأيت الذي تولى» الآيات. * وأخرج عن دراج أبي السمع قال: خرجت سرية غازية فسأل رجل رسول الله ﷺ أن يحمله فقال: لا أجد ما أحملك عليه فانصرف حزينا فمرّ بـ رجل رحاله منيخة بين يديه فشكا إليه فقال له الرجل: هل لك أن أحملك فتلحق الجيش بحسناتك؟ فقال: نعم فركب فنزلت: «أفرأيت الذي تولى» إلى قوله: «ثم يجزاه الجزاء الأوفى».

* وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: إن رجلاً أسلم فلقبه بعض من يعيره فقال: أتركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت أنهم في النار قال: إني خشيت عذاب الله قال: أعطني شيئاً وأنا أحمل كل عذاب كان عليك فأعطاه شيئاً فقال: زدني فتعاسر حتى أعطاه شيئاً وكتب كتاباً وأشهد له فقيه نزلت هذه الآية: «أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلاً وأكدى».

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا يَمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾ [النجم: ٣١]

٣١ (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) هو مالك لذلك ومنه الضال والمهتدي يضل من يشاء ويهدي من يشاء (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا يَمَا عَمِلُوا) من الشرك وغيره (وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا) بالتوحيد وغيره من الطاعات (بِالْحَسَنَى) الجنة وبين المحسنين بقوله

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِنْتِمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّعْمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]

٣٢ (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِنْتِمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّعْمَ) هو صغار الذنوب كالنظرة والقبلة واللمسة فهو استثناء منقطع والمعنى لكن اللعْم يغفر باجتنا الكبائر (إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ) بذلك وبقبول التوبة ونزل فيمن كان يقول صلاتنا وصيامنا حجبنا (هُوَ أَعْلَمُ) عالم (بِكُمْ) إذْ أَنْشَأَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ (أَي) خلق أباكم آدم من التراب (وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ) جمع جنين (فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) فلا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ) لا تمدحوها على سبيل الإعجاب أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن (هُوَ أَعْلَمُ) أي عالم (بِمَنِ اتَّقَى). (١)

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ [النجم: ٣٣]

٣٣ (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى) عن الإيمان ارتد لما غير به وقال إني خشيت عقاب الله فضمن له المعير أن يحمل عنه عذاب الله إن رجع إلى شركه وأعطاه من ماله كذا فرجع

٥٣ - سورة النجم

(١) أسباب نزول الآية ٣٢: أخرج الواحدي والطبراني وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير: «هو صديق» فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «كذبت اليهود ما من نسمة يخلفه الله في بطن أمه إلا ويعلم أنه شقي أو سعيد» فأنزل الله عند ذلك هذه الآية: «هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض» الآية. (٢) أسباب نزول الآيات ٣٣ - ٤١: وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة أن النبي ﷺ خرج في غزوة فجاء رجل يريد

٣٩ (وَأَنْ) أَنَّهُ (لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) مِنْ خَيْرِ فَيْلِسَ لَهُ مِنْ سَعْيِهِ غَيْرُهُ لِلْخَيْرِ شَيْءٍ

﴿وَأَنْ سَعَيْهِمْ سَوْفَ يُرَى﴾ [النجم: ٤٠]

٤٠ (وَأَنْ سَعَيْهِمْ سَوْفَ يُرَى) يَبْصُرُ فِي الْآخِرَةِ

﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ [النجم: ٤١]

٤١ (ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى) الْأَكْمَلَ يُقَالُ لَهُ جَزَيْتُهُ سَعِيَهُ وَبَسَعِيَهُ.

﴿وَأَنْ إِنْ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ٤٢]

٤٢ (وَأَنْ) بِالْفَتْحِ عَطْفًا وَقَرِءْ بِالْكَسْرِ اسْتِثْنَاءً وَكَذَا مَا بَعْدَهَا فَلَا يَكُونُ مَضمُونِ الْجَمَلِ فِي الصَّحْفِ عَلَى الثَّانِي (إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى) الْمَرْجِعِ وَالْمَصِيرِ بَعْدَ الْمَوْتِ فِيجَازِيهِمْ

﴿وَأَنْتُمْ هُوَ أَضْحَكٌ وَابْتُكِيَ﴾ [النجم: ٤٣]

٤٣ (وَأَنْتُمْ هُوَ أَضْحَكٌ) مِنْ شَاءِ أَفْرَحِهِ (وَابْتُكِيَ) مِنْ شَاءِ أَحْزَنِهِ

﴿وَأَنْتُمْ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ [النجم: ٤٤]

٤٤ (وَأَنْتُمْ هُوَ أَمَاتٌ) فِي الدُّنْيَا (وَأَحْيَا) لِلْبَعْثِ

﴿وَأَنْتُمْ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [النجم: ٤٥]

٤٥ (وَأَنْتُمْ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ) الصَّنْفَيْنِ (الذَّكَرَ وَالْأُنثَى)

﴿مَنْ نُنْفَخُهَا إِذَا تَمَنَّيَ﴾ [النجم: ٤٦]

٤٦ (مَنْ نُنْفَخُهَا) مِنْ نَفْسٍ (إِذَا تَمَنَّيَ) تَصَبَّ فِي الرَّحْمِ

﴿وَأَنْ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْآخَرَى﴾ [النجم: ٤٧]

٤٧ (وَأَنْ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ) بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ (الْآخَرَى) الْخَلْقَةُ الْآخَرَى لِلْبَعْثِ بَعْدَ الْخَلْقَةِ الْأُولَى

﴿وَأَنْتُمْ هُوَ أَعْنَى وَأَقْنَى﴾ [النجم: ٤٨]

٤٨ (وَأَنْتُمْ هُوَ أَعْنَى) النَّاسَ بِالْكَفَايَةِ بِالْأَمْوَالِ (وَأَقْنَى) أَعْطَى الْمَتَّخِذِ قَنِيَةً

﴿وَأَنْتُمْ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى﴾ [النجم: ٤٩]

٤٩ (وَأَنْتُمْ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى) هُوَ كَوْكَبٌ خَلْفَ الْجُوزَاءِ كَانَتْ تَعْبُدُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

﴿وَأَنْتُمْ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٠]

٥٠ (وَأَنْتُمْ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى) وَفِي قِرَاءَةِ يَادْغَامِ التَّنْوِينِ فِي اللَّامِ وَضَمُّهَا بِلا هَمْزَةٍ وَهِيَ قَوْمُ عَادِ وَالْآخَرَى قَوْمُ صَالِحٍ

﴿وَتَمُودًا فَمَا أَتَقَى﴾ [النجم: ٥١]

٥١ (وَتَمُودًا) بِالصَّرْفِ اسْمٌ لِلْأَبِ وَبِلا صَرْفٍ لِلْقَبِيلَةِ وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى «عَادًا» (فَمَا أَتَقَى) مِنْهُمْ أَحَدًا

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِيَّتِهِمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَى﴾

٥٢ (وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ) أَي قَبْلَ عَادِ وَتَمُودِ أَهْلِكَ نَاهِمٌ (إِيَّتِهِمْ) كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَى مِنْ عَادِ وَتَمُودِ لَطُولِ لَبِثِ نُوحٍ فِيهِمْ (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) وَهُمْ مَعَ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ بِهِ يُؤْذُونَهُ وَيَضْرِبُونَهُ

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ [النجم: ٥٣]

٥٣ (وَالْمُؤْتَفِكَةَ) وَهِيَ قَرَى قَوْمِ لُوطٍ (أَهْوَى) أَسْقَطَهَا بَعْدَ رَفْعِهَا إِلَى السَّمَاءِ مَقْلُوبَةً إِلَى الْأَرْضِ بِأَمْرِ جَبْرِئِيلَ بِذَلِكَ

﴿فَعَسَّهَا مَا عَسَى﴾ [النجم: ٥٤]

٥٤ (فَعَسَّهَا) مِنَ الْحِجَارَةِ بَعْدَ ذَلِكَ (مَا عَسَى) أَبْهَمُ تَهْوِيلًا وَفِي هُودٍ (فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سَجِيلٍ).

﴿فِيآبَى آءِآ رَبِّكَ تَنَمَّارَى﴾ [النجم: ٥٥]

٥٥ (فِيآبَى آءِآ رَبِّكَ) أَنْعَمَ الدَّلَالَةُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ (تَنَمَّارَى) تَشْكُكُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَوْ تَكْذِبُ؟

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٦]

٥٦ (هَذَا) مُحَمَّدٌ (نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى) مِنْ جَنْسِهِمْ أَي رَسُولٌ كَالرَّسْلِ قَبْلَهُ أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلُوا إِلَى أَقْوَامِهِمْ

﴿أَرْفَتِ الْأَرْفَةَ﴾ [النجم: ٥٧]

٥٧ (أَرْفَتِ الْأَرْفَةَ) قَرِبَتِ الْقِيَامَةُ

﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨]

٥٨ (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ) نَفْسٌ (كَاشِفَةٌ) أَي

٢ (وَإِنْ يَرَوْا كُفْرًا قَرِيضًا) (آية) معجزة له ﷺ (يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا) هذا (سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) قوي من المرة القوة أو دائم

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾

٣ (وَكَذَّبُوا) النبي ﷺ (وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) في الباطل (وَكُلُّ أَمْرٍ) من الخير والشر (مُستَقَرٌّ) بأهله في الجنة أو النار

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ﴾

٤ (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ) أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلهم (مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ) لهم اسم مصدر أو اسم مكان والذال بدل من تاء الافتعال وازدجرته وزجرته نهيته بغلظة وما موصولة أو موصوفة

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنْدُرُ﴾ [القمر: ٥]

٥ (حِكْمَةٌ) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من ما أو من مردجر (بَالِغَةٌ) تامة (فَمَا تُغْنِ) تنفع فيهم (الْأُنْدُرُ) جمع نذير بمعنى منذر أي الأمور المنذرة لهم وما للنفى أو للاستفهام الإنكاري وهي على الثاني مفعول مقدم

﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾

٦ (فَقَوْلٌ عَنْهُمْ) هو فائدة ما قبله وتم به الكلام (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ) هو إسرئيل وناصب يوم يخرجون بعد (إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ) بضم الكاف وسكونها أي منكر تنكره النفوس وهو الحساب

﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَبِرٌ﴾

﴿(خُشَعًا) أي ذليلاً وفي قراءة بضم الخاء وفتح الشين مشددة (أَبْصَرُهُمْ) حال من الفاعل (يَخْرُجُونَ) أي الناس (مِنَ الْأَجْدَاثِ) القبور (كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَبِرٌ) لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة والجملة حال من فاعل يخرجون وكذا قوله

﴿مُهْطِعِينَ إِلَىٰ الدَّاعِ يَقُولُ الْكَاذِبُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾

٨ (مُهْطِعِينَ) مسرعين ماديين أعناقهم (إِلَىٰ الدَّاعِ) يَقُولُ الْكَاذِبُونَ) منهم (هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ) صعب على الكافرين كما في المدثر (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير).

لا يكشفها ويظهرها إلا هو كقوله «لا يجليها لوقتها إلا هو»

﴿أَفَيْنَ هَذَا الْقَدِيثِ تَعَجِبُونَ﴾ [النجم: ٥٩]

٥٩ (أَفَيْنَ هَذَا الْقَدِيثِ) القرآن (تَعَجِبُونَ) تكديبا

﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ [النجم: ٦٠]

٦٠ (وَتَضْحَكُونَ) استهزاء (وَلَا تَبْكُونَ) لسماع

وعده ووعيده

﴿وَأَنْتُمْ سَائِدُونَ﴾ [النجم: ٦١]

٦١ (وَأَنْتُمْ سَائِدُونَ) لاهون غافلون عما يطلب منكم^(١).

﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: ٦٢]

٦٢ (فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ) الذي خلقكم (وَاعْبُدُوا)

ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

٥٤ سورة القمر

مكية إلا آية ٤٤، وآياتها خمس وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]

١ (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) قربت القيامة (وانشَقَّ الْقَمَرُ) انفلق فلقين على أبي قبيس وقيعان آية له ﷺ وقد سألها فقال «اشهدوا» رواه الشيخان.^(٢)

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾

(١) أسباب نزول الآية ٦١: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كانوا يبرون على رسول الله ﷺ وهو يصلي شامخين فنزلت: «وأنتم سامدون».

٥٤ - سورة القمر

(٢) أسباب نزول الآية ١: أخرج الشيخان والحاكم واللفظ له عن ابن مسعود قال: رأيت القمر منشقاً شقين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ فقالوا: سحر القمر فنزلت: «اقتربت الساعة وانشق القمر».

* وأخرج الترمذي عن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت: «اقتربت الساعة وانشق القمر» إلى قوله: «سحر مستمر».

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرُوا ﴾

٩ (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ) قبل قريش (قَوْمُ نُوحٍ) تأتيث الفعل لمعنى قوم (فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا) نوحاً (وَقَالُوا) مَجْنُونٌ وازْدَجَرُوا انتهروه بالسب وغيره

﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾ [القمر: ١٠]

١٠ (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي) بالفتح أي بأني (مَغْلُوبٌ) فَانْتَصِرْ (فَانْتَصِرْ)

﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ﴾ [القمر: ١١]

١١ (فَفَتَحْنَا) بالتخفيف والتشديد (أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ) منصب انصباباً شديداً

﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُدِرَ ﴾

١٢ (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا) تبع (فَالْتَقَى الْمَاءُ) ماء السماء والأرض (عَلَى أَمْرٍ) حال (قَدْ فُدِرَ) قضي به في الأزل وهو هلاكهم غرقاً

﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ [القمر: ١٣]

١٣ (وَحَمَلْنَاهُ) نوحاً (عَلَى) سفينة (ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) وهو ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها واحداً دسار كتاب

﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرًا ﴾ [القمر: ١٤]

١٤ (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا أي محفوظة (جَزَاءً) منصوب بفعل مقدر أي أغرقوا انتصاراً (لِمَن كَانَ كُفِرًا) وهو نوح عليه السلام وقرىء كفر بالبناء للفاعل أي أغرقوا عقاباً لهم

﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مَّدَكِرٍ ﴾ [القمر: ١٥]

١٥ (وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا) آيَةً هذه الفعلة (آيَةً) لمن يعتبر بها أي شاع خبرها واستمر (فَهَلْ مِن مَّدَكِرٍ) معتبر ومتعظ بها وأصله مذتكر أبدلت التاء دالاً مهمله وكذا المعجمة وأدغمت فيها

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ [القمر: ١٦]

١٦ (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي) أي إنذاري؟ استفهام تقرير وكيف خبر كان وهي للسؤال عن الحال والمعنى حمل المخاطبين على الأقرار بوقوع عذابه تعالى بالمكذبين لنوح موقعه

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِرٍ ﴾

١٧ (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر (فَهَلْ مِن مُّدَكِرٍ) متعظ به وحافظ له؟ والاستفهام بمعنى الأمر أي احفظوه واتعظوا به وليس يحفظ من كتب الله عن ظهر قلب غيره

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ [القمر: ١٨]

١٨ (كَذَّبَتْ عَادٌ) نبيهم هوداً فعذبوه (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي) إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؟ أي وقع موقعه وقد بينه بقوله

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾

١٩ (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) شديدة الصوت (فِي يَوْمِ نَحْسٍ) شؤم (مُستَمِرٍّ) دائم الشؤم أو قويه وكان يوم الأربعاء آخر الشهر

﴿ تَنَزَّعَ النَّاسُ ظُلُمَاتٍ مِّنْ أَعْيُنِهِمْ فَخِلُّ يُشَقِرُّ ﴾ [القمر: ٢٠]

٢٠ (تَنَزَّعَ النَّاسُ) تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها وتصرعهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد (كَأَنَّهُمْ) وحالهم ما ذكر (أَعْيُنُهُمْ) أصول (نَخِلٌ مُنْقَعِرٌ) منقطع ساقط على الأرض وشبهوا بالنخل لطولهم وذكر هنا وأنث في الحاقفة (نخل خاوية) مراعاة للفواصل في الموضعين

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ [القمر: ٢١]

٢١ (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي)

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِرٍ ﴾

٢٢ (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) فَهَلْ مِن مُّدَكِرٍ

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴾ [القمر: ٢٣]

٢٣ (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ) جمع نذير بمعنى منذر أي بالأمر التي أنذروهم بها نبيهم صالح إن لم يؤمنوا به ويتبعوه

﴿ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاجِدًا نَبِيعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُغْرٍ ﴾

٢٤ (فَقَالُوا أَبَشْرًا) منصوب على الاشتغال (مِمَّا وَاجِدًا) صفتان (لبشر) (نَبِيعُهُ) مفسر للفعل الناصب له والاستفهام بمعنى النفي المعنى كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة وهو واحد منا وليس بملك؟ أي لا نتبعه (إِنَّا إِذَا) إن اتبعناه (لَفِيَ ضَلَالٍ) ذهاب

عن الصواب (وسُغِر) جنون

﴿أُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾

٢٥ (أُلْقِيَ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه (الذِّكْر) الوحي (عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا) لم يوح إليه (بَلْ هُوَ كَذَّابٌ) في قوله إنه أوحى إليه ما ذكر (أَشِرٌّ) متكبر بطر قال تعالى

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ﴾ [المقمر: ٢٦]

٢٦ (سَيَعْلَمُونَ غَدًا) في الآخرة (مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ) هو أو هم بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحا

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَبَنَيْتُمْ لَهَا قَبْرًا وَاضْطَرَّ﴾

٣٧ (إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ) مخرجوها من الهضبة الصخرة كما سألوا (فَبَنَيْتُمْ لَهَا قَبْرًا) لنختبرهم (فَارْتَقِبْهُمْ) يا صالح انتظر ما هم صانعون وما يصنع بهم (واضْطَرَّ) الطاء بدل من تاء الافتعال أي اصبر على أذاهم

﴿وَيَنْتَهُمْ أَنْ أَلَمَاءَ فِئْمَةٍ يَنْتَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾

٢٨ (وَيَنْتَهُمْ أَنْ أَلَمَاءَ فِئْمَةٍ يَنْتَهُمْ) مقسوم (بَيْنَهُمْ) وبين الناقة فيوم لهم ويوم لها (كُلُّ شِرْبٍ) نصيب من الماء (مُحْتَضَرٌ) يحضره القوم يومهم والناقة يومها فتمادوا على ذلك ثم ملوه فهموا بقتل الناقة

﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَطَعْنُوهُ فَعَمَّ﴾ [المقمر: ٢٩]

٢٩ (فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ) قدارا ليقتلها (فَطَعْنُوهُ) تناول السيف (فَعَمَّ) به الناقة أي قتلها موافقة لهم

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [المقمر: ٣٠]

٣٠ (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي) إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله أي وقع موقعه وبينه بقوله

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾

٣١ (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ) هو الذي يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك يحفظهن فيها من الذئاب والسباع وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم

﴿وَلَقَدْ بَيَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

٣٢ (وَلَقَدْ بَيَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ)

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِينَ﴾ [المقمر: ٣٣]

٣٣ (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِينَ) بالأمور المنذرة لهم على لسانه

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾

٣٤ (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا) ريحا ترميهم بالحصباء وهي صغار الحجارة الواحد دون ملء الكف فهللكوا (إِلَّا آلَ لُوطٍ) أهله وابنتاه معه (نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) من الأسحار أي وقت الصباح من يوم غير معين ولو أريد من يوم معين لمنع من الصرف لأنه معرفة معدول عن السحر لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بأل وهل أرسل الحاصب على آل لوط أولا؟ قولان وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل وعلى الثاني بأنه منقطع وإن كان من الجنس تسمحا

﴿رِعْمَةً مِّنْ عَيْنِنَا كَذَّابِكُمْ تَجْرِي مِّنْ شَكْرٍ﴾

٣٥ (رِعْمَةً) مصدر أي إنعاما (مِّنْ عَيْنِنَا كَذَّابِكُمْ) مثل ذلك الجزاء (تَجْرِي مِّنْ شَكْرٍ) أنعمنا وهو مؤمن أو من آمن بالله ورسوله وأطاع الله ورسوله

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ [المقمر: ٣٦]

٣٦ (وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ) خوفهم لوط (بَطْشَتَنَا) أخذتنا إياهم بالعذاب (فَتَمَارَوْا) تجادلوا وكذبوا (بِالنُّذُرِ) بإنذارهم

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيْفِهِ فَمَسَسَا أَعْيُنَهُمْ فُدُوقًا عَدَابِي

وَنُذْرِي﴾ [المقمر: ٣٧]

٣٧ (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيْفِهِ) أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف ليخبتوا بهم وكانوا ملائكة (فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) أعميناها وجعلناها بلا شق كباقي الوجه بأن صفقها جبريل بجناحيه (فَدُوقُوا) فقلنا لهم ذوقوا (عَدَابِي وَنُذْرِي) إنذاري وتخويفي أي ثمرته وفائدته

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمُ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [المقمر: ٣٨]

٣٨ (وَلَقَدْ صَبَّحَهُمُ بُكْرَةً) وقت الصباح من يوم غير معين (عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ) دائم متصل بعذاب الآخرة.

٤٧ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ هَلَاكٍ بِالْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا (وَشِعْرٍ) نَارٍ مَسْعِرَةٍ بِالتَّشْدِيدِ أَيْ مَهِيجَةٍ فِي الآخِرَةِ (١).﴾

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾

٤٨ ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ) فِي الآخِرَةِ وَيَقَالُ لَهُمْ (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) إِصَابَةَ جَهَنَّمَ لَكُمْ

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]

٤٩ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ) مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ يَفْسِرُهُ (خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) بِتَقْدِيرِ حَالٍ مِنْ كُلِّ أَيْ مَقْدَرًا وَقَرَى كُلَّ بِالرَّفْعِ مَبْتَدَأً خَبِرَهُ خَلْقَانَهُ

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]

٥٠ ﴿وَمَا أَمْرُنَا) لِشَيْءٍ نُرِيدُ وَجُودَهُ (إِلَّا) مَرَّةً (وَاجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) فِي السَّرْعَةِ وَهِيَ قَوْلٌ «كُنْ فَيُوجَدُ» (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

٥١ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ) أَشْبَاهَكُمْ فِي الْكُفْرِ مِنْ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ (فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ أَيْ اذْكُرُوا وَاتَعظُوا

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢]

٥٢ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ) أَي الْعِبَادَ مَكْتُوبٍ (فِي الزُّبُرِ) كَتَبَ الْحَفْظَةَ

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَظَرٌّ﴾ [القمر: ٥٣]

٥٣ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ) مِنَ الذَّنْبِ أَوْ الْعَمَلِ (مُسْتَظَنٌّ) مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ﴾ [القمر: ٥٤]

٥٤ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ) بِسَاتِينَ (وَنَهْرٍ) أُرِيدَ بِهِ الْجَنَسُ وَقَرَى بِضَمِّ النَّونِ وَالْهَاءِ جَمْعًا كَأَسَدٍ وَأَسَدٍ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَشْرَبُونَ مِنْ أَنْهَارِ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ وَالْعَسَلِ وَالْخَمْرِ.

﴿فَذُوقُوا عَذَابَ يُنذِرُ﴾ [القمر: ٣٩]

٣٩ ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٍ﴾

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

٤٠ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

﴿وَلَقَدْ جَاءَ مَالٌ فَرِعُونَ النَّذْرُ﴾ [القمر: ٤١]

٤١ ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ) قَوْمَهُ مَعَهُ (النُّذْرُ)

الْإِنذَارُ عَلَى لِسَانِ مُوسَى وَهَارُونَ فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِلِ

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ﴾

٤٢ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا) التَّسْعِ الَّتِي أُوتِيَهَا مُوسَى (فَأَخَذْنَاهُمْ) بِالْعَذَابِ (أَخَذَ عَزِيزٌ) قَوِي (مُقْتَدِرٌ) قَادِرٌ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ

﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾

٤٣ ﴿أَكْفَارُكُمْ) يَا قَرِيشَ (خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ) الْمَذْكُورِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ إِلَى فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَعْدُبُوا (أَمْ) لَكُمْ (بَرَاءَةٌ) يَا كُفَّارَ قَرِيشَ (بَرَاءَةٌ) مِنَ الْعَذَابِ (فِي الزُّبُرِ) الْكُتُبِ وَالِاسْتِفْهَامُ فِي الْمَوْضِعِ بِمَعْنَى النِّفْيِ أَيْ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ [القمر: ٤٤]

٤٤ ﴿أَمْ يَقُولُونَ) كُفَّارَ قَرِيشَ (نَحْنُ جَمِيعٌ) جَمْعٌ (مُنْتَصِرٌ) عَلَى مُحَمَّدٍ وَلَمَّا قَالَ أَبُو جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ إِنَّا جَمْعٌ مُنْتَصِرٌ نَزَلَ

﴿سَيِّئُهُمْ لَبِئْسَ وَيُولُونَ الدُّبُرِ﴾ [القمر: ٤٥]

٤٥ ﴿سَيِّئُهُمْ لَبِئْسَ) وَيُولُونَ الدُّبُرِ) فَهَزَمُوا بِيَدِ وَنَصَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ (١)

﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾

٤٦ ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ) بِالْعَذَابِ (وَالسَّاعَةُ) عَذَابُهَا (أَذَى) أَعْظَمُ بَلِيَّةٍ (وَأَمْرٌ) أَشَدُّ مَرَارَةً مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٤٧]

(١) أسباب نزول الآية ٤٧: وأخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت: «إن المجرمين في ضلال وسعر» إلى قوله: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ».

(١) أسباب نزول الآية ٤٥: وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: «قالوا يوم بدر: نحن جميع منتصر فنزلت: «سَيِّئُهُمْ لَبِئْسَ وَيُولُونَ الدُّبُرِ».

٨ ﴿أَلَّا تَطْغَوْا أَي لَأَجَلٌ أَنْ لَا تَجُورُوا﴾ (في الميزان) ما يوزن به

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾
٩ ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ بِالْعَدْلِ﴾ (ولا تُخْسِرُوا الميزان) تنقصوا الموزون

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْبَاءِ﴾ [الرحمن: ١٠]
١٠ ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ أثبتنا (للأنام) للخلق من الإنس والجان وغيرهم

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ [الرحمن: ١١]
١١ ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ﴾ المعهود (ذات الأكمام) أوعية طلعتها

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٢]
١٢ ﴿وَالْحَبُّ﴾ كالحنطة والشعير (ذو العصف) التبن (والرؤبخان) الورق المشموم

﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الرحمن: ١٣]
١٣ ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ﴾ نعم (رَبُّكُمْ) أيها الإنس والجن (تَكْفُرُونَ) ذكرت إحدى وثلاثين مرة والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر قال قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي أراكم سكوتم ؟ للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة (فبأي آية ربكما تكذبان) إلا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾
١٤ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ آدم (من صَلْصَلٍ) طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت إذا نفر (كالفخار) وهو ما طبخ من طين

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥]
١٥ ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ أبا الجن وهو إبليس (من مَّارِجٍ) من نَّارٍ هو لهبها الخالص من الدخان

﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الرحمن: ١٦]
١٦ ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾

﴿رَبِّ الشَّرْقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥]
٥٥ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم أريد به الجنس وقرئ مقاعد المعنى أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقل أن تسلم من ذلك وأعرب هذا خبرا ثانيا وبدلا وهو صادق ببدل البعض وغيره (عِنْدَ مَلِكٍ) مثال مبالغة أي عزيز الملك واسعه (مُقْتَدِرٍ) قادر لا يعجزه شيء وهو الله تعالى (وعنده) إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله تعالى.

* * *

سورة الرحمن

مكية إلا الآية ٢٩ فمجدنية، وآياتها ثمان وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ﴾ [الرحمن: ١]

١ ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الله تعالى

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ٢]

٢ ﴿عَلَّمَ﴾ من شاء (القرآن)

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: ٣]

٣ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أي الجنس

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤]

٤ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ النطق

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]

٥ ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ بجريان

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦]

٦ ﴿وَالنَّجْمُ﴾ ما لا ساق له من النبات (والشجر) ما له ساق (يسجدان) يخضعان لما يراد منهما

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧]

٧ ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أثبت العدل

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٨]

١٧ ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ مشرق الشتاء ومشرق الصيف (وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) كذلك

﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ١٨]

١٨ ﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾

﴿مَجَّ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ١٩]

١٩ ﴿مَجَّ الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والملح (يَلْتَقِيَانِ) في رأي العين

﴿بَيْنَهُمَا بَرْحٌ لَا يَبْعِيَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٢٠]

٢٠ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْحٌ﴾ حاجز من قدرته تعالى (لَا يَبْعِيَانِ) لا يبغي واحد منهما على الآخر فيختلط به

﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٢١]

٢١ ﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾

﴿يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْؤُؤُ وَالْمَرْجَاتُ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٢٢]

٢٢ ﴿يَخْرُجُ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل (مِنْهُمَا) من مجموعهما الصادق بأحدهما وهو الملح (اللُّؤُؤُ) والمرجان (حُرُزٌ أَحْمَرٌ أَوْ صَفَارُ اللَّوْؤُؤِ)

﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٢٣]

٢٣ ﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾

﴿وَلَهُ الْبُحُورُ الْمُنْتَشَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٢٤]

٢٤ ﴿وَلَهُ الْبُحُورُ الْمُنْتَشَاتُ﴾ السفن (الْمُنْتَشَاتُ) المحدثات (فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) كالجبال عظاما وارتفاعا

﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٢٥]

٢٥ ﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٢٦]

٢٦ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ الأرض من الحيوان (فَانٍ)

هالك وعبر بمن تغليا للعقلاء

﴿وَسَيِّئٌ وَبَغِيٌّ رَيْبُكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٢٧]

٢٧ ﴿وَسَيِّئٌ وَبَغِيٌّ وَرَيْبُكَ﴾ ذاته (ذُو الْجَلَالِ) العظمة (وَالْإِكْرَامِ) للمؤمنين بأنعمه عليهم

﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٢٨]

٢٨ ﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾

﴿يَسْتَأْذِنُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾

٢٩ ﴿يَسْتَأْذِنُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بنطق أو حال ما يحتاجون إليه من القوة على العبادة والرزق والمغفرة وغير ذلك (كُلُّ يَوْمٍ) وقت (هُوَ فِي شَأْنٍ) أمر يظهره على وفق ما قدره في الأزل من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وإغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك

﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٣٠]

٣٠ ﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾

﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَنَّهُ الثَّقَلَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٣١]

٣١ ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ﴾ سنقصد لحسابكم (أَيُّهَا الثَّقَلَانِ) الإنس والجن

﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٣٢]

٣٢ ﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾

﴿يَمَسَّرَ لَيْلٍ وَإِنْسٍ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُدُوا لَا تَنْفُدُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾

٣٣ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُدُوا﴾ تخرجوا (مِنْ أَقْطَارِ) نواحي (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُدُوا) أمر تعجيز (لَا تَنْفُدُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) بقوة ولا قوة لكم على ذلك

﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٣٤]

٣٤ ﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْابٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ﴾

٣٥ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْابٌ مِّن نَّارٍ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان أو معه (وَنُحَاسٌ) دخان لا لهب فيه (فَلَا تَنْصِرَانِ) تمتنعان من ذلك بل يسوقكم إلى المحشر

﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٣٦]

٣٦ ﴿فَيَأْتِي آءَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَسُكَّاتٌ فَجُودَةٌ كَالدَّهَانِ﴾

٣٧ ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ انفرجت أبوابا لنزول الملائكة (فَسُكَّاتٌ وَرَدَةٌ) أي مثلها محمرة (كَالدَّهَانِ) كالأديم الأحمر على خلاف العهد بها

وجواب إذا فما أعظم الهول

﴿فَيَأْتِي مَالَهُ رَبُّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٨]

٣٨ ﴿فَيَأْتِي آلَاءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

﴿فَيُؤْمِرُ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾

٣٩ ﴿فَيُؤْمِرُ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾

عن ذنبه ويسألون في وقت آخر فوربك لنسألنهم أجمعين والجان هنا وفيما سيأتي بمعنى الجنى والإنس فيهما بمعنى الإنسي

﴿فَيَأْتِي مَالَهُ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٠]

٤٠ ﴿فَيَأْتِي آلَاءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنُّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾

٤١ ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ سواد الوجوه وزرقة العيون ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنُّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾

﴿فَيَأْتِي مَالَهُ رَبُّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٢]

٤٢ ﴿فَيَأْتِي آلَاءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ تضم ناصية

كل منهم إلى قدميه من خلف أو قدام ويلقى في النار ويقال لهم

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [الرحمن: ٤٣]

٤٣ ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ مَّاءٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]

٤٤ ﴿يَطُوفُونَ﴾ يسعون ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماء

حار (آن) شديد الحرارة يسقونه إذا استغاثوا من حر النار وهو منقوص كقاص

﴿فَيَأْتِي مَالَهُ رَبُّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٥]

٤٥ ﴿فَيَأْتِي آلَاءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]

٤٦ ﴿وَلَمَن خَافَ﴾ أي لكل منهم أو

لمجموعهم (مَقَامَ رَبِّهِ) قيامه بين يديه للحساب فترك معصيته (جَنَّانٍ) (١).

﴿فَيَأْتِي مَالَهُ رَبُّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٧]

٤٧ ﴿فَيَأْتِي آلَاءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

﴿ذَوَاتَا أَفْتَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨]

٤٨ ﴿ذَوَاتَا﴾ تشبيه ذوات على الأصل ولامها ياء

(أَفْتَانٍ) أغصان جمع فنن كطلل

﴿فَيَأْتِي مَالَهُ رَبُّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٩]

٤٩ ﴿فَيَأْتِي آلَاءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠]

٥٠ ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾

﴿فَيَأْتِي مَالَهُ رَبُّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٥١]

٥١ ﴿فَيَأْتِي آلَاءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

﴿فِيهَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ رَّيَّانٍ﴾ [الرحمن: ٥٢]

٥٢ ﴿فِيهَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ في الدنيا أو كل ما

يتفكه به (رَّيَّانٍ) نوعان رطب ويابس والمر منها في الدنيا كالحنظل حلو

﴿فَيَأْتِي مَالَهُ رَبُّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٥٣]

٥٣ ﴿فَيَأْتِي آلَاءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

﴿مُشْكَبَاتٍ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِن إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ﴾

﴿ذَانِ﴾ [الرحمن: ٥٤]

٥٤ ﴿مُشْكَبَاتٍ﴾ حال عامله محذوف أي يتنعمون

(عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِن إِسْتَبْرَقٍ) ما غلظ من الديداج وحشن والظواهر من السندس (وَحَى الْجَنَّتَيْنِ) ثمرهما

(ذَانِ) قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع

﴿فَيَأْتِي مَالَهُ رَبُّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٥٥]

٥٥ ﴿فَيَأْتِي آلَاءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

﴿فِيهَا قَصِيرَاتُ الْفَرْبِ لَمْ يَطْوِيْنَهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُنَّ وَلَا جَانٌّ﴾

٥٦ ﴿فِيهَا﴾ في الجنتين وما اشتملتا عليه من

وفكر في القيامة والموازين والجنة والنار فقال: وددت أني كنت خضراء من هذه الخضرة تأتي علي بهيمة تأكلني وأنني لم أخلق فنزلت: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ الآية.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق.

٥٥ - سورة الرحمن

(١) أسباب نزول الآية ٤٦: أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطاء: أن أبا بكر الصديق ذكر ذات يوم

٦٨ ﴿فِيهِمَا فَآكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ هما منها
وقيل من غيرها

﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٦٩]
٦٩ ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾

﴿فِيهِنَّ خَيْرٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠]

٧٠ ﴿فِيهِنَّ﴾ الجنتين وما فيهما (خَيْرَاتٌ) أخلاقا
(حِسَانٌ) وجوها

﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٧١]
٧١ ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾

﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَارِ﴾ [الرحمن: ٧٢]

٧٢ (حُورٌ) شديداً سواد العيون وبياضها
(مَّقْصُورَاتٌ) مستورات (فِي الْخِيَارِ) من در مجوف
مضافة إلى القصور شبيهة بالخدور

﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٧٣]
٧٣ ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾

﴿لَمْ يَطْمِئِنُّنَّ إِسْرَافَ قَلْبُهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٧٤]
٧٤ ﴿لَمْ يَطْمِئِنُّنَّ إِسْرَافَ قَلْبُهُمْ﴾ قبل أزواجهن
(وَلَا جَانٌّ)

﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٧٥]
٧٥ ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾

﴿مُعْتَكِبِينَ عَلَى رَقَبِ حُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾

٧٦ ﴿مُعْتَكِبِينَ﴾ أي أزواجهن وإعراجه كما تقدم
(عَلَى رَقَبِ حُضْرٍ) جمع ررفة أي بسط أو وسائد
(وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) جمع عبقرية أي طنافس

﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٧٧]
٧٧ ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾

﴿بَرِّكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨]
٧٨ ﴿بَرِّكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾
تقدم ولفظ اسم زائد.

العلائي والقصور (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) العين علي
أزواجهن المتكئين من الإنس والجن (لَمْ يَطْمِئِنُّنَّ)
يفتضهن وهن من الحور أو من نساء الدنيا
المنشآت (إِسْرَافَ قَلْبُهُمْ وَلَا جَانٌّ)

﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٥٧]
٥٧ ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾

﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨]
٥٨ ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ﴾ صفاء (وَالْمَرْجَانُ) اللؤلؤ
بياضاً.

﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٥٩]
٥٩ ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]
٦٠ ﴿هَلْ﴾ ما (جَزَاءُ الْإِحْسَانِ) بالطاعة (إِلَّا)
الإحسان) بالنعيم

﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٦١]
٦١ ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢]

٦٢ ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ الجنتين المذكورتين
(جَنَّتَانِ) أيضاً لمن خاف مقام ربه

﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٦٣]
٦٣ ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾

﴿مُدَهَّمَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤]

٦٤ ﴿مُدَهَّمَتَانِ﴾ سوداوان من شدة خضرتهما

﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٦٥]
٦٥ ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ فَصَاحَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦]

٦٦ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ فَصَاحَتَانِ﴾ فوارتان بالماء

﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٦٧]
٦٧ ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبُّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾

﴿فِيهِمَا فَكِهِةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]

سورة الواقعة ٥٦

مكية إلا الآية ٢٣ ، ٨١ ، وآياتها ٩٦ وتسعون آية

يَسِرُّهُ آفَاقُ الْعُرْسِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١]

١ (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) قامت القيامة

﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا كاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢]

٢ (لَيْسَ لَوْعَتِهَا كاذِبَةٌ) نفس تكذب بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا

﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣]

٣ (خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ) مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار ورفع آخرين بدخولهم الجنة

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ [الواقعة: ٤]

٤ (إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا) حركت حركة شديدة

﴿وَبُئِتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ [الواقعة: ٥]

٥ (وَبُئِتِ الْجِبَالُ بَسًا) فتت

﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبِنًا﴾ [الواقعة: ٦]

٦ (فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبِنًا) غباراً (مُتَّبِنًا) منتشرًا، و«إِذَا» الثانية بدل من الأولى

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧]

٧ (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا) أصنافاً (ثَلَاثَةً)

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨]

٨ (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم مبتدأ خبره (مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الواقعة: ٩]

٩ (وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) الشمال بأن يؤتى كل منهم كتابه بشماله (مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) تحقير لشأنهم بدخول النار

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]

١٠ (وَالسَّابِقُونَ) إلى الخير وهم الأنبياء، مبتدأ (السَّابِقُونَ) تأكيد لتعظيم شأنهم

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١١]

١١ - والخير (أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)

﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٢]

١٢ (فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ)

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى﴾ [الواقعة: ١٣]

١٣ (ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى) مبتدأ، جماعة من الأمم الماضية (١)

﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٤]

١٤ (وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ) من أمة محمد ﷺ وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة . والخير :

﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة: ١٥]

١٥ (عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) منسوجة بقضبان الذهب والجواهر

﴿مُتَّكِعِينَ عَالَمِينَ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الواقعة: ١٦]

١٦ (مُتَّكِعِينَ عَالَمِينَ مُتَقَابِلِينَ) حالان من الضمير في الخبر

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة: ١٧]

١٧ (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ) للخدمة (وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ)

٥٦- سورة الواقعة

(١) أسباب نزول الآيتين ١٣ ، ٣٩ : أخرج أحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم بسند فيه من لا يعرف عن أبي هريرة قال: لما نزلت: «ثلة من الأولين وقليل من الآخرين» شق ذلك على المسلمين فنزلت: «ثلة من الأولين وثلة من الآخرين» . * وأخرج ابن عساکر في تاريخ دمشق بسند فيه نظر من طريق عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» وذكر فيها «ثلة من الأولين وقليل من الآخرين» قال عمر: يا رسول الله ثلة من الأولين وقليل منا ؟ فأمسك آخر السورة سنة ثم نزلت: «ثلة من الأولين وثلة من الآخرين» فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله «ثلة من الأولين وثلة من الآخرين» . * وأخرجه ابن أبي حاتم عن عروة بن رويم مرسلًا .

على شكل الأولاد لا يهرمون

﴿يَأْكُوبِ وَأَبْرِيْقَ وَكَأَيِّن مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٨]
 ١٨ (يَأْكُوبِ) أقداح لا عُرا لها (وَأَبْرِيْقَ) لها
 عرا وخراطيم (وَكَأَيِّن) إناء شرب الخمر (مِّن مَّعِينٍ)
 أي خمر جارية من منبع لا ينقطع أبداً

﴿لَّا يَصُدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩]

١٩ (لَّا يَصُدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ) بفتح الزي
 وكسرها، من نرف الشارب وأنرف أي لا يحصل لهم
 منها صداد ولا ذهاب عقل بخلاف خمر الدنيا

﴿وَفَلَكِهَ مِمَّا يَسْحَبُونَ﴾ [الواقعة: ٢٠]

٢٠ (وَفَلَكِهَ) مِمَّا يَسْحَبُونَ

﴿وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَبُونَ﴾ [الواقعة: ٢١]

٢١ (وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَبُونَ)

﴿وَحُورٍ عِينٍ﴾ [الواقعة: ٢٢]

٢٢ (و) لهم للاستمتاع (حُورٍ) نساء شديداً
 سواد العيون وبياضها (عِينٍ) ضخام العيون، كسرت
 عينه بدل ضمها لمجانسة الباء ومفرده عيناء
 كحمرء، وفي قراءة بجر حور عين

﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٣]

٢٣ (كَأَمْثَالِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ) المصون

﴿جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٤]

٢٤ (جَزَاءً) مفعول له أو مصدر والعامل مقدر
 جعلنا لهم ما ذكر للجزاء أو جزيناهم (يَمَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ)

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا﴾

[الواقعة: ٢٥]

٢٥ (لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا) في الجنة (لَغْوًا) فاحشاً
 من الكلام (وَلَا تَأْتِيًا) ما يؤثم

﴿إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٦]

٢٦ (إِلَّا) لكن (قِيلاً) قولاً (سَلَامًا سَلَامًا) بدل
 من قِيلاً فإنهم يسمعون

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧]

٢٧ (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ) (١)

﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨]

٢٨ (فِي سِدْرٍ) شجر النبق (مَّخْضُودٍ) لا شوك فيه.

﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩]

٢٩ (وَطَلْحٍ) شجر الموز (مَّنْضُودٍ) بالحمل من
 أسفله إلى أعلاه (٢).

﴿وِظْلٍ مَّتَدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]

٣٠ (وِظْلٍ مَّتَدُودٍ) دائم

﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقعة: ٣١]

٣١ (وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ) جار دائماً

﴿وَفَلَكَهَ كَيْفَ كَثِيرَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢]

٣٢ (وَفَلَكَهَ كَيْفَ كَثِيرَةٍ)

﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣]

٣٣ (لَّا مَقْطُوعَةٍ) في زمن (وَلَا مَمْنُوعَةٍ) بتمن

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤]

٣٤ (وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ) على السرر

﴿وَإِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾ [الواقعة: ٣٥]

٣٥ (وَإِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً) الحور العين من غير ولادة

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٦]

٣٦ (فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا) عذارى كلما أتاهن
 أزواجهن وجدوهن عذارى ولا وجع

﴿عُرْيًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧]

٣٧ (عُرْيًا) بضم الراء وسكونها جمع عروب،

(١) أسباب نزول الآية ٢٧: وأخرج سعيد بن منصور في
 سننه والبيهقي في البعث عن عطاء ومجاهد قالا: لما سأل أهل
 الطائف الوادي يحيى لهم وفيه غسل ففعل وهو واد معجب
 فسمعوا الناس يقولون: إن في الجنة كذا وكذا قالوا: يا ليت لنا
 في الجنة مثل هذا الوادي فأنزل الله: «وأصحاب اليمين ما
 أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود».

(٢) أسباب نزول الآية ٢٩: وأخرج البيهقي من وجه آخر
 عن مجاهد قال: كانوا يعجبون بوج (وإد بالطائف) وظلاله
 وطلحه وسدره فأنزل الله: «وأصحاب اليمين ما أصحاب
 اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود».

٤٨ ﴿أَوْ آتَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ بفتح الواو للعطف والهمزة للاستفهام، وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد وفي قراءة بسكون الواو عطفًا بأو والمعطوف عليه محل إن واسمها

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٤٩]

٤٩ ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾

﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٥٠]

٥٠ ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي يوم القيامة

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتَآ الصَّالُونَ الْمَكْدُوبُونَ﴾ [الواقعة: ٥١]

٥١ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتَآ الصَّالُونَ الْمَكْدُوبُونَ﴾

﴿لَا يَكُونُ مِن شَجَرٍ مِّن زُفُورٍ﴾ [الواقعة: ٥٢]

٥٢ ﴿لَا يَكُونُ مِن شَجَرٍ مِّن زُفُورٍ﴾ بيان للشجر

﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الواقعة: ٥٣]

٥٣ ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ من الشجر (البطون)

﴿فَنَشْرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ﴾ [الواقعة: ٥٤]

٥٤ ﴿فَنَشْرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ﴾ أي الرقوم المأكول (من الحميم)

﴿فَنَشْرِبُونَ شَرِبَ الْمَيْمِ﴾ [الواقعة: ٥٥]

٥٥ ﴿فَنَشْرِبُونَ شَرِبَ﴾ بفتح الشين وضمها مصدر (الهييم) الإبل العطاش، جمع هييمان الذكر وهيى للأنثى، كعطشان وعطشى

﴿هَذَا نُزْلُهُم يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥٦]

٥٦ ﴿هَذَا نُزْلُهُم﴾ ما أعد لهم (يَوْمَ الدِّينِ) يوم القيامة

﴿فَنَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٧]

٥٧ ﴿فَنَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أو وجدناكم من عدم (فَلَوْلَا) هلا (تُصَدِّقُونَ) بالبعث إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨]

٥٨ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ﴾ تريقون من المنى في أرحام النساء

وهي المتحبة إلى زوجها عشقاً له (أترابًا) جمع ترب أي مستويات في السن

﴿لَا تَصْحَابِ الْمَيْمِ﴾ [الواقعة: ٣٨]

٣٨ ﴿لَا تَصْحَابِ الْمَيْمِ﴾ صلة أنشأناهن أو جعلناهن وهم

﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩]

٣٩ ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾

﴿وَأَثَلَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٤٠]

٤٠ ﴿وَأَثَلَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ [الواقعة: ٤١]

٤١ ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾

﴿فِي سَمُورٍ وَحَمِيرٍ﴾ [الواقعة: ٤٢]

٤٢ ﴿فِي سَمُورٍ وَحَمِيرٍ﴾ (في سموم) ريح حارة من النار تنفذ في المسام (وحميم) ماء شديدة الحرارة

﴿وَوَيْلٌ مِّن يَّمُورٍ﴾ [الواقعة: ٤٣]

٤٣ ﴿وَوَيْلٌ مِّن يَّمُورٍ﴾ دخان شديد السواد

﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٤]

٤٤ ﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٍ﴾ كغيره من الظلال (ولا كريم) حسن المنظر

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [الواقعة: ٤٥]

٤٥ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا (مُتْرَفِينَ) منعمين لا يتعبون في الطاعة

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَىٰ لِحْنِ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٤٦]

٤٦ ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَىٰ لِحْنِ الْعَظِيمِ﴾ الذنب (العظيم) الشرك

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيُّنَا﴾

﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الواقعة: ٤٧]

٤٧ ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا﴾ أيُّنَا لَمَبْعُوثُونَ في الهمزتين في الموضعين للتحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين

﴿أَوْ آتَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الواقعة: ٤٨]

﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ لَمَّا نَحْنُ الْمُغْرِبُونَ﴾

٦٩ ﴿أَلَيْسَ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ لَمَّا نَحْنُ الْمُغْرِبُونَ﴾
محنة (أَمْ نَحْنُ الْمُغْرِبُونَ)

﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾

٧٠ ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ ملحاح لا يمكن
شربه (فَلَوْلَا هَلَا (تَشْكُرُونَ)

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة: ٧١]

٧١ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ تخرجون من
الشجر الأخضر

﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾

٧٢ ﴿أَلَيْسَ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ كالمرخ والعفرار
والكلخ (أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ)

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا وَنَتْمًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]

٧٣ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا﴾ لئلا جهنم (وَمَتَاعًا)
بلغت (لِّلْمُتَّقِينَ) للمسافرين من أقوى القوم أي
صاروا بالقوى بالقصر والمد أي القفز وهو مفازة لا
نبات فيها ولا ماء

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]

٧٤ ﴿فَسَبِّحْ﴾ نزه (بِاسْمِ) زائد (رَبِّكَ الْعَظِيمِ)
الله

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]

٧٥ ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ لا زائدة (بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ)
بمساقتها لغروبها (١)

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّا تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦]

٧٦ ﴿وَإِنَّهُ﴾ القسم بها (لَقَسَمٌ لَّا تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)
لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم

﴿إِنَّهُمْ لِقَوْمٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]

٧٧ ﴿إِنَّهُمْ﴾ المتلو عليكم (لِقَوْمٌ كَرِيمٌ)

﴿ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٩]

٥٩ ﴿أَلَيْسَ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا
وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى
وتركه في المواضع الأربعة (تَخْلُقُونَهُ) أي المنى
بشراً (أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ)

﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَهُ الْمَوْتِ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ﴾

٦٠ ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا﴾ بالتشديد والتخفيف (بَيْنَكُمْ
الْمَوْتِ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ) بعاجزين

﴿عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْنَالُكُمْ وَتُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

٦١ ﴿عَلَىٰ﴾ عن (أَنْ يُبَدَّلَ) نجعل (أَمْنَالُكُمْ)
مكانكم (وَتُنشِئَكُمْ) نخلقكم (فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ)
من الصور والقردة والخنازير

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾

٦٢ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾ بسكون الشين
(فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في
الذال

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣]

٦٣ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ تسيرون في الأرض
وتلقون البذر فيها

﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤]

٦٤ ﴿أَلَيْسَ﴾ تزرعون (أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ)

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَتَعْلَمُونَ﴾

٦٥ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا﴾ نباتا يابس لا
حب فيه (فَتَعْلَمُونَ) أصله ظللتهم بكسر اللام حذف
تخفيفا أي أقمتم نهارا (تَفَكَّهُونَ) حذف منه
إحدى التاءين في الأصل تعجبون من ذلك وتقولون

﴿إِنَّا لَمُعْرِثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٦]

٦٦ ﴿إِنَّا لَمُعْرِثُونَ﴾ نفقة زرنا

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: ٦٧]

٦٧ ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ممنوعون زرنا

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨]

٦٨ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾

(١) أسباب نزول الآيات ٧٥ - ٨٢: وأخرج مسلم عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «أصبح من الناس شاكرو ومنهم كافرو» قالوا: هذه رحمة وضعها الله وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا فنزلت هذه الآيات: «فلا أقسم بمواقع النجوم» حتى بلغ:

٨٦ ﴿قُلْوَا إِن كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ مجزيين بأن تبعثوا أي غير مبعوثين بزعمتكم

﴿تَرْجُمُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٧]

٨٧ ﴿تَرْجُمُونَهَا﴾ تردون الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (إن كنتم صادقين) فيما زعمتم فلولا الثانية تأكيد للأولى وإذا ظرف لترجعون المتعلق به الشرطان والمعنى هلا ترجعونها إن نفيتم البعث صادقين في نفيه؟ أي ليتنفي من محلها الموت كالبعث

﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الواقعة: ٨٨]

٨٨ ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (من المقربين)

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٩]

٨٩ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ (فرؤح) فله استراحة (وريحان) رزق حسن (وجنت نعيم) وهل الجواب لأما أو لأن أو لهما؟ أقوال

٩٠ ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩٠]

٩٠ ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾

﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِن أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩١]

٩١ ﴿فَسَلِّمْ لَكَ﴾ له السلامة من العذاب (من أصحاب اليمين) من جهة أنه منهم

﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾

٩٢ ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾

﴿فَقَرُّوا مِّنْ حِمْرٍ﴾ [الواقعة: ٩٣]

٩٣ ﴿فَقَرُّوا مِّنْ حِمْرٍ﴾

﴿وَتَصْلِيَةٌ جَاجِيَةٍ﴾ [الواقعة: ٩٤]

٩٤ ﴿وَتَصْلِيَةٌ جَاجِيَةٍ﴾

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]

٩٥ ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦]

٩٦ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ تقدم

﴿فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٨]

٧٨ ﴿فِي كِتَابٍ﴾ مكتوب (مكثون) مصون وهو المصحف

﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]

٧٩ ﴿لَّا يَمَسُّهُ﴾ خبر بمعنى النهي (إلا المطهرون) الذين طهروا أنفسهم من الأحداث

﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠]

٨٠ ﴿تَنْزِيلٌ﴾ منزل (من رب العالمين)

﴿أَفَيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ﴾ [الواقعة: ٨١]

٨١ ﴿أَفَيْهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن (أنتم مذهبون) متهاونون مكذبون

﴿وَيَتَمَلَّوْنَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]

٨٢ ﴿وَيَتَمَلَّوْنَ رِزْقَكُمْ﴾ من المطر أي شكره (أنكم تكذبون) بسقيا الله حيث قلت مطرنا بنوء كذا.

﴿قُلْوَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣]

٨٣ ﴿قُلْوَا﴾ فهلا (إذا بلغت) الروح وقت النزاع (الحلقوم) هو مجرى الطعام

﴿وَأَنْتُمْ جِيئَ بِنَظْرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٤]

٨٤ ﴿وَأَنْتُمْ﴾ يا حاضري الميت (جيئ بـ) تنظرون إليه

﴿وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾

٨٥ ﴿وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ بالعلم (ولكن لا تبصرون) من البصيرة أي لا تعلمون ذلك

﴿قُلْوَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦]

ويعجلون رزقكم أنكم تكذبون.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي حذرة قال: نزلت هذه الآيات في رجل من الأنصار في غزوة تبوك نزلوا الحجر فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائها شيئا ثم ارتحل ونزل منزلا آخر وليس معهم ماء فشكروا ذلك إلى النبي ﷺ فقام فصلى ركعتين ثم دعا فأرسل الله سبحانه فأمرت عليهم حتى استقوا منها فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق: ويحك متى ترى ما دعا النبي ﷺ؟ فأمر الله علينا السماء فقال: إنما مطرنا بنوء كذا وكذا.

٥٧ سورة الحديد

مكية أو مدنية وآياتها تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

١ (سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي نزهه كل شيء فاللام مزيدة وحية بما دون من تغليباً للأكثر (وَهُوَ الْعَزِيزُ) في ملكه (الْحَكِيمُ) في صنعته.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: ٢]

٢ (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي) بالإنشاء (وَيُمِيتُ) بعده (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]

٣ (هُوَ الْأَوَّلُ) قبل كل شيء بلا بداية (وَالْآخِرُ) بعد كل شيء بلا نهاية (وَالظَّاهِرُ) بالأدلة عليه (وَالْبَاطِنُ) عن إدراك الحواس (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]

٤ (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) من أيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) الكرسي استواء يليق به (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ) كالمطر والأموات (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) كالنبات والمعادن (وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) كالرحمة والعذاب (وَمَا يَعْرُجُ) يصعد (فِيهَا) كالأعمال الصالحة والسيئة (وَهُوَ مَعَكُمْ) بعلمه (أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

٥ (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) جميعها

﴿يُورِثُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُورِثُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ

بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحديد: ٦]

٦ (يُورِثُ اللَّيْلُ) يدخله (فِي النَّهَارِ) فيزيد وينقص الليل (وَيُورِثُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ) فيزيد وينقص النهار (وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها من الأسرار والمعتقدات

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

٧ (ءَامِنُوا) داوموا على الإيمان (بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا) في سبيل الله (مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ) من مال من تقدمكم وسيخلفكم فيه من بعدكم نزل في غزوة العسرة وهي غزوة تبوك (فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا) إشارة إلى عثمان رضي الله عنه (لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

٨ (وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ) خطاب للكفار أي لا مانع لكم من الإيمان (بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ) وَقَدْ أَخَذَ بضم الهمزة وكسر الخاء وبفتحها ونصب ما بعدهما (مِيثَاقَكُمْ) عليه أي أخذه الله في عالم الدر حين أشهدهم على انفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) أي مريدين الإيمان به فبادروا إليه

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَتَّبِعُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

٩ (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَتَّبِعُ) آيات القرآن (لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر (إِلَى النُّورِ) الإيمان (وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ) في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان (لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ)

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَمِيرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

١٠ (وَمَا لَكُمْ) بعد إيمانكم (أَلَّا) فيه إدغام نون أن في لام لا (تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَمِيرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) بما فيهما فنصل إليه أموالكم

اللَّهُ وَعَزَّكُم بِاللهِ الْغَوْرُ ﴿الحديد: ١٤﴾

١٤ ﴿يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ عَلَى الطَّاعَةِ
قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِالنِّفَاقِ
(وَتَرَبَّصْتُمْ) بِالْمُؤْمِنِينَ الدَّوَائِرَ (وَارْتَبْتُمْ) شِكْكُمْ فِي
دِينِ الْإِسْلَامِ (وَعَوَّثَكُمْ الْأَمَانِي) الْأَطْمَاعِ (حَتَّىٰ جَاءَ
أَمْرُ اللهِ) الْمَوْتِ (وَعَوَّكُم بِاللهِ الْغَوْرُ) الشَّيْطَانِ

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُوَفِّدُكُمْ فِدْيَةً وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

مَا وَنَكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿

١٥ ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُوَفِّدُكُمْ بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ (مِنْكُمْ) فِدْيَةً
وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا وَانَكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ
أولى بكم (ويَسَّ الْمَصِيرُ) هي

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ
قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَبِيرَ مَنِّهِمْ

فَسِقُوا ﴿الحديد: ١٦﴾

١٦ ﴿أَلَمْ يَأْنِ) يَحِنُ (لِلَّذِينَ آمَنُوا) نَزَلَتْ فِي
شَأْنِ الصَّحَابَةِ لِمَا أَكثَرُوا الْمِرَاحَ (أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ
لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ) بِالْتَشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ (مِنَ الْحَقِّ)
الْقُرْآنِ (وَلَا يَكُونُوا) مَعْطُوفٍ عَلَى تَخْشَعِ (كَالَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ) هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى (فَطَالَ
عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ) الزَّمَنُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِمْ (فَقَسَتْ
قُلُوبُهُمْ) لَمْ تَلْنِ لَذِكْرِ اللهِ (وَكَبِيرَ مَنِّهِمْ فَاسِقُونَ) (١).

٥٧- سورة الحديد

(١) أسباب نزول الآية ١٦: أخرج ابن أبي شيبة في
المصنف عن عبد العزيز بن أبي رواد أن أصحاب النبي ﷺ
ظهر فيهم المزاح والضحك فنزلت: «ألم يأن للذين آمنوا أن
تخشع قلوبهم» الآية.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: كان
أصحاب النبي ﷺ قد أخذوا في شيء من المزاح فأنزل الله:
«ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله» الآية.
وأخرج عن الشدي عن القاسم قال: مل أصحاب
رسول الله ﷺ ملة، فقالوا: حدثنا يا رسول الله فأنزل الله:
«نحن نقص عليك أحسن القصص» ثم ملوا ملة فقالوا: حدثنا
يا رسول الله فأنزل الله: «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم
لذكر الله» الآية.

* وأخرج ابن المبارك في الزهد أنبأنا سفيان عن الأعمش
قال: لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ المدينة فأصابوا من
العيش ما أصابوا بعد ما كان بهم من الجهد فكأنهم فتروا عن

من غير أجر الإنفاق بخلاف ما لو أنفقتم فتوجرون
(لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ) لِمَكَّةَ
(وَقَاتَلَ أَوْلِيَاءَكُمُ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ
وَقَاتَلُوا وَكُلًّا) مِنَ الْفَرِيقَيْنِ وَفِي قِرَاءَةِ بِالرَّفْعِ مَبْتَدَأُ
(وَعَدَّ اللهُ الْحَسَنَى) الْجَنَّةَ (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)
فيجازيكم به

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَمْ يَلْهُ
أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿الحديد: ١١﴾

١١ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ اللهُ) بِإِنْفَاقِ مَالِهِ فِي
سَبِيلِ اللهِ (قَرْضًا حَسَنًا) بَأَنْ يَنْفِقَهُ لِلَّهِ (فَيُضَاعِفُهُ)
وَفِي قِرَاءَةِ فَيُضَاعِفُهُ بِالتَّشْدِيدِ (لَهُ) مِنْ عَشْرِ إِلَى أَكْثَرَ
مِنْ سَبْعِمِائَةٍ كَمَا ذَكَرَ فِي الْبَقْرَةِ (وَلَهُ) مَعَ
الْمُضَاعَفَةِ (أَجْرٌ كَرِيمٌ) مَقْتَرَنَ بِهِ رِضَا وَإِقْبَالَ

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ يَسْعَى الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿الحديد: ١٣﴾

١٢ اذْكَرَ (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى
نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) (وَر) يَكُونُ (بِأَيْمَانِهِمْ)
وَيَقَالُ لَهُمْ (بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ) أَي ادْخُلُوهَا
(تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنِفِقُونَ وَالْمُنِفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا
نَقِيسَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ
بَيْنَهُمْ سُبُورٌ لَمْ يَبْأَبْطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ قِبَلِهِ
الْعَذَابُ ﴿الحديد: ١٣﴾

١٣ (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ
آمَنُوا انظُرُونَا) أَبْصَرْنَا وَفِي قِرَاءَةِ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ
الظَّاءِ أَهْمَلْنَا (تَقْتَبِسُ) نَأْخُذُ الْقَبْسَ وَالْإِضَاءَةَ (مِنْ
نُورِكُمْ) قِيلَ لَهُمْ اسْتَهْزَأَ بِهِمْ (ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ
فَالْتَمِسُوا نُورًا) فَرجعوا (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ) وَبَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ (بِشُورٍ) قِيلَ هُوَ سُورُ الْأَعْرَافِ (لَهُ) بَابٌ
بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ مِنْ جِهَةِ الْمُؤْمِنِينَ (وَظَاهِرُهُ) مِنْ
جِهَةِ الْمُنَافِقِينَ (مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ)

﴿يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ
أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَعَوَّثَكُمْ الْأَمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ

أي الاشتغال فيها وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة (كَمَتَّلَ) أي هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمثل (غَيْثٍ) مطر (أَعْجَبَ الْكُفَّارَ) الزراع (نَبَاتُهُ) الناشيء عنه (ثُمَّ يَهْبِجُ) يبس (فَقَرَاهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حَطَامًا) فتاتا يضمحل بالرياح (وفي الآخرة عَذَابٌ شَدِيدٌ) لمن أثر عليها الدنيا (وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ) لمن لم يؤثر عليها الدنيا (وما الحياة الدنيا) ما التمتع فيها (إلا مَتَاعُ الْغُرُورِ)

﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾
ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيمِ ﴿[الحديد: ٢١]﴾

٢١ (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) لو وصلت إحداهما بالأخرى والعرض السعة (أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرٌ ﴿[الحديد: ٢٢]﴾

٢٢ (ما أصاب من مصيبة في الأرض) بالجدب (ولا في أنفسكم) كالمرض وفقد الولد (إلا في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) نخلقها ويقال في النعمة كذلك (إن ذلك على الله يسير)

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا

آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿

٢٣ (لكيلا) كي ناسبة للفعل بمعنى أن أي أخبر تعالى بذلك لئلا (تأسوا) تحزنوا (وعلى ما فاتكم ولا تفرحوا) فرح بطر بل فرح شكر على النعمة (بما آتاكم) بالمد أعطاكم وبالقصر جاءكم منه (والله لا يحب كل مختالٍ) متكبر بما أوتي (فخورٍ) به على الناس

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَمَن يَبْخُلْ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿[الحديد: ٢٤]﴾

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ

الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿[الحديد: ١٧]﴾

١٧ (اعلموا) خطاب للمؤمنين المذكورين (أن الله يحيي الأرض بعد موتها) بالنبات فكذلك يفعل بقلوبكم يردّها إلى الخشوع (قد بيّنا لكم الآيات) الدالة على قدرتنا بهذا وغيره (لعلكم تعقلون)

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا

يُضَاعَف لَّهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿[الحديد: ١٨]﴾

١٨ (إن المصدقين) من الصدوق أدغمت التاء في الصاد أي الذين صدقوا (والمصدقات) اللاتي تصدقن وفي قراءة يتخفيف الصاد فيهما من التصديق والإيمان (وأقرضوا الله قرضًا حسنًا) راجع إلى الذكور والإناث بالتغليب وعطف الفعل على الاسم في صلة آل لأنه فيها حل محل الفعل وذكر القرض بوصفه بعد التصديق تقييد له (يضاعف) وفي قراءة يضعف بالتشديد أي قرضهم (لهم ولهم أجر كريم)

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ

وَالشَّاهِدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿

١٩ (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصادقون والشاهدات) المبالغون في التصديق (والشهداء عند ربهم) علي المكذبين من الأمم (لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) الدالة على وحدانيتنا (أولئك أصحاب الجحيم) النار

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَمَن مَّرَّ وَنَزَّهًا وَتَفَخَّرَ

بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرَ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ

الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَقَرَاهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حَطَامًا

وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿[الحديد: ٢٠]﴾

٢٠ (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة)

تزيين (وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد)

بعض ما كانوا عليه، فنزلت: «ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم» الآية.

كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) ما أمرناهم بها (إلا) لكن فعلوها (الْبَيْتَانَ) (الْبَيْتَانِ) رضوان) مرضاة (اللَّهِ) فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا) إذ تركها كثير منهم وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملكهم وبقي على دين عيسى كثير منهم فأمِنُوا بِنَبِيِّنَا (فَأَتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) به (مِنْهُمْ) أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْتَقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨]

٢٨ (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بعيسى (أنتَقُوا اللَّهَ) وآمِنُوا بِرَسُولِهِ) محمد ﷺ (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ) نصيبين (مِنْ رَحْمَتِهِ) لإيمانكم بالنبيين (وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) على الصراط (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (١).

﴿لَيْلًا يَلْعَرُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩]

٢٩ (لَيْلًا يَلْعَرُ) أعلمكم بذلك ليعلم (أَهْلَ الْكِتَابِ) التوراة الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ (أ) ن محففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، والمعنى أنهم (لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) خلاف ما في زعمهم أنهم أحبباء الله وأهل رضوانه (وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ) يعطيه (مَنْ يَشَاءُ) فأتى

(١) أسباب نزول الآية ٢٨: وأخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه من لا يعرف عن ابن عباس: أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على النبي ﷺ فشهدوا معه أحدًا فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد، فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة قالوا: يا رسول الله إنا أهل ميسرة فأذن لنا نجيء بأموالنا نواسي بها المسلمين فأنزل الله فيهم: «الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون» الآيات، فلما نزلت قالوا: يا معشر المسلمين أما من آمن بكتابكم فله أجران ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم فأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته» الآية.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: لما نزلت: «وأولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا» الآية. فخر مؤمنو أهل الكتاب على أصحاب النبي ﷺ فقالوا: لنا أجران ولكم أجر فاشتد ذلك على الصحابة فأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته» الآية. فجعل لهم أجرين مثل أجور مؤمني أهل الكتاب.

٢٤ (الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ) بما يجب عليهم (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِخْلِ) به لهم وعيد شديد (وَمَنْ يَتَوَلَّ) عما يجب عليه (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ) ضمير فصل وفي قراءة بسقوطه (الغني) عن غيره (الحميد) لأوليائه

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْعَفَةٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]

٢٥ (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا) الملائكة إلى الأنبياء (بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج القواطع (وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ) بمعنى الكتب (وَالْمِيزَانَ) العدل (لِيَقُومَ النَّاسَ بِالْقِسْطِ) وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ) أخرجناه من المعادن (فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) يقاتل به (وَمَنْعَفَةٌ لِلنَّاسِ) وليعلم الله (مَنْ علم مشاهدة معطوف على ليقوم الناس (مَنْ يَنْصُرُهُ) بأن ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره (وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ) حال من هاء «ينصره» أي غائبا عنهم في الدنيا قال ابن عباس: ينصرونه ولا يبصرونه (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) لا حاجة له إلى النصرة لكنها تنفع من يأتي بها

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦]

٢٦ (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ) وجعلنا في ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ) يعني الكتب الأربعة التوراة والانجيل والزبور والقرآن فإنها في ذرية إبراهيم (فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

٢٧ (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا) وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ) وجعلنا في قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً) هي رفض النساء واتخاذ الصوامع (ابْتَدَعُوهَا) من قبل انفسهم (مَا

المؤمنين منهم أجرهم مرتين كما تقدم (والله ذو الفضل العظيم) (١).

٥٨ سورة المجادلة

مدنية وآياتها اثنتان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

١ (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ) تراجعك أيها النبي (فِي زَوْجِهَا) المظاهر منها وكان قال لها أنت علي كظهر أمي وقد سألت النبي ﷺ عن ذلك فأجابها بأنها حرمت عليه على ما هو المعمود عندهم من أن الظهار موجه فرقة مؤبدة وهي خولة بنت ثعلبة وهو أوس بن الصامت (وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) وحدتها وفاقتها وصبية صغاراً إن ضمنتهم إليه ضاعوا أو إليها جاعوا (وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) تراجعكما (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) عالم (٢).

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا

(١) أسباب نزول الآية ٢٩: وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: بلغنا أنه لما نزلت: «يؤتكم كفلين من رحمته» حسد أهل الكتاب المسلمين عليها فأنزل الله: «وللا يعلم أهل الكتاب» الآية.

* وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال: قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبي فيقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا، فأنزل الله: «وللا يعلم أهل الكتاب» الآية. يعني بالفضل: النبوة.

٥٨ - سورة المجادلة

(٢) أسباب نزول الآية ١: أخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله أكل شياي ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها» وهو أوس بن الصامت.

مِنَ الْقَوْلِ زَوْرًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ ﴿المجادلة: ٢﴾

٢ (الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ) أصله يتظهرون وأدغمت التاء في الظاء بألف بين الظاء والهاء الخفيفة وفي قراءة كيفاتلون والموضع الثاني كذلك (مِنْكُمْ) من نسائهم ما هنَّ أمهاتهم إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي) بهمزة وباء وبلا بياء (وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ) بالظهار (لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ زَوْرًا) كذبا (وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ) للمظاهر بالكفارة

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَ نُوعُظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

﴿المجادلة: ٣﴾

٣ (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) فيه بأن يخالفوه بامسك المظاهر منها الذي هو خلاف مقصود الظهار من وصف المرأة بالتحريم (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) إعتاقها عليه (مَنْ قَبْلُ أَنْ يَتَمَاسًا) بالوطء (ذَلِكَ نُوعُظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ).

﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فِلْطَعَامٍ سِتِينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿المجادلة: ٤﴾

٤ (فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ) رقة (فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ) من قبل أن يتماسا (فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ) أي الصيام (فِلْطَعَامٍ سِتِينَ مِسْكِينًا) عليه أي من قبل أن يتماسا حملا للمطلق على المقيد لكل مسكين مد من غالب قوت البلد (ذَلِكَ) التخفيف في الكفارة (لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ) أي الأحكام المذكورة (حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ) بها (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَيْتًا كَمَا كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَلَّمَ اللَّهُ لِقَابًا يُكَلِّمُ بِهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾

٥ (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ) يخالفون (اللَّهُ وَرَسُولَهُ) كَيْتًا) ادلوا (كَمَا كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) في مخالفتهم رسلهم (وَكَلَّمَ اللَّهُ لِقَابًا يُكَلِّمُ بِهِ) دالة على صدق الرسول (وَلِلْكَافِرِينَ) بالآيات (عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة >

﴿يَوْمَ يَعْتَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَنْبِتُهُمْ يَمَا عَمِلُوا
أَحْصَنَهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

٦ (يَوْمَ يَعْتَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَنْبِتُهُمْ يَمَا عَمِلُوا
أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا
يَكْتُوْنَ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ
إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آذَنٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ
مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ يَمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ
يَكُلُّ شَيْءًا عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]

٧ (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ)
بعلمه (وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آذَنٌ مِنْ ذَلِكَ
وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ يَمَا عَمِلُوا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَا عَنْهُ
وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِنَّمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ
حَيَّوكَ يَمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا
اللَّهُ يَمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفَ الْمَصِيرُ﴾

٨ (أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ هُوَا عَنِ النَّجْوَى
ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِنَّمِ وَالْعُدْوَانِ
وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ) هم اليهود نهاهم النبي ﷺ
عما كانوا يفعلون من تناجيههم أي تحدثهم سرا
ناظرين إلى المؤمنين ليقوموا في قلوبهم الريبة (وَإِذَا
جَاءُوكَ حَيَّوكَ) أيها النبي (يَمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ)
وهو قولهم السام عليك أي الموت (وَيَقُولُونَ فِي
أَنفُسِهِمْ لَوْلَا) هلا (يُعَذِّبُنَا اللَّهُ يَمَا نَقُولُ) من
التحية وأنه ليس بنبي إن كان نبيا (حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ
يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفَ الْمَصِيرُ) هي (١).

(١) أسباب نزول الآية ٨: وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل
ابن حيان قال: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود مودة فكانوا
إذا مر بهم رجل من الصحابة جلسوا ينتاجون بينهم حتى يظن
المؤمن أنهم ينتاجون بقتله أو بما يكرهه فنهاهم النبي ﷺ عن
النجوى فلم ينتهوا فأنزل الله: «ألم تر إلى الذين نهوا عن
النجوى» الآية.

* وأخرج أحمد والبراز والطبراني بسند جيد عن عبد الله
بن عمرو أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليكم

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِنَّمِ
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبَيْرِ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٩]

٩ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا
بِالْإِنَّمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبَيْرِ
والتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُرَكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ
بِضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠]

١٠ (إِنَّمَا النَّجْوَى) بالإثم ونحوه (مِنَ الشَّيْطَانِ)
لغروره (لِيَحْزُرَكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ) هو (بِضَارِهِمْ
شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) أي إرادته (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ) (١).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَسَحُوا فِي
الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا
فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ يَمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]

١١ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَسَحُوا)
توسعوا (فِي الْمَجَالِسِ) مجلس النبي ﷺ أو الذكر
حتى يجلس من جاءكم وفي قراءة المجلس
(فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ) في الجنة (وَإِذَا قِيلَ)
لكم (أَنْشُرُوا) قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات
(فَأَنْشُرُوا) وفي قراءة بضم الشين فيها (يَرْفَعُ اللَّهُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ) بالطاعة في ذلك (وَر) يرفع
(الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) في الجنة (وَاللَّهُ يَمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (٢).

ثم يقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول، فنزلت هذه
الآية: «وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله» وفي الباب عن
أنس وعائشة.

(١) أسباب نزول الآية ١٠: وأخرج ابن جرير عن قتادة
قال: كان المنافقون يتناجون بينهم وكان ذلك يغيظ المؤمنين
ويكبر عليهم، فأنزل الله: «إنما النجوى من الشيطان» الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ١١: وأخرج أيضا عنه قال: كانوا
إذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ
فنزلت: «يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس»
الآية.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت يوم الجمعة

المنافقون (قَوْمًا) هم اليهود (غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ) أي المنافقون (مُنْكُمْ) من المؤمنين (ولا يَنْهَى) من اليهود بل هم مذنبون (وَيَخْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ) أي قولهم إنهم مؤمنون (وَهُمْ يَغْلِبُونَ) أنهم كاذبون فيه^(١).

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لِمَنْ عَدَا بَا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

١٥ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي

﴿أَتَّخَذُوا آيَاتِنَاهُمْ هُتًى فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ

مُهِينٌ﴾ [المجادلة: ١٦]

١٦ ﴿اتَّخَذُوا آيَاتِنَاهُمْ هُتًى﴾ سترًا على أنفسهم وأموالهم (فَصَدَّوْا) بها المؤمنين (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أي الجهاد فيها بقتلهم وأخذ أموالهم (فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) ذر إهانة

﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

١٧ ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه (شَيْئًا) من الإغناء (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

﴿يَوْمَ يَعْتَبِرُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَخْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا يَأْتِيَهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾

١٨ اذكر (يَوْمَ يَعْتَبِرُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَخْلِفُونَ لَهُ) أنهم مؤمنون (كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ) وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ من نفع حلفهم في الآخرة كالدنيا (أَلَّا يَأْتِيَهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ)^(٢).

﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبٌ

(١) أسباب نزول الآية ١٤: وأخرج ابن أبي حاتم عن الشدي في قوله: «ألم تر إلى الذين تولوا قَوْمًا» الآية. قال: بلغنا أنها نزلت في عبد الله بن نبتل.

(٢) أسباب نزول الآية ١٨: وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ في ظل حجرة وقد كاد الظل أن يتقلص فقال: إنه سيأتكم إنسان فينظر إليكم بعيني شيطان فإذا جاءكم فلا تكلموه، فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق أعور فدعاه رسول الله ﷺ فقال له حين راه: «علام تشمني أنت وأصحابك؟» فقال: ذرني أتك بهم فانطلق فدعاهم فحلفوا له ما قالوا وما فعلوا فأنزل الله: «يوم يعاتبهم الله جميعًا فيحلفون له كما يحلفون لكم» الآية.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢]

١٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ أردتم مناجاته (فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ نَجْوَاكُمْ) قبلها (صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ) لذنوبكم (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا) ما تصدقون به (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لمناجاتكم (رَحِيمٌ) بكم يعني فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة ثم نسخ ذلك بقوله^(١):

﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ صَدَقَةً فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

١٣ ﴿أَشْفَقْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه أي خفتم من (أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) لفقركم (فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا) الصدقة (وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) رجع بكم عنها (فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أي دوموا على ذلك (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِمَّا مَنَّكُمْ وَلَا مَنَّتُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

١٤ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر (إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا) هم

وقد جاء ناس من أهل بدر وفي المكان ضيق فلم يفسح لهم فقاموا على أرجلهم فأقام ﷺ نفرًا بعدتهم وأجلسهم مكانهم فكره أولئك نفر ذلك فنزلت.

(١) أسباب نزول الآيتين ١٢، ١٣: وأخرج من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه ﷺ فأنزل: «يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم» الآية. فلما نزلت صبر كثير من الناس وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد ذلك: «أشفتكم» الآية.

* وأخرج الترمذي وحسنه وغيره عن علي قال: لما نزلت: «يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقات» قال لي النبي ﷺ: «ما ترى دينار؟» قلت: لا يطبقونه قال: «نصف دينار؟» قلت: لا يطبقونه قال: «فكم؟» قلت: شعيرة قال: إنك لزهيد فنزلت: «أشفتكم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات» الآية. فبي خفف الله عن هذه الأمة، قال الترمذي: حسن.

٥٩ سورة الحشر

مجنية وآياتها أربع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخرج البخاري عن ابن عباس قال: سورة الأنفال نزلت في بدر وسورة الحشر نزلت في بني النضير.

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١]

١ (سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أي نزهه فاللام مزيدة وفي الايتان بـ «ما» تغليب للأكثر (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) في ملكه وصنعه (١) ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرِّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾

٢ (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) هم بنو نضير من اليهود (مِنْ دِيَارِهِمْ) مساكنهم بالمدينة (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) هو حشرهم إلى الشام وآخره أن أجلاهم عمر في خلافته إلى خيبر (مَا ظَنَنْتُمْ) أيها المؤمنون (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ) خبر أن (حُصُونُهُمْ) فاعله تم به الخبر (مَنْ اللَّيْ) من

* وأخرجه الطبراني والحاكم في المستدرک بلفظ جعل والد أي عبيدة بن الجراح يتصدى لأي عبيدة يوم بدر وجعل أبو عبيدة يحدد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله فأنزلت.

* وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: حدثت أن أبا قحافة سب النبي ﷺ فصكه أبو بكر صكة فسقط، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «أفعلت يا أبا بكر؟» فقال: والله لو كان السيف قريباً مني لضربه به فنزلت: «لا تجحد قوماً الآية».

٥٩ - سورة الحشر

(١) أسباب نزول الآية ١: وأخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: كانت غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان منزلهم ونخلهم في ناحية المدينة فحاصروهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة وهي السلاح فأنزل الله فيهم: «سبح لله ما في السموات وما في الأرض».

الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنْ جَرَّبَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ الْقَتِيلُونَ﴾

١٩ (اسْتَحْوَذَ) استولى (عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ) بطاعتهم له (فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ جِزْبُ الشَّيْطَانِ) أتباعه (الْأَلَا إِنَّ جِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَلِينَ﴾

٢٠ (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ) يخالفون (اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَلِينَ) المغلوبين

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]

٢١ (كَتَبَ اللَّهُ) في اللوح المحفوظ أو قضي (لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) بالحجة أو السيف (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ جِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ جِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]

٢٢ (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ) يصادقون (مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا) أي المحادون (أَبْنَاءَهُمْ) أي المؤمنين (أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) بل يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم على الإيمان كما وقع لجماعة من الصحابة رضي الله عنهم (أُولَئِكَ) الذين لا يوادونهم (كَتَبَ) أثبت (فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ) بنور (مِنْهُ) تعالى (وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بطاعته (وَرَضُوا عَنْهُ) بشوابه (أُولَئِكَ جِزْبُ اللَّهِ) يتبعون أمره ويجتنبون نهيه (أَلَا إِنَّ جِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (١).

(١) أسباب نزول الآية ٢٢: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شاذب قال: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر: «لا تجحد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله» الآية.

﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: ٦]

٦ (وما آفأة) رد (اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ) أسرعتم يا مسلمون (عَلَيْهِ مِنْ) زائدة (خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) إبل أي لم تقاسوا فيه مشقة (وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فلا حق لكم فيه ويختص به النبي ﷺ ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل منهم خمس الخمس وله ﷺ الباقي يفعل فيه ما يشاء فأعطى منه المهاجرين وثلاثة من الأنصار لفقروهم

﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا مَنَنْتُمْ عَلَىٰ الرَّسُولِ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]

٧ (مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى) كالصفراء ووادي القرى وينبع (فَلِلَّهِ) يأمر فيه بما يشاء (وَالرَّسُولِ) (وَالْيَتَامَىٰ) صاحب (الْقُرْبَىٰ) قرابة النبي من بني هاشم وبني المطلب (وَالْيَتَامَىٰ) أطفال المسلمين الذين هلكت آباؤهم وهم فقراء (وَالْمَسْكِينِ) ذوي الحاجة من المسلمين (وَابْنِ السَّبِيلِ) المنقطع في سفره من المسلمين أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خمس الخمس وله الباقي (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً) علة لقسمه كذلك (دُولَةً) متداولاً (بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) أعطاكم (الرَّسُولِ) من الفتيء وغيره (فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) واتقوا الله إن الله شديد العقاب

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَضْرُوبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]

٨ (لِلْفُقَرَاءِ) متعلق بمحذوف أي أعجبوا (الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ)

عذابه (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ) أمره وعذابه (مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين (وَقَدَفَ) ألقى (فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) بسكون العين وضمها الخوف بقتل سيدهم كعب بن الأشرف (يُخْرِبُونَ) بالتشديد والتخفيف من أخرج (بُيُوتَهُمْ) لينقلوا ما استحسَنوه منها من خشب وغيره (بِأَيْدِيهِمُ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحشر: ٣]

٣ (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ) قضى (عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ) الخروج من الوطن (لَعَذَّبْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا) بالقتل والسببي كما فعله بقريظة من اليهود (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٤]

٤ (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا) خالفوا (اللَّهُ وَرَسُولَهُ) وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ له

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥]

٥ (مَا قَطَعْتُمْ) يا مسلمون (مِنْ لِينَةٍ) نخلة (أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ) أي خيركم في ذلك (وَلِيُخْرِجَ) بالإذن في القطع (الْفَاسِقِينَ) اليهود في اعتراضهم أن قطع الشجر المثمر فساد (١).

(١) أسلبه نزوله للآية هـ: وأخرج البخاري وغيره عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع ودي البويرة فأنزل الله: «ما قطعتم من لينة أو تركتموها الآية».

* وأخرج أبو يعلى بسند ضعيف عن جابر قال: رخص لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم فاتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله هل علينا إثم فيما قطعناه أو تركناه فأنزل الله: «ما قطعتم من لينة أو تركتموها الآية».

* وأخرج ابن إسحاق عن يزيد بن رومان قال: لما نزل رسول الله ﷺ ببني النضير تحصنوا منه في الحصون فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فنزلت.

* وأخرج ابن جرير عن قتادة ومجاهد مثله.

لَنَا وَإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾

١٠ (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ) من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا) حقدا (لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١]

١١ (أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) وهم بنو النضير وإخوانهم في الكفر (لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ) لام قسم في الأربعة (أَخْرَجْتُمْ) من المدينة (لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ) في خذلانكم (أَحَدًا أَبَدًا) وإن قُوتِلْتُمْ) حذفت منه اللام الموطئة (لَنَنْصُرَنَّكُمْ) وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (١).

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْتُوا الْأَذْبَانَ ثُمَّ لَا يُصَرُّونَ﴾

١٢ (لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ) ولئن قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ (لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْتُوا الْأَذْبَانَ) واستغني بجواب القسم المقدر عن جواب الشرط في المواضع الخمسة (ثُمَّ لَا يُصَرُّونَ) أي اليهود

﴿لَأَنَّهُ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣]

١٣ (لَأَنَّهُ أَشَدُّ رَهَبَةً) خوفا (فِي صُدُورِهِمْ) أي المنافقين (مِنْ اللَّهِ) لتأخير عذابه (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)

(١) أسباب نزول الآية ١١: وأخرج ابن أبي حاتم عن البُددي قال: أسلم ناس من أهل قريظة وكان فيهم منافقون وكانوا يقولون لأهل النضير: لئن أخرجتم لنخرجن معكم فنزلت هذه الآية فيهم: «ألم تر إلى الذين نافقوا...».

يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) في إيمانهم

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَجِبُونَ مِنَ هَاجِرٍ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

٩ (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ) أي المدينة (وَالْإِيمَانَ) أي ألفوه وهم الأنصار (مِنْ قَبْلِهِمْ يَجِبُونَ) مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً) حسدا (مِّمَّا أُوتُوا) أي أتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة بهم (وَيُؤْثِرُونَ) على أنفسهم (وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) حاجة إلى ما يؤثرون به (وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ) حرصها على المال (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١).

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ

(١) أسباب نزول الآية ٩: وأخرج ابن المنذر عن يزيد الأصم أن الأنصار قالوا: يا رسول الله أقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين الأرض نصفين قال: «لا ولكن تكفونهم المونة وتقاسموهم الثمرة والأرض أرضكم» قالوا: رضينا فأنزل الله: «والذين تبوءوا الدار» الآية.

* وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد؛ فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال: «ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخره شيئا قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى فأطفئ السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله أو ضحك من فلان وفلانة فأنزل الله تعالى: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة».

* وأخرج مسدد في مسنده وابن المنذر عن أبي المتوكل الناجي: أن رجلا من المسلمين فذكر نحوه وفيه أن الرجل الذي أضاف ثابت بن أبي قيس بن شماس، فنزلت فيه هذه الآية.

* وأخرج الواحدي من طريق محارب بن دثار عن ابن عمر قال: أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا فبعث به إليه فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة آيات حتى رجعت إلى أولئك فنزلت: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» الآية.

(الْفَاسِقُونَ)

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]

٢٠ (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون)

﴿لَوْ أَرْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]

٢١ (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل جعل فيه تمييز كالإنسان (لرأيناهُ خاشعاً مُّصدعاً) متشققاً (مّن خشية الله وتلك الأمثال) المذكورة (نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فيؤمنون

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢]

٢٢ (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة) السر والعلاية (هو الرحمن الرحيم)

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلَمَّكَ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]

٢٣ (هو الله الذي لا إله إلا هو الملِك القدوس) الطاهر عما لا يليق به (السلام) ذو السلامة من النقائص (المؤمن) من هيمن يهيمن إذا كان رقبيا على الشيء أي الشهيد على عباده بأعمالهم (العزیز) القوي (الجبار) جبر خلقه على ما أراد (المتكبر) عما لا يليق به (سبحان الله) نزه نفسه (عما يشركون) به

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

٢٤ (هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى) من العلم (المصور له الأسماء الحسنى) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث الحسيني مؤنث الأحسن (يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) تقدم أولها.

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ شَدِيدٌ مِّنْهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَقِيَّةٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]

١٤ (لا يقاتلونكم جميعاً أي اليهود (جميعاً) مجتمعين (إلا في قرى مُحصنة أو من وراء جدران أسوار وفي قراءة جدران (بأسهم) حربهم (بينهم) شديد تخسبهم جميعاً) مجتمعين (وقلوبهم شقية) متفرقة خلاف الحسبان (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم وهم عذاب أليم﴾ [الحشر: ١٥]

١٥ مثلهم في ترك الإيمان (كمثل الذين من قبلهم قريباً) بزمين قريب وهم أهل بدر من المشركين (ذاقوا وبال أمرهم) عقوبته في الدنيا من القتل وغيره (ولهم عذاب أليم) مؤلم في الآخرة

﴿كَتَلَّ الشَّطَلَيْنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾

١٦ مثلهم أيضاً في سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) كذبا منه ورياء

﴿فَكَانَ عَنَيْتَهُمَا أَتَمًا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾

١٧ (فكان عاقبتهم) أي الغاوي والمغوى وقرىء بالرفع اسم كان (أتمًا في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) أي الكافرين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانظُرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

١٨ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وانظروا نفس ما قدَّمتم لغد) ليوم القيامة (واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩]

١٩ (ولا تكونوا كالذين نسوا الله تركوا طاعته (فأنسأهم أنفسهم) أن يقدموا لها خيرا (أولئك هم

٦٠ سورة الممتحنة

مجدية وآياتها ١٣ ثلاث عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ لَهُمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَانًا فِي سَبِيلِي وَآيَاتِي مَرْحَمَاتِي تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا تُخْفِيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ) أي كفار مكة (أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ) توصلون (إِلَيْهِمْ) قصد النبي ﷺ غزوه الذي أسره إليكم ووري بحنين (بِالْمُودَةِ) بينكم وبينهم كتب حاطب بن أبي بلتعة إليهم كتابا بذلك لما له عندهم من الأولاد والأهل المشركين فاسترده النبي ﷺ ممن أرسله معه بإعلام الله تعالى له بذلك وقيل عذر حاطب فيه (وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ) أي دين الإسلام والقرآن (يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ) من مكة بتضييقهم عليكم (أَنْ تُؤْمِنُوا) أي لأجل أن أمنتهم (بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَانًا) للجهاد (فِي سَبِيلِي وَآيَاتِي مَرْحَمَاتِي) وجواب الشرط دل عليه ما قبله أي فلا تتخذوهم أولياء (تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ) وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا تُخْفِيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ) أي إسرار خبر النبي إليهم (فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) أخطأ طريق الهدى والسواء في الأصل الوسط (١).

سورة الممتحنة

(١) أسباب نزول الآية ١: أخرج الشيخان عن علي قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزيبر والمقداد بن الأسود فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب فخذوه منها فأتوني به، فخرجنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالطعينة فقلنا: أخرجي الكتاب فقالت: ما معي من كتاب فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقينني الشيا، فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا هو من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال: «ما هذا يا حاطب؟» قال: لا تعجل علي يا رسول الله إني كنت ملصقًا في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم

﴿إِنْ يَتَفَقَّهُكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾

[الممتحنة: ٢]

٢ (إِنْ يَتَفَقَّهُكُمْ) يظفروا بكم (يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ) بالقتل والضرب (وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ) بالسب والشتم (وَوَدُّوا) تمنوا (لَوْ تَكْفُرُونَ)

﴿لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمُ وَلَا أَوْلَادَكُمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الممتحنة: ٣]

٣ (لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمُ) قرابتكم (ولا أولادكم) المشركون الذين لأجلهم أسررتهم الخبر من العذاب في الآخرة (يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ) بالبناء للمفعول والفاعل (تَبْتَكُمُ) وبينهم فتكونون في الجنة وهم في جملة الكفار في النار (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْرُكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَكَ

[الممتحنة: ٤]

٤ (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) بكسر الهمزة وضمها في الموضوعين قدوة (فِي إِبْرَاهِيمَ) أي به قولاً وفعلاً (وَالَّذِينَ مَعَهُ) من المؤمنين (إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ) أنكرناكم (وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية واوا (حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ) إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) مستثنى من «أسوة» أي فليس لكم التأسي به في ذلك بأن تستغفروا للكفار

وأموالهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من نسب فهم أن أتخذ بدأ يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرة ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضا بالكفر فقال النبي ﷺ: صدق وفيه أنزلت هذه السورة: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة».

بجهدهم (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) العادلين (١).

﴿ إِنَّمَا يَنْتَظِرُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلْتُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المتحنة: ٩]

٩ ﴿ إِنَّمَا يَنْتَظِرُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلْتُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عاونوا (عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ) بدل اشتمال من الذين أي تتخذوهم أولياء (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَايَنْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ وَسَأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَسْتَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [المتحنة: ١٠]

١٠ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ (مُهَاجِرَاتٍ) من الكفار بعد الصلح معهم في الحديبية على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يرد (فَامْتَحِنُوهُنَّ) بالحلف علي أنهم ما خرجن إلا رغبة في الإسلام لا بغضا لأزواجهن الكفار ولا عشقا لرجال من المسلمين كذا كان ﷺ يحلفهن (اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ) ظننتموهن بالحلف (مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ) تردوهن (إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَأَتُوهُنَّ) أي أعطوا الكفار أزواجهن (مَّا أَنفَقُوا) عليهن من

(١) أسباب نزول الآية ٨: وأخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر قالت: أتتني أمي رغبة فسألت النبي ﷺ أصلها؟ قال: «نعم» فأنزل الله فيها: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين».

* وأخرج أحمد والبخاري وصححه عن عبد الله بن الزبير قال: قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية فقدمت على بنتها بهدايا فأبى أسماء أن تقبل منها أو تدخلها منزلها حتى أرسلت إلي عائشة أن سلي عن هذا رسول الله ﷺ فأخبرته فأمرها أن تقبل هداياها وتدخلها منزلها فأنزل الله: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين» الآية.

وقوله (وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ) أي من عذابه وثوابه (مِنْ شَيْءٍ) كنى به عن أنه لا يملك له غير الاستغفار فهو مبني عليه مستثنى من حيث المراد منه وإن كان من حيث ظاهره مما يتأسى فيه (قل) فمن يملك لكم من الله شيئا (واستغفاره له قبل أن يتبين له أنه عدو الله) كما ذكره في براءة (رُبُّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) من منقول الخليل ومن معه أي وقالوا:

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المتحنة: ٥]

٥ ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنوا أي تذهب عقولهم بنا (وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) في ملكك وصنعك

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

٦ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ) يا أمة محمد جواب قسم مقدر (فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ) بدل اشتمال من «كم» بإعادة الجار (يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) أي يخافهما أو يظن الثواب والعقاب (وَمَنْ يَتَوَلَّ) بأن يوالي الكفار (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ) عن خلقه (الْحَمِيدُ) لأهل طاعته

﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ ءَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المتحنة: ٧]

٧ ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ ءَادَيْتُمْ مِنْهُمْ) من كفار مكة طاعة لله تعالى (مَوَدَّةً) بأن يهديهم للإيمان فيصيروا لكم أولياء (وَاللَّهُ قَدِيرٌ) على ذلك وقد فعله بعد فتح مكة (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لهم ما سلف (رُحِيمٌ) بهم

﴿ لَا يَنْتَظِرُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة: ٨]

٨ ﴿ لَا يَنْتَظِرُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ) من الكفار (فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) بدل اشتمال من الذين (وَتُقْسِطُوا) تقضوا (إِلَيْهِمْ) بالقسط أي بالعدل وهذا قبل الأمر

المهور (ولا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) بشرطه (إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ) مهورهن (ولا تُفْسِكُوا) بالتشديد والتخفيف (بِعِصْمِ الْكُوفِرِ) زوجاتكم لقطع ارتدادهن نكاحهم بشرطه أو اللاحقات بالمشركين مرتدات لقطع إسلامكم لها بشرطه (وَأَسْأَلُوا) اطلبوا (مَا أَنْفَقْتُمْ) عليهن من المهور في صورة الارتداد ممن تزوجن من الكفار (وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا) على المهاجرات كما تقدم أنهم يؤتونه (ذَلِكَ لِحُكْمِ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) به (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (١)

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [الممتحنة: ١١]

١١ (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ) أي واحدة فأكثر منهن أو شيء من مهورهن بالذهاب (إِلَى الْكُفَّارِ) مرتدات (فَعاقِبْتُمْ) فغزوتهم وغنمتم (فَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ) من الغنيمة (مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا) لغواته عليهم من جهة الكفار (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من

(١) أسباب نزول الآية ١٠: وأخرج الشيخان عن المسور ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات فأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات» إلى قوله: «ولا تمسكوا بعصم الكوافر».

* وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن عبد الله بن أبي أحمد قال: هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في الهدنة فخرج أخوها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله ﷺ وكلماه في أم كلثوم أن يردها إليهم فنقض الله العهد بينه وبين المشركين خاصة في النساء ومنع أن يرددن إلى المشركين فأنزل الله آية الامتحان.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي حبيب أنه بلغه أنها نزلت في أميمة بنت بشر امرأة أبي حسان الدحداحة. وأخرج عن مقاتل أن امرأة تسمى سعيدة كانت تحت صيفي بن الراهب وهو مشرك من أهل مكة جاءت زمن الهدنة فقالوا: ردها علينا فنزلت.

* وأخرج ابن جرير عن الزهري أنها نزلت عليه وهو بأسفل الحديبية وكان صالحهم أنه من أتاه رده إليهم فلما جاءه النساء نزلت هذه الآية.

* وأخرج ابن منيع من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أسلم عمر بن الخطاب فتأخرت امرأته في المشركين فأنزل الله: «ولا تمسكوا بعصم الكوافر».

الإتياء للكفار والمؤمنين ثم ارتفع هذا الحكم (١).
﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَشْرِفَنَّ وَلَا يَزِينَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِيَنَّ بِمُهْتَنٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢]

١٢ (يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَشْرِفَنَّ وَلَا يَزِينَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ) كما كان يفعل في الجاهلية من وأد البنات أي دفنهن أحياء خوف العار والفقر (وَلَا يَأْتِيَنَّ بِمُهْتَنٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ) أي بولد ملقوطة ينسبونه إلى الزوج وصفه بصفة الولد الحقيقي فإن الأم إذا وضعت سقط بين يديها ورجليها (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي) فعل (مَعْرُوفٍ) هو ما وافق طاعة الله كترك النياحة وتمزيق الثياب وجز الشعور وسق الجيب وخمش الوجه (فَبَايِعُهُنَّ) فعل ذلك ﷺ بالقول ولم يصافح واحدة منهن (وَاسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا بَيَسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَخَصِبِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ٢٣]

١٣ (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) هم اليهود (قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ) أي من ثوابها مع إيقافهم بها لعنادهم النبي مع علمهم بصدقة (كَمَا بَيَسَ الْكُفَّارُ) الكائنون (مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) أي المقبورين من خير الآخرة إذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار (٢).

(١) أسباب نزول الآية ١١: وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن في قوله: «وإن فاتكم شيء من أزواجكم» الآية. قال: نزلت في أم الحكم بنت أبي سفيان ارتدت فتزوجها رجل ثقفى ولم ترتد امرأة من قريش غيرها.

(٢) أسباب نزول الآية ١٣: وأخرج ابن المنذر من طريق ابن إسحاق عن محمد بن عكرمة وأبو سعيد عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن عمر وزيد بن الحارث يوادان رجلاً من يهود فأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم» الآية.

٦١ سورة الصف

مكية أو مدنية وآياتها ١٤ أربع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾ [الصف: ١]

١ (سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أي نزهه فاللام مزيدة وجيء بما دون «من» تغييباً للأكثر (وَهُوَ الْعَزِيزُ) في ملكه (الْحَكِيمُ) في صنعه
﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

٢ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ) في طلب الجهاد (مَا لَا تَفْعَلُونَ) إذ انهرتمم بأحد^(١) ؟

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

٣ (كَبُرَ عَظَمَ (مَقْتًا) تَمِيز (عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا) فاعل كبر (مَا لَا تَفْعَلُونَ)

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا
كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْمُوسٍ﴾ [الصف: ٤]

٤ (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ) ينصر ويكرم (الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ) فِي سَبِيلِهِ صَفًا) حال أي صافين (كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْمُوسٍ) ملزق بعضه إلى بعض ثابت

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمِي بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَقَدْ
تَقَاتَلْتُمُونِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ وَإِيَّكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]

٥ (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ) بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) قالوا إنه أدر أي منتفخ الخصية وليس كذلك وكذبوه (وَقَدْ) للتحقيق (تَقَاتَلْتُمُونِ) أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) الجملة حال والرسول يحترم (فَلَمَّا

٦١- سورة الصف

(١) أسباب نزول الآيتين (١-٢): أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملائه فأنزل الله: «سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم» يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها.

* وأخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه.

زَاغُوا) عدلوا عن الحق بإيذائه (أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) أمالها عن الهدى على وفق ما قدره في الأزل (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الكافرين في علمه

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

٦ (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) لم يقل يا قوم لأنه لم يكن له فيهم قرابة (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ) قبلي (مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ) قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَهُمْ) جاء أحمد الكفار (بِالْبَيِّنَاتِ) الآيات والعلامات (قَالُوا هَذَا) أي المحيي به (سِحْرٌ) وفي قراءة «ساحر» أي الجاني به (مُبِينٌ) بين

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى
الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

٧ (وَمَنْ) أي لا أحد (أَظْلَمُ) أشد ظلما (مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) بنسبة الشريك والولد إليه ووصف آياته بالسحر (وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ) وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الكافرين

﴿يُرِيدُونَ يُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَابِهِمْ وَاللَّهُ مِمَّنْ نُورِهِ وَلَوْ
كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

[الصف: ٨]

٨ (يُرِيدُونَ يُظْفِقُوا) منصوب بأن مقدرة واللام مزيدة (نُورَ اللَّهِ) شرعه وبراهينه (بِأَقْوَابِهِمْ) بأقوالهم أنه سحر وشعر وكهانة (وَاللَّهُ مُتِمُّهُ) مظهر (نُورِهِ) وفي قراءة بالإضافة (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) ذلك

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى
الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]

٩ (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ) يعليه (عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) جميع الأديان المخالفة (وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ذلك

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى بَحْرٍ مَجِيدٍ مِمَّنْ عَنَابِ آلِهِ﴾

١٠ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى بَحْرٍ مَجِيدٍ مِمَّنْ عَنَابِ آلِهِ) أي

وفي قراءة بالإضافة (كَمَا قَالَ) الخ المعنى كما كان الحواريون كذلك الدال عليه (قال عيسى ابن مريم لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) أي من الأنصار الذين يكونون معي متوجهاً إلى نصرته الله؟ (قال الحواريون نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) والحواريون أصفياء عيسى وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا بقصرين يحورون الثياب أي يبيضونها (فَأَمَّنتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بعيسى ابن مريم وقالوا إنه عبد الله رفع إلى السماء (وَكَفَرَتَ طَائِفَةٌ) لقولهم إنه ابن الله رفعه إليه فاقترنت الطائفتان (فَأَيَّدْنَا) قوينا (الَّذِينَ آمَنُوا) من الطائفتين (عَلَى عَدُوِّهِمْ) الطائفة الكافرة (فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) غالبين.

* * *

٦٢ سورة الجمعة

مجانبة وآياتها ١١ إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١]

١ (يُسَبِّحُ لِلَّهِ) ينزهه فاللام زائدة (مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) في ذكره ما تغليب للأكثر (الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ) المنزه عما لا يليق به (الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) في ملكه وصنعه

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ رَسُوْلًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]

٢ (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ) العرب والأمي من لا يكتب ولا يقرأ كتاباً (رَسُوْلًا مِنْهُمْ) (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) القرآن (وَيُزَكِّيهِمْ) يطهرهم من الشرك (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) ما فيه من الأحكام (وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين

﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَأْتَلِهِمْ أَهْلًا مِمَّنْ هُمْ أَشْهَرُ بِهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا عَلَيْهِمْ حَكْمَةٌ﴾ [الجمعة: ٣]

٣ (وَأَخْرَجَ) عطف على الأميين أي الموجودين

تُجِجِكُمْ) بالتخفيف والتشديد (مَنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم فكانهم قالوا نعم فقال (١)

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُحَاجِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١١]

١١ (تُؤْمِنُونَ) تدمون على الإيمان (بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُحَاجِدُونَ) في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أنه خير لكم فافعلوه (يُغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

١٢ (يَغْفِرُ) جواب شرط مقدر أي إن تفعلوه (لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ) إقامة (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

﴿وَأَخْرَجَ مِنْهَا نَصْرًا مِنَ اللَّهِ وَفَتْحَ قَرِيْبًا وَبَشَّرَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾

١٣ (و) يوتكم نعمة (أَخْرَجَ) نُجُوبًا نُصْرًا مِنَ اللَّهِ وَفَتْحَ قَرِيْبًا وَبَشَّرَ الْمُؤْمِنِيْنَ) بالنصر والفتح (يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا كُوفًا أَنْصَارًا) كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّنتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]

١٤ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ) لديه

(١) أسباب نزول الآية ١٠: وأخرج عن أبي صالح قال: قالوا: لو كنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله وأفضل فنزلت: «يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة الآية. فكروها الجهاد فنزلت: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون.» * وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس نحوه.

* وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس وابن جرير عن الضحاك قال: أنزلت «لم تقولون ما لا تفعلون» في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل. * وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت في توليهم يوم أحد.

(٢) أسباب نزول الآية ١١: وأخرج عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: «يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم» قال المسلمون: لو علمنا ما هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين فنزلت: «تؤمنون بالله ورسوله.»

زائدة (مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) السر والعلانية (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]

٩ (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ) بمعنى في (يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا) فامضوا (إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ) أي لصلابة (وَذَرُوا الْبَيْعَ) أي اتركوا عقده (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير فافعلوه
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

١٠ (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ) أمر بإباحة (وَابْتَغُوا) اطلبوا الرزق (مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) واذكروا الله ذكرا (كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون كان ﷺ يخطب يوم الجمعة فقدمت غير وضرب لقدمها الطبل على العادة فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلا فنزل

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]

١١ (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا) أي التجارة لأنها مطلوبهم دون اللهو (وَتَرَكُوكَ) في الخطبة (قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب (خَيْرٌ) للذين آمنوا (مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ) واللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) يقال كل لإنسان يرزق عائلته أي من رزق الله تعالى (١).

٦٢ - سورة الجمعة

(١) أسباب نزول الآية ١١ : أخرج الشيخان عن جابر قال: كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت عبر قد قدمت فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾.

* وأخرج ابن جرير عن جابر أيضاً قال: كان الجوارى إذا نكحوا كانوا يمرون بالكبر والمزامير ويتركون النبي ﷺ قائماً على المنبر وينفضون إليها فنزلت: وكأنها نزلت في الأمرين معاً. ثم رأيت ابن المنذر أخرج عن جابر لقصة النكاح وقدم العير معاً من طريق واحد وأنها نزلت في الأمرين فله الحمد.

(مِنْهُمْ) والآتين منهم بعدهم (لَمَّا) لم (يَلْحَقُوا بِهِمْ) في السابقة والفضل (وهو التعزيز الحكيم) في ملكه وصنعه وهم التابعون والاقْتِصَارُ عليهم كاف في بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي ﷺ على من عداهم ممن بعث إليهم وآمنوا به من جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة لأن كل قرن خير ممن يليه

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

٤ (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) النبي ومن ذكر معه (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوَابَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَابِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

٥ (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوَابَ) كلفوا العمل بها (ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا) لم يعملوا بما فيها من نعتة ﷺ فلم يؤمنوا به (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) أي كتباً في عدم انتفاعه بها (بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَابِ اللَّهِ) المصدقة للنبي ﷺ والمخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الكافرين

﴿قُلْ يَأْتِيهَا الَّذِينَ هَادُوا وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

٦ (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا) إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) تعلق بتمنوا الشيطان على أن الأول قيد في الثاني أي إن صدقتم في زعمكم أنكم أولياء لله والوالي يؤثر الآخرة ومبدؤها الموت فتمنوه

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٧]

٧ (وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) الكافرين

﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تُقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

٨ (قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تُقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ) الفاء

سورة المنافقون

مدنية وآياتها ١١ إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾

١ (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا) بالسنتهم علي خلاف ما في قلوبهم (نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ) يعلم (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) فيما أضره مخالفا لما قاله .

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢]

٢ (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) ستره علي أموالهم ودمائهم (فَصَدُّوا) بها (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أي عن الجهاد فيه (إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣]

٣ (ذَلِكَ) أي سوء عملهم (بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا) باللسان (ثُمَّ كَفَرُوا) بالقلب أي استمروا على كفرهم به (فَطُبِعَ) ختم (عَلَى قُلُوبِهِمْ) بالكفر (فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) الإيمان

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهم كَأَنَّهم سُتَدَةٌ يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ إِنَّهُمْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

٤ (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ) لجمالها (وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ) لفصاحته (كَأَنَّهم) من عظم أجسامهم في ترك التفهم (يُخْسَبُونَ) الشين وضمها (سُتَدَةٌ) مماله إلى الجدار (يَخْسَبُونَ) كَلَّ صَيْحَةٍ) تصاح كنداء في العسكر وإنشاد ضالة (عَلَيْهِمْ) لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم (هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ) فإنهم يفسون سرك للكفار (فَاتْلُهُمُ اللَّهُ) أهلكتهم (أَنَّى يُؤْفَكُونَ) كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان ؟

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾

٥ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا) معتذرين (يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ) بالتشديد والتخفيف عطفوا (رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ) يعرضون عن ذلك (وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) (١).

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

٦ (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ) استغني بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل (أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (٢).

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيْنَا مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧]

٧ (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ) لأصحابهم من الأنصار (لَا تُنْفِقُوا عَلَيْنَا مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) من المهاجرين (حَتَّى يَنْفَضُوا) يتفرقوا عنه (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) بالرزق فهو الرزاق للمهاجرين وغيرهم (وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ) (٣) .

٦٣- سورة المنافقون

(١) أسباب نزول الآية ٥ : أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قيل لعبد الله بن أبي: لو أتيت النبي ﷺ فاستغفر لك فجعل يلوي رأسه فنزلت فيه: «وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله الآية. وأخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله.

(٢) أسباب نزول الآية ٦ : وأخرج عن عروة قال: لما نزلت: «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم» قال النبي ﷺ: «لأزيدن على السبعين» فأنزل الله: «سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم» الآية.

* وأخرج عن مجاهد وقتادة مثله. وأخرجه من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما نزلت آية براءة قال النبي ﷺ: وأنا أسمع: «إني قد رخص لي فيهم فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة لعل الله أن يغفر لهم» فنزلت.

(٣) أسباب نزول الآيتين (٧-٨): أخرج البخاري وغيره عن زيد بن أرقم قال: سمعت عبد الله بن أبي يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا فلفن رجعا إلى المدينة ليخرجن الأعر منها الأذل فذكرت ذلك لعمي فذكر ذلك عمي للنبي ﷺ فدعاني النبي ﷺ فحدثته فأرسل رسول الله ﷺ إلي عبد الله بن أبي وأصحابه فحلقوا ما قالوا فكذبني وصدقه فأصابني شيء لم يصيبني قط مثله فجلست في البيت فقال عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك فأنزل الله: «إذا جاءك المنافقون» فبعث إلي رسول الله ﷺ فقرأها ثم قال: «إن الله قد صدقك». له طرق كثيرة عن

٦٤ سورة التغابن

مكية او مدنية وآياتها ١٨ ثماني عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]

١ (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أي ينزهه فاللام زائدة وأتى ب (ما) دون (من) تغليبا للاكثر (لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ وَإِنَّكُمْ مُّؤْمِنُونَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢]

٢ (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَمَا فِي وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنُونَ) في أصل الخلقة ثم يمتكم ويعيدكم على ذلك (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣]

٣ (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ) إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤]

٤ (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) بما فيها من الأسرار والمعتقدات

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التغابن: ٥]

٥ (أَلَمْ يَأْتِكُمْ) يا كفار مكة (نَبَأُ) خبر (الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) عقوبة كفرهم في الدنيا (وَلَهُمْ) في الآخرة (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم ؟

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَعَالُوا أَشْرًا هَدُّونَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَفَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَمِيدٌ﴾

٦ (ذَلِكَ) أي عذاب الدنيا (بِأَنَّهُ) ضمير الشأن (كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) الحجج الظاهرات

﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]

٨ (يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا) أي من غزوة بني المصطلق (إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ) عنوا به أنفسهم (مِنْهَا الْأَذَلَّ) عنوا به المؤمنين (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ) الغلبة (وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]

٩ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ) تشغلكم (أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ) عن (ذِكْرِ اللَّهِ) الصلوات الخمس (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]

١٠ (وَأَنْفِقُوا) في الزكاة (مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ) من قبل أن يأتي أحدكم الموت (فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا) بمعنى هلا أو (لولا) زائدة (ولو) للتمني (أَخَّرْتَنِي) إلى أجل قريب (فَأَصَّدَّقْتُ) بإدغام التاء في الأصل في الصاد (أَصَّدَّقْتُ) بالزكاة (وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) بأن أحج قال ابن عباس رضي الله عنهما ما قصر أحد في الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١]

١١ (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا) والله خبير بما تَعْمَلُونَ) بالتاء والياء

على الإيمان (فَقَالُوا أَبَشَرٌ أُرِيدُ بِهِ الْجِنْسُ يَهْتَدُونَ) فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا) عن الإيمان (وَاسْتَغْنَى اللَّهُ) عن إيمانهم (وَاللَّهُ عَنِّي) عن خلقه (حَمِيدٌ) محمود في أفعاله.

﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْتَوَّأَ قُلُوبُ بَنِي وَرَبِّي لَتُبَعَثَنَّ ثُمَّ لَتُنْبِتُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]

٧ (رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ) مخففة واسمها محذوف أي أنهم (لَنْ يُعْتَوَّأَ قُلُوبُ بَنِي وَرَبِّي لَتُبَعَثَنَّ ثُمَّ لَتُنْبِتُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)

﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وِرْسُولِهِ وَالَّذِي أُنزِلَ اللَّهُ بِهِمَا سَمْعًا حَسْبًا﴾ [التغابن: ٨]

٨ (فَقَامُوا بِاللَّهِ وِرْسُولِهِ وَالَّذِي أُنزِلَ اللَّهُ بِهِمَا سَمْعًا حَسْبًا) الذي أنزلنا والله بما تعملون حبيبين

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ يَوْمَ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفَرْ عَنْهُ سَيَجْعَلُ اللَّهُ وَجْدَهُ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩]

٩ اذكر (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ يَوْمَ الْجَمْعِ) يوم القيامة (ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) يغيب المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهلهم في الجنة لو آمنوا (وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفَرْ عَنْهُ سَيَجْعَلُ اللَّهُ وَجْدَهُ جَنَّتٍ) وفي قراءة «نكفر» و «ندخلهم» بالنون في الفعلين (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِيرُ﴾

١٠ (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِيرِ) هي.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]

١١ (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بقضائه (وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ) في قوله إن المصيبة بقضائه (يَهْدِ قَلْبَهُ) للصبر عليها (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ

رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢]

١٢ (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) البين

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾
١٣ (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا آيَاتٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدْوًا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا

وَتَعَفَّفُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]

١٤ (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا آيَاتٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدْوًا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) أن تطيعوهم في التخلف عن الخير كالجهاد والهجرة فإن سب نزول الآية الإطاعة في ذلك (وَإِن تَعَفَّفُوا) عنهم في تشبيطهم بإياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم (وَتَصَفَّحُوا وَتَعَفَّفُوا) فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(١).

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]

١٥ (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ) لكم شاعلة عن أمور الآخرة (وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فلا تفوتوه باشتغالكم بالأموال والأولاد.

﴿فَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحُوا لِلَّهِ حَمْدًا فِي السُّجُودِ وَالْقِيَامِ وَالْقُعُودِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [التغابن: ١٦]

٦٤ - سورة التغابن

(١) أسباب نزول الآية ١٤: أخرج الترمذي والحاكم وصحاحه عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية: «إن من أرواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم» في قوم من أهل مكة أسلموا فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا المدينة فلما قدموا على رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهاهم فهاهم أن يعاقبوهم فأنزل الله: «وإن تعفوا وتصفحوا» الآية.

* وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة التغابن كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات «يا أيها الذين آمنوا إن من أرواجكم» نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ووقفوه فقالوا: إلى من تدعنا؟ ففرق ويقم فنزلت هذه الآية وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة.

تنقضي عدتهن (إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ) زنا (مُتَّبِعَةٍ) بفتح الباء وكسرهما أي بينت أو بينة فيخرجن لإقامة الحد عليهن (وَتِلْكَ) المذكورات (حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَذَرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ الطلاق (أَمْراً) مراجعة فيما إذا كان واحدة أو اثنتين (١)

﴿فَإِذَا بَلَغَ الْبَغْلُ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِمَّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كَمَا بُوَعْتُ بِهِنَّ مِنْ كَانُ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]

٢ ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ﴾ قاربن انقضاء عدتهن (فَأَمْسِكُوهُنَّ) بأن تراجعوهن (بِمَعْرُوفٍ) من غير ضرار (أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة (وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنْكُمْ) على المراجعة أو الفراق (وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) لا للمشهدود عليه أو له (ذَلِكَ كَمَا بُوَعْتُ بِهِنَّ مِنْ كَانُ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) من كرب الدنيا والآخرة (٢)

٦٥- سورة الطلاق

(١) أسباب نزول الآية ١: أخرج الحاكم عن ابن عباس قال: طلق عبد يزيد أبو ركانة أم ركانة ثم نكح امرأة من مزينة فجاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ما تغني عني إلا ما تغني عني هذه الشعرة لشعرة أخذتها من رأسها. فنزلت: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن».

* وقال الذهبي: الإسناد واه والخبر خطأ فإن عبد يزيد لم يدرك الإسلام.

* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق قتادة عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة فأتت أهلها فأنزل الله: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن» فقيل له: راجعها فإنها صؤامة قوامة.

* وأخرجه ابن جرير عن قتادة مرسلًا. وابن المنذر عن ابن سيرين مرسلًا.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل في قوله: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء» الآية. قال: بلغنا أنها نزلت في عبد الله بن عمرو بن العاص وطفيل بن الحارث وعمرو بن سعيد بن العاص.

(٢) أسباب نزول الآية ٢: وأخرج الحاكم عن جابر قال: نزلت هذه الآية: «ومن يتق الله يجعل له مخرجًا» في رجل من أشجع كان فقيرًا خفيف ذات اليد كثير العيال فأتى رسول الله ﷺ فسأله فقال له: اتق الله واصبر فلم يلبث إلا يسيرًا حتى

١٦ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخة لقوله (اتقوا الله حق تقاته) (وَاسْتَعْمُوا) ما أمرتم به سماع قبول (وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا) في الطاعة (خَيْرًا لَّأَنْفُسِكُمْ) خير يكن مقدرة جواب الأمر (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (١)

﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧]

١٧ (إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) بأن تصدقوا عن طيب قلب (يَضْعَفْهُ لَكُمْ) وفي قراءة يضعفه بالتشديد بالواحدة عشرة إلى سبعمائة وأكثر (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ما يشاء (وَاللَّهُ شَكُورٌ) مجاز على الطاعة (حَلِيمٌ) في العقاب على المعصية.

﴿عَلَيْهِ الْقَلْبُ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيمُ الْحَكِيمُ﴾

١٨ (عَالِمُ الْغَيْبِ) السر (وَالشَّهَادَةُ) العلانية (الْعَزِيمُ) في ملكه (الْحَكِيمُ) في صنعه.

٦٥ سورة الطلاق

مجنية وآياتها ١٢ اثنتا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَذَرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾

١ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) المراد أمته بقريظة ما بعده أو قل لهم (إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ) أي أردتم الطلاق (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ) لأولها بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه لتفسيره ﷺ بذلك رواه الشيخان (وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ) احفظوها لتراجعوا قبل فراغها (وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ) أطيعوه في أمره ونهيه (لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ) منها حتى

(١) أسباب نزول الآية ١٦: وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد ابن جبير قال: لما نزلت: «اتقوا الله حق تقاته» اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تخفيفًا على المسلمين: «فاتقوا الله ما استطعتم».

﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ
سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥]

٥ (ذَلِكَ) المذكور في العدة (أَمْرُ اللَّهِ) حكمه
أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ
لَهُ أَجْرًا

﴿أَنْكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَتَ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُوهُنَّ
لِضَيْفُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلًا فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى
يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتُّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمَّرُوا
بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتْرُوعٌ لَهُ أُخْرَى﴾

٦ (أَنْكُوهُنَّ) أي المطلقات (مِنْ حَيْثُ
سَكَتُمْ) أي بعض مساكنكم (مِنْ وَجْدِكُمْ) أي
سعتكم عطف بيان أو بدل مما قبله باعادة الجار
وتقدير مضاف أي أمكنة سعتكم لا ما دونها (وَلَا
تَضَارُوهُنَّ لِضَيْفُوا عَلَيْهِنَّ) المساكن فيحتجن إلى
الخروج أو النفقة فيفتدين منكم (وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ
حَمْلًا فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ
أَرْضَعْنَ لَكُمْ) أولادكم منهن (فَاتُّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ) على
الإرضاع (وَأَتَمَّرُوا بَيْنَكُمْ) وبينهن (بِمَعْرُوفٍ) بجميل
من حق الأولاد بالتوافق على أجر معلوم للإرضاع
(وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ) تضايقتم في الرضاع فامتنع الأب من
الأجرة والأم من فعله (فَسَتْرُوعٌ لَهُ) للأب (أُخْرَى)
ولا تكره الأم على إرضاعه

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ
فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَتْهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفْ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا
سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]

٧ (لِيُنْفِقَ) على المطلقات والمرضعات (ذُو
سَعَةٍ مِمَّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ ضَيْقٌ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ
مِمَّا آتَاهُ) أعطاه (اللَّهُ) علي قدره (لَا يَكْلِفُ اللَّهُ
نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) وقد
جعله بالفتوح

راهويه والحاكم وغيرهم عن أبي بن كعب قال: لما نزلت الآية
التي في سورة البقرة في عدد من عدد النساء قالوا: قد بقي
عدد من عدد النساء لم يذكرن: الصغار والكبار وأولات
الأحمال فأنزلت: «واللاتي يسنن من الحيض» الآية. صحيح
الإسناد.

* وأخرج مقاتل في تفسيره: أن خلاد بن عمرو بن الجموح
سأل النبي ﷺ عن عدة التي لا تحيض فنزلت.

﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ
حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ
قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]

٣ (وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) يخطر بباله
(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) في أمره (فَهُوَ حَسْبُهُ)
كافيه (إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ) مراده وفي قراءة بالإضافة
(قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ) كرخاء وشدة (قَدْرًا)
ميقانا.

﴿وَالَّتِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ
فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِيضْ وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ
أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ
أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]

٤ (وَالَّتِي يَسْنَنَ) بهزمة وياء وبلا ياء في الموضوعين
(يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ) بمعنى الحيض (مِنْ نَسَائِكُمْ
إِنْ أَرْبَبْتُمْ) شككنم في عدتهن (فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
وَالَّتِي لَمْ يَحِيضْ) لصغرهن فعدهن ثلاثة أشهر
والمسألان في غير المتوفى عنهن أزواجهن أما هن
فعدهن ما في آية (يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر
وعشرا) (وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ) انقضاء عدتهن
مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن (أَنْ يَضَعْنَ
حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) في
الدنيا والآخرة (١).

جاء ابن له بغنم وكان العدو أصابوه فأتى رسول الله ﷺ
فأخبره خبرها فقال: كلها فنزلت. قال الذهبي: حديث منكر
له شاهد.

* وأخرج ابن جرير مثله عن سالم بن أبي الجعد. والشدي
وسمي الرجل عوقا الأشجعي.

* وأخرج الحاكم أيضا من حديث ابن مسعود وسماه
كذلك. وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح
عن ابن عباس قال: جاء عوف بن مالك الأشجعي فقال: يا
رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت أمه فما تأمرني؟ قال:
أمرك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله
فقاتل المرأة: نعم ما أمرك فجعلنا يكثران منها فتغفل عنه العدو
فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه فنزلت: «ومن يتق الله يجعل
له مخرجاً الآية».

* وأخرجه الخطيب في تاريخه من طريق جوير عن
الضحاك عن ابن عباس.

* وأخرجه الثعلبي من وجه آخر ضعيف. وابن أبي حاتم
من وجه آخر مرسلًا.

(١) أسباب نزول الآية ٤: وأخرج ابن جرير وإسحاق بن

(يَنْهَنُّنَ) بين السموات والأرض ينزل به جبريل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة (لِتَعْلَمُوا) متعلق بمحذوف أي أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل (أَنَّ) اللّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللّهُ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا).

* * *

٦٦ سورة التحريم

مجدنية وآياتها ١٢ اثنتا عشرة آية

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ

أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١]

١ (يا أيها النبي لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) من أمتك مارية القبطية لما واقعها في بيت حفصة وكانت غائبة فجاءت وشق عليها كون ذلك في بيتها وعلى فراشها حيث قلت هي حرام علي (تَبْتَغِي) بتحريمها (مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ) أي رضاهن (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) غفر لك هذا التحريم (١).

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلِيلَةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ

الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢]

٢ (قَدْ فَرَضَ اللَّهُ) شرع (لَكُمْ تَحْلِيلَةَ أَيْمَانِكُمْ) تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة ومن الأيمان ومن الأيمان تحريم الأمة وهل كفر ﷺ؟ قال مقاتل أعتق رقبة في تحريم مارية وقال الحسن لم يكفر لأنه ﷺ مغفور له (وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ) ناصركم (وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (٢).

٦٦ - سورة التحريم

(١) أسباب نزول الآية ١: أخرج الحاكم والنسائي بسند صحيح عن أنس: أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراماً، فأنزل الله: «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك» الآية.

(٢) أسباب نزول الآية ٢: وأخرج الضياء في المختارة من حديث ابن عمر عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ حفصة: «لا تخبري أحداً أن أم إبراهيم علي حرام» فلم يقربها حتى أخبرت عائشة فأنزل الله: «قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم». * وأخرج الطبراني بسند ضعيف من حديث أبي هريرة قال: دخل رسول الله ﷺ بمارية سريته بيت حفصة فجاءت فوجدتها معه فقالت: يا رسول الله في بيتي دون بيوت نساءك

﴿وَكَايُنَ مِنْ قَرْبَى عَنَّتَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ [الطلاق: ٨]

٨ (وَكَايُنَ) هي كاف الجر دخلت على أي بمعنى كم (مِنْ قَرْبَى) أي وكثير من القرى (عَنَّتَ) عصت يعني أهلها (عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا) في الآخرة وإن لم تجئ لتتحقق وقوعها (حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا) بسكون الكاف وضمها فظيماً وهو عذاب النار

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا حُسرًا﴾

٩ (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا) عقوبته (وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا حُسرًا) خساراً وهلاكاً

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: ١٠]

١٠ (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) تكرير الوعيد توكيد (فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (الَّذِينَ آمَنُوا) نعت للمنادى أو بيان له (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا) هو القرآن

﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مِيثَاقَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظَّالِمَاتِ إِلَى التَّوْبِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَمْسَلْ صُلْحًا يَدْخُلْهُ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لِمَنْ رَزَقًا﴾ [الطلاق: ١١]

١١ (رَسُولًا) أي محمداً ﷺ منصوب بفعل مقدر أي وأرسل (يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مِيثَاقًا) بفتح الياء وكسرهما كما تقدم (لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) بعد مجئ الذكر والرسول (مِنَ الظَّالِمَاتِ) الكفر الذي كانوا عليه (إِلَى التَّوْبِ) الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر (وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يَدْخُلْهُ) وفي قراءة «ندخله» بالنون (جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا) هو رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]

١٢ (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) يعني سبع أرضين (يَنْزِلُ الْأَمْرُ) الوحي

ولم يعبر به لاستئصال الجمع بين تشيبتين فيما هو كالكلمة الواحدة (وإن تظاهرتا) بإدغام التاء الثانية في الأصل في الظاء وفي قراءة بدونها تعاونا (عليه) أي النبي فيما يكرهه (فإن الله هو) فصل (مؤلاة) ناصره (وجبريل وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر رضي الله عنهما معطوف على محل اسم إن فيكونون ناصره (والملائكة بعد ذلك) بعد نصره الله والمذكورين (ظهير) ظهراء أعوان له في نصره عليهما

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يَبْدِلَهُ أَرْوَاجًا خَيْرًا مِّمَّا كُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ فَعِنْدَ رَبِّنَّائِ تَبَيَّنَتِ عِيدَاتٍ سَيِّئَاتٍ تُبَيَّنَتِ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥]

٥ (عسى ربه إن طلقكن) أي طلق النبي أرواحه (أن يبدله) بالتشديد والتخفيف (أرواجا خيرا منكن) خبر عسى والجملة جواب الشرط ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط (مسللمات) مقرات بالإسلام (مؤمنات) مخلصات (فانبات) مطيعات (تأنيبات غايدات سائحات) صائمات أو مهاجرات (تبيبات وأبكارا) (١).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]

٦ (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم) بالحمل على طاعة الله (نارا وقودها الناس) الكفار (والحجارة) كأصنامهم منها يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه (عليها ملائكة) خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سيأتي في المدثر (غلاظ) من غلظ القلب (شداذ) في البطش (لا يعصون الله ما أمرهم) بدل من الجلالة أي لا يعصون أمر الله (ويفعلون ما يؤمرون) تأكيد والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد وللمنافقين المؤمنين بألستهم دون قلوبهم

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَسْتَدِرُّوهُمُ الْيَوْمَ إِنَّمَا يُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم: ٧]

(١) أسباب نزول الآية: تقدم سبب نزولها وهو قول عمر في سورة البقرة:

﴿وَأَسْرَأْتَنِّي إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾

٣ واذكر (وَأَسْرَأْتَنِّي إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاجِهِ) هي حفصة (حديثا) هو تحريم مارية وقال لها لا تفشيه (فَلَمَّا نَبَّأْتُ بِهِ) عائشة ظنا منها أن لا حرج في ذلك (وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ) أطلعه (عليه) على المنبي به (عَرَفَ بَعْضَهُ) لحفصة (وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) تكرما منه (فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ) قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ أي الله

﴿إِنْ نُبَّأَ إِلَىٰ اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلٌ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]

٤ (إن نبأ إلى الله) أي حفصة وعائشة (إلى الله) فقد صغت قلوبكما) مالت إلى تحريم مارية أي سركما ذلك مع كراهة النبي ﷺ له وذلك ذنب وجواب الشرط محذوف أي تقبلا وأطلق قلوب على قلبين

قال: «فإنها علي حرام أن أمسها يا حفصة واكتمى هذا علي» فخرجت حتى أتت عائشة فأخبرتها فأنزل الله: «يا أيها النبي لم تحرم الآيات»

• وأخرج الزوارق بسند صحيح عن ابن عباس قال: نزلت: «يا أيها النبي لم تحرم الآية» في سرته.

• وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يشرب عند سودة المسلى فدخل على عائشة فقالت: «إني أجد منك ريحا ثم دخل على حفصة فقالت: مثل ذلك فقال: أراه من شراب شربته عند سودة والله لا أشربه فنزلت: «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك» وله شاهد في الصحيحين. قال الحافظ ابن حجر يحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معا.

• وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن رافع قال: سألت أم سلمة عن هذه الآية: «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك» قالت: كان عندي عكة من غسل أبيض فكان النبي ﷺ يلعق منها وكان يحبه فقالت له عائشة: نحلها بجرس عرفظا فحرمها فنزلت هذه الآية.

• وأخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن عائشة قالت: لما حلف أبو بكر أن لا ينطق على مسطح أنزل الله: «قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم» فأنفق عليه، غريب جدا في سبب نزولها.

• وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية: «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك» في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ غريب أيضا وسنده ضعيف.

ادخلوا النار مع الداخلين) من كفار قوم نوح وقوم لوط.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

١١ (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ) آمنت بموسى واسمها آسية فعذبها فرعون بأن أوتد يديها ورجليها وألقى على صدرها رحي عظيمة واستقبل بها الشمس فكانت إذا تفرق عنها من وكل بها ظللتها الملائكة (إذ قالت) في حال التعذيب (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) فكشف لها فرأته فسهل عليها التعذيب (ونجني من فرعون وعمليه) وتعذبه (ونجني من القوم الظالمين) أهل دينه فقبض الله روحها وقال ابن كيسان رفعت إلى الجنة حية فهي تأكل وتشرب

﴿وَمِمَّنْ ءَابَتْ عِمْرَانَ النَّبِيَّ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَوَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا كَلِمَاتٌ مِّنَ الْقُرْآنِ﴾ [التحریم: ١٢]

١٢ (ومومنين) عطف على امرأة فرعون (ابنت عمران النبي) أحصنت فرجها) حفظته (فنفخنا فيه من روحنا) أي جبريل حيث نفخ في جيب درعها بخلق الله تعالى فعله الواصل إلى فرجها فحملت بعبسى (وودقت بكلمات ربها) شرائعه (وكتبه) المنزلة (وكانت من القانتين) من القوم المطيعين.

٦٧ سورة الملك

محبة وآياتها ٢٠ ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدُوهُ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

١ (تبارك) تنزه عن صفات المحدثين (الذي يديه) في تصرفه (المملك) السلطان والقدرة (وهو على كل شيء قدير)

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ

الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الملك: ٢]

٧ (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) يقال لهم ذلك عند دخولهم النار أي لأنه لا ينفعكم (إنما تجزؤون ما كنتم تعملون) أي جزاءه

﴿بَنَاتِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُبُورًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُومًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨]

٨ (يا أيها الذين آمنوا ثوبوا إلى الله توبة نصوحا) بفتح النون وضمها صادقة بأن لا يعاد إلى الذنب ولا يراد العود إليه (عسى ربكم) ترجية تقع (أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات) بساتين (تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله) بإدخال النار (النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم) أمامهم (و) يكون (بأيمانهم يقولون) مستأنف (ربنا آتينا لنا نورنا) إلى الجنة والمنافقون يطفأ نورهم (واعفِر لنا) ربنا (إنك على كل شيء قدير)

﴿بَنَاتِهَا النَّبِيُّ جَاهِدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

٩ (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) وباللسان والحجة (واغلظ عليهم) بالانتهاز والمقت (وماوَاهم جهنم وبئس المصير) هي.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِن عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ سَعْيًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحریم: ١٠]

١٠ (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدنين من عبادنا صالحين فخانتاهما) في الدين إذ كفرتا وكانت امرأة نوح واسمها واهلة تقول لقومه إنه مجنون وامرأة لوط واسمها واهلة تدل قومه على أضيافه إذا نزلوا به لئلا يايقاد النار ونهارا بالتدخين (فلم يغنيا) أي نوح ولوط (عنهما من الله) من عذابه (شيقا) وقيل لهما

٨ ﴿تَكَادُ تَمَيَّنُ﴾ وقرئ تميز علي الأصل تنقطع (مِنَ الْعَيْظِ) غضبا علي الكفار (كَلِمًا أَلْفِي فِيهَا فَوْجٌ) جماعة منهم (سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا) سؤال توبيخ (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) رسول يذركم عذاب الله تعالى ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنشَأْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [المك: ٩]

٩ ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ (إِنْ) ما (أَنشَأْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ) يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالكذب وأن يكون من كلام الكفار للندر ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ١٠ ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أي سماع تفهم (أَوْ نَعْقِلُ) عقل تفكر (مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

١١ ﴿فَاعْتَرَفُوا﴾ حيث لا ينفع الاعتراف (بِذَنبِهِمْ) وهو تكذيب النذر (فَسُحِقًا) بسكون الحاء وضمها (لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) فبعداً لهم عن رحمة الله

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [المك: ١٢]

١٢ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ يخافون (بِالْغَيْبِ) في غيبتهم عن أعين الناس فيطيعونه سرا فيكون علانية أولى (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) أي الجنة

﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ١٣ ﴿وَأَسْرُوا﴾ أيها الناس (قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ) (إِنَّهُ) تعالى (عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها فكيف

بما نطقتم به وسب نزول ذلك أن المشركين قال بعضهم لبعض أسروا قولكم لا يسمعون إله محمد

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المك: ١٤]

١٤ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ما تسرون أي أنتفي علمه بذلك (وَهُوَ اللَّطِيفُ) في علمه (الْخَبِيرُ) فيه

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهَا وَإِلَيْهَا تُشْرُونَ﴾ [المك: ١٥]

١٥ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ سهلة

٢ ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾ في الدنيا (وَالْحَيَاةَ) في الآخرة أو هما في الدنيا فالنطفة تعرض لها الحياة وهي ما به الإحساس والموت ضدها أو عدمها قولان والخلق على الثاني بمعنى التقدير (لِيَتَلَوَّكُم) ليختبركم في الحياة (أَلَيْكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا) أطوع لله (وَهُوَ الْعَزِيزُ) في انتقامه ممن عصاه (الْعَفُورُ) لمن تاب إليه

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرِجْ أَبْصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾

٣ ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض من غير مماسة (مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ) لهن أو لغيرهن (مِن تَفَاوُتٍ) تباين وعدم تناسب (فَأَرِجِ أَبْصَرَ) أعده إلى السماء (هَلْ تَرَىٰ) فيها (مِن فُطُورٍ) صدوع وشقوق

﴿ثُمَّ أَرِجْ أَبْصَرَ كَرِهْتَ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِبًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [المك: ٤]

٤ ﴿ثُمَّ أَرِجِ أَبْصَرَ كَرِهْتَ﴾ كرهت (يَنْقَلِبُ) يرجع (إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِبًا) ذليلاً لعدم إدراك الخلل (وَهُوَ حَسِيرٌ) منقطع عن روية خلل

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [المك: ٥]

٥ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ القربى إلى الأرض (بِمَصَابِيحَ) بنجوم (وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا) مراجم (لِلشَّيَاطِينِ) إذا استرقوا السمع بأن يفصل شهاب عن الكواكب كالقبس يؤخذ من النار فيقتل الجني أو يخبله لا أن الكواكب يزول عن مكانه (وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) النار الموقدة

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَرِيهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَ السَّعِيرُ﴾ ٦ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَرِيهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَ﴾

المتصين هي

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ [المك: ٧]

٧ ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا﴾ صوتا منكرا كصوت الحمار (وَهِيَ تَفُورُ) تغلي

﴿تَكَادُ تَمَيَّنُ مِنَ الْغَيْظِ كَلِمًا أَلْفِي فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [المك: ٨]

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكَ إِنِ امْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي
عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١]

٢١ ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ امْسَكَ﴾
الرحمن (رزقته) أي المطر عنكم وجواب الشرط
محذوف دل عليه ما قبله أي فمن يرزقكم أي لا
رازق لكم غيره (بل لجوا) تمادوا (في عُتُوٍّ تكبير
(وَنُفُورٍ) تباعد عن الحق

﴿أَفَنْ يَبْشَىٰ مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَبْشَىٰ سَوِيًّا عَلَىٰ
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]

٢٢ ﴿أَفَنْ يَبْشَىٰ مُكِبًّا﴾ واقعا (عَلَىٰ وَجْهِهِ
أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَبْشَىٰ سَوِيًّا) معتدلا (عَلَىٰ صِرَاطٍ) طريق
(مُسْتَقِيمٍ) وخير من الثانية محذوف دل عليه خبر
الأولى أي أهدى والمثل في المؤمن والكافر أيهما
على هدى

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣]

٢٣ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ (وجعل
لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (قَلِيلًا مَّا
تَشْكُرُونَ) ما مزيدة والجملة مستأنفة مخبرة بقلة
شكرهم جدًا على هذه النعم

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾
٢٤ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ (في الأرض
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) للحساب

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
٢٥ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين (مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ) وعد
الحشر (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُهُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾
٢٦ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُهُ﴾ بمنجيته (عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا
نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الانذار

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ [الملك: ٢٧]

٢٧ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي العذاب بعد الحشر (زُلْفَةً)
قريبا (سَيِّتَتْ) اسودت (وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ)
أي قال الخزنة لهم (هَذَا) العذاب (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ)

للمشي فيها (فَأَمْسُوا فِي مَنَاكِبِهَا) جوانبها (وَكُلُوا
مِنْ رِزْقِهِ) المخلوق لأجلكم (وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) من
القبور للجزاء

﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ
تَمُورٌ﴾ [الملك: ١٦]

١٦ ﴿ءَأَمِنْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية
وإدخال ألف بينهما وبين الأخرى وتركه وإبدالها
ألفا (مَنْ فِي السَّمَاءِ) سبطانه وقدرته (أَنْ يَخْسِفَ)
بدل من (مَنْ) (بِكُمْ الْأَرْضَ) فَإِذَا هِيَ تَمُورُ تتحرك
بكم وترتفع فوقكم

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
فَسَتَّاعِلُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ [الملك: ١٧]

١٧ ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ﴾ بدل
من (مَنْ) (عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) ريحا ترميكم بالحصباء
(فَسَتَّاعِلُونَ) عند معاينة العذاب (كَيْفَ نَذِيرٍ)
إنذاري بالعذاب أنه حق

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ﴾
١٨ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم
(فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ) إنكاري عليهم بالكذب عند
إهلاكهم أي إنه حق

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِدٍ وَيَقْبِضْنَ مَا
يُتَسَكَّرُونَ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾

١٩ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظرون (إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ) في
الهواء (صَفَائِدٍ) باسطات أجنحتهن (وَيَقْبِضْنَ)
أجنتهن بعد البسط أي وقابضات (مَا يُتَسَكَّرُونَ)
عن الوقوع في حال البسط والقبض (إِلَى الرَّحْمَنِ)
بقدرته (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) المعنى ألم يستدلوا
بشبهت الطير في الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم ما
تقدم وغيره من العذاب ؟

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ
الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُوبٍ﴾ [الملك: ٢٠]

٢٠ ﴿أَمَّنْ﴾ مبتدأ (هَذَا) خبره (الَّذِي) بدل من
هذا (هُوَ جُنْدٌ) أعوان (لَكُمْ) صلة الذي (يَنْصَرُّكُمْ)
صفة جند (مَنْ دُونِ الرَّحْمَنِ) أي غيره يدفع عنكم
عذابه أي لا ناصر لكم (إِنْ) ما (الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي
غُرُوبٍ) غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم

أي انتفى الجنون عنك بسبب إتمام ربك عليك بالنبوة وغيرها وهذا رد لقولهم إنه مجنون (١)

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣]

٣ (وإنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ) مقطوع

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]

٤ (وإنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ) دين (عظيم) (٢)

﴿سَبِّحْهُ وَبِحَمْدِهِ﴾ [القلم: ٥]

٥ (سَبِّحْهُ وَبِحَمْدِهِ)

﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦]

٦ (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) مصدر كالمعقول أي الفتون بمعنى الجنون أي أبلك أم بهم

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ﴾ [القلم: ٧]

٧ (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ) له وأعلم بمعنى عالم

﴿فَلَا تُطِيعُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [القلم: ٨]

٨ (فَلَا تُطِيعُ الْمُكْذِبِينَ)

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]

٩ (وَدُّوا) تمنوا (لَوْ) مصدرية (تُدْهِنُ) تلين لهم (فَيُدْهِنُونَ) يلبنون لك وهو معطوف على تدهن وإن جعل جواب التمني المفهوم من ودوا قدر قبله بعد الفاء هم

﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مِّمِّينٍ﴾ [القلم: ١٠]

١٠ (وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ) كثير الحلف بالباطل (مِّمِّينٍ) حقير (٣)

بإذاره (تَدْعُونَ) أنكم لا تبعثون وهذه حكاية حال تأتي عبر عنها بطريق المضي لتحقيق وقوعها.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الملك: ٢٨]

٢٨ (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ) من المؤمنين بعذابه كما تقصدون (أَوْ رَحِمَنَا) فلم يعذبنا (فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) أي لا مجير لهم منه

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩]

٢٩ (قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ) بالتاء والياء عند معاينة العذاب (مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بين أنحن أم أنتم أم هم.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾

٣٠ (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) غائرا في الأرض (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) جار تناله الأيدي والدلاء كماحكم أي لا يأتي به إلا الله تعالى فكيف تنكرون أن يبعثكم ويستحب أن يقول القارئ عقب معين «الله رب العالمين» كما ورد في الحديث وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تأتي به النفوس والمعاول فذهب ماء عينه وعمي نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته.

٦٨ سورة القلم

مكية وآياتها ٥٢ اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [القلم: ١]

١ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) أحد حروف الهجاء الله أعلم بمراده به (وَالْقَلَمِ) الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ (وَمَا يَسْطُرُونَ) أي الملائكة من الخير والصلاح

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]

٢ (مَا أَنْتَ) يا محمد (بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ)

٦٨ - سورة القلم

(١) أسباب نزول الآية ٢: أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: كانوا يقولون للنبي ﷺ إنه مجنون ثم شيطان فنزلت: «ما أنت بنعمة ربك بمجنون».

(٢) أسباب نزول الآية ٤: وأخرج أبو نعيم في الدلائل والواحد بسند واه عن عائشة قالت: ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: لبيك فلذلك أنزل الله: «وإنك لعلى خلق عظيم».

(٣) أسباب نزول الآيات (١٠-١١-١٢): وأخرج ابن

والجوع (كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْبِسْتَانَ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا) يقطعون ثمرتها (مُصْبِحِينَ) وقت الصباح كي لا يشعر بهم المساكين فلا يعطونهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها (١).

﴿وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾ [القلم: ١٨]

٦٨ (وَلَا يَسْتَنْوُونَ) في يمينهم بمشيئة الله تعالى والجملة مستأنفة أي وشأنهم ذلك

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ﴾ [القلم: ١٩]

١٩ (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ) نار أحرقتها ليلاً (وَهُمْ نَائِبُونَ)

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠]

٢٠ (فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ) كالليل الشديد الظلمة أي سوداء

﴿فَتَنَادَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: ٢١]

٢١ (فَتَنَادَا مُصْبِحِينَ)

﴿أَنْ أَعْدُوا عَلَيَّ حَرْبًا إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ﴾ [القلم: ٢٢]

٢٢ (أَنْ أَعْدُوا عَلَيَّ حَرْبًا إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ) لتنادوا أو أن مصدرية أي بأن (إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ) يريدن القطع وجواب الشرط دل عليه ما قبله

﴿فَأَنطَلَقُوا وَهُمْ يَخْتَفُونَ﴾ [القلم: ٢٣]

٢٣ (فَأَنطَلَقُوا وَهُمْ يَخْتَفُونَ) يتساورون

﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا يَوْمَ عَلَيْكَ مَسْكِينٌ﴾ [القلم: ٢٤]

٢٤ (أَنْ لَا يَدْخُلَهَا يَوْمَ عَلَيْكَ مَسْكِينٌ) تفسير لما قبله أو أن مصدرية أي بأن

﴿وَعَدُوا عَلَى حَرِّ قَادِرِينَ﴾ [القلم: ٢٥]

٢٥ (وَعَدُوا عَلَى حَرِّ قَادِرِينَ) منع للفقراء (قَادِرِينَ) عليه في ظنهم

﴿فَمَا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ﴾ [القلم: ٢٦]

(١) أسباب نزول الآية ١٧: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج أن أبا جهل قال يوم بدر: خذوهم أخذًا فاربطوهم في الحبال ولا تقتلوا منهم أحدًا فنزلت: «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ» يقول في قدرتهم عليهم كما اقتدر أصحاب الجنة على الجنة.

﴿هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنِيمٍ﴾ [القلم: ١١]

١١ (هَمَّازٍ) عياب أي مغتاب (مَّشَاءٍ بِنِيمٍ) ساع بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم

﴿مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْبِيرِ﴾ [القلم: ١٢]

١٢ (مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ) بخيل بالمال عن الحقوق (مُعْتَدٍ) ظالم (أَيْبِيرِ) أتم.

﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ [القلم: ١٣]

١٣ (عُتِلَ) غليظ جاف (بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ) دعي في قريش وهو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانين عشرة سنة قال ابن عباس لا نعلم أن الله وصف أحدًا بما وصفه به من العيوب فالحق به عارا لا يفارقه أبدا وتعلق بزئيم الظرف قبله

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [القلم: ١٤]

١٤ (أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ) أي لأن وهو متعلق بما دل عليه

﴿إِذَا تَنَالَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

١٥ (إِذَا تَنَالَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا) القرآن (قَالَ) هي (أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أي كذب بها لإنعامنا عليه بما ذكر وفي قراءة أن بهمزتين مفتوحتين

﴿سَنَسِيئَةً عَلَى الْمُرْتُوبِينَ﴾ [القلم: ١٦]

١٦ (سَنَسِيئَةً عَلَى الْمُرْتُوبِينَ) سنجعل على أنفه علامة يعير بها ما عاش فخطم أنفه بالسيف يوم بدر

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا

مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: ١٧]

١٧ (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ) امتحننا أهل مكة بالقحط

أبي حاتم عن الشدي في قوله: «ولا تطع كل حلاف مهين» قال: نزلت في الأخنس بن شريق.

* وأخرج ابن المنذر عن الكلبي مثله.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: نزلت في الأسود

ابن عبد يوفى.

* وأخرج ابن جريج عن ابن عباس قال: نزلت على النبي

ﷺ: «ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم» فلم

نعرفه حتى نزل عليه بعد ذلك «عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ» فعرفناه له

زئمة كزئمة الشاة.

٢٦ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ سوداء محترقة ﴿قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ﴾ عنها أي ليست هذه ثم قالوا لما علموها

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [القلم: ٢٧]

٢٧ ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ثمرتها بمنعنا الفقراء منها

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]

٢٨ ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ خيرهم ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا﴾ هلا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ الله تائبين

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم: ٢٩]

٢٩ ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بمنع الفقراء حقهم

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتْلَوْنَ﴾ [القلم: ٣٠]

٣٠ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتْلَوْنَ﴾

﴿قَالُوا يَبْرَأَنَّ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم: ٣١]

٣١ ﴿قَالُوا يَا﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ ظالمين

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾

٣٢ ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ ليقبل توبتنا ويرد علينا خيرا من جنتنا روي أنهم أبدلوا خيرا منها

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

٣٣ ﴿كَذَلِكَ﴾ أي مثل العذاب لهؤلاء ﴿الْعَذَابُ﴾ لمن خالف أمرنا من كفار مكة وغيرهم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ عذابها ما خالفوا أمرنا ونزل لما قالوا إن بعثنا نعط أفضل منكم

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤]

٣٤ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾

﴿أَتَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]

٣٥ ﴿أَتَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ أي تابعين لهم في العطاء

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٦]

٣٦ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد

﴿أَمْ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٧]

٣٧ ﴿أَمْ﴾ أي بل ألكم كيتاب منزل (فيه تدرشون) أي تقرأون

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهَ لِمَا تَخْتَرُونَ﴾ [القلم: ٣٨]

٣٨ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهَ لِمَا تَخْتَرُونَ﴾ تختارون

﴿أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَظِيمَةً﴾ [القلم: ٣٩]

٣٩ ﴿أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَظِيمَةً﴾

﴿عَلَيْنَا بِالْعَقَّةِ﴾ وثيقة (إلى يوم القيامة) متعلق معنى بعلينا وفي هذا الكلام معنى القسم أي أقسمنا لكم وجوابه ﴿إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ﴾ به لأنفسكم

﴿سَأَلَهُمْ أَهْمُكُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٤٠]

٤٠ ﴿سَأَلَهُمْ أَهْمُكُمْ بِذَلِكَ﴾ الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين (زعيم) كفيلا لهم

﴿أَمْ لَمْ شُرَكَاءُ فُلْيَاقُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ [القلم: ٤١]

٤١ ﴿أَمْ لَمْ شُرَكَاءُ فُلْيَاقُوا﴾ موافقون في هذا القول يكفلون لهم به فإن كان كذلك ﴿فُلْيَاقُوا﴾ بشركائهم الكافرين لهم به (إن كانوا صادقين)

﴿يَوْمَ يَكْتُفُ عَنِ سَاقٍ وَيَدْعُونَ إِلَى الشُّجُودِ﴾ [القلم: ٤٢]

٤٢ ﴿يَوْمَ يَكْتُفُ عَنِ سَاقٍ﴾ (يَوْمَ يُكْتَفُ عَنْ سَاقٍ) هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء يقال كشفت الحرب عن ساق إذا اشتد الأمر فيها ﴿وَيَدْعُونَ إِلَى الشُّجُودِ﴾ امتحانا لإيمانهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ تصير ظهورهم طبقا واحدا

﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ رَهَقَهُمْ ذُلَّةٌ﴾ [القلم: ٤٣]

٤٣ ﴿خَشِيعَةً﴾ حال من ضمير يدعون أي ذليلة ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾ لا يرفعونها ﴿رَهَقَهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذُلَّةٌ﴾ وقد كانوا يُدْعَوْنَ في الدنيا (إلى الشُّجُودِ) وهم سائلون) فلا يأتون به بأن لا يصلوا

﴿فَذَرَفِي وَمَنْ يَكْذِبُ﴾ [القلم: ٤٤]

٤٤ ﴿فَذَرَفِي وَمَنْ يَكْذِبُ﴾ (ومن يكذب بهذا) دعني (ومن يكذب بهذا)

﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ الجن والإنس لا يحدث بسببه جنون.

٦٩ سورة الحاقة

مهية وآياتها إحدى أو اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١]

١ (الْحَاقَّةُ) القيامة التي يحق فيها ما أنكر من البعث والحساب والجزاء أو المظهرة لذلك

﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٢]

٢ (مَا الْحَاقَّةُ) تعظيم لشأنها وهو مبتدأ وخبر، خبر الحاقة

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٣]

٣ (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا الْحَاقَّةُ) زيادة تعظيم لشأنها فما الأولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدري

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤]

٤ (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ) القيامة لأنها تفرغ القلوب بأحوالها

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَمْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]

٥ (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَمْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَمْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾

٦ (وَأَمَّا عَادٌ فَأَمْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ) شديدة الصوت (عَاتِيَةٍ) قوية شديدة على عاد مع قوتهم وشدتهم

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾

٧ (سَخَّرَهَا) أرسلها بالقهر (عَلَيْهِمْ) سبع ليلٍ وثمانية أيام) أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال وكانت في عجز الشتاء (حُسُومًا) متتابعات شبهت بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم (فَتَرَى الْقَوْمَ) فيها صرعى مطروحين هالكين (كَانَهُمْ) أعجاض

الحديث) القرآن (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ) نأخذهم قليلا قليلا (مَنْ حَيْثُ لَا يَتْلَمُونَ)

﴿وَأَمْلِمْ لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٥]

٤٥ (وَأَمْلِمْ لَهُمْ) أمهلهم (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) شديد لا يطاق

﴿أَمْ تَنْتَهِمُ اجْرًا فَهُمْ مِنْ مَفْرَمٍ مَثْقَلُونَ﴾ [القلم: ٤٦]

٤٦ (أَمْ) بل (أَتَسَاءَلُهُمْ) على تبليغ الرسالة (أَجْرًا) فهُمْ مِنْ مَفْرَمٍ) مما يعطونكه (مَثْقَلُونَ) فلا يؤمنون لذلك

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [القلم: ٤٧]

٤٧ (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ) اللوح المحفوظ الذي فيه الغيب (فَهُمْ يَكْتُبُونَ) منه ما يقولون

﴿فَاضْرِبْ لِنَجْمِكَ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ

مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]

٤٨ (فَاضْرِبْ لِنَجْمِكَ رَبِّكَ) فيهم بما يشاء (وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) في الضجر والعجلة وهو يونس عليه السلام (إِذْ نَادَى) دعا ربه (وَهُوَ مَكْظُومٌ) مملوء غما في بطن الحوت

﴿وَلَا أَنْ تَدْرِكُهُ نِصْفَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنِيدَ بِالْعَرَءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾

٤٩ (وَلَا أَنْ تَدْرِكُهُ) أدركه (نِصْفَةٌ) رحمة (مَنْ) رَبُّهُ لَنِيدَ) من بطن الحوت (بِالْعَرَءِ) بالأرض الفضاء (وَهُوَ مَذْمُومٌ) لكنه رحم فبئذ غير مذموم

﴿فَأَجْنِبْهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القلم: ٥٠]

٥٠ (فَأَجْنِبْهُ رَبُّهُ) بالنبوة (فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) الأنبياء

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَنْ سَمِعُوا الذِّكْرَ

وَيَقُولُونَ إِنَّمَا لَمْجُونٌ﴾ [القلم: ٥١]

٥١ (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ) بضم الياء وفتحها (بِأَبْصَرِهِمْ) ينظرون إليك نظرا شديدا يكاد أن يصرعك ويسقطك من مكانك (لَنْ سَمِعُوا) الذِّكْرَ) القرآن (وَيَقُولُونَ) حسدا (إِنَّهُ لَمْجُونٌ) بسبب القرآن الذي جاء به

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: ٥٢]

٥٢ (وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ) القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) موعظة

أصول (تَخْلُ حَاوِيَةً) ساقطة فارغة.

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقٍ﴾ [الحاقة: ٨]

٨ ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ صفة نفس مقدرة أو التاء للمبالغة أي باق، لا

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِقَةِ﴾

٩ (وجاء فرعون ومن قبله) أتباعه وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء أي من تقدمه من الأمم الكافرة (والمؤتفكات) أهلها وهي قري قوم لوط (بالمخاطقة) بالمفصلات ذات الخطأ

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ آخِذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة: ١٠]

١٠ ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ لوطا وغيره ﴿فَأَخَذَهُمْ آخِذَةً رَّابِيَةً﴾ زائدة في الشدة على غيرها

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْبَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]

١١ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها زمن الطوفان (حَمَلْنَاكِم) يعني آباءكم إذ أنتم في أصلابهم (في الجارية) السفينة التي عملها نوح ونجا هو ومن كان معه فيها وغرق الآخرون

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أذُنٌ رَّعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]

١٢ ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ هذه الفعلة وهي إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةٌ﴾ عظة (وتعيها) ولتحفظها (أذنٌ راعية) حافظة لما تسمع^(١).

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣]

١٣ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ للفصل بين الخلائق وهي الثانية

﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾

١٤ ﴿وَحُمِلَتِ﴾ رفعت (الأرض والجبال فدكتا) دقتا (دكةً واحدةً)

﴿يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٥]

١٥ ﴿يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة

﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فِيهَا يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةً﴾ [الحاقة: ١٦]

١٦ ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فِيهَا يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةً﴾ ضعيفة

﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَجْمَلُ عَرَشَ رَبِّكَ تَوَفَّهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمِينًا﴾ [الحاقة: ١٧]

١٧ ﴿وَالْمَلَكُ﴾ يعني الملائكة (على أرجائها) جوانب السماء (ويجمل عرش ربك فوفهم) الملائكة المذكورين (يَوْمَئِذٍ ثَمِينًا) من الملائكة أو من صفوفهم

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]

١٨ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ للحساب (لا تخفى) بالتاء والياء (منكم خافية) من السرائر

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينًا فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَةَ﴾

١٩ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينًا فَيَقُولُ﴾ خطابا لجماعته لما سر به (هأؤم) خذوا (أقرؤوا كتابيته) تنازع فيه هأؤم اقرؤوا

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حِسَابِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٠]

٢٠ ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ تيقنت (أني ملق حسابية)

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]

٢١ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ مرضية

﴿فِي حَكْمٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢٢]

٢٢ ﴿فِي حَكْمٍ عَالِيَةٍ﴾

﴿فَطُوفُهَا دَائِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]

٢٣ ﴿فَطُوفُهَا﴾ ثمارها (دائية) قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع

﴿كُلُّوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾

٢٤ ﴿كُلُّوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حال أي متهئين (بما أسلفتم في الأيام الخالية) الماضية في الدنيا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَرَأَيْتُ كِتَابِيَةَ﴾

٢٥ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ﴾ (يا

٦٩- سورة الحاقة

(١) أسباب نزول الآية ١٢: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والواحدي عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «إني أمرت أن أدنك ولا أقصيك وأن أعلمك وأن تعمي وحق لك أن تعمي، قال: فنزلت هذه الآية: «وتعيها أذن راعية» لا يصح.

- ٣٧ ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ الكافرون
 ﴿فَلَا أَقِيمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨]
 ٣٨ ﴿فَلَا زَائِدَةٌ أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ من
 المخلوقات
 ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٩]
 ٣٩ ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ منها أي بكل مخلوق
 ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠]
 ٤٠ ﴿إِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي
 قاله رسالة عن الله تعالى
 ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١]
 ٤١ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾
 ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٢]
 ٤٢ ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ بالثناء
 والياء في الفعلين و«ما» مزيدة مؤكدة والمعنى أنهم
 آمنوا بأشياء يسيرة وتذكروها مما أتى به النبي ﷺ
 من الخير والصلة والعفاف فلم تغن عنهم شيئا
 ﴿نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٣]
 ٤٣ بل هو ﴿نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾
 ﴿وَلَوْ لَقَوْلٌ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤]
 ٤٤ ﴿وَلَوْ لَقَوْلٌ﴾ أي النبي ﴿عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾
 بأن قال عنا ما لم نقله
 ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥]
 ٤٥ ﴿لَأَخَذْنَا﴾ لنلنا ﴿مِنْهُ﴾ عقابا ﴿بِالْيَمِينِ﴾ بالقوة
 والقدرة
 ﴿ثُمَّ لَقَطَفْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦]
 ٤٦ ﴿ثُمَّ لَقَطَفْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ نياط القلب وهو
 عرق متصل به إذا انقطع مات صاحبه
 ﴿فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]
 ٤٧ ﴿فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَحَدٍ﴾ هو اسم «ما» و«من»
 زائدة لتأكيد النفي ومنكم حال من أحد ﴿عَنْهُ﴾
 حاجزين مانعين خيرا ما وجمع لأن أحدا في سياق
 النفي بمعنى الجمع وضمير عنه للنبي ﷺ أي:
 لا مانع لنا عنه من حيث العقاب

- للتنبية ﴿لَيْتَنِي لَمْ أُوْتِ كِتَابِيَهٗ﴾
 ﴿وَلَوْ أَذْرِي مَا حِسَابِيَهٗ﴾ [الحاقة: ٢٦]
 ٢٦ ﴿وَلَوْ أَذْرِي مَا حِسَابِيَهٗ﴾
 ﴿بَلَيَاتِيهَا كَأَنَّ الْفَاضِيَهٗ﴾ [الحاقة: ٢٧]
 ٢٧ ﴿بَلَيَاتِيهَا﴾ الموتة في الدنيا ﴿كَأَنَّ الْفَاضِيَهٗ﴾
 القاطعة لحياتي بأن لا أبعث
 ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ﴾ [الحاقة: ٢٨]
 ٢٨ ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ﴾
 ﴿هَلَّاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ﴾ [الحاقة: ٢٩]
 ٢٩ ﴿هَلَّاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ﴾ قوتي وحجتي وهاء
 كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت وفقاً
 ووصلاً اتباعاً لمصحف الإمام والنقل ومنهم من
 حذفها وصلاً
 ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠]
 ٣٠ ﴿خُذُوهُ﴾ خطاب لخزنة جهنم ﴿فَغُلُّوهُ﴾
 اجمعوا يديه إلى عنقه في الغل
 ﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ﴾ [الحاقة: ٣١]
 ٣١ ﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ﴾ النار المحرقة ﴿صَلْوُهُ﴾ أدخلوه
 ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾
 ٣٢ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ بذراع
 الملك ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أدخلوه فيها بعد إدخاله النار ولم
 تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم
 ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٣٣]
 ٣٣ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾
 ﴿وَلَا يَحْضُرُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَشْكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٤]
 ٣٤ ﴿وَلَا يَحْضُرُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَشْكِينِ﴾
 ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ [الحاقة: ٣٥]
 ٣٥ ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ قريب ينتفع به
 ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غَشِيلِينَ﴾ [الحاقة: ٣٦]
 ٣٦ ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غَشِيلِينَ﴾ صديد أهل النار
 أو شجر فيها
 ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: ٣٧]

﴿يُنِزُ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣]

٣ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ متصل بواقع (ذِي الْمَعَارِجِ) مصاعد الملائكة وهي السموات

﴿تَنْجُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]

٤ ﴿تَفْرُجُ﴾ بالتاء والياء (المَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ) جبريل (إِلَيْهِ) إلى مهبط أمره من السماء (فِي يَوْمٍ) متعلق بمحذوف يقع العذاب بهم في يوم القيامة (كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) بالنسبة إلى الكافر لما يلقي فيه من الشدائد وأما المؤمن فيكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا كما جاء في الحديث

﴿فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]

٥ ﴿فَاصْبِرْ﴾ وهذا قبل أن يؤمر بالقتال (صَبْرًا جَمِيلًا) أي لا جزع فيه

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ [المعارج: ٦]

٦ ﴿لأنهم يَرَوْنَهُ﴾ العذاب (بَعِيدًا) غير واقع

﴿وَرَوْنَهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٧]

٧ ﴿وَرَوْنَهُ قَرِيبًا﴾ واقعا لا محالة

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ﴾ [المعارج: ٨]

٨ ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ﴾ متعلق بمحذوف تقديره يقع (كَالْهَيْلِ) كذائب الفضة

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٩]

٩ ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ كالصوف بالخفة والطيران بالريح

﴿وَلَا يَسْتَلُّ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠]

١٠ ﴿وَلَا يَسْتَلُّ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ قريب قريبه لاشتغال كل بحاله

﴿يَبْصُرُونَهُ يَوْمَ يَكُونُ الْمَرْجُ لَوْ يُفْتَدَى مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ

بَيْنِيذٍ﴾ [المعارج: ١١]

١١ ﴿يُبْصُرُونَهُمْ﴾ أي يبصر الأحماء بعضهم بعضا ولا يتكلمون والجملة مستأنفة (يَوْمَ الْمَرْجُ) يتمنى الكافر (لَوْ) بمعنى أن (يُفْتَدَى مِنْ عَذَابٍ

﴿وَأَنَّهُ لَتَذَكُّرٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: ٤٨]

٤٨ ﴿وَأَنَّهُ﴾ القرآن (لَتَذَكُّرٌ لِلْمُتَّقِينَ)

﴿وَأِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ [الحاقة: ٤٩]

٤٩ ﴿وَأِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ﴾ أيها الناس (مُكَذِّبِينَ)

بالقرآن ومصديقين

﴿وَأَنَّهُمْ لَخَسِرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الحاقة: ٥٠]

٥٠ ﴿وَأَنَّهُ﴾ القرآن (لَخَسِرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) إذا

رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به

﴿وَأَنَّهُمْ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الحاقة: ٥١]

٥١ ﴿وَأَنَّهُ﴾ القرآن (لَحَقُّ الْيَقِينِ) أي اليقين

المتيقن حق اليقين.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٥٢]

٥٢ ﴿فَسَبِّحْ﴾ نزه (بِاسْمِ) الباء زائدة (رَبِّكَ

الْعَظِيمِ) سبحانه.

٧٠ سورة المعارج

مكية وآياتها أربع وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١]

١ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ دعا داع (بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) ^(١)

﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ﴾ [المعارج: ٢]

٢ ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ هو النضر بن

البحارث قال اللهم إن كان هذا هو الحق الآية ^(٢).

٧٠- سورة المعارج

(١) أسباب نزول الآية ١: أخرج النسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: «سأل سائل» قال: هو النضر بن الحارث قال: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن الشدي في قوله: «سأل سائل» قال: نزلت بمكة في النضر بن الحارث وقد قال: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك» الآية . وكان عذابه يوم بدر. (٢) أسباب نزول الآية ٢: وأخرج ابن المنذر عن الحسن قال: نزلت «سأل سائل» بعذاب واقع» فقال الناس: على من يقع العذاب؟ فأقول: الله: «لللكافرين ليس له دافع».

يُؤَيِّدِي) بكسر الميم وفتحها (بينه)

﴿وَصَلَّيْتَهُ وَأَخِيهِ﴾ [المعارج: ١٢]

١٢ ﴿وَصَاحِبِيهِ﴾ زوجته (وَأَخِيهِ)

﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّدُ﴾ [المعارج: ١٣]

١٣ ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته لفصله منها (التي تُؤَيِّدُ)

تضمه

﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنَجِّيهِ﴾ [المعارج: ١٤]

١٤ ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنَجِّيهِ﴾ ذلك الاقتداء عطف على يفندي

﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْفٌ لَظَنٌ﴾ [المعارج: ١٥]

١٥ ﴿كَلَّا﴾ ردا لما يوده (إنها) أي النار (لَأَنْفٌ) اسم لجهنم لأنها تلتظي أي تلهب على الكفار

﴿نَزَاعَةٌ لِّلشَّوْءِ﴾ [المعارج: ١٦]

١٦ ﴿نَزَاعَةٌ لِّلشَّوْءِ﴾ جمع شواة وهي جلدة الرأس

﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [المعارج: ١٧]

١٧ ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان بأن تقول إلي إلي

﴿رَجَعٌ فَأَوْعَى﴾ [المعارج: ١٨]

١٨ ﴿رَجَعٌ فَأَوْعَى﴾ المال (فَأَوْعَى) أمسكه في وعائه ولم يؤد حق الله منه

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩]

١٩ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ حال مقدرة وتفسيره

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ [المعارج: ٢٠]

٢٠ ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ وقت مس الشر

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢١]

٢١ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وقت مس الخير أي المال لحق الله منه

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ٢٢]

٢٢ ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ أي المؤمنین

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]

٢٣ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ مواظبون

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [المعارج: ٢٤]

٢٤ ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ هو الزكاة

﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٥]

٢٥ ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ المتعفف عن السؤال

فيحرم

﴿وَالَّذِينَ يُصَلُّونَهُ بِيَمِينِهِمْ﴾ [المعارج: ٢٦]

٢٦ ﴿وَالَّذِينَ يُصَلُّونَهُ بِيَمِينِهِمْ﴾ الجزاء

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المعارج: ٢٧]

٢٧ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾

خائفون

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج: ٢٨]

٢٨ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ نزوله

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٢٩]

٢٩ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ غَيْرُ

مَلُومِينَ﴾ [المعارج: ٣٠]

٣٠ ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾

من الإماء (فَأَيْمَانُهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ)

﴿فَمَنْ ابْتَدَعَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾

٣١ ﴿فَمَنْ ابْتَدَعَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾

المتجاوزون الحلال إلى الحرام

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢]

٣٢ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ﴾ وفي قراءة بالإفراد

ما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا (وَعَهْدِهِمْ)

المأخوذ عليهم في ذلك (رَاعُونَ) حافظون

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٣٣]

٣٣ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ﴾ وفي قراءة بالإفراد

قَائِمُونَ) يقيمونها ولا يكتُمونها

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤]

٣٤ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾

بأدائها في أوقاتها

﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٥]
٣٥ ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ﴾

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَلْئِنْ قِيلَ لَهُمْ كَفَرُوا بِهِمْ يَأْبَهُوا﴾ [المعارج: ٣٦]
٣٦ ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ يَأْبَهُوا﴾ نحوك
(مُهْطِعِينَ) حال أي مديمي النظر

﴿عَنِ الَّتِي وَعَنَ الشَّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٧]
٣٧ ﴿عَنِ الَّتِي وَعَنَ الشَّمَالِ عِزِينَ﴾ (عِزِينَ)
حال أيضا أي جماعات حلقا حلقا يقولون استهزاء
بالمؤمنين لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم

﴿أَيُّطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ بِأَن يُدْخَلَ جَنَّةً بِغَيْرِ﴾
٣٨ ﴿أَيُّطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ بِأَن يُدْخَلَ جَنَّةً﴾
تعييم

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَسْمُونُ﴾ [المعارج: ٣٩]
٣٩ ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَسْمُونُ﴾ (كَلَّا) ردع لهم عن طمعهم في الجنة (إِنَّا)
خَلَقْنَاهُمْ) كغيرهم (مِمَّا يَعْلَمُونَ) من نطف فلا
يطمع بذلك في الجنة وإنما يطمع فيها بالتقوى

﴿فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾
٤٠ ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾
(فَلَا) لا زائدة (أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ
وَالْمَغْرِبِ) للشمس والقمر وسائر الكواكب (إِنَّا)
لِقَادِرُونَ)

﴿عَلَىٰ أَن تُبَدَّلَ خَيْرًا نِّعْمًا وَمَا نَحْنُ بِمَسْتُورِينَ﴾
٤١ ﴿عَلَىٰ أَن تُبَدَّلَ خَيْرًا نِّعْمًا وَمَا نَحْنُ بِمَسْتُورِينَ﴾
(عَلَىٰ أَن تُبَدَّلَ) تأتي بدلهم (خَيْرًا مِنْهُمْ)
وما نحن بمسْتُورِينَ) بعاجزين عن ذلك

﴿فَذَرَهُمْ خَوْصًا وَيَلْمِئُوا حَتَّىٰ يَلْفُحُوا بِرِجْمِهِ الَّذِي بُوعِدُونَ﴾
٤٢ ﴿فَذَرَهُمْ خَوْصًا وَيَلْمِئُوا حَتَّىٰ يَلْفُحُوا بِرِجْمِهِ الَّذِي بُوعِدُونَ﴾
(فَذَرَهُمْ) اتركهم (يَلْمِئُوا) يَلْمِئُوا) في باطلهم
(وَيَلْفُحُوا) في دنياهم (حَتَّىٰ يَلْفُحُوا) يلقوا (بِرِجْمِهِ)
الَّذِي بُوعِدُونَ) فيه العذاب

﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَعْدَانِ سِرَاقًا كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نَضْبٍ يُؤْفُسُونَ﴾
٤٣ ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَعْدَانِ سِرَاقًا كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نَضْبٍ يُؤْفُسُونَ﴾
(يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَعْدَانِ) القبور
(سِرَاقًا) إلى المحشر (كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نَضْبٍ) في
الأصل، وفي قراءة «نَضْبٍ» شيء منصوب كعلم أو
راية (يُؤْفُسُونَ) يسرعون

﴿خَشِيعَةً أَنْبَرَهُمْ رَهَقَهُمْ ذَلَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا﴾

﴿بُوعِدُونَ﴾ [المعارج: ٤٤]
٤٤ ﴿بُوعِدُونَ﴾ (خَشِيعَةً) ذليلة (أَنْبَرَهُمْ رَهَقَهُمْ) تغشاهم
ذَلَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعِدُونَ) ذلك مبتدأ
وما بعده الخبر ومعناه يوم القيامة.

٧١ سورة نوح

مكية وآياتها ثمان وعشرون آية

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١]
١ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إِنَّا)
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ) أي يأنذار
(قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ) إن لم يؤمنوا (عَذَابٌ
أَلِيمٌ) مؤلم في الدنيا والآخرة

﴿قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [نوح: ٢]
٢ ﴿قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بين الإنذار

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ [نوح: ٣]
٣ ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ (أَنِ) أي بأن أقول لكم (اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ
وَأَطِيعُوا)

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّعْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِن أَجَلُ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤]
٤ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّعْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِن أَجَلُ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
(يَغْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ) من زائدة فإن
الإسلام يغفر به ما قبله أو تبعية لإخراج حقوق
العباد (وَيُخَوِّعْكُمْ) بلا عذاب (إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى)
أجل الموت (إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ) بعذابكم إن لم تؤمنوا
(إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ذلك لا أنتم

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥]
٥ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي
دائما متصلا

﴿فَلَمَّ يَرَوْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٦]
٦ ﴿فَلَمَّ يَرَوْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾ عن الإيمان

﴿وَإِن كَلِمًا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغُرًا فِي أَدَانِهِمْ وَأَسْتَقْبَلُوا بُيُوتَهُمْ بِأَنفُسِهِمْ وَأَسْتَكْبَرُوا أَشْجَارًا﴾
٧ ﴿وَإِن كَلِمًا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغُرًا فِي أَدَانِهِمْ وَأَسْتَقْبَلُوا بُيُوتَهُمْ بِأَنفُسِهِمْ وَأَسْتَكْبَرُوا أَشْجَارًا﴾
(وَإِن كَلِمًا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ) جعلوا
(أُصْغُرًا فِي أَدَانِهِمْ) وأستقبلوا
(بُيُوتَهُمْ بِأَنفُسِهِمْ) وأستكبروا
(أَشْجَارًا)

﴿وَاللَّهُ أَنْتَبَرُ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]
 ١٧ (وَاللَّهُ أَنْتَبَرُ مِنْ الْأَرْضِ) إِذْ
 خَلَقَ أَبَاكُمْ أَدَمَ مِنْهَا (نَبَاتًا)

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٨]
 ١٨ (ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا) مَقْبُورِينَ (وَيُخْرِجُكُمْ)
 لِلْبَعثِ (إِخْرَاجًا)

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [نوح: ١٩]
 ١٩ (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا) مَبْسُوطَةً

﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ٢٠]
 ٢٠ (لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا) طَرِيقًا (فِجَاجًا) وَسِعَةً

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّمَّ عَصَوْتَنِي وَاتَّبَعُوا مِنْ لَدُنِّي مَالَهُ
 وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١]

٢١ (قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّمَّ عَصَوْتَنِي وَاتَّبَعُوا) أَيِ
 السُّفْلَى وَالْفُقَرَاءِ (مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ) وَهُمْ
 الرُّؤَسَاءُ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ وَوُلْدُ بَضْمِ الْوَارِثِ
 وَسُكُونِ الْوَالِدِ وَبِفَتْحِهَا وَالْأَوَّلُ قَبِيلٌ جَمَعَ وَلَدًا
 بِفَتْحِهَا كَخَشْبٍ وَخَشْبٌ وَقَبِيلٌ بِمَعْنَاهُ كَبَخْلٍ
 وَبَخْلٌ (إِلَّا خَسَارًا) طَغْيَانًا وَكُفْرًا

﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كِبَارًا﴾ [نوح: ٢٢]

٢٢ (وَمَكْرُوا) أَيِ الرُّؤَسَاءِ (مَكْرًا كِبَارًا) عَظِيمًا
 جَدًّا بَانَ كَذَبُوا نُوحًا وَأَذَوْهُ وَمَنْ اتَّبَعَهُ

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا

يَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]

٢٣ (وَقَالُوا) لِلْسُّفْلَى (لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ
 وَدًّا) بِفَتْحِ الْوَارِثِ وَضَمِّهَا (وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَعْثُوثَ
 وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) هِيَ أَسْمَاءُ أَصْنَامِهِمْ

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾

٢٤ (وَقَدْ أَضَلُّوا) بِهَا (كَثِيرًا) مِنَ النَّاسِ بَانَ
 أَمْرُهُمْ بِعِبَادَتِهِمْ (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا)
 عَطَفًا عَلَى قَدْ أَضَلُّوا دَعَا عَلَيْهِمْ لِمَا أَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ
 (لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ) .

﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرُقُوا فَأَدْحَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِنْ
 دُونَ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥]

أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ) لَعَلَّا يَسْمَعُوا كَلَامِي (وَاسْتَعْتَبُوا
 يُنَابِتُهُمْ) غَطُّوا رُءُوسَهُمْ بِهَا لَعَلَّا يَنْظُرُونِي (وَأَصْرُوا)
 عَلَى كُفْرِهِمْ (وَاسْتَكْبَرُوا) تَكَبَّرُوا عَنِ الْإِيمَانِ
 (اسْتِكْبَارًا)

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ [نوح: ٨]
 ٨ (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا) أَيِ بِأَعْلَى صَوْتِي

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٩]
 ٩ (ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ) صَوْتِي (وَاسْرَرْتُ)
 الْكَلَامَ (لَهُمْ إِسْرَارًا)

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]
 ١٠ (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) مِنَ الشَّرِكِ (إِنَّهُ
 كَانَ غَفَّارًا)

﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح: ١١]
 ١١ (يُرْسِلُ السَّمَاءَ) الْمَطَرَ وَكَانُوا قَدْ مَنَعُوهُ
 (عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) كَثِيرَ الدَّرُورِ

﴿وَيُؤَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ
 أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٢]
 ١٢ (وَيُؤَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ
 جَنَّاتٍ) بَسَاتِينَ (وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا) جَارِيَةً

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]
 ١٣ (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) أَيِ تَأْمَلُونَ
 وَقَارًا لِلَّهِ إِيَّاكُمْ بَانَ تَوَمَّنُوا

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤]
 ١٤ (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) جَمَعَ طُورٌ وَهُوَ
 الْحَالُ فَطُورًا نَطْفَةٌ وَطُورًا عُلُقَةٌ إِلَى تَمَامِ خَلْقِ
 الْإِنْسَانِ وَالنَّظَرُ فِي خَلْقِهِ يُوجِبُ الْإِيمَانَ بِخَالِقِهِ

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾
 ١٥ (أَلَمْ تَرَوْا) تَنْظُرُوا (كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ
 سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا) بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾
 ١٦ (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ) أَيِ فِي مَجْمُوعَتِهِنَّ
 الصَّادِقَ بِالسَّمَاءِ الدُّنْيَا (نُورًا) وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا
 مُصْبِحًا مُضِيئًا وَهُوَ أَقْوَى مِنْ نُورِ الْقَمَرِ

وغير ذلك (١).

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾

٢ (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) الإيمان والصواب (فَأَمَّنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ) بعد اليوم (بِرَبِّنَا أَحَدًا)

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾

٣ (وَأَنَّهُ) الضمير للشأن فيه وفي الموضوعين بعده (تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) تنزهه جلاله وعظمته عما نسب إليه (مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً) زوجة (وَلَا وَلَدًا)

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾

٤ (وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا) جاهلنا (عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) غلوا في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾

٥ (وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ) مخففة أي أنه (لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بوصفه بذلك حتى تبينا كذبهم بذلك.

* * *

٧٢- سورة الجن

(١) أسباب نزول الآية: أخرج البخاري والترمذي وغيرهما عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم ولكنه انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ما هذا إلا لشيء قد حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا هذا الذي حدث، فانطلقوا فانصرف النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: «يا قومنا إنا سمعنا قرآنًا عجيبًا» فأنزل الله على نبيه: «قل أوحى إلي» وإنما أوحى إليه قول الجن.

* وأخرج ابن الجوزي في كتاب صفوة الصفوة بسنده عن سهل بن عبد الله قال: كنت في ناحية ديار عاد إذ رأيت مدينة من حجر منقور في وسطها قصر من حجارة منقورة سقفه وأبوابه تأويه الجن فدخلت فإذا شيخ عظيم الخلق يصلي نحو الكعبة وعليه جبة صوف فيها طراوة فلم أتعجب من عظم خلقه كتعجبي من طراوة جبته فسلمت عليه فرد علي السلام وقال: يا سهل إن الأبدان لا تخلق الثياب وإنما تخلقها روائح الذنوب ومطاعم السحت وإن هذه الجبة علي منذ سبعائة سنة لقيت فيها عيسى ومحمدًا عليهما الصلاة والسلام فأمنت بهما فقلت له: ومن أنت؟ قال: من الذين نزلت فيه «قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن قالوا إنا سمعنا قرآنًا عجيبًا».

٢٥ (مَّمَا) ما صلة (حَاطِبَاتِهِمْ) بالهمز وفي قراءة خطاياهم (أَغْرَقُوا) بالطوفان (فَأَذْجَلُوا نَارًا) عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء (فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ) أي غير (اللَّهِ أَنْصَارًا) يمعنون عنهم العذاب.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾

٢٦ (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) أي نازل دار والمعنى أحدًا ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]

٢٧ (إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) من يفجر ويكفر قال ذلك لما تقدم من الإيحاء إليه

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾

٢٨ (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ) وكانا مؤمنين (وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي) منزلي أو مسجدي (مُؤْمِنًا) وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) إلى يوم القيامة (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا) هلاكًا فأهلكوا.

* * *

٧٢ سورة الجن

مكية وآياتها ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾

١ (قُلْ) يا محمد للناس (أُوْحِيَ إِلَيَّ) أي أخبرت بالوحي من الله تعالى (أَنَّهُ) الضمير للشأن (اسْتَمَعَ) لقراءتي (نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ) جن نصيبين وذلك في صلاة الصبح ببطن نخل موضع بين مكة والطائف وهم الذين ذكروا في قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) الآية (فَقَالُوا) لقومهم لما رجعوا إليهم (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) يتعجب منه من فصاحته وغرارة معانيه

﴿وَأَنْتُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾

٧ (وَأَنْتُمْ) أي الجن (ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ) يا إنس (أَنْ) مخففة من الثقيلة أي أنه (لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا) بعد موته

﴿وَأَنَا لَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾

٨ قال الجن (وَأَنَا لَمَشْنَا السَّمَاءَ) رمنا استراق السمع (فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا) من الملائكة (شَدِيدًا وَشُهَبًا) نجومًا محرقة وذلك لما بعث النبي ﷺ

﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدُ اللَّسْمَعِ فَكُنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾

٩ (وَأَنَا كُنَّا) أي قبل بعثه (نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ اللَّسْمَعِ) أي نستمع (فَكُنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا) أرصد له ليرمي به

﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمُنُّ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾

١٠ (وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ) بعد استراق السمع (يَمُنُّ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) خيرا

﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا﴾

١١ (وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ) بعد استماع القرآن (وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ) أي قوم غير صالحين (كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا) فرقا مختلفين مسلمين وكافرين

﴿وَأَنَا ظَنْنَا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾

١٢ (وَأَنَا ظَنْنَا أَنْ) مخففة من الثقيلة أي أنه (لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا) لا نفوته كائنين في الأرض أو هارين منها في السماء.

﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْصَةَ وَلَا رَهْقًا﴾

١٣ (وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ) القرآن (آمَنَّا بِهِ

حين ترقى لي الصبح وجددت السير حتى تقحمت المدينة فرأني رسول الله ﷺ فحدثني بحدِيثي قبل أن أذكر منه شيئًا ودعاني إلى الإسلام فأسلمت قال سعيد بن جبیر: وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه: «وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا».

﴿وَأَنْتُمْ كَانُوا رِجَالًا مِنَ الْإِنْسِ يَعُودُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾

٦ (وَأَنْتُمْ كَانُوا رِجَالًا مِنَ الْإِنْسِ يَعُودُونَ) يستعيذون (بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ) حين ينزلون في سفهمهم بمخوف فيقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه (فَزَادُوهُمْ) ببعوذهم بهم (رَهَقًا) طغيانًا فقالوا سدنا الجن والإنس .

(١) أسباب نزول الآية ٦: وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة فأرانا المبيت إلى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملًا من الغنم فوثب الراعي فقال عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نزاه: يا سرحان أرسله فأثى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم وأنزل الله على رسوله بمكة: «وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن» الآية.

* وأخرج ابن سعد عن أبي رجاء العطاردي عن بني تميم قال: بعث رسول الله ﷺ وقد رعيت على أهلي وكفيت مهنتهم فلما بعث النبي ﷺ خرجنا هرابًا فأتينا على فلاة من الأرض وكنا إذا أمسينا يملها قال شيخنا: إنا نعوذ بعزير هذا الوادي من الجن الليلة قتلنا: ذاك فقيل لنا: إنما سبيل هذا الرجل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله من أقرؤها بها أمن على دمه وماله فرجعنا فدخلنا في الإسلام قال أبو رجاء: إني لأرى هذه الآية نزلت في وفي أصحابي «وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا» الآية.

* وأخرج الخرائطي في كتاب هواتف الجان حدثنا عبد الله ابن محمد البلوي حدثنا عمارة بن زيد حدثني عبد الله بن العلاء حدثنا محمد بن عكبر عن سعيد بن جبیر أن رجلًا من بني تميم يقال له رافع بن عمير حدث عن بدء إسلامه قال: «إني لأسير برمل عالج ذات ليلة إذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وأنختها وتمت وقد تعوذت قبل نومي فقلت: أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن فرأيت في منامي رجلًا بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فرغًا فنظرت يمينًا وشمالًا فلم أر شيئًا فقلت: هذا حلم ثم عدت فنفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب والتفت وإذا برجل شاب كالذي رأيته في المنام بيده حربة ورجل شيخ ممسك بيده يدفعه عنها فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أنوار من الوحش فقال الشيخ للفتى: قم فخذ أيها شئت فداء لناقاة جاري الإنسي فقام الفتى فأخذ منها نورًا وانصرف ثم التفت إلى الشيخ وقال: يا هذا إذا نزلت واديًا من الأودية فخفت هوله فقل: أعوذ برب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها قال: فقلت له: ومن محمد هذا؟ قال: نبي عربي لا شرقي ولا غربي بعث يوم الاثنين قلت: فأين مسكنه؟ قال: يثرب ذات النخل فركبت راحلتي

فَمَنْ يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَتَقْدِيرِ هُوَ بَعْدَ الْفَاءِ (بِخُشَا) نَقْصًا مِنْ حَسَنَاتِهِ (وَلَا رَهَقًا) ظَلَمًا بِالزِّيَادَةِ فِي سَيِّئَاتِهِ.

﴿وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾

١٤ ﴿وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الجاثرون بكفرهم (فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا) قصدوا هداية.

﴿وَأَنَا الْقَاسِطُونَ مَكَأُوًّا لِّجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾

١٥ ﴿وَأَنَا الْقَاسِطُونَ فَكَأُنَّا لِيَجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وقودا وأنا وأنهم وأنه في اثني عشر موضعا هي وأنه تعالى وأنا منا المسلمون وما بينهما بكسر الهمزة استنفا وبفتحة بما يوجه به

﴿وَأَلُوًّا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءَ غَدَقًا﴾

١٦ قال تعالى في كفار مكة (وَأَنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي وأنهم وهو معطوف على أنه استمع (لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) أي طريقة الإسلام (لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءَ غَدَقًا) كثيرا من السماء وذلك بعدما رفع المطر عنهم سبع سنين^(١).

﴿لَنُنَزِّلَنَّ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾

١٧ (لَنُنَزِّلَنَّهُمْ) لنختبرهم (فيه) فنعلم كيف شكرهم علي ظهور (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ) القرآن (يَسْلُكُهُ) بالياء والنون ندخله (عَذَابًا صَعَدًا) شاقا

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

١٨ ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾ مواضع الصلاة (لِلَّهِ) فلا تَدْعُوا فيها (مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) بأن تشرکوا كما كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا^(٢).

(١) أسباب نزول الآية ١٦- وأخرج عن مقاتل في قوله: «وَأَنَّ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءَ غَدَقًا» قال: نزلت في كفار قريش حين منع المطر سبع سنين.

(٢) أسباب نزول الآية ١٨: وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق أبي صالح عن ابن عباس قال: قالت الجن: يا رسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك فأنزل الله: «وَأَنَّ

﴿وَأَنَّ لَنَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا﴾

١٩ ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح والكسر استنفا والضمير للشأن (لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ) محمد النبي ﷺ (يَدْعُوهُ) يعبده ببطن نخل (كَأَدُوا) أي الجن المستمعون لقراءته (يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا) بكسر اللام وضمها جمع لبدة كاللبد في ركوب بعضهم بعضا ازدحاما حرصا على سماع القرآن

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾

٢٠ ﴿قُلْ﴾ مجيبا للكفار في قولهم «ارجع عما أنت فيه» وفي قراءة قال (لَمَّا أَدْعُوا رَبِّي) إلها (وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا)

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾

٢١ ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ خيرا

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِقَ مِنْ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾

٢٢ ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِقَ مِنْ اللَّهِ﴾ من عذابه إن عصيته (أَحَدٌ) ولن أجِدَ من دُونِهِ أي غيره (مُلْتَحَدًا) ملتجأ^(١).

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً. وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارًا جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾

٢٣ ﴿إِلَّا بَلَاغًا﴾ استثناء من مفعول أملك أي لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم (مَنْ عَصَى اللَّهَ) (وَرَسُولَهُ) عطف على بلاغا وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) في التوحيد فلم يؤمن (فَإِنَّ لَهُ) نَارًا جَهَنَّمَ خَالِدًا (حَالًا) من ضمير من في له رعاية لمعناها وهي حال مقدره والمعنى يدخلونها مقدار المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا.

* وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبيرة قال: قالت الجن للنبي ﷺ: كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤون عنك؟ أو كيف تشهد الصلاة ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ» الآية.

(١) أسباب نزول الآية ٢٢: وأخرج ابن جرير عن حضرمي أنه ذكر له أن جنتا من الجن من أشرافهم ذا تبع قال: إنما يريد محمد أن يجيره الله وأنا أجيره فأنزل الله: «قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِقَ مِنْ اللَّهِ أَحَدًا...» الآية.

خلودهم (فيها أبدأ)

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْجُدُونَ مِمَّنْ أضعَف ناصِرًا
وَأَقْلُ عَدَدًا﴾

٢٤ (حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا) حتى ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها أي لا يزالون على كفرهم إلى أن يروا (مَا يُوعَدُونَ) به من العذاب (فَيَسْجُدُونَ) عند حلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة (مِمَّنْ أضعَف ناصِرًا وَأَقْلُ عَدَدًا) أعوانا أهم أم المؤمنون على القول الأول أو أنا أم هم ؟ على الثاني فقال بعضهم متى هذا الوعد ؟ فتزل:

﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي
أَمَدًا﴾

٢٥ (قُلْ إِنْ) أي ما (أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ) من العذاب (أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا) غاية وأجلا لا يعلمه إلا هو

﴿عَلَيْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾

٢٦ (عَالِمُ الْغَيْبِ) ما غاب عن العباد (فَلَا يُظْهِرُ) يطلع (عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا) من الناس

﴿إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ
وَمِن خَلْفِهِ رَصَدًا﴾

٢٧ (إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ) مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له (يَسْلُكُ) يجعل ويسير (مِن بَيْنِ يَدَيْهِ) أي الرسول (وَمِن خَلْفِهِ رَصَدًا) ملائكة يحفظونه حتى يبلغه في جملة الوحي

﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أُبْلِغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ
وَأَخَصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾

٢٨ (لِيَعْلَمَ) الله علم ظهور (أَن) مخففة من الثقيلة أي أنه (قَدْ أُبْلِغُوا) أي الرسل (رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ) روعي بجمع الضمير معنى من (وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ) عطف على مقدر أي فعلم ذلك (وَأَخَصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) تمييز وهو محول من المفعول والأصل أحصى عدد كل شيء

٧٣ سورة المزمل

مكية إلا الآية ٢٠ إلى آخرها فمجنية وآياتها

٢٠ عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الْمُرْتَلِلُ﴾ [المزمل : ١]

١ (يَأْتِيهَا الْمُرْتَلِلُ) النبي وأصله المتزمل أدغمت التاء في الزاي أي المتلفف بشيابه حين مجيء الوحي خوفا منه لهيبته (١).

﴿قُرْ أَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل : ٢]

٢ (قُرْ أَيْلَ) صل (إِلَّا قَلِيلًا) (٢).

﴿بِضَعْفَةٍ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ [المزمل : ٣]

٣ (بِضَعْفَةٍ) بدل من قليلا وقتله بالنظر إلى الكل (أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ) من النصف (قَلِيلًا) إلى الثلث

﴿أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَزَلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل : ٤]

٤ (أَوْ زِدَ عَلَيْهِ) إلى الثلثين وأو للتخيير (وَرَزَلَ الْقُرْآنَ) تثبت في تلاوته (تَرْتِيلًا)

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل : ٥]

٥ (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) مهيبا أو شديدا لما فيه من التكليف

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل : ٦]

٦ (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) القيام بعد النوم (هي أَشَدُّ وَطْأًا) موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن (وَأَقْوَمُ

٧٣- سورة المزمل

(١) أسباب نزول الآية ١: أخرج البزار والطبراني بسند واه عن جابر قال: اجتمعت قريش في دار الندوة فقالت: سمو هذا الرجل اسماً يصدر عنه الناس قالوا: كاهن قالوا: ليس بكاهن قالوا: مجنون قالوا: ليس بمجنون قالوا: ساحر قالوا: ليس بساحر فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه فندثر فيها فأتاه جبريل فقال: «يا أيها المزمل»، «يا أيها المدثر».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن إبراهيم النخعي في قوله: «يا أيها المزمل» قال: نزلت وهو في قطيفة.

(٢) أسباب نزول الآية ٢: وأخرج الحاكم عن عائشة قالت: لما نزلت: «يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً» قاموا سنة حتى ورمت أقدامهم فأنزلت: «فاقرءوا ما تيسر من القرآن».

* وأخرج ابن جرير مثله عن ابن عباس وغيره.

قِيْلًا أَيْنَ قَوْلَا

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [الزمزل: ٧]

٧ (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا) تصرفا لأشغالك تفرغ فيه لتلاوة القرآن

﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [الزمزل: ٨]

٨ (وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ) أي قل بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك (وَتَبَتَّلْ) انقطع (إِلَيْهِ) في العبادة (تَبْتِيلًا) مصدر بتل جيء به رعاية للفواصل وهو ملزوم التبتل

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾

٩ - هو (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) لا إله إلا هو فاتَّخِذْهُ وَكِيلًا) موكلا له أمورك

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُؤْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا﴾

١٠ (وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) أي كفار مكة من أذاهم (وَأَهْرُؤْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا) لا جزع فيه وهذا قبل الأمر بقتالهم

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا﴾

١١ (وَذَرْنِي) اتركني (وَالْمُكَذِّبِينَ) عطف على المفعول أو مفعول معه والمعنى أنا كافيكهم وهم صنديد قريش (أُولِي النَّعْمَةِ) التمتع (وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا) من الزمن فقتلوا بعد يسير منه بيدر

﴿إِنَّ لَدَيْنَا أُنْكَالًا وَوَجِيحًا﴾ [الزمزل: ١٢]

١٢ (إِنَّ لَدَيْنَا أُنْكَالًا) قيودا أثقلا جمع نكل بكسر النون (وَجِيحًا) نارا محرقة

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الزمزل: ١٣]

١٣ (وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ) يغص به في الحلق وهو الزقوم أو الضريع أو الغسلين أو شوك من نار لا يخرج ولا ينزل (وَعَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي ﷺ

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾

[الزمزل: ١٤]

١٤ (يَوْمَ تَرْجُفُ) تنزلزل (الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ) وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا) رملا مجتمعما (مَهِيلًا) سائلا بعد اجتماعه وهو من هال يهيل وأصله مهبول

استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الهاء وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها وقلبت الضمة كسرة لمجانسة الياء

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ

فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [الزمزل: ١٥]

١٥ (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ) يا أهل مكة (رَسُولًا) هو محمد ﷺ (شَاهِدًا عَلَيْكُمْ) يوم القيامة بما يصدر منكم من العصيان (كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا) هو موسى عليه الصلاة والسلام

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيْلًا﴾

١٦ (فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا) وبيلًا شديدا

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾

١٧ (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ) في الدنيا (يَوْمًا) مفعول تتقون أي عذابه بأي حصن تحصنون من عذاب يوم (يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) جمع أشيب لشدة هولوه وهو يوم القيامة والأصل في شين شيبا الضم وكسرت لمجانسة الياء ويقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الأطفال وهو مجاز ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة

﴿السَّمَاءِ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾

١٨ (السَّمَاءِ مُنْفَطِرٌ) ذات انفطار أي انشقاق (بِهِ) بذلك اليوم لشدته (كَانَ وَعْدُهُ) تعالى بمجيء ذلك اليوم (مَفْعُولًا) أي هو كائن لا محالة

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ أُخَذْ إِلَيْ رَبِّهِ ۚ

سَبِيلًا﴾ [الزمزل: ١٩]

١٩ (إِنَّ هَٰذِهِ) الآيات المخوفة (تَذْكِرَةٌ) عظة للخلق (فَمَن شَاءَ أُخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) طريقا بالإيمان والطاعة

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَيَضْمَعُ وَثْلَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْضُوهُ فَبَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا نَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَكُونَ مِنكُمْ رَجْحَىٰ وَمَا خَرُونَ بِضُرِيُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَمَا خَرُونَ بِقَوْلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا نَزَّلَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ قَرْضًا

٧٤ سورة المدثر

مكية وآياتها ست وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿بِأَيِّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]

١ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) النبي ﷺ وأصله المتدثر
أدغمت التاء في الدال أي المتلف بشيابه عند نزول
الوحي عليه (١) (٢)

﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ٢]

٢ (قُمْ فَأَنْذِرْ) خوف أهل مكة النار إن لم
يؤمنوا.

﴿وَرَبِّكَ فَكَذِبْ﴾ [المدثر: ٣]

٣ (وَرَبِّكَ فَكَذِبْ) عظم عن إشراك المشركين

﴿وَيَايَاكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]

٤ (وَيَايَاكَ فَطَهِّرْ) عن النجاسة أو قصرها
خلاف جر العرب ثيابهم خيلاء فربما أصابتها
نجاسة

﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]

٥ (وَالرَّجْزَ) فسره النبي ﷺ بالأوثان (فَاهْجُرْ)
أي دم على هجره

﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرْ﴾ [المدثر: ٦]

٦ (وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرْ) بالرفع حال أي لا تعط

٧٤- سورة المدثر

(١) أسباب نزول الآيتين (١-٢) : أخرج الشيخان عن
جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «جاورت بحراء شهراً فلما
قضيت جوارى نزلت فاستنبتت الوادي فنوديت فلم أر أحداً
فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء فرجعت فقلت:
دثروني فأنزل الله: «يا أيها المدثر قم فأنذر».

(٢) أسباب نزول الآيات (من ١ إلى ٧) : وأخرج الطبراني
بسند ضعيف عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة صنع لقريش
طعاماً فلما أكلوا، قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال
بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: ليس بساحر وقال بعضهم:
كاهن وقال بعضهم: ليس بكاهن وقال بعضهم: شاعر وقال
بعضهم: ليس بشاعر وقال بعضهم: سحر يؤثر فبلغ ذلك النبي
ﷺ فحزن ووقع رأسه وتدثر فأنزل الله: «يا أيها المدثر قم
فأنذر» إلى قوله تعالى: «ولربك فاصبر».

حَسَنًا وَمَا فَعَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ
وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾

٢٠ (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى) أقل (من
ثُلثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ) بالجر عطف على ثلثي
وبالنصب عطف على أدنى وقيامه كذلك نحو ما
أمر به أول السورة (وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ) عطف
على ضمير تقوم وجاز من غير تأكيد للفصل وقيام
طائفة من أصحابه كذلك للتأسي به ومنهم من
كان لا يدري كم صلى من الليل وكم بقي منه
فكان يقوم الليل كله احتياطاً فقاموا حتى انتفخت
أقدامهم سنة أو أكثر فخفف عنهم قال تعالى (وَاللَّهُ
يُقَدِّرُ) يحصي (اللَّيْلَ وَالثَّهَارَ عِلْمٌ أَنْ) مخففة من
الثقيلة واسمها محذوف أي أنه (لَنْ تُحْصَوْهُ) أي
الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه إلا بقيام جميعه
وذلك يشق عليكم (فَتَأَبَّ عَلَيْهِمْ) رجع بكم إلى
التخفيف (فَأَقْرَهُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) في الصلاة
بأن تصلوا ما تيسر (عِلْمٌ أَنْ) مخففة من الثقيلة أي
أنه (سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي
الْأَرْضِ) يسافرون (يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) يطلبون
من رزقه بالتجارة وغيرها (وَآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ) وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما
ذكر في قيام الليل فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه
ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس (فَأَقْرَهُوا مَا تَيَسَّرَ
مِنْهُ) كما تقدم (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) المفروضة (وَأْتُوا
الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ) بأن تنفقوا ما سوى المفروض
من المال في سبيل الخير (قَرُوضًا حَسَنًا) عن
طيب قلب (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ) مما خلفتم وهو فصل وما
بعده وإن لم يكن معرفة يشبهها لامتناعه من
التعريف (وَأَعْظَمَ أَجْرًا) واستغفروا لله إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ للمؤمنين.

* * *

من الزروع والضروع والتجارة

﴿وَيَنْبَغُ شُهُودًا﴾ [المدثر: ١٣]

١٣ (وَيَبِين) عشرة أو أكثر (شُهُودًا) يشهدون المحافل وتسمع شهاداتهم

﴿وَمَهَّدَتْ لَمْ تَمَهِّدًا﴾ [المدثر: ١٤]

١٤ (وَمَهَّدَتْ) بسطت (لَمْ) في العيش والعمر والولد (تَمَهِّدًا)

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَرِيدَ﴾ [المدثر: ١٥]

١٥ (ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَرِيدَ)

﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا عَيْنِدًا﴾ [المدثر: ١٦]

١٦ (كَلَّا) لا أزيدة على ذلك (إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا) القرآن (عَيْنِدًا) معاندا

﴿سَأَرْهَقُهُ صِمُودًا﴾ [المدثر: ١٧]

١٧ (سَأَرْهَقُهُ) أكلفه (صِمُودًا) مشقة من العذاب أو جبالا من نار يصعد فيه ثم يهوي أبدا

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٨]

١٨ (إِنَّهُ فَكَّرَ) فيما يقول في القرآن الذي سمعه من النبي ﷺ (وَقَدَّرَ) في نفسه ذلك

﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٩]

١٩ (فَقِيلَ) لعن وعذب (كَيْفَ قَدَّرَ) على أي حال كان تقديره

﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: ٢٠]

٢٠ (ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ)

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ [المدثر: ٢١]

٢١ (ثُمَّ نَظَرَ) في وجوه قومه أو فيما يقدر به فيه

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ [المدثر: ٢٢]

٢٢ (ثُمَّ عَبَسَ) قبض وجهه وكلحه ضيقا بما يقول (وَبَسَرَ) زاد في القبض والكلوخ

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ [المدثر: ٢٣]

٢٣ (ثُمَّ أَدْبَرَ) عن الإيمان (وَاسْتَكْبَرَ) تكبر عن اتباع النبي ﷺ

﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتَرٌ﴾ [المدثر: ٢٤]

شيئا فتطلب أكثر منه وهذا خاص به ﷺ لأنه مأمور بأجمل الأخلاق وأشرف الآداب

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصِرٌ﴾ [المدثر: ٧]

٧ (وَلِرَبِّكَ فَاصِرٌ) على الأوامر والنواهي.

﴿فَإِذَا نَقَرُ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]

٨ (فَإِذَا نَقَرُ فِي النَّاقُورِ) نفتح في الصور وهو القرن النفخة الثانية

﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٩]

٩ (فَذَلِكَ) أي وقت النقر (يَوْمٌ عَسِيرٌ) بدل مما قبله المبتدأ وبني لإضافته إلى غير متمكن وخبر المبتدأ (يَوْمٌ عَسِيرٌ) والعامل في إذا ما دلت عليه الجملة أي اشتد الأمر

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ١٠]

١٠ (عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ عَسِيرٌ) فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين أي في عسره

﴿ذَرَفَتْ وَمَنْ خَلَقَتْ وَجِدًا﴾ [المدثر: ١١]

١١ (ذَرَفَتْ) اتركني (وَمَنْ خَلَقَتْ) عطف على المفعول أو مفعول معه (وَجِدًا) حال من من أو من ضميره المحذوف من خلقت أي منفردا بلا أهل ولا مال هو الوليد بن المغيرة المخزومي^(١).

﴿وَجَعَلَتْ لَمْ مَالًا مَمْدُودًا﴾ [المدثر: ١٢]

١٢ (وَجَعَلَتْ لَمْ مَالًا مَمْدُودًا) واسعا متصلا

(١) أسبغته زوائد الآية ٦٦: وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكانه رقى له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله قال: لقد علمت قريش أنني من أكثرها مالا قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له وأنتك كاره له، قال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ووالله إن لقوله خللاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثير أعلاه مشرق أسفله وأنه ليعلو وما يُعلَى عليه وإنه ليعظم ما تحته قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال: فدعني حتى أفكر فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر بأثره عن غيره فنزلت: «ذرنى ومن خلقت وحيداً» إسناده صحيح على شرط البخاري.

* وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق أخرى نحوه.

٢٤ ﴿فَقَالَ﴾ فيما جاء به (إِنْ) ما (هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَىٰ) ينقل عن السحرة

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلَ الْبَشَرِ﴾ [المدر: ٢٥]

٢٥ (إِنْ) ما (هَذَا إِلَّا قَوْلَ الْبَشَرِ) كما قالوا إنما يعلمه بشر

﴿سَأُصَلِّبُ سَفْرًا﴾ [المدر: ٢٦]

٢٦ (سَأُصَلِّبُهُ) أدخله (سَقَنَ) جهنم

﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرُ﴾ [المدر: ٢٧]

٢٧ (وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَنَ) تعظيم لشأنها

﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدر: ٢٨]

٢٨ (لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ) شيئا من لحم ولا عصب إلا أهلكته ثم يعود كما كان

﴿لَوَاقِعٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدر: ٢٩]

٢٩ (لَوَاقِعٌ لِلْبَشَرِ) محرقه لظاهر الجلد

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدر: ٣٠]

٣٠ (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) ملكا خزنتها قال بعض الكفار وكان قويا شديدا البأس أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين^(١).

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ مَأْمُونًا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِقَوْلِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدر: ٣١]

٣١ (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً) أي فلا يطاقون كما يتوهمون (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ) ذلك (إِلَّا فِتْنَةً) ضلالا (لِلَّذِينَ كَفَرُوا) بأن يقولوا لم كانوا تسعة عشر (لِيَسْتَيْقِنَ) ليستبين (الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أي اليهود صدق النبي ﷺ في كونهم تسعة عشر الموافق لما في كتابهم (وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا) من

أهل الكتاب (إِيمَانًا) تصديقا لموافقته ما أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم (وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ) من غيرهم في عدد الملائكة (وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) شك بالمدينة (وَالْكَافِرُونَ) بمكة (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا الْعَدَدِ) (مَثَلًا) سموه لغرابته بذلك وأعرب حالا (كَذَلِكَ) أي مثل إضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه (يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ) وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ أي الملائكة في قوتهم وأعوانهم (إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ) أي سقر (إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ)^(١).

﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ [المدر: ٣٢]

٣٢ (كَلَّا) استفتاح بمعنى أيا (وَالْقَمَرِ)

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ [المدر: ٣٣]

٣٣ (وَاللَّيْلِ إِذَا) بسكون الدال بعدها همزة (أَدْبَرَ) أي مضى وفي قراءة (إِذَا أَدْبَرَ) بفتح الدال جاء بعد النهار.

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْرَقَ﴾ [المدر: ٣٤]

٣٤ (وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْرَقَ) ظهر

﴿إِنَّمَا لِحَدَى الْكَبْرِ﴾ [المدر: ٣٥]

٣٥ (إِنَّمَا) أي سقر (لِحَدَى الْكَبْرِ) البلايا العظام

﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ [المدر: ٣٦]

٣٦ (نَذِيرًا) حال من إحدى وذكر لأنها بمعنى العذاب (لِلْبَشَرِ)

﴿لِيَمَن سَاءَ مَكْرًا أَن يَتَّقُوا أَوْ يَخْشَوْا﴾ [المدر: ٣٧]

٣٧ (لِيَمَن سَاءَ مَكْرًا) بدل من البشر (أَن يَتَّقُوا) إلى الخير أو الجنة بالإيمان (أَوْ يَخْشَوْا) إلى

(١) أسباب نزول الآية ٣١: وأخرج عن ابن إسحاق قال: قال أبو جهل يومئذ يا معشر قريش يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عدداً أفيعجز مائة رجل منكم عن رجل منهم فأنزل الله: «وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة» الآية. وأخرج نحوه عن قتادة قال: ذكر لنا فذكره.

* وأخرج عن الشدي قال: لما نزلت «عليها تسعة عشر» قال رجل من قريش يدعي أبا الأشد: يا معشر قريش لا يهولنكم التسعة عشر أنا أدفع عنكم بمنكمي الأيمن عشرة ومنكمي الأيسر التسعة فأنزل الله: «وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة».

(١) أسباب نزول الآية ٣٠: وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن البراء أن رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب النبي ﷺ عن خزنة جهنم فجاء فأخبر النبي ﷺ فنزل عليه ساعتئذ «عليها تسعة عشر».

عن الاتعاط

﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ﴾ [المدر: ٥٠]

٥٠ ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ﴾ وحشية

﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدر: ٥١]

٥١ ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ أسد أي هربت منه أشد

الهرب

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّثَشَّرَةٌ﴾

٥٢ ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّثَشَّرَةً﴾ أي من الله تعالى باتباع النبي كما قالوا لن تؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه^(١).

﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ [المدر: ٥٣]

٥٣ ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي عذابها

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ تَذَكَّرَةٌ﴾ [المدر: ٥٤]

٥٤ ﴿كَلَّا﴾ استفتاح (إنه) أي القرآن (تذكرة) عظة

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرُوهُ﴾ [المدر: ٥٥]

٥٥ ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ﴾ قرأه فاتعظ به

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ

الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدر: ٥٦]

٥٦ ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بالياء والتاء (إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى) بأن يتقى (وأهل المغفرة) بأن يغفر لمن اتقاه.

* * *

٧٥ سورة القيامة

مكية وآياتها أربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ١]

١ (لا) زائدة في الموضعين (أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

(١) أسباب نزول الآية ٥٢: وأخرج ابن المنذر عن الشدي قال: قالوا: لمن كان محمد صادقاً فليصبح تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة وأمنة من النار فنزلت: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّثَشَّرَةً﴾.

الشر أو النار بالكفر

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدر: ٣٨]

٣٨ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ مرهونة مأخوذة بعملها في النار

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدر: ٣٩]

٣٩ ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ وهم المؤمنون فاجون منها كاثون

﴿فِي جَنَّتٍ يَسَاءَلُونَ﴾ [المدر: ٤٠]

٤٠ ﴿فِي جَنَّتٍ يَسَاءَلُونَ﴾ بينهم

﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [المدر: ٤١]

٤١ ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ وحالهم ويقولون لهم بعد إخراج الموحد من النار

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ [المدر: ٤٢]

٤٢ ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أدخلكم (في سقر)

﴿قَالُوا لَرَبِّكَ مِنَ الْمَصَلِينَ﴾ [المدر: ٤٣]

٤٣ ﴿قَالُوا لَرَبِّكَ مِنَ الْمَصَلِينَ﴾

﴿وَلَرَبِّكَ نَفْعٌ أَلْسِينَةٍ﴾ [المدر: ٤٤]

٤٤ ﴿وَلَرَبِّكَ نَفْعٌ أَلْسِينَةٍ﴾

﴿وَكُنَّا نَحْوُ حَرِّ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [المدر: ٤٥]

٤٥ ﴿وَكُنَّا نَحْوُ حَرِّ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ (مع الخائضين)

﴿وَكُنَّا نَكُذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [المدر: ٤٦]

٤٦ ﴿وَكُنَّا نَكُذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ البعث والجزاء

﴿حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ﴾ [المدر: ٤٧]

٤٧ ﴿حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ﴾ الموت

﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدر: ٤٨]

٤٨ ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين والمعنى لا شفاعه لهم

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذَكُّرَةِ مُّعْرِضِينَ﴾ [المدر: ٤٩]

٤٩ ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ مبتدأ (لهم) خبره متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه (عن التذكرة معرضين) حال من الضمير والمعنى أي شيء حصل لهم في إعراضهم

فيحاسبون ويجازون

﴿يَبْقَى الْإِنْسَانُ يَوْمَهُ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]

١٣ ﴿يَبْقَى الْإِنْسَانُ يَوْمَهُ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بأول عمله وآخره

﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤]

١٤ ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ شاهد تنطق جوارحه بعمله والهاء للمبالغة فلا بد من جزائه

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ مَعَاذِيرُهُمْ﴾ [القيامة: ١٥]

١٥ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ مَعَاذِيرُهُمْ﴾ جمع معذرة على غير قياس أي لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه قال تعالى لنبيه

﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَكَلَّمَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]

١٦ ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل منه (لسانك لتتكلّم به) خوف أن ينفلت منك^(١).

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧]

١٧ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك (وقرآنه) قراءتك إياه أي جريانه على لسانك

﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَالْتَفِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨]

١٨ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ عليك بقراءة جبريل (فالتفيع) قراءته) استمع قراءته فكان يُكَلِّمُ يستمع ثم يقرؤه

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩]

١٩ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ بالتفهم لك والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها

﴿كَلَّا بَلْ يُجِيبُونَ بِالْعَاجِلَةِ﴾ [القيامة: ٢٠]

٢٠ ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى ألا (بل) تُجِيبُونَ العاجلة) الدنيا بالثناء والياء في الفعلين

﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢١]

٧٥- سورة القيامة

(١) أسباب نزول الآية ١٦: وأخرج البخاري عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يحرك به لسانه يريد أن يحفظه فأنزل الله: «لا تحرك به لسانك لتتكلّم به» الآية.

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]

٢ ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان وجواب القسم محذوف أي لتبعثن دل عليه

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجَمَعَ عِظَامُهُ﴾ [القيامة: ٣]

٣ ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ أي الكافر (أن) لن تُجمَعَ عظامه) للبعث والإحياء

﴿بَلْ قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَاتُهُ﴾ [القيامة: ٤]

٤ ﴿بَلَىٰ﴾ نجمعها (قادرين) مع جمعها (على أن) تُسَوَّىٰ بناتهن) وهو الأصابع أي نعبد عظامها كما كانت مع صفرها فكيف بالكبيرة

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ يُتَّخَذَ لِنَفْسِهِ﴾ [القيامة: ٥]

٥ ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ﴾ اللام زائدة ونصبه بأن مقدرة أي أن يكذب (أمامه) أي يوم القيامة

﴿يَحْتَسِبُ لَكُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ [القيامة: ٦]

٦ ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ﴾ متى (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) سؤال استهزاء وتكذيب

﴿فَلَمَّا رَوَىٰ الْبَصَرُ﴾ [القيامة: ٧]

٧ ﴿فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ﴾ بكسر الراء وفتحها دهش وتحير لما رأى مما كان يكذبه

﴿وَسَخَّفَ الْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٨]

٨ ﴿وَسَخَّفَ الْقَمَرُ﴾ أظلم وذهب ضوؤه

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩]

٩ ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ فطلعا من المغرب أو ذهب ضوؤهما وذلك يوم القيامة

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ بَوَيْدٍ أَيْنَ الْمَفْرُغُ﴾ [القيامة: ١٠]

١٠ ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَهُذَىٰ أَيْنَ الْمَفْرُغُ﴾ الفرار

﴿كَلَّا لَا وَوَدَّ﴾ [القيامة: ١١]

١١ ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب الفرار (لا وودّ)

لا ملجأ يتحصن به

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يُؤْتِيهِ الْقِسْمَ﴾ [القيامة: ١٢]

١٢ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ مستقر الخلائق

٢١ (وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ) فلا تعملون لها

﴿وَجُودٌ يُؤْمِدُ نُاصِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]

٢٢ (وَجُودٌ يُؤْمِدُ) أي يوم القيامة (نُاصِرَةٌ) حسنة مضيئة

﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]

٢٣ (إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) أي يرون الله سبحانه وتعالى في الآخرة

﴿وَجُودٌ يُؤْمِدُ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٤]

٢٤ (وَجُودٌ يُؤْمِدُ بَاسِرَةٌ) كالحة شديدة العبوس

﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٥]

٢٥ (تَنْظُرُ) توقن (أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) داهية عظيمة تكسر فقار الظهر

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦]

٢٦ (كَلَّا) بمعنى ألا (إِذَا بَلَغَتِ) النفس (التَّرَاقِيَ) عظام الحلق

﴿وَيَقِيلُ مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة: ٢٧]

٢٧ (وَيَقِيلُ) قال من حوله (مَنْ رَاقٍ) يرقيه. ليشفي

﴿وَنُظِرَ اللَّهُ الرَّاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٨]

٢٨ (وَنُظِرَ) أيقن من بلغت نفسه ذلك (أَنَّهُ الرَّاقِيُّ) فراق الدنيا

﴿وَالنَّفْسُ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩]

٢٩ (وَالنَّفْسُ السَّاقُ بِالسَّاقِ) أي إحداهما ساقه بالأخرى عند الموت أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة

﴿إِنَّ رَبَّكَ يُؤْمِدُ السَّاقِ﴾ [القيامة: ٣٠]

٣٠ (إِلَى رَبِّكَ يُؤْمِدُ السَّاقِ) أي السوق وهذا يدل على العامل في إذا والمعنى إذا بلغت النفس الحلقوم تساق إلى حكم ربها

﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ [القيامة: ٣١]

٣١ (فَلَا صَدَقَ) الإنسان (وَلَا صَلَّى) أي لم يصدق ولم يصل

﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [القيامة: ٣٢]

٣٢ (وَلَكِنْ كَذَّبَ) بالقرآن (وَتَوَلَّى) عن الإيمان

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ [القيامة: ٣٣]

٣٣ (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) يتبختر في مشيته إعجابا

﴿أَوَلَيْكَ لَكَ فَؤُوكُ﴾ [القيامة: ٣٤]

٣٤ (أَوَلَيْكَ لَكَ) فيه التفات عن الغيبة والكلمة اسم فعل واللام للتبيين أي وليك ما تكره (فَأَوَلَى) أي فهو أولى بك من غيرك (١).

﴿ثُمَّ أَوَلَى لَكَ فَؤُوكُ﴾ [القيامة: ٣٥]

٣٥ (ثُمَّ أَوَلَى لَكَ فَؤُوكُ) تأكيد.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]

٣٦ (أَيَحْسَبُ) يظن (الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) هملا لا يكلف بالشرائع أي لا يحسب ذلك

﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنٍ﴾ [القيامة: ٣٧]

٣٧ (أَلَمْ يَكُنْ) أي كان (نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنٍ) بالياء والتاء تصب في الرحم

﴿ثُمَّ كَانَتْ عَلَقَةً مَلَقًا فَسَوَى﴾ [القيامة: ٣٨]

٣٨ (ثُمَّ كَانَتْ) المنى (عَلَقَةً فَخَلَقَ) الله منها الإنسان (فَسَوَى) عدل أعضائه

﴿بِحَمَلٍ مِنْهُ الرُّؤُوسِ أُنْثَى وَالذُّكْرُ الْأُنْثَى﴾ [القيامة: ٣٩]

٣٩ (فَخَلَقَ مِنْهُ) من المنى الذي صار علقه أي قطعة دم ثم مضغته أي قطعة لحم (الرُّؤُوسِ) النوعين (الذُّكْرُ وَالْأُنْثَى) يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الآخر تارة

(١) أسباب نزول الآيتين (٣٤-٣٥): وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما نزلت: «عليها تسعة عشر» قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم يخبركم ابن أبي كبشة أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم أضعج كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فأوحى الله إلى رسوله أن يأتي أبا جهل فيقول له: «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى».

• وأخرج النسائي عن سعيد بن جبيرة أنه سأل ابن عباس عن قوله: «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى» أشيء قاله رسول الله ﷺ من قَبْلِ نفسه أم أمره الله به؟ قال: بل قاله من قبل نفسه ثم أنزله الله.

والمراد من خمر تسمية للحال باسم المحل ومن للتبعض (كَانَ مِرْأَجُهَا) ما تمزج به (كَافُورًا)

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾

٦ (عَيْنًا) بدل من كافورًا فيها راحته (يَشْرَبُ بِهَا) منها (عِبَادُ اللَّهِ) أوليائه (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) يقودونها حيث شاءوا من منازلهم

﴿يُوفُونَ بِالَّذِي وَعَاقُوبُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾

٧ (يُوفُونَ بِالَّذِي) في طاعة الله (وَيَعَاقُوبُونَ يَوْمًا) كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) منتشرا

﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَشْكِيئًا وَبَيْئًا وَأَسِيرًا﴾

٨ (وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ) أي الطعام وشهوتهم له (مَشْكِيئًا) فقيرا (وَبَيْئًا) لا أب له (وَأَسِيرًا) يعني المحبوس بحق (١).

﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرُؤُوفِهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾

٩ (إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرُؤُوفِهِ اللَّهِ) لطلب ثوابه (لا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا) شكرا فيه علة الإطعام وهل تكلموا بذلك أو علمه الله منهم فأثنى عليهم به ؟ قولان.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠]

١٠ (إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا) تكلم الجوه فيه أي كرهه المنظر لشدة (قَطَطِيرًا) شديدا في ذلك

﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ نَصْرَهُ وَسُرُورًا﴾

١١ (فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ) ولَقَّعَهُمْ (وَلَقَّعَهُمْ) أعطاهم (نَصْرَهُ) حسنا وإضاءة في وجوههم (وَسُرُورًا)

﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَخَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]

١٢ (وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا) بصبرهم عن المعصية (جَنَّةً) ادخلوها (وِخْرِيرًا) البسوه

٧٦- سورة الإنسان

(١) أسباب نزول الآية ٨: أخرج ابن المنذر عن ابن جرير في قوله: «وَأَسِيرًا» قال: لم يكن النبي ﷺ بأسر أهل الإسلام ولكنها نزلت في أسارى أهل الشرك كانوا بأسرونهم في العذاب ، فنزلت فيهم فكان النبي ﷺ يأمرهم بالإصلاح إليهم.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتُونَ﴾ [القيامة: ٤٠]

٤٠ (أَلَيْسَ ذَٰلِكَ) الفعال لهذه الأشياء (بِقَادِرٍ) عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتُونَ) قال ﷺ: بلى.

٧٦ سورة الإنسان

مكية أو مدنية وآياتها إحدى وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]

١ (هَلْ) قد (أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ) آدم (حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ) أربعون سنة (لَمْ يَكُن) فيه (شَيْئًا مَّذْكُورًا) كان فيه مصورا من طين لا يذكر أو المراد بالإنسان الجنس وبالحين مدة الحمل

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]

٢ (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) الجنس (مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) أخلط أي من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين (نَّبْتَلِيهِ) نختبره بالتكليف والجملة مستأنفة أو حال مقدره أي مريدين ابتلاءه حين تأمله (فَجَعَلْنَاهُ) بسبب ذلك (سَمِيعًا بَصِيرًا)

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾

٣ (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) بينا له طريق الهدى ببعث الرسل (إِمَّا شَاكِرًا) أي مؤمنا (وإِمَّا كَفُورًا) حالان من المفعول أي بيناه له في حال شكره أو كفره المقدره وإما لتفصيل الأحوال

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾

٤ (إِنَّا أَعْتَدْنَا) هيأنا (لِلْكَافِرِينَ) سلاسل يسحبون بها في النار (وَأَغْلَالًا) في أعناقهم تشد فيها السلاسل (وَسَعِيرًا) نارا مسعرة أي مهيجة يعذبون بها

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِرْأَجُهَا كَأُفُورًا﴾

٥ (إِنَّ الْأَبْرَارَ) جمع بر أو بار وهم المطيعون (يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ) هو إناء شرب الخمر وهي فيه

﴿وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ واسعا لا غاية له (١).

﴿عَلَيْهِمْ يُتَابُ سُئُوسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]

٢١ (عَالِيَتُهُمْ) فوقهم فنصبه على الظرفية وهو خير لمبتدأ بعده وفي قراءة بسكون الياء مبتدأ وما بعده خبر والضمير المتصل به للمعطوف عليهم (يُتَابُ سُئُوسٌ) حرير (خُضْرٌ) بالرفع (وَإِسْتَبْرَقٌ) بالجر ما غلظ من الديداج فهو البطائن والسندس الظهائر وفي قراءة عكس ما ذكر فيهما وفي أخرى برفعهما وفي أخرى بجرهما (وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ) وفي موضع من «ذهب» للإيدان بأنهم يحلون من النوعين معا ومفرقا (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) مبالغا في طهارته ونظافته بخلاف خمر الدنيا

﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا مُشْكُورًا﴾

٢٢ (إِنَّ هَذَا) النعيم (كَانَ لَكُمْ جَزَاءً) وَكَانَ سَعِيرًا مُشْكُورًا

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣]

٢٣ (إِنَّا نَحْنُ) تأكيد لاسم إن أو فصل (نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا) خبر إن أي فصلناه ولم ننزله جملة واحدة

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كَفُورًا﴾

٢٤ (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) عليك بتبليغ رسالته (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ) أي الكفار (آيْمًا أَوْ كَفُورًا) أي عتبه بن ربيعة والوليد بن المغيرة قالا للنبي ﷺ ارجع عن هذا الأمر ويجوز أن يراد كل آثم وكافر ولا تطع أحدهما أيا كان فيما دعاك إليه من إثم أو كفر (٢).

(١) أسباب نزول الآية ٢٠: وأخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: دخل عمر بن الخطاب على النبي ﷺ وهو راقد على حصير من جريد وقد أثر في جنبه فبكى عمر فقال له: «ما يبكيك؟» قال: ذكرت كسرى وملكه، وهرمز وملكه، وصاحب الحيشة وملكه، وأنت رسول الله ﷺ على حصير من جريد فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة؟» فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَبِيْعًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾.

(٢) أسباب نزول الآية ٢٤: وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة أنه بلغه أن أبا جهل قال: لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه فأنزل الله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كَفُورًا﴾.

﴿مُتَّكِبِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾

١٣ (مُتَّكِبِينَ) حال من مرفوع ادخلوها المقدر (فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ) السرر في الحجال (لَا يَرَوْنَ) لا يجدون حال ثانية (فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا) لا حرا ولا بردا وقيل الزمهرير القمر فهي مضيفة من غير شمس ولا قمر

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَقْطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾

١٤ (وَدَانِيَةً) قريبة عطف على محل لا يرون أي غير راثنين (عَلَيْهِمْ) منهم (ظِلَالُهَا) شجرها (وَذُلَّتْ أَقْطُوفُهَا تَذْلِيلًا) أدنيت ثمارها فينالها القائم والقاعد والمضطجع

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَآئِرٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾

١٥ (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ) فيها (بِآئِرٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ) أقداح بلا عرى (كَانَتْ قَوَارِيرًا)

﴿قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدْرًا نَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦]

١٦ (قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ) أي إنها من فضة يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج (قَدْرًا نَقْدِيرًا) أي الطائفون (تَقْدِيرًا) على قدر ري الشاربين من غير زيادة ولا نقص وذلك ألد الشراب

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾

١٧ (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا) أي خمرا (كَانَ مِزَاجُهَا) ما تمزج به (زَنْجَبِيلًا)

﴿عَيْنًا فِيهَا سَمِيُّ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٨]

١٨ (عَيْنًا) بدل من زنجبيل (فِيهَا سَمِيُّ سَلْسَبِيلًا) يعني أن ماءها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب سهل المساغ في الحلق.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾

١٩ (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ) وبصفة الولدان لا يشيبون (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ) لحسنهم وانتشارهم في الخدمة (لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا) من سلكه أو من صدفه وهو أحسن منه في غير ذلك

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نَبِيْعًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]

٢٠ (وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ) أي وجدت الرؤية منك في الجنة (رَأَيْتَ) جواب إذا (نَبِيْعًا) لا يوصف

٧٧ سورة المرسلات

مكية وآياتها خمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١]

١ (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا) أي الرياح متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضها بعضا ونصبه على الحال

﴿فَالعَصْفِ عَصْفًا﴾ [المرسلات: ٢]

٢ (فَالعَصْفِ عَصْفًا) الرياح الشديدة

﴿وَالنَّيِّرَاتِ نُورًا﴾ [المرسلات: ٣]

٣ (وَالنَّيِّرَاتِ نُورًا) الرياح تنشر المطر

﴿فَالفَرْقَاتِ فَرَقًا﴾ [المرسلات: ٤]

٤ (فَالفَرْقَاتِ فَرَقًا) أي آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام

﴿فَالْمَلَكَاتِ ذِكْرًا﴾ [المرسلات: ٥]

٥ (فَالْمَلَكَاتِ ذِكْرًا) أي الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء والرسل بلقون الوحي إلى الأمم

﴿عَذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ [المرسلات: ٦]

٦ (عَذْرًا أَوْ نَذْرًا) أي للإعذار والإنذار من الله تعالى وفي قراءة بضم ذال نذرا وقرئ بضم ذال عذرا

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاعٍ﴾ [المرسلات: ٧]

٧ (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاعٍ) أي يا كفار مكة من البعث والعذاب (لَوَاعٍ) كائن لا محالة

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات: ٨]

٨ (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ) محي نورها

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: ٩]

٩ (وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ) شقت

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [المرسلات: ١٠]

١٠ (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ) فتت وسيرت

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُنزِلَتْ﴾ [المرسلات: ١١]

١١ (وَإِذَا الرُّسُلُ أُنزِلَتْ) بالواو وبالهمزة بدلا

﴿وَأَذْكُرَ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥]

٢٥ (وَأَذْكُرَ اسْمَ رَبِّكَ) في الصلاة (بُكْرَةً وَأَصِيلًا) يعني الفجر والظهر والعصر

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾

٢٦ (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ) يعني المغرب والعشاء (وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا) صل التطوع فيه كما تقدم من ثلثيه أو نصفه أو ثلثه

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لِيُجِئُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَدْرُونَ وِرَاءَهُمْ يَوْمًا

نُفِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧]

٢٧ (إِنَّ هَؤُلَاءِ لِيُجِئُونَ الْعَاجِلَةَ) الدنيا (وَيَدْرُونَ وِرَاءَهُمْ يَوْمًا نُفِيلًا) شديدا أي يوم القيامة لا يعملون له

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا

أُمَّثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٨]

٢٨ (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ) قوينا (أَسْرَهُمْ) أعضائهم ومفصلهم (وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا) جعلنا (أُمَّثَلَهُمْ) في الخلقه بدلا منهم بأن نهلهم (تَبْدِيلًا) تأكيد ووقعت إذا موقع إن نحو (إن يشأ يذهبكم) لأنه تعالى لم يشأ ذلك وإذا لما يقع

﴿إِنْ هَدَيْهِ تَذَكُّرًا فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾

٢٩ (إِنْ هَدَيْهِ) السورة (تَذَكُّرًا) عظة للمخلق (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) طريقا بالطاعة

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ أَفْهَهُ كَانَ عَلِيمًا

حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]

٣٠ (وَمَا تَشَاءُونَ) بالتاء والياء اتخاذ السبيل بالطاعة (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) ذلك (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بخلقهم (حَكِيمًا) في فعله

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَاللَّيْلِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

٣١ (يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) جنته وهم المؤمنون (وَاللَّيْلِينَ) ناصبه فعل مقدر أي أوعد يفسره (أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما وهم الكافرون.

* * *

منها أي جمعت لوقت

﴿وَلَا تَنفِي يَوْمَ أُحِيَّتْ﴾ [المرسلات: ١٢]

١٢ (لَا تَنفِي يَوْمَ) ليوم عظيم (أُحِيَّتْ) للشهادة على أممهم بالتبليغ

﴿لِيَوْمِ الْقَاصِلِ﴾ [المرسلات: ١٣]

١٣ (لِيَوْمِ الْقَاصِلِ) بين الخلق ويؤخذ منه جواب إذا أي وقع الفصل بين الخلائق

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْقَاصِلِ﴾ [المرسلات: ١٤]

١٤ (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْقَاصِلِ) تهويل لشأنه

﴿وَلَيْلٍ يُؤَمِّدُ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥]

١٥ (وَلَيْلٍ يُؤَمِّدُ لِلْمُكَذِّبِينَ) هذا وعيد لهم

﴿أَلَّا تَهْلِكِ الْأُولَى﴾ [المرسلات: ١٦]

١٦ (أَلَّا تَهْلِكِ الْأُولَى) بتكذيبهم أي أهلكناهم

﴿ثُمَّ نَتِمُّهُمْ الْآخِرِينَ﴾ [المرسلات: ١٧]

١٧ (ثُمَّ نَتِمُّهُمْ الْآخِرِينَ) ممن كذبوا ككفار مكة فهلكنهم

﴿كَذَلِكَ تَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات: ١٨]

١٨ (كَذَلِكَ) مثل ما فعلنا بالمكذبين (تَفْعَلُ) بالمُجْرِمِينَ) بكل من أجرم فيما يستقبل فهلكنهم

﴿وَلَيْلٍ يُؤَمِّدُ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٩]

١٩ (وَلَيْلٍ يُؤَمِّدُ لِلْمُكَذِّبِينَ) تأكيد

﴿أَلَّا تَخْلُقَنَّ مِنَ مَاءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]

٢٠ (أَلَّا تَخْلُقَنَّكُمْ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ) ضعيف وهو المنى

﴿فَجَسَدَتْ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المرسلات: ٢١]

٢١ (فَجَسَدَتْ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) حريز وهو الرحم

﴿إِنَّكَ قَدَرٌ مَقْلُوبٌ﴾ [المرسلات: ٢٢]

٢٢ (إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ) وهو وقت الولادة

﴿مَضْرَبًا فَيَقَعُ الْقَائِدُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]

٢٣ (فَقَدَرْنَا) على ذلك (فَيَقَعُ الْقَائِدُونَ) نحن

﴿وَلَيْلٍ يُؤَمِّدُ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٢٤]

٢٤ (وَلَيْلٍ يُؤَمِّدُ لِلْمُكَذِّبِينَ)

﴿أَلَّا تَجْعَلَ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥]

٢٥ (أَلَّا تَجْعَلَ الْأَرْضَ كِفَاتًا) مصدر كفت بمعنى ضم أي ضامة

﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٦]

٢٦ (أَحْيَاءَ) على ظهرها (وَأَمْوَاتًا) في بطنها

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رُجُومًا شَهِيقًا وَأَسْفَيْنَاكُمْ مَاءَ فُرَاتًا﴾

[المرسلات: ٢٧]

٢٧ (وَجَعَلْنَا فِيهَا رُجُومًا شَهِيقًا) جبلا مرتفعات (وَأَسْفَيْنَاكُمْ مَاءَ فُرَاتًا) عذابا

﴿وَلَيْلٍ يُؤَمِّدُ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٢٨]

٢٨ (وَلَيْلٍ يُؤَمِّدُ لِلْمُكَذِّبِينَ) ويقال للمكذبين يوم القيامة

﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ [المرسلات: ٢٩]

٢٩ (أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ) من العذاب (تَكْذِبُونَ)

﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تَلَاثِ شُعْبٍ﴾ [المرسلات: ٣٠]

٣٠ (أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تَلَاثِ شُعْبٍ) هو دخان جهنم إذا ارتفع افرق ثلاث فرق لعظمته

﴿لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ﴾ [المرسلات: ٣١]

٣١ (لَا ظَلِيلٍ) كنين يظلمهم من حر ذلك اليوم (وَلَا يُغْنِي) يرد عنهم شيئا (مِنَ الْهَبِّ) النار

﴿إِنَّمَا تَرَى بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢]

٣٢ (إِنَّمَا) أي النار (تَرَى بِشَكْرِ) هو ما تطاير منها (كَالْقَصْرِ) من البناء في عظمه وارتفاعه

﴿كَأَنَّهُ جَمَلٌ صَفَرٌ﴾ [المرسلات: ٣٣]

٣٣ (كَأَنَّهُ جَمَلٌ) جمع جمالة جمع جمل وفي قراءة جمالة (صَفَرٌ) في هيئتها ولونها وفي الحديث شرار النار أسود كالقير والعرب تسمي سود الإبل صفرا لشوب سوادها بصفرة قفيل صفرا في الآية بمعنى سود لما ذكر وقيل لا والشر جمع شرارة والقير القار

﴿وَلَيْلٍ يُؤَمِّدُ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٣٤]

٣٤ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾

﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥]

٣٥ (هَذَا) أي يوم القيامة (يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ) فيه

بشيء

﴿وَلَا يُؤذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦]

٣٦ (وَلَا يُؤذَنُ لَهُمْ) في العذر (فَيَعْتَذِرُونَ)

عطف على يؤذن من غير تسبب عنه فهو داخل في حيز النفي أي لا إذن فلا اعتذار

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٣٧]

٣٧ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَضْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَى﴾ [المرسلات: ٣٨]

٣٨ (هَذَا يَوْمُ الْفَضْلِ جَمَعْنَاكُمْ) أيها المكذبون

من هذه الأمة (وَالْأُولَى) من المكذبين قبلكم فتحاسبون وتعذبون جميعا

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونَ﴾ [المرسلات: ٣٩]

٣٩ ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حيلة في دفع العذاب

عنكم (فَكِيدُونَ) فافعلوها

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٤٠]

٤٠ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١]

٤١ (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ) أي تكاثف أشجار

إذ لا شمس يظل من حرها (وَعُيُونٍ) نابعة من الماء

﴿وَفَوْكَهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المرسلات: ٤٢]

٤٢ (وَفَوْكَهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ) فيه إعلام بأن المأكَل

والمشرب في الجنة بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد الناس في الأغلب ويقال لهم

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَيْسًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

٤٣ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَيْسًا﴾ حال أي مهنتين (بِمَا

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من الطاعة

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [المرسلات: ٤٤]

٤٤ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما جزينا المتقين (نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ)

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٤٥]

٤٥ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾

﴿كُلُوا وَتَسْمَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ﴾ [المرسلات: ٤٦]

٤٦ ﴿كُلُوا وَتَسْمَعُوا﴾ خطاب للكفار في الدنيا

(قَلِيلًا) من الزمان وغايته إلى الموت وفي هذا تهديد لهم (إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ)

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٤٧]

٤٧ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ازْكُمُوا لَا يَرْكَبُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]

٤٨ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ازْكُمُوا﴾ صلوا (لَا يَرْكَبُونَ)

لا يصلون^(١).

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٤٩]

٤٩ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠]

٥٠ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ أي القرآن (يُؤْمِنُونَ) أي لا

يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله بعد تكذيبهم به لاشتماله على الإعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره.

٧٨ سورة النبأ

مكية وآياتها أربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ: ١]

١ (عَمَّ) عن أي شيء (يَتَسَاءَلُونَ) يسأل بعض

قريش بعضاً^(٢).

﴿عَنِ النَّبِئِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ٢]

٢ (عَنِ النَّبِئِ الْعَظِيمِ) بيان لذلك الشيء

والاستفهام لتفخيمه وهو ما جاء به النبي ﷺ من القرآن المشتمل على البعث وغيره.

٧٧- سورة المرسلات

(١) أسباب نزول الآية ٤٨: أخرج ابن المنذر عن مجاهد في قوله: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اركعوا لا يركعون» قال: نزلت في ثقيف.

٧٨- سورة النبأ

(٢) أسباب نزول الآيتين (١-٢): أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن قال: لما بُعث النبي ﷺ جعلوا يتساءلون

﴿الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبا: ٣]

٣ ﴿الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ فالمؤمنون يثبتونه والكافرون ينكرونه

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبا: ٤]

٤ ﴿كَلَّا﴾ ردع (سَيَعْلَمُونَ) ما يحل بهم على إنكارهم له

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبا: ٥]

٥ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ تأكيد وجيء فيه بـ «ثم» للإيذان بأن الوعيد الثاني أشد من الأول ثم أوماً تعالى إلى القدرة على البعث فقال

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ [النبا: ٦]

٦ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ فراشا كالمهد

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبا: ٧]

٧ ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ تثبت بها الأرض كما تثبت الخيام بالأوتاد والاستفهام للتقرير

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النبا: ٨]

٨ ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبا: ٩]

٩ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ راحة لأبدانكم

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا﴾ [النبا: ١٠]

١٠ ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا﴾ ساترا بسواده

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: ١١]

١١ ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ وقتا للمعاش

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا سِدَادًا﴾ [النبا: ١٢]

١٢ ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا سِدَادًا﴾ سبع سموات (سِدَادًا) جمع شديدة أي قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ [النبا: ١٣]

١٣ ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ وقادا يعني الشمس

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَّجَاةً﴾ [النبا: ١٤]

١٤ ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ السحابات التي حان لها أن تمطر كالمعصر الجارية التي دنت من الحيض (مَاءً نَّجَاةً) سبابا

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ [النبا: ١٥]

١٥ ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ كالحنطة (وَنَبَاتًا) كالتين

﴿وَجَعَلْنَا أَلْفَاةً﴾ [النبا: ١٦]

١٦ ﴿وَجَعَلْنَا﴾ بسابتين (أَلْفَاةً) ملتفة جمع ليف كشريف وأشرف

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبا: ١٧]

١٧ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ﴾ بين الخلائق (كَانَ مِيقَاتًا) وقتا للثواب والعقاب

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَقْوَابًا﴾ [النبا: ١٨]

١٨ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن بدل من يوم الفصل أو بيان له والنافخ إسرافيل (فَنَأْتُونَ) من قبوركم إلى الموقف (أَقْوَابًا) جماعات مختلفة

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبا: ١٩]

١٩ ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ بالتشديد والتخفيف شقت لنزول الملائكة (فَكَانَتْ أَبْوَابًا) ذات أبواب

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبا: ٢٠]

٢٠ ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ ذهب بها عن أماكنها (فَكَانَتْ سَرَابًا) هباء أي مثله في خفة سيرها

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبا: ٢١]

٢١ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ راصدة أو مرصدة

﴿لِلظَّالِمِينَ مَبَابًا﴾ [النبا: ٢٢]

٢٢ ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ للكافرين فلا يتجاوزونها (مَبَابًا) مرجعا لهم فيدخلونها

﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبا: ٢٣]

٢٣ ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (لَا يَبِينُ) حال مقدرة أي مقدرا لبثهم (فِيهَا) أَحْقَابًا) دهورا لا نهاية لها جمع حقب بضم أوله

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبا: ٢٤]

٢٤ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ نوما فإنهم لا

بينهم فنزلت: «عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ» عن النبي العظيم.

يدوقونه (ولا شَرَابًا) ما يشرب تلذذا

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَسَّاقًا﴾ [النبا: ٢٥]

٢٥ (إلا) لكن (حميمًا) ماء حارًا غاية الحرارة (وعساقًا) بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار فإنهم يدوقونه جوزوا بذلك

﴿جَزَاءً وَفَاءً﴾ [النبا: ٢٦]

٢٦ (جَزَاءً وَفَاءً) موافقا لعملهم فلا ذنب أعظم من الكفر ولا عذاب أعظم من النار

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبا: ٢٧]

٢٧ (إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ) يخافون (حِسَابًا) لإنكارهم البعث

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذِبًا﴾ [النبا: ٢٨]

٢٨ (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (كَذِبًا) تكذبا

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ [النبا: ٢٩]

٢٩ (وَكُلُّ شَيْءٍ) من الأعمال (أَحْصَيْنَاهُ) ضبطناه (كِتَابًا) كتبنا في اللوح المحفوظ لنجازي عليه ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن

﴿فَقَدَرُوا فَلَئِن نَّزِيدُكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: ٣٠]

٣٠ (فَقَدَرُوا) أي فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب عليهم ذوقوا جزاءكم (فَلَئِن نَّزِيدُكُمْ إِلَّا عَذَابًا) فوق عذابكم

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبا: ٣١]

٣١ (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) مكان فوز في الجنة

﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ [النبا: ٣٢]

٣٢ (حَدَائِقَ) بساتين بدل من «مفازا» أو بيان له (وَأَعْنَابًا) عطف على «مفازا»

﴿وَكَوَاعِبَ أَرْبَابًا﴾ [النبا: ٣٣]

٣٣ (وَكَوَاعِبَ) جوار تكعبت ثديهن جمع كاعب (أَرْبَابًا) على سن واحد جمع ترب بكسر التاء وسكون الراء

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبا: ٣٤]

٣٤ (وَكَأْسًا دِهَاقًا) خمرا مائلة محلها وفي سورة القتال (وأنهار من خم)

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا كَذِبًا﴾ [النبا: ٣٥]

٣٥ (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا) أي الجنة عند شرب الخمر وغيرها من الأحوال (لِقَاءً) باطلا من القول (ولا كذبا) بالتخفيف والتشديد أي كذبا وبالتشديد أي تكذبا من واحد لغيره بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر

﴿جَزَاءً مِمَّن رَزَقَهُ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبا: ٣٦]

٣٦ (جَزَاءً مِمَّن رَزَقَهُ) أي جزاهم الله بذلك جزاء (عَطَاءً) بدل من جزاء (حِسَابًا) أي كثيرا من قولهم أعطاني فأحسبني أي أكثر علي حتى قلت حسبي

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ

خِطَابًا﴾

٣٧ (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) بالجر والرفع (وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ) كذلك ويرفعه مع جر رب (لَا يَمْلِكُونَ) أي الخلق (مِنْهُ) تعالى (خِطَابًا) أي لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفا منه

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ

أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨]

٣٨ (يَوْمَ) ظرف (لا يملكون) (يَقُومُ الرُّوحُ) جبريل أو جند الله (وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا) حال أي مصطفين (لَا يَتَكَلَّمُونَ) أي الخلق (إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ) في الكلام (وَقَالَ) قولاً (صَوَابًا) من المؤمنين والملائكة كأن يشفعوا لمن ارتضى

﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءَ﴾

٣٩ (ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ) الثابت وقوعه وهو يوم القيامة (فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءَ) مرجعا أي رجع إلى الله بطاعته ليسلم من العذاب فيه

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ

يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ بَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠]

٤٠ (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ) يا كفار مكة (عَذَابًا قَرِيبًا)

عذاب يوم القيامة الآتي وكل أت قريب (يَوْمَ)

ظرف لـ (عَذَابًا) بصفته (يَنْظُرُ الْمَرْءُ) كل امرئ (مَا

قَدَّمَتْ يَدَاهُ) من خير وشر (وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا) حرف

تنبيه (لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) يعني فلا أعذب يقول ذلك

عندما يقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض كوني ترابا.

سورة النازعات ٧٩

مكية وآياتها ست وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا﴾ [النازعات: ٦]

١ (وَالنَّازِعَاتِ) الملائكة تنزع أرواح الكفار (غَرْاقًا) نزعا بشدة

﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ٧]

٢ (وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا) الملائكة تنشط أرواح المؤمنين أي تسهلها برفق

﴿وَالسَّابِقَاتِ سَبَاقًا﴾ [النازعات: ٣]

٣ (وَالسَّابِقَاتِ سَبَاقًا) الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى أي تنزل

﴿وَالسَّابِقَاتِ سَبَاقًا﴾ [النازعات: ٤]

٤ (وَالسَّابِقَاتِ سَبَاقًا) الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة

﴿قَالَمُنذِرَاتٍ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]

٥ (قَالَمُنذِرَاتٍ أَمْرًا) الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره وجواب هذه الأقسام محذوف أي لتبعثن يا كفار مكة وهو عامل في

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦]

٦ (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) النفخة الأولى بها يرجف كل شيء أي يتزلزل فوصف بما يحدث بها

﴿تَتَّبِعَهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٧]

٧ (تَتَّبِعَهَا الرَّادِفَةُ) النفخة الثانية وبينهما أربعون سنة والجملة حال من الراجفة فالיום واسع للنفختين وغيرهما فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية

﴿قُلُوبٌ يُؤْمِنُ وَيُؤْمِنُ﴾ [النازعات: ٨]

٨ (قُلُوبٌ يُؤْمِنُ وَيُؤْمِنُ) خائفة قلقة

﴿أَبْصَرُهَا خَائِفَةً﴾ [النازعات: ٩]

٩ (أَبْصَرُهَا خَائِفَةً) ذليلة لهول ما ترى

﴿يَقُولُونَ أَوْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠]

١٠ (يَقُولُونَ) أي أرباب القلوب والأبصار استهزاء وإنكارا للبعث (أَوْنَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين (لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ) أي أنرد بعد الموت إلى الحياة ؟ والحافرة اسم لأول الأمر ومنه رجع فلان حافرتة والحافرة إذا رجع من حيث جاء

﴿أَوْدَا كُنَّا عِظَمًا نَجْرَةً﴾ [النازعات: ١١]

١١ (أَوْدَا كُنَّا عِظَمًا نَجْرَةً) وفي قراءة ناخرة بالية متفتنة نحيا ؟

﴿قَالُوا يَا نَكَّ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢]

١٢ (قَالُوا يَا نَكَّ) أي رجعتنا إلى الحياة (إِذَا) إن صحت (كَرَّةٌ) رجعة (خَاسِرَةٌ) ذات خسران (١)

﴿فَلَقَدْ هَمَّتْ زَجْرَةٌ رَاحَةً﴾ [النازعات: ١٣]

١٣ (فَلَقَدْ هَمَّتْ) أي الرادفة التي يعقبها البعث (زَجْرَةٌ) نفخة (وَاحِدَةٌ) فاذا نفخت

﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤]

١٤ (فَإِذَا هُمْ) أي كل الخلائق (بِالسَّاهِرَةِ) بوجه الأرض أحياء بعد ما كانوا يبطنها أمواتا

﴿هَلْ أُنثِقَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [النازعات: ١٥]

١٥ (هَلْ أُنثِقَ) يا محمد (حَدِيثُ مُوسَى) عامل في :

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: ١٦]

١٦ (إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) اسم الوادي بالتثنية وتركه فقال

﴿أَذْهَبَ إِلَيَّ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ كَفَرٌ﴾ [النازعات: ١٧]

١٧ (أَذْهَبَ إِلَيَّ) فِرْعَوْنُ إِنَّهُ كَفَرٌ تجاوز الحد في الكفر

٧٩- سورة النازعات

(١) أسباب نزول الآية ١٢: أخرج سعيد بن منصور عن محمد بن كعب قال: لما نزل قوله: «أنا لمرودون في الحافرة» قال كفار قريش: لعن حيننا بعد الموت لنخسرن فنزل: «قالوا تلك إذا كرة خاسرة».

﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّنَهَا﴾ [النازعات: ٢٨]

٢٨ ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ تفسير لكيفية البناء أي جعل سمكها في جهة العلو رفيعا وقيل سمكها سقفها (فَسَوَّنَهَا) جعلها مستوية بلا عيب

﴿وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٩]

٢٩ ﴿وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه (وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا) أبرز نور شمسها وأضيف إليها الليل لأنه ظلها والشمس لأنها سراجها

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]

٣٠ ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ بسطها وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣١]

٣١ ﴿أَخْرَجَ﴾ حال يا ضمار قد أي مخرجا (مِنْهَا مَاءَهَا) بتفجير عيونها (وَمَرْعَاهَا) ما ترعاه النعم من الشجر والعشب وما يأكله الناس من الأقوات والثمار وإطلاق المرعى عليه استعارة

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَنَهَا﴾ [النازعات: ٣٢]

٣٢ ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَنَهَا﴾ أثبتها على وجه الأرض لتسكن

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣]

٣٣ ﴿مَتَاعًا﴾ مفعول له لمقدر أي فعل ذلك متعة أو مصدر أي تمتعيا (لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٣٤]

٣٤ ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْكُبْرَى﴾ النفخة الثانية

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ [النازعات: ٣٥]

٣٥ ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ بدل من إذا (مَا سَعَى) في الدنيا من خير وشر

﴿وَوُزِّيَتْ أَلْجَبِيْمُ لِمَن بَرَى﴾ [النازعات: ٣٦]

٣٦ ﴿وَوُزِّيَتْ أَلْجَبِيْمُ﴾ أظهرت (الْجَبِيْمُ) النار المحرقة (لِمَن بَرَى) لكل راء وجواب إذا:

﴿فَأَمَّا مَنْ طَفَى﴾ [النازعات: ٣٧]

٣٧ ﴿فَأَمَّا مَنْ طَفَى﴾ كفر

﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبُ﴾ [النازعات: ١٨]

١٨ ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ﴾ أذعوك (إِلَى أَن تَرْكَبُ) وفي قراءة بتشديد الزاي بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها تتطهر من الشرك بأن تشهد أن لا إله إلا الله

﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات: ١٩]

١٩ ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أدلك على معرفته بيهان (فَتَخْشَى) فتخافه

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٢٠]

٢٠ ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ من آياته التسع وهي اليد أو العصا

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ [النازعات: ٢١]

٢١ ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعون موسى (وَعَصَى) الله تعالى

﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾ [النازعات: ٢٢]

٢٢ ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ عن الإيمان (يَسْعَى) في الأرض بالفساد

﴿فَنَحَّشَرَ فَنَادَى﴾ [النازعات: ٢٣]

٢٣ ﴿فَنَحَّشَرَ﴾ جمع السحرة وجنده (فَنَادَى)

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]

٢٤ ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ لا رب فوقي

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَجْرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات: ٢٥]

٢٥ ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ أهلكه بالفرق (نَكَالَ) عقوبة (الْأَجْرَةِ) أي هذه الكلمة (وَالْأُولَى) أي قوله قبلها: «ما علمت لكم من إله غيري»، وكان بينهما أربعون سنة

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ [النازعات: ٢٦]

٢٦ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور (لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى) الله تعالى

﴿ءَأَنْتُمْ أَشْدُّ خَلْقًا أَرِ السَّمَاءَ بَنَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧]

٢٧ ﴿ءَأَنْتُمْ أَشْدُّ خَلْقًا أَرِ السَّمَاءَ بَنَاهَا﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه أي منكرو البعث (أَشْدُّ خَلْقًا أَرِ السَّمَاءَ) أشد خلقا؟ (بَنَاهَا) بيان لكيفية خلقها

﴿كَانَهُمْ يَوْمَ بُرُونًا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾

٤٦ ﴿كَانَهُمْ يَوْمَ بُرُونًا لَمْ يَلْبَسُوا﴾ في قبورهم (إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) عشية يوم أو بكرته وضح إضافة الضحى إلى العشية لما بينهما من الملابس إذ هما طرفا النهار وحسن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة.

* * *

٨٠ سورة عبس

آياتها ٤٢ اثنان وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس: ١]

١ ﴿عَبَسَ﴾ النبي كلح وجهه (وتَوَلَّى) أعرض لأجل^(١)

﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ٢]

٢ ﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ عبد الله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به ممن يرجو إسلامه من أشرف قريش الذين هو حريص على إسلامهم ولم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك فناده علمني مما علمك الله فانصرف النبي ﷺ إلى بيته فعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء : «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويسيط له رداءه».

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلُّهُ يَزُكَّى﴾ [عبس: ٣]

٣ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يعلمك (لَعَلُّهُ يَزُكَّى) فيه إدغام التاء في الأصل في الزاي أي يتطهر من الذنوب بما يسمع منك

٨٠- سورة عبس

(١) أسباب نزول الآيتين (١-٢) : أخرج الترمذي والحاكم عن عائشة قالت: أنزل «عبس وتولى» في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يُعرض عنه ويقبل على الآخر فيقول له: أترى بما أقول بأشأ؟ فيقول: لا. فنزلت: «عبس وتولى أن جاءه الأعمى».

* وأخرج أبو يعلى مثله عن أنس.

﴿وَأَنزَلَ الْغَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النازعات: ٣٨]

٣٨ ﴿وَأَنزَلَ الْغَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ باتباع الشهوات

﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٩]

٣٩ ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ مأواه

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾

٤٠ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قيامه بين يديه (وَنَهَى النَّفْسَ) الأمانة (عَنِ الْهَوَى) المردي باتباع الشهوات

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤١]

٤١ ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ وحاصل الجواب: فالعاصي في النار والمطيع في الجنة

﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢]

٤٢ ﴿يَسْتَأْذِنُكَ﴾ كفار مكة (عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) متى وقوعها وقيامها؟^(١)

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ [النازعات: ٤٣]

٤٣ ﴿فِيمَ﴾ في أي شيء (أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا) ليس عندك علمها حتى تذكرها

﴿إِلَّا رَبَّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ [النازعات: ٤٤]

٤٤ ﴿إِلَّا رَبَّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ منتهى علمها لا يعلمه غيره

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥]

٤٥ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ إنما ينفع إنذارك (مَنِ يَخْشَاهَا) يخافها

(١) أسباب نزول الآية ٤٢: أخرج الحاكم وابن جرير عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة حتى أنزل عليه: «يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها» فأنهى.

* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس أن مشركي أهل مكة سألوا النبي ﷺ فقالوا: متى تقوم الساعة؟ استهزاء منهم فأنزل الله: «يسألونك عن الساعة أيان مرساها» إلى آخر السورة.

* وأخرج الطبراني وابن جرير عن طارق بن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ يكثر ذكر الساعة حتى نزلت: «فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها».

* وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن عروة.

المحفوظ

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرُ﴾ [عبس: ٤]

٤ (أَوْ يَذَّكَّرُ) فيه إدغام التاء في الأصل في الدال أي يتعظ (فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرُ) العظة المسموعة منك وفي قراءة بنصب تنفعه جواب الترجي

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ [عبس: ٥]

٥ (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى) بالمال

﴿فَأَنْتَ لَمْ تَصَدَّقْ﴾ [عبس: ٦]

٦ (فَأَنْتَ لَمْ تَصَدَّقْ) وفي قراءة بتشديد الصاد إدغام التاء الثانية في الأصل فيها تقبل وتعرض

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزُكِّيَ﴾ [عبس: ٧]

٧ (وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزُكِّيَ) يؤمن

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ [عبس: ٨]

٨ (وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى) حال من فاعل جاء

﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ [عبس: ٩]

٩ (وَهُوَ يَخْشَى) الله حال من فاعل «يسعى» وهو الأعمى

﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ [عبس: ١٠]

١٠ (فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) فيه حذف التاء الأخرى في الأصل أي تتشاغل

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ١١]

١١ (كَلَّا) لا تفعل مثل ذلك (إِنَّهَا) السورة أو الآيات (تَذْكِرَةٌ) عظة للخلق

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ [عبس: ١٢]

١٢ (فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ) حفظ ذلك فاتعظ به

﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾ [عبس: ١٣]

١٣ (فِي صُحُفٍ) خبر ثان لأنها وما قبله اعتراض (مُكْرَمَةٍ) عند الله

﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عبس: ١٤]

١٤ (مَرْفُوعَةٍ) في السماء (مُطَهَّرَةٍ) منزهة من مس الشياطين

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥]

١٥ (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ) كتبه ينسخونها من اللوح

﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦]

١٦ (كِرَامٍ بَرَرَةٍ) مطيعين لله تعالى وهم الملائكة

﴿قُلْ أَلَيْسَ مَا آخَرُونَ﴾ [عبس: ١٧]

١٧ (قُلْ أَلَيْسَ مَا آخَرُونَ) لعن الكافر (مَا آخَرُونَ) استفهام تويخ أي ما حمله على الكفر^(١).

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [عبس: ١٨]

١٨ (مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) استفهام تقرير ثم بينه فقال

﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ [عبس: ١٩]

١٩ (مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ) علقه ثم مضغه إلى آخر خلقه

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾ [عبس: ٢٠]

٢٠ (ثُمَّ السَّبِيلَ) أي طريق خروجه من بطن أمه (يَسْرَهُ)

﴿ثُمَّ أَمَانَةً فَآقْرَهُ﴾ [عبس: ٢١]

٢١ (ثُمَّ أَمَانَةً فَآقْرَهُ) جعله في قبر يستره

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ [عبس: ٢٢]

٢٢ (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ) للبعث

﴿كَلَّا لَمَّا يَقُضِ مَا أَمَرُهُ﴾ [عبس: ٢٣]

٢٣ (كَلَّا) حقا (لَمَّا يَقُضِ) لم يفعل (مَا أَمَرُهُ) به ربه

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [عبس: ٢٤]

٢٤ (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ) نظر اعتبار (إِلَى طَعَامِهِ) كيف قدر ودير له

﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَابًا﴾ [عبس: ٢٥]

٢٥ (أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ) من السحاب (صَبَابًا)

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَاقًا﴾ [عبس: ٢٦]

(١) أسباب نزول الآية ١٧: وأخرج ابن المنذر عن عكرمة في قوله: «قُلْ أَلَيْسَ مَا آخَرُهُ» قال: نزلت في عتبة بن أبي لهب حين قال: كفرت برب النجم.

﴿وَجُودٌ يُؤْتِيهِ اللَّهُ مَالًا كَثِيرًا﴾ [عبس: ٤٠]

٤٠ (وَجُودٌ يُؤْتِيهِ اللَّهُ مَالًا كَثِيرًا) غبار

﴿تَرْمِئُهَا قَتَرٌ﴾ [عبس: ٤١]

٤١ (تَرْمِئُهَا) تغشاها (قَتَرٌ) ظلمة وسواد

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْعَصِيُّ﴾ [عبس: ٤٢]

٤٢ (أُولَئِكَ) أهل هذه الحالة (هُمُ الْكَافِرُ الْعَصِيُّ) الجامعون بين الكفر والفجور.

* * *

٨١ سورة التکویر

مكية وآياتها ٢٩ تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التکویر: ١]

١ (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) لففت وذهب بنورها

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التکویر: ٢]

٢ (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) انقضت وتساقطت على الأرض

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التکویر: ٣]

٣ (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) ذهب بها عن وجه الأرض فصارت «هباء منبثا»

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التکویر: ٤]

٤ (وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ) (عُطِّلَتْ) تركت بلا راع أو بلا حلب لما دهاهم من الأمر ولم يكن مال أعجب إليهم منها

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التکویر: ٥]

٥ (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) جمعت بعد البعث ليقص لبعض من بعض ثم تصير ترابا

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التکویر: ٦]

٦ (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) بالتخفيف والتشديد أوقدت فصارت نارا

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التکویر: ٧]

٧ (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قرنت بأجسادها

٢٦ ﴿ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ﴾ بالنبات (شَقًا)

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ [عبس: ٢٧]

٢٧ (فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا) كالحنطة والشعير

﴿وَعِنَّا وَقْضَابًا﴾ [عبس: ٢٨]

٢٨ (وَعِنَّا وَقْضَابًا) هو القث الرطب

﴿وَزَيْتُونًا وَتَمْلًا﴾ [عبس: ٢٩]

٢٩ (وَزَيْتُونًا وَتَمْلًا)

﴿وَعَدَائِقَ غَلَبًا﴾ [عبس: ٣٠]

٣٠ (وَعَدَائِقَ غَلَبًا) بساتين كثيرة الأشجار

﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]

٣١ (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا) ما ترعاه البهائم وقيل التبن

﴿مَتَاعًا لَّكَرًا وَلَأْمًا﴾ [عبس: ٣٢]

٣٢ (مَتَاعًا) متعة أو تمتيعا كما تقدم في السورة قبلها (لَّكَرًا) تقدم فيها أيضا

﴿وَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ﴾ [عبس: ٣٣]

٣٣ (وَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ) النسخة الثانية

﴿يَوْمَ يُقَرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤]

٣٤ (يَوْمَ يُقَرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ)

﴿وَأُنْبِيَهُ وَأَبِيهِ﴾ [عبس: ٣٥]

٣٥ (وَأُنْبِيَهُ وَأَبِيهِ)

﴿وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٦]

٣٦ (وَصَاحِبِيهِ) زوجته (وَبَنِيهِ) يوم بدل من إذا وجوابها دل عليه

﴿لِكُلِّ أَمْرٍ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]

٣٧ (لِكُلِّ أَمْرٍ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) حال يشغله عن شأن غيره أي اشتغل كل واحد بنفسه

﴿وَجُودٌ يُؤْتِيهِ اللَّهُ مَالًا كَثِيرًا﴾ [عبس: ٣٨]

٣٨ (وَجُودٌ يُؤْتِيهِ اللَّهُ مَالًا كَثِيرًا) مضية

﴿صَاحِبِكُمْ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٩]

٣٩ (صَاحِبِكُمْ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) فرحة وهم المؤمنون

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨]

٨ (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ) الجارية تدفن حية خوف العار والحاجة (سُئِلَتْ) تبيكتا لقائلها

﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٩]

٩ (بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) وقرئت بكسر التاء حكاية لما تخاطب به وجوابها أن تقول قتلت بلا ذنب

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]

١٠ (وَإِذَا الصُّحُفُ) صحف الأعمال (نُشِرَتْ) بالتخفيف والتشديد فتحت وبسطت

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١]

١١ (وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ) نزعبت عن أماكنها كما ينزع الجلد من الشاة

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ [التكوير: ١٢]

١٢ (وَإِذَا الْجَحِيمُ) النار (سُعِرَتْ) بالتخفيف والتشديد أجمت

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ﴾ [التكوير: ١٣]

١٣ (وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ) قربت لأهلها ليدخلوها وجواب إذا أول السورة وما عطف عليها

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]

١٤ - أي (عَلِمَتْ نَفْسٌ) كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (مَّا أُخْضِرَتْ) من خير وشر

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾ [التكوير: ١٥]

١٥ (فَلَا أُقْسِمُ) لا زائدة (بِالْخُنُوسِ)

﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ [التكوير: ١٦]

١٦ (الْجَوَارِ الْكُنُوسِ) هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخنُس بضم النون أي ترجع في مجراها ورائها بينما نرى النجم في آخر البرج إذ كر راجعا إلى أوله وتكنس بكسر النون تدخل في كناسها أي تغيب في المواضع التي تغيب فيها

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَوَسَ﴾ [التكوير: ١٧]

١٧ (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَوَسَ) أقبل بظلامه أو أدير

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨]

١٨ (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) امتد حتى يصير نهارا بينا

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩]

١٩ (إِنَّهُ) أي القرآن (لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) على الله تعالى وهو جبريل أضيف إليه لنزوله به

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠]

٢٠ (ذِي قُوَّةٍ) شديد القوى (عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ) الله تعالى (مَكِينٍ) ذي مكانة متعلق به عند

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١]

٢١ (مُطَاعٍ ثَمَّ) تطيعه الملائكة في السموات والأرض (أَمِينٍ) على الوحي

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]

٢٢ (وَمَا صَاحِبُكُمْ) محمد ﷺ عطف على إنه إلى آخر المقسم عليه (بِمَجْنُونٍ) كما زعمتم

﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]

٢٣ (وَلَقَدْ رَآهُ) رأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها (بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ) وهو الأعلى بناحية المشرق

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤]

٢٤ (وَمَا هُوَ) محمد ﷺ (عَلَى الْغَيْبِ) ما غاب من الوحي وخبر السماء (بِضَنِينٍ) أي بمتهم وفي قراءة بالضاد أي بيخيل فينتقص شيئا منه

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [التكوير: ٢٥]

٢٥ (وَمَا هُوَ) أي القرآن (بِقَوْلِ شَيْطَانٍ) مسترق السمع (رَجِيمٍ) مرجوم

﴿فَأَن تَدَّهُونُ﴾ [التكوير: ٢٦]

٢٦ (فَأَن تَدَّهُونُ) فبأي طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه ؟

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧]

٢٧ (إِنَّ) ما (هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ) عظة (لِلْعَالَمِينَ) الإنس والجن

﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَعِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]

﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَفَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾
٦ ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْكَافِرَ (مَا عَرَفَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) حَتَّىٰ عَصَيْتَهُ (١)﴾ .

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]

٧ (الَّذِي خَلَقَكَ) بعد أن لم تكن (فَسَوَّاكَ) جعلك مستوي الخلقة سالم الأعضاء (فَعَدَلَكَ) بالتخفيف والتشديد جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء ليست يد أو رجل أطول من الأخرى

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]

٨ (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا) زائدة (شَاءَ رَكَّبَكَ)

﴿كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ [الانفطار: ٩]

٩ (كَلَّا) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالي (بَلْ تُكذِّبُونَ) ياكفار مكة (بِالَّذِينَ) بالجزاء على الأعمال

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠]

١٠ (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ) من الملائكة لأعمالكم

﴿كِرَامًا كَثِيرِينَ﴾ [الانفطار: ١١]

١١ (كِرَامًا) على الله (كَاتِبِينَ) لها

﴿يَعْمَلُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٢]

١٢ (يَعْمَلُونَ مَا تَعْمَلُونَ) جميعه

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣]

١٣ (إِنَّ الْأَبْرَارَ) المؤمنين الصادقين في إيمانهم (لَفِي نَعِيمٍ) جنة

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤]

١٤ (وَإِنَّ الْفُجَّارَ) الكفار (لَفِي جَحِيمٍ) نار محرقة

﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ [الانفطار: ١٥]

١٥ (يَصَلُّونَهَا) يدخلونها ويقاسون حرها (يَوْمَ الَّذِينَ) الجزء

٢٨ (لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ) من العالمين باعادة الجار (أَنْ يَسْتَقِيمَ) باتباع الحق

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

٢٩ (وَمَا تَشَاءُونَ) الاستقامة على الحق (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) الخلائق استقامتكم عليه (١) .

* * *

٨٢ سورة الانفطار

مكية وآياتها ١٩ تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]

١ (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) انشقت

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]

٢ (وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ) انقطعت وتساقطت

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣]

٣ (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) فتح بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا واختلط العذب بالملح

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤]

٤ (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) قلب ترابها وبعث موتاها وجواب إذا وما عطف عليها

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]

٥ (عَلِمَتْ نَفْسٌ) أي كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (مَّا قَدَّمَتْ) من الأعمال (و) ما (أَخَّرَتْ) منها فلم تعمله

٨١- سورة التكويد

(١) أسباب نزول الآية ٢٩: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن سليمان بن موسى قال: لما نزلت: «لمن شاء منكم أن يستقيم» قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله: «وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين».

* وأخرج ابن أبي حاتم من طريق بقية عن عمرو بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبي هريرة مثله.

* وأخرج ابن المنذر من طريق سليمان بن القاسم بن مخيمرة مثله.

٨٢- سورة الانفطار

(١) أسباب نزول الآية ٦: أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: «يا أيها الإنسان ما عرك» الآية. قال: نزلت في أبي بن خلف.

﴿لَيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٥]

٥ (لَيَوْمٍ عَظِيمٍ) أي فيه وهو يوم القيامة

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]

٦ (يَوْمَ) بدل من محل ليوم فناصبه مبعوثون (يَقُومُ النَّاسُ) من قبورهم (لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) الخلائق لأجل أمره وحسابه وجزائه

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ﴾ [المطففين: ٧]

٧ (كَلَّا) حقا (إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ) أي كتاب أعمال الكفار (لَفِي سِجِّينَ) قيل هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة وقيل هو مكان أسفل الأرض السابعة وهو محل إبليس وجنوده

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينَ﴾ [المطففين: ٨]

٨ (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينَ) ما كتاب سجين

﴿كِتَابٌ مُرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٩]

٩ (كِتَابٌ مُرْقُومٌ) مختوم

﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المطففين: ١٠]

١٠ (وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

﴿الَّذِينَ يَمُكِّدُونَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [المطففين: ١١]

١١ (الَّذِينَ يَمُكِّدُونَ يَوْمَ الدِّينِ) الجزاء بدل أو بيان للمكذبين

﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [المطففين: ١٢]

١٢ (وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ) متجاوز الحد (أَثِيمٍ) صيغة مبالغة

﴿إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ مَا كُنَّا قَالِ اسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾

١٣ (إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ مَا كُنَّا قَالِ اسْطِيرُ الْقُرْآنِ) قَالَ اسْطِيرُ الْأُولِينَ الحكايات التي سطرت قديما جمع أسطورة بالضم أو إسطورة بالكسر

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

١٤ (كَلَّا) ردع وزجر لقولهم ذلك (بَلْ رَانَ) غلب (عَلَى قُلُوبِهِمْ) فغشيها (مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من المعاصي فهو كالصدأ

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٦]

١٦ (وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ) بمخرجين

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٧]

١٧ (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا يَوْمَ الدِّينِ)

﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٨]

١٨ (ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ) تعظيم لشأنه

﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾

١٩ (يَوْمَ) بالرفع أي هو يوم (لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا) من المنفعة (وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) أي لا أمر لغيره فيه أي لم يمكن أحدا من التوسط فيه بخلاف الدنيا.

٨٣ سورة المطففين

مكية أو مدنية وآياتها ٣٦ ست وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]

١ (وَيْلٌ) كلمة عذاب أو واد في جهنم (لِلْمُطَفِّفِينَ) (١)

﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢]

٢ (الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى) أي من (النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) الكيل

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣]

٣ (وَإِذَا كَالُوهُمْ) أي كالوا لهم (أَوْ وُزُوهُمْ) أي وزنوا لهم (يُخْسِرُونَ) ينقصون الكيل أو الوزن

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤]

٤ (أَلَا يَظُنُّ) استفهام توبيخ (يَظُنُّ) يتيقن (أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ)

٨٣- سورة المطففين

(١) أسباب نزول الآية ١: أخرج النسائي وابن ماجه بسند صحيح عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أبحس الناس كيلا، فانزل الله: «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ» فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

١٥ ﴿كَلَّا حَقًّا لَأَنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِيذٍ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَمَحْجُوبُونَ﴾ فلا يرونه

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٦]

١٦ ﴿ثُمَّ لَأَنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ لداخلو النار المحرقة

﴿ثُمَّ بَقُلْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٧]
١٧ ﴿ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ (هَذَا) أَي الْعَذَابِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]
١٨ ﴿كَلَّا حَقًّا (إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ) أَي كِتَابِ أَعْمَالِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ فِي إِيْمَانِهِمْ (لَفِي عِلِّيِّينَ) قِيلَ هُوَ كِتَابُ جَامِعِ أَعْمَالِ الْخَيْرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمُؤْمِنِي الثَّقَلَيْنِ وَقِيلَ هُوَ مَكَانٌ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ تَحْتَ الْعَرْشِ﴾

﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا عِلِّيُونَ﴾ [المطففين: ١٩]

١٩ ﴿وَمَا أَذْرَكَ﴾ أَعْلَمَكَ (مَا عِلِّيُونَ) مَا كِتَابِ عِلِّيِّينَ ؟

﴿كِتَابٌ مُرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٢٠]

٢٠ هُوَ (كِتَابٌ مُرْقُومٌ) مَخْتُومٌ

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢١]

٢١ ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

﴿إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٢]

٢٢ ﴿إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ جَنَّةٌ

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣]

٢٣ ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ السَّرْرُ فِي الْحِجَالِ (يَنْظُرُونَ) مَا أَعْطُوا مِنَ النِّعَمِ

﴿تَقَرُّوفٍ فِي وُجُوهِهِمْ تَقَرُّرٌ أَلْيَسَ﴾ [المطففين: ٢٤]

٢٤ ﴿تَقَرُّوفٍ فِي وُجُوهِهِمْ تَقَرُّرٌ أَلْيَسَ﴾ بِهَجَّةِ التَّنْعَمِ وَحَسَنِهِ

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ [المطففين: ٢٥]

٢٥ ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ خَمْرٌ خَالِصَةٌ مِنَ الدَّنَسِ (مَخْتُومٍ) عَلَى إِيْنَائِهَا لَا يَفُكُ خَتْمُهُ غَيْرَهُمْ

﴿خِتَمُهُمْ مِنْكَ﴾ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

٢٦ ﴿خِتَمُهُمْ مِنْكَ﴾ آخِرُ شَرْبِهِ تَفْوُجٌ مِنْهُ رَائِحَةٌ الْمَسْكُ (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) فَلْيَرْغَبُوا بِالْمَبَادِرَةِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ

﴿وَمِرْاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٧]

٢٧ ﴿وَمِرْاجُهُمْ﴾ أَي مَا يَمْزِجُ بِهِ (مِنْ تَسْنِيمٍ) فَمَسْرُ بَقُولِهِ

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٨]

٢٨ ﴿عَيْنًا﴾ فَنَصَبُهُ بِأَمْدَحٍ مَقْدَرًا (يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) مِنْهَا أَوْ ضَمَّنَ «يَشْرَبُ» مَعْنَى يَلْتَذُّ

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾
٢٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ كَأَبِي جَهْلٍ وَنَحْوِهِ (كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا) كَعِمَارِ وَبِلَالِ وَنَحْوِهِمَا (يَضْحَكُونَ) اسْتَهْزَأَ بِهِمْ

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ [المطففين: ٣٠]

٣٠ ﴿وَإِذَا مَرُّوا﴾ أَي الْمُؤْمِنُونَ (بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ) يَشِيرُ الْمَجْرُمُونَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجْفِ وَالْحَاجِبِ اسْتَهْزَأَ

﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾

٣١ ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾ رَجَعُوا (إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ) وَفِي قِرَاءَةِ فَكِهِينَ مَعْجِبِينَ بِذِكْرِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾

٣٢ ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ الْمُؤْمِنِينَ (قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ) لِإِيْمَانِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفَظِينَ﴾ [المطففين: ٣٣]

٣٣ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ (وَمَا أَرْسَلْنَا) الْكُفَّارَ (عَلَيْهِمْ) عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (حَافِظِينَ) لَهُمْ أَوْ لِأَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَرُدُّوهُمْ إِلَىٰ مَصَالِحِهِمْ

﴿قَالِيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾

٣٤ ﴿قَالِيَوْمَ﴾ أَي يَوْمَ الْقِيَامَةِ (الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ)

﴿عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥]

٧ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ﴾ كتاب عمله (بِئْسَ بِهِ)
هو المؤمن

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]

٨ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ هو عرض
عمله عليه كما في حديث الصحيحين وفيه «من
نوقش الحساب هلك» وبعد العرض يتجاوز عنه

﴿وَيَقْلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٩]

٩ ﴿وَيَقْلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ في الجنة (مَسْرُورًا) بذلك

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق: ١٠]

١٠ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ هو الكافر
تغل يمناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فيأخذ
بها كتابه

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ [الانشقاق: ١١]

١١ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا﴾ عند رؤيته ما فيه (ثُبُورًا)
ينادي هلاكه بقوله يا ثبوراه

﴿وَيَصَلَّىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٢]

١٢ ﴿وَيَصَلَّىٰ سَعِيرًا﴾ يدخل النار الشديدة وفي
قراءة بضم الباء وفتح الصاد واللام المشددة

﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ١٣]

١٣ ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾ عشيرته في الدنيا
(مَسْرُورًا) بطرا باتباعه لهواه

﴿إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ لَنْ يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤]

١٤ ﴿إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ لَنْ يَحُورَ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها
محذوف أي أنه (لَنْ يَحُورَ) يرجع إلى ربه

﴿يَلْقَىٰ إِنْ رَزَقَهُ كَانَ يَهُودِيًّا﴾ [الانشقاق: ١٥]

١٥ ﴿يَلْقَىٰ﴾ يرجع إليه (إِنْ رَزَقَهُ كَانَ يَهُودِيًّا)
عالمًا برجوعه إليه

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّقِيِّ﴾ [الانشقاق: ١٦]

١٦ ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ لا زائدة (بِالشَّقِيِّ) هو الحمرة
في الأفق بعد غروب الشمس

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٧]

١٧ ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ جمع ما دخل عليه من
الدواب وغيرها

٣٥ ﴿عَلَىٰ الْأَرْثَالِكِ﴾ في الجنة (يَنْظُرُونَ) من
منازلهم إلى الكفار وهم يعذبون فيضحكون منهم
كما ضحك الكفار منهم في الدنيا

﴿هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦]

٣٦ ﴿هَلْ تُؤِيبُ﴾ جوزي (الْكَفَّارَ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ) نعم.

٨٤ سورة الانشقاق

مكية وآياتها ٥٣ ثلاث أو خمس وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]

١ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٢]

٢ ﴿وَأَذِنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في الانشقاق
(لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) وحق لها أن تسمع وتطيع

﴿وَإِنَّا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣]

٣ ﴿وَإِنَّا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ زيد في سعتها كما يمد
الأديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٤]

٤ ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الموتى إلى ظاهرها
(وَتَخَلَّتْ) عنه

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٥]

٥ ﴿وَأَذِنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في ذلك (لِرَبِّهَا
وَحُقَّتْ) وذلك كله يكون يوم القيامة وجواب إذا
وما عطف عليها محذوف دل عليه ما بعده تقديره
لقي الإنسان عمله

﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِنَّ رَبَّكَ كَذَمًا فَلْيَقْبِدْ﴾

٦ ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ جامد في
عملك (إِلَى) لقاء (رَبِّكَ) وهو الموت (كَذَمًا)
فمُتْلَقِيهِ) أي ملاق عملك المذكور من خير أو شر
يوم القيامة

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِئْسَ بِهِ﴾ [الانشقاق: ٧]

٨٥ سورة البروج

مكية وآياتها ٢٢ اثنتان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]

١ (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) للكواكب اثنا عشر
برجا تقدمت في الفرقان﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ [البروج: ٢]
٢ (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) يوم القيامة

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٣]

٣ (وَشَاهِدٍ) يوم الجمعة (وَمَشْهُودٍ) يوم عرفة
كذا فسرت الثلاثة في الحديث فالأول موعود به
والثاني شاهد بالعمل فيه والثالث تشهده الناس
والملائكة وجواب القسم محذوف صدره تقديره
لقد﴿قَبِيلٍ أَحْسَبُ الْأَخْدُودِ﴾ [البروج: ٤]
٤ (قَبِيلٍ) لمن (أَحْسَبُ الْأَخْدُودِ) الشق في
الأرض﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ﴾ [البروج: ٥]
٥ (النَّارِ) بدل اشتغال منه (ذَاتِ الْوُجُودِ) ما
توقد به﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ [البروج: ٦]
٦ (إِذْ هُمْ عَلَيْهَا) حولها على جانب الأخدود
على الكراسي (قُعُودٌ)﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: ٧]
٧ (وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ) بالله من
تعذيبهم بالإلقاء في النار إن لم يرجعوا عن إيمانهم
(شُهُودٌ) حضور روي أن الله أنجى المؤمنين
الملقين في النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها
وخرجت النار إلى من ثم فأحرقتهم﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾
٨ (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ)
في ملكه (الْحَمِيدِ) المحمود

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٨]

١٨ (وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) اجتمع وتم نوره وذلك
في الليالي البيض

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]

١٩ (لَتَرْكَبُنَّ) أيها الناس أصله تركبون حذف
نون الرفع لتوالي الأمثال والواو لالتقاء الساكنين
(طَبَقًا عَن طَبَقٍ) حالا بعد حال وهو الموت ثم
الحياة وما بعدها من أحوال القيامة

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٠]

٢٠ (فَمَا لَهُمْ) الكفار (لَا يُؤْمِنُونَ) أي مانع
لهم عن الإيمان أو أي حجة لهم في تركه مع
وجود براهينه ؟

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾

٢١ (وَ) ما لهم (إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ) لا
يَسْجُدُونَ) يخضعون بأن يؤمنوا به لإعجازه

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٢]

٢٢ (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ) بالبعث وغيره

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٣]

٢٣ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ) يجمعون في
صحفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء

﴿فَنَبِّئْهُمْ بِعَذَابِ آيَاتِهِ﴾ [الانشقاق: ٢٤]

٢٤ (فَنَبِّئْهُمْ) أخبرهم (بِعَذَابِ آيَاتِهِ) مؤلم

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ

مَنْتُونٍ﴾ [الانشقاق: ٢٥]
٢٥ (إِلَّا) لكن (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)
لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَنْتُونٍ) غير مقطوع ولا منقوص
ولا يمن به عليهم.

* * *

١٨ ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ بدل الجنود واستغنى بذكر فرعون عن أتباعه وحديثهم أنهم أهلكوا بكفرهم وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ والقرآن ليتعظوا

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ [البروج: ١٩]

١٩ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ بما ذكر

﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠]

٢٠ ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ لا عاصم لهم منه

﴿بَلِ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١]

٢١ ﴿بَلِ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ عظيم

﴿فِي تَوَجُّعٍ مُتَخَفٍ﴾ [البروج: ٢٢]

٢٢ ﴿فِي تَوَجُّعٍ﴾ (في لَوْح) هو في الهواء فوق السماء السابعة (مُتَخَفٍ) بالجر من الشياطين ومن تغيير شيء منه طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وهو من درة بيضاء قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

* * *

٨٦ سورة الطارق

مكية وآياتها ١٧ سبع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ [الطارق: ١]

١ ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ أصله كل آت ليلا ومنه النجوم لطلوعها ليلا

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ [الطارق: ٢]

٢ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ مبتدأ وخبر في محل المفعول الثاني لأدري وما بعد «ما» الأولى خبرها وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده هو

﴿النَّجْمِ الثَّاقِبِ﴾ [الطارق: ٣]

٣ ﴿النَّجْمِ﴾ أي الشريا أو كل نجم (الثَّاقِبِ) المضيء لقبه الظلام بضوئه وجواب القسم

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]

٩ ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا إيمانهم

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلْوَنٌ﴾ [البروج: ١٠]

١٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالإحراق (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ) بكفرهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلْوَنٌ) أي عذاب إحراقهم المؤمنين في الآخرة وقيل في الدنيا بأن أخرجت النار فأحرقتهم كما تقدم

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١]

١١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]

١٢ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ بالكفار (لَشَدِيدٌ) بحسب إرادته

﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ الْوَعْدِ وَيُجِيدُ﴾ [البروج: ١٣]

١٣ ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ الْوَعْدِ﴾ الخلق (وَيُجِيدُ) فلا يعجزه ما يريد

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْذُوْدُدِ﴾ [البروج: ١٤]

١٤ ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ للمذنبين من المؤمنين (الذُوْدُدِ) المتودد إلى أوليائه بالكرامة

﴿ذُو الْمَرَسِ الْمُجِيدِ﴾ [البروج: ١٥]

١٥ ﴿ذُو الْمَرَسِ﴾ خالقه ومالكة (الْمُجِيدِ) بالرفع المستحق لكمال صفات العلو

﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]

١٦ ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ لا يعجزه شيء

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ الْجُنُودِ﴾ [البروج: ١٧]

١٧ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ﴾ يا محمد (حَدِيثَ الْجُنُودِ)

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ [البروج: ١٨]

١٢ ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصُّدْعِ﴾ الشق عن النبات

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ [الطارق: ١٣]

١٣ ﴿إِنَّهُ﴾ القرآن ﴿لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ يفصل بين الحق والباطل

﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [الطارق: ١٤]

١٤ ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ باللعب والباطل

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥]

١٥ ﴿إِنَّهُمْ﴾ الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعملون المكائد للنبي ﷺ

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٦]

١٦ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أستدرجهم من حيث لا يعلمون

﴿فَقِيلَ لِلْكَافِرِينَ أَنهَلَهُمْ رُؤْيَا﴾ [الطارق: ١٧]

١٧ ﴿فَقِيلَ﴾ يا محمد ﴿الكَافِرِينَ أَنهَلَهُمْ﴾ تأكيد حسنه مخالفة اللفظ أي أنظرهم ﴿رُؤْيَا﴾ قليلا وهو مصدر مؤكد لمعنى العمل مصغر «رود» أو «إرواد» على الترخيم وقد أخذهم الله تعالى بيدرسخ الإمهال بأية السيف أي الأمر بالقتال والجهاد.

٨٧ سورة الأعلى

وآياتها ١٩ تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]

١ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ نزه ربك عما لا يليق به واسم زائد (الأعلى) صفة لربك

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: ٢]

٢ ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ مخلوقه جعله متناسب الأجزاء غير متفاوت

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٣]

٣ ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فَهَدَى﴾ إلى ما قدره من خير وشر

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ النَّخْلَ﴾ [الأعلى: ٤]

٤ ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ بتخفيف ما فهي مزيدة وإن مخففة من الثقلة واسمها محذوف أي إنه واللام فارقة وبتشديدها فإن نافية ولما بمعنى إلا والحافظ من الملائكة يحفظ عملها من خير وشر

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]

٥ ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ نظر اعتبار (مِمَّ خُلِقَ) من أي شيء (١).

﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]

٦ جوابه ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ ذي اندفاق من الرجل والمرأة في رحمها

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٧]

٧ ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ للرجل (والتَّرَائِبِ) للمرأة وهي عظام الصدر

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْوِهِ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٨]

٨ ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿عَلَى رَجْوِهِ﴾ بعث الإنسان بعد موته ﴿لَقَادِرٌ﴾ فإذا اعتبر أصله علم أن القادر على ذلك قادر على بعثه

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩]

٩ ﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾ تختبر وتكشف (السَّرَائِرُ) ضمائر القلوب في العقائد والنيات

﴿فَمَا لَمْ يَنْزِلْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ١٠]

١٠ ﴿فَمَا لَهُ﴾ لمنكر البعث (من قُوَّةٍ) يمتنع بها من العذاب (ولا نَاصِرٍ) يدفعه عنه

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق: ١١]

١١ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ المطر لعوده كل حين

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّنْعِ﴾ [الطارق: ١٢]

٨٦- سورة الطارق
(١) أسباب نزول الآية ٥: أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ قال: نزلت في أبي الأشد كان يقوم على الأديم فيقول: يا معشر قريش من أزالني عنه فله كذا ويقول: إن محمدا يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر فأنا أكفيكم وحدي عشرة واكفوني أنتم تسعة.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [الأعلى: ١٣]
 ١٣ ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح (ولا يحْيَى)
 حياة هنيئة

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤]

١٤ ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز (من تزكَّى) تطهر بالإيمان

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٥]

١٥ (وذكر اسم ربه) مكبرا (فصلى) الصلوات
 الخمس وذلك من أمور الآخرة وكفار مكة
 معرضون عنها

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦]

١٦ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ بالفوقانية والتحتانية (الحياة
 الدنيا) على الآخرة

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٧]

١٧ (والآخرة) المشتملة على الجنة (خير
 وأبقى)

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [الأعلى: ١٨]

١٨ (إن هذا) إفلاح من تزكي وكون الآخرة
 خير (لفي الصحف الأولى) المنزلة قبل القرآن

﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٩]

١٩ (صحف إبراهيم وموسى) وهي عشر
 صحف لإبراهيم والتوراة لموسى.

* * *

٨٨ سورة الغاشية

مكية وآياتها ٢٦ ست وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]

١ (هل) قد (أتاك حديث الغاشية) القيامة لأنها
 تغشى الخلائق بأهوالها

﴿وَجُودٍ يُؤْمِتُ خَشْيَةَ﴾ [الغاشية: ٢]

٢ (وجود يؤميت) عبر بها عن الذوات في
 الموضوعين (خاشية) ذليلة

٤ (والذي أخرج الموعى) أبت العشب

﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [الأعلى: ٥]

٥ (فجعلله) بعد الخضرة (غثاء) جافا هشما
 (أحوى) أسود يابسا

﴿سُقْرَتِكَ فَلَا تَنسَى﴾ [الأعلى: ٦]

٦ (سُقْرَتِكَ) القرآن (فلا تنسى) ما تقرأه (١).

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُمْ يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ وَمَا يُخْفَى﴾ [الأعلى: ٧]

٧ (إلا ما شاء الله) أن تنساه بنسخ تلاوته
 وحكمه وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة
 جبريل خوف النسيان فكانه قيل له لا تعجل بها
 إنك لا تنسى فلا تتعب نفسك بالجهر بها (إنه)
 تعالى (يعلم الجهنم) من القول والفعل (وما
 يخفى) منها

﴿وَنَسِيتُكَ لِلْإِنْسَانِ﴾ [الأعلى: ٨]

٨ (ونسيتك للإنسان) للشريعة السهلة وهي
 الإسلام

﴿فَذَكَّرْهُ إِنْ نَعَى الدُّكْرَى﴾ [الأعلى: ٩]

٩ (فذكره) عظ بالقرآن (إن نعتي الذكرى) من
 تذكرة المذكور في سيذكر يعني وإن لم تنفع
 ونفعا البعض وعدم النفع لبعض آخر

﴿سَيَذَكَّرُكَ مَنْ يَخْشَى﴾ [الأعلى: ١٠]

١٠ (سيذكرك) بها (من يخشى) يخاف الله
 تعالى كآية (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد)

﴿وَنَجَّيْنَاهَا مِنَ الْآسَفَى﴾ [الأعلى: ١١]

١١ (ونججناها) أي الذكرى أي يتركها جانبا
 لا يلتفت إليها (الأسفى) بمعنى الشقي أي الكافر

﴿الَّذِي يَصَلِّي لِنَارِ الْكُفْرَى﴾ [الأعلى: ١٢]

١٢ (الذي يصلّي النار الكفري) هي نار الآخرة
 والصغرى نار الدنيا

٨٧ - سورة الأعلى

(١) أسباب نزول الآية ٦: أخرج الطبراني عن ابن عباس
 قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل
 من الوحي حتى يتكلم النبي ﷺ بأوله، مخافة أن ينساه فأنزله
 الله: «سُقْرَتِكَ فلا تنسى» في إسناده جوير ضعيف جدا.

بعض يستند إليها

﴿وَرَزَائِي مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦]

١٦ ﴿وَرَزَائِي﴾ بسط طنافس لها حمل (مَبْثُوثَةٌ) مبسوطة

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾

١٧ ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ أي كفار مكة نظر اعتبار (إلى الإبل كيف خُلِقَتْ) (١)

﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية: ١٨]

١٨ ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾

﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية: ١٩]

١٩ ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾

﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠]

٢٠ ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي بسطت فيستدلوا بها على قدرة الله تعالى ووحدانته وصدرت بالإبل لأنهم أشد ملابسة لها من غيرها، وقوله (سطحت) ظاهر في أن الأرض سطح، وعليه علماء الشرع، لا كرة كما قال أهل الهيئة، إن لم ينقض ركناً من أركان الشرع.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]

٢١ ﴿فَذَكِّرْ﴾ هم نعم الله ودلائل توحيده (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ)

﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]

٢٢ ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ وفي قراءة بالسين بدل الصاد، أي بمسلط وهذا قبل الأمر بالجهاد

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ [الغاشية: ٢٣]

٢٣ ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ (مَنْ تَوَلَّى) أعرض عن الإيمان (وَكَفَرَ) بالقرآن

﴿يَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ [الغاشية: ٢٤]

٢٤ ﴿يَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ عذاب الآخرة والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر

٨٨ - سورة الغاشية

(١) أسباب نزول الآية ١٧: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال: لما نعت الله ما في الجنة عجب من ذلك أهل الضلالة فأنزل الله: «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ».

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٣]

٣ ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال

﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٤]

٤ ﴿تَصَلَّى﴾ بفتح التاء وضمها (نَارًا حَامِيَةً)

﴿تُشَقَّى مِنْ عَيْنِ آيِنَةٍ﴾ [الغاشية: ٥]

٥ ﴿تُشَقَّى مِنْ عَيْنِ آيِنَةٍ﴾ شديدة الحرارة

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ [الغاشية: ٦]

٦ ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه

﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٧]

٧ ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾

﴿وَجُوعُهُ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨]

٨ ﴿وَجُوعُهُ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ حسنة

﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: ٩]

٩ ﴿لِسَعْيِهَا﴾ في الدنيا بالطاعة (رَاضِيَةٌ) في الآخرة لما رأت ثوابه

﴿فِي جَنَّةٍ حَلِيلٍ﴾ [المغشية: ١٠]

١٠ ﴿فِي جَنَّةٍ حَلِيلٍ﴾ حسا ومعنى

﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِيَةَ﴾ [الغاشية: ١١]

١١ ﴿لَا تَسْمَعُ﴾ بالياء والتاء (فِيهَا لَآيَةَ) أي نفس ذات لغو أي هذيان من الكلام

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [الغاشية: ١٢]

١٢ ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ بالماء بمعنى عيون

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣]

١٣ ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ ذاتا وقدرا ومحلا

﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٤]

١٤ ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ أقداح لا عرا لها (مَوْضُوعَةٌ)

على حافات العيون معدة لشربهم

﴿وَتَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية: ١٥]

١٥ ﴿وَتَمَارِقٌ﴾ وسائل (مَصْفُوفَةٌ) بعضها بجانب

﴿وَتَمُودَ الَّذِي جَابُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩]

٩ (وَتَمُودَ الَّذِي جَابُوا) قطعوا (الصَّخَرَ) جمع
صخرة واتخذوها بيوتا (بالوادي) وادي القرى
﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر: ١٠]

١٠ (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ) كان يتد أربعة أوتاد
يشد إليها يدي ورجلي من يعذبه

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ١١]

١١ (الَّذِينَ طَغَوْا) تجبروا (في البلاد)

﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [الفجر: ١٢]

١٢ (فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ) القتل وغيره

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]

١٣ (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ) نوع (عَذَابٍ)

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلِيزٌ صَادٍ﴾ [الفجر: ١٤]

١٤ (إِنَّ رَبَّكَ لَبَلِيزٌ صَادٍ) يرصد أعمال العباد
فلا يفوته منها شيء ليجازيهم عليها

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ
رَبِّيَ أَخْرَمَنِي﴾ [الفجر: ١٥]

١٥ (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ) الكافر (إِذَا مَا ابْتَلَاهُ) اختبره
(رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ) بالمال وغيره (وَنَعَّمَهُ) فَيَقُولُ رَبِّي
أَكْرَمَنِي

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾

١٦ (وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ) ربه (فَقَدَرَ) ضيق (عَلَيْهِ)
رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ

﴿كَلَّا بَلْ لَأَكْفُرُونَ الْبَتَّةَ﴾ [الفجر: ١٧]

١٧ (كَلَّا) ردع أي ليس الإكرام بالغنى
والإهانة بالفقر وإنما هو بالطاعة والمعصية وكفار
مكة لا ينتبهون لذلك (بَلْ لَأَكْفُرُونَ الْبَتَّةَ) لا
يحسنون إليه مع غناهم أو لا يعطونه حقه من
الميراث .

﴿وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾

١٨ (وَلَا تَحْضُونَ) أنفسهم أو غيرهم (عَلَى
طَعَامِ) أي إطعام (الْمُسْكِينِ)

﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاتِ أَكْلًا لَمًّا﴾ [الفجر: ١٩]

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥]

٢٥ (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ) رجوعهم بعد الموت

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٦]

٢٦ (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) جزاءهم لا نتركه
أبدا.

٨٩ سورة الفجر

مكية وآياتها ٣٠ ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ﴾ [الفجر: ١]

١ (وَالْفَجْرِ) أي فجر كل يوم

﴿وَاللَّيْلِ عَشْرِ﴾ [الفجر: ٢]

٢ (وَاللَّيْلِ عَشْرِ) أي عشر ذي الحجة

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣]

٣ (وَالشَّفْعِ) الزوج (وَالْوَتْرِ) بفتح الواو وكسرهما
لغتان الفرد

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ﴾ [الفجر: ٤]

٤ (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ) مقبلا ومدبرا

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥]

٥ (هَلْ فِي ذَلِكَ) القسم (قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ)
عقل وجواب القسم محذوف أي لتعذبين يا كفار
مكة

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦]

٦ (أَلَمْ تَرَ) تعلم يا محمد (كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ)

﴿إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٧]

٧ (إِزْمَ) هي عاد الأولى فارم عطف بيان أو
بدل ومنع الصرف للعلمية والتأنيث (ذَاتِ الْعِمَادِ)
أي الطول.

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٨]

٨ (الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ) في بطشهم
وقوتهم

٢٧ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ الْآمِنَةُ وَهِيَ الْمُؤْمِنَةُ^(١).

﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾ [الفجر: ٢٨]

٢٨ (أرجعي إلى ربك) يقال لها ذلك عند الموت أي ارجعي إلى أمره وإرادته (راضية) بالثواب (مرضية) عند الله بعملك أي جامعة بين الوصفين وهما حالان ويقال لها في القيامة

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [الفجر: ٢٩]

٢٩ (فادخلي في) جملة (عبادي) الصالحين

﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٣٠]

٣٠ (وادخلي جنتي) معهم

٩٠ سورة البلد

مكية وآياتها ٢٠ عشرون آية

يَسْمُرُ اللَّهُ الْخَزْزَفَةَ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١]

١ (لا) زائدة (أقسم بهذا البلد) مكة

﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ٢]

٢ (وأنت) يا محمد (حل) حلال (بهذا البلد) بأن يحل لك فقاتل فيه وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح فالجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾ [البلد: ٣]

٣ (ووالد) أي آدم (وما ولد) ذريته و«ما» بمعنى «من» .

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]

٨٩ - سورة الفجر

(١) أسباب نزول الآية ٢٧: أخرج ابن أبي حاتم عن بريدة في قوله: «يا أيها النفس المطمئنة» قال: نزلت في حمزة. وأخرج من طريق جوهر عن الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «من يشتري بئر رومة يستعذب بها. غفر الله له» فاشتراها عثمان فقال: هل لك أن تجعلها سقاية للناس؟ قال: نعم، فأنزل الله في عثمان: «يا أيها النفس المطمئنة».

١٩ (وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ) الميراث (أَكْلًا لَمًّا) أي شديدًا للمهم نصيب النساء والصبيان من الميراث مع نصيبهم منه أو مع مالهم

﴿وَتَحْتَبُونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]

٢٠ (وتحبتون المال حبا جما) أي كثيرا فلا ينفقونه وفي قراءة بالفوقانية في الأفعال الأربعة

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١]

٢١ (كلا) ردع لهم عن ذلك (إذا دكبت الأرض دكا دكا) زلزلت حتى يتهدم كل بناء عليها وينعدم

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]

٢٢ (وجاء ربك) أي أمره (والملاك) أي الملائكة (صفا صفا) حال أي مصطفين أو ذوي صفوف كثيرة

﴿وَسَاءَ يَوْمَئِذٍ يَوْمِئِذٍ بِمَهَلِّئِمَّ يَوْمَئِذٍ يَذَّكَّرُ لِلْإِنْسَانِ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣]

٢٣ (وجيء يومئذ بجهنم) تقاد بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك لها زفير وتغيظ (يومئذ) بدل من إذا وجوابها (يذكركم الإنسان) أي الكافر ما فرط فيه (وأنتى له الذكرى) استفهام بمعنى النفي أي لا ينفعه تذكره ذلك

﴿بِقَوْلٍ يَلْتَمِتِي لَدِمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]

٢٤ (يقول) مع تذكره (يا) للتنبيه (أليمتي قدمت) الخير والإيمان (لحياتي) الطيبة في الآخرة أو وقت حياتي في الدنيا

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾ [الفجر: ٢٥]

٢٥ (فيومئذ لا يعذب) بكسر الذال (عذابه) أي الله (أحد) أي لا يكفه إلى غيره

﴿وَلَا يُؤْتِي وَثَاقَهُ أَحَدًا﴾ [الفجر: ٢٦]

٢٦ (ور كذا لا يوثق) بكسر التاء (وثاقه أحد) وفي قراءة بفتح الذال والثاء فضمير عذابه ووثاقه للكافر والمعنى لا يعذب أحد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل إيثاقه

﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]

﴿يَسِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٥]

١٥ ﴿يَسِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ قرابة

﴿أَوْ مَشِيكًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٦]

١٦ ﴿أَوْ مَشِيكًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ لصوق بالتراب لفقره وفي قراءة بدل الفعلين مصدران مرفوعان مضاف الأول لرقبة وينون الثاني فيقدر قبل العقبة اقتحام والقراءة المذكورة بيانه

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا

بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧]

١٧ ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ عطف على اقتحم وثم للترتيب بالذكري والمعنى كان وقت الاقتحام (مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا) أوصى بعضهم بعضا (بِالصَّبْرِ) على الطاعة وعن المعصية (وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) الرحمة على الخلق

﴿أُولَئِكَ أَنْحَرْنَا أَلْيَسَنَةً﴾ [البلد: ١٨]

١٨ ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات (أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) اليمين

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾

١٩ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ الشمال

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ [البلد: ٢٠]

٢٠ ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ بالهمزة والواو بدله مطبقة.

٩١ سورة الشمس

مكية وآياتها ١٥ خمس عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١]

١ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ضوئها

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ [الشمس: ٢]

٢ ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ تبعها طالعا عند غروبها

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٣]

٤ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ الجنس (في كَبَدٍ)

نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَّقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البلد: ٥]

٥ ﴿أَيَحْسَبُ﴾ أيظن الإنسان قوي قريش وهو أبو الأشد بن كلدة بقوته (أَنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه (لَنْ يَّقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) والله قادر عليه

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأُ﴾ [البلد: ٦]

٦ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ على عداوة محمد (مَا لَا بَدَأُ) كثيرا بعضه على بعض

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ [البلد: ٧]

٧ ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ﴾ أي أنه (لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ) فيما أنفقه فيعلم قدره والله عالم بقدره وأنه ليس مما يتكثر به ومجازيه على فعله السيء

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُمْ عَيْنَيْنِ﴾ [البلد: ٨]

٨ ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ استفهام تقرير أي جعلنا (لَهُ عَيْنَيْنِ)

﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٩]

٩ ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾

﴿وَهَدْيَيْنَهُ التَّجْدِثَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]

١٠ ﴿وَهَدْيَيْنَهُ التَّجْدِثَيْنِ﴾ بينا له طريق الخير والشر

﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١]

١١ ﴿فَلَا﴾ فهلا (أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ) اجتازها

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ [البلد: ١٢]

١٢ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك (مَا الْعَقَبَةُ) التي يقتحمها تعظيما لشأنها والجملة اعتراض وبين سبب اجتيازها بقوله

﴿فَكَرَّ رَجَبًا﴾ [البلد: ١٣]

١٣ ﴿فَكَرَّ رَجَبًا﴾ من الرق بأن أعتقها

﴿أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤]

١٤ ﴿أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ مجاعة

﴿فَكَذَّبُوهُ فَمَقَرُّوْهَا فَدَمَعَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ
فَسَوَّأَهَا﴾ [الشمس: ١٤]

١٤ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في قوله ذلك عن الله المرتب عليه نزول العذاب بهم إن خالفوه ﴿فَمَقَرُّوْهَا﴾ قتلوها ليسلم لهم ماء شربها ﴿فَدَمَعَمَ﴾ أطبق ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ العذاب ﴿بِذَنبِهِمْ فَسَوَّأَهَا﴾ أي الدمدمة عليهم أي عمهم بها فلم يقلت منهم أحد

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١٥]

١٥ ﴿وَلَا﴾ بالواو والفاء ﴿يَخَافُ﴾ تعالى ﴿عُقْبَاهَا﴾ تبعها.

* * *

٩٢ سورة الليل

مكية وآياتها ٢١ إحدى وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]

١ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ بظلمته كل ما بين السماء والأرض^(١).

٩٢ - سورة الليل

(١) أسباب نزول السورة كاملة : أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، فكان الرجل إذا جاء فدخل الدار فصعد إلى النخلة ليأخذ منها الثمرة فرجما تقع ثمرة فيأخذها صبيان الفقير فينزول من نخلته فيأخذ الثمرة من أيديهم وإن وجدها في فم أحدهم أدخل أصبعه حتى يخرج الثمرة من فيه فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ فقال: «أذهب» ولقي النبي ﷺ صاحب النخلة فقال له: «أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة» فقال الرجل: لقد أعطيت وأن لي لنخلاً كثيراً وما فيه نخلة أعجب إلى ثمرة منها، ثم ذهب الرجل ولقي رجلاً كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ومن صاحب النخلة، فأتى رسول الله ﷺ فقال: أعطني يا رسول الله ما أعطيت الرجل إن أنا أخذتها قال: «نعم» فذهب الرجل فلقي صاحب النخلة ولكليهما نخل فقال له صاحب النخلة: أشعرت أن محمداً ﷺ أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة فقلت له: لقد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها ولي نخل كثير ما فيه نخلة أعجب إلي ثمرة منها فقال له الآخر: أتريد يبعها؟ فقال: لا إلا أن أعطى بها ما أريد ولا أظن أن أعطى فقال: فكم منك فيها؟ قال: أربعمائة نخلة. قال: لقد جئت بأمر عظيم ثم سكت

٣ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ بارتفاعه

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الشمس: ٤]

٤ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ يغطيها بظلمته وإذا هي الثلاثة لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥]

٥ ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاها﴾ [الشمس: ٦]

٦ ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاها﴾ بسطها

﴿وَتَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٧]

٧ ﴿وَتَفْسٍ﴾ بمعنى نفوس (وما سَوَّاهَا) في الخلقة و«ما» في الثلاثة مصدرية أو بمعنى من

﴿فَالْمُهَمَّا فُجُورًا وَتَوَّابًا﴾ [الشمس: ٨]

٨ ﴿فَالْمُهَمَّا فُجُورًا وَتَوَّابًا﴾ بين لها طريقي الخير والشر وأخر التقوى رعاية لرءوس الآي وجواب القسم

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ ذَكَرَهَا﴾ [الشمس: ٩]

٩ ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ حذف منه اللام لطول الكلام (مَنْ ذَكَرَهَا) طهرها من الذنوب

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١٠]

١٠ ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر (مَنْ دَسَّاهَا) أحفاها بالمعصية وأصله دسها أبدلت السين الثانية ألفاً تخفيفاً

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: ١١]

١١ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رسولها صالحا ﴿بِطَغْوَاهَا﴾ بسبب طغيانها

﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١٢]

١٢ ﴿إِذِ انبَعَثَ﴾ أسرع ﴿أَشْقَاهَا﴾ واسمه «قدار» إلى عقر الناقة برضاهم

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾

١٣ ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صالح ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ ذروها ﴿وسُقْيَاهَا﴾ شربها في يومها وكان لها يوم ولهم يوم

﴿وَالْتَهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل: ٢]

٢ (وَالْتَهَارِ إِذَا تَجَلَّى) تكشف وظهر وإذا في الموضوعين لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم.

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [الليل: ٣]

٣ (وَمَا) بمعنى من أو مصدرية (خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى) آدم وحواء وكل ذكر وكل أنثى والخنثى المشكل عندنا ذكر أو أنثى عند الله تعالى فيحنت بتكليمه من حلف لا يكلم ذكرا ولا أنثى

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل: ٤]

٤ (إِنَّ سَعْيَكُمْ) عملكم (لَشَتَّى) مختلف فعالمل للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ [الليل: ٥]

٥ (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى) حق الله (وَاتَّقَى) الله

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٦]

٦ (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) أي بلا إله إلا الله في

الموضوعين

﴿فَسَيَسِيرُهُ لَيْسَرَى﴾ [الليل: ٧]

٧ (فَسَيَسِيرُهُ لَيْسَرَى) للجنة

﴿وَأَمَّا مَنْ يَجَلْ وَأَسْتَفَى﴾ [الليل: ٨]

٨ (وَأَمَّا مَنْ يَجَلْ) بحق الله (وَأَسْتَفَى) عن

ثوابه.

عنه فقال له : أنا أعطيك أربعين نخلة فأشهد لي إن كنت صادقاً فدعا قومه فأشهد له ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله إن النخلة قد صارت لي وهي لك فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار فقال له: «النخلة لك ولعمالك» فأنزل الله: «والليل إذا يغشى» إلى آخر السورة قال ابن كثير: حديث غريب جداً .

* وأخرج الحاكم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعشق رقاباً ضعافاً فلو أنك أعنتت رجلاً جلدًا بمنعوك ويقومون دونك يا بني فقال: يا أبت إنني إنما أريد ما عند الله فنزلت هذه الآيات فيه: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى» إلى آخر السورة.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة أن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب في الله وفيه نزلت: «وسيجنبها الأتقى» إلى آخر السورة.

* وأخرج الزبير عن ابن الزبير قال: نزلت هذه الآية: «وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى» إلى آخرها في أبي بكر الصديق.

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٩]

٩ (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

﴿فَسَيَسِيرُهُ لَيْسَرَى﴾ [الليل: ١٠]

١٠ (فَسَيَسِيرُهُ) نهيه (لَلْعُسْرَى) للنار

﴿وَمَا يُعْطَى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ١١]

١١ (وَمَا) نافية (يُعْطَى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى) في

النار

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل: ١٢]

١٢ (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى) لتبيين طريق الهدى من طريق الضلال ليمثل أمرنا بسلوك الأول ونهينا عن ارتكاب الثاني

﴿وَوَيْلٌ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [الليل: ١٣]

١٣ (وَوَيْلٌ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى) أي الدنيا فمن طلبها من غيرنا فقد أخطأ

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤]

١٤ (فَأَنْذَرْتُكُمْ) خوفتكم يا أهل مكة (نَارًا تَلَظَّى) بحذف إحدى التاءين من الأصل وقرئ «تتلظى» بشوتها أي تتوقد

﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥]

١٥ (لَا يَصْلَاهَا) يدخلها (إِلَّا الْأَشْقَى) بمعنى الشقي

﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل: ١٦]

١٦ (الَّذِي كَذَّبَ) النبي (وَتَوَلَّى) عن الإيمان وهذا الحصر مؤول لقوله تعالى (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فيكون المراد الصلي المؤبد

﴿وَسَيَجْزِيهَا الْآتَى﴾ [الليل: ١٧]

١٧ (وَسَيَجْزِيهَا) يبعد عنها (الْآتَى) بمعنى التقى

﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: ١٨]

١٨ (الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى) متزكياً به عند الله تعالى بأن يخرج له تعالى لا رياء ولا سمعة فيكون زاكياً عند الله تعالى وهذا نزل في الصديق رضي الله عنه لما اشترى بلالا المعذب على إيمانه

وأعتقه فقال الكفار: إنما فعل ذلك ليدي كانت له عنده؛ فنزلت:

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ [الليل: ١٩]

١٩ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾

﴿إِلَّا آيَاتَهُمْ وَيَوْمَ رَئِيَ الْأَعْلَى﴾ [الليل: ٢٠]

٢٠ ﴿لَئِنْ لَكِنْ فَعَلْ ذَلِكَ (اِئْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى) أَي طَلَبِ ثَوَابِ اللَّهِ

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ٢١]

٢١ ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ بِمَا يُعْطَاهُ مِنَ الثَّوَابِ فِي الْجَنَّةِ وَالآيَةُ تُشْمَلُ مِنْ فِعْلِ مِثْلِ فَعَلَهُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَيُبْعَدُ عَنِ النَّارِ وَيُنَابِ.

٩٣ سورة الضحى

مكية وآياتها ١١ إحدى عشرة آية

ولما نزلت كبر ﷺ فَسُنُّ التَّكْبِيرِ فِي آخِرِهَا، وَرُويَ الْأَمْرُ بِهِ خَاتَمَتِهَا وَخَاتَمَةُ كُلِّ سُورَةٍ بَعْدَهَا وَهُوَ اللَّهُ أَكْبَرُ أَوْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَى﴾ [الضحى: ١]

١ ﴿وَالضُّحَى﴾ أَي أَوَّلِ النَّهَارِ أَوْ كَلِمَةٍ. (١)

٩٣ - سورة الضحى

(١) أسباب نزول الآية ١: أخرج الشيخان وغيرهما عن جندب قال: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأنته امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزله الله: ﴿وَالضُّحَى﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾. * وأخرج سعيد بن منصور والفربراني عن جندب قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فقال المشركون: قد ودع محمد فنزلت.

* وأخرج الحاكم عن زيد بن أرقم قال: مكث رسول الله ﷺ أياماً لا ينزل عليه جبريل فقالت أم جميل امرأة أبي لهب: ما أرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك فأنزله الله: ﴿وَالضُّحَى﴾ الْآيَاتِ.

* وأخرج الطبراني وابن أبي شيبة في مسنده والواحد وغيرهم بسند فيه من لا يعرف عن حفص بن ميسرة القرشي عن أمه عن أمها خولة، وقد كانت خادم رسول الله ﷺ أن جرؤاً دخل بيت النبي ﷺ فدخل تحت السرير فمات، فمكث

﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ [الضحى: ٢]

٢ ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ غَطَى بِظِلَامِهِ أَوْ سَكَنَ

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣]

٣ ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ تَرَكَكَ يَا مُحَمَّدَ (رَبُّكَ) وَمَا قَلَى) أَبْغَضَكَ نَزَلَ هَذَا لَمَّا قَالَ الْكُفَّارُ عِنْدَ تَأْخُرِ الْوَحْيِ عَنْهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا إِنْ رَبَّهُ وَدَّعَهُ وَقَلَاهُ

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: ٤]

٤ ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ﴾ لَمَّا فِيهَا مِنَ الْكِرَامَاتِ لَكَ (مِنَ الْأُولَى) الدُّنْيَا (١).

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥]

٥ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَيْرَاتِ عَطَاءً جَزِيلاً (فَتَرْضَى) بِهِ فَقَالَ ﷺ إِذْ نَزَلَ لَا أَرْضَى وَوَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ إِلَى هُنَا تَمَّ جَوَابُ الْقِسْمِ بِمَشْتَبِهٍ بَعْدَ مَنْفِيٍّ (٢).

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: ٦]

٦ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ اسْتَفْهَمَ تَقْرِيرَ أَيِّ وَجَدَكَ

النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي فقال: يا خولة ما حدث في بيت رسول الله ﷺ جبريل لا يأتيني؟ فقلت في نفسي: لو هيات البيت فكنته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو فجاء النبي ﷺ يردد بجنبته وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة فأنزله الله: ﴿وَالضُّحَى﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَتَرْضَى﴾. قال الحافظ ابن حجر: قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح.

* وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت للنبي ﷺ: ما أرى ربك إلا قد قلاك فنزلت.

* وأخرج أيضاً عن عروة قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فخرج جزعاً شديداً فقالت خديجة: إني أرى ربك قد قلاك مما نرى من جزعك فنزلت. وكلاهما مرسل ورواهما ثقات. قال

الحافظ ابن حجر: فالذي يظهر أن كلا من أم جميل وخديجة قالت ذلك لكن أم جميل قالته شمامة وخديجة قالته توجعاً.

(١) أسباب نزول الآية ٤: وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «عرض علي ما هو

مفتوح لأمتي بعدي فسرني فأنزله الله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ إسناده حسن.

(٢) أسباب نزول الآية ٥: وأخرج الحاكم والبيهقي في

الدلائل والطبراني وغيرهم عن ابن عباس قال: عرض علي رسول الله ﷺ ما هو مفتوح لعامة كفرة أي (قرية

قرية) فسره فأنزله الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

(يَتِيمًا) بفقد أبيك قبل ولادتك أو بعدها (فَأَوَى) بأن ضمك إلى عمك أبي طالب

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧]

٧ (وَوَجَدَكَ ضَالًّا) عما أنت عليه الآن من الشريعة (فَهَدَى) أي هداك إليها

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨]

٨ (وَوَجَدَكَ عَائِلًا) فقيرا (فَأَغْنَى) أغناك بما قنعك به من الغنيمة وغيرها وفي الحديث ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس.

﴿فَأَمَّا أَيْتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]

٩ (فَأَمَّا أَيْتِيمَ) فلا تقهّر بأخذ ماله أو غير ذلك

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]

١٠ (وَأَمَّا السَّائِلَ) فلا تنهّر بزجره لفقره

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]

١١ (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ) عليك بالنبوة وغيرها (فَحَدِّثْ) أخبر، وحذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال رعاية للفواصل.

٩٤ سورة الشرح

مكية وآياتها ٨ ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]

١ (أَلَمْ نَشْرَحْ) استفهام تقرير أي شرحنا (لَكَ) يا محمد (صَدْرَكَ) بالنبوة وغيرها

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ٢]

٢ (وَوَضَعْنَا) حططنا (عَنكَ وِزْرَكَ)

﴿أَلَيْسَ أَقْضَىٰ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٣]

٣ (الَّذِي أَقْضَىٰ) أثقل (ظَهْرَكَ) وهكذا كقوله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك)

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]

٤ (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) بأن تذكر مع ذكري في

الأذان والإقامة والتشهد والخطبة وغيرها

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥]

٥ (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ) الشدة (يُسْرًا) سهولة

﴿وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦]

٦ (وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) والنبوي ﷺ فاسى من الكفار شدة ثم حصل له اليسر بنصره عليهم (١).

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧]

٧ (فَإِذَا فَرَغْتَ) من الصلاة (فَانصَبْ) اتعب في الدعاء

﴿وَالِكُفْرَانَ كَسَبَ﴾ [الشرح: ٨]

٨ (وَالِكُفْرَانَ) تضرع.

٩٥ سورة التين

مكية أو مدنية وآياتها ٨ ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١]

٢ (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) أي المأكولين أو جبلين بالشام.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢]

٢ (وَطُورِ سِينِينَ) الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى ومعنى سينين المبارك أو الحسن بالأشجار المثمرة

﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]

٣ (وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) مكة لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاما

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]

٩٤ - سورة الشرح

(١) أسباب نزول الآية ٦: قال: نزلت لما عيّر المشركون المسلمين بالفقر.

* وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية: «إن مع العسر يسرا» قال رسول الله ﷺ: «أبشروا أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين».

خَلَقَ الخلائق

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]

٢ (خَلَقَ الْإِنْسَانَ) الجنس (مِنْ عَلَقٍ) جمع
علقة وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ

﴿أَقْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣]

٣ (أَقْرَأَ) تأكيد للأول (وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) الذي لا
يوازيه كريم حال من الضمير في اقرأ

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤]

٤ (الَّذِي عَلَّمَ) الخط (بِالْقَلَمِ) وأول من خط به
إدريس عليه السلام

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ [العلق: ٥]

٥ (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ) الجنس (مَا لَمْ يَعْلَمُ) قبل
تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ [العلق: ٦]

٦ (كَلَّا) حقا (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ) (١)

﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى﴾ [العلق: ٧]

٧ (أَنْ رَأَاهُ) أي نفسه (اسْتَفْتَى) بالمال نزل في
أي جهل ورأى علمية واستغنى مفعول ثان وأن رآه
مفعول له

﴿إِنَّ إِلَهًا رَبُّكَ الرَّحْمَنُ﴾ [العلق: ٨]

٨ (إِنَّ إِلَهًا رَبُّكَ) يا إنسان (الرَّحْمَنُ) الرجوع
تخويف له فيجازى الطاغى بما يستحقه

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ [العلق: ٩]

٩ (أَرَأَيْتَ) في الثلاثة مواضع للتعجب (الَّذِي
يَنْهَى) هو أبو جهل (٢)

٩٦ - سورة العلق

(١) أسباب نزول الآية ٦: أخرج ابن المنذر عن أبي هريرة
قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟
ف قيل: نعم فقال: واللوات والعزى لمن رأته يفعل لأطان على
رقبه ولأعفرن وجهه في التراب فأنزل الله: «كلا إن الإنسان
ليطغي» الآيات.

(٢) أسباب نزول الآية ٩: وأخرج ابن جرير عن ابن عباس
قال: كان رسول الله ﷺ يصلي فجاءه أبو جهل فأنزل
الله: «أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى» إلى قوله: «كاذبة
خاطفة».

٤ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الجنس (فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ) تعديل لصورته

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥]

٥ (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ) في بعض أفرادها (أَسْفَلَ سَافِلِينَ)
كناية عن الهرم والضعف فينقص عمل المؤمن عن
زمن الشباب ويكون له أجره (١)

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾

٦ (إِلَّا) لكن (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)
فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ مقطوع وفي الحديث: «إذا
بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب له
ما كان يعمل»

﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ﴾ [التين: ٧]

٧ (فَمَا يَكْذِبُكَ) أيها الكافر (بَعْدَ) بعد ما ذكر
من خلق الإنسان في أحسن صورة ثم رده إلى
أرذل العمر الدال على القدرة على البعث (بِالذِّينِ)
بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب أي ما يجعلك
مكذبا بذلك ولا جاعل له

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]

٨ (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ) هو أفضى
القاضين وحكم بالجزاء من ذلك وفي الحديث:
«من قرأ والتين إلى آخرها فليقل بلى وأنا على ذلك
من الشاهدين».

٩٦ سورة العلق

مكية وآياتها ١٩ تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]

١ (أَقْرَأْ) أوجد القراءة مبتدأ (بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي

٩٥ - سورة التين

(١) أسباب نزول الآية ٥: أخرج ابن جرير من طريق العوفي
عن ابن عباس في قوله: «ثم رددناه أسفل سافلين» قال: هم نفر
رُدُّوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ فنسئل عنهم
حين سفهت عقولهم، فأنزل الله عذرهم أن لهم أجرهم الذي
عملوا قبل أن تذهب عقولهم.

٨ ﴿سَنَدُغُ الرُّبَانِيَّةَ﴾ الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه كما في الحديث «لو دعا ناديه لأخذته الربانية عياناً»

﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩]

١٩ ﴿كَلَّا﴾ ردع له (لا تُطَعُّهُ) يا محمد في ترك الصلاة (واسجد) صل لله (واقترِب) منه بطاعته.

* * *

٩٧ سورة القدر

مكية أو مدنية وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]

١ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا (في لَيْلَةِ الْقَدْرِ) أي الشرف العظيم^(١)

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ٢]

٢ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك يا محمد (مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) تعظيم لشأنها وتعجب منه

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]

٣ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها ليلة القدر فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها^(٢).

٩٧ - سورة القدر

(١) أسباب نزول الآية ١: أخرج الترمذي والحاكم وابن جرير عن الحسن بن علي قال: «إن النبي ﷺ رأى بني أمية على منبره فسأه ذلك فنزلت: «إنا أعطيناك الكوثر» ونزلت: «إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر» فملكها بعدك بنو أمية.»
* قال القاسم الحداني: فعددنا وإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص. قال الترمذي: غريب. وقال المزني وابن كثير: منكر جداً.

* وأخرج ابن أبي حاتم والواحدي عن مجاهد: أن رسول الله ﷺ ذكر رجل من بني إسرائيل ليس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله: «إنا أنزلناه في لَيْلَةِ الْقَدْرِ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ • لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ» التي ليس ذلك الرجل السلاح فيها في سبيل الله.

(٢) أسباب نزول الآية ٣: وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم

﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ [العلق: ١٠]

١٠ ﴿عَبْدًا﴾ هو النبي ﷺ إِذَا صَلَّى

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ [العلق: ١١]

١١ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ﴾ المنهي (عَلَى الْهُدَى)

﴿أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى﴾ [العلق: ١٢]

١٢ ﴿أَوْ﴾ للتقسيم (أَمَرَ بِالْقَوَى)

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [العلق: ١٣]

١٣ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ أي الناهي النسبي (وتولى) عن الإيمان

﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤]

١٤ ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ما صدر منه، أي يعلمه فيجازيه عليه أي اعجب منه يا مخاطب من حيث نهيه عن الصلاة ومن حيث إن المنهي عن الهدى أمر بالتقوى ومن حيث إن الناهي مكذب متول عن الإيمان

﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهَ لَسَفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥]

١٥ ﴿كَلَّا﴾ ردع له (لَئِنْ) لام قسم (لَمْ يَنْتَهَ) عما هو عليه من الكفر (لَسَفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ) لنجرن ناصيته إلى النار

﴿نَّاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٦]

١٦ ﴿نَّاصِيَةٍ﴾ بدل نكرة من معرفة (كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) وصفها بذلك مجاز والمراد صاحبها

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧]

١٧ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي أهل ناديه وهو المجلس ينتدى يتحدث فيه القوم وكان قال للنبي ﷺ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة: لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً مني لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً جرداً ورجالاً مرداً^(١).

﴿سَنَدُغُ الرُّبَانِيَّةَ﴾ [العلق: ١٨]

(١) أسباب نزول الآية ١٧: وأخرج الترمذي وغيره عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يصلي فجاء أبو جهل فقال: ألم أنك عن هذا؟ فزجره النبي ﷺ فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله: «فليدع ناديه سندع الربانية» قال الترمذي: حسن صحيح.

٤ ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ فِي الْإِيمَانِ بِهِ ﴿۴﴾﴾ (لَا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ) أَي هُوَ ﷺ أَوْ الْقُرْآنَ الْجَائِي بِهِ مَعْجَزَةٌ لَهُ وَقَبْلَ مَجِيئِهِ ﷺ كَانُوا مَجْتَمِعِينَ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ إِذَا جَاءَ فَحَسَدُهُ مِنْ كُفْرٍ بِهِ مِنْهُمْ

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾

٥ ﴿وَمَا أُمِرُوا فِي كِتَابِهِمُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (إِلَّا لِيُقِيمُوا الدِّينَ) أَي أَنْ يَعْبُدُوهُ فَحُذِفَتْ أَنْ وَزِيدَتْ اللَّامُ (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) مِنَ الشَّرِكِ (حُنَفَاءَ) مُسْتَقِيمِينَ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِ مُحَمَّدٍ إِذَا جَاءَ فَكَيْفَ كَفَرُوا بِهِ ؟ (وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ) وَذَلِكَ دِينُ الْمِلَّةِ (الْقَيِّمَةِ) الْمُسْتَقِيمَةِ

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾

٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا جَالٍ مَقْدَرَةٌ أَيْ مَقْدَرًا خَلُودَهُمْ فِيهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى (أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ)

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]

٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (الْخَلِيقَةِ)

﴿جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨]

٨ ﴿جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ (إِقَامَةٌ) تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بِطَاعَتِهِ (وَرَضُوا عَنْهُ) بِثَوَابِهِ (ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ) خَافَ عِقَابَهُ فَانْتَهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ تَعَالَى.

﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾

٤ ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ بِحَذْفِ إِحْدَى التَّاءَيْنِ مِنَ الْأَصْلِ (وَالرُّوحُ) أَي جِبْرِيلُ (فِيهَا) فِي اللَّيْلَةِ (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) بِأَمْرِهِ (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) قَضَاهُ اللَّهُ فِيهَا لِتِلْكَ السَّنَةِ إِلَى قَابِلٍ وَ«مِنْ» سَبَبِيَّةٌ بِمَعْنَى الْبَاءِ

﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَّلَعَ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]

٥ ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ خَبِرَ مُقَدِّمًا وَمَبْتَدَأً (حَتَّى مَطَّلَعَ الْفَجْرُ) بَفَتْحِ اللَّامِ وَكَسْرِهَا إِلَى وَقْتِ طُلُوعِهِ جَعَلَتْ سَلَامًا لِكثْرَةِ السَّلَامِ فِيهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا تَمُرُ بِمُؤْمِنٍ وَلَا بِمُؤْمِنَةٍ إِلَّا سَلِمَتْ عَلَيْهِ.

٩٨ سورة البينة

مكية أو مدنية وآياتها ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١]

١ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ) لِلْبَيَانِ (أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ) أَي عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ عَطْفٌ عَلَى أَهْلِ (مُنْفَكِينَ) خَبِرَ يَكُنُ أَي زَائِلِينَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ (حَتَّى تَأْتِيَهُمْ) أَي أَتَتْهُمْ (الْبَيِّنَةُ) أَي الْحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ وَهِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ

﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ [البينة: ٢]

٢ ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ) بَدَلَ مِنَ الْبَيِّنَةِ وَهُوَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ (يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً) مِنَ الْبَاطِلِ

﴿وَفِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٣]

٣ ﴿فِيهَا كُتُبٌ) أَحْكَامٌ مَكْتُوبَةٌ (قَيِّمَةٌ) مُسْتَقِيمَةٌ أَيْ يَتْلُو مَضْمُونُ ذَلِكَ وَهُوَ الْقُرْآنُ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]

يُجَاهِدُ الْعَدُوَّ بِالنَّهَارِ حَتَّى يَمْسِيَ فَعَمَلُ ذَلِكَ أَلْفَ شَهْرٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» قِيَامُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ ذَلِكَ الرَّجُلِ.

٩٩ سورة الزلزلة

مكية أو مدنية وآياتها ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]

١ (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ) حركت لقيام الساعة (زِلْزَالَهَا) تحريكها الشديد المناسب لعظمتها

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]

٢ (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) كنوزها وموتها فألقنتها على ظهرها

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة: ٣]

٣ (وَقَالَ الْإِنْسَانُ) الكافر بالبعث (مَا لَهَا) إنكارا لتلك الحالة

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]

٤ (يَوْمَئِذٍ) بدل من إذا وجوابها (تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) تخبر بما عمل عليها من خير وشر

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]

٥ (بِأَنَّ) بسبب أن (رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) أي أمرها بذلك في الحديث «تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها»

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾

٦ (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ) يتصرفون من موقف الحساب (أَشْتَاتًا) متفرقين فأخذ ذات اليمين إلى الجنة وأخذ ذات الشمال إلى النار (لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) أي جزاءها من الجنة أو النار

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾

٧ (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) زنة نملة صغيرة (خَيْرًا يَرَهُ) ير ثوابه (١)

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

٨ (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ير جزاءه.

* * *

١٠٠ سورة العاديات

مكية أو مدنية وآياتها ١١ إحدى عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١]

١ (وَالْعَادِيَاتِ) الخيل تعدو في الغزو وتضج (ضَبْحًا) هو صوت أجوافها إذا عدت (١)

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ [العاديات: ٢]

٢ (فَالْمُورِيَاتِ) الخيل توري النار (قَدْحًا) بحوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ [العاديات: ٣]

٣ (فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا) الخيل تغير على العدو وقت الصبح بإغارة أصحابها

﴿فَأَنْزَلْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ [العاديات: ٤]

٤ (فَأَنْزَلْنَ) هيجن (به) بمكان عدوهن أو بذلك الوقت (نَقْعًا) غبارا بشدة حركتهن

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات: ٥]

٥ (فَوَسَطْنَ بِهِ) بالنقع (جمعًا) من العدو أي صرن وسطه وعطف الفعل على الاسم لأنه في تأويل الفعل أي واللاتي عدون فأورين فأغرن

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]

٦ (إِنَّ الْإِنْسَانَ) الكافر (لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) لكفور يجحد نعمته تعالى

﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: ٧]

وعد الله النار على الكبائر فأنزله الله: «فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره».

١٠٠ - سورة العاديات

(١) أسباب نزول الآية: أخرج البزار وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً ولبث شهرًا لا يأتيه منها خبر فنزلت: «وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا».

٩٩ - سورة الزلزلة

(١) أسباب نزول الآية (٧-٨) : أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما زلزلت: «ويطعمون الطعام على حبه» الآية، كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة، والنظرة، والغيبة وأشياء ذلك ويقولون: إنما

(يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ) كغوغاء الجراد المنتشر يموج بعضهم في بعض للحيرة إلى أن يُدْعَوْا للحساب

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾

٥ (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ) كالصوف المندوف في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض
﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٦]

٦ (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) بأن رجحت حسناته على سيئاته

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٧]

٧ (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) في الجنة أي ذات رضى بأن يرضاها أي مرضية له
﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٨]

٨ (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) بأن رجحت سيئاته على حسناته

﴿فَأَمَّهُ هَكَايَةً﴾ [القارعة: ٩]

٩ (فَأَمَّهُ) فمسكنه (هَكَايَةً)

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ﴾ [القارعة: ١٠]

١٠ (وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ) أي ما هاوية

﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ١١]

١١ هي (نَارٌ حَامِيَةٌ) شديدة الحرارة وهاء «هيه» للسكت تثبت وصلًا ووقفًا وفي قراءة تحذف وصلًا.

١٠٢ سورة التكاثر

مكية أو مدنية وآياتها ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْهَنَكُمُ الْكَاثِرُ﴾ [التكاثر: ١]

١ (الْهَنَكُمُ) شغلکم عن طاعة الله (التكاثر) التفاخر بالأموال والأولاد والرجال^(١).

١٠٢ - سورة التكاثر

(١) أسباب نزول الآية ١: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن

٧ (وَأَنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ) كنوده (لَشَهِيدٌ) يشهد على نفسه بصنعه

﴿وَأَنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]

٨ (وَأَنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ) المال (لَشَدِيدٌ) الحب له فيدخل به

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمًا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩]

٩ (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ) أثير وأخرج (رَمًا) في الْقُبُورِ من الموتى أي بعثوا

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠]

١٠ (وَحُصِّلَ) بين وأفرز (مَا فِي الصُّدُورِ) القلوب من الكفر والإيمان

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾

١١ (إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ) لعالم فيجازيهم على كفرهم أعيد الضمير جمعا نظرا لمعنى الإنسان وهذه الجملة دلت على مفعول يعلم أي إنا نجازيه وقت ما ذكر وتعلق خبير بيومئذ وهو تعالى خبير دائما لأنه يوم المجازاة.

١٠١ سورة القارعة

مكية أو مدنية وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١]

١ (الْقَارِعَةُ) القيامة التي تفرع القلوب بأهوالها

﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٢]

٢ (مَا الْقَارِعَةُ) تهويل لشأنها وهما مبتدأ وخبر خبر القارعة

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٣]

٣ (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا الْقَارِعَةُ) زيادة تهويل لها و«ما» الأولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدري

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾

٤ (يَوْمَ) ناصبة دل عليه القارعة أي تفرع

١٠٣ سورة العصر

مكية أو مدنية وآياتها ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١]

١ (وَالْعَصْرِ) الدهر أو ما بعد الزوال إلى الغروب أو صلاة العصر

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ [العصر: ٢]

٢ (إِنَّ الْإِنْسَانَ) الجنس (لَفِي خُسْرٍ) في تجارته ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]

٣ (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فليسوا في خسران (وَتَوَّصُوا) أوصى بعضهم بعضا (بِالحَقِّ) الإيمان (وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ) على الطاعة وعن المعصية.

* * *

١٠٤ سورة الهمة

مكية أو مدنية وآياتها تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُزْمَةٌ﴾ [الهمزة: ١]

١ (وَبِئْسَ) كلمة عذاب أو واد في جهنم (لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُزْمَةٌ) كثير الهمز واللمز أي الغيبة نزلت فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما (١).

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة: ٢]

١٠٤ - سورة الهمة

(١) أسباب نزول الآية ١: أخرج ابن أبي حاتم عن عثمان وابن عمر قالا: ما زلنا نسمع أن «ويل لكل همزة» نزلت في أبي بن خلف.

* وأخرج عن الشدي قال: نزلت في الأخنس بن شريق.
* وأخرج ابن جرير عن رجل من أهل الرقة قال: نزلت في جميل بن عامر الجمحي.
* وأخرج ابن المنذر عن ابن إسحاق قال: كان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولمزه فأنزل الله: «ويل لكل همزة لمزة» السورة كلها.

﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢]

٢ (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) بأن متم فدفنتم فيها أو عدتكم الموتى تكاثرا

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣]

٣ (كَلَّا) ردع (سَوْفَ تَعْلَمُونَ)

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٤]

٤ (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) سوء عاقبة تفاخركم عند النزع ثم في القبر

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥]

٥ (كَلَّا) حقا (لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) علما يقينا عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦]

٦ (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) النار جواب قسم محذوف وحذف منه لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧]

٧ (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا) تأكيد (عَيْنَ الْيَقِينِ) مصدر لأن رأى وعاین بمعنى واحد

﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]

٨ (ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (يَوْمَئِذٍ) يوم رؤيتها (عَنِ النَّعِيمِ) ما يلتذ به في الدنيا من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب وغير ذلك.

* * *

بريدة قال: نزلت في قبيلتين من الأنصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك تفاخروا بالأحياء ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان ومثل فلان؟ يشيرون إلى القبر وتقول الأخرى مثل ذلك فأنزل الله: «ألهاكم التكاثر». حتى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ.
* وأخرج ابن جرير عن علي قال: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت: «ألهاكم التكاثر» إلى: «ثم كلا سوف تعلمون» في عذاب القبر.

أبرهة ليهدمن الكعبة فجاء مكة بجيشه على أفيال اليمن مقدمها محمود فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله
﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢]

٢ ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ أَي جَعَلَ (كَيْدُهُمْ) فِي هدم الكعبة (فِي تَضْلِيلٍ) خسارة وهلاك
﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ٣]

٣ ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعات جماعات قيل لا واحد له كأساطير وقيل واحده أبول أو إبال أو إليل كمعجول ومفتاح وسكين
﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل: ٤]

٤ ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين مطبوخ
﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّا أُكُولُ﴾ [الفيل: ٥]

٥ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّا أُكُولُ﴾ كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفته أهلهم الله تعالى كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه وهو أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة يخرق البيضة والرجل والفيل ويصل إلى الأرض وكان هذا عام مولد النبي ﷺ
* * *

١٠٦ سورة قريش

مكية أو مدنية وآياتها أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِلَافٍ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١]

١ ﴿إِلَافٍ قُرَيْشٍ﴾^(١)

﴿إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [قريش: ٢]

٢ ﴿إِلَافِهِمْ﴾ تأكيد وهو مصدر آلف بالمد ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ﴾ إلى اليمين (و) رحلة (الصَّيْفِ) إلى

١٠٦ - سورة قريش

(١) أسباب نزول الآية ١: أخرج الحاكم وغيره عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: قال رسول الله ﷺ: فضل الله قريشاً بسبع خصال: أني منهم، وأن النبوة فيهم، والحجابه فيهم، السقاية وفيهم، وأن نصرهم على الفيل، وإنهم عبدوا الله سبع سنين لا يعبده غيرهم، وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم ثم تلاها: «إِلَافٍ قُرَيْشٍ».

٢ ﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ بالتخفيف والتشديد (مَالًا وَعَدَّةً) أحصاه وجعله عدة لحوادث الدهر
﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة: ٣]

٣ ﴿يَحْسَبُ﴾ لجعله (أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ) جعله خالدا لا يموت
﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٤]

٤ ﴿كَلَّا﴾ ردع (لَيُنْبَذَنَّ) جواب قسم محذوف أي ليطرحن (فِي الْحُطَمَةِ) التي تحطم كل ما ألقى فيها

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ [الهمزة: ٥]

٥ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك (مَا الْحُطَمَةُ)

﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة: ٦]

٦ ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ المسعرة

﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: ٧]

٧ ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ﴾ تشرف (عَلَى الْأَفْئِدَةِ) القلوب فتحرقها وألمها أشد من ألم غيرها للطفها
﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]

٨ ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ﴾ جمع الضمير رعاية لمعنى كل (مُّوَصَّدَةٌ) بالهمزة وبالواو بدلها، مطبقة
﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٩]

٩ ﴿فِي عَمَدٍ﴾ بضم الحرفين وبفتحهما (مُّمَدَّدَةٌ) صفة لما قبله فتكون النار داخل العمود.

* * *

١٠٥ سورة الفيل

مكية وآياتها خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]

١ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجب أي اعجب (كَيْفَ) فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) هو محمود وأصحابه أبرهة ملك اليمن وجيشه بنى بصنعاء كنيسة ليصرف إليها الحاج عن مكة فأحدث رجل من كنانة فيها ولطخ قبلتها بالعدرة احتقاراً لها فحلف

يؤخرونها عن وقتها

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون: ٦]

٦ (الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ) في الصلاة وغيرها

﴿وَيَسْتَعِينُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧]

٧ (وَيَسْتَعِينُونَ الْمَاعُونَ) كالإبرة والفأس والقدر والقصة.

١٠٨ سورة الكوثر

مكية أو مدنية وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْطَقْنَاكَ الْكَوْتَرَ﴾ [الكوثر: ١]

١ (إِنَّا أَنْطَقْنَاكَ) يا محمد (الكَوْتَرَ) هو نهر في الجنة هو حوضه ترد عليه أمته والكوثر الخير الكثير من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]

٢ (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) صلاة عيد النحر (وَأَنْحَرْ) نسكك

﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]

٣ (إِنَّكَ شَانِئُكَ) أي مبغضك (هُوَ الْأَبْتَرُ) المنقطع عن كل خير أو المنقطع العقب، نزلت في العاص بن وائل سمي النبي ﷺ أبتَر عند موت ابنه القاسم^(١).

١٠٨ - سورة الكوثر

(١) أسباب نزول الآية ٣: أخرج البزار وغيره بسند صحيح عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا المنصب المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السقاية وأهل السدانة قال: أتم خير منه، فنزلت: «إن شانتك هو الأبتَر». * وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر عن عكرمة قال: لما أوحى إلى النبي ﷺ قالت قريش: بتر محمد منا، فنزلت: «إن شانتك هو الأبتَر».

* وأخرج ابن أبي حاتم عن الشدي قال: كانت قريش تقول إذا مات ذكور الرجل: بتر فلان فلما مات ولد النبي ﷺ قال العاص بن وائل: بتر محمد فنزلت. * وأخرج البيهقي في الدلائل مثله عن محمد بن علي، وسمى الولد القاسم.

الشام في كل عام يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذي هو فخرهم وهم ولد النضر بن كنانة

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش: ٣]

٣ (فَلْيَعْبُدُوا) تعلق به لإيلاف والفاء زائدة (رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ)

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

٤ (الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ) أي من أجله (وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) أي من أجله وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة وخافوا جيش الفيل.

١٠٧ سورة الماعون

مكية أو مدنية وآياتها سبع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرْءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ﴾ [الماعون: ١]

١ (أَرْءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ) بالجزء والحساب أي هل عرفته؟ وإن لم تعرفه

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢]

٢ (فَذَلِكَ) بتقدير هو بعد الفاء (الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ) أي يدفعه بعنف عن حقه

﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ [الماعون: ٣]

٣ (وَلَا يَحْضُ) نفسه ولا غيره (عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ) أي إطعامه، نزلت في العاص بن وائل أو الوليد بن المغيرة

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]

٤ (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ)^(١).

﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]

٥ (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) غافلون

١٠٧ - سورة الماعون

(١) أسباب نزول الآية ٤: أخرج ابن المنذر عن طريف بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ» الآية. قال: نزلت في المنافقين كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا ويتركونها إذا غابوا ويمتنعهم العارية.

سورة الكافرون ١٠٩

مكية أو مدنية وآياتها ست آيات

نزلت لما قال رهط من المشركين لرسول الله ﷺ: تعبد آلهتنا سنة ونعبد آلهتك سنة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]

١ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (١).

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢]

* وأخرج عن مجاهد قال: نزلت في العاص بن وائل وذلك أنه قال: أنا شائئ محمد.

* وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن أبي أيوب قال: لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ مشى المشركون بعضهم إلى بعض فقالوا: إن هذا الصائئ قد بُر الليلة فأنزل الله: «إنا أعطيناك الكوثر» إلى آخر السورة.

* وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبيرة في قوله: «فصل لربك وانحر» قال: نزلت يوم الحديبية أتاه جبريل فقال: انحر واركع فقام فخطب خطبة الفطر والنحر ثم ركع ركعتين، ثم انصرف إلى البدن فنحراها.

* (قلت): فيه غرابة شديدة.

* وأخرج عن شمر بن عطية قال: كان عقبة بن أبي معيط يقول: إنه لا يبقى للنبي ﷺ ولد وهو أتر فأنزل الله فيه: «إن شانئك هو الأتر».

* وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: بلغني أن إبراهيم ولد النبي ﷺ لما مات قالت قريش: أصبح محمد أتر ففاظه ذلك، فنزلت: «إنا أعطيناك الكوثر» تعزية له.

١٠٩ - سورة الكافرون

(١) أسباب نزول الآية ٤: أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن قريشا دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء فقالوا: هذا لك يا محمد وتكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء فإن لم تفعل فاعبد آلهتنا سنة قال: حتى أنظر ما يأتييني من ربي فأنزل الله: «قل يا أيها الكافرون» إلى آخر السورة وأنزل: «قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون».

* وأخرج عبد الرزاق عن وهب قال: قالت كفار قريش للنبي ﷺ: إن سرّك أن تتبعنا عامًا ونرجع إلى دينك عامًا فأنزل الله: «قل يا أيها الكافرون» إلى آخر السورة وأخرج ابن المنذر نحوه عن ابن جريج.

* وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن ميناء قال: لقي الوليد ابن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمّية بن خلف رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد هلّم فلنعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد ولنشرك نحن وأنت في أمرنا كله، فأنزل الله: «قل يا أيها الكافرون» إلى آخر السورة.

٢ ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ في الحال (مَا تَعْبُدُونَ) من الأصنام

﴿وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣]

٣ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ في الحال (مَا أَعْبُدُ) وهو الله تعالى وحده

﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ [الكافرون: ٤]

٤ ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ في الاستقبال (مَا عَبَدْتُمْ)

﴿وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٥]

٥ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ في الاستقبال (مَا أَعْبُدُ) علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، وإطلاق ما على الله على وجه المقابلة

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]

٦ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الشرك (ولِيَ دِينِ) الإسلام وهذا قبل أن يؤمر بالحرب. وحذف ياء الإضافة القراء السبعة وقفاً ووصلاً وأثبتها يعقوب في الحالين.

١١٠ سورة النصر

مدنية وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]

١ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ نبيه ﷺ على أعدائه (وَالْفَتْحُ) فتح مكة (١).

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾

٢ ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي الإسلام (أَفْوَاجًا) جماعات بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد وذلك بعد فتح مكة جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين.

١١٠ - سورة النصر

(١) أسباب نزول الآية ١: أخرج عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح بعث خالد بن الوليد فقاتل بمن معه صفوف قريش بأسفل مكة حتى هزمهم الله ثم أمر بالسلاح فرفع عنهم فدخلوا في الدين فأنزل الله: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» حتى ختمها.

أي ولده و أغنى بمعنى يغني

﴿سَيَصِلَنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣]

٣ ﴿سَيَصِلَنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي تلهب وتوقد فهي مأل تكينته لتلهب وجهه إشراقا وحرمة

﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]

٤ ﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾ عطف على ضمير يصلى سوجه الفصل بالمفعول وصفته وهي أم جميل (حَمَّالَةٌ) بالرفع والنصب (الْحَطَبِ) الشوك والسعدان تلقيه في طريق النبي ﷺ

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥]

٥ ﴿فِي جِيدِهَا﴾ عنقها (حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) أي ليف، وهذه الجملة حال من حمالة الحطب الذي هو نعت لامراته أو خبر مبتدأ مقدر.

١١٢ سورة الإخلاص

مكية أو مدنية وآياتها أربع آيات

سئل النبي ﷺ عن ربه فنزل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]

١ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ف «الله» خير هو و«أحد» بدل منه أو خير ثان (١).

١١٢ - سورة الإخلاص

(١) أسباب نزول الآية ١: أخرج الترمذي والحاكم وابن خزيمة من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك فأنزل الله: «قل هو الله أحد» إلى آخرها.

* وأخرج الطبراني وابن جرير مثله من حديث جابر بن عبد الله فاستدل بها على أن السورة مكية.
* وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن اليهود جاءت إلى النبي ﷺ منهم: كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب فقالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك فأنزل الله: «قل هو الله أحد» إلى آخرها.

* وأخرج ابن جرير عن قتادة وابن المنذر عن سعيد بن جبيل مثله فاستدل بهذا على أنها مدنية. وأخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: قال قتادة: قالت الأحزاب: انسب لنا ربك فاتاه جبيل بهذه السورة وهذا المراد بالمشركين في حديث أبي

﴿فَسَيَحِبُّ مُحَمَّدٍ رَّبِّكَ وَاسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾

٣ ﴿فَسَيَحِبُّ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي متلبساً بحمده (وَاسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قول: سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب إليه، وعلم بها أنه قد اقترب أجله وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

١١١ سورة المسد

مكية وآياتها خمس آيات

لما دعا النبي ﷺ قومه وقال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال عمه أبو لهب: تبا لك ألهذا دعوتنا. نزلت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]

١ ﴿تَبَّتْ﴾ خسرت (يَدَا أَبِي لَهَبٍ) أي جملته وعبر عنها باليدين مجاز لأن أكثر الأفعال تزاوَل بهما وهذه الجملة دعاء (وَتَبَّ) خسر هو وهذه خير كقولهم أهلَكَ اللهُ وقد هلك، ولما خوفه النبي بالعذاب فقال: إن كان ما يقول ابن أخي حقا فإني أفندي منه بمالي وولدي نزل (١).

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢]

٢ ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ أي كسبه،

١١١ - سورة المسد

(١) أسباب نزول الآية ١: أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا فنادى: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش فقال: «أرايتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعنا؟» فأنزل الله: «تبت يدا أبي لهب وتب» إلى آخرها.

* وأخرج ابن جرير من طريق إسرائيل عن ابن إسحاق عن رجل من همدان يقال له: يزيد بن زيد أن امرأة أبي لهب كانت تلقي في طريق النبي ﷺ الشوك فنزلت: «تبت يدا أبي لهب وتب» إلى: «وأمراته حَمَّالَةَ الحَطَبِ».
* وأخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله.

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢]

٢ (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) مِنْ حَيْوَانٍ مَكْلُوفٍ وَغَيْرِ مَكْلُوفٍ وَجَمَادٍ كَالسَّمِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣]

٣ (وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) أَي اللَّيْلِ إِذَا أَظْلَمَ أَوْ الْقَمَرِ إِذَا غَابَ

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]

٤ (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ) السَّوَاحِرِ تَنْفِثُ (فِي الْعُقَدِ) الَّتِي تَعْقِدُهَا فِي الْخَيْطِ تَنْفِخُ فِيهَا بِشَيْءٍ تَقُولُهُ مِنْ غَيْرِ رِيْقٍ وَقَالَ الرَّمَحْشَرِيُّ مَعَهُ كِبْنَاتٌ لِبَيْدِ الْمَذْكُورِ

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]

٥ (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) أَظْهَرَ حَسَدَهُ وَعَمَلَ بِمَقْتَضَاهُ كَلْبَيْدِ الْمَذْكُورِ مِنَ الْيَهُودِ الْحَاسِدِينَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَذَكَرَ الثَّلَاثَةَ الشَّامِلَ لَهَا مَا خَلَقَ بَعْدَهُ لَشِدَّةِ شَرِّهَا.

رَأْسُهُ وَالْآخَرَ عِنْدَ رِجْلَيْهِ فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيْهِ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ: مَا تَرَى؟ قَالَ: طَبَّ قَالَ: وَمَا طَبَّ؟ قَالَ: سِحْرٌ قَالَ: وَمَنْ سَحَرَهُ؟ قَالَ: لِبَيْدِ بْنِ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيِّ قَالَ: أَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بَرِّ آلِ فُلَانٍ تَحْتَ صَخْرَةٍ فِي كَرِيَّةٍ فَأَتَوْا الرِّكِيَّةَ فَانزَحُوا مَاءَهَا وَارْفَعُوا الصَّخْرَةَ ثُمَّ خَذَلُوا الْكَرِيَّةَ وَأَحْرَقُوهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ عِمَارَ بْنَ يَاسِرٍ فِي نَفَرٍ فَأَتَوْا الرِّكِيَّةَ فِإِذَا مَآؤُهَا مِثْلُ مَاءِ الْحِنَاءِ فَانزَحُوا الْمَاءَ ثُمَّ رَفَعُوا الصَّخْرَةَ وَأَخْرَجُوا الْكَرِيَّةَ وَأَحْرَقُوهَا فِإِذَا فِيهَا وَتَرَفِ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عَقْدَةً وَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِ هَاتَانِ السُّورَتَانِ فَجَعَلَ كَلِمًا قَرَأَ آيَةَ أَنْحَلَتْ عَقْدَةً: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»، «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ». لِأَصْلِهِ شَاهِدٌ فِي الصَّحِيحِ دُونَ نَزُولِ السُّورَتَيْنِ وَلَهُ شَاهِدٌ بِنَزُولِهِمَا.

* وَأَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي جَعْفَرِ الرَّازِيِّ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: صَنَعَتْ الْيَهُودُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا، فَأَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ وَجَعٌ شَدِيدٌ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: أَنْ لِمَا بِهِ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ فَمَعَّوَّذَهُ بِهِمَا فَخَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ صَحِيحًا.

وهذا آخر الكتاب والحمد لله على التمام، وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله، عليه الصلاة والسلام.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢]

٢ (اللَّهُ الصَّمَدُ) مُبْتَدَأٌ وَخَبِرٌ أَيِ الْمَقْصُودِ فِي الْحَوَائِجِ عَلَى الدَّوَامِ

﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]

٣ (لَمْ يَكِلِدْ) لِانْتِفَاءِ مَجَانِسَتِهِ (وَلَمْ يُولَدْ) لِانْتِفَاءِ الْحَدُوثِ عَنْهُ

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُّوا أَعْدَاءَهُ﴾ [الإخلاص: ٤]

٤ (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُّوا أَعْدَاءَهُ) أَيِ مَكَافَا وَمِمَّاثِلًا وَ«لَهُ» مُتَعَلِّقٌ بِكُفُّوا وَقَدِمَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مَحْطُ الْقَصْدِ بِالنَّفْسِيِّ وَأَخْرَجَ أَحَدٌ وَهُوَ اسْمٌ يَكُنُ عَنْ خَبَرِهَا رِعَايَةً لِلْفَاصِلَةِ.

١١٣ سورة الفلق

مكية أو مدنية وآياتها خمس آيات

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي ﷺ في وتر به إحدى عشرة عقدة فأعلمه الله بذلك وبمحلله فأحضر بين يديه وأمر بالتعوذ بالسورتين فكان كلما قرأ آية منها انحلت عقدة ووجد خفة، حتى انحلت العقد كلها، وقام كأنما نشط من عقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]

١ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) الصَّحْبِ (١)

فتكون السورة مدنية، كما دل عليه حديث ابن عباس وينبغي التعارض بين الحديثين. لكن أخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة من طريق أبان عن أنس قال: أتت يهود خيبر إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب وأدم من حمأ مسنون، وإبليس من لهب النار والسماء من دخان والأرض من زبد الماء فأخبرنا عن ربك فلم يجبهم فأتاه جبريل بهذه السورة: «قل هو الله أحد».

١١٣ - سورة الفلق

١١٤ - سورة الناس

(١) أسباب نزول الآيات: وأخرج البيهقي في دلائل النبوة من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: مرض رسول الله ﷺ مرضاً شديداً فاتاه ملكان فقام أحدهما عند

١١٤ سورة الناس

مكية أو مدنية وآياتها ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]

١ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) خالقهم ومالكهم خصوصا بالذكر تشريفا لهم ومناسبة للاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢]

٢ (مَلِكِ النَّاسِ)

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٣]

٣ (إِلَهِ النَّاسِ) بدلان أو صفتان أو عطفًا بيان وأظهر المضاف إليه فيهما زيادة للبيان.

﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤]

٤ (مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ) الشيطان سمي بالحدث لكثرة ملابسته له (الْخَنَّاسِ) لأنه يخنس ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله.

﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾

٥ (الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ) قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦]

٦ (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) بيان للشيطان الموسوس أنه جني وأنسي كقوله تعالى (شياطين الجن والإنس) أو من الجنة بيان له والناس عطف على الوسواس وعلى كل ما يشمل شر لبيد وبناته المذكورين، واعتراض الأول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس إنما يوسوس في صدورهم الجن وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضا بمعنى يليق بهم في الظاهر ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه بالطريق المؤدي إلى ذلك والله تعالى أعلم.

* * *

فهرس أسماء السور

٩ سورة الفاتحة	١
١١ سورة البقرة	٢
٦٨ سورة آل عمران	٣
٩٨ سورة النساء	٤
١٣٢ سورة المائدة	٥
١٥٦ سورة الأنعام	٦
١٧٨ سورة الأعراف	٧
٢٠١ سورة الأنفال	٨
٢١٢ سورة التوبة	٩
٢٣٣ سورة يونس	١٠
٢٤٥ سورة هود	١١
٢٥٨ سورة يوسف	١٢
٢٧١ سورة الرعد	١٣
٢٧٧ سورة إبراهيم	١٤
٢٨٢ سورة الحجر	١٥
٢٨٩ سورة النحل	١٦
٣٠٣ سورة الإسراء	١٧
٣١٧ سورة الكهف	١٨
٣٢٩ سورة مريم	١٩
٣٣٧ سورة طه	٢٠
٣٤٨ سورة الأنبياء	٢١
٣٥٧ سورة الحج	٢٢
٣٦٧ سورة المؤمنون	٢٣
٣٧٦ سورة النور	٢٤
٣٨٩ سورة الفرقان	٢٥
٣٩٧ سورة الشعراء	٢٦
٤٠٩ سورة النمل	٢٧
٤١٨ سورة القصص	٢٨

٤٢٨ سورة العنكبوت	٢٩
٤٣٥ سورة الروم	٣٠
٤٤١ سورة لقمان	٣١
٤٤٥ سورة السجدة	٣٢
٤٤٧ سورة الأحزاب	٣٣
٤٥٩ سورة سبأ	٣٤
٤٦٥ سورة فاطر	٣٥
٤٧٠ سورة يس	٣٦
٤٧٧ سورة الصافات	٣٧
٤٨٧ سورة ص	٣٨
٤٩٣ سورة الزمر	٣٩
٥٠١ سورة غافر	٤٠
٥٠٩ سورة فصلت	٤١
٥١٥ سورة الشورى	٤٢
٥٢١ سورة الزخرف	٤٣
٥٢٨ سورة الدخان	٤٤
٥٣١ سورة الجاثية	٤٥
٥٣٥ سورة الأحقاف	٤٦
٥٤٠ سورة محمد	٤٧
٥٤٤ سورة الفتح	٤٨
٥٤٨ سورة الحجرات	٤٩
٥٥٢ سورة ق	٥٠
٥٥٦ سورة الذاريات	٥١
٥٦٠ سورة الطور	٥٢
٥٦٣ سورة النجم	٥٣
٥٦٧ سورة القمر	٥٤
٥٧١ سورة الرحمن	٥٥
٥٧٥ سورة الواقعة	٥٦
٥٨٠ سورة الحديد	٥٧

٥٨٤	٥٨ سورة المجادلة
٥٨٧	٥٩ سورة الحشر
٥٩١	٦٠ سورة الممتحنة
٥٩٤	٦١ سورة الصف
٥٩٥	٦٢ سورة الجمعة
٥٩٧	٦٣ سورة المنافقون
٥٩٧.....	٦٣ سورة المنافقون
٥٩٨.....	٦٤ سورة التغابن
٦٠٠.....	٦٥ سورة الطلاق
٦٠٢.....	٦٦ سورة التحريم
٦٠٤.....	٦٧ سورة الملك
٦٠٧.....	٦٨ سورة القلم
٦١٠.....	٦٩ سورة الحاقة
٦١٣.....	٧٠ سورة المعارج
٦١٥.....	٧١ سورة نوح
٦١٧.....	٧٢ سورة الجن
٦٢٠.....	٧٣ سورة المزمل
٦٢٢.....	٧٤ سورة المدثر
٦٢٥.....	٧٥ سورة القيامة
٦٢٨.....	٧٦ سورة الإنسان
٦٣٠.....	٧٧ سورة المرسلات
٦٣٢.....	٧٨ سورة النبأ
٦٣٥.....	٧٩ سورة النازعات
٦٣٧.....	٨٠ سورة عيس
٦٣٩.....	٨١ سورة التكوير
٦٤١.....	٨٢ سورة الانفطار
٦٤٢.....	٨٣ سورة المطففين
٦٤٤.....	٨٤ سورة الانشقاق
٦٤٥.....	٨٥ سورة البروج

٦٤٦.....	٨٦ سورة الطارق
٦٤٧.....	٨٧ سورة الأعلى
٦٤٨.....	٨٨ سورة الغاشية
٦٥٠.....	٨٩ سورة الفجر
٦٥١.....	٩٠ سورة البلد
٦٥٢.....	٩١ سورة الشمس
٦٥٣.....	٩٢ سورة الليل
١٥٥.....	٩٣ سورة الضحى
٦٥٦.....	٩٤ سورة الشرح
٦٥٦.....	٩٥ سورة التين
٦٥٧.....	٩٦ سورة العلق
٦٥٨.....	٩٧ سورة القدر
٦٥٩.....	٩٨ سورة البينة
٦٦٠.....	٩٩ سورة الزلزلة
٦٦٠.....	١٠٠ سورة العاديات
٦٦١.....	١٠١ سورة القارعة
٦٦١.....	١٠٢ سورة التكاثر
٦٦٢.....	١٠٣ سورة العصر
٦٦٢.....	١٠٤ سورة الهمزة
٦٦٣.....	١٠٥ سورة الفيل
٦٦٣.....	١٠٦ سورة قريش
٦٦٤.....	١٠٧ سورة الماعون
٦٦٤.....	١٠٨ سورة الكوثر
٦٦٥.....	١٠٩ سورة الكافرون
٦٦٥.....	١١٠ سورة النصر
٦٦٦.....	١١١ سورة المسد
٦٦٦.....	١١٢ سورة الإخلاص
٦٦٧.....	١١٣ سورة الفلق
٦٦٨.....	١١٤ سورة الناس